

ويدان علي الجارم

علي الجارم

ديوان علي الجارم

تأليف
علي الجارم



رقم إيداع ٢٠١٣/٣٨٦٠

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧١٩ ٢٤٨ ٤

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: سحر عبد الوهاب.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2013 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

١١	الجزء الأول
١٣	مقدمة المؤلف
١٩	أبو الزهراء
٢٣	مصر
٣١	يَوْمُ السَّلَام
٣٧	رثاء سَعْد
٤٧	إبراهيم بطل الشرق
٥١	الحُبُّ والحَرْبُ
٥٥	رشيد
٦١	أبو الأشبال ...
٦٣	الأعمى
٧١	رثاء إسماعيل صبري باشا
٧٧	الفخر
٧٩	اللغة العربية ودار العلوم
٨٧	ضحك القَدَر
٨٩	الجامعة المصرية
٩٣	العروبة
٩٩	أقولُ نجمين
١٠٣	من شاعرٍ إلى شاعرٍ
١٠٧	تَحِيَّةُ الإِيَّاب

١١١	العِيدُ المِثْوِيُّ لوزارة المعارف
١١٩	كُلُّ بَيْتٍ فِيهِ سَعْدٌ مَائِلٌ
١٢٣	وَصِيَّةٌ
١٢٥	ذِكْرَى قَاسِمِ أَمِينٍ
١٣١	دَارُ الْعُلُومِ
١٣٩	مَوْلِدُ الْفَارُوقِ
١٤٣	قُبْعَةٌ بَعْدَ عِمَامَةٍ
١٤٥	رِثَاءُ زَعِيمٍ
١٥٣	التَّاجِيَّةُ الْكُبْرَى
١٦١	السُّودَانِ
١٦٧	إِلَى الْأَسْتَاذِ أَحْمَدَ لُطْفِي السَّيِّدِ بَاشَا
١٦٩	العَاشِقُ الْغَضْبَانِ
١٧١	عِيدُ الْجُلُوسِ الْمَلَكِيِّ
١٧٧	دَمْعَةٌ عَلَى صَدِيقٍ
١٨٣	الدَّعْوَةُ إِلَى الْوِثَامِ
١٨٧	إِلَى مَجْلَةِ الْهَلَالِ
١٨٩	تَهْنِئَةُ الْفَارُوقِ بِعِيدِ الْفِطْرِ
١٩٩	أَعْلَامُ الْمَجْمَعِ
٢٠٥	بَغْدَادُ
٢١٣	صَوْمَانُ
٢١٥	الرِّقَافُ الْمَلَكِيُّ
٢٢٣	جُرْحٌ لَمْ يَنْدَمِلْ
٢٢٩	تَحِيَّةُ دَارِ الْإِذَاعَةِ
٢٣٥	نَقِيبُ
٢٣٧	وَفَاءُ صَدِيقٍ
٢٤١	رَشِيدُ تَحِيَّيِ الْفَارُوقِ
٢٤٧	إِلَى رُوحِ دَاوُدَ بَرَكَاتٍ
٢٥٣	لِبْنَانِ الثَّائِرِ

٢٥٩	زِكرى الغَرْب
٢٦٣	شروق كوكب
٢٦٥	مصر تعزي العراق
٢٧١	صدى أنات حائرة
٢٧٥	غزل شاعرين
٢٧٩	صبحُ باسم
٢٨٥	يَوْمُ عَبُوس
٢٨٧	ضَيْفُ كريم
٢٩١	نصل الموت
٢٩٣	أفراح مصر
٢٩٩	الحَرْبُ
٣٠٥	يا أبا الأمّة
٣٠٧	ميلادُ الأميرةِ فريال
٣١٥	ضنُّ الشعرِ بالمديح (عام ١٩٤٥م)
٣١٧	نشيد التاج
٣١٩	تقريظ
٣٢١	تحيةُ الشُّعرِ للأميرةِ
٣٢٥	إلى جريدة
٣٢٧	نشيد المعلمين
٣٣١	الإسكندرية
٣٣٧	الجزء الثاني
٣٣٩	تقديم
٣٤١	محمد رسول الله
٣٤٧	فلسطين
٣٥٣	رثاءُ شوقي
٣٦١	إسماعيل العظيم
٣٦٧	الحُب
٣٧١	مصيف رشيد

٣٧٧	زِيَارَة ملك
٣٧٩	الشَّريدُ
٣٨٥	قبر حفني
٣٩١	قبلة
٣٩٣	اللغة العربية
٤٠٣	حَنِينٌ طائر
٤٠٧	عيدُ جُلُوس الملك فؤاد
٤١٥	الجامعة العربية
٤٢١	خلود
٤٢٩	الشباب
٤٣٣	في الزيارة الملكية
٤٣٧	المجمع اللُّغويّ
٤٤٥	مصرُ الوالِهة
٤٥٣	إلى الأستاذ الإمام
٤٥٧	رثاءُ الزَّهاوي
٤٦٥	افتتاحُ الإذاعة
٤٦٩	ميلادُ الفاروق
٤٧٥	الشَّيخُ الغَزَل
٤٧٧	رثاء محمود فهمي النقراشي باشا
٤٨٥	الرِّقَافُ المَلِكِي
٤٩٥	تمثال سَعد
٥٠١	الدكتور علي إبراهيم باشا
٥٠٧	ليلة ولبلى
٥١١	عيدُ جُلُوس الفاروق في السودان
٥١٧	رثاء أمين
٥٢٣	وزارة سَعد
٥٢٧	إلى نادي المعلمين
٥٢٩	تهنئةُ المليك بالعيد (فاروق الأول)

المحتويات

٥٣٥	عبد العزيز جاويش
٥٣٩	الصلح بين القبائل
٥٤٣	ثقليل!!
٥٤٥	ذكرى الزفاف الملكي
٥٤٩	رثاء عَاطِف
٥٥٥	عيدُ دارِ الإذاعة
٥٥٩	تكريم
٥٦٣	من أخبر الجمل؟!
٥٦٥	هجاء ...
٥٦٧	رثاء أنطون الجميل باشا
٥٧٣	لبنان
٥٨١	برنادوت
٥٨٣	الملك
٥٨٧	فارس الصحافة
٥٨٩	إلى علي إبراهيم باشا
٥٩١	الوباء
٥٩٥	رضا اليأس
٥٩٧	عيد الأعياد
٦٠١	صديقٌ عدو وعدو صديق
٦٠٣	الوَطَنُ
٦٠٧	نجيب مِترى
٦٠٩	تغريد
٦١١	ذكرى وتاريخ
٦١٥	مصطفى النحاس باشا
٦٢٥	دُرّة التاج
٦٢٩	تَهْنِئَةُ صَدِيق
٦٣٣	بهجة الأفراح
٦٣٥	دُعَابَة

٦٣٩

٦٤١

٦٤٣

٦٤٥

٦٥١

إلى أنطون الجميل

الفيوم

جورجي زيدان

باريس

مُعاهدة ١٩٣٦

الجزء الأول

مقدمة المؤلف

بقلم علي الجارم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة على جميع رسله وأنبيائه، وبعد فإني لا أريد أن أسهب في الكلام على معنى الشعر وخصائصه. ومبعث الروحانية فيه؛ ذلك لأن هذا المبحث طرقة الباحثون كثيرًا فأخفقوا. وأطالوا فيه فكانت إطالتهم أول دليل على العي والحصر، ومن العي إطالة الكلام، وتكرار تاء التمتام.

أرادوا أن يحدثوا روحانيته بالألفاظ. فعجزت الألف، وضلت الباء، وكيف يحيط المحدود بغير المحدود؟ وكيف تكشف ظلمة المادة توهج النور؟

إن شرح آثار الإحساس الجسمي من أبعد الأمور تأتياً، وأدخلها في باب الاستحالة. رأييت لو أنك نقت سكرًا أو ملحًا، ثم سألك سائل متعنت أن تشرح له طعم السكر أو الملح، أكنت مستطيعًا؟ رأييت لو شممت وردًا أو نرجسًا، ثم بدهك إنسان يفقد حاسة الشم أن تبين له في وضوح ودقة ذلك الأثر الذي شعرت به. أكنت قادرًا على أن تجد له اللفظ إن وجدت المعنى؟

فإذا كان هذا الشأن. وتلك الحال في إحساس الأجسام، فكيف في إحساس العقول؟ وإذا كانت الألفاظ عاجزة عن وصف أثر المادة الجامدة في الأجسام، فكيف تكون إذا همت بوصف أثر الروح النورانية في النفوس والأرواح؟

حاول عبد القاهر الجرجاني في كتابيه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز»، أن يشرح ما بهر نفسه من ضروب البلاغة في بعض ما ساق من الشواهد فأخفق وأخفق، وطالما نظرت مبتسماً إليه وهو يكد ويكدح، ويعلو ويسفل، ويحاول الوصول إلى مواطن السحر فلا يستطيع، ويتلمس اللفظ لشرح ما يجول بنفسه فلا يوفق، والغيط ينفخ أوداجه، والألم تسمعه في نبرات لفظه. يرسل الصيحة إثر الصيحة، كأنما يدعو إلى اصطياذ ظبي نافر، أو إلى التوثب إلى أجنحة طائر، ثم هو بعد طول الصياح وشدة الإلحاح لم يعمل شيئاً، ولم يترك في كف القارئ شيئاً!

إنك تهتئز للبحثري، وتطرب له، ولكنك لا تستطيع أن تفض خاتم سحره، ولا أن تنقل إلى نفس غيرك صدى جرسه في نفسك حين يقول في الفتح بن خاقان:

ولما حَصَرْنَا سَاحَةَ الْإِذْنِ أُخِّرَتْ	رجالٌ عن الباب الذي أنا داخلُه
فَأَفْضَيْتُ مِنْ قَرَبٍ إِلَى ذِي مَهَابَةٍ	أَقَابِلْ بَدْرَ التَّمِّ حِينَ أَقَابِلْهُ
فَسَلِمْتُ فَاعْتَاقَتْ جَنَانِي هَيْبَةً	تُنَازِعُنِي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ

السحر في اختيار النظم، وفي إبداع التصوير، وفي وضع الكلمة في موضعها، وفي الجرس والنغم، ولكن أين السبيل إلى إبانة ذلك؟

قف أمام صورة بديعة لمصور ماهر، وكن ممن يفهمون سرَّ الفن، ومعنى الألوان وامتزاجها وتشاكلها، ثم اشرح لصديق آيات النبوغ فيها، فإن فعلت — ولن تفعل — فتجراً على إفشاء سر البيان، وتصوير الخيال.

والناس يلهجون قديماً بقول عروة بن أذينة:

إِنَّ التِّي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَلَّهَا	خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا
بِيضَاءً بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا	بَلْبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا
مَنَعْتَ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتَ لِصَاحِبِي:	مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا!
فَدَنَا وَقَالَ: لَعَلَّهَا مَعْذُورَةٌ	فِي بَعْضٍ رَقَبَتَهَا فَقُلْتَ: لَعَلَّهَا

ويقولون: إن أبا السائب المخزومي نزل بعروة بن عبيد الله، فقال له: ألك حاجة؟ قال نعم، أبيات لعروة بن أذينة، بلغني أنك سمعته ينشدها، فأنشده الأبيات، فلما بلغ قوله:

فدنا وقال: لعلها معذورةٌ في بعض رِقَبَتِها فقلتُ: لعلها

طرب وقال: هذا والله الدائم الصبابة، الصادق العهد، لا الذي يقول:

إن كان أهلكَ يَمْنَعُوكَ رَغْبَةً عَنِّي، فأهلي بي أضنُّ وأرغبُ

لقد عدا هذا الأعرابي طوره! وإني لأرجو أن يُغفر لصاحب هذه الأبيات لحسن الظن بها، وطلب العذر لها، ثم عرض عروة الطعام فقال: لا والله، ما كنت لأخطأ بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل!

إن الأديب وحده هو الذي يفهم الشعور الذي ملك على المخزومي نواحي نفسه، واللذة الفنية التي لم يرد أن يفسدها بطعام طول يومه.

ثم انظر إلى قول سعد بن ناشب وكان من مرده العرب، وشياطين الإنس، تجد فخامة وجزالة وبطولة لا يصورها إلا الشعر، ولا يدركها إلا ذوق الشاعر:

إذا همَّ ألقى بين عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا

ومن التصوير الرائع الذي يملك الجنان، ويعقل اللسان قول أبي نواس:

رَكِبْتُ تَسَاقَوْا عَلَى الْأَكْوَارِ بَيْنَهُمْ كَأَنَّ أَرْوُسَهُمُ وَالنَّوْمُ وَاضِعُهَا
عَلَى الْمَنَاكِبِ لَمْ تُخْلَقْ بِأَعْنَاقِ حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ بَعْدَ أَشْوَاقِ
مَشْتَاقَةٍ حَمَلَتْ أَوْصَالَ مُشْتَاقِ مِنْ كُلِّ جَائِلَةٍ الطَّرْفَيْنِ نَاجِيَةٍ

قالوا: إن محمد بن زياد الأعرابي كان يطعن على أبي نواس، ويعيب شعره. ويضعفه ويستليته، فجمعه مع رواة شعر أبي نواس مجلس، فأنشده أحدهم الأبيات

السابقة، فقال: لمن هذه الأبيات؟ وكتبها، فقال: للذي تذمه وتعيب شعره أبي علي الحكمي، قال: اكتم عليّ، فوالله لا أعود لذلك أبداً.
وإذا أردت لهو أبي نواس وعبثه الذي يبعث في النفس إعجاباً يروغ من التصوير، ونشوة تفر من الوصف والتعبير، فاستمع إليه حين يقول:

غَنَّا بِالطُّلُولِ كَيْفَ بَلِينَا	وَاسْقِنَا نُعْطِكَ الثَّنَاءَ الثَّمِينَا
مَنْ سُلِّفَ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ	يَتَمَنَّى مَخِيرٌ أَنْ يَكُونَا
فَإِذَا مَا اجْتَلَيْنَهَا فَهَبَاءٌ	يَمْنَعُ الْكَفَّ مَا يُبِيحُ الْعُيُونَا
ثُمَّ شُجَّتْ فَاسْتَضَحَّكَتْ عَنْ لَّالٍ	لَوْ تَجَمَّعْنَ فِي يَدٍ لَأَقْتُنِينَا
فِي كُؤُوسٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ	دَائِرَاتٌ، بُرُوجُهَا أَيْدِينَا
طَالَعَاتٌ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا	فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

هذا فن يدركه الذوق، ولا يشرّح تشريح الجثث.
ومن الأبيات التي يروغك جمالها، ويهتز وجدانك لتأثيرها، ويبهز نفسك تصويرها، قول الشريف الرضي:

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمْ	وَطَلُّوْهَا بَيْدَ الْبَلَى نَهَبٌ
فَتَلَفَّتْ عَيْنِي فَمَذَّ خَفِيتُ	عَنِّي الطُّلُولُ تَلَفَّتَ الْقَلْبُ

ولو أردنا أن نقول في لطف جمال الشعر وروحانيته، وعجز الألفاظ عن الإحاطة بسرّه، وإماطة اللثام عن مكنون سحره، لطال حبل الكلام، وحاد القلم عن الجادة، ولكننا نستطيع أن نقول في جملة قصيرة: إن جمال الشعر في نظمه وجرسه ورنينه، وفي انتقاء ألفاظه وتجانسها. وفي ترتيب هذه الألفاظ ترتيباً يبرز المعنى في أروع صورة وأبدعها، وفي اختيار الأسلوب الذي يليق بالمعنى ويليق به. فمرة يكون إخباراً، ومرة يكون استفهاماً، ومرة يكون استنكاراً، ومرة يكون نفيّاً، ومرة يكون تعجباً. كل ذلك يكون مع المحافظة على الأسلوب العربي الصميم.

ثم في المعاني وابتكارها أو توليدها من القديم في صورة جديدة رائعة. ثم في الخيال وحسن تصويره والتزام الذوق العربي فيه. ثم في إحكام القافية والتمهيد إليها، ثم في انتقاء البحر الذي يلائم موضوع القصيد، ثم في التنقل في القصيدة في فنون شتى من

القول مع المحافظة على الوحدة الشعرية، ثم في روح الشاعر وخفة ظله، وانسياقه مع الطبع. وتعمده لمس مواطن الشعور.

ولا يكون جمال الشعر دائماً بالمجاز والتشبيه وضروب التزييق اللفظي. وإنما جماله في استعداده للنفاذ إلى النفس، والوصول إلى القلب على أي صورة كان. وفي أي ثوب يكون، ولأمر ما كان لبعض الشعر الجاهلي منزلته التي لا تسامى. ومحل الذي لا ينازع. ولأمر ما هوى الشعر صريعاً يلهث حينما أثقله المتأخرون بنفائس الحلي وأنواع الحل.

وقد يخلط من لا بصر له بالشعر بين تأثير الحال التي قيل فيها الشعر وتأثير الشعر نفسه، وكثيراً ما نال الشاعر تصفيق الجماهير واستحسانهم؛ لأنه يتجه إلى عاطفة فيهم سريعة الالتهاب سهلة الإثارة، وكثيراً ما يلجأ بعض الشعراء في موضوع بعيد عن عاطفة العامة إلى الاستطراد إلى ذكر ما يثير نفوسهم استجداءً لصيحات الاستحسان وطلب الإعادة.

هذا دجل أدبيّ نعوذ بالله منه، وهذا إفساد للفن ممن يريدون الالتصاق بالفن. شأن هؤلاء شأن صغار المصورين الذين يعمدون إلى دريهمات العامة بالإكثار من الألوان الزاهية البراقة، وإن ضاع الانسجام، وقتل الفن الرفيع قتلاً.

وربما كان الشعر أعصى الفنون على التعلم، وأبعدها من أن ينال بالدرس والتدريب، إنما هو شعاع يضعه الله في قلب من يشاء، وهبة يمنحها لمن يشاء، وحاسة معنوية يزيدها في خلق نفر من عباده يحسون بها ما لا يحسه كثير من الناس، فيترجمونه بياناً ساحراً، وقولاً مبيناً.

والشعر طريق معبدة بين عالم الأجسام وعالم الأرواح، ينقل إلى المادة الفانية نفحات الروح الخالدة، ويرسل إلى ظلمات الحياة نوراً قدسياً، يبدد غيوم الغموم، ويكشف السبيل للأمل الحائر.

فليس الشعر الوزن وحده، ولا القافية وحدها، ولا الكلمات التي تملأ فراغ التفاعيل، وإن عذبت ولطفت، وإنما الشعر ما وراء كل بيت من ضوء روحانيّ وجد له بين ألفاظه منفذاً، ومن سحر سماويّ زحزح البيت دونه طرف الستار.

وشأن الشعر شأن الفنون كلها، إما أن يكون فناً، وإما ألا يكون، وإما أن يكون شعراً، وإما ألا يكون، فليس فيه كبقية منتجات العقول جيد ومتوسط ورديء. فهو إما أن يكون جيداً، وإما ألا يكون شعراً، نعم إن الجودة متفاوتة، ولكنها إذا نزلت إلى حد

التوسط فقد الشعر مميزاتة، وسلب مقوماته، وأصبح كلامًا، كما يجرد القائد المذنب من رتبه وألقابه فيصبح جنديًا.

والكلام في الشعر يطول، وبحور الشعر فياحة النواحي، بعيدة الغور، ولكني أريد هنا أن أقدم للأدباء وجمهرة المثقفين مجموعة أشعاري، بعد أن أرجأت طويلًا نشرها، وأهملت كثيرًا في جمعها، وبعد أن ألحَّ علي كثير من أصدقائي في إبرازها لتنال حظها في سوق الأدب.

فإذا استطاعت هذه الأشعار أن تزيد في بناء العربية صفًا، أو أن تضيف إلى آياتها البينات حرفًا. أو أن تذيب من مسكّي معانيها شذاً طيباً وعرفاً، فقد بلغت المنى، وحمدت السرى، ونلت التوفيق كله، وسكنت نفسي أن قدمت بين يدي عملاً أشعر أن فيه أداءً لحق لغتي وأمتي، وأن فيه غذاءً صالحاً للناشئة المصرية الكريمة التي بذلت حياتي، وأبذل ما بقي منها في تثقيفها، وإنهاضها إلى الأوج الذي تريد وأريد.

أبو الزهراء

في ذكرى المولد النبوي الكريم جادت قريحة الشاعر بهذه القصيدة العصماء عام ١٩٤٨م.

وَفَجَّرَ مِنْ صَخِرِ التَّنُوفَةِ مَاءً^١
تَوَلَّى، وَرَاحَ الْجَهْلُ وَالْجَهْلَاءُ
وَلَمْ يَرْتَفَعْ إِلَّا إِلَيْهِ دُعَاءُ
فَلِلْأَرْضِ إِشْرَاقٌ بِهِ وَزُهَاءُ
عَلَيْهَا مِنَ الدِّينِ الْجَدِيدِ رُؤَا^٢
وَضِيءِ الْمَحْيَا مَا حَوَّثَهُ سَمَاءُ
وَفِي كُلِّ أَجْوَاءِ الْعُقُولِ فَضَاءُ
فَزَالَ عَمَى مِنْ حَوْلِهِ وَعَمَاءُ
عَلَيْهِمْ زَمَانٌ وَالْأُمَامُ وَرَاءُ
فَأَظْهَرَ مَا تَجَلَوُ الْعَيُونَ خَفَاءُ
وَأَقْنَعَهُمْ إِبِلٌ لَهُمْ وَخُدَاءُ^٣
وَكُلُّ بَكِيمٍ لِلْبَكِيمِ كِفَاءُ
وَهُمْ فِي بَوَادِي أَرْضِهِمْ سُجْنَاءُ
جَحِيمًا، وَكَبِيرُ أَجُوفٍ وَغَبَاءُ
وَسَادَاتِهِمْ مِنْ أَجْلِهَا قُتْلَاءُ

أَطْلَلْتُ عَلَى سُحْبِ الظَّلَامِ ذُكَاءُ
وَحُبِّتِ الْأَوْثَانُ أَنَّ زَمَانَهَا
فَمَا سَجَدْتُ إِلَّا لِذِي الْعَرْشِ جِبْهَةً
تَبَسَّمَ ثَغْرُ الصَّبْحِ عَنْ مَوْلِدِ الْهُدَى
وَعَادَتْ بِهِ الصَّحْرَاءُ وَهِيَ جَدِيدَةٌ
وَنَافَسَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ بِكُوكِبِ
لَهُ الْحَقُّ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ هَالَةٌ
تَأَلَّقَ فِي الدُّنْيَا يُزِيحُ ظِلَامَهَا
وَرَدَّ إِلَى الْعُرْبِ الْحَيَاةَ وَقَدْ مَضَى
حِجَابُ طَوَى الْأَحْدَاثِ وَالنَّاسِ دُونَهُمْ
بَنَتْ أُمُّ صَرَخِ الْحَضَارَةِ حَوْلَهُمْ
عُقُولٌ مِنَ الْأَحْجَارِ هَامَتْ بِمِثْلِهَا
فَكَمْ كَانَ لِلرُّومَانِ وَالْفَرَسِ صَوْلَةٌ
عِرَاكُ وَأَحْقَادُ يَشْبُ أَوَارِهَا
عَجَبْتُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْمِلُونَ نَاقَةً

* * *

بدا في دُجى الصحراء نورٌ محمدٍ
 نبِيٌّ به ازدانت أَباطِحُ مَكَّةِ
 يُنادى جريءَ الأصغرينِ بدعوةٍ
 دعاهم لربِّ واحدٍ جلَّ شأنه
 دعاهم إلى دينٍ من النورِ والهُدى
 دعاهم إلى نبذِ الفخارِ وأنهم
 دعاهم إلى أن ينهضوا بِعُفاتهم
 دعاهم إلى أن يفتحوا القلبَ كي ترى
 دعاهم إلى القرآنِ نورًا وحكمةً
 دعاهم إلى أن يهزموا الشركَ طاغيًا
 دعاهم إلى أن يبتنوا الملكَ راسخًا
 دعاهم إلى أن الفتى صنع نفسه
 دعاهم إلى أن يملكوا الأرضَ عُنوةً
 فلبَّاه من عُليا مَعْدُ غُضافِرُ
 أشدَّاء ما باهى الجهادُ بمثلهم
 أساءوا إلى الأسيافِ حتى تحطَّمت
 وقد حملوا أرواحَهُم في أكفِّهم
 إذا أحكموا في أُمَّةٍ لأن حكمهم
 فهل تعلم الصحراءُ أنَّ رعاءها
 وأنهم إن زاولوا الحكمَ ساسةً
 لقد شربوا من منهل الدين نُغْبَةً
 وقد لمحوا من نورِ طه شعاعةً
 نبِيٌّ من الطُّهرِ المصفى نجاره
 وصبرٌ على اللأواء ما لأنَّ عُوده
 وزهدٌ له الدنيا جناح بعوضة

وجلجلَ في الصحراء منه نداءٌ
 وعزٌّ به ثورٌ وتاه حراءٌ
 أكبَّ لها الأصنامُ والزُعماءُ
 له الأمرُ يولي الأمرَ كيف يشاءُ
 سَمَاحٌ ورفقٌ شاملٌ ووفاءٌ
 أمامَ إله العالمينَ سواءُ
 كرامًا، فطاحَ الفقرُ والفقراءُ^٦
 بصيرته ما يُبصر البُصراءُ
 وفيه لأدواء الصدورِ شِفاءُ
 تسيلُ نفوسٌ حوله ودماءُ
 له العدلُ أسُّ والطموحُ بناءُ
 وليس له من قومه شُفعاءُ
 مساميحٌ، لا كِبَرٌ ولا خِيلاءُ
 كماةٌ إذا اشتدَّ الوغَى شُهداءُ^٧
 وهم بينهم في أمرهم رُحماءُ
 وما مرَّةٌ للمستجيرِ أساءوا
 وليس لهم إلَّا الخلود جَزاءُ
 فما هي أنعامٌ ولا هي شَءٌ^٨
 حُماةٌ بآفاق البلاد رُعاءُ^٩
 وإن أرسلوا أحكامهم فقهاءُ
 مطهرةٌ، فالظالمون رِواءُ^{١٠}
 فكل ظلامٍ في الوجود ضياءُ
 سماحةٌ نفسٍ حُرَّةٍ وصفاءُ^{١١}
 ولا مَسَّهُ في المعضلاتِ عَناءُ^{١٢}
 وكل الذي تحت الهباء هَباءُ

تراه لدى المحراب نُسْكَاً وخشيّةً
إذا صالَ لم يترك مَصَالاً لصائلٍ
كلامٌ من الله المهيمَن رَوْحُهُ
كلامٌ أرادته المقاوِيلُ فالتوى
كلامٌ هو السحرُ المُبين وإن يكن
عجيبٌ من الأميّ علمٌ وحكمةٌ
ومن يصطفِ الرحمن! فالكون عبده

وتلقاهُ في الميدان وهو مَضَاءُ
وإن قالَ أَلْقَت سمعَها البُلْغَاءُ
ومن حلل الفُصحى عليه رداءٌ^{١٣}
عليها، وضلَّت طُرُقَه الحُكَمَاءُ^{١٤}
له ألفُ مثلِ الكلامِ وبَاءُ
تضائلَ عن مرماهِمَا العُلَمَاءُ
وذُهم الليلي أيْنَ سارَ إِمَاءُ^{١٥}

* * *

نبيُّ الهدى قد حَرَّقَ الأنفَسَ الصدى
أَفْضَها علينا نَفَحَةً هاشميةً
فليس لنا إلَّا رِضَاكَ وسيلَةٌ
حننا إلى مجدِ العروبةِ سامقًا
زمان لواءِ العُربِ يُزهى بقومه
زمان لنا فوق الممالكِ دولةً
فيا رب هَيِّئْ للرشادِ سبيلَنا
ونصرًا وهديًا إن طغى السيلُ جارفًا
نناجيك هذي رايةِ العُربِ فاحمها
رمينًا بكفٍّ أنت سدّدت رميها
أَعَزَّنَا بحقِ المصطفى منك قُوَّةً
وأَسْبَغَ علينا درعَ لُطْفِكَ إنَّها

ونحن لفيضٍ من يديك ظمَاءُ
يُلَمُّ بها جُرْحٌ ويبرأ داءُ
وليس لنا إلَّا حِمَاكَ رَجَاءُ
وما نحنُ في ساحاتِهِ غُرباءُ
وما طالَه في العالمين لواءُ
وفي الدهرِ حكمٌ نافذٌ وقضاءُ
إذا جَارَ خَطْبٌ أو أَلَمَ بَلَاءُ
وفاضَ بما يحوي الإناءَ إناءُ
فمن حولها أجنادُك البُسْلَاءُ
فما طاشَ سهمٌ أو أخلَّ رَمَاءُ
فليس لغيرِ الأقوياءِ بَقَاءُ^{١٦}
لنا في قتامِ الحادِثِ وقاءُ^{١٧}

* * *

إليك أبا الزهراء سارت مواكبي
وأنتي لمثلي أن يُصوِّرَ لمحّةً
ولكنها جهدُ المحبِّ فهل لها
ولي نسبٌ يُنمى لبيتكَ صانني
عليك سلامُ الله ما دَرَّ شارقُ

مواكبُ شعِرٍ ساقهن حَياءُ
كَبَا دُون أدنى وصفها الشُّعراءُ^{١٨}
بِقُدْسِكَ من حظِ القبولِ لِقَاءُ
وصانته منِّي عِزَّةٌ وإِبَاءُ^{١٩}
وما عَطَّرَ الدنيا عليك ثناءُ^{٢٠}

هوامش

- (١) نكاء: الشمس. صخر التنوفة: الحجارة بالمفازة والمقصود صحراء الحجاز.
- (٢) رواء: حسن المنظر.
- (٣) حداء: سوق الإبل والغناء لها.
- (٤) أباطح: مسيل واسع فيه حصى. تاه: اختال.
- (٥) الأصغرين: القلب واللسان. أكب: سقط.
- (٦) عفاتهم: طلاب المعروف. طاح: ذهب.
- (٧) معد: قبيلة معد وهي من أشراف العرب. غضافر: أسود شجعان. كماء: رماة.
- (٨) شاء: الكثير من الغنم.
- (٩) رعاءها: ولاتها والمقصود رعاة الأغنام بها. رعاء: غطاء. يراعون الحقوق.
- (١٠) نغبة: جرة.
- (١١) نجاره: أصله.
- (١٢) اللأواء: الشدة.
- (١٣) حلل الفصحى: أردية الفصاحة والبلاغة.
- (١٤) أرادته المقاويل: أرادت محاكاته. التوى عليها: صعب عليها.
- (١٥) دهم الليالي: الليالي حالكة السواد.
- (١٦) أعرنا: مدنا.
- (١٧) أسبغ: أتمم. قتام: غبار وقيل: لون فيه غبرة وحمرة.
- (١٨) كبا: سقط.
- (١٩) نسب: انتماء وقرابة يشير إلى نسب الشاعر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.
- (٢٠) نر: طار. شارق: ناحية المشرق.

مصر

أنشدها الشاعر بقاعة المحاضرات بالجامعة المصرية في افتتاح المؤتمر الطبي العربي الثاني في ٣٠ من يناير سنة ١٩٣٩م.

فابُلْغِي ما أَرَدْتِهْ ثُمَّ زِيْدِي
ض، وَعَيْنُ الْعُلَا وَوَاوُ الوجود
يَتَحَدَّى الْوَرَى وَبَيْنَ تَلِيدِ
وقديم عليه حُسْنٌ جَدِيدِ!
وهو طِفْلٌ يلهو بِطَوِّقِ الْوَلِيدِ
تِ كَغُصْنِ الرَّيْحَانَةِ الْأُمْلُودِ^١
نْ، ودمعُ الْحَنَانِ فوقَ الْخُدُودِ
كُ، وفي الشوكِ عِزَّةٌ لِلْوُرُودِ^٢
بَيْنَ عَذْبِ اللَّمَى وَبَيْنَ بَرُودِ^٣
بِ وَأَرْهَى من ضاحِكَاتِ الْوُعُودِ
لِينُهُ من قساوةِ الْجُلُودِ
نحو قُدْسِيٍّ مائه بالسُّجُودِ
كلَّ جِدِّ من الرُّبَا بِعُقُودِ
لِظْمَاءِ الْقُلُوبِ عَذْبُ الْوُرُودِ

صَوَّرَ اللهَ فيكَ معنى الْخُلُودِ
أَنْتِ يَا مِصْرُ جَنَّةُ اللهِ فِي الْأَرْضِ
أَنْتِ أُمُّ الْمَجْدَيْنِ بَيْنَ طَرِيفِ
كم جَدِيدٍ عَلَيْهِ نُبْلٌ قَدِيمِ
قد رَاكَ الدهرُ الْعَتِيَّ فَتَاءً
شَابَ من حَوْلِكَ الزَّمَانُ وَمَا زَلِ
أَنْتِ يَا مِصْرُ بِسْمَةٍ فِي فَمِ الْحُسْبِ
أَنْتِ فِي الْقَفْرِ وَرَدَّةٌ حَوْلَهَا الشُّوْ
يَلْتَمُ الْبَحْرُ مِنْكَ طِيبَ ثُغُورِ
يَا ابْنَةَ الْبَيْلِ أَنْتِ أَلْحَى مِنَ الْحُبِ
نَثَرَ الْبَيْلُ فِيكَ تَبْرًا وَأَوْهَى
فَتَنَ الْأَوَّلِينَ حَتَّى أَشَارُوا
وَوَشَى لِلرِّيَاضِ ثوبًا وَحَلَّى
أَنْتِ لِلْجَائِعِينَ أُمٌّ، وَوَرْدُ

نُ غَرِيقُ فِي ظُلْمَةٍ وَخُمُودِ
قَرَنْتُهُ الْعُلَا بَعْدَ مَجِيدِ
وَصَخُورٍ تَشَبَّهَتْ بِجُهودِ
عَاقَ ذَاتَ الْجَنَاحِ دُونَ الصُّعُودِ^٦
لَمَعَتْ بَيْنَ سَالِفَاتِ الْعُهودِ
هـ مُشَاةٌ فِي الْمُوكَبِ الْمُشْهُودِ^٧
بِجَنُودٍ، وَهَذِهِ بِبُنُودِ^٨
رِ وتتلو النَّشِيدَ إِثْرَ النَّشِيدِ
وَيُحْيِيَيْنَ بَيْنَ دُفٍّ وَعُودِ^٩
م، أَوْفَى مُجَاهِدٍ بِالْعُقُودِ^{١٠}
فِ، وَيَرْمِي الصَّنْدِيدَ بِالصَّنْدِيدِ^{١١}
قُوَّةَ الْعَزْمِ صُورَتْ فِي جُنُودِ
رِعْدَةِ الرُّعْبِ فِي الْخَضَمِ الْعَدِيدِ
هُ وَلَمْ يَرْهَبُوا لِقَاءَ الْحَدِيدِ
بِ فَيَسْتَعْجِلُونَ أَجْرَ الشَّهِيدِ
وَمَضَوْا لِلرَّدَى بِعَزْمِ أَسُودِ
لَ مُقِيمًا فِي ظِلِّهَا الْمَمْدُودِ^{١٢}
نَضْرَةً مِنْ سَمَاحَةِ التَّوْحِيدِ
وَتَرَى السِّيفَ ضَاحِكًا فِي الْغُمُودِ
يَدِينِ عَلَى مَنَهِجِ سَوِيٍّ سَدِيدِ^{١٣}
بِ وَلَمْ يَحْكُمُوهُ حُكْمَ الْعَبِيدِ
إِنْ تَصَدَّى مُفَاحِرٌ بِالْجُدُودِ؟

قَدْ حَمَلَتْ السَّرَاجَ لِلنَّاسِ، وَالْكُؤُ
لَا تَرَى فِيكَ غَيْرَ عَهْدٍ مَجِيدِ
وَجُهودٍ تَمَثَّلَتْ فِي صُخُورِ
عِظَمٍ يَبْهَرُ السَّمَاءَ، وَشَاؤُ
أَنْتِ يَا مَصْرُ صَفْحَةً مِنْ نَضَارِ
أَيْنَ رَمْسِيْسُ وَالْكُمَاةُ حَوَالِي
مَلَأَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ، فَهَذِي
وَجُمُوعُ الْكُهَّانِ تَهْتَفُ بِالنَّصِ
وَبَنَاتُ الْوَادِي يَمْسُنَ اخْتِيَالًا
أَيْنَ عَمَرُو فَتَى الْعُرُوبَةِ وَالْإِقْدَا
شَمْرِيٍّ يَحْطُمُ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ
لَمْ يَكُنْ جَيْشُهُ لَدَى الزَّخْفِ إِلَّا
قِلَّةٌ دَكَّتِ الْحُصُونِ وَبَنَتْ
ذُعَرَ الْمَوْتِ أَنَّهُمْ لَمْ يَخَافُوا
يَنْظُرُونَ الْفِرْدَوْسَ فِي سَاحَةِ الْحَزْ
صَعِدُوا لِلْعُلَا بِرِيْشِ نُسُورِ
أَيْنَمَا رَكَّزُوا الرِّمَاحَ تَرَى الْعَدُوَّ
وَتَرَى الْمُلْكَ أَزِيحِيًّا، عَلَيْهِ
وَتَرَى الْعَزْمَ عَابِسًا لَوُثُوبِ
وَتَرَى الْعِلْمَ يَلْتَقِي بِهَدَى الدِّ
مَلَكُوا الْأَرْضَ لَمْ يُسَيِّئُوا إِلَى شَعِ
هُمْ جُدُودِي، وَأَيْنَ مِثْلُ جُدُودِي

نَ وَأَدَابِ فَارِسٍ وَالْهُنُودِ
مِ وَرَدًا لِلنَّاهِلِ الْمُسْتَفِيدِ
وَالثَّقَافَاتُ رُضِعُ فِي الْمُهودِ
رِ وَحَرَقَ الْبَخُورِ وَالتَّعْقِيدِ

فَسَحُّوا صَدْرَهُمْ لِجُحْمَةِ يُونَا
وَأَصَارُوا بِالتَّرْجَمَاتِ عُلُومَ الرُّو
حَذَقُوا الطَّبَّ وَالزَّمَانَ غُلَامٌ
وَشُعُوبُ الدُّنْيَا تُعَالِجُ بِالسَّحْ

هَلْ تَرَى لَابِنَ قُرَّةَ مِنْ مَثِيلٍ؟
وَالطَّبِيبُ الْكِنْدِيُّ لَمْ يُبْقِ فِي الطَّبِّ
أَيْنَ أَيْنَ الرَّازِي، أَيْنَ بَنُو زُهْرٍ
وَابْنُ سِينَا، وَأَيْنَ كَابِنِ نَفِيسٍ
أَوْ تَرَى لَابِنَ صَاعِدٍ مِنْ نَدِيدٍ؟^{١٤}
سِبْ مَزِيدًا لِحَاجَةِ الْمُسْتَزِيدِ^{١٥}
سِرْ دُعَاةَ النُّهُوسِ وَالتَّجْدِيدِ؟^{١٦}
عَجَزَ الْوَهْمُ عَنْ مَدَاهِ الْمَدِيدِ؟^{١٧}

هَذِهِ أُمَّةٌ مِنَ الصَّخْرِ. كَانَتْ
تَأْكُلُ الْقَدَّ وَالِدُّعَاعَ مِنَ الْجَوِّ
وَتَثِيرُ الْحُرُوبَ شَعْوَاءَ جَهْلًا
نَبَعَ النُّورَ بِالنُّبُوءَةِ فِيهَا
وَمَضَى يَمْلَأُ الْمَمَالِكَ عَدْلًا
أَطْلَقَ الْعَقْلَ مِنْ سَلَاسِلِهِ الدُّهْمِ
بَلَّغَتْ مِصْرُ فِي التَّأْلِيفِ أَوْجًا
فَاسْأَلِ الْفَاطِمِيَّ كَمْ مِنْ كِتَابٍ
وَالصَّلَاحِيَّ وَالْمَمَالِيكَ كَانُوا
تِلْكَ أَثَارُهُمْ شُهُودًا عَلَى الْمَجْدِ
فِي قِفَارٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَبِيدٍ
عِ وَتَهْفُو شَوْقًا لِحَبِّ الْهَبِيدِ^{١٨}
وَتَدُسُّ الْوَتِيدَ إِثْرَ الْوَتِيدِ^{١٩}
فَطَوَى صَفْحَةَ اللَّيَالِي السُّودِ
بِاسْمِ الْوَعْدِ مُكْفَهَرٍ الْوَعْدِ
وَنَحَاهُ عَنْ صَلِيلِ الْقُيُودِ
فَاتِ طَوْقُ الْمُنَى بِمَرْمَى بَعِيدِ^{٢٠}
زَانَ تَارِيخَهُ وَسَفَرَ فَرِيدِ؟^{٢١}
مَوْتِلَ الْعِلْمِ فِي عُصُورِ الرُّكُودِ^{٢٢}
بِدِ. وَمَا هُمْ بِحَاجَةٍ لَشُهُودِ

اِئْتَدِ أَيَّهَا الْقَصِيدُ قَلِيلًا
وَإِذَا مَا ذَكَرْتَ نَهْضَةً مِصْرٍ
ثُمَّ مَجْدُ مُحَمَّدًا جَدًّا «إِسْمًا
جَاءَ وَالنَّاسُ فِي ظُلَامٍ مِنَ الظُّلِّ
خَسِرَاتٍ لِلذَّلِّ فِي كُلِّ وَجْهِ
فَأَزَاحَ الْغِطَاءَ عَنْهُمْ فَقَامُوا
وَهَدَاهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ فَسَارُوا
كَمْ بُعُوثٍ لِلْغَرْبِ بَعْدَ بُعُوثِ
غَرَسِ الطَّبِّ فِي ثَرَى مُلْكِهِ الْخَصْبِ
وَأَتَى بَعْدَهُ الْمَجْدُ «إِسْمًا
أَنَا أَرْتَاخُ لَا تَتَّادِ الْقَصِيدِ^{٢٣}
فَامْلَأْ الْخَافِقَيْنِ بِالتَّغْرِيدِ^{٢٤}
عَيْلٍ» وَاصْعَدْ مَا شَتَّتَ فِي التَّمْجِيدِ
سِمَ وَعَصَفٍ مِنَ الْخُطُوبِ شَدِيدِ^{٢٥}
وَسَمَاتٍ لِلْعُلِّ فِي كُلِّ جِيدِ^{٢٦}
فِي ذُهُولٍ. وَأَقْبَلُوا فِي سُمُودِ^{٢٧}
فِي حِمَى مِنْ لَوَائِهِ الْمَعْقُودِ
وَوُفُودٍ لِلشَّرْقِ بَعْدَ وَفُودٍ!
سِبْ، وَرَوِّى مِنْ دَوَّجِهِ كُلَّ عَوْدِ^{٢٨}
عَيْلٍ» ذُخْرُ الْمُنَى ثِمَالُ الْجُودِ^{٢٩}

و«فُؤَادٌ» تعيشِ ذِكْرِي «فُؤَادِ»
 رَدَّ مَجْدًا لِمَصْرَ لَوْلَا نَدَاهُ
 كُلُّ يَوْمٍ لَهُ بِنَاءٌ مَشِيدٌ
 مَا اغْتَلَى الطَّبُّ قِمَّةَ النَّجْمِ إِلَّا
 سَعِدَتْ مِصرَ بِالْجَهَايِذِ فِي الطَّبِ
 وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَبُو الحَسَنِ الْجَرَّاءُ
 أَيُّهَا الْوَافِدُونَ مِنْ أُمَمِ الشَّرِّ
 اهْبِطُوا مِصرَ، كَمْ بِهَا مِنْ قُلُوبٍ
 قَدْ رَأَيْنَا فِي قُرْبِكُمْ يَوْمَ عِيدٍ
 إِنَّ مِصرًا لَكُمْ بِلَادٌ وَأَهْلٌ
 جَمَعْتُنَا الْفُصْحَى فَمَا مِنْ وَهَادٍ
 يَصِلُ الْحُبَّ حَيْثُ لَا تَصِلُ الشَّمْسُ
 فِي نَعِيمٍ مِنْ رَحْمَةٍ وَخُلُودٍ!
 وَجِجَاهُ مَا كَانَ بِالْمَرْدُودِ^{٢٠}
 لِلْمَعَالِي، إِلَى بِنَاءٍ مَشِيدٍ
 بِجَنَاحٍ مِنْ سَعْيِهِ الْمَحْمُودِ
 بَ، فَكَمْ مِنْ مُحَاضِرٍ وَمُعِيدٍ!^{٢١}
 ح، مَنْ كَالرَّئِيسِ أَوْ كَالْعَمِيدِ؟^{٢٢}
 ق وَأَشْبَاهُ الْأَبَاةِ الصَّيْدِ^{٢٣}
 شَفَّهَا حُبُّكُمْ، وَكَمْ مِنْ كُبُودٍ^{٢٤}
 قَرَنْتُهُ الْمُنَى إِلَى يَوْمٍ عِيدٍ^{٢٥}
 لَيْسَ فِي الْحُبِّ بَيْنُنَا مِنْ حُدُودٍ
 فَارَقْتُ بَيْنُنَا وَلَا مِنْ نُجُودٍ^{٢٦}
 س، وَيَجْتَازُ شَامَخَاتِ السُّدُودِ

أُمَّةُ الْعُرَبِ أَنْ أَنْ يَنْهَضَ النَّسْ
 صَفَّقِي بِالْجَنَاحِ فِي أَذُنِ النَّجْمِ،
 وَأُعِيدِي حَضَارَةَ زَانَتِ الدُّنْيَا فَكَمْ
 إِنَّمَا الْمَجْدُ أَنْ تُرِيدِي وَتَمْضِي
 لَا يَنَالُ الْعُلَا سِوَى عِبْقَرِيٍّ
 رُ، فَقَدْ طَالَ عَهْدُهُ بِالرُّقُودِ
 وَمُدِّي فَضْلَ الْعِنَانِ وَسُودِي
 وَدَّتِ الْمُنَى أَنْ تُعِيدِي
 ثُمَّ تَمْضِي سَبَّاقَةً وَتُرِيدِي
 رَاسِخِ الْعَزَمِ كَالصَّفَاةِ جَلِيدٍ^{٢٧}

قَدْ أَعْدَنَّا عَهْدَ الْعُرُوبَةِ فِي مِصْرَ
 وَبَدَأْنَا عَصْرًا أَغْرَ سَعِيدًا
 قَدْ حَبَاهُ الشَّبَابُ رَأْيَا وَعَزَمًا
 قَامَ بِالْأَمْرِ أَرْيَحِيًّا رَشِيدًا
 إِنَّ حُبَّ «الْفَارُوقِ» وَهُوَ وَحِيدٌ
 أَلْسُنُ الْعُرَبِ كُلُّهَا دَعَوَاتُ
 أَبْصَرُوا فِي السَّمَاءِ مُلْكًا عَزِيزًا
 رَ، وَذِكْرِي فَرْدُوسَهَا الْمَفْقُودِ^{٢٨}
 بِمَلِكٍ مَاضٍ أَغْرَ سَعِيدٍ^{٢٩}
 عَلَوِيٍّ الْمَضَاءِ وَالتَّسْدِيدِ^{٣٠}
 فَذَكَّرْنَا بِهِ عُهْدَ «الرَّشِيدِ»^{٣١}
 فِي مَكَانٍ مِنَ الْقُلُوبِ وَحِيدٍ
 ضَارِعَاتٌ بِالنَّصْرِ وَالتَّائِيدِ
 رَافِعِ الرَّأْسِ فَوْقَ صَخْرٍ وَطِيدٍ

وَرَأَوْا عَاهِلًا يَفِيضُ جَلَالًا مِنْ هُدَى رَبِّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
عَاشَ لِلْمُلْكِ وَالْعُرُوبَةِ دُخْرًا فِي نَعِيمٍ مِنَ الْحَيَاةِ رَغِيدِ

هوامش

- (١) الريحانة: واحدة الريحان وهو نبت طيب الرائحة. الأملود: الغصن الناعم اللين.
- (٢) المراد بالقفر هنا: الصحاري التي تحيط بمصر وتكتنفها.
- (٣) الثغور: جمع ثغر وهو الفم، والثغور أيضًا هي المدن التي تقع على البحار.
- اللمى: سمرة الشفتين. البرود: البارد.
- (٤) الجلمود: الصخر.
- (٥) وشى الثوب: زينه بالنقوش. الربا: جمع ربوة وهي المرتفع من الأرض.
- (٦) البهر: الغلبة. الشأو: الغاية.
- (٧) الكمأة: جمع كمى، الشجاع أو لابس السلاح. الموكب: الجماعة.
- (٨) بينود: البند العلم الكبير.
- (٩) دف: الذي يضرب به.
- (١٠) يشير الشاعر إلى الفاتح العظيم عمرو بن العاص، ويصفه بالشجاعة والإقدام والوفاء بالعهود.
- (١١) شمري: ماض في الأمر مجرب. الصنديد: السيد الشجاع.
- (١٢) ركز الرمح: أثبتته في الأرض. وهذا كناية عن الإقامة.
- (١٣) المنهج: الطريق الواضح. سوي: قويم.
- (١٤) ذكر الشاعر بعض أعلام الطب من العرب مفاخرًا بهم. «وابن قرة» هو سنان بن ثابت بن قرة. وكان من أطباء المقتدر «وابن صاعد» هو هبة الله ويعرف بابن التلميذ. كان في أيام المقتفي لأمر الله، قالوا: ولم يكن مثله بعد أبقرط.
- (١٥) الكندي: هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي من بيت ثري نبيل. ويلقب بفيلسوف العرب. ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة. وكان مترجمًا عالمًا بالطب والفلسفة والحساب والمنطق. واتصل بالمأمون والمعتصم.
- (١٦) الرازي: هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب الكيمياوي توفي سنة ٣١١هـ. ألف كتاب الأقطاب في ثلاثين مجلدًا. «وبنو زهر» أهل بيت كلهم علماء وأطباء. أشهرهم أبو العلاء بن زهر ثم ابنه أبو مروان ثم ابنه أبو بكر.

(١٧) ابن سينا: هو أبو علي الحسن بن سينا. ولد في قرية من بخارى. درس الفلسفة والطب ونضح نضجاً مبكراً. وتقلد الوزارة لشمس الدولة في همذان. توفي سنة ٤٢٨ هـ. وابن نفيس: هو علي بن أبي الحزم القرشي صاحب كتاب الشامل في مائة مجلد وهو أندلسي.

(١٨) القدّ: جلد الشاة الصغيرة. الدعاع: حب شجرة برية أسود يختبز منه. الهبيد: الحنظل.

(١٩) الوئيد: وأد بنته. دفنها حية.

(٢٠) الأوج: ضد الهبوط وهو هنا الرفعة والعلو.

(٢١) السفر: الكتاب.

(٢٢) الموثل: الملجأ. الركود: عصور تراجع النهضة العلمية ببغداد، وهو في هذا البيت يذكر أن مصر كانت ملجأ العلوم والعلماء زمن صلاح الدين وزمن المماليك في عصور انحطاط النهضة في بغداد.

(٢٣) اتّدد: تمهل وتأن.

(٢٤) الخافقين: المشرق والمغرب.

(٢٥) عصف من الخطوب: عصفت الريح اشتدت فهي عاصفة وعاصف. الخطب: الأمر الشديد وجمعه خطوب.

(٢٦) الغل: واحد الأغلال، وهو طوق من حديد يوضع في رقاب الأسرى وأمثالهم.

(٢٧) سمود: رفع الرأس تكبراً.

(٢٨) يقول: إن محمد علي أول من أنشأ مدرسة للطب في مصر.

(٢٩) الثُّمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه.

(٣٠) الندى: الجود والكرم. الحجا: العقل والمراد هنا الرأي والتدبر والعقل السديد.

(٣١) الجهبذ: النقاد الخبير. والجمع جهابذ.

(٣٢) وهو في هذا البيت يخص بالذكر أستاذ الجراحين الدكتور علي إبراهيم باشا عميد كلية الطب.

(٣٣) الأبأة: جمع أبي، وهو الذي يأنف الذل والصغار.

(٣٤) شَفَّها حُبُّكم: هزلها وأنحلها.

(٣٥) المنى: جمع منية وهي ما يتمناه الإنسان. إلى يوم عيد: كان افتتاح المؤتمر يوم وقوف الحجاج بعرفات.

(٣٦) الوهاد: جمع وهد وهو الأرض المنخفضة. والنجد: جمع نجد وهو الأرض المرتفعة.

(٣٧) الصفاة: الحجر الصلد الضخم.

(٣٨) الفردوس: في الأصل البستان وهو من أسماء الجنة ويريد بالفردوس المفقود، ما كان للعربية من مجد وحضارة في أيام ازدهارها.

(٣٩) الأغر: الأبيض من كل شيء.

(٤٠) حباه: أعطاه بغير عوض. التسديد: صدق الرمي والإصابة. علوي: نسبة إلى جده محمد علي.

(٤١) الأريحي: السهل الخلق الكريم. والرشيد: هو هارون الرشيد الخليفة العباسي العظيم، زها الإسلام والعلم والأدب في أيامه.

يَوْمُ السَّلَامِ

نشرت هذه القصيدة في صباح إعلان انتهاء الحرب العالمية الثانية في أوائل مايو سنة ١٩٤٥م.

دَاعِبِ الشَّرْقَ بِاسْمًا وَسَعِيدًا
نَسِيتُ لَحْنَهَا الطُّيُورَ فَصَوَّرُ
فَزَعَتْهَا عَنِ الرِّيَاضِ خَفَافِ
أَلْفَتْ مُوَجَّشَ الظَّلَامِ فَوَدَّتْ
فَاسْجَعِي يَا حَمَامَةَ السَّلْمِ لِلْكَو
غَرْدِي فَالْدَمُوعُ طَاحَ بِهَا الْبِشْ
وَاسْمَعِي! إِنَّ فِي السَّمَاءِ لِحُونًا
كَلَّمَا اهْتَزَّ لِلْمَلَائِكِ صَوْتُ
رَنَّةُ النِّصْرِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَر
مَوْلِدُ لِلزَّمَانِ ثَانٍ شَهِدْنَا

وَأَتْلِقُ يَا صَبَاحُ لِلنَّاسِ عِيدًا^١
لِبَنَاتِ الْغُضُونِ لَحْنًا جَدِيدًا^٢
شُ تَسُدُّ الْفَضَاءَ غُبْرًا وَسُودًا^٣
أَنْ تَبِيدَ الدُّنْيَا وَالْأَيُّ يَبِيدَا
نَ، وَهَزِّيْ أَعْطَافَهُ تَغْرِيدًا^٤
رُ، وَأُضْحِي نَوْحَ الثَّكَالِي نَشِيدًا^٥
أَسْمَعِ التَّرْتِيلَ وَالتَّرْدِيدَا؟^٦
رَجَّعْتَهُ أَنْفَاسُنَا تَحْمِيدَا^٧
ضِ، أَعَادَتْ إِلَى الْوُجُودِ الْوُجُودَا
هَ، فَيَا مَنْ رَأَى الزَّمَانَ وَلِيدَا!

* * *

سَكَنَ السَّيْفُ غَمْدَهُ بَعْدَ أَنْ صَا
مَا أَحْمَرَارُ الْأَصِيلِ إِلَّا دِمَاءُ
طَائِرَاتٍ تَرْمِي الصَّوَاعِقَ لَا تَخْ
أَجْهَدَتْ فِي السَّرَى خَوَافِقَ عِزِّهِ

لَ عَنِيفًا مُنَاجِرًا عِزْبِيدَا^٨
بَقِيَتْ فِي يَدِ السَّمَاءِ شُهُودَا^٩
شَى إِلَهًا، وَلَا تَخَافُ عَبِيدَا
لَ فَرَّقَتْ مِنْ خَلْفِهِنَّ وَئِيدَا^{١٠}

كَلَّمَا حَلَّقْتَ بِأَفْقِ مَكَانٍ
كَمْ سَمِعْنَا عَزِيفَهَا مِنْ قَرِيبٍ
يَلْفَحُ الشَّيْخُ وَالْغَلَامُ لَهَا
كَمْ وَحِيدٍ بَيْنَ الرِّجَامِ بَكَى أُمَّ
مُدُنٍ كُنَّ كَالْمَحَارِيبِ أَمْنًا
وَقُصُورٌ كَانَتْ مَلَاعِبَ أَنْسٍ
تَرَكْتُ فِيهِ كُلَّ شَيْءٍ حَصِيدَا
فَغَدَا الرَّأْيُ وَالسَّدَادُ بَعِيدَا^{١١}
وَيُصِيبُ الشَّجَاعَ وَالرَّعْدِيدَا^{١٢}
أ، وَأُمٌّ بَكَتْ فَتَاهَا الْوَحِيدَا^{١٣}
تَرَكَ الْخَسْفُ دُورَهْنَ سُجُودَا^{١٤}
أَصْبَحَتْ بَعْدَ زَهْوَهْنَ لُحُودَا^{١٥}

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى دِمَاءٍ زَكِيًّا
سَلَنْ مِنْ خَدِّ كُلِّ سَيْفٍ نَضَارًا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى شَبَابٍ تَحْدَى
لَهْفَ نَفْسِي وَالنَّارُ تَعْصِفُ بِالْجِدِ
نَگَرْتُنَا جَهَنَّمَا كُلَّمَا أَلَّ
كَالْبَرَاكِينِ إِنْ تَمَشَّتْ، وَكَالْبَحِ
وَإِذَا الْمَاءُ كَانَ نَارًا فَمَنْ يَزُ
أُمٌّ تَلْتَقِي صَبَاحًا عَلَى الْمَوِ
وَفَرِيقٌ لَلْفَتَكِ يَلْقَى فَرِيقًا
كَمْ حُطَامٍ فِي الْأَرْضِ كَانَ عَقُولًا
وَأَمَانٍ وَنَشْوَةٍ وَشَبَابٍ
قُبُلَاتُ الْحَسَانِ مَا زَلْنَ فِي الْخَدِّ
وَوَعُودُ الْغَرَامِ مَاذَا عَرَاهَا
كَمْ دُمُوعٍ، وَكَمْ دِمَاءٍ، وَكَمْ هُوَ
إِنَّمَا الْحَرْبُ لَعْنَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْ
صَدَّقْتُ مَا رَأَى الْمَلَأْتُكَ مِنْ قَبِ
إِنَّ لِلَّهِ حِكْمَةً دُونَهَا الْعَقْ
كَيْفَ نَصَفُو وَنَحْنُ مِنْ غُنْصِرِ الطَّيْرِ
تِ كَقَطْرِ الْغَمَامِ طُهْرًا وَجُودَا^{١٦}
بَعْدَمَا حَطَّمِ الْحَدِيدُ الْحَدِيدَا^{١٧}
عَذَابَاتِ الْفِرْدَوْسِ زَهْرًا وَعُودَا!
شِشْ فَتَلْقَاهُ فِي الرِّيحِ بَدِيدَا^{١٨}
حَقِي فَوْجٌ صَاحَتْ تُرِيدُ الْمَزِيدَا^{١٩}
رَ إِذَا جَاشَ بِالْحَمِيمِ صَهُودَا^{٢٠}
جَو لِنَارٍ إِذَا اسْتَطَارَتْ حُمُودَا؟^{٢١}
تِ لَتَسْتَقْبِلَ الْمَسَاءَ هُمُودَا^{٢٢}
وَحُشُودٌ لِلْهَوْلِ تَلْقَى حُشُودَا
وَرَمَادٍ فِي الْجَوِّ كَانَ جُهِودَا!
نَهَبْتُ مِثْلَ أَمْسِهَا لَنْ تَعُودَا
دِ، فَهَلْ عَقَرَ التُّرَابُ الْخُدُودَا؟
أَغْدَتْ فِي الثَّرَى الْخَضِيبُ وَعِيدَا؟^{٢٣}
لِ، وَكَمْ أَنَّةً، تَفُتُّ الْكُبُودَا!^{٢٤}
ضِ، وَشَرُّ بَمَنْ عَلَيْهَا أَرِيدَا
لُ، وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ تَفْنِيدَا^{٢٥}
لُ فَخَلَّ الْمِرَاءَ وَالتَّرْدِيدَا^{٢٦}
نِ، فَسَادًا وَظُلْمَةً وَجُمُودَا؟

نَهَبَ الموتُ بِالْحَقْوَدِ فماذا
شَهَوَاتُ تَدْمُرُ الْأَرْضَ كِي تَحْدُ
وَجَنُونَ بِالْمُلْكِ يَعِصِفُ بالدنـ
يَذْبَحُ الطِّفْلَ أَغْصَلَ الذَّابِ شَيْطَا
وَيُسَوِّي جَمَاجِمَ النَّاسِ أَبْرَا
قَدْ رَأَيْنَا الْأَسْوَدَ تَقْنَعُ بِالْقُو
لو محوتم قَبْلَ المَمَاتِ الْحُقُودَا؟
يَا، وَتَجْتَاحُ أَهْلَهَا لَتَسُودَا!
يَا، لَكِي يَمْلِكُ الْقُبُورُ سَعِيدَا!
نَا، وَيَحْسُو دَمَ النِّسَاءِ مَرِيدَا!^{٢٧}
جَا؛ لِيَبْغِي إِلَى السَّمَاءِ صُعودَا!
ت، فَلَيْتَ الرِّجَالِ كَانَتْ أَسْوَدَا!

* * *

قَتَلَ الْعِلْمُ، كَيْفَ دَبَّرَ لِلْفَتِ
فَهُوَ كَالْخَمْرِ تَنْشُرُ الشَّرَّ وَالْإِثْ
أَبْدَعَ الْمَهْلِكَاتِ ثُمَّ تَوَارَى
مَادَتِ الرَّاسِيَّاتُ دُغْرًا وَخَفَّتْ
وَقُلُوبُ النُّجُومِ تَرْجُفُ أَنْ يَجْ
مُحَدَّثَاتُ عَزَّتْ عَلَى عَقْلِ إِبْلِيْ
عَالِمٌ فِي مَكَانِهِ يَنْسِفُ الْأَرْ
حَسَرَتَا لِلْحَيَاةِ! مَاذَا دَهَاها؟
كِ عَتَادًا، وَلِلدَّمَارِ جَنُودَا!
مَ وَإِنْ كَانَ أَصْلُهَا غُنُقُودَا!
خَلَفَهَا يَمْلَأُ الْوَرَى تَهْدِيدَا!^{٢٨}
مِنْ أَفَانِينَ كَيْدِهِ أَنْ تَمِيدَا!^{٢٩}
تَارَ يَوْمًا إِلَى مَدَاها الْهُدُودَا!^{٣٠}
سَ فَعَضَّ الْبَنَانُ قَدَمًا بَلِيدَا!^{٣١}
ض، وَثَانٍ يَحُزُّ مِنْهَا الْوَرِيدَا!^{٣٢}
أَصْبَحَ النَّاسُ قَاتِلًا وَشَهِيدَا

* * *

أَصْحِيحُ عَادَ السَّلَامُ إِلَى الْكُو
وَرَنِينَ الْأَجْرَاسِ يَصْدَحُ بِالنَّصِ
سَايَرَتْهَا قُلُوبُنَا ثُمَّ زِدْنَا
رَدْدِي رَدْدِي تَرَانِيمَ إِسْحَا
أَنْتِ صُورُ الْحَيَاةِ قَدْ بَعَثَ النَّا
قَدْ سِئِمْنَا بِالْأَمْسِ صَفَّارَةَ الْإِنْ
رَدْدِي صَوْتِكَ الْحَنُونَ طَوِيلًا
وَاهْتَفِي يَا مَازِنَ الشَّرْقِ بِاللَّهِ
وَاسْطَعِي أَيُّهَا الْمَصَابِيحُ زُهْرًا
قَرَّتِ النَّفْسُ وَاطْمَأْنَنْتْ وَكَانَتْ
ن، وَأَضْحَى ظِلًّا بِهِ مَمْدُودَا؟
ر، فَيَا بَشْرُهُ صَبَاحًا مَجِيدَا!
فَأَضْفُنَا لَشَذُوهِنَ الْقَصِيدَا!
ق، وَهَزِّي الْحَسَانَ عِطْفًا وَجِيدَا!^{٣٣}
س، وَكَانُوا جَمَاجِمًا وَجُلُودَا!^{٣٤}
ذَارِ وَالْوَيْلَ وَالْعَذَابَ الشَّدِيدَا
وَابْعَثِي لِحَنِّكَ الطُّرُوبَ مَدِيدَا
ثَنَاءً، وَبِاسْمِهِ تَمَجِّيدَا
وَاجْعَلِي شَوْقَنَا إِلَيْكَ وَقُودَا!^{٣٥}
أَمَلًا حَائِرَ الطَّرِيقِ شَرِيدَا!^{٣٦}

* * *

ليت شعري ماذا سنجني من النصـ وهل «الأربعُ الروائعُ» كانت
وهل انقادتِ الممالكُ للعدـ وهل الحقُّ صار بالسلمِ حقًّا
وهل العُربُ تستردُّ حماها وتُرى في السلامِ مجدًّا طريفًا
بذلتُ مصرُ فوق ما يبذلُ الطُّو في فيافي صَحرائِها لَمَعَ النصـ
فهي إذ تنثُرُ الورودَ تُناغي وهي ترجو، لا، بل تريدُ، وأجِدِرُ
رِ وهل تصدُّقُ الليالي الوُعودا؟ حُلْمًا، أو موثِقًا وعُهودا؟^{٣٧}
ل، فلا سيِّدًا تَرى أو مَسُودا؟ وأذابتْ لظى الحروبِ القُيودا؟
وتُناجي فِرْدَوْسَها المفقودا؟ جاء يُحيي بالأمسِ مجدًّا تليدا؟
ق، وقد يُسعِفُ النديدُ النديدا رُ، وولَّى «رُوميلُ» يَعدو طريدا^{٣٨}
أملًا ضاحكًا يفوقُ الورودا بابنةِ النيلِ وحَدها أنْ تُريدا!

هوامش

- (١) ائتلق: أشرق.
- (٢) بنات الغصون: فروع الشجر اللينة الصغيرة. أو الطيور.
- (٣) فزعتها: أخافتها. خفافيش: طيور ليلية والمراد بها الطائرات المغيرة ليلاً.
- (٤) اسجعي يا حمامة: ردي صوتك بالغناء من أجل السلام. أعطافه: جوانبه.
- (٥) طاح بها: ذهب بها. نوح: البكاء. الثكالي: النساء اللاتي فقدن أبناءهن.
- (٦) لحونًا: أناشيد.
- (٧) رجعته: أعادته. تحميدًا: شكرًا وثناءً.
- (٨) سكن السيف: هداً السيف في جرابه. عرييدًا: مؤذيًا.
- (٩) احمرار الأصيل: ظهور الشفق الأحمر في السماء قرب الغروب.
- (١٠) السرى: السير ليلاً. خوافق: أجنحة. عزريل: سيدنا عزرائيل ملك الموت. وثيئًا: بطيئًا.

(١١) عزيفها: صوتها.

(١٢) يلفح: يحرق. لظاها: لهيبها. الرعديد: الجبان.

- (١٣) الرجام: الأحجار المتناثرة الضخام.
- (١٤) المحاريب: جمع محراب وهو مكان الإمام من المسجد والمقصود المساجد.
- (١٥) لحوذاً: قبوراً.
- (١٦) لهف نفسي: حزن نفسي وحسرتها على ما أريق من دماء.
- (١٧) سَلَن: من سال. نضاراً: الذهب.
- (١٨) بديداً: مبدداً.
- (١٩) إشارة في البيت إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾.
- (٢٠) جاش بالحميم: غلى مائه فصار حاراً. صهوداً: شدة الحرارة.
- (٢١) خموداً: سكون لهب النار.
- (٢٢) هموداً: الأرض التي لا نبات فيها والمقصود لا حياة بها.
- (٢٣) عراها: أصابها. الثرى الخضيب: التراب الملون بالحمرة ويقصد بها هنا الدماء.
- (٢٤) أنة: التألم بصوت. تفت: تشق.
- (٢٥) ما كان قولهم تفنيداً: ما كان قولهم كذباً. ويشير الشاعر إلى الحديث الذي دار بين رب العزة والملائكة في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ صدق الله العظيم.
- (٢٦) خل: اترك. المراء: الجدل في الحديث.
- (٢٧) أعصل الناب: معوج في صلابة. يحسو: يشرب بنهم. مريداً: شديداً عاتياً.
- (٢٨) توارى: اختفى. الورى: الدنيا.
- (٢٩) مادت: تحركت وذهبت. الراسيات: الجبال الشوامخ.
- (٣٠) ترجف: تضطرب خوفاً من العلم أن يصل إليها، ونشير هنا إلى رؤية الشاعر لما حدث الآن من اجتياز العلم للفضاء.
- (٣١) محدثات: أشياء جديدة. القدم: العيى عن الكلام وقلة الفهم.
- (٣٢) يحز: يقطع. الوريد: العرق الذي يجري فيه الدم.
- (٣٣) ترانيم: غناء. إسحاق: هو إسحاق الموصلي المغني العربي العظيم. عطفاً: الجانب. الجيد: العنق.

(٣٤) الصور: البوق.

(٣٥) زهراً: متلاثلة مشرقة.

(٣٦) قرت النفس: سكنت وهدأت. حائر الطريق: غير مهتد لسبيله.

(٣٧) الأربع الروائع: الحريات الأربع في ميثاق الأطلنطي.

(٣٨) فيافي: الصحراء الممتدة الشاسعة. روميل: أحد قادة الألمان في الحرب العالمية

الثانية، وهزم في معركة العلمين.

رثاء سَعْد

فجعت الأمة المصرية بموت زعيمها «سعد زغلول باشا» في ٢٣ من أغسطس سنة ١٩٢٧م، فكان لموته حزن عام شمل جميع أرجاء القطر، فانبرى الأدباء والشعراء لرثائه وذكر مآثره وتعداد فضائله، والإشادة ببطولته وعظمته، وندبوا فيه العزيمة الصادقة، والهمة العالية، والعزة والإباء، وأكرم صفات الرجولة الكاملة.

دَخَلَ الْجَمَامُ عَرِينَةَ الرُّبَالِ ^١	لَا الدَّمْعُ غَاضٌ، وَلَا فُؤَادُكَ سَالِي
رَفَعَ الْكِنَانَةَ بَعْدَ طُولِ نِضَالِ ^٢	وَأَصَابَ فِي الْمَيْدَانِ فَارِسَ أُمَّةٍ
حَزَبُ الْخُطُوبِ الدُّهُمَ غَيْرَ سِجَالِ ^٣	رَشَقَتُهُ أَحْدَاثُ الْخُطُوبِ فَأَقْصَدَتْ
حَوْلَ الْجَرِيِّ، وَحِيلَةُ الْمُحْتَالِ ^٤	لِلْمَوْتِ أَسْلِحَةً يَطِيحُ أَمَامَهَا
سَعْدُ الْمُخَلَّدُ آيَةُ الْأَجْيَالِ ^٥	مَا كَانَ سَعْدُ آيَةٍ فِي جِيلِهِ
سَيَظِلُّ فِي الدُّنْيَا حَدِيثَ رَجَالِ	تَفَنَّى أَحَادِيثُ الرِّجَالِ وَذِكْرُهُ
كُرَّ الضُّحَى وَتَعَاقَبُ الْأَصَالِ ^٦	سَارَ كِمِصْبَاحِ السَّمَاءِ يَحُثُّهُ

* * *

وَالسَّيْفُ يَلْمَعُ فَوْقَ كُلِّ قَذَالِ ^٧	أَرَأَيْتَ مِصْرَ تَهْبُّ لِاسْتِقْلَالِهَا
هُوجُ الرِّيَّاحِ عَلَى كَثِيبِ رِمَالِ	وَالذُّعْرُ يَعْصِفُ بِالْقُلُوبِ كَمَا جَرَتْ
وَالنَّفْسُ حَيْرَى وَالْهُمُومُ تَوَالِي	وَالْأَرْضُ تَرْجُفُ، وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ
صُورٌ كَسَاها الْحَزَنُ ثَوْبَ خَبَالِ	وَالنَّاسُ فِي صَمْتِ الْمَنُونِ كَأَنَّهُمْ
رَصَدَ الْعَيُونِ، وَشَرَّةُ الْمُغْتَالِ ^٨	إِنْ حَدَّثُوكَ فَبِالْعَيُونِ لِيَتَّقُوا

أَجْنَادُهُ، مِنْ أَنْصُلٍ وَعَوَالِي^٩
 مُهَجُ الشَّبَابِ سُلَافَةُ الْجُرْيَالِ^{١٠}
 مِمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ مِنْ أَهْوَالِ^{١١}
 غَرِقَتْ بِمَاءِ شُؤْنِهَا الْهَطَّالِ^{١٢}
 غَضَبُ اللَّيْثِ حَمَايَةُ الْأَشْبَالِ
 مِنْحَلَّةُ الْأَطْرَافِ وَالْأَوْصَالِ^{١٣}
 أُذُنٌ، وَهَمَّتِ أَلْسُنُ بِسْوَالِ
 صَدْرُ الْقِنَاةِ وَعَامِلُ الْعَسَالِ؟^{١٤}
 أَسَدُ الْمَزْمَجِرُ ذُو النِّدَاءِ الْعَالِي؟
 قَدَرُ الْإِلَهِ يَسِيرُ غَيْرَ مُبَالِي؟
 مَا فِي الْبَرِّيَّةِ مِنْ نَهْيٍ وَكَمَالِ^{١٥}
 صَبْرُ الْكَرِيمِ، وَهَمَّةُ الْفَعَالِ^{١٦}
 طُبِعَتْ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَنِزَالِ^{١٧}
 تُزْرِي بِوَقْعِ أَسِنَّةٍ وَنِبَالِ^{١٨}
 جَهْمِ الْعَزِيمَةِ ضَاكِ الْأَمَالِ^{١٩}
 وَالشَّعْبُ يَهْتَفُ بِأَسْمِهِ وَيُغَالِي
 مَعْنَى الْحَيَاةِ وَعِزَّ الْأَسْتِقْلَالِ
 أَمَلًا، وَلَا نَيْلُ السُّهَى بِمُحَالِ^{٢٠}
 وَكَأَنَّ دَعْوَتَهُ أَذَانُ «بَلَالِ»^{٢١}
 فِي حُبِّ مِصْرَ زَعَاذِرُ الْأَوْجَالِ^{٢٢}
 نَارُ الْحُبَّاحِبِ، أَوْ وَمِیْضُ الْآلِ^{٢٣}
 وَيَجُولُ حِينَ يَضِيقُ كُلُّ مَجَالِ
 لَأَضْفَتِ إِشْعَالًا إِلَى إِشْعَالِ
 ذِكِّ الْحُصُونِ فَعُدْنَ كَالْأَطْلَالِ
 لَوْلَا اللَّهَيْبُ بِصَارِمِ فَصَالِ^{٢٤}

وَالْمَوْتُ يَخْطُرُ فِي الْجُمُوعِ وَحَوْلَهُ
 رِيَانٌ مِنْ مُهَجِ الشَّبَابِ كَأَنَّمَا
 وَجَنَانٌ مِصْرَ عَلَى جَنَاحِي طَائِرٍ
 تَرْنُو إِلَى أَبْنَائِهَا بِنَوَاطِرٍ
 وَإِذَا بِصَوْتِ هَزٍّ مِصْرَ زَثِيرُهُ!
 صَوْتُ كُصُورِ الْحَشْرِ جَمَعَ أُمَّةً
 فَتَطْلَعَتْ عَيْنٌ، وَأَصْغَتْ بَعْدَهَا
 مَنْ ذَلِكَ الشَّعْشَاعُ طَالَ كَأَنَّهُ
 مَنْ ذَلِكَ النِّمْرُ الْوَثُوبُ؟ وَذَلِكَ الـ
 وَمَنْ الَّذِي اخْتَرَقَ الصُّفُوفَ كَأَنَّهُ
 سَعْدٌ، وَحَسْبُكَ مَنْ ثَلَاثَةَ أَحْرَفٍ
 كَتَبَ الْكَتَائِبَ حَوْلَ مِصْرَ، سِلَاحُهَا
 وَمِنْ السُّيُوفِ إِرَادَةُ مَضْقُولَةٍ
 وَمِنْ السَّوَابِغِ حَكْمَةُ سَعْدِيَّةٍ
 وَمِنْ الْحُصُونِ فَوَادُ كُلِّ مُصَابِرٍ
 فَمَضَى إِلَى النِّصْرِ الْمُبِينِ مُؤَزَّرًا
 وَهَدَى الشَّبَابَ إِلَى الْحَيَاةِ فَأَدْرَكُوا
 وَجَرَى يُغَبِّرُ، لَا الْعَسِيرُ بِخَاذِلٍ
 فَكَأَنَّهُ سَيْفُ الْمُهَيِّمِينَ «خَالِدِ»
 مَا رَاعَهُ نَفْيٌ، وَلَا لَعَبَتْ بِهِ
 وَيَرَى الْحُتُوفَ وَقَدْ مَلَأْنَ طَرِيقَهُ
 يَزْدَادُ فِي غَضَفِ الشَّدَائِدِ قُوَّةً
 كَالشُّغْلَةِ الْحَمْرَاءِ لَوْ نَكَّسَتْهَا
 وَالسَّيْلُ إِنْ أَحْكَمْتَ سَدَّ طَرِيقَهُ
 وَالصَّارِمُ الْفَصَالُ لَمْ يَكْ حَدُّهُ

* * *

خَصْمٌ شَرِيفٌ نَالَ مِنْ خُصَمَائِهِ مَا نَالَ مِنْ إِجْلَالِ كُلِّ مُوَالِي

عَرَفُوهُ وَضَّاحَ السَّرِيرَةِ طَاهِرًا شَرُّ الْبَلَاءِ خُصُومَةُ الْأَنْذَالِ!
إِنَّ الشَّجَاعَةَ أَنْ تُنَاصِلَ مُضْجِرًا لَا أَنْ تَدِبَ كَغَفَاتِكَ الْأَصْلَالِ^{٢٥}

* * *

إِنْ قَامَ يَخْطُبُ قُلْتُ: حَيْدَرُهُ انْبَرَى لِلْقَوْلِ فِي سَمْتٍ وَصَدَقَ مَقَالِ^{٢٦}
إِعْجَازُ عَارِضَةٍ، وَنُورُ بَدِيهَةٍ وَبَدِيعُ تَنْسِيقٍ، وَحُسْنُ صِقَالِ^{٢٧}
يَحْتَارُ مِنْ آيِ الْكَلَامِ جَوَاهِرًا دُرُرُ الْبَلَاغَةِ كَاسِمِهِنَّ غَوَالِي!
مَا عَقَّهُ حُرُّ الْبَيَانِ، وَلَا جَزَتْ أُمُّ اللُّغَاتِ وَفَاءُهُ بِمَطَالِ^{٢٨}
وَالسَّامِعُونَ كَأَنَّمَا لِعَبْتٍ بِهِمْ صَهْبَاءُ قَدْ نُفِحتْ بِرِيحِ شَمَالِ^{٢٩}
فَإِذَا أُثِيرَ رَأَيْتَ (بُرْكَانًا) رَمَى حُمَمًا، وَدَكَ الْأَرْضَ بِالزَّلْزَالِ
مُتَنَمِّرًا كَاللَّيْثِ دَيْسَ عَرِينُهُ مُتَوَثِّبًا يَدْعُو الرِّجَالَ نَزَالِ
كَلِمٌ إِذَا حَدَرَ اللَّثَامَ رَأَيْتَهَا حَالَتْ إِلَى مَسْنُونَةٍ وَنِضَالِ^{٣٠}
لَا تَذْكُرُوا نَارَ الصَّوَاعِقِ عِنْدَهَا نَارَ الصَّوَاعِقِ عِنْدَهَا كَذْبَالِ!^{٣١}

* * *

نَفْسٌ كَأَنفَاسِ الْمَلَائِكِ طُهِرَتْ وَشَمَائِلُ أَحْلَى مِنَ السَّلْسَالِ^{٣٢}
وَتَوَاضَعُ النَّسَاكِ فِيهِ يَزِينُهُ شَمَمُ الْمُلُوكِ وَعِزَّةُ الْأَقْيَالِ^{٣٣}
وَحَلَائِقُ كَالزَّهْرِ سَارَ عَبِيرُهُ مَا بَيْنَ أَمْوَاهِ وَبَيْنَ ظِلَالِ^{٣٤}
وَعَزِيمَةٌ جَبَّارَةٌ لَوْ حُمِلَتْ «أُحَدًّا» لَمَا شَعَرَتْ لَهُ بِكَلَالِ^{٣٥}
وَشَّجَاعَةٌ فِي اللَّهِ يَكْلُوهَا الْحِجَا وَالْحَزْمُ فِي الْإِدْبَارِ وَالْإِقْبَالِ^{٣٦}
وَعَقِيدَةٌ لَوْ هَزَّتِ الْأَجْبَالُ مِنْ نُدْعٍ لَمَا اهْتَزَّتْ مَعَ الْأَجْبَالِ

* * *

دَارُ النَّيَابَةِ عُوِجِلَتْ فِي مَذَرِهِ كَانَ الزَّمَانُ بِهِ مِنَ الْبُخَالِ^{٣٧}
ضُرِبَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ لَمَا أَنْ غَدَا فِي دَهْرِهِ فَرْدًا بَلَا أَمْثَالِ^{٣٨}
قَدْ كَانَ فَيَصْلَهَا إِذَا عَجَّتْ بِهَا لُجَجُ الْخِلَافِ وَلَجَّ كُلُّ جِدَالِ^{٣٩}
يَزِنُ الْكَلَامَ كَمَا يُوزَنُ صَيْرُفٌ فِي النَّقْدِ مَثْقَالًا إِلَى مَثْقَالِ^{٤٠}
وَإِذَا الْحَقِيقَةُ أَظْلَمَتْ أَسْدَالُهَا صَدَعَ الدُّجَى فَبَدَتْ بِلَا أَسْدَالِ^{٤١}

جَمَعَ الْقُلُوبَ عَلَى الْوَفَاقِ وَصَانَهُ
لَمْ يَنْتَقِلْ حَتَّى تَفْجَّرَ نَبْعُهُ
مَنْ وَهَنَ رَعْدِيدٍ وَطَيْشٍ مُغَالِي^{٤٢}
وَشَفَى النُّفُوسَ نَمِيرُهُ بِزَّلَالِ^{٤٣}
أَتَرَى لِعَقْدِ اللَّهِ مِنْ حَلَالٍ؟^{٤٤} — جَلَّ جَلَالُهُ —

* * *

لَهْفِي عَلَيْهِ وَهُوَ رَهْنُ فِرَاشِهِ
لَهْفِي عَلَى لَيْثِ الْكِنَانَةِ أَغْمَدَتْ
قَنَصَتْ بَنَاتُ الدَّهْرِ وَاحِدَ دَهْرِهِ
يَرْنُو إِلَيْهِ الْعَائِدُونَ بِأَعْيُنٍ
مُتَقَدِّمِينَ، تَسْوِقُهُمْ لَمَعَ الْمُنَى
وَالْمَوْتُ يَسْخَرُ بِالْحَيَاةِ وَطَبَّهَا
وَالشَّعْبُ يَسْأَلُ: كَيْفَ سَعْدٌ؟ مَا لَهُ؟
يَفْدُونَ لِلْبَيْتِ الْكَرِيمِ كَأَنَّهُمْ
يَفْدُونَ بِالنَّفْسِ الرَّئِيسِ، وَإِنَّمَا
عَرَفُوا الْجَمِيلَ، وَلَا تَزَالُ بَقِيَّةُ
مَنْ يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ فَإِنَّمَا

مُتَفَرِّزًا مِنْ دَائِهِ الْقَتَالِ!^{٤٥}
أَظْفَارُهُ مِنْ بَعْدِ طُولِ صِيَالِ!^{٤٦}
وَرَمْتُهُ مِنْ أَذْوَائِهَا بَعْضَالِ^{٤٧}
غُزِرَ الدُّمُوعُ كَثِيرَةً التَّسْأَلِ
مُتَرَاكِعِينَ، مَخَافَةَ الْإِعْوَالِ^{٤٨}
جُهِدُ الْحَيَاةِ نِهَايَةَ الْأَجَالِ!
وَالنَّاسُ فِي ذُعْرٍ وَفِي بُلْبَالِ^{٤٩}
زُمَرُ الْحَجِيجِ تَسِيرُ فِي أَرْسَالِ^{٥٠}
نَفْسُ الرَّئِيسِ بِقَبْضَةِ الْمُتَعَالِي!
فِي النَّاسِ لِلْإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالِ!^{٥١}
بِفَعَالِهِ يَشْرِيهِ، لَا بِالْمَالِ

* * *

يَا أَيُّهَا النَّاعِي! حَنَانَكَ! إِنَّمَا
مَاذَا تَقُولُ وَلِلرَّزِيئَةِ رَوْعَةٌ
مَنْ كَانَ يَرْتَبِي أُمَّةً فِي وَاحِدٍ
وَإِذَا الْبَيَانُ أَبَى عَلَيْهِ فَرِيدُهُ

هِيَ أُمَّةٌ أَضْحَتْ بِغَيْرِ ثِمَالِ!^{٥٢}
تُغْنِي بِلَاغَتُهَا عَنِ الْأَقْوَالِ؟^{٥٣}
تَكْفِيهِ بَارِقَةٌ مِنَ الْإِجْمَالِ^{٥٤}
فَالدَّمَعُ فِيهِ فَرَائِدٌ وَلَا لِي^{٥٥}

* * *

سَارَتْ مَطِيَّةُ نَعْشِهِ عُجْبًا بِهِ
فِيهَا — كَنَابُوتُ الْكَلِيمِ — سَكِينَةٌ
لَا تَحْمِلُوهُ عَلَى الْمَدَافِعِ إِنَّمَا
أَجْدِرُ بِمَنْ حَمَلُوهُ فِي غَزَوَاتِهِ

تَخْتَالُ بَيْنَ الْوَحْدِ وَالْإِزْقَالِ!^{٥٦}
وَبَقِيَّةُ مَنْ هَيْبَةٍ وَجَلَالِ^{٥٧}
فَخَرُ الزَّعِيمِ قِيَادَةُ الْأَعْزَالِ
أَنْ يَحْمِلُوهُ عَشِيَّةَ التَّرَحُّالِ

سِيرُوا عَلَى سَنَنِ الزَّعِيمِ، فَإِنَّهُ
قَدْ خَطَّ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَجْهًا
إِنْ كَانَ لَمْ يَنْجُلْ فَإِنَّ لَهُ بِكُمْ
لَا تَيَأْسُوا، فَلَكُمْ أُبَيْدَتْ قَبْلَكُمْ
إِنَّ الشُّعُوبَ تُصَابُ فِي أَبْطَالِهَا
هِيَ قُدُوءٌ لِلْعَامِلِينَ، وَأُسُوءٌ
سَعْدٌ حَيَاةً فِي الْمَمَاتِ، وَقَبْرُهُ
أُخْرَى بِمَنْ وَهَبَ الْحَيَاةَ لِقَوْمِهِ
سَنَنْ الْهُدَى وَجَلَائِلِ الْأَعْمَالِ^{٥٨}
لِلْفِتْيَةِ السَّارِينَ خَيْرَ مِثَالٍ
عَدَدَ النُّجُومِ الزُّهْرِ مِنْ أَنْجَالِ^{٥٩}
أُمِّ بِيَّاسٍ قَاتِلٍ وَمَلَالٍ
وَحَيَاتُهَا فِي سِيرَةِ الْأَبْطَالِ!
الْمُسْتَبْسِلِينَ، وَقِصَّةُ الْأَطْفَالِ
مَهْدُ الْجِهَادِ وَمَجْدُ الْأَسْتِقْبَالِ^{٦٠}
أَلَّا تُمْسُ حَيَاتُهُ بِزَوَالِ

هوامش

- (١) غاض: جف وذهب. الحمام: الموت. عرينة الرئبال: مأوى الأسد.
- (٢) الكنانة: مصر. الكنانة: جعبة السهام.
- (٣) رشقته: رمته. أحداث الخطوب: ما ينزل من المكروه ويصيب. أقصدت: لم تخطئ المقتل. الدهم: السود. الحرب السجال: التي تكون، مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء.
- (٤) يطيح: لا يثبت لها ولا يقوى عليها. الحول: القوة.
- (٥) الآية: المعجزة.
- (٦) سار: متوثب غير خامد ولا ساكن. مصباح السماء: الشمس. يحته: يغريه ويستنهضه. كر الضحى: مروره. الأصال: جمع أصيل، وهو ما بعد العصر إلى المغرب.
- (٧) القذال: مؤخر الرأس، ويريد الرأس عامة.
- (٨) العيون الثانية: الجواسيس رصدهم: مراقبتهم لهم. الشرة (بالكسر): الشر.
- (٩) يخطر: يمشي مزهوًا. الأنصل: جمع نصل، ويريد به السيف. العوالي: الرماح.
- (١٠) المهج: هنا الدماء. الجريال: الخمر، سلاقتها: ما تحلب وسال قبل العصر، وهو أفضل الخمر.
- (١١) الجنان: القلب، ووجود الجنان على جناحي طائر كناية عن اضطرابه فزعًا وهماً. ألح: دام وتتابع في شدة.
- (١٢) ترنو: تديم النظر. الشؤون: عروق الدموع. الهطال: المتتابع المنهمر.

- (١٣) الصور: القرن ينفخ فيه. الحشر: الجمع، يريد يوم القيامة. يشير بصور الحشر إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾. الأوصال: الأطراف، الواحد: وصل (بالكسر وبالضم). منحلة الأطراف والأوصال: أي لا رابطة بين أهلها.
- (١٤) الشعشاع: الطويل. القناة: الرمح. صدرها: معظمها وهو ما يلي السنان. العسل: الرمح الخطار، عامله: صدره.
- (١٥) النهى: العقول، الواحدة: نهية (بالضم). سميت كذلك؛ لأنها تنهى عن القبيح.
- (١٦) كتب الكتائب: جمع الجيوش.
- (١٧) طبعت: صبغت وعملت. الكريهة: الشدة. النزال: القتال والطعان.
- (١٨) السوايغ: الدروع، الواحدة: سايغة. سعدية: نسبة إلى الزعيم الراحل سعد زغلول. تزرى بوقع ... إلخ. أي: لا تباليتها ولا تأبه لها. الأسنة: جمع سنان وهو نصل الرمح. النبال: السهام، الواحد: نبل.
- (١٩) المصابر: الذي يبرز غيره في الصبر ويغلبه فيه. جهم العزيمة: عابسها. عبوس العزيمة دليل على قوتها وصلابتها. ضاحك الآمال: أي مملوء رجاء وثقة بنجاح أمنيته وأمله.
- (٢٠) يغبر: يثير الغبار، وهذا كناية عن السرعة في السير. السها (بالألף والياء): كوكب صغير من بنات نعلش الصغرى. يضرب به المثل في الشيء البعيد إدراكه والحصول عليه.
- (٢١) المهيمن: من أسماء الله تعالى. خالد: هو خالد بن الوليد المخزومي الصحابي المعروف، وقد سماه رسول الله ﷺ لقوته وبأسه على الكفار وكثرة ما أبلى: سيف الله المسلول. وإلى هذا يشير الشاعر. وكانت وفاته في خلافة عمر بن الخطاب. بلال: هو بلال بن رباح مؤذن الرسول ﷺ.
- (٢٢) ما راعه: ما أفزعته ولا أخافه. زعازع الأوجال، أي: شدائد المخاوف وما يعصف منها بالأفئدة ويزعزعها.
- (٢٣) الحتوف: المهالك. الحباب: اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا نارًا ضعيفة مخافة الضيفان، ف ضربوا بضعف ناره المثل. الحباب أيضًا: ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج، وربما جعلوا الحباب لما يرى في ذنبه كأنه نار. الآل: الذي يرى في الصحراء طرقي النهار كأنه ماء. وميضه: لمعانه وبريقه.
- (٢٤) الصارم الفصل: السيف القاطع.

(٢٥) مصرحًا، أي: بارزًا ظاهرًا. الأصول: جمع صل (بالكسر) وهي الحية.
(٢٦) حيدرة: الأسد، وهو لقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — رابع الخلفاء الراشدين ويقول في ذلك: أنا الذي سمتني أُمِّي حيدرة. وهو معروف بالفصاحة في القول، وخطبه مجموعة في كتاب (نهج البلاغة). في سمت: أي في حسن هيئة ووقار.

(٢٧) العارضة: البيان واللسان. الصقال: صقل الألفاظ والإتيان بالواضح الأخاذ منها.

(٢٨) عقه: امتنع عليه وخانه. حر البيان: خالسه ونقيه. أم اللغات: اللغة العربية. وفاءه: أي وفاءه لها بنصرتها. ويشير بذلك إلى رئاسته للمؤتمر المصري الذي كان من همه جعل التعليم في المدارس المصرية باللغة العربية (ما عدا اللغات)، وقد كان باللغة الإنجليزية. المطال: التسويف وعدم الوفاء.

(٢٩) الصهباء: الخمر، سميت بذلك للونها. نفحت بريح شمال: أي هبت عليها ريح الشمال الباردة، فأكسبتها برودة، والخمر تسوغ وتجدد إذا كانت كذلك.
(٣٠) اللثام: ما كان على الفم من فضل العمامة. حدره: أزاله عن موضعه. ويريد بحدره اللثام: استعداده للخطابة. حالت: تحولت. ويريد بالمسنونة: الرماح، وبالنصال: السيوف.

(٣١) الصواعق: جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء لا تمر على شيء إلا أحرقته. الذبال: جمع ذبالة وهي فتيلة المصباح.
(٣٢) أنفاس الملائكة طاهرة؛ لأنها تمتزج بالصلاة والتسبيح، الشمائل: الطباع الواحد: شمال (بالكسر). السلسال: الماء العذب.
(٣٣) النساك: جمع ناسك وهو العابد المتزهّد المتقشف. الشمم: الإباء والأنفة. الأقيال: جمع قيل، وهو الرئيس.

(٣٤) عبير الزهر: ما ينبعث عنه من ريح طيبة. الأمواه: المياه.
(٣٥) أحد: جبل معروف، كانت عنده غزوة عرفت به. الكلال: التعب والإعياء.
(٣٦) يكلؤها: يحفظها ويرعاها. الحجا: العقل. وفي الإدبار والإقبال: أي في شدته ورخائه.

(٣٧) عوجلت: أي دهمها الموت في مدرها. المدره: زعيم القوم والمتكلم عنهم.
(٣٨) الأمثال (الأولى): جمع مثل (بالتحريك) وهو القول السائر. وأمثال (الثانية): جمع مثل (بكسر أوله أو بالتحريك): وهو الشبيه والنظير.

(٣٩) الفيصل: القاضي يفصل في الأمور بثاقب رأيه. عجبت: اشتدت وثار. لج
الخلاف: قوي وهاج تشبيهاً له بلجج البحر. وهي معظمه حيث يشتد ماؤه.

(٤٠) الصيرف: الصرّاف.

(٤١) الأسدال: الستور ترخى فتحجب ما وراءها.

(٤٢) الوفاق: الاتحاد بين أبناء مصر على اختلاف أديانهم. صانه: حفظه ووقاه.
الوهن: الضعف والخور. الرعديد: الجبان. الطيش: الخرق في الرأي والشطط في التقدير.

(٤٣) النبع: عين الماء. والضمير فيه يعود على الوفاق. النمير: الماء الناجع في الري.
الزلال: الماء البارد العذب الصافي.

(٤٤) العرا: جمع عروة. وهي من الثوب أخت زره. والضمير في عراه يعود إلى إلى
الوفاق.

(٤٥) متفززاً: لا يقر على حال ولا يستقيم على جنب من تباريح الألم.

(٤٦) إغماد الأظفار في الليث من مظاهر فتوره وضعف سطوته وانحلال قوته.
ويريد به الموت.

(٤٧) بنات الدهر: نائباته. العضال من الأدواء: المستعصي منها على الشفاء.

(٤٨) لمع المنى: بارقات الرجاء. الأعوال: البكاء مع صوت. يصف العائدين.

(٤٩) البلبال: هم النفس وما يعتريها من وساوس وأحزان.

(٥٠) الزمر: الجماعات. الأرسال: جمع رسل (بالتحريك). وهو الجماعة من كل

شيء.

(٥١) الإجمال: الإحسان في الصنع.

(٥٢) الشمال: الغياث الذي يقوم بأمر قومه.

(٥٣) الرزية: المصيبة لا قوة على احتمالها.

(٥٤) البارقة: الومضة. الإجمال: الاختصار.

(٥٥) فريد البيان: عزيزة ونادرة. والفرائد: الجواهر النفيسة. الواحدة: فريدة.

(٥٦) المطية: الدابة تمتطى. أي: يعتلى مطاها. وهو ظهرها. جعل النعش مطية.

الوخد والإرقال: ضربان من السير فيهما سعة خطو.

(٥٧) الكليم: هو موسى — عليه السلام — يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ

أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ
الْمَلَائِكَةُ﴾.

رثاء سَعْد

(٥٨) السنن: الطريق.

(٥٩) لم ينجل: لم يعقب ولدًا. الزهر: المتلائة المشرقة.

(٦٠) مهد الجهاد: موطنه ومبعثه.

إبراهيم بطل الشرق

بمناسبة مرور مائة عام على وفاة إبراهيم باشا، وإزاحة الستار عن لوحة نقشت على قاعدة تمثاله المقام بميدان الأوبرا بالقاهرة عام ١٩٤٨ م.

طُمُوحُ! وإلَّا ما صرَّاعُ الكتائبِ؟
إذا المجد لم يترك وراءَكَ صِيحَةً
يَخَوُّضُ الهمامُ العبقري بعزمِهِ
وَأَزُوعُ ما تهفو له العينُ رايَةً
وكم بَطْلٍ في الأرضِ غابَ وذكرُهُ
يُدَوُّنُهُ الميلاذُ بينَ لِدَاتِهِ
وما مَاتَ من أبقى لمصرِ مجادَةً
حمَاهَا بعزمٍ لو رَأَتْهُ قَواضِبُ
ومن مثل إبراهيم إن حمي الوغَى
صَوَاعِقُ تَلْقَى لِلحَتُوفِ صَوَاعِقًا
وزمزمةٌ تُنسي الرعودَ هزيمَهَا
سلُّوا عنه «عكا» إِنَّهَا إن تكلَّمْتُ
رماها بجيشٍ لو رمَى مشرِقَ الضُّحَى
رماها فتى لا يعرف الشك رأيه
ممنعةٌ ما راضها عزمُ قَائِدٍ
أَتَاهَا «بنوبارت» يُداوي ندوبَهُ

وَعَزْمُ! وإلَّا فيمَ حَثَّ الرُكَّائِبِ؟
مُدَوِّيَّةٌ، فالمجدُ أوهامُ كاذِبٍ
ظلامُ الفيافي في ظلامِ الغياهِبِ
تُداعبها الأرواحُ في كَفِّ غَالِبٍ
يُحَلِّقُ في الآفاقِ ليسَ بغائبٍ!
ويكُتِّبُه التاريخُ بينَ الكواكِبِ
تُطاولُ أعنانَ السماءِ بغاربٍ
لأُضْحَى سناهُ حسرةٌ في القواضِبِ
وأُمطرت الأرضُ السماءَ بحاصِبٍ
وَسُحْبُ عُجَاجٍ تلتقي بسحائبِ
وتثقب أذانَ النجومِ الثواقِبِ
معاقِلُها حدثتكمُ بالعجائبِ
لفر حسيرَ الطرفِ نحو المغاربِ
ويعرف بالإلهام سرَّ العواقِبِ
وعذراءُ لم تظْفَرُ بها كَفُّ خَاطِبِ
وَأَبْ يَصُكُ الوجهَ صَكُ النوادِبِ

أَتَاهَا يَجُرُّ الذَّلِيلَ فِي تِيهِ وَاثَقَ
رَأَاهَا وَفِي الْعَنْقُودِ وَالْكَرْمِ مَا اشْتَهَى
وَكَمْ وَضَعْتَ مِنْ إصْبَعٍ فَوْقَ أَنْفِهَا!
رَأَتْ فَاتَحَ الدُّنْيَا يَفْرُجَ جَبَانَةً
وَلَكِنْ إِبْرَاهِيمَ فِي الرُّوعِ كَوَكْبُ
فَعَادَ يَجُرُّ الذَّلِيلَ فِي خِزْيِ خَائِبٍ^{١٤}
وَأَيَّنَ مِنَ الْعَنْقُودِ أَيْدِي الثَّعَالِبِ؟^{١٥}
وَكَمْ غَمَزَتْ أَسْوَارُهَا بِالْحَوَاجِبِ!
وَيُلْقِي عَلَى الْأَقْدَارِ نَظْرَةَ عَاتِبٍ^{١٦}
إِذَا انْقَضَ فَاَلْأَطَامُ لُعْبَةٍ لَاعِبٍ^{١٧}

وَيَوْمَ «نَصِيبِينَ» الَّتِي قَامَ حَوْلَهَا
عَلَاهَا فَتَى مَصْرٍ بِضَرْبَةٍ فَيَصِلُ
فَرِيحٌ لَهَا الْبُوسْفُورُ وَارْتَجَّ عَرْشُهُ
أَبَى الْغَرْبُ أَنْ تَخْتَالَ لِلشَّرْقِ رَايَةً
أَيَّدَعَى سَلِيلُ الشَّرْقِ لِلشَّرْقِ غَاصِبًا
سِيَاسَةً حَقْدٍ أَيْنَ مِنْ نَفَثَاتِهَا
بَنُو التَّرِكِ وَالْأَلْمَانُ حُمَرُ الْمَخَالِبِ^{١٨}
وَلَكِنَّهَا لِلنَّصِرِ ضَرْبَةٌ لِازِبٍ^{١٩}
وَصَاحَتْ ذَنَابُ الشَّرِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^{٢٠}
وَأَنْ يَقِفَ الْمَسْلُوبُ فِي وَجْهِ سَالِبٍ^{٢١}
وَمَغْتَالُهُ فِي الْغَرْبِ لَيْسَ بِغَاصِبٍ؟^{٢٢}
لِعَابِ الْأَقَاعِي أَوْ سُمُومِ الْعَقَارِبِ؟^{٢٣}

حَنَانًا لِإِبْرَاهِيمَ لَاقَى كِتَائِبًا
غَزُوهُ بِجَيْشٍ بِالْدهَاءِ مُحَارِبُ
فَمَا لَيَّنُوا مِنْهُ قَنَاءَ صَلِيبَةٍ
مَنْ الْكِيدِ لَمْ تَعْرِفْ نَضَالَ الْكِتَابِ
وَلَكِنَّهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُحَارِبٍ
وَلَا كَدَّرُوا مِنْ صَفْوِ تِلْكَ الْمَنَاقِبِ^{٢٤}

عَرَفْنَا لِحَامِي الْقِبْلَتَيْنِ جِهَادَهُ
لَهُ الْعُرْبُ أَلْقَتْ فِي إِبَاءٍ زِمَامَهَا
فَوَحَّدَهَا فِي دَوْلَةٍ عَرَبِيَّةٍ
يَقُولُونَ: قِفْ بِالْجَيْشِ مَاذَا تَرِيدُهُ؟
فَقَالَ: إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ «الضَّادُّ» أَنْتَهِيَ
لَقَدْ زُهِيتَ مَصْرَ بِبَاعِثِ شَعْبِهَا
وَكَمْ كَتَبَ التَّارِيخُ لِابْنِ مُحَمَّدٍ
وَكَمْ صَانَ مَصْرًا مِنْ بَنِيهِ مَمْلُوكُ
وَكَمْ هَانَ مَطْلُوبٌ لِعِزَّةِ طَالِبٍ^{٢٥}
وَكَانَتْ سَرَابًا لَا يُنَالُ لِشَارِبٍ^{٢٦}
تُزَاحِمُ فِي رُكْبِ الْعُلَا بِالْمَنَاقِبِ^{٢٧}
وَمَاذَا تُرْجِي مِنْ وَرَاءِ السَّبَاسِبِ؟^{٢٨}
وَحَيْثُ تَسِيرُ الْعُرْبُ تَسْرِي نَجَائِي^{٢٩}
لِكَسْبِ الْمَعَالِي وَاقْتِنَاءِ الرِّغَائِبِ^{٣٠}
خَوَالِدَ، وَالتَّارِيخُ أَصْدَقُ كَاتِبٍ^{٣١}
بَعِيدَ مَنَالِ الْعِزْمِ جَمُّ الْمَطَالِبِ^{٣٢}

شمائلُ «فاروقٍ» وعزَّةُ ملكِه تَزِيدُ جَلالاً في جلالِ المناسِبِ^{٣٣}

هوامش

- (١) الكتائب: الجيوش. حث: حض. الركائب: الفرسان.
- (٢) ظلام الفيافي: ظلمة الصحراء الموحشة. ظلام الغياهب: ظلمة الجهول.
- (٣) يدونه: يسجله. لداته: نظائره.
- (٤) مجادة: مجداً تليداً. أعنان السماء: آفاق السماء. بغارب: المقصود الطويل الشامخ.
- (٥) قواضب: الأشجار الممتدة الأغصان. سناه: ضوءه.
- (٦) حمي الوغى: اشتد القتال. بحاصب: الرياح الشديدة تثير الحصباء.
- (٧) صواعق: نار تسقط عليهم من السماء. الحتوف: الموت. عجاج: مليئة بالدخان والغبار.
- (٨) وزمزمة: صوت الرعد. هزيمها: صوتها. الثواقب: المضيئة.
- (٩) عكا: مدينة عكا وقد فتحها إبراهيم باشا. معاقلها: حصونها.
- (١٠) حسير الطرف: كليل النظر ملهوقاً. المغارب: أي في جهة الغرب.
- (١١) الشك: الريبة والظن. الإلهام: ما يلقي في الروح. سر العواقب: ما يؤول إليه آخر الشيء.
- (١٢) ممنعة: ممنوعة الفتح على القواد قبله. ما راضها: استعصت على القواد.
- (١٣) بونابرت: يقصد نابليون بونابرت حينما أراد فتحها فاستعصت عليه. ندوبه: أثر الجراح. آب: عاد. يصك الوجه: يلطم وجهه. النوادب: النساء الباكيات على الميت.
- (١٤) تيه: تكبر. في خزي خائب: في ذل وهوان ولم ينل مطلبه.
- (١٥) العنقود: واحد عناقيد العنب. الكرم: شجر العنب. يشير إلى قصة الثعلب والعنب الشهيرة.
- (١٦) فاتح الدنيا: المقصود نابليون بونابرت. جبانة: خوفاً. عاتب: لائم.
- (١٧) الروع: القتال. الأطام: السيل المرتفع الأمواج تتكسر بعضها على بعض.
- (١٨) نصيبين: معركة انتصر فيها إبراهيم باشا. حمر المخالب: صبغت أيديهم باللون الأحمر وهو لون الدماء.

- (١٩) علاها: استولى عليها. فتى مصر: إبراهيم باشا. بضربة فيصل: بضربة قوية مسددة في إيتقان. لازب: ثابت.
- (٢٠) ريع لها: خاف واهتز. اليوسفور: كناية عن تركيا. ارتج عرشه: اهتز ملكه.
- (٢١) أبى: رفض. الغرب: كناية عن دول أوروبا الغربية. المسلوب: المسروق. سالب: المختلس.
- (٢٢) سليل الشرق: ابن الشرق والمقصود إبراهيم باشا. غاصبًا: آخذًا للشيء ظلماً. مغتاله: قاتله خدعة.
- (٢٣) نفثاتها: ما ينفثه الشخص من فيه.
- (٢٤) لينوا: جعلوه ليناً. قناة صليبية: رمحاً شديداً لا يلين. المناقب: الصفات الحسنة.
- (٢٥) حامي القبلتين: لقب إبراهيم باشا والمقصود المسجد الحرام والمسجد الأقصى.
- (٢٦) إباء: عزة. زمامها: قيادتها. سراً: ما يرى في منتصف النهار على أنه ماء في الصحراء وليس بماء.
- (٢٧) المناكب: عظم العضد والكتف.
- (٢٨) ترجي: تأمل. السباسب: الأرض المستوية أو المفاضة.
- (٢٩) «الضاد»: لغة الضاد أي: اللغة العربية. نجائب: الركائب التي يركبها الجيش.
- (٣٠) زهيت: افتخرت. الرغائب: الشيء المرغوب.
- (٣١) «محمد»: محمد علي باشا. خوالد: الدائمة البقاء.
- (٣٢) بعيد منال العزم: قوي العزيمة. جم: كثير.
- (٣٣) شمائل: الصفات. فاروق: آخر ملوك مصر.

الحُبُّ والحَرْبُ

سنة ١٩١٦ م

وَسَلَوْتُ كُلَّ مَلِيحَةٍ إِلَّاكَ؟
وَمَضَلَّتِي وَهْدَايَ فِي يُمْنَاكَ
وَإِذَا هَجَرْتِ، فَكُلُّ شَيْءٍ بَاكِي
لَا تَسْتَطِيعُ جُحُودُهُ عَيْنَاكَ!
لَجَعَلْتُ بَيْنَ جَوَانِحِي مَنَوَاكِ
كَأَسَّ الْمُدَامَةِ أَنْ تُقَبَّلَ فَاكِ
قَدْ ذُقْتَ لَمَّا ذُقْتَ حُلُوَ لَمَاكِ^١
سَحَرَ الْأَنَامَ بِفِعْلِهَا عِطْفَاكِ^٢

مَا لِي فُتِنْتُ بِلَحْظِكَ الْفَتَّاكِ
يُسْرَاكِ قَدْ مَلَكْتَ زَمَامَ صَبَابَتِي
فَإِذَا وَصَلْتِ، فَكُلُّ شَيْءٍ بِاسْمِ
هَذَا دَمِي فِي وَجْنَتَيْكَ عَرَفْتُهُ
لَوْ لَمْ أَخَفْ حَرَّ الْهَوَى وَلَهْيَبُهُ
إِنِّي أَغَارُ مِنَ الْكُؤُوسِ فَجَنَّبِي
خَدَعْتُكَ مَا عَذَّبَ السُّلَافُ وَإِنَّمَا
لَكَ مِنْ شَبَابِكِ أَوْ دَلَالِكَ نَشْوَةٌ

* * *

مَاذَا جَنَى لَمَّا هَجَرْتَ فَتَّاكِ؟
مَا كَانَ أَغْنَاهُ وَمَا أَغْنَاكَ!
فَفَرَرْتَ مِنْهُ وَعَادَ فِي الْأَشْرَاكِ
لَا يَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ حِينَ يَرَاكِ؟
عَرَفَ الْحَيَاةَ بَحْبَّهُ إِيَّاكِ
وَالزُّهْدُ فِيهِ تَزُمْتُ النَّسَاكِ

قَالَتْ خَلِيلَتُهَا لَهَا لِتَلِينَهَا
هِيَ نَظَرَةٌ لَاقَتْ بِعَيْنِكَ مِثْلَهَا
قَدْ كَانَ أَرْسَلَهَا لِصِيدِكَ لَاهِيًا
عَهْدِي بِهِ لَبِقَ الْحَدِيثِ فَمَا لَهُ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْضِيَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ
إِنَّ الشَّبَابَ وَدِيعَةً مَرْدُودَةٌ

فَتَشَمِّمِي وَرَدَ الْحَيَاةَ، فَإِنَّهُ
لَمْ تُنْصِتِي، وَمَشَيْتِ غَيْرَ مُجِيبَةٍ
وَبَكَتْ عَلَيَّ، فَمَا رَجِمْتَ بُكَاءَهَا
يَمْضِي، وَلَا يَبْقَى سِوَى الْأَشْوَاكِ
حَتَّى كَأَنَّ حَدِيثَهَا لِسِوَاكِ
مَا كَانَ أَعْطَفَهَا، وَمَا أَقْسَاكِ!

* * *

عَطَفْتَ عَلَيَّ النَّيِّرَاتُ وَسَاءَلْتُ
قَالَتِ: نَرَى شَبَحًا يَرُوحُ وَيَغْتَدِي
أَنَا مَجْرُوحٌ يُعَالِجُ سَهْمَهُ
يَقْضِي سَوَادَ اللَّيْلِ غَيْرَ مُوسِدٍ
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ جَرَدَ نَضْلَهُ
إِنَّا نَكَادُ أَسَى عَلَيْهِ، وَرَحْمَةً
مَنْ عَهْدٍ قَابِيلٍ وَلَيْسَ أَمَامَنَا
مَا بَيْنَ فَاتِكَةٍ تَصُولُ بِقَدِّهَا
مَدْعُورَةٌ قَمَرَ السَّمَاءِ أَخَاكِ^٣
وَيَبُتُّ فِي الْأَكْوَانِ لَوَعَةً شَاكِي
وَزَفِيرُ مَأْسُورٍ بِغَيْرِ فِكَاكَ
عَيْنُ مُسَهَّدَةٍ، وَقَلْبُ ذَاكِي^٤
الْفَيْتَةِ جِسْمًا بِغَيْرِ حِرَاكِ
لِشَبَابِهِ، نَهْوِي مِنَ الْأَفْلَاكِ
فِي الْأَرْضِ غَيْرُ تَشَاكُسٍ وَعِرَاكِ^٥
وَفَتَى يَصُولُ بِرُمَحِهِ فَتَاكِ

* * *

يَا أَرْضُ وَيَحَاكَ قَدْ رَوَيْتِ فَاسْئُرِي
فِي كُلِّ رُبْعٍ مِنْ رُبُوعِكَ مَا تُمْ
قَدْ قَامَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيكَ وَدَبَّرُوا
كَاشَفَتَهُمْ سِرَّ الْعَنَاصِرِ فَانْبَرُوا
نَنُرُوا كَنَانَتَهُمْ، وَكُلَّ سِهَامِهَا
دَخَلُوا عَلَى الْعِقْبَانِ فِي أَوْكَارِهَا
فَتَأْمَلِي، هَلْ فِي تَحْوِمِكَ مَأْمَنٌ؟
ظَهَرَ اللَّيْثُ وَذَاكَ أَضْعَبُ مَرْكَبٍ
لَيْتَ الْبَحَارَ طَغَتْ عَلَيْكَ وَسَجَّرَتْ
وَكَفَاكَ مِنْ تِلْكَ الدِّمَاءِ كَفَاكَ!^٦
وَتَوَاكَلْ وَنَوَادِبُ وَبَوَاكِي^٧
بَرِئْتُ يَدِي مِنْ إِثْمِهِمْ وَيَدَاكِ!
يَتَخَيَّرُونَ أَمْضَاهَا لِرِدَاكِ^٨
لِلْفَتَاكِ وَالتَّذْمِيرِ وَالْإِهْلَاكِ^٩
وَتَسَرَّبُوا لِمَسَابِيحِ الْأَسْمَاكِ!^{١٠}
أَمْ هَلْ هُنَالِكَ مَعْقِلٌ بِذِرَاكِ؟^{١١}
أَوْفَى وَأَكْرَمُ مِنْ أَدِيمِ ثَرَاكِ^{١٢}
أَوْ أَنَّ مَنْ يَطْوِي السَّمَاءَ طَوَاكِ!^{١٣}

* * *

لَمْ يَبْقَ فِي الْإِنْسَانِ غَيْرُ دِمَائِهِ
وَإِذَا النُّفُوسُ تَفَرَّقَتْ نَزْعَاتُهَا
فَدَرَاكِ يَا رَبَّ السَّمَاءِ دَرَاكِ!^{١٤}
قَامَتْ إِذَا قَامَتْ بِغَيْرِ مَسَاكِ^{١٥}

وَالسَّيْفُ أَظْلَمُ مَا فَزَعَتْ لِحُكْمِهِ وَالْحَزْمُ خَيْرُ شَمَائِلِ الْأَمْلَاكِ^{١٦}
وَمِنْ الدَّمَاءِ طَهَارَةٌ وَعَدَالَةٌ وَمِنْ الدَّمَاءِ جَنَائِيَةُ السُّفَّاكِ^{١٧}
وَالْعِلْمُ مِيزَانُ الْحَيَاةِ فَإِنْ هَوَى هَوَتْ الْحَيَاةُ لِأَسْفَلِ الْأَذْرَاكِ

هوامش

- (١) فاعل خدع ضمير مستتر يعود على المدامة وما نافية. السلاف: الخمر. اللمي مثثلة اللام: سمرة مستحسنة في باطن الشفة. والمراد الشفة نفسها.
- (٢) النشوة: السكر. سحر: استمال وجذب. الأنام: جميع الخلق. العطف: الجانب.
- (٣) النيرات: النجوم المضيئة.
- (٤) وسده الوساد: جعله يتكئ عليه. الوساد: المتكأ أو المخدة. ومعنى غير موسد أنه قلق لا يستقر على فراش. مسهدة: مؤرقة ساهرة. ذاك: مشتعل متوقد.
- (٥) العهد: الزمان. قابيل وهابيل: ابنا آدم — عليه السلام — قرب كل منهما إلى الله قرباناً فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فحنق على أخيه وقتله. وقصتهما في القرآن الكريم: سورة المائدة: الآيات ٢٧-٣١. التشاكس: الاختلاف والشقاق. العراك: القتال.
- (٦) ويح: كلمة رحمة. روى من الماء: يروي رياً. والسؤر: البقية والفضلة. أسأر: أبقى في الإناء بعد شربه بقية.
- (٧) الربع: المنزل ومحلة القوم. المأتم: المناحة. الثواكل: جمع ثاكل وهي المرأة التي فقدت ولدها. النوادب: جمع نادبة وهي المرأة التي تندب الميت أي: تعدد محاسنه.
- (٨) العناصر: الأصول. والمراد بسرها خواصها وصفاتها. انبرى للشيء: تجرّد له.
- (٩) الكنانة: جعبة من الجلد توضع فيها السهام. ونثر الكنانة إنما يكون لاختيار أصلب السهام وأعظمها تأثيراً. الفتك: البطش والقتل على غفلة. التدمير: الإهلاك.
- (١٠) العقبان: جمع عقاب وهو من جوارح الطير. الأوكار: جمع وكر وهو عش الطائر. التسرب: الدخول في السرب وهو الحجر أو البيت في الأرض.
- (١١) التخوم: معالم الأرض وحدودها مفردتها تخم. المعقل: الملجأ. الذرا: جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه.
- (١٢) الليوث: جمع ليث وهو الأسد. الأديم: ظهر الأرض. الثرى: التراب الندي.
- (١٣) طغى البحر: هاجت أمواجه وارتفعت وزادت مياهه حتى جاوزت الحد، وطغيان البحار على الأرض إغراقها. سجرت: زيد اضطرابها وغليانها. والشاعر يشير

بالشطر الثاني من هذا البيت إلى الآية القرآنية الكريمة ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٠٤: سورة الأنبياء).
(١٤) الذماء: بقية النفس. دراك: أدرك.

(١٥) النزعات: المذاهب والميول. المساك: الموضع يمسك الماء، ويراد به هنا الحائل الذي يقف في وجه الميول الشريرة والأطباع المبيدة.
(١٦) فزع إليه: لجأ إليه عند الفزع وهو الخوف. الحزم: ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة. وحزم فلان رأيه أتقنه. الشمائل: الأخلاق والطباع، مفردها شمال. الأملاك: جمع ملك.

(١٧) السفاك: جمع سافك. اسم فاعل من سفك الدم بمعنى أراقه.

رشيد

غاب الشاعر عن بلده رشيد فترة طويلة، فأنشأ هذه القصيدة عام ١٩٤١م يشيد فيها بجمالها وبمجدها القديم، ويتألم لانتشار داء الفيل فيها، ويحث أهلها على استئصاله:

جَدِّدِي يَا رَشِيدُ لِلْحَبِّ عَهْدًا
جَدِّدِي يَا مَدِينَةَ السَّحَرِ أَحْلَا
جَدِّدِي لِمَحَّةٍ مَضَتْ مِنْ شَبَابٍ
وَابْعَثِي صَحْوَةً أَغَارَ عَلَيْهَا الشَّ
وَتَعَالَيْ نَعِيشُ فِي جَنَّةِ الْمَا
زِكْرِيَّاتِ، لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ عَقْدُ
زِكْرِيَّاتٍ مَضَتْ كَأَحْلَامٍ وَصَلِ
قَدْ رَشَفْنَا مَخْتُومَهُنَّ سُلَافًا
وَالْهَوَى أَمْرَدُ الْمَحْيَا يِنَاغِي
عَبَثُوا سَادِرِينَ، فَالْجِدُّ هَزَلُ
وِيحَ نَفْسِي، أَفَدَى الشَّبَابَ بِنَفْسِي
إِنْ عَدَدْنَا لِيَوْمِهِ حَسَنَاتٍ
جَذْوَةً لِلشَّبَابِ كَانَتْ نَعِيمًا
قَدْ بَكَيْنَاهُ حِينَ زَالٍ؛ لَأَنَّا
وَقَتَلْنَاهُ بِالْوَقَارِ ضَلَالًا
مَا عَلَيْهِمْ إِنْ هَامَ عَمْرُوْ بَهْنِدِ

حَسْبُنَا حَسْبُنَا مَطَالًا وَصَدًّا^١
مَا، وَعَيْشًا طَلَقَ الْأَسَارِيرَ رَغْدًا^٢
مِثْلَ زَهْرِ الرِّبَا يَرِفُ وَيَنْدَى^٣
حَسْبُ، حَتَّى غَدَتْ عَنَاءً وَسُهْدًا^٤
ضِي، إِذَا لَمْ نَجِدْ مِنَ الْعَيْشِ بُدًّا
كُنْ فِي جِيدِ سَالِفِ الدَّهْرِ عَقْدًا^٥
وَسُدِّي نَسْتَطِيعُ لِلْحُلُمِ رَدًّا^٦
وَشَمَمْنَا رِيًّا شَذَاهُنَّ نَدًّا^٧
فَتِيَّةً تُشَبِّهُ الدَّنَانِيرَ مُرَدًّا^٨
ثُمَّ جَدُّوْا، فَصَيِّرُوا الْهَزْلَ جِدًّا^٩
وَجَدِيرٌ بِمِثْلِهِ أَنْ يُفَقِّدَى
شَغَلْتُنَا مَسَاوِيَّ الشَّيْبِ عَدًّا
وَسَلَامًا عَلَى الْفَوَادِ وَبَرْدًا^{١٠}
قَدْ جَهَلْنَا مِنْ حَقِّهِ مَا يُؤَدَّى
وَهُوَ مَا جَارَ مَرَّةً أَوْ تَعْدَى^{١١}
أَوْ شَدَا شَاعِرٌ بِأَيَّامِ سُعْدَى؟^{١٢}

شَغِفَ النَّاسُ بِالْفُضُولِ وبِالْحَقِّ دِ، فَإِنْ تَلَقَّ نِعْمَةً تَلَقَّ حِقْدًا

أرشيْدُ، وأنتَ جنَّةٌ خُلِدِ لو أتاحَ الإلهُ في الأرضِ خُلدا
حينَ سَمَّوكَ «وردةً» زُهَيَّ الحسِ نْ، وودَّ الخدودُ لو كنَّ وَرْدًا^{١٣}
تَوَجَّتْ رَأْسُكَ الرمالُ بتبر وجزى النيلُ تحتَ رجليك شهدا
وأحاطت بكِ الخمائلُ زُهْرًا كلُّ قَدْ فيها يعانقُ قَدْأ^{١٤}
والنخيلُ النخيلُ! أرخت شعورًا مُرْسَلَاتٍ، ومَدَّتِ الظلَّ مَدًّا
كالعذارى يدنو بها الشوقُ قُرْبًا ثم تنأى مخافةَ اللومِ بُعْدًا^{١٥}
حول أجيايدها عقود عقيق ونضار، صفائِه ليس يصدأ^{١٦}
يا ابنةَ اليمِّ لا تُراعي فإنِّي قد رأيتُ الأمورَ جَزْرًا ومَدًّا^{١٧}
قد يعودُ الزمانُ صفوًا كما كا نَ، ويُمسي وعيده المُرُّ وعدًا^{١٨}
كنتِ مذ كنتِ والليالي جواربِ كِ، وكان الزمانُ حولك عبدا
كلَّما هامت الظنونُ بـماضيـ كِ رأتَ عَزْمَةً وأبصرن مجدا^{١٩}
بكِ أهلي، وفيكِ مَلْهَى شبابي وَلَكَمْ فيكِ لي مَراحٌ وَمَغْدَى^{٢٠}
لو أصابتكِ مَسَّةُ الريحِ ثارت بفؤادي عواصف ليس تَهْدأ^{٢١}
أنا من تُربِكِ النقي وشعري نفحاتٌ من وَحْيٍ قُدْسِكَ تُهْدَى^{٢٢}
كنتُ أشدو به مع الناسِ طفلًا فتسامى فصرتُ في الناسِ فَرْدًا^{٢٣}
من رزايا النبوغِ أَنَّكَ لا تلـ قَ أنيسًا، ولا ترى لكِ نَدًّا^{٢٤}
قد جَزِينَاكِ بالحنانِ حَنَانًا وجزينا عن خالصِ الودِّ وُدًّا^{٢٥}
ليت لي بعد عودتي فيك قبرًا مثلما كنتِ مَنبِتًا لي ومَهْدًا

أصحيحُ أن الخطوبَ أصابت كِ، وأنَّ الأمراضَ هَدَّتْكِ هَدًّا؟
وغدا «الفيلُ» فيكِ داءٌ وبيلاً نافثًا سَمَّهُ مُغِيرًا مُجْدًا؟^{٢٦}
كم رأينا من عاملِ هذه الدَّاءِ ءُ، وأرداه وَقَعُهُ فتردَّى
كان يسعى وراءَ لُقْمَةٍ خُبِزَ وَلَكَمْ جدَّ في الحياةِ وكَدًّا
فغدا كالصريع يلتمسُ الجُهِـ د ليحيا به فلم يَلُقْ جُهْدًا

إن مشى يمش بائساً مستكيناً
خلفه من بنيه أنضاء جوع
كلما مدَّ كفه لسؤال
أمن الحق أن نعيش بطاناً
كأسير يجرُّ في الرجلِ قدّاً^{٢٧}
وهو لا يستطيع للجوع سدّاً^{٢٨}
أشبعها اللثام نَهراً وطرداً
ويجوع العليلُ فينا ويضدى؟^{٢٩}

* * *

ولكم تلمحُ العيونُ فتاةً
هي من نعمة البشائرِ أحلى
تتمنى الغصونُ لو كنَّ قدّاً
حوّمت حولها القلوبُ فراشاً
وارتدت بالخمارِ فاخبتاً الحسـ
لعبت بالنهى فأصبح غيّاً
حسد الدهرُ حسنّها فرماها
طرقتها الحمى الخبيثة ترمي
روضةً من محاسن غالها الإعمـ
حلّ داءُ الفيل العُضالُ برجليـ
كم بكت أمّها عليها فما أغـ
ويحها، أين سحرها؟ أين صارت؟
أين أين ابتسامها؟ ذهب الأثـ
أين فتكُ العيون؟ لم يترك الدهـ
أين خلخالها؟ لقد خلعتـه
طار خطابها فلم يبقَ فردٌ
لسعتها بعوضةً سكنت بيـ
إن هذا البعوضُ أهلك «نُمرو
فاحذروه فإنّه شرُّ خضمٍ
جرّدوا حَمَلَةً على الفيل أنجأ
أرشيدٌ دونَ المدائنِ تبقى
يفتكُ السم في بَنِيها فلا تر

مثل بدرِ السماء لَمّا تبدّى
وهي من نَضرة الأَزهَرِ أُنْدَى^{٣٠}
حينَ ماست، والوردُ لو كان خدّاً^{٣١}
ومشت خلفها الصواحبُ جُنْدًا
نُ، يُثير الشجونَ لما تردّى^{٣٢}
كلُّ رُشدٍ، وأصبح الغيُّ رُشداً^{٣٣}
بسهامٍ من الكوارثِ عمداً
بشواظ، يزيده الليلُ وقداً^{٣٤}
صارُ حتى غَدَتْ خمائلُ جُرْدًا^{٣٥}
ها، وألقى أثقاله واستبدّا
حنى نواح، ولا التحسُّرُ أجدى
أين ولّى جمالها؟ أين ندّا؟^{٣٦}
سُ، ومال الزمانُ عنها وصداً
رُ سيوفاً لها، ولم يُبقَ غمداً
وهي تبكي أسى وتنفتّ صَهداً^{٣٧}
وتولّى حَسدٌ يحذرُ حشداً
رأ، وقد كان جسّمها مستعدّاً^{٣٨}
نَ» وأفنى ما لم يُعدَّ وأعدى^{٣٩}
وتصدّوا لحربه إن تصدّى
داً كراماً، ومزّقوا الفيلَ أسداً^{٤٠}
مُستراضاً لكلِّ داءٍ وورداً؟^{٤١}
فَع كَفّا، ولا تحرّك زندا؟^{٤٢}

ثم تُلقِي السِّلَاحَ إلقاءً ذُلًّا والجِراثِيمُ حَوْلَهَا تتحدَّى
يا لِعَارِي! فليت لي بين قومي بطلًا يَكشِفُ الشَّدَائِدَ جَلْدًا^{٤٣}
ظَمِيءُ الشَّعْرُ لِلتَّنَاءِ، فهل آ نَ له أن يَفِيضَ شُكْرًا وحمدا؟

هوامش

- (١) حسبنا: كفانا. مطالاً: تطويلاً وتسويفاً. صدًا: إعراضاً.
- (٢) طلق: غير مقيد. الأسارير: قسَمات الوجه. رغداً: واسعاً طيباً.
- (٣) يرف: يتحرك وينتشر. يندى: يوجد.
- (٤) صحوّة: تنبيه وإفاقة. أغار: هجم. عناء: تعباً. سهراً.
- (٥) جيد: العنق. سالف: الماضي.
- (٦) سدى: هيهات.
- (٧) مختومهن: أواخرهن. سلافاً: خمر. رياء: هو الارتواء بالماء. شذهن: رائحتهن الذكية الفواحة. ندا: الرائحة الطيبة.
- (٨) أمرد: الغلام ليس في وجهه شعر. المحيا: الوجه. الدنانير: في استدارة الوجه ولونها الأحمر.
- (٩) سادرين: غير مبالين ولا مهتمين.
- (١٠) جذوة: جمرة من نار. الفؤاد: القلب.
- (١١) جار: ما زاد عن حده أو ما مال عن قصده.
- (١٢) هام: شغف. عمرو: رجل كان رمزاً في أشعار العرب وهند كذلك وسعدى كذلك.
- (١٣) وردة: إشارة إلى اسمها في اللغة الإنجليزية.
- (١٤) قد: القوام.
- (١٥) تنأى: تبعد.
- (١٦) أجيادها: أعناقها. عقود عقيق: قلائد من الأحجار الكريمة. نضار: ذهب. يصدأ: يصيبه الصدأ. يشبه نخل البلح الزغلول الأحمر اللون بعقود العقيق، ونخل البلح السمانى الأصفر اللون بلون الذهب.
- (١٧) ابنة اليم: لأن النيل شرقها والبحر المتوسط شمالها. تراعي: تخافي. جزراً ومداً: رجوع ماء البحر إلى الخلف ثم تقدمه إلى الشاطئ.

- (١٨) صفوا: صافياً خالصاً.
 (١٩) هامت: أولعت. الظنون: التردد والشك.
 (٢٠) مراح: مكان للراحة. مغدى: عودة.
 (٢١) مسة الريح: لمسة الهواء.
 (٢٢) وحي قدسك: إلهام طهرتك.
 (٢٣) تسامى: ارتفع وعلا.
 (٢٤) رزايا: مصائب. أنيساً: أحد يؤنس وحدتك. ندأ: نظيراً.
 (٢٥) جزيناك: كافأناك.
 (٢٦) الفيل: داء الفيل الذي يؤدي إلى ورم الأطراف، ويجعل الإنسان عاجزاً عن المشي.

- (٢٧) قدأ: سيراً من جلد غير مدبوغ والمقصود هنا القيد.
 (٢٨) أنضاء: جمع نضو وهو الضعيف المهزول.
 (٢٩) بطاناً: شباعاً. يصدى: يعطش.
 (٣٠) نغمة البشائر: التبشير بالخير بصوت حسن.
 (٣١) قدأ: قواماً. ماست: تتبختر.
 (٣٢) تَرَدَّى: سقط.
 (٣٣) النهى: العقل. غياً: ضللاً. رشد: هداية.
 (٣٤) شواظ: لهب لا دخان فيه. وقدأ: اتقاداً واشتعالاً.
 (٣٥) جرداء: جرداء.
 (٣٦) ندا: بعد، ذهب.
 (٣٧) تنفث: تنفخ. شهداء: حرارة شديدة.
 (٣٨) سكنت بئراً: يشير إلى توالد البعوض الناقل للمرض في الآبار التي كان يستعملها أهل رشيد للشرب.

(٣٩) نمرود: ملك جبّار في عهد سيدنا إبراهيم — عليه السلام — كان يدعي الألوهية وجادله سيدنا إبراهيم، فأفحمه وأخيراً أهلكه الله ببعوضة حقيرة. أعدى: تجاوز الحد.

- (٤٠) أنجاداً: معاونين مغيثين.
 (٤١) مستراضاً: مرتعاً ومتسعاً. وردا: مورداً.

ديوان علي الجارم

(٤٢) زندا: المقصود الذراع.

(٤٣) جلدا: صلباً قوياً.

أبو الأشبال ...

نشرت هذه القصيدة يوم أزيح الستار عن تمثال الخديو إسماعيل بالإسكندرية في شهر ديسمبر عام ١٩٣٨ م.

هذا جهادك مصرُ في تمثال ^١	مجدُّ على الأمواج يُشرفُ عالي
نَعَمَ الحياةِ وباعثِ الآمال ^٢	هذا ابنُ إبراهيمَ واهبُ قومه
عن أن تُصوِّرَها بنات خيال ^٣	هذا الذي جَلَّتْ عِظائِمُ سَعْيِهِ
أُمِّمٌ ودانت صَوْلَةُ الأبطال ^٤	هذا المليكُ العبقريُّ، عَنَتْ له
تُنْبِئُكَ حَقًّا مَنْ أبو الأشبال	هذا أبو الأشبالِ، سَلَّ عنه العُلا
أُنَشِوَدَةَ الأجيالِ للأجيال	هذا أبو التاريخِ من أضْحَى اسمُه
أَبْقَى على الدنيا من الأَجبال	هذا الذي يَبْنِي فيُنْشِئُ دَوْلَةً
بعوارِفِ الإحسانِ والأفضال ^٥	هذا أبو الذهبِ الذي غَمَرَ المُنَى
أرَأَيْتَ كيفَ جلائِلُ الأعمالِ؟	هذا الهُمامُ، وهذه أَعْمالُه
زِينُ الشبابِ وسيدُ الأَقْبال ^٦	هذا الذي فاروقُ مِصرَ حَفِيدُه

هوامش

- (١) على الأمواج: إشارة إلى أنه يطل على البحر.
- (٢) إبراهيم: إبراهيم باشا والد الخديوي إسماعيل.
- (٣) جلت: عظمت. بنات خيال: ما يتصوره الشاعر من الأخيلة.
- (٤) عنت: خضعت له. دانت: خضعت.

ديوان علي الجارم

(٥) عوارف: طيبات المعروف.

(٦) الأقيال: السادة العظماء، الملوك.

الأعمى

أقامت جمعية رعاية العميان بمصر في ١٥ من أبريل سنة ١٩٣٧م حفلة بدار الأوبرا؛ لحض المحسنين على مد يد الإحسان إلى هذه الطائفة البائسة؛ لتتمكن الجمعية من توسيع نطاقها وتثقيف عدد كبير من هؤلاء المكفوفين ليستطيعوا العيش وحدهم، وليستغنوا عن ذل السؤال، وقد ألقى هذه القصيدة في هذا الحفل.

نُوبَ الدَّهْرِ مَا لَكُنَّ وَمَا لِي ^١	مَنْ مُجِيرِي مَنْ حَالِكَاتِ اللَّيَالِي؟
فِي دِيَاجِي الْوُجُودِ طَيْفُ خَيَال ^٢	قَدْ طَوَّانِي الظَّلَامُ حَتَّى كَأَنِّي
نَقَّ أَطْنَابَهُ لِغَيْرِ زَوَال ^٣	كُلُّ لَيْلٍ لَهُ زَوَالٌ وَلَيْلِي
أَيْنَ أَمْثَالَهُنَّ مِنْ أَمْثَالِي؟	كُلُّ لَيْلٍ لَهُ نَجُومٌ، وَلَكِنْ
عُقِلْتُ دُونَهَا بِأَلْفِ عِقَال ^٤	تَتَبُّ الشَّمْسُ فِي السَّمَاءِ وَشَمْسِي
حَالِكَ اللَّوْنِ عَابِسَ الْأَمَال ^٥	لَا أَرَى حِينَما أَرَى غَيْرُ حَظِّي

* * *

كَاسِفَ النَّفْسِ دَائِمَ الْبُلْبَالِ ^٦	هُوَ جُبٌّ أَعِيشُ فِيهِ حَزِينًا
هُ، وَلَا دَاعَبْتُ شُعَاعَ الْهَلَالِ ^٧	مَا رَأَتْ بِسَمَةِ الشُّمُوسِ زَوَايَا
أَوْ تَيَقَّظْتُ فَالَسَّوَادُ حِيَالِي	فَإِذَا نِمْتُ فَالظَّلَامُ أَمَامِي
بَيْنَ شَكٍّ وَحَيْرَةٍ وَضَلَالِ ^٨	أَتَقَرَّرَى الطَّرِيقَ فِيهِ بِكَفِّي
عَنْ يَمِينِي أَسِيرُ أَوْ عَنْ شِمَالِي	وَأَجْسُ الْهَوَاءِ فَهُوَ دَلِيلِي
عَجَزْتُ حِيلَتِي وَرُثْتُ حِبَالِي	كُلَّمَا رُمْتُ مِنْهُ يَوْمًا خَلَاصًا

ب إلى سَاكِنِي القُصُورِ العَوَالِي!
رُ، يَجُوبُ الأَوْجَالَ لِلأَوْجَالِ؟^٩
لاهِثُ فَوْقَ شَامِخَاتِ جِبَالِ^{١٠}
ضَحِكَ الْجَنِّ أَوْ نَحِيبُ السَّعَالِ^{١١}
لك ما شئتَ من نسيجِ الرِّمالِ^{١٢}
أَوْ بَنِي الْإِنْسِ حَوْلَهَا مِنْ مَجَالِ^{١٣}
مَنْ ثَرَاهُ أَنَامِلُ البُخَالِ
وَأَيْدِيهِمْ وَعَرُّ كَحْدِ النَّصَالِ^{١٤}
ئِشْ مَا ضَاقَ ذَرْعُهُ بِمَحَالِ^{١٥}
حَائِرًا بَيْنَ وَقْفَةٍ وَارْتِحَالِ
بِنَسِيمٍ، وَلَا بَبْرِدِ ظِلَالِ^{١٦}
ض على خَيْبَةٍ وَرَقَةٍ حَالِ
أَقْفَرِ الكَوْنِ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ!

عَبَثًا أُرْسِلُ الْإِنِينَ مِنَ الْجُبِ
مَنْ لِسَارِ بَلِيلَةٍ طُولُهَا الْعُمُ
مُتَرَدِّدٍ فِي هَاوِيَّاتِ وَهَادِ
عِنْدَ صَحْرَاءٍ لِلْأَعَاصِيرِ فِيهَا
لَمْ يَزُرْهَا وَشْيُ الرَّبِيعِ وَلَكِنْ
لَيْسَ لِلطَّيْرِ فَوْقَهَا مِنْ مَطَارِ
خَلَقَ اللَّهُ قَفَرَهَا ثُمَّ سَوَّى
رَهْبَةً تَمَلَأُ الْجَوَانِحَ رُعْبًا
وَامْتِدَادًا كَأَنَّهُ الْأَمَلُ الطَّا
سَارَ فِيهَا الْأَعْمَى وَحِيدًا شَرِيدًا
فِي هَجِيرٍ مَا خَفَّ حَرُّ لَظَاهِ
مَلَّ عُكَازُهُ مِنَ الضَّرْبِ فِي الْأَرِ
يَرْفَعُ الصَّوْتُ لَا يَرَى مِنْ مُجِيبِ

* * *

هُ وَأَيَّامُ بُوْسِهِ الْمُتَوَالِي؟^{١٧}
كَلِيلِالِ كَرَرَنْ إِثْرَ لِيَالِي
ثُمَّ يَطْفُو مُحِطَّمُ الْأَوْصَالِ^{١٨}
حِينَما عَقَّه لِسَانُ الْمَقَالِ^{١٩}
كَيْنِ عَصْفَ الْأَيَّامِ بِالْأَجَالِ^{٢٠}
مَنْ يُبَالِي بِمَثَلِهِ مَنْ يُبَالِي؟^{٢١}
بَيْنَ وَضَلِ الْهَوَى وَهَجَرَ الدَّلَالِ^{٢٢}
وِ وَهَامُوا بِحُبِّ بِنْتِ الدَّوَالِي^{٢٣}
ج يَصُدُّ الْأَهْوَالَ بِالْأَهْوَالِ^{٢٤}
وُ بَنُوحٍ لِلْبُؤْسِ أَوْ إِغْوَالِ^{٢٥}
أَنْ تَبَاهِي بِذَلِكَ الْإِمْحَالِ!^{٢٦}
س، وَيُقْضَى عَلَى كَرِيمِ الْخِلَالِ!

مَنْ لَهَاوٍ فِي لُجَّةٍ هِيَ دُنْيَا
ظَلَمَ بَعْضُهَا يُزَاجِمُ بَعْضًا
يَفْتَحُ الْمَوْجُ مَاضِعِيهِ فَيَهْوِي
لَا تَرَى مِنْهُ غَيْرَ كَفِّ تُنَادِي
وَالرِّيَّاحُ الرِّيَّاحُ تَعْصِفُ بِالْمَسِ
يَسْمَعُ السُّفْنُ حَوْلَهُ مَاجِرَاتِ
يَسْمَعُ الرَّقْصُ وَالْأَهَازِيحُ تَشْدُو
شَغْلُ الْقَوْمِ عَنْهُ بِالْقَصْفِ وَاللَّهِ
مَا لَهُمْ وَالصَّرِيعُ فِي غَمْرَةِ اللُّجِ
لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَشَابَ لَهُمْ صَفْ
هَكَذَا تُمَحَلُّ الْقُلُوبُ، وَأَنْكَى
هَكَذَا تُقْبَرُ الْمَرْوَةُ فِي النَّأِ

* * *

مَنْ لِهَذَا الْأَعْمَى يَمُدُّ عَصَاهُ
مَنْ رَأَاهُ يَرَى خَلِيطًا مِنَ الْبُؤْ
هُوَ فِي مَيْعَةِ الصَّبَا وَتَرَاهُ
سَاكِنًا كَالظَّلَامِ، يَخْسِبُهُ الرَّأ
فَقَدْ الضُّوْءَ وَالْحَيَاةَ، وَهَلْ بَعْدَ
مَطَلَتْهُ الْأَيَّامُ وَالنَّاسُ حَقًّا
عَاصِبَ الْبَطْنِ لَمْ يَبْحُ بِسْؤَالٍ؟^{٢٧}
سِ هَزِيلًا يَسِيرُ فِي أَسْمَالِ
مُطَرِّقِ الرَّأْسِ فِي خُشُوعِ الْكِهَالِ^{٢٨}
عُودَ مَعْنَى لِلْيَاسِ فِي تِمْتَالِ
دَ ضِيَاءِ الْعَيْنَيْنِ سَلَوَى لِسَالِ؟
فَقَضَى عَيْشَهُ شَهِيدَ الْمَطَالِ^{٢٩}

* * *

مَا رَأَى الرَّوْضَ فِي مَازِرِهِ الْخَضِ
مَا رَأَى صَفْحَةَ السَّمَاءِ وَمَا رُكِّبَ
مَا رَأَى النِّيلَ فِي الْخَمَائِلِ يَخْتَا
مَا رَأَى فِضَّةَ الضُّحَى فِي سَنَاها
فَدَعُوهُ يَشْهَدُ جَمَالًا مِنَ الْإِحْسَا
وَدَعُوهُ يُبْصِرُ ذُبَالًا مِنَ الرَّحَا
قَدْ خَبَرْتُ الدُّنْيَا فَلَمْ أَرِ أَزْكَى
رِ يُبَاهِي بِحُسْنِهَا وَيُغَالِي^{٣٠}
فِيهَا مِنْ بَاهِرَاتِ اللَّالِي^{٣١}
لُ بِأَذْيَالِهِ الْعِرَاضِ الطُّوَالِ
أَوْ تَمَلَّى بَعْسَجِدِ الْأَصَالِ^{٣٢}
نَ، إِنَّ فَاتَهُ شُهُودُ الْجَمَالِ
مَةِ إِنَّ عَقَّهُ ضِيَاءُ الذُّبَالِ^{٣٣}
مِنْ يَمِينٍ تَفْتَحَتْ عَنْ نَوَالِ!

* * *

أَيُّهَا الْوَادِعُونَ يَمْشُونَ زَهْوًا
يُنْفِقُونَ الْقِنْطَارَ فِي تَرْفِ الْعِي
وَيَرُونَ الْأَمْوَالَ تُنْثَرُ فِي اللَّهِ
إِنْ فِي بَلَدَةِ الْمِعْزِ جُحُورًا
كُلُّ جُحْرٍ بِالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ مَمْلُ
بَسَقَتْ فِيهِ لِلْجَرَائِمِ أَفْنَا
لَوْ رَأَيْتِ الْأَشْبَاحَ مِنْ سَاكِنِيهِ
يَرْهَبُ النُّورَ أَنْ يَمْرَ بِهِ مَ
تَحْسِبُ الْطِفْلَ فِيهِ فِي كَفْنِ الْمُو
بَيْنَ جَبْرِئِيَّةٍ وَبَيْنَ اخْتِيَالِ^{٣٤}
شِ، وَلَا يُحْسِنُونَ بِالْمِثْقَالِ^{٣٥}
وِ، فَلَا يَجْزَعُونَ لِلْأَمْوَالِ
مُتَرَعَاتٍ بِأَنْدَمْعِ الْأَطْفَالِ^{٣٦}
ءَ، وَلَكِنَّهُ مِنَ الزَّادِ خَالِي
نُ تَدَلَّتْ بِكُلِّ دَاءٍ عُضَالِ^{٣٧}
لَرَأَيْتِ الْأَطْلَالَ فِي الْأَطْلَالِ!
رًّا، وَنَخَشَى أَذَاهُ رِيحَ الشَّمَالِ
تَى وَقَدْ ضَمَّهُ الرِّدَاءُ الْبَالِي

أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ أَيْنَ نَدَاكُمْ؟ بَلَغَ السَّيْلُ عَالِيَاتِ الْقِلَالِ^{٣٨}
هُمُ عِيَالُ الرَّحْمَنِ مَاذَا رَأَيْتُمْ أَوْ صَنَعْتُمْ لَهُوَلَاءِ الْعِيَالِ؟^{٣٩}

* * *

رُبُّ أَعْمَى لَهُ بِصِيرَةٌ كَشَفِ نَفَذَتْ مِنْ غَيَاهِبِ الْأَسْدَالِ!^{٤٠}
أَخَذَ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا وَأَعْطَى وَأَعَاَصَ الْمِكْيَالَ بِالْمِكْيَالِ^{٤١}
يَلْمَحُ الْخَطَرَةَ الْخَفِيَّةَ لِلنَّفِ سِ لَهَا فِي الصُّدُورِ دَبُّ النَّمَالِ^{٤٢}
وَيَرَى الْحَقَّ فِي جَلَالَةٍ مَعْنَا هُ فَيَحْيَا فِي ضَوْءِ هَذَا الْجَلَالِ
كَانَ شَيْخُ الْمَعَرَّةِ الْكُوكِبِ السَّاءِ طَعَّ فِي ظُلْمَةِ الْقُرُونِ الْخَوَالِيِ^{٤٣}
فَأَتَى وَهُوَ آخِرُ (مِثْلَمَا قَا ل) بِمَا نَدَّ عَنْ عُقُولِ الْأَوَالِيِ^{٤٤}

* * *

أَنْقِذُوا الْعَاجِزَ الْفَقِيرَ وَصُونُوا وَجْهَهُ عَنْ مَذَلَّةٍ وَابْتِذَالِ
عَلِّمُوهُ، يَطْرُقُ مِنَ الْعَيْشِ بَابًا وَأَمْنَحُوهُ مَفَاتِحَ الْأَقْفَالِ
لَا تَضْمُوا إِلَى أَسَاءِهِ عَمَى الْجَهِّ لَ فَيَلْقَى النِّكَالَ بَعْدَ النِّكَالِ^{٤٥}
كُلُّ شَيْءٍ يُطَاقُ مِنْ نُوبٍ الْأَيَّامُ إِلَّا عَمَايَةَ الْجُهَّالِ^{٤٦}
عَلِّمُوهُ، فَالْعِلْمُ مِصْبَاحُ دُنْيَا هُ وَلَا تَكْتَفُوا بِصُنْعِ السَّلَالِ^{٤٧}
إِنْ جَفَاهُ الزَّمَانُ وَالْأَلُّ وَالصَّحْدُ بُ فَكُونُوا لِمِثْلِهِ خَيْرَ آلِ^{٤٨}
نَزَلَ الْوَحْيُ فِي التَّرَفُّقِ بِالْأَعْدِ مَمَى وَبَسَطَ الْيَدَيْنِ لِلسُّؤَالِ^{٤٩}
سَوْفَ تَتْلُو الْأَجْيَالُ تَارِيخَ مَضْرٍ فَأَعِدُّوا التَّارِيخَ لِلْأَجْيَالِ
بِالْأَيَادِي الْحَسَانِ يُمَحَى دَجَى الْبُؤْ سِ وَتَسْمُو الشُّعُوبُ نَحْوَ الْكَمَالِ
يَذْهَبُ الْفَقْرُ وَالثَّرَاءُ وَيَبْقَى مَا بَنَى الْخَيْرُونَ مِنْ أَعْمَالِ!

هوامش

(١) حالكات الليالي: الليالي الشديدة السواد والظلمة. نوب الدهر: نوازله وما يصيب

به.

(٢) طواه: أي احتواه وجعله بين ثناياه. دياجي الوجود: غياهب ظلماته وحالك

سواده. طيف خيال: ما يراه النائم في نومه.

(٣) الأطناب: الأوتاد، الواحد: طنْب (بضمّتين). دق الأطناب: كناية عن الإقامة وعدم الرحيل؛ لأن بيوت العرب كانت خيامًا تطوى مع السفر، وتنشر وتُدق أطنابها عند الإقامة.

(٤) تثب الشمس: تنتقل في السماء. عقلت: حبست وقيدت. ودونها، أي: دون السماء. العقال: حبل يعقل به البعير في وسط ذراعه.

(٥) عابس الآمال: أي مظلّمها.

(٦) الجب: البئر البعيدة الغور. كاسف النفس: أي حزين عابس. البلبال: الهم والهواجس المقضة المزعجة.

(٧) بسمّة الشموس: أي ضوءها.

(٨) أتقرى الطريق ... إلخ، أي: أتتبع الطريق بكفي ألتمس بها مواضع الأمن.

(٩) يجوب: يقطع الأرض سائرًا. الأوجال: المخاوف، الواحدة: وجل (بالتحريك).

(١٠) المتردي: الساقط. الوهاد: الأراضي المنخفضة. الهاويات: البعيدة الانخفاض.

اللاهث: الذي يخرج لسانه تعبًا وإعياءً وعطشًا. شامخات الجبال: العالية المرتفعة.

(١١) الأعاصير: عصف الرياح وشدة هبوبها وزوابعها. النحيب: البكاء. السعالى:

جمع سعللة، وهي أنثى الغول. يريد الغيلان عامة.

(١٢) وشى الربيع: نباته ذو الألوان المختلفة. الوشى (في الأصل): تطريز الثوب

وتجميله.

(١٣) من مطار، أي: من طيران. من مجال، أي: من أثر لجولان الناس وسيرهم.

(١٤) الجوانح: الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر، الواحدة: جانحة. أديم

الصحراء: وجهها. النصال: جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف والسكين.

(١٥) الطائش: الذي يذهب على غير هدى وقصد. ضيق الذرع: كناية عن قلة الحيلة

وضعف الطاقة.

(١٦) الهجير: شدة الحر. اللظى: اللهب والحرقة.

(١٧) الهاوي: الساقط. اللجة: معظم البحر حيث يكثر الماء ويصعب المخرج.

(١٨) الماضغان: الحنكان لمضغهما المأكول. واستعارهما للموج؛ لأنه يهصر الأجسام

ويضعضعها. الأوصال: الأعضاء. الواحد. وصل.

(١٩) عقه: خانه ولم يسعفه بالمقال.

(٢٠) الآجال: الأعمار.

- (٢١) السفن الماخرات: الجاريات التي تشق الماء مع صوت.
- (٢٢) الأهازيج: جمع أهزوجة. وهي ما يهزج به من الأغاني. أي: ما يترنم بها ويضطرب.
- (٢٣) القصف: الإقامة في لهو وأكل وشرب. بنت الدوالي، أي: الخمر. الدوالي: عنب بالطائف أسود إلى الحمرة. ومنه تعصر الخمرة. وجعلها بنته؛ لأنها منه.
- (٢٤) الصريع: المصروع. غمرة اللج، أي: حيث يكثر ماء البحر ويشتد.
- (٢٥) يشاب: يختلط به ما يعكره. ما صفا لهم من شأنهم ولد وطاب. النوح والإعوال: البكاء ورفع الصوت به.
- (٢٦) إمحال القلوب: تجردها من العطف والرحمة. مأخوذ من إخمال الأرض، وهو إجادبها. أنكى: أي أكثر إيلاًماً.
- (٢٧) عاصب البطن: أي يشده برباط يدفع بذلك ألم الجوع.
- (٢٨) ميعة الصبا: أوله وريعانه. الكهال: جمع كهل.
- (٢٩) مطل الحق: تسويفه بوعده الوفاء مرة بعد أخرى.
- (٣٠) المآزر: الثياب، الواحد: مئزر. يغالي: يفخر.
- (٣١) صفحة السماء: رقعتها. باهر اللآلي: الكواكب والنجوم التي تهر بضوئها.
- (٣٢) تملئ: استمتع. العسجد: الذهب، الأصال: جمع أصيل وهو ما بعد العصر إلى المغرب.
- (٣٣) ذبالاً من الرحمة: أي بصيصاً من نورها. الذبال في الأصل: الفتيلة. عقه: فاتته وامتنع عليه. ضياء الذبال: أي نور المصابيح، ويريد النور عامة.
- (٣٤) الوادعون: المترفون الذين ضمنوا بحبوبة العيش ورغده فباتوا في هدوء ودعة. الزهو: التيه والتكبر. الجبرية: نسبة إلى الجبر بمعنى الجبروت والعظمة.
- (٣٥) ترف العيش: ما زاد على الحاجة وكان للترفيه والتنعيم. المثقال: ما يوزن به.
- (٣٦) بلدة المعز: القاهرة نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي، الذي أنشئت القاهرة له على يد قائده جوهر الصقلي سنة ٣٦١هـ/٩٦٩م. وكان عهده في مصر من أزهى عصورها، زادت فيه ثروة البلاد زيادة كبيرة. وتوفي المعز سنة ٣٦٣هـ/٩٧١م. ويريد بالبحور تلك الخربات والأكوخ المظلمة التي يسكنها الفقراء، مترعات: مفعمة مملوءة.
- (٣٧) بسقت: ارتفعت وطالت. الأفنان: الفروع والأغصان، الواحد: فنن (بالتحريك). الداء العضال: أي: شديد أعياء الأطباء.

- (٣٨) الندى: الكرم والجود. القلال: جمع قلة وهي من الجبل أعلاه.
- (٣٩) العيال: من تلزمك نفقتهم والقيام بأمرهم.
- (٤٠) البصيرة: الفطنة. الغياهب: الظلمات. الأسدال: الحجب ما يقوم بينك وبين الشيء بستره عنك.
- (٤١) المكيال: أداة الكيل. أعاض: أبدل.
- (٤٢) الخطرة: ما يخطر بالبال من الأفكار.
- (٤٣) شيخ المعرة: هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي الشاعر. ولد بمعرة النعمان (وهي بلدة بين حماه وحلب) سنة ٣٦٣هـ وإليها ينسب. وقد كف بصره في الثالثة من عمره وتوفي بالمعرة سنة ٤٩٩هـ.
- (٤٤) ند: استعصى وامتنع. ويشير إلى قوله:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

- (٤٥) الأسى: الحزن. النكال: الشر والمكروه.
- (٤٦) نوب الأيام: مصائبها وما تنتاب به. العماية: الغواية والضلال.
- (٤٧) السلال: جمع سلة وهي معروفة.
- (٤٨) الآل: الأهل والعشيرة.
- (٤٩) السؤال: جمع سائل. يشير إلى ما نزل من القرآن الكريم على النبي ﷺ في الترفق بالأعمى في (سورة عبس).

رثاء إسماعيل صبري باشا

أنشد الشاعر هذه القصيدة في حفل التأبين الذي أقيم في فناء مدرسة المعلمين العليا بالمنيرة في مايو سنة ١٩٢٣م:

وَعَزِيزٌ عَلَيْهِ لَا تَقُولَا
هـ فَيْسِرِي فِي الْأَرْضِ عَرْضًا وَطُولًا؟^١
وَسَمِعْنَاهُ فِي الْحَمَامِ هَدِيلًا^٢
وَشَرِبْنَاهُ فِي الْكُؤُوسِ شَمُولًا^٣
ثُمَّ تَدْعُوهُ فَاعِلَاتُنَّ فَعُولًا!
أَبِيَاتٍ عَلَى الزَّمَانِ أَقُولًا^٤
لِ فَيلَقِي الْعِنَانَ سَهْلًا ذُلُولًا^٥
نُ يُذِيبُ الْقَاسِي وَيُذْنِي الْمَلُولًا^٦
مَنْ جَدِيدٌ كَثِيرًا وَجَمِيلًا^٧
لَحَسْبُنَا الْمُجْتَنِّ مِنْهَا طَوِيلًا^٨
سَقَطًا مِنْ وَرَائِهَا وَفُضُولًا^٩
مِنْهُ أَنْقَى مَعْنَى وَأَقْوَمَ قِيلًا^{١٠}
(ذَاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلًا)^{١١}
أَوْ مُعِينًا أَوْ عَاذِرًا أَوْ عَذُولًا
هُ نَبِيلًا يَنْتُ قَوْلًا نَبِيلًا^{١٢}
فَاذْكُرُوا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلًا^{١٣}

صَايَحُ الشَّرْقِ قَدْ سَكَّتْ طَوِيلًا
أَيْنَ ذَاكَ الشَّعْرُ الَّذِي كُنْتَ تَرْجِي
قَدْ سَمِعْنَاهُ فِي الْمَزَاهِرِ لَحْنًا
وَشَمِمْنَاهُ فِي الْكَمَائِمِ زَهْرًا
تَنْهَبُ الدَّرَّ مِنْ عُقُودِ الْغَوَانِي
خَطَرَاتُ تَسِيرُ سَيْرَ الدَّرَارِي
تَخْدَعُ الْجَامِحَ الشُّمُوسَ مِنَ الْقَوُ
غَزْلُ كَالشَّبَابِ أَسْجَحُ رِيًا
وَنَسِيبُ يَكَادُ يَبْعَثُ فِينَا
وَقَوَافٍ سَالَتْ مِنَ اللَّطْفِ حَتَّى
نَقَدْتُ جَيِّدَ الْكَلَامِ وَخَلَّتْ
عَبِئْتُ «بِالْوَلِيدِ» ثُمَّ أَرْتُهُ
لَوْ وَعَاهَا مَا اهْتَزَّ يُنْشِدُ يَوْمًا
(قَفْ مَشُوقًا أَوْ مُسْعِدًا أَوْ حَزِينًا
بَرَزْتُ نَفْسُهُ بِهَا فَرَأَيْنَا
هَبَطَتْ حِكْمَةُ الْبَيَانِ عَلَيْهِ

* * *

لَوْ شَهِدْتَ الرَّدَى يَحُومُ عَلَيْهِ
لَرَأَيْتَ الطَّوْدَ الْأَشْمَّ الَّذِي كَا
وَرَأَيْتَ الصَّمصَامَ لَا يَقْطَعُ الضَّغْ
وَرَأَيْتَ الرُّوحَ الْخَفِيفَةَ حَيْرَى
شَيْعَ الدَّمْعِ يَوْمَ شَيْعَ «صَبْرِي»
وَالْمَنَايَا تَرْمِي لَهُ الْأَحْبُولا^{١٤}
نَ مَنِيعَ الذَّرَا كَثِيبًا مَهِيلاً^{١٥}
ثَ وَقَدْ كَانَ صَارِمًا مَضْفُولا^{١٦}
إِنَّ عِبَاءَ السَّقَامِ كَانَ ثَقِيلاً
دَوْلَةَ فَخْمَةٍ وَعَصْرًا حَفِيلاً^{١٧}

* * *

خُلِقَ لَوْ يَمَسُّ هَاجِرَةَ الْقَيِّ
وَحِلَالُ مِثْلُ النَّسِيمِ وَقَدْ مَرَّ
وَحَدِيثُ حُلُو الْفُكَاةِ عَذْبُ
يُذْهِلُ الصَّبَّ عَنْ أَحَادِيثِ لَيْلَا
يَقْصُرُ اللَّيْلُ حِينَ يَسْمُرُ «صَبْرِي»
ظَ لَأَمْسَتْ عَلَى الْأَنَامِ أَصِيلاً^{١٨}
رَ بِزَهْرِ الرِّبَا عَلِيلاً بَلِيلاً
لَمْ يَكُنْ آسِنًا وَلَا مَمْلُولا^{١٩}
هُ وَيُنْسِيهِ حَوْمَلًا وَالدُّخُولَا^{٢٠}
بَعْدَ أَنْ كَانَ نَابِغِيًا طَوِيلاً^{٢١}

* * *

يَوْمَ «صَبْرِي» هَدَمْتَ لِلْمَجْدِ رُكْنَا
يَوْمَ «صَبْرِي» أَغَمَدْتَ فِي التُّرْبِ سَيْفًا
وَتَرَكْتَ الْعَلِيَاءَ أُمًّا ثَكُولا
حِينَ جَرَدْتَ سَيْفَكَ الْمَسْلُولا

* * *

إِنَّمَا نَحْنُ فِي الْحَيَاةِ إِلَى حَيٍّ
نَتَمَنَّى الْحَيَاةَ جِدًّا تَمَنٍّ
وَقَفَ الطَّبُّ حَائِرًا وَالْمَنَايَا
دَوْرَةَ الْأَرْضِ كَمْ أَمَدَتْ قَبِيلاً
نَضْرَةً فِي أَزَاهِرِ الصُّبْحِ تُمْسِي
رُبَّ قَصْرٍ قَدْ كَانَ مَلْعَبَ أَنْسٍ
وَفَتَاةٍ طَوَى مَحَاسِنَهَا الدَّهْرُ
نَاكُلُ الْأَرْضِ ثُمَّ تَأْكُلُنَا الْأَرْضُ
مِنْ شَبَابًا وَفَتِيَّةً وَكُهُولا
وَهِيَ لَيْسَتْ إِلَّا مَتَاعًا قَلِيلاً
سَاخِرَاتٍ يَغْتَلْنَ جِيلاً فَجِيلاً
بِحَيَاةٍ وَكَمْ أَبَادَتْ قَبِيلاً^{٢٢}
بَعْدَ لَأَيِّ تَصَوُّحًا وَذُبُولًا^{٢٣}
صَيَّرَتْهُ الْأَيَّامُ رُبْعًا مُجِيلاً^{٢٤}
رُ بَنَانًا غَضًّا وَخَذًا أَسِيلاً^{٢٥}
دَوَالِيكَ أَفْرَعًا وَأَصُولًا^{٢٦}

* * *

يَا مَلِيكَ الْبَيَانِ دَعْوَةَ خَلٍّ وَجَدَ الصَّبْرَ بَعْدَكُمْ مُسْتَحِيلًا^{٢٧}
 أَنَا أَرْثِيكَ شَاعِرًا وَأَدِيبًا ثُمَّ أَبْكِيكَ صَاحِبًا وَخَلِيلًا
 قُلْ لِحَسَّانٍ: إِنَّ مَرَرْتَ عَلَيْهِ فِي ظِلَالِ الْفِرْدَوْسِ يُطْرِي الرَّسُولًا^{٢٨}
 إِنَّ مِصْرًا أَحْيَتْ مَوَاتَ الْقَوَافِي وَأَقَامَتْ عُمُودَهَا أَنْ يَمِيلًا
 وَأَعَادَتْ إِلَى سَلِيلَةِ عَدْنَا نَ شَبَابًا غَضًّا وَمَجْدًا أَثِيلًا^{٢٩}
 قُلْ لَهُ غَيْرَ فَاخِرٍ: إِنَّ «صَبْرِي» بَعْدَ «سَامِي» هَدَى إِلَيْهَا السَّبِيلًا^{٣٠}

* * *

وَيْكَ يَا قَبْرُ صِرْتَ لِلْفَضْلِ مَثْوًى لَا يُسَامَى وَلِلنُّبُوغِ مَقِيلًا^{٣١}
 فِيكَ كُنْزٌ لَمْ تَحْوِ أَرْضُ الْفَرَاعِي مِنْ لَهُ بَيْنَ لَابَتَيْهَا مَثِيلًا^{٣٢}
 فِيكَ سِرُّ الْجَلَالِ وَالْخَطْبُ فِيهِ كَانَ يَا قَبْرُ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلًا
 ضَمُّهُ ضَمَّةَ الْكَمِيِّ حُسَامًا تَرَكَ النَّصْرُ حَدَّهُ مَفْلُولًا^{٣٣}
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ يَفْتَرِشُ التُّرَّ بَ وَقَدْ كَانَ لِلْسَّمَكَ رَسِيلًا^{٣٤}
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ لَوْ كَانَ يُجْدِي لَهْفَ نَفْسِي أَوْ كَانَ يُغْنِي فَتِيلًا^{٣٥}
 كُنْ عَلَيْهِ يَا قَبْرُ رُوحًا وَرِيحًا نَا وَمَثْوًى رَحْبًا وَظِلًّا ظَلِيلًا^{٣٦}
 لَمْ يَمُتْ مَنْ يَزُولُ مِنْ عَالَمِ الْحُسِّ سِ وَتَأْبَى آثَارُهُ أَنْ تَزُولًا

هوامش

- (١) تزجيته: تدفعه وتسوقه برفق. يسري: يسير.
- (٢) المزاهر: جمع مزهر وهو العود من آلات الغناء والطرب. اللحن: التغريد والتطريب والغناء. الهديل: صوت الحمام.
- (٣) الكمائم: جمع كمامة وهي غطاء النور أي: الغلاف الذي يحيط بالزهرة ويغطيها قبل أن تتفتح. الكؤوس: جمع كأس، ولا تسمى كأسًا إلا وهي فيها الشراب. الشمول: الخمر.
- (٤) الخطرات: الخواطر. الدراري: الكواكب.

- (٥) الجامح: اسم فاعل من جمع الفرس أي: اعترز فارسه وغلبه. والشموس: الصعب الممتنع. العنان: سير اللجام. ذلول: سهل منقاد.
- (٦) أسجح: حسن معتدل. ريان: صفة من الري.
- (٧) كثير بن عبد الرحمن أحد الشعراء الغزليين المشهورين. شبب بعزة بنت حميدة الضمري حتى عُرف بها، وكانت وفاته سنة ١٠٥هـ. وجميل بن عبد الله بن معمر العذري أحب ابنة عمه بثينة، وعرف بها وقال فيها شعراً كثيراً يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر، ولبت يشبب بها أكثر من عشرين سنة، وكانت وفاته بمصر سنة ٨٢هـ أيام عبد العزيز بن مروان واليها من قبل أخيه عبد الملك.
- (٨) المجتث: من بحور الشعر. وأجزاؤه مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مرتين مجزوء وجوباً. الطويل: أول بحور الشعر. وأجزاؤه فعولن مفاعيلن أربع مرات.
- (٩) نقد الدراهم: إخراج الزيف منها، والمراد اختارت. السقط بفتحتين: رديء المتاع والخطأ من القول والفعل. فضول الكلام: ما لا خير فيه.
- (١٠) الوليد: هو أبو عبادة بن عبيد الطائي البحتري الشاعر المطبوع، وبحتر بطن من طيء كانوا ينزلون بناحية «منبج» بين حلب والفرات. ولد سنة ٢٠٦هـ، وتخرج في الشعر على أبي تمام ثم خرج إلى العراق وأقام في خدمة المتوكل والفتح بن خاقان وزيره إلى أن قتل، فرجع إلى «منبج» وبقي يختلف أحياناً إلى رؤساء بغداد وسر من رأى حتى مات سنة ٢٨٤هـ.
- (١١) وعاهها: حفظها وتدبرها أي: القوافي والمراد الأبيات. و«ذاك وادي الأراك فاحبس قليلاً» مطلع قصيدة للبحتري.
- (١٢) برزت: ظهرت. النبل والنبالة: الذكاء والنجابة والفضل. نث الحديث: أفشاه.
- (١٣) «فاذكروا في الكتاب إسماعيل» اقتباس جميل من قول الله تعالى في سورة مريم: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.
- (١٤) الأحبول: المصيدة كالحبال والأحبولة.
- (١٥) الطود: الجبل العظيم. الأشم: الطويل الرأس المرتفع. المنيع: الحصين الذي لا يقدر عليه من يريده. الذرا: جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه. الكثيب: المجتمع من الرمل. المهيل: المرسل المصبوب. والمراد مهدم منهار.
- (١٦) الصمصام: السيف القاطع الذي لا ينثني. الضغث: قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس. الصارم: القاطع. المصقول: المجلو.

- (١٧) المراد بالدولة هنا مملكة الأدب والشعر. حفيل: كثير مجتمع.
(١٨) الهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر. القيظ: شدة حر الصيف. الأنام: جميع الخلق. الأصيل: العشي وهو الوقت بعد العصر إلى الغروب.
(١٩) آسن: آجن أي: متغير الطعم واللون. والمراد قديم معاد تافه.
(٢٠) ليلاه: معشوقته. عشق قيس بن الملوح العامري ابنة عمه ليلى وشبب بها في شعره فحيل بينها وبينه فاتقد هواه حتى صار إلى حالة تشبه الجنون. ومن أجل ذلك لقب بمجنون ليلى، كان ذلك في بادية نجد في صدر الدولة الأموية. وحومل والدخول موضعان بنجد على مقربة من طريق البصرة إلى مكة، ذكرهما امرؤ القيس في مطلع معلقته متغزلاً بابنة عمه عنيزة فقال:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

- (٢١) نابغي: شاق طويل منسوب إلى النابغة الذبياني زياد بن معاوية.
(٢٢) القبيل: الجماعة.
(٢٣) النضرة: الحسن والرونق والبهاء. اللأي: البطء، والمراد هنا الزمن القليل. التصوح: أن يبيس النبات من أعلاه.
(٢٤) الأنس: اطمئنان النفس، وهو ضد الوحشة. الربع: الدار. محيل: اسم فاعل من أحال الشيء بمعنى تحول وتغير، أو من أحالت الدار أي: أتى عليها أحوال.
(٢٥) المحاسن: جمع على غير قياس لحسن. البنان: الأصابع أو أطرافها الواحدة بنانة. غض: طري. أسيل: لين طويل.
(٢٦) دواليك: مداولة على الأمر أو تداول بعد تداول، من الدولة وهي انقلاب الزمان.
(٢٧) الخل: الخليل والصديق.
(٢٨) حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ وهو من بني النجار من أهل المدينة. نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وأسلم الأنصار أسلم معهم حسان ودافع عن النبي بلسانه كما دافع عنه قومه بسيوفهم، وعاش بعد رسول الله محبباً إلى خلفائه حتى مات في خلافة معاوية سنة ٥٣ هـ وعمره ١٢٠ سنة.
(٢٩) سلية: بنت. وعدنان أبو العرب المستعربة سكان شمالي الجزيرة، وهو من نسل إسماعيل ابن إبراهيم — عليهما السلام — وسلية عدنان كناية عن اللغة العربية. غضا: طرياً. المجد: العز والشرف. الأثيل: الأصيل العظيم.

(٣٠) «صبري» هو المرثي إسماعيل صبري باشا. و«سامي» هو محمود سامي باشا بن حسن حسني بك البارودي، أحد زعماء الثورة العربية وأشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية، نظم الشعر من صغره محاكاة ومعارضة للشعراء الأقدمين الذين حفظ من كلامهم ونسج على منوالهم. ولد سنة ١٢٥٥هـ، ثم تعلم فنون العسكرية وما زال يترقى في مراتب الجيش حتى ولاه الخديوي توفيق باشا نظارتي الحربية والأوقاف، ثم استقال واعتزل العمل حتى ولي رئاسة النظار قبيل الثورة العربية، فلما اضطرت نيرانها خب فيها ووضع. ثم حكم عليه بعد انقضائها بالنفي إلى جزيرة سرنيد (سيلان)، فبقي بها ١٧ سنة ثم أذن له بالقدوم إلى مصر، وبقي في منزله كفيفاً يشغل بالأدب إلى أن مات سنة ١٣٢٢هـ.

(٣١) ويك: عجباً لك. مثوى: مقام. لا يسامى: لا يفاخر ولا يبارى. النبوغ: مصدر نبغ الشيء أي: أظهر وعظم شأنه. مقيل: اسم مكان من قال يقليل قليلاً وقيلولة ومقيلًا أي: نام في القائلة وهي الظهيرة.

(٣٢) الكنز: المال المدفون. الفراعين: جمع فرعون وهو لقب ملوك مصر الأقدمين وأرض الفراعنة هي الأراضي المصرية. اللابتان: مثني لابة وهي الحرة أي: الأرض ذات الحجارة السود. وفي الحديث: «أنه — عليه الصلاة والسلام — حرم ما بين لابتي المدينة» أي: حرتيها اللتين تكتنفانها، والشاعر يريد بلباتي أرض الفراعنة حدودها التي تحيط بها.

(٣٣) الكمي: الشجاع المتكفي في سلاحه أي: المتغطي المستتر بالدرع والبيضة. الحسام: السيف القاطع. مفلول: متكسر.

(٣٤) السماك: نجم نير من نجوم السماء وهما سماكان: السماك الأعزل والسماك الرامح. رسيل الرجل: من يباريه في نضال أو غيره، وهذا رسيلك الذي يرأسك الغناء أي: يباريك في إرساله.

(٣٥) يجدي: يغني وينفع. الفتيل: ما يكون في شق النواة يضرب به المثل في التفاهة والضالة.

(٣٦) الروح: الرحمة والراحة. الريحان: كل نبات طيب الريح. مثوى: مقام أي مكان ثواء وهو الإقامة. رحب: واسع. ظل ظليل: دائم.

الفخر

من قصيدة (سنة ١٩٠٠ م)

طَرِيقُ الْعُلَا وَعَرُ مَطِيئَتُهُ الْجِدُّ
إِذَا وَهَنْتَ فِيهِ الْقِلَاصُ وَأَذْبَرْتُ
يَخْبُ فَلَ الْأَخْطَارُ تَلْوِي زِمَامَهُ
وَهْلُ يَعْتَلِي مِنْ غَيْرِهِ الْبَطْلُ الْفَرْدُ؟^١
فَذَاكَ شَدِيدُ الْحَوْلِ مُحْتَمِلُ جَلْدُ^٢
وَلَا عَنْ بَعِيدِ الْقَصْدِ يُقْعِدُهُ الْجَهْدُ^٣

* * *

سَمِئْتُ حَيَاتِي بَيْنَ قَوْمٍ فَضَائِلِي
إِذَا مَا بَدَتْ تَرْنُو إِلَيْهِمْ فَضِيلَةٌ
إِذَا كَانَ عَيْبِي بَيْنَهُمْ أَتْنِي فَتَى
فَمَهْلًا أَنَا النُّجْمُ الَّذِي يُبْصِرُونَهُ
إِذَا صَالَ عَزَمِي فَهُوَ سَيْفٌ مُهَنَّدٌ
تَمُدُّ الْمَعَالِي نَحْوَ مَجْدِي رِقَابَهَا
سَتَنْدُبُنِي الْفُضْحَى إِذَا مِتُّ قَبْلَهَا
إِذَا قَلَّ مَالِي فَالْقَنَاعَةُ تَرْوَتِي
وَرَبَّ غَنِيٍّ فِي احْتِيَاجٍ إِلَى يَدٍ
أَرَى الْمَالَ مِثْلَ الْمَاءِ يَخْبُتُ رَاكِدًا
وَكَيْفَ يُفِيدُ الْمَالَ وَهُوَ بِجَرَزِهِ
لَدَيْهِمْ يُغَطِّيهِهَا التَّدَابُرُ وَالْحِقْدُ
تَصَدَّى لَهَا نَذْلٌ وَكَرَّ لَهَا وَغْدُ
صَغِيرٌ وَشَعْرِي بِالشَّيْبَةِ مُسَوِّدُ
صَغِيرًا وَيُحْفِي قَدْرَهُ عَنْهُمْ الْبُعْدُ
لَهُ الْجَلْمُ وَالْإِغْضَاءُ مِنْ خُلُقِي غَمْدُ
وَجَدْتُ إِذَا كَانَتْ لِغَيْرِي تَمْتَدُّ
وَمَاتَ الَّذِي فِي النَّاسِ لَيْسَ لَهُ نِدُ
وَمَا كُنْتُ قَوْمَ مَا وَرَى لَهُمْ رَنْدُ؟^٤
تَرُوحُ بِمَا يَحْوِي مِنَ الْمَالِ أَوْ تَغْدُو^٥
وَيُزَكِّيهِ الْأَسْتِعْمَالُ وَالْأَخْذُ وَالرَّدُ
يُحِيطُ بِهِ سُوْرٌ وَيَحْجُزُهُ حَدُّ؟^٦

وَهَلْ قَطَعَ الصَّمْصَامُ فِي جَوْفِ غَمِّهِ وَهَلْ طَابَ نَشْرًا قَبْلَ إِحْرَاقِهِ النَّدُّ؟^٩

هوامش

- (١) الوعر: الصعب. المطية: ما يركب من الدواب ونحوها. الجد: الاجتهاد.
- (٢) وهنت: ضعفت. القلاص: جمع القلوص وهي الناقة الشابة القوية على السير. ودبرت الدابة وأدبرت: أصابها الدبر وهو تقرح أرجلها من طول السير ووعورة الطريق. الحول: القوة. جلد: صلب شديد قوي صبور.
- (٣) يخب: يسرع في سيره، الخبب: ضرب من العدو. الأخطار: جمع خطر وهو الإشراف على الهلاك. تلوي: تثني وتميل. الزمام: المقود وهو الحبل الذي يقاد به البعير ونحوه، ولي الزمام: كناية عن ثني السائر وصرفه عن غايته. القصد: المقصد والمطلب. الجهد: المشقة.
- (٤) صال: وثب وسطا. العزم: الإرادة القوية القاطعة. السيف المهند: المطبوع من حديد الهند. أو هو المشحوذ القاطع. الحلم: الأناة والوقار. الإغضاء: إدناء الجفون وسد الطرف والسكوت على الشيء.
- (٥) المجد: العز والشرف. جذت: قطعت.
- (٦) الكثر: المال الكثير. وورى الزند يرى ورئاً: خرجت ناره. الزند: العود الذي تقدح به النار، «وما روى لهم زند» كناية عن بخلهم وقلة نفعهم.
- (٧) الغدو في الأصل: الذهاب والانطلاق وقت الغدوة في أول النهار، والرواح ضد الغدو وهو الرجوع في آخر النهار، والمراد بالغدو والرواح هنا السعي في تثمير المال والنفع والانتفاع به.
- (٨) الحرز: المكان الذي يحفظ فيه الشيء.
- (٩) الصمصام: السيف الصارم الذي لا ينثني. النشر: الرائحة الطيبة. الند: نوع من الطيب، أو هو عود يتبخر به.

اللغة العربية ودَار العلوم

أهدى الشاعر هذه القصيدة إلى صحيفة دار العلوم في سنة ١٩٣٤م؛ لتُنشر في أول جزء من أجزائها.

يا ابنة السابقين من قَحْطَانِ!	وُثِرَاتِ الْأَمْجَادِ مِنْ عَدْنَانِ!¹
أَنْتِ عَلَّمْتِنِي الْبَيَانَ فَمَا لِي	كَلَّمَا لُحِثَ حَارَ فَيْكِ بَيَانِي؟
رُبَّ حُسْنٍ يَعُوقُ عَنْ وَصْفِ حُسْنٍ	وَجَمَالٍ يُنْسِي جَمَالَ الْمَعَانِي
كَنْتُ أَشْدُو بَيْنَ الطُّيُورِ بِذِكْرَا	كِ فَتَعْلُو أَلْحَانَهَا أَلْحَانِي
وَأَصُوغُ الشَّعَرَ الَّذِي يَفْرَعُ النَّجْ	مَ وَتُصْغِي لِجَرْسِهِ الشُّعْرَيَانِ²
يا ابنة الضَّادِ أَنْتِ سَرٌّ مِنَ الْحُسْ	بِ تَجَلَّى عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ³
كَنْتِ فِي الْقَفْرِ جَنَّةٌ ظَلَّلَتْهَا	حَالِيَاتٌ مِنَ الْغُصُونِ دَوَانِي⁴
لِغَةِ الْفَنِّ أَنْتِ وَالسَّحْرِ وَالشَّعْ	رِ، وَنُورُ الْحَجَا، وَوَحْيُ الْجَنَانِ
رُبَّ جَيْشٍ مِنَ الْحَدِيدِ تَوَلَّى	وَاجِفَ الْقَلْبِ مِنْ حَدِيدِ اللِّسَانِ
وَبَيَانَ بَنَى لِصَاحِبِهِ الْخُلْ	دَ مُطْلَأًا مِنْ قِمَّةِ الْأَزْمَانِ
وَقَصِيدٍ قَدْ خَفَّ حَتَّى عَجَبْنَا	كَيْفَ نَالَتْهُ كِفَّةُ الْأَوْزَانِ!

* * *

بلغ العُربُ بالبلاغة والإسلا	مِ أَوْجًا، أَعْيَا عَلَى كَيَوَانِ
لَبَسُوا شَمْسَ دَوْلَةِ الْفُرْسِ تَاجًا	وَمَضَوْا فِي مَغَافِرِ الرُّومَانِ⁵
وَجَرَوْا يَنْشُرُونَ فِي الْأَرْضِ هَدْيًا	مِنْ سَنَا الْعِلْمِ أَوْ سَنَا الْقُرْآنِ⁶

مُ، يُؤَاخِيهِ رَاسِخُ الْإِيمَانِ
وَضَلَالٌ مَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ!^٧
رِ، وَأَيْنَ الْكِرَامِ مِنْ مَرَوَانِ؟^٨
يَوْمَ بَانُوا، وَلَا الْمَغَانِي مَغَانِي!^٩
وَذَوْتُ بَعْدَهُمْ لِغَيْرِ أَوَانِ
أَوْ رَنْتَ، فَالْوُجُوهُ غَيْرُ حِسَانِ^{١٠}
فَزَعَتْهَا كَوَاسِرُ الْعِقْبَانِ^{١١}
كَمْ لِهَذِي الْحَيَاةِ مِنْ أَلْوَانِ!
بَيْنَ مَرِّ الْأَسَى، وَذُلِّ الْهَوَانِ^{١٢}
كَدْبِيبِ الْحَيَاةِ فِي الْأَبْدَانِ^{١٣}
مُشْرِقَاتُ، وَالْدَّهْرُ مُلْقِي الْعِنَانِ^{١٤}
كَأَدِ يَقْضِي عَلَيْهِ رَبُّبُ الزَّمَانِ^{١٥}
مِنْ أَيْدِيهِ فِي أَعَزِّ مَكَانِ
فَسَمَتْ بِأَسْمِهِ عَلَى الْبُلْدَانِ
خُلِقَتْ لِلْوَفَاءِ وَالْإِحْسَانِ

لَا تَضِلُّ الشُّعُوبُ مِصْبَاحُهَا الْعِلْمُ
فَإِذَا أُطْفِئَ السَّرَاجُ فَمَيِّنْ
أَيْنَ أَلِ الْعَبَّاسِ رِيحَانَةُ الدَّهْرِ
خَفَتِ الصَّوْتُ، لَا الْبِلَادُ بِلَادُ
أَزْهَرَتْ فِي جِمَاهُمْ الضَّادُ حِينًا
إِنْ أَصَاحَتْ، فَالْقَوْلُ غَيْرُ فَصِيحِ
فَمَضَتْ نَحْوَ مِصْرٍ مِثْلَ قَطَاةٍ
يَكْدُرُ الْعَيْشُ مَرَّةً ثُمَّ يَصْفُو
ثُمَّ هَبَّتْ زَعَارِعُ تَرَكَّتْهَا
وَإِذَا نَهَضَتْ تَدِبُّ بِمِصْرٍ
وَإِذَا الْيَوْمُ بِأَسْمٍ، وَاللَّيَالِي
وَإِذَا الضَّادُ تَسْتَعِيدُ جَمَالًا
نَزَلَتْ فِي حِمَى فُؤَادٍ فَأَضَحَتْ
مَلِكٌ شَادَ لِلْكَنَانَةِ مَجْدًا
كُلُّ يَوْمٍ يَمُدُّ لِلْعِلْمِ كَفًّا

عِيلَ تَزْهِي بِهِ عَلَى كُلِّ بَانِ
فِي فَيْضِ جُودِهِ أَوْ يُدَانِي؟^{١٦}
قُ إِلَيْهَا طَوَائِفُ الرُّكْبَانِ
رَ إِلَى نَاعِمٍ مِنَ الْعَيْشِ هَانِي^{١٧}
حِدَ بِأَفْيَاءِ دَوْحِهَا الْفَيْنَانِ^{١٨}
كُلُّهُمْ يَنْتَمِي إِلَى سَحْبَانِ^{١٩}
فَسَبَتْهُمْ بِسِحْرِهَا الْفَتَّانِ^{٢٠}
عِ وَوَادِي الْعَقِيقِ وَالصَّمَّانِ^{٢١}
وَيَنَاجُونَ طَيْفَهَا كُلَّ أَنْ
نَحْنُ زُهَيْرٌ بِسِيرَةِ ابْنِ سِنَانِ^{٢٢}
أُسْرَعَ النَّاسُ فِي التَّقَاطِ الْجُمَانِ^{٢٣}

إِنَّ دَارَ الْعُلُومِ بِنْيَةِ إِسْمَا
مَنْ يُسَامِي أَبَا الْمَوَاهِبِ وَالْأَشْبَالِ
هِيَ فِي مِصْرٍ كَغَبَّةٍ بَعَثَ الشَّرُّ
قَدْ أَعَادَتْ عَهْدَ الْأَعَارِبِ فِي مِصْرٍ
وَأَظَلَّتْ بِنْتَ الْفَدَائِدِ وَالْبَيْدِ
دَرَجَتْ بَيْنَ فِتْيَةٍ وَشُيُوخِ
وَأَظَلَّتْ مِنَ الْخِبَاءِ عَلَيْهِمْ
فُتِنُوا بِالْعَذِيبِ وَالسَّفْحِ وَالْجَزْرِ
يَتَلَقَّوْنَ وَحْيَهَا كُلَّ حِينٍ
وَيُغْنُونَ بِأَسْمِهَا مِثْلَ مَا غَنَى
نَثَرَتْ دَرَاهِمَ الْفَرِيدِ فَكَانُوا

* * *

رُبَّ شَيْخٍ أَفْنَى سَوَادِ اللَّيَالِي
مِنْ بُحُوثٍ إِلَى كِتَابَةٍ نَقْدٍ
يَقْنِصُ الْإِدْبَاتِ عَزَّتْ عَلَى الصَّيِّ
سَارِحَاتٍ كَأَنَّهَا قَطَعَ الْوَشَّ
إِنْ تَسْمَعَنَّ نَبَأَةَ غَبْنٍ فِي الرِّيبِ
فَإِذَا مَا أَمِنْ يَخْرُجُنْ أَرْسَا
كُلُّ جُزْءٍ فِي جِسْمِهِنَّ لَهُ عَيْدٌ
لَمْ يَزَلْ صَاحِبِي يُعَالِجُ مِنْهُنَّ
فِي فَلَاةٍ لَا تَحْمِلُ الرِّيحُ فِيهَا
كَلِّمَا طَارَ خَلْفَهُنَّ تَسَرَّبْنَ
فَتَرَاهُ حِينًا كَمَا وَثَبَ اللَّيْثُ
وَهِيَ تَلْهُو بِهِ، فَأَنَا تُجَافِيهِ،
مَرَّةً فِي مَدَى يَدَيْهِ، وَأُخْرَى
لَمْ يَقِفْ نَادِمًا يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ،
ثُمَّ كَانَتْ عَوَاقِبُ الصَّبْرِ أَنْ ذَلَّتْ
مَلَكَّتُهُ أَعْنَاقُهَا فِي خُضُوعٍ
رُبَّ شَعْرٍ لَهُ يَرُدُّهُ الدَّهْدُ
يَتَمَنَّى الرَّبِيعُ لَوْ تَخَذَتْ مِنْهُ
مِنْ بَنَاتِ الْخِيَالِ لَوْ كَانَ يُسْقَى
رَدَّدَتْهُ الْقِيَانُ يُكْسِبْنَهُ حُسْنًا،
قَدْ أَثَارَ الْغُبَارَ فِي وَجْهِ مَيِّمُو

سَاهِدَ الْعَيْنِ جَاهِدًا غَيْرَ وَاوِي
ثُمَّ مِنْ مُعْجَمٍ إِلَى دِيْوَانٍ^{٢٤}
دِ، فَمَا سَتَ بَيْنَ الرُّبَا وَالرَّرْعَانِ^{٢٥}
سِي يُطَرِّزْنَ سُنْدُسَ الْقِيعَانِ^{٢٦}
حِ، كَسِرَ يُصَانُ بِالِكِتْمَانِ^{٢٧}
لَا، كَخَيْلٍ نَشْطُنْ مِنْ أَرْسَانِ^{٢٨}
نُ عَلَى الشَّرِّ، أَوْ لَهُ أُذُنَانِ
نَ نِفَارًا مُسْتَعْصِيًا، وَيُعَانِي^{٢٩}
غَيْرَ رَنَاتٍ قَوْسِهِ الْمِرْنَانِ^{٣٠}
هَبَاءً، فِي غَيْهَبِ النَّسِيَانِ^{٣١}
وَحِينًا يَنْسَابُ كَالْأَقْعُوانِ^{٣٢}
وَأَنَا تُمْلِي لَهُ فَتْدَانِي^{٣٣}
مَا لَهُ بَاقِتْنَا صِهْنٌ يَدَانِ^{٣٤}
فَعَالَ الْمُجَوِّفِ الْحَيِّرَانِ^{٣٥}
لَهُ الشَّارِدَاتُ بَعْدَ الْحِرَانِ^{٣٦}
وَحَبَّتْهُ قِيَادَهَا فِي لِيَانِ^{٣٧}
رُ، فَتُصْغِي مَسَامِعُ الْأَكْوَانِ
لَهُ حُلَاهَا ذَوَائِبُ الْأَغْصَانِ^{٣٨}
لَعَدَدْنَاهُ مِنْ بَنَاتِ الدُّنَانِ^{٣٩}
فَأَرْبَى عَلَى جَمَالِ الْقِيَانِ^{٤٠}
نِ، وَعَفَى عَلَى فَتَى ذُبْيَانِ^{٤١}

* * *

شَيْخَةَ الدَّارِ، أَنْتُمْ خَدَمُ الْفُصْ
لَيْسَتْ جِدَّةُ الصَّبَا فِي ذِرَاكُمُ
غَيْرَ أَنْ الْحَيَاةَ تَعْدُو، وَلَا يُدْ

حَى وَحُرَّاسُ ذَلِكَ الْبُنْيَانِ
وَعَدَتْ مِنْ حُلَاهُ فِي رَيْعَانِ^{٤٢}
رُكِ فِيهَا طِلَابُهُ الْمُتَوَانِي^{٤٣}

سابقوها بالدينِ والخُلُقِ السَّمِ
سابقوها بالجِدِّ، فالجِدُّ والمَجْدُ
حَى، فَإِنَّ الرَّجَاءَ فِي الشَّبَّانِ
تَتَحَدَى قَلَائِدَ الْعِيقِيَانِ^{٤٤}

* * *

بَسَمِ الدَّهْرُ أَنْ رَأَى بِنَاءَ
كَمْ رَجَا الدَّهْرُ أَنْ يُشَاهِدَ يَوْمًا
إِنَّمَا الْكَفُّ بِالْبَنَانِ، وَلَا تُجِبْ
جَمَعْتُكُمْ أَوَاصِرَ وَصَلَاتُ
فَاسْلُكُوا الْمَهْيَعَ الْقَوِيمَ وَسَيَرُوا
وَاشْكُرُوا لِلْوَزِيرِ بَيْضَ أَيَادِيهِ،
يَبْذُلُ الْخَيْرَ فِطْرَةً، لَيْسَ يَثْنِيهِ
هُوَ ذُخْرُ الطَّلَابِ، كَمَا وَجَدُوا فِيهِ
يَبْعَثُ الْغَيْثَ وَالرَّجَاءَ لِقَاصِ
كَمْ لَهُ مِنْةٌ عَلَى الضَّادِ هَزَّتْ
سَعِدَ الْعِلْمُ وَاسْتَعَزَّ «بِحِلْمِي»
سَارَ مُسْتَرَشِدًا بِهَدْيِ مَلِيكِ
مَلِكُ تَسْعَدَ الْبِلَادِ بِنُغْمَا
عَاشَ لِلدِّينِ وَالْمَكَارِمِ وَالنُّبِ
وَلِيَعِشَ لِلْبِلَادِ فَارُوقُ مِصْرٍ

عَبَقَرِيًّا مُوَطَّدَ الْأَرْكَانِ
جَمْعَكُمْ سَالِمًا مِنَ الشَّنَّانِ^{٤٥}
بِي فَتِيلًا كَفْ بَغِيرَ بَنَانِ^{٤٦}
طَهَّرْتُ مِنْ دَخَائِلِ الْأَضْغَانِ^{٤٧}
فِي شُعَاعِ الْمُنَى وَظِلِّ الْأَمَانِي^{٤٨}
وَمِذْرَارِ فَيْضِهِ الْهَتَّانِ^{٤٩}
عَنِ الْخَيْرِ وَالصَّنِيعَةِ ثَانِي^{٥٠}
هُ أَمَانًا مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ^{٥١}
وَيَمُدُّ الْيَمِينَ بِرَأٍّ لِدَانِي
كُلَّ لَفْظٍ فِيهَا إِلَى الشُّكْرَانِ^{٥٢}
وَعَدَا دَوْحُهُ قَرِيبَ الْمَجَانِي^{٥٣}
مَا لَهُ فِي أَصَالَةِ الرَّأْيِ ثَانِي^{٥٤}
هُ، وَيُزْهِى بِنُورِهِ الْقَمَرَانِ^{٥٥}
لِ وَبَثَّ الْحَيَاةَ وَالْعِرْفَانَ^{٥٦}
قُدُوةَ النَّاهِضِينَ رَمَزَ الْأَمَانِي

هوامش

- (١) ابنة السابقين: يريد اللغة العربية. قحطان: أبو العرب العاربة. تراث: ميراث، الأمجاد: جمع ماجد، الكريم الشريف: عدنان: أبو العرب المستعربة.
- (٢) فرع القوم: علامهم بالشرف أو الجمال. الجرس: الصوت. الشعري: كوكب وهما شعريان. تزعم العرب أنهما أختا سهيل.

- (٣) ابنة الضاد: اللغة العربية.
- (٤) القفر: المفازة لا نبات بها. الغصون الحاليات الدواني: أي المتحلية بالثمر القريبة القطوف.
- (٥) كانت الشمس رمزًا لتاج الفرس، المغافر: جمع مغفر كمنبر.
- (٦) الهدى: الرشاد. السنا: النور.
- (٧) المين: الكذب.
- (٨) الريحانة: طاقة الريحان وهو نبت طيب الرائحة.
- (٩) بانوا: فارقوا وارتحلوا. المغاني: جمع مغنى المنزل غنى به أهله.
- (١٠) أصاخ له: استمع. رنا رنؤًا: أدام النظر بسكون الطرف.
- (١١) القطاة: طائر. فزعه: أخافه. العقاب: طائر والجمع عقبان، والكاسر من الطير كالمفترس من الحيوان، كسر الطائر كسرًا وكسورًا ضم جناحيه يريد الوقوع.
- (١٢) الزعازع: الشدائد من الدهر. الأسى: الحزن. الهوان: من هان هونًا وهوانًا ومهانة أي: ذل.
- (١٣) تدب: تسير ببطء.
- (١٤) الدهر ملقي العنان: كناية عن الخضوع والانقياد، العنان: سير اللجام.
- (١٥) ريب الزمان: صرّفه.
- (١٦) يساميه: يباريه ويفاخره.
- (١٧) الأعراب جمع أعراب: سكان البادية.
- (١٨) بنت الفدافد والبيد: اللغة العربية. الفدافد: جمع فدغد، والبيد: جمع بيداء، وكلاهما بمعنى الفلاة. أفياء: جمع فيء ما كان شمسًا فينسخه الظل. الدوح مفردة دوحة: الشجرة العظيمة. الفينان: الحسن الشعر الطويله.
- (١٩) درج: مشى، ويريد نشأت. فتية وشيوخ: رجال دار العلوم من طلاب وأساتذة. سحبان: بليغ يضرب به المثل.
- (٢٠) أطلت عليهم: أشرفت. الخباء: من الأبنية يكون من وبر أو صوف أو شعر. سبتهم: أسرّتهم.
- (٢١) فتنوا بالشيء: أعجبوا به. العذيب والسفح والجزع ووادي العقيق والصمان: أماكن ببلاد العرب.
- (٢٢) ابن سنان: هو هرم بن سنان كان جوادًا كريمًا أولع بمدحه زهير بن أبي سلمى، وزهير شاعر جاهلي أجاد الحكمة مع الصدق وعدم المبالغة والسهولة.

- (٢٣) الجمآن: اللؤلؤ واحده جمانة.
- (٢٤) بحوث: جمع بحث.
- (٢٥) يقنص: يصيد. الآبدات: الشاردات من الوحش. ماست: تبخترت. الربا: جمع ربة ما ارتفع من الأرض. الرعان: جمع رعن، أنف يتقدم الجبل.
- (٢٦) سارحات: مطلقات. الوشى: النقش. التطريز: نقش الثوب، القيعان: جمع قاع أرض سهلة مطمئنة.
- (٢٧) النبأة: الصوت الخفي.
- (٢٨) الإرسال: جمع رسل، القطيع من كل شيء. الأرسان: جمع رسن، الحبل.
- (٢٩) النفار: النفور والشروء.
- (٣٠) المرنان: ذات الرنين عند شد وترها.
- (٣١) الغيهب: الظلام.
- (٣٢) الأفعوان: ذكر الأفاعي.
- (٣٣) تجافيه: تبتعد عنه. تملي له: أي تمد له في أسباب الأمل.
- (٣٤) مرة في مدى يديه: أي في مقدوره. وأخرى ما له باقتناصهن يدان: أي ليس له قدرة على اقتناصهن.
- (٣٥) المجوف: من لا قلب له. فعال: أي فعل.
- (٣٦) ذلت: خضعت. الحران: مصدر حرنت الدابة فهي حرون (بابه نصر)، وهي الدابة التي إذا اشتد جريها وقفت.
- (٣٧) الليان: اللين والطاعة.
- (٣٨) زوائب الأغصان: ما تدلى منها.
- (٣٩) بنات الدنان: الخمر والدنان: جمع مفردة دن وعاء الخمر.
- (٤٠) القيان: جمع قينة الجارية المغنية.
- (٤١) أثار الغبار في وجه ميمون: سبقه، ويريد بميمون الأعشى، شاعر جاهلي كان العرب يتغنون بشعره، لم يمدح أحداً إلا رفعه، أراد الوفود على النبي ﷺ ولكنه مات قبل الوصول إليه. وفتى ذبيان: هو النابغة الذبياني، كان يضرب له قبة بعكاظ ليحكم بين الشعراء، مدح النعمان بن المنذر، وكان بارعاً في الوصف.
- (٤٢) جدة الصبا: جديده. الذرا: الظل والكنف. ريعان كل شيء: أوله وأفضله.
- (٤٣) طلابه: طلبه.

- (٤٤) قلائد العقيان: أي قلائد الذهب.
- (٤٥) الشنآن: البغض والكراهة.
- (٤٦) البنان: الأصابع أو أطرافها. الفتيل: السحاة التي في شق النواة، والمراد الشيء القليل جدًا.
- (٤٧) الأواصر: جمع آصرة ويراد بها الصلة. الأضغان: جمع ضغن الحقد.
- (٤٨) المهيع: الطريق.
- (٤٩) الهتان: الكثير الانصباب.
- (٥٠) الصنيعة: المعروف والمنة.
- (٥١) طارق الحدثان: ما يصيب من نوب الدهر.
- (٥٢) المنة: العطية.
- (٥٣) المجاني: جمع مجنى ما يجنى. حلمي: هو محمد حلمي عيسى باشا وزير المعارف في ذلك الوقت.
- (٥٤) أصالة الرأي: قوته وثباته.
- (٥٥) يزهى: يفتخر.
- (٥٦) بث الحياة: نشرها.

ضِحْكُ الْقَدَرِ

قال الشاعر هذه الأبيات سنة ١٩١٠م حينما كان طالبًا بإنجلترا، وقد زار «لندن» في فصل الشتاء، ومن العجيب بها أن الضباب يتكاثف أحيانًا فيحجب الأضواء، ويجعل المدينة في ظلام دامس، وحينئذ يحار المبصر ويضل الطريق، وقد يهدي العمي المبصرين في هذه الحالة لاعتيادهم الضرب في الأرض على أي حال.

أَبْصَرْتُ أَعْمَى فِي الضَّبَابِ بِلَنْدُنْ	يَمْشِي فَلَا يَشْكُو وَلَا يَتَأَوُّهُ
فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ الْهَدَايَةَ مُبْصِرٌ	حَيْرَانٌ يَخْبِطُ فِي الظَّلَامِ وَيَعْمَهُ ^١
فَاقْتَادَهُ الْأَعْمَى فَسَارَ وَرَاءَهُ	أَنْنَى تَوَجَّهَ خَطُوهُ يَتَوَجَّهَ
وَهُنَا بَدَا الْقَدَرُ الْمُعْرِبُ ضَاحِكًا	وَمَضَى الضَّبَابُ وَلَا يَزَالُ يُقَهِّقُهُ!

هوامش

(١) يخبط الأرض في الظلام: يسير فيها على غير هدى. يعمه: يتحير ويتردد.

الجامعة المصرية

ألقيت في احتفال علمي رائع في سنة ١٩٣٢م، احتفالاً بافتتاح الجامعة المصرية.

وَنَادَيْتُ شِعْرِي أَنْ يُجِيبَ فِغْرَدَا
يُجَمِّلُ عَصْرًا كَالشَّبَابِ مُجَدِّدَا^١
يَقْصُ عَلَى الْأَجْيَالِ مَجْدًا مُخَلَّدَا
ولولا «فؤاد» ما غَذَا النَّيْلُ مُنْشَدَا^٢
وَقِيَعَانُهُ أَمَسَتْ بِمَسْعَاهِ عَسْجَدَا^٣
صَمِيمًا، وَأَوَّلَى مِصْرَ عِزًّا وَسُودَّدا
مِنَ الْبَيْضِ، حَتَّى خَافَ أَنْ يَتَجَرَّدَا
عَلَى مُدْلَهَمِ الْخَطْبِ حَتَّى تَبَدَّدَا
فَأَبْصَرْتُ فِيهِ الْمَجْدَ وَالنُّبْلَ وَالنَّدَى
تُطَالِعُهَا زُهْرُ الْكَوَاكِبِ حُسَّدا؟^٤
إِلَى أَنْ غَدَتْ أَرْضُ الْكِنَانَةِ مَعْهَدَا!

دَعَوْتُ بَيَانِي أَنْ يَفِيضَ فَأَسْعَدَا
وَأَبْدَعْتُ نَظْمًا كَالرَّبِّيعِ مَفُوقَا
وَمَا الشُّعْرُ إِلَّا تَرْجُمانُ مُخَلَّدَا
فَلَوْلَا السَّجَايَا الْغُرُّ مَا قَالَ قَائِلُ
فَسَلِّسَالُهُ أَضْحَى بِنِعْمَاهُ كَوْثَرَا
مَلِيكَ حَبْتِهِ مِصْرَ مَحْضَ وَلَائِهَا
أَصَالَةُ عَزْمٍ أَخْجَلَتْ كُلَّ صَارِمٍ
وَرَأَيْ كَوَجِّهِ الصُّبْحِ مَا ذَرَّ نُورَهُ
وَوَجَّهَ كَأَنوَارِ الْيَقِينِ رَأْيَتُهُ
أَلَمْ يُعَلِّ صَرْخَ الْعِلْمِ شُمًّا قِبَابَهُ
فَمِنْ مَعْهَدٍ يُبْنَى عَلَى إِثْرِ مَعْهَدٍ

* * *

حَدِيثًا بِأُذُنِ الشَّرْقِ حُلُومًا مُرَدِّدَا
وَتَصَقُّلُهُ صَقْلَ الْقِيُونِ الْمُهَنْدَا^٦
وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ الْجَلِيلَ تَزَوَّدَا
بَعِيدَةً مَدَّ الظِّلِّ فَيَا حَاحَةَ الْمَدَى

رُهِينَا عَلَى الدُّنْيَا بِجَامِعَةٍ غَدَتْ
تَرْدُ الشَّبَابَ الْغَضَّ حَزْمًا وَجُحْمَةً
تَزَوَّدُهُ التَّوْفِيقَ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ
غَدَتْ دَوْحَةً فَيَنَانَةُ حُلُومِ الْجَنَى

وهذا هو الغصن الذي كان أملاًدا^٧
غزار إلى أن يبصر الزرع أخصدا^٨
وعين ترى في يومها ما ترى غدا
دراكاً، ويمضي للمحامد مضعدا^٩
ويبلغ شأواً يعجز الجمع مفردا
ويبدل حتى يدهش الجود والجدا^{١٠}
وينصر دين الحق والنور والهدى^{١١}
دعاه هوى مصر فجدد مقصدا^{١٢}
ولا فارقت يوماً براعته اليد
أديب إذا ما أرسل الفكر سدا^{١٣}
بمصر ظمأ كان حرقها الصدى^{١٤}
حقيق بما أسديت يتلو مجلدا
بأثار مجد ينتمين لأحمدا
رفيعاً، فقد أرسى الأساس ووطدا
إليك يسوقون الشناء المنصدا^{١٥}
ضخاماً على آثار فضلك شهدا
جهاًب أهل الأرض منى وموحدا^{١٦}
إلى العلم إلا صار سهلاً معبدا
فلم تجد الآمال إلاك معقدا
تحوم عطاش الطير أبصرن مؤردا^{١٧}
فأمالهم في أن تعيش وتسعدا^{١٨}
ودام من الله العزيز مؤيدا^{١٩}

غرست وهذا فضل ما قد غرسته
تعهدته كالزارع الطب نومه
بكف من الإحسان والرفق صورت
كذاك ابن إسماعيل ينتهب المنى
ويدرك ما يعيي الجحافل وحده
ويسعى إلى أن يذهل النجم سعيه
ويرقب رب العرش فيما يريده
إذا ما انتهى من مقصد لأن صعبه
رؤيدك أجهدت المؤرخ! ما ونى
هرزت إلى التأليف كل مبرز
ففاضت بجدوك العقول وبلكت
ففي كل يوم للعلوم مجلد
سلوا مكتبات العلم تنطق كتبها
ومن بين فوق العلم والعدل ملكه
بهزت رجال العلم في الغرب فأنثوا
وأولوك ألقاباً نواصع كالضحا
وأصبحت رمزاً عالمياً سعت له
فخاراً أبا الفاروق لم يبق منهج
تطلعت الآمال شرقاً ومغرباً
وحامت قلوب الشعب حولك مثلما
فعيش لبني مصر غياتاً ورحمة
وعاش ولي العهد قرة أعين

هوامش

- (١) مفوقاً: فيه خطوط بيض.
- (٢) السجاية: جمع سجية وهي الخلق. الغر: جمع غراء أي: بيضاء.
- (٣) السلسال: الماء العذب. النعمى: اليد البيضاء الصالحة. الكوثر: نهر في الجنة يتفجر منه جميع أنهارها. القيعان: جمع قاع وهو الأرض المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام. العسجد: الذهب.

- (٤) ذر: طلع وأشرق. الخطب: الأمر. المدلهم: الشديد الظلمة.
- (٥) الصرح: البناء العالي. شُمًا: جمع شماء أي: مرتفعة. زهر: جمع أزهر وهو المتلألئ.
- (٦) ترد: تصير. الغض: الناصر. الحزم: ضبط الأمور والأخذ فيها بالثقة. الحكمة: العلم بحقائق الأشياء. تصقله: تجلوه. القيون: جمع قين وهو الحداد وصانع السيوف. المهند: السيف المشحوذ.
- (٧) الأملد: من الغصون الناعم اللين.
- (٨) الطب: الماهر الحاذق بعمله. الغرار: القليل. أحصد: أي حان أن يحصد.
- (٩) المنى: جمع منية. وهي الأمنية. الدراك: اللحاق السريع. المحامد: جمع محمدة وهي الخصلة يحمد عليها. مصعدًا: اسم فاعل من أصدع في الأرض إذا مضى. والمراد المضي في ارتفاع.
- (١٠) يذهل: يدهش. الجدا: العطية.
- (١١) رب العرش: الله سبحانه وتعالى. يرقب أي: ينتظر جزاءه وثوابه فيما يعمل.
- (١٢) مقصد: مطلب من مطالب الخير للبلاد.
- (١٣) هززت: حركت ونشطت. المبرز: من يفوق أصحابه فضلًا.
- (١٤) الصدى: العطش. الجود: العطية. الظماء: جمع ظمآن وهو العطشان.
- (١٥) المنضد: ما كان بعضه فوق بعض.
- (١٦) الجهابذ: جمع جهبذ بالكسر وهو النقاد الخير.
- (١٧) المورد: مكان الماء. حام الطير على الشيء: دوم.
- (١٨) غياث: إغاثة ومعونة.
- (١٩) قرة أعين: من قرت العين تقر بالكسر والفتح قرة بالفتح والضم بردت وانقطع بكائها أو رأت ما كانت متشوقة إليه. والقرة: ما قرت به العين.

العروبة

ألقيت هذه القصيدة بمؤتمر الثقافة العربي الأول، والذي أقامته جامعة الدول العربية ببلبنان عام ١٩٤٧م.

الأرضُ مسكٌ، وهمسُ الدوحِ الحانُ^١
وهل رفاقُ شبابي مثلكم كانوا؟
طوت بساط لياليهنَّ أزمان
كما تنبّه بعد الحُلُمِ وسنان^٢
فهل لشرخِ الصبا واللهو رجعان؟^٣
بعد الشبابِ، ولا الريحانُ ريحانُ^٤
وصوّحت بعد طول الزهو أفنانُ؟^٥
وغادرت ضاحك النُّوارِ غدرانُ؟^٦
إلى قدودِ العذارى وهو حيرانُ^٧
فيا لدهشته لما مشى البانُ^٨
ومن مجانيه تَفَاحٍ ورمّانُ^٩
سَرَبَ الشفاه الحيارى وهو ظمانُ؟^{١٠}
به السبيلُ، فعذرًا فهو نشوانُ^{١١}
من الأصائل أطيافُ وألوانُ^{١٢}
وأن نظرتها البهماء شيطانُ^{١٣}

لُبنانُ روضُ الهوى والفنُّ لُبنانُ
هل الجِسانُ على العهدِ الذي زعمت؟
أين الصبا؟ أين أوتاري وبهجتها؟
أرنو لها اليومَ والذكرى تُورّقني
هَبْنِي رجعتُ إلى الأوتارِ رنّتها
لا الكأسُ كأسٌ إذا طاف الحبابُ بها
ما للخميلة؟ هل طارت بلابلها
وهل رياضُ الهوى ولّت بشاشتها
كم مدّ غصنٌ بها عينًا مشرّدةً
لقد رأى البانُ لا تسعَى به قدمُ
غيدٌ لها من شذى لُبنانٍ نفحته
من نَبْعِهِ خُلِقَتْ، ما بالها صرفتُ
عينان أسكرتا شعري فإن عثرتُ
وطلعةٌ كخدود الزهرِ غازلها
من الملائك إلا أنها بشرٌ

* * *

لله أيامنا الأولى التي سلفت
والحبُّ كالطير رَقَافٌ على فَنَنْ
هيمنُ والماءُ في لُبْنانَ عن كَثِبٍ
بدت له جارةُ الوادي الخصبِ ضَحًا
فأرسل العينَ في صمِتٍ بلاغتهُ
وللعُيون أحاديثُ بلا كَلِم
والحبُّ سرٌّ من الفِرْدوسِ نَبَعْتُهُ
رنا لها فتمادتُ في تدلُّها
وغطَّت الوجةَ بالمِندِيلِ في خَفَرٍ
وأعرضتُ وإباءَ الغِيدِ لُعْبَتُها
إنَّ العذارى — حماك الله — أَحْيِيَّةُ
هَزَزْتُ أوتارَ شعري حول شُرْفَتِها
شعُرٌ من الله تلحينًا وتهيئةً
إذا شدا أنصتتُ أذنُ الوجودِ له
شدا لها فرأى ليلَ الهوى عَجَبًا
رَيَّا حوتَ فتنةِ الدنيا غلائلُها
لانتُ لشعري كما لانتُ معاطفُها
فتنتُها حينما همَّت لتفتِنني
سلاحُها لحظُّها الماضي وأسلحتي
كان الشبابُ شفيعي في نضارتهِ
ماذا إذا لمحتني اليومَ في كِبَري
طويتُ من صَفَحَاتِ الدهرِ أكثرَها
إني كتابٌ إلى الأجيالِ تقرؤه

وللصبايةِ مَيِّدانُ وَمَيِّدانُ^{١٤}
له إلى الإلفِ تغريدُ وَتَحْنانُ^{١٥}
لكنَّه بسوى الأمواهِ هيمنُ^{١٦}
كلُّ الأحبةِ في لُبْنانَ جيرانُ
بكلُّ ما قاله في دنياه سَحبانُ^{١٧}
وكم لها في الهوى شرْحُ وتبيانُ
وخيرُ ما يحفظُ الأسرارَ كتمانُ^{١٨}
العينُ غاضبةٌ، والقلبُ جذلانُ^{١٩}
كما توارى وراءَ الشكِّ إيمانُ^{٢٠}
فكلُّما اشتدَّ غُنْفًا فهو إذعانُ^{٢١}
بها النفورُ رضاءُ، والحقُّ نُكرانُ^{٢٢}
كما ترنَّم بالأسحارِ رُعيانُ
لا النَّايَ نايً، ولا العِيدانَ عِيدانُ
وللوجودِ كما للناسِ أذانُ
ولهى يجاذبُها الأشواقُ ولهانُ
يضمُّها شاعرٌ للعِيدِ صَدَيانُ^{٢٣}
والشعرُ سحرٌ له بحرٌ وأوزانُ^{٢٤}
والشعرُ للخفراءِ البيضِ فَنانُ^{٢٥}
فَنٌ يجرُّه للغزو فَنانُ^{٢٦}
الزهرُ مؤتلقٌ، والعودُ فينانُ^{٢٧}
وملءُ بُرْدَيَّ أسقامُ وأشجانُ؟^{٢٨}
وعرَّقَتني تصاريِفُ وِجْدانُ^{٢٩}
له التغنيُّ بمجدِ العُربِ عنوانُ

* * *

مَجْدٌ على الدهرِ مذ كانت أوائلُهِ ودولةُ لبني الفُصْحى وسُلطانُ

صَوَارِمُ رِيْعَتِ الدنْيَا لَوَثِبَتْهَا
النَّاسُ عِنْدَهُمْ أَبْنَاءُ وَاحِدَةٍ
تَرَكَضُوا فَوْقَ خَيْلٍ مِنْ عِزَائِمِهِمْ
وَكَلِمًا هَدَمُوا لِلشَّرِكِ بَاذِخَةً
فِي السَّلْمِ إِنْ حَكَمُوا كَانُوا مَلَأْتُكَ
أَقْلَامُهُمْ سَايَرَتْ أَسْيَافَ صَوْلَتِهِمْ
فَأَيْنَ مِنْ شَرِّعِهِمْ رُومًا وَمَا تَرَكَتْ؟
كَانُوا أَسَاتِذَةَ الْآفَاقِ كَمْ نَهَلَتْ
كَانُوا يَدًا ضَمَّتْ الدُّنْيَا أَصَابِعُهَا

وَحُطِّمَتْ صَوَلْجَانَاتُ وَتِجَانِ ٢٠
فَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ سَادَاتُ وَعُبدَانِ ٢١
لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ أَسْيَافُ وَخُرْصَانِ ٢٢
أَقِيمِ لِلدِّينِ وَالْقِسْطِ بُنْيَانِ ٢٣
وَفِي لَظَى الْحَرْبِ تَحْتَ النَّقْعِ جِنَانِ ٢٤
لِلسَّيْفِ فَتْحٌ، وَلِلْأَقْلَامِ عِرْفَانِ ٢٥
وَأَيْنَ مِنْ عِلْمِهِمْ فُرْسٌ وَيُونَانِ؟ ٢٦
مَنْ فِيضُهُمْ أَمٌّ ظَمَأَى وَبُلْدَانِ ٢٧
فَفَرَّقَتْهَا حَزَازَاتُ وَأَضْغَانِ

* * *

تَنْمَرَ الْغَرْبُ وَاحْمَرَّتْ مَخَالِبُهُ
ثَارَاتُ طَارِقِ الْأُولَى تُورِّقُهُمْ
تَيْقِظُ اللَّيْثُ لَيْثُ الشَّرْقِ مُحْتَدِمًا
غَضِبَانِ رَدَّ إِلَى الْيَافُوحِ عُفْرَتَهُ
لَقَدْ حَمَيْنَا أَبَاةَ الضَّيْمِ حَوَزَتَنَا

وَأَرْهَفَتْ نَابَهَا لِلْفَتكِ ذُوبَانِ ٢٨
وَمَا لَمَا تَتْرُكُ الثَّارَاتُ نَسِيَانِ ٢٩
فَارْتَجَّ مِنْهُ الشَّرَى وَاهْتَزَّ خَفَّانِ ٤٠
وَمَنْ يَصَاوُلُ لَيْثًا وَهُوَ غَضْبَانِ؟ ٤١
مَنْ أَنْ تُبَاحَ، وَدِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا ٤٢

* * *

بَنِي الْعَرُوبَةِ إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُنَا
لَنَا بِهَا وَطَنٌ حَرٌّ نَلُودُ بِهِ
غَدَا الصَّلِيبُ هَلَالًا فِي تَوْجِدِنَا
وَلَمْ نَبَالِ فُرُوقًا شَتَّتَتْ أُمَمًا
أَوَاصِرُ الدِّمِّ وَالتَّارِيخِ تَجْمَعُنَا

فَلَا يَفْرُقُنَا فِي الْأَرْضِ إِنْسَانِ
إِذَا تَنَاءَتْ مَسَافَاتُ وَأَوْطَانِ
وَجَمَعَ الْقَوْمَ إِنْجِيلٌ وَقُرْآنِ
عَدْنَانُ غَسَّانُ أَوْ غَسَّانُ عَدْنَانِ ٤٣
وَكُلُّنَا فِي رِحَابِ الشَّرْقِ إِخْوَانِ

* * *

قَلْبِي وَفِيضُ دُمُوعِي كُلَّمَا خَطَرْتُ
لَقَدْ أَعَادَ بِهَا التَّارِيخُ أَنْدُلُسًا
مِيرَاثُنَا فِي فَتَى حِطِّينَ أَيْنَ مَضَى؟

نَكَرَى فَلَسْطِينِ خَفَّاقٌ وَهَتَّانِ
أُخْرَى، وَطَافَ بِهَا لِلشَّرِّ طُوفَانِ
وَهَلْ نَهَايَتُنَا يُتَمُّ وَحِرْمَانِ؟ ٤٤

رَدُّوا تَرَاثَ أَبِينَا مَا لَكُمْ صَلَّةٌ
مَصِيبَةٌ بِرِمِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ بِهَا
بَنِي فَلَسْطِينَ كُونُوا أُمَّةً وَيَدًا
وَكَيْفَ يَأْمَنُ رُعِيَانُ وَإِنْ جَاهِدُوا
بِهِ، وَلَا لَكُمْ فِي أَمْرِنَا شَانُ
وَعَزَّ فِيهَا عَلَى السُّلُوفِ سُلُوفَانُ
قَدْ يَخْتَفِي فِي ظِلَالِ الْوَرْدِ ثُعْبَانُ
إِذَا تَرَدَّى ثِيَابَ الشَّاءِ سَرْحَانُ؟^{٤٥}

* * *

ومصرُ والنيلُ ماذا اليومَ خطبُهما؟
كَنَانُهُ اللَّهُ حَصْنُ الشَّرْقِ تَحْرُسُهُ
أَبْوًا عَلَى الْقَسْرِ أَنْ يَرْضَوْا مَعَاهِدَةً
وَكَمْ مَشَوْا لِلْقَاءِ الْمَوْتِ فِي جَذَلٍ
لِكُلِّ جَسْمٍ شَرَايِينَ يَعِيشُ بِهَا
فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ النَّيْلِ رُكْبَانُ
شَيْبٌ خِفَافٌ إِلَى الْجُلَى وَشَبَّانُ^{٤٦}
بِكُلِّ حَرْفٍ بِهَا قَيْدٌ وَسَجَّانُ^{٤٧}
وَالْمَوْتُ مِنْكُمْشُ الْأُفْطَارِ خَزْيَانُ^{٤٨}
وَمَصْرُ لِلشَّرْقِ وَالْإِسْلَامِ شَرِيَانُ

* * *

بَنِي الْعَرُوبَةِ مُدَّوَا لِلْعُلُومِ يَدًا
جَمْعُهُمْ لَشَبَابِ الشَّرْقِ مُؤْتَمَرًا
فَقَرَّبُوا نَهْجَهُمْ فَالْرُوحُ وَاحِدَةٌ
لَا تَبْتَغُوا غَيْرَ إِتْقَانٍ وَتَجْرِبَةٍ
وَحَبَّبُوا لُغَةَ الْعَرَبِ الْفَصَاحَ لَهُمْ
قَوْلُوا لَهُمْ: إِنَّهَا عُنْوَانُ وَحَدَّثَهُمْ
وَكَمَّلُوهُمْ بِأَخْلَاقٍ وَمَرْحَمَةٍ
فَلَنْ تُقَامَ بِغَيْرِ الْعِلْمِ أَرْكَانُ
بِمِثْلِهِ تَزْدَهِي الْفَصْحَى وَتَزْدَانُ
وَكُلُّهُمْ فِي مَجَالِ السَّبْقِ أَقْرَانُ
فَقِيَمَةُ النَّاسِ تَجْرِبٌ وَإِتْقَانُ
فَإِنَّ خِذْلَانَهَا لِلشَّرْقِ خِذْلَانُ
وَأَعْوَانُ حَوْلَهَا جَنْدٌ وَأَعْوَانُ
فَإِنَّمَا الْمَرْءُ أَخْلَاقٌ وَوُجْدَانُ

هوامش

- (١) مسك: طيب له رائحة ذكية. همس الدوح: حفيف الأشجار الخافت.
- (٢) أَرْنُو: أنظر وسمان: نعسان.
- (٣) شرح الصبا: أوله. رجعان: رجوع وعودة.
- (٤) الحباب: هو ما يعلو الكأس من فقاعات.
- (٥) صوحت: جفت.
- (٦) ولت: مضت وذُهِبَتْ. بشاشتها: فرحتها وابتسامتها. غدران: جمع غدير.

- (٧) مشردة: تائهة. قدود: قوام.
- (٨) البان: غصن الشجرة الطري.
- (٩) شذا: الرائحة الذكية النفاذة. نفحته: رائحته. مجانيه: حصاده.
- (١٠) نبعه: أصله. سرب: جماعة.
- (١١) عثرت: سقطت وكبت. نشوان: فرحان متمايل.
- (١٢) طلعة: رؤية وجهه. أصائل: جمع أصيل وهو الوقت من بعد العصر إلى غروب الشمس. أطياف: أخيلة.
- (١٣) البهماء: المبهمة.
- (١٤) سلفت: مضت. الصبابة: رقة الشوق وحرارته.
- (١٥) رفاف: متحرك مرفرف. فنن: غصن. الألف: الأليف المحبوب.
- (١٦) هيمان: هائم عطشان. كئب: قرب.
- (١٧) سحبان: هو سحبان بن وائل خطيب العرب وضرب به المثل في الفصاحة.
- (١٨) نبعته: أصله.
- (١٩) رنا: نظر بطرف عينه. جذلان: فرحان.
- (٢٠) خفر: شدة الحياء. توارى: استتر واختفى.
- (٢١) إذعان: خضوع.
- (٢٢) أحجية: ألغاز. النفور: البعد والجفاء.
- (٢٣) ريا: بمعنى ناعمة. غلائلها: الملابس الشفافة الرقيقة. صديان: عطشان.
- (٢٤) لانت: رقت وأطاعت. معاطفها: جوانبها.
- (٢٥) فتننتها: سحرتها. الخفرات: شديدي الحياء.
- (٢٦) لحظها: النظر بمؤخرة العين. يجرده: يجرد السيف من غمده أي: يخرجها.
- (٢٧) فينان: الحسن الطويل.
- (٢٨) بردي: البرد كساء أسود تلبسه العرب.
- (٢٩) عرقنتي: بمعنى أجهدتني. تصارييف: نوائب ومكاره. حدثان: أحداث.
- (٣٠) صوارم: قواطع. ريعت: فزعت. صولجانان: جمع صولجان وهو عصاة الملك.
- (٣١) عبدان: عبيد.
- (٣٢) تراكضوا: أسرعوا في العدو. خرصان: الرماح.
- (٣٣) الشرك: الكفر. باذخة: عالية. القسطاس: العدل.

- (٣٤) لظى: نار ملتهبة. النقع: الغبار. جنان: من الجن.
- (٣٥) صولتهم: الشجاعة والإقدام.
- (٣٦) شرعهم: منهجهم وطريقتهم.
- (٣٧) الآفاق: النواحي. نهلت: أخذت وشربت. فيضهم: عطائهم.
- (٣٨) نؤبان: نئاب.
- (٣٩) طارق: هو طارق بن زياد الفاتح العربي المشهور.
- (٤٠) محتدماً: هائجاً غاضباً. ارتج: اهتز. الشرى: طريق كثير الأسود. خفان: الملك.
- (٤١) اليافوخ: المخ. عفرتة: بمعنى لبدة الأسد. يصول: يهاجم.
- (٤٢) أباة الضيم: الذين لا يرضون بالذل والهوان. حوزتنا: بلادنا.
- (٤٣) عدنان: من آباء العرب وأطلق اسمه على العدنانيين نسبة إليه. غسان: أبو العرب الغساسنة ويدينون بالمسيحية.
- (٤٤) فتى حطين: هو القائد العربي الشهير صلاح الدين الأيوبي المنتصر في معركة حطين.
- (٤٥) رعيان: رعاة. تردى: لبس. الشاء: الكثير من الغنم. سرحان: الذئب.
- (٤٦) كنانة الله: المقصود «مصر». شيب: بيض الشعر. خفاف إلى الجلى: يهرعون في خفة وسرعة إلى ميدان القتال.
- (٤٧) أبوا: رفضوا. القسر: الإكراه على الأمر. معاهدة: المقصود معاهدة سنة ١٩٣٦ التي كانت مبرمة بين مصر وإنجلترا.
- (٤٨) جذل: فرح. منكمش الأظفار: أظفاره غير طويلة لا يستطيع أن ينشبها في ضحاياه. خزيان: مستح وخجلان.

أفول نجمين

في ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٣٣م غادر سرب الطائرات الحربية المصرية إنجلترا قاصداً إلى مصر، وفيما كان السرب طائراً في سماء فرنسا سقطت إحدى طائراته محترقة في بلدة «مونشو سورننج»، واحترق طياراها المرحومان «فؤاد حجاج» و«شهدي دوس»، وبذلك أفل نسران من نصور مصر، وفقدت وهي في مستهل نهضتها شابين من خيرة شبابها جرأةً وشهامةً وإقداماً.

وهكذا أبى القدر إلا أن يكون لمصر ذات التاريخ المجيد أثر جليل خالد في هذا الميدان الفسيح، الذي احتسبت فيه الأمم المتمدينة الألوف من أبنائها؛ لتسخير الريح وتدليل الهواء في سبيل العز والمنعة والحضارة والفخار.

وفي هذه القصيدة يصور الشاعر هذا الحادث الجلل، ويصف وقعه وأثاره:

جَمَعَ الشُّجُونِ وَبَدَّدَ الْأَحْلَامَا	خَطَبُ أَنْأَخَ بَكْلُكِلٍ وَأَقَامَا ^١
أَخْلَى الْكِنَانَةَ مِنْ أَمْرِ سَهَامِهَا	عُودًا، وَرَاعَ النِّيلَ وَالْأَهْرَامَا ^٢
وَعَدَا عَلَى رَوْضِ الشَّبَابِ وَظَلَّهُ	فَغَدَا بِهِ رَوْضُ الشَّبَابِ حُطَامَا
غُصْنَانِ، هَزَّهُمَا الصَّبَا فَتَمَايَلَا	وَسَقَاهُمَا الْأَمَلُ الرَّوِّي جِمَامَا ^٣
نَجْمَانِ، غَالَهُمَا الزَّمَانُ فَأَصْبَحَا	بَعْدَ التَّلَاقِ وَالسُّطُوعِ رُكَامَا ^٤
نَسْرَانِ، لَوْ رَضِيَ الْقَضَاءُ لَحَلَقَا	دَهْرًا، عَلَى أَفْقِ الدِّيَارِ وَحَامَا

* * *

ابْكِ الشَّبَابَ الْغَضَّ فِي رَيْعَانِهِ وَأَفْضُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّمُوعِ سَجَامَا^٥

وَأَنْتَ أَزَاهِيرًا عَلَى الزَّهْرِ الَّذِي
وَابَعْتُ أَنْيْكَ لِلْسَّحَابِ شَكَايَةَ
لَهْفِي عَلَى أَمَلٍ مَضَى فِي لَمَحَةٍ
لَمْ نَشْكُرِ الْيَّامَ عِنْدَ بَرِيْقِهِ
كَانَتْ لَهُ كُلُّ الْقُلُوبِ كِمَامًا^٦
فِيْلَامَ تَحْتَبِسُ الْأَيْنِ إِلَامًا؟
لَوْ دَامَ فِي الدُّنْيَا السُّرُورُ لَدَامَا!
حَتَّى أَخَذْنَا نَشْتَكِي الْيَّامَا
حَتَّى رَأَتْ ذَلِكَ الشَّعَاعُ ظَلَامَا

* * *

حَجَّاجُ! لَاقَيْتَ الْيَقِينَ مُكَافِحًا
رَكِبَا الْهَوَاءَ، وَكُلُّ نَفْسٍ لَوْ دَرَتْ
وَالْمَوْتُ يَلْقَى الْأَسَدَ فِي عَرِيْسِهَا
لَا الدَّرْعُ تُصْبِحُ حِينَ تَنْطِشُ كَفَّهُ
رَكِبْنَا جَمُوحَ الْجَوِّ يَلُوي رَأْسَهُ
فِي عَاصِفَاتٍ لَمْ تُزْعَرْ مِنْهُمَا
وَالْجَوُّ أَكْلَفُ، وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ
وَالْمَوْتُ يَخْفُقُ فِي جَنَاحِي جَارِحٍ
بَسَمًا إِلَى الْخُطْبِ الْعُيُوسِ، وَإِنَّمَا
لَهْفِي عَلَى الْبَطْلَيْنِ غَالَهُمَا الرَّدَى
وَالْمَوْتُ تَحْتَهُمَا يَصُولُ مُخَاتِلًا
ثَبَّتَا لِحُكْمِ اللَّهِ — جَلَّ جَلَالُهُ —
وَالسَّيْفُ أَكْثَرُ مَا يُلَاقِي حَتْفَهُ
قَدْ يُنْسَى الْمَوْتُ النِّمَالَ بِجُحْرِهَا
يَا هَوْلَهَا مِنْ لَحْظَةٍ لَا نَارَهَا
هَلْ أَخْطَرَا فِيهَا عَلَى بَالِيْهِمَا
وَالْمَوْطِنَ الصَّدْيَانِ يَرْقُبُ عَوْدَةَ
أَتَقَاسَمَا فِيهَا الْوَدَاعَ بِلَفْظَةٍ
هَلْ فَكَّرَا فِي الْأُمِّ تَنْدُبَ حَظُّهَا
إِنَّ السَّلَامَةَ قَدْ تَكُونُ مَذَلَّةً
وَالْمِرَّةُ يَلْقَى بِاخْتِيَارٍ كُلِّيْهِمَا

بَطْلًا، وَيَا شُهْدِي! قَضَيْتَ هُمَامَا
غَرَضُ تَنَازَعُهُ الْمَنُونُ سِهَامَا
وَيَغُولُ حَوْلَ كِنَاسِهَا الْآرَامَا^٧
بِرْعَا، وَلَا السَّيْفُ الْحُسَامُ حُسَامَا
كِبْرًا، وَيَأْنِفُ أَنْ يُنِيلَ زَمَامَا
عَزْمًا كَحَدِّ السَّيْفِ أَوْ إِقْدَامَا
وَاللَّيْلُ دَاجٍ، وَالْخُطُوبُ تَرَامَى^٨
مَلَأَ الْفَضَاءَ شَرَاسَةً وَعُزَامَا^٩
يَلْقَى الْكَمِيَّ قَضَاءَهُ بَسَامَا^{١٠}
لَمْ يَمْلِكَا دَفْعًا وَلَا إِحْجَامَا!^{١١}
وَالْمَوْتُ فَوْقَهُمَا يَحُومُ زُؤَامَا^{١٢}
وَالْخُطْبُ يَلْقَاهُ الْكِزَامُ كِرَامَا
يَوْمَ الْكَرِيْهَةِ صَارِمًا صَمْمَامَا^{١٣}
وَيَغُولُ فِي آجَامِهِ الضَّرْغَامَا^{١٤}
بَرْدًا، وَلَا كَانَ اللَّهِيْبُ سَلَامَا
النَّيْلُ وَالْأَبَاءُ وَالْأَعْمَامَا؟
وَيْلَاهُ! قَدْ عَادَا إِلَيْهِ رَمَامَا^{١٥}
أَمْ لَمْ تَدْعُ لَهُمَا الْمَنُونُ كَلَامَا
وَالزَّوْجُ تُسَكِّتُ وَالْهَيْنُ يَتَامَى^{١٦}
وَيَكُونُ إِقْدَامُ الْجَرِيءِ حِمَامَا^{١٧}
حَمْدًا يُحْلِقُ بِاسْمِهِ أَوْ ذَامَا^{١٨}

وَالْمَجْدُ يَعْتَدُ الْحَيَاةَ قَصِيرَةً وَيَرَى فَنَاءَ الْخَالِدِينَ دَوَامًا! ١٩

هوامش

- (١) أناخ: برك. والكلكل: الصدر. أقام: استمر.
- (٢) الكنانة: جعبة تجمع فيها السهام.
- (٣) الروى: البالغ غاية الري. الجمام: جمع جم (بالفتح) وهو معظم الماء والكثير منه.
- (٤) غالهما: أهلكهما. التآلق: اللمعان والإضاءة. السطوع: الانتشار. وأصبحا ركامًا، أي: قطعًا متراكمة بعضها فوق بعض.
- (٥) سجامًا: كثيرًا.
- (٦) الكمام: جمع كم (بالكسر) وهو وعاء الطلع وغطاء النور.
- (٧) العريس: مأوى الأسد. يغولها: يأخذها من حيث لا تدري ويهلكها. الكناس: بيت الظبي في الشجر يستتر فيه. سمي كذلك؛ لأنه يكنس الرمل حتى يصل إليه. الآرام: الظباء الخالصة البياض، الواحد رثم.
- (٨) أكلف: مغبر مدلهم. مريضة. أي: غير صاحبة ولا صافية. الليل داج: أي قد غامت سماؤه وخفيت نجومه. ترامى: تتراعى.
- (٩) الجارح: المفترس من الطير. الشراسة: الشدة والأذى. العرام: الحدة والشدة.
- (١٠) العبوس: المقطب. الخطب إذا اشتد وصف بالعبوس. الكمي: الشجاع.
- (١١) الردى: الهلاك. إحجامًا أي: رجوعًا وانصرافًا. غالهما: ذهب بهما.
- (١٢) يصول: يثب ويعدو. المخاتلة: الخداع عن غفلة. يحوم: يحلق مطيقًا بهما. الزؤام من الموت: الكريه المجهز.
- (١٣) الكريهة: الحرب وشدتها. الصارم الصمصام: السيف القاطع الصلب.
- (١٤) ينسى: يهمل ويؤجل. يغول: يهلك. الآجام: الشجر الكثيف الملتف، الواحدة: أجمة. يتخذها الأسد مأوى له. الضرغام: الأسد.
- (١٥) الصديان، أي: المتعطش لها. الرمام: جمع رمة، وهي ما تفتت من العظام. يريد رفاتهما.
- (١٦) تندب حظها: تبكيه. ووالهين، أي: أطفالاً روعهم الحزن ففزعوا إلى أمهم.

(١٧) الحمام: الموت.

(١٨) كليهما، أي: السلامة والإقدام. ويخلق باسمه، أي: يرفع ويذيع شهرته، مأخوذ من تحليق الطائر وهو ارتفاعه في طيرانه. الذاام: العيب.

(١٩) يعتد: يعد. الخالدون: أي ذوو الأعمال الخالدة.

من شاعرٍ إلى شاعرٍ

حينما توافد أدباء الأقطار العربية لتكريم المرحوم أحمد شوقي بك في سنة ١٩٢٧م،
وتوليته إمارة الشعر حيّا الشاعر صديقه بهذه القصيدة:

وَقَفْتَ تُجَدِّدُ آثَارَهَا	وَتُنَشِّرُ لِلْعُرْبِ أَشْعَارَهَا ^١
وَتَرْجِعُ بَعْدَ الْفَنَاءِ	تُحَدِّثُ لِلنَّاسِ أَخْبَارَهَا ^٢
وَتُبْعَثُ حَسَّانَ مِنْ رَمْسِهِ	وَتُحْيِي عُكَاظَ وَسْمَارَهَا ^٣
بِشَعْرِ لَهُ نَبْرَاتٌ تَهْزُ	نِيَّاطَ الْقُلُوبِ وَأَوْتَارَهَا ^٤
أَطَاعَتْ قَوَافِيهِ بَعْدَ الشَّمْسِ	جَرِيءَ الْقَرِيحَةِ جَبَّارَهَا ^٥
وَنَظْمٍ لَهُ نَفَحَاتُ الرِّيَاضِ	إِذَا نَقَطَ الطُّلُّ أَزْهَارَهَا ^٦
فَمِنْ حِكْمَةٍ عَلَّمَتْهَا السَّنُونَ	جَوَارَ النُّفُوسِ وَإِسْرَارَهَا
لَهَا صَفْحَةٌ الْكُؤُنْ مَنْشُورَةٌ	يُتَرْجَمُ بِالشَّعْرِ أَشْطَارَهَا ^٧

وَتَشْبِيْبٍ لِاهٍ لَعُوبِ الشَّبَابِ	يُنَاجِي السَّمَاءَ وَأَقْمَارَهَا ^٨
تَرَاهُ وَظِلُّ الصَّبَا وَارْفُ	جَمُوحِ الْعَرِيكِ مَوَارَهَا ^٩
يُغْنِي كَمَا صَدَحَتْ أَيْكَةُ	وَقَدْ نَبَّهَ الصَّبْحُ أَطْيَارَهَا ^{١٠}
وَيُبْكِي فَيُبْكِي رُسُومَ الدِّيَارِ	، حَنَانًا عَلَيْهِ، وَآثَارَهَا ^{١١}
وَيَنْسَبُ حَتَّى يَلْبِيْنَ الْهَوَى	وَتَقْضِي الصَّبَابَةَ أَوْطَارَهَا ^{١٢}
وَتَنْسَى الْكَوَاعِبُ آيَ الْحِجَابِ	وَتُبْكِي الْعَجَائِزُ أَعْمَارَهَا ^{١٣}

* * *

وَتَصَوِّيرَ طَبِّ صَنَاعِ الْيَدَيْنِ	حَبَّتْهُ الطَّبِيعَةُ أَسْرَارَهَا ^{١٤}
كَأَنَّ (رُفَائِلَ) فِي كَفِّهِ	يُعِيدُ الْفُنُونَ وَأَعْصَارَهَا ^{١٥}
يُرِيكَ إِذَا خَطَّ فِي طِرْسِهِ	حَيَاةَ الْقُرُونِ وَأُدُورَهَا ^{١٦}
وَيَرْسُمُ (أَنْدَلُسًا) بِالْيِرَاعِ	فَتَلِمْسُ كَفِّكَ أَسْوَارَهَا ^{١٧}
وَإِنْ وَصَفَ الْحَرْبَ خَلَّتِ الْحِرَابُ	تَسُدُّ مِنَ الْأَرْضِ أَقْطَارَهَا
فَتُمْسِكُ جَنْبَكَ دُعْرًا تَخَافُ	قَنَاها وَتَرْهَبُ بَتَّارَهَا
أَشَوْقِي وَأَنْتَ طَبِيبُ النُّفُوسِ	وَضَعْتَ عَنِ النَّفْسِ آصَارَهَا ^{١٨}

* * *

نَصَرْتَ الْفَضِيلَةَ، مِنْ بَعْدِ أَنْ	طَوَّاهَا الزَّمَانُ، وَأَنْصَارَهَا
وَجِئْتَ لِمَصْرَ كَعِيسَى الْمَسِيحِ	تُفَتِّحُ لِلنُّورِ أَبْصَارَهَا ^{١٩}
بِأَيِّ تَفْصِيلِهَا مُحْكَمَاتِ	كَأَنَّ مِنَ الْوَحْيِ أَفْكَارَهَا
تَرَدُّ الشَّبِيبَةَ لِلصَّالِحَاتِ	وَتَرْجِعُ لِلَّذِينَ هَتَّارَهَا ^{٢٠}
جَزَيْتُ بِشِعْرِكَ شِعْرًا وَهَلْ	تُجَازِي الْخَمَائِلُ أَمْطَارَهَا؟ ^{٢١}
فَكُنْتَ شَرِيفَ قَوَافِي الْبَيَانِ	وَكُنْتَ بِفَضْلِكَ مَهْيَارَهَا ^{٢٢}
فَعَرَّدَ كَمَا شِئْتَ لَا فُضَّ فُوكَ	وَعِشَ بَطَلَ الضَّادِ مِغْوَارَهَا

هوامش

- (١) آثارها: أي آثار اللغة العربية، تنشر: تبعث بعد الموت.
- (٢) بغداد: عاصمة العراق وهي تقع على نهر دجلة أنشأها أبو جعفر المنصور، وجعلها مقر ملكه. وكانت مهد الحضارة العربية وأزهى مدن العالم في العصر العباسي لغةً وعلمًا.

(٣) حسان: هو ابن ثابت الأنصاري الخزرجي الصحابي، شاعر النبي ﷺ أدرك الجاهلية والإسلام، وتوفي سنة ٤٠هـ. الرمس: القبر. عكاظ (يؤنث ويذكر، فالتأنيث لغة الحجاز والتذكير لغة تميم): سوق للعرب بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال

ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً، وقيل: شهراً، تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون. السمار: المتسامرون.

(٤) نبراته: رنين إنشاده وجرس توقيعه. نياط القلب: عرق غليظ نيط به القلب، أي: علق، إلى الوتين.

(٥) القوافي: جمع قافية بمعنى القصيدة. الشماس: التأبي والامتناع. قريحة الشاعر: ملكته التي يقتدر بها على نظم الشعر.

(٦) نفحات الرياض: ما ينتشر عنها ويفوح من رائحة عطرة. الطل: المطر الضعيف أو الندى.

(٧) منشورة: مبسوطة غير مطوية.

(٨) التشبيب: وصف الشاعر محاسن المرأة وتعدد مناحي الجمال فيها. لعبوب الشباب: مرح به مدل. المناجاة: المسارة.

(٩) الوارف: الواسع الممتد. وجعله للصبا ظلًا وارفًا، كناية عن اكتمال قوته؛ لأن الشجرة إذا تم نموها امتدت فروعها واتسع ظلها. جموح العريكة: أي له نفس قوية وطبيعة غالبة. الجموح: من صفات الخيل، وهو الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء. الموار: فعال من المور. وهو مبالغة في الثورة والاضطراب.

(١٠) الصدح: رفع الصوت بالغناء. الأيكة: الحديقة ذات الأشجار الكثيرة الملتفة.

(١١) رسوم الديار: آثارها التي تبقى على الأرض دالة عليها.

(١٢) النسيب: التشبيب بالمرأة في الشعر وذكر محاسنها. الصبابة: حرارة الشوق والهوى. الأوطار: جمع وطر (بالتحريك) وهو كالحاجة.

(١٣) الكواعب: جمع كاعب، وهي الجارية نهد ثديها.

(١٤) الطب (بالفتح): الماهر في عمله. صناع اليدين: يحذق الصنعة بهما. حبته: منحته وخلعت عليه.

(١٥) رفائيل: مصور إيطالي مبدع ولد في ٦ أبريل سنة ١٤٨٣م، وتوفي في ٦ أبريل ١٥٢٠م. الأعصار: الأزمنة، الواحد، عصر (بالفتح).

(١٦) الطرس: الصحيفة يكتب فيها.

(١٧) اليراع: القلم.

(١٨) الآصار: جمع إصر، وهو ما تئن تحته النفس من أثقال وأعباء.

(١٩) يشير إلى معجزة عيسى — عليه السلام — في إبراء الأكمه.

(٢٠) يريد بالهتار: الذي غلبه الشيطان على عقله فمرق من الدين واستخف بتعاليمه.

(٢١) الخمائل: المواضع الكثيرة الشجر، الواحدة خميلة.

(٢٢) مهيار: هو الأديب الشاعر أبو الحسن مهيار بن مرزويه الفارسي الديلمي، المعروف بجودة الصياغة وقوة الشعر، وقد كانت وفاته ليلة الأحد لخمس خلون من شهر جمادى الآخرة سنة ٤٢٨هـ.

تَحِيَّةُ الْإِيَّابِ

استقبل الشاعر الملك فؤاد عند عودته من أوروبا في نوفمبر سنة ١٩٢٧م.

وَالضِّيَاءُ الَّذِي تَرَوْنَ ضِيَاؤُهُ ^١	ذَاكَ لِأَلَاؤُهُ وَهَذَا رُؤَاؤُهُ
ثُ فَتَاهَتْ بِنُورِهِنَّ بَهَاؤُهُ ^٢	وَبِهَاءُ الرِّيَاضِ كُلِّهَا الْغَيْ
رِ جَرَى ذِكْرُهُ بِهِ وَثْنَاؤُهُ ^٣	وَالنَّسِيمُ الَّذِي جَرَى طَيْبُ النَّشْ
رُوقِ هَذَا سَنَاهُ هَذَا سَنَاؤُهُ ^٤	ذَاكَ وَجْهُ الْمَلِكِ، وَجْهُ أَبِي الْفَا

* * *

هِ تَرْجِيهِ وَالنَّفُوسُ فِدَاؤُهُ	ظَهَرَ الرِّكْبُ وَالْقُلُوبُ حَوَالِي
وَبَرِيقُ السُّرُورِ فِيهَا وَمَاؤُهُ ^٥	تَجْتَلِيهِ الْعُيُونُ مُسْتَبْشِرَاتِ
وَفُتْمَلِيهِ وَاضِحًا أَصْدَاؤُهُ ^٦	وَهَتَافُ الْإِخْلَاصِ يَخْتَرِقُ الْجَوُ
هِ فَرَادِ ازْدِهَاءَهُنَّ ازْدِهَاءُهُ ^٧	وَدَّتِ النَّيِّرَاتُ لَوْ هَبَطَتْ فِيهِ
جَيْنَ فِي عَصْرِهِ وَلَا خُلَفَاؤُهُ ^٨	مَوْكِبٌ لَمْ يَنْلُهُ رَمْسِيْسُ ذُو التَّاءِ
مَقُودُ الشَّعْبِ حُبُّهُ وَلَاؤُهُ ^٩	حَكَمُوا شَعْبَهُمْ وَلَمْ يَمْلِكُوهُ

* * *

دَ إِلَى الْمَدَنَفِ الْعَلِيلِ شَفَاؤُهُ ^{١٠}	عَادَ لِلْقَطْرِ رَبُّهُ مَثَلَمَا عَا
لُ وَوَلَّتْ مَذْعُورَةً ظَلَمَاؤُهُ	وَبَدَا كَالصَّبَاحِ فَاَنْهَزَمَ اللَّيْ
أَحْكَمَتْ وَضَعَ أَسَّهُ آبَاؤُهُ	مَلِكٌ شَادَ لِلْكَنَانَةِ مَجْدًا
ءَ أَبِيَّا عَلَى الزَّمَانِ بِنَاؤُهُ	كُلُّهُمْ كَانَ لِلْمَحَامِدِ بَنًا

هَمَّةٌ تَفْرَعُ السَّمَاءَ وَعَزْمٌ لَيْسَ لِلسَّيْفِ حَدُّهُ وَمَضَاؤُهُ^{١١}
وَنَفَادٌ فِي الْمُعْضَلَاتِ بَرَأْيٍ ثَاقِبٌ يَكْشِفُ الْغُيُوبَ ذَكَاءُهُ
وَمُحَيًّا فِيهِ مِنَ اللَّهِ سِرٌّ كَادَ يُعْشِيهِ نُورُهُ وَحَيَاؤُهُ
صَفْحَةٌ خَطَّهَا إِلَهُ فَفِيهَا أَلِفُ النُّبْلِ — لَوْ قَرَأَتْ — وَيَاؤُهُ^{١٢}

* * *

بَهَرَ الْغَرْبَ طَلْعَةُ مِنْكَ كَادَتْ تَتَمَشَّى شَوْقًا لَهَا أَرْجَاؤُهُ
لَمَحُوا عِزَّةً وَشَامُوا بِكَفْيٍ كَ غَمَامًا هَتَانَهُ أَنْدَاؤُهُ^{١٣}
وَبَدَا لِلْعُيُونِ وَالذِّكِّ الْمَسِّ مَاحٌ تُخَيِّبُهُ ثَانِيًا أَبْنَاؤُهُ
فِيكَ مِنْهُ الْجَبِينُ وَالْخُلُقُ الرَّحُّ بٌ وَبُعْدُ الْمَدَى وَفِيكَ إِبَاؤُهُ
لُحِتَ فِيهِمْ فَأَذْرَكُوا صَوْلَةَ الشَّرِّ قِ وَمَرَّتْ بِذِكْرِهِمْ أَنْبِيَاؤُهُ
وَرَأَوْا فِي الْجَلَالِ «تَوْتَنُخْمُونًا» صَاعِدًا جَدُّهُ رَفِيعًا لِوَاؤُهُ^{١٤}
أَيْنَمَا سَارَ فَالْعُيُونُ نِطَاقٌ وَقُلُوبُ الْمُجَاهِدِينَ وَقَاؤُهُ
تَتَمَشَّى فِي رَكْبِهِ الشَّمْسُ إِكْبَا رَا وَيَنْشَقُّ عَنْ سَنَاهَا رَدَاؤُهُ^{١٥}
أَنْتَ أَعْلَى كَعْبًا وَأَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ رٍ وَإِنْ زَا حَمَ الْخُلُودَ بَقَاؤُهُ^{١٦}
لَوْ وَزَنَّا بِمَا أَقَمْتَ مِنَ الدُّسْرِ تَوْرَ آلَاءِهِ اخْتَفَتْ آلَاؤُهُ^{١٧}
عَجَزَ الدَّهْرُ أَنْ يُحِيطَ بِمَعْنَا كَ وَالْقَتَّ قِيَادَهَا شَعْرَاؤُهُ^{١٨}
إِنَّ مَنْ رَامَ لِلْكَوَكِبِ عَدًّا يَنْسَاوَى ابْتِدَاؤُهُ وَانْتِهَاؤُهُ^{١٩}

هوامش

- (١) اللآلاء: السنا والضياء. الرواء: الحسن والبهاء.
- (٢) بهاء الرياض: ما تظهر فيه من نضرة وازدهار. كللها الغيث: جعلها تظهر مغطاة بالزهر والثمر. تاهت: ظهرت بمظهر المدل المعجب بحسنه وجماله.
- (٣) النشر: ما ينتشر عن الطيب من ريح يعيق به الجو ويطيب الهواء.
- (٤) السنا (بالقصر): الإشراق والتلألؤ. (وبالمد): الشرف والرفعة.
- (٥) تجتليه: تتطلع إليه وتنظر. مستبشرات: فرحات. ماء السرور: ما يفيض به الوجه من لآلاء وضياء.

تَحِيَّةُ الْإِيَّابِ

(٦) الأصداء: ما يعود على المصوت بمثل صوته. وضوح الأصداء: دليل على قوة الهتاف وشدته.

(٧) الازدهاء: ما تتيه به وتزدهي من آيات الحسن.

(٨) رمسيس: من ملوك مصر الأقدمين، ويريد بالتاجين: تاج الوجه القبلي وتاج الوجه البحري.

(٩) المقود: ما تقود به.

(١٠) ربه: مالك أمره. المدنف: الذي أضناه المرض وثقل عليه فكاد يذهب به.

(١١) تفرع السماء: تزيد عليها علوً وارتفاعاً. مضأؤه: نفاذه في الأمور وقطعه لها.

(١٢) النبل: الشرف والرفعة. ويريد بالألف والياء: أنه جمع جميع خلال النبل لم يفته منها شيء.

(١٣) لمحوا: رأوا. شاموا: نظروا. الهتانة: التي تمطر في كثرة وتتابع. الأنداء: جمع ندى، وهو ماء السحاب.

(١٤) توتنخمون: هو توت عنخ آمون، أحد ملوك مصر الأقدمين، وكان عصره من أزهى عصور مصر رخاء ورفاهية. الجد: الخط. اللواء: العلم.

(١٥) السناء: اللألاء والضياء.

(١٦) أعلى كعباً، أي: أشرف منزلة وأعز مكاناً.

(١٧) آلاؤه: أياديه ونعمه على أمته.

(١٨) أن يحيط بمعناك: أن يلم بما اتصفت به من خلاك الحميدة.

(١٩) رام: قصد وأراد.

العِيدُ المِثْوِيّ لوزارة المعارف

احتفلت وزارة المعارف المصرية في اليوم الثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٣٧ م بعيدها المِثْوِي، وقد أنشدت هذه القصيدة في هذا اليوم بدار الأوبرا في حشد حافل جمع عظماء مصر وكبار علمائها وأدبائها.

هَاتِ مَا شِئْتَ مِنْ قَرِيضِكَ هَاتِ
وَعُصُونُ تَتِيهِ بِالزَّهْرَاتِ
وَتَجَنَّتْ فِيهَا عَلَى النَّيِّرَاتِ^١
يَنْشُرُ الطَّيِّبُ فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ^٢
دَا فَتَجْرِي فِي خَشْيَةٍ وَأَنَاةٍ^٣
بَيْنَ تِلْكَ الْخُمَائِلِ النُّضْرَاتِ
حِثْ وَفَاضَتْ عَيْنَاهُ بِالْعَبْرَاتِ
لِتُحْيِيَ الْغَدِيرَ بِالْقُبْلَاتِ
فَوْقَ حُسْنِ الْمَلَامِحِ الْفَاتِنَاتِ
وَمِنَ النَّبْتِ فِيهِ مِنْ قَسَمَاتِ!^٤
مِنْ تُرَابٍ وَدُرَةٍ مِنْ حَصَاةٍ^٥
ثُمَّ مِلءَ الْفَضَاءَ مِنْ سُنْبُلَاتِ^٦
وَأَرِفِ الظِّلَّ دَائِمَ الثَّمَرَاتِ
مَوْصِلِي الْأَدَاءِ وَالنَّبَرَاتِ^٧
فَهُوَ قَيْدُ النُّفُوسِ وَالنُّظَرَاتِ

أَخْرَجَ الرُّوْضُ أَطْيَبَ الثَّمَرَاتِ
زَهْرَاتُ تَتِيهِ بِالْغُضَنِ زَهْوًا
صَيَّرَتْ صَفْحَةَ الرِّيَاضِ سَمَاءً
لَمْ تُفَارِقْ كِمَامَهَا، وَشَذَاهَا
تَرْهَبُ الرِّيحُ أَنْ تَخْذَ لَهَا خُذْ
مُصْغِيَاتُ إِذِ الْحَمَائِمُ رَنَّتْ
ضَاحِكَاتُ إِذَا بَكَى عَابِسُ الْغَيْ
وَإِذَا مَا جَرَى الْغَدِيرُ تَدَانَتْ
إِنَّ لِلرُّوْضِ فِي مَعَانِيهِ حُسْنًا
كَمْ مِنَ الزَّهْرِ فِيهِ مِنْ سِحْرِ عَيْنٍ
فَانْظُرِ الرُّوْضَ لَا تَرَى غَيْرَ تَبْرِ
حَبَّةً أَنْبَتَتْ سَنَابِلَ سَبْعًا
وَنَوَاةً جَادَتْ بَنَخْلٍ وَنَخْلٍ
يُرْسِلُ الطَّيْرُ فِي مَدَاهِ نَشِيدًا
يَمْلِكُ النَّفْسَ أَيْنَمَا نَظَرَتْهُ

كَمْ تَهَادَىٰ مَعَ النَّسِيمِ اخْتِيَالًا
تَتَنَاءَىٰ بِهِ الظَّلَالُ لِجَمْعِ
مِثْلُ كَفِّ الرِّسَامِ جَاءَتْ وَرَاحَتْ
أَوْ كَوَّجِهِ الْحَسَنَاءِ يَبْدُو وَيَخْفَىٰ
كَلَّمَا رُمْتَ مِنْهُ قَطْفُ جَنَازَةٍ
وَإِذَا بَارَكَ الْإِلَهُ بِأَرْضِ
وَحْبَاهَا خَضِبًا إِذَا مَسَّ صَحْرًا
كَالْعَذَارَىٰ يَمْسُنَ فِي الْحَبَرَاتِ^٨
ثُمَّ تَذْنُو مُدْلَةً لِشَتَاتِ^٩
بَيْنَ قِرْطَاسِهِ وَبَيْنَ الدَّوَاةِ^{١٠}
بَيْنَ مِيلِ الْهَوَىٰ وَخَوْفِ الْوُشَاةِ^{١١}
سَبَقَتْ رَاحَتِكَ أَلْفُ جَنَازَةٍ^{١٢}
جَعَلَ التُّبْرَ فِي مَكَانِ النَّبَاتِ
تَرَكَ الصَّخْرَ جَنَّةَ الْجَنَّاتِ

* * *

رَبِّ أَرْضٍ لِلْغَافِلِينَ مَوَاتٍ
إِنْ تَطَلَّعْتَ لِلرَّغَائِبِ فَايْذُلْ
لَكَ كَفَّانَ، تِلْكَ تُعْطِي وَهَذِي
تَرْتَجِي الْخَصْدَ ثُمَّ تَقْعُدُ فِي الشَّمْسِ
ضِلَّةً تَطْلُبُ الزَّلَالَ مِنَ النَّأِ
لَيْسَ يَجْنِي مِنَ السُّبَاتِ سِوَى الْأَحَدِ
وَهِيَ لِلْعَامِلِينَ غَيْرُ مَوَاتٍ
تِلْكَ فِي الدَّهْرِ سُنَّةُ الْكَائِنَاتِ
تَتَلَقَّى مَثُوبَةَ الْحَسَنَاتِ
سِ، لَكَ اللَّهُ يَا أَخَا التُّرَهَاتِ!^{١٣}
رَ وَتَبْغِي غَضَارَةً مِنْ فَلَاةِ^{١٤}
سَلَامٍ فَنَاهُضٌ، وَقِيَتْ شَرَّ السُّبَاتِ

* * *

قَدْ غَرَسْنَاهُ رَوْضَ عِلْمٍ فَازْرَى
وَبَذَرْنَا بِهِ الْقُلُوبَ صِغَارًا
وَسَقَيْنَا ثَرَاهُ مَاءً مِنَ الْأَذَى
وَعَذُونَاهُ طَيِّبًا بِجُهْدِ
وَحَمِينَاهُ أَنْ تَعِيَتْ بِهِ الْأَيُّ
وَجَعَلْنَا لَهُ مِنَ الْخُلُقِ الْعَا
وَحَفِظْنَا مِنَ الرِّيَّاحِ جَنَاهُ
إِيَّهِ يَا رَوْضَةَ الْمَعَارِفِ لَا زَلْ
أَنْتِ أَنْبَتِ فِي ثَرَى النَّيْلِ شَعْبًا
أَعَجَزَ الْغَرْبَ هِمَّةً وَذَكَاءَ
خُطُوتٍ نَحْوَ الْمَعَالِي فَسَاحُ
حُسْنُهُ بِالْحَدَائِقِ الْبَاسِقَاتِ
وَكِرَامِ النُّفُوسِ وَالْمُهَجَّاتِ^{١٥}
هَانَ أَحْلَى مِنْ كُلِّ مَاءٍ فُرَاتِ^{١٦}
ضَاعَفَتْ مِنْ ثِمَارِهِ الطَّيِّبَاتِ^{١٧}
بِيَدِي وَتَجْنِي عَلَيْهِ كَفُّ الْجَنَازَةِ^{١٨}
لِي سِيَاجًا مُوْتَقٍ اللَّيِّنَاتِ^{١٩}
وَوَقَيْنَاهُ شِرَّةَ الْحَشَرَاتِ^{٢٠}
سِتَ مَثَابَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ^{٢١}
نَافَذَ الرَّأْيِ طَاهِرَ النُّزَعَاتِ
وَكَذَا الشَّرْقُ مَوْطِنُ الْمُعْجَزَاتِ
لَا عَدَاهَا السَّدَاؤُ مِنْ خُطُوتِ^{٢٢}

سَلَكْتُ أَوْسَطَ الطَّرِيقِ وَجَارَتْ
وَجُھُودٌ تَمْضِي وَتَأْتِي جُھُودٌ
كُلُّ مَا فِي الطَّرِيقِ مِنْ عَقَبَاتٍ ٢٣
مُحْكَمَاتُ مَوْصُولَةٍ الْحَلَقَاتِ
رَ دُرُوعًا حَصِينَةً سَابِغَاتٍ ٢٤

إِنَّمَا مَوْلِدُ الْمَعَارِفِ فِي مِصْرَ
جَلَّ رَبِّي! أَمَنْتُ بِاللَّهِ رَبِّي!
أَرْسَلَ اللَّهُ لِلْكَنَانَةِ نَذْبًا
فَأَتَاهُ (مُحَمَّدٌ) جَدُّ (إِسْمَا
هَلْ رَأَيْتَ النَّجْمَ الَّذِي يَبْهَرُ الْعَيْنَ
هَلْ رَأَيْتَ الْغَدِيرَ يَنْسَابُ فِي الْقَفِّ
هَلْ رَأَيْتَ الْحَيَاةَ تَسْرِي إِلَى الْجِسْرِ
هَلْ رَأَيْتَ الْأَمَالَ بَعْدَ نِفَارٍ؟
لَقِيتُ مِصْرَ قَبْلَهُ مَا يَلَاقِي
جَهْلُوا دَاءَهَا الدَّفِينِ وَشَرُّ
نَكْثُوا جُرْحَهَا فَسَالَتْ دِمَاهَا
لَا تَرَى فِي الظُّلَامِ لِلْعِلْمِ إِلَّا
يَكْرَهُ الظُّلْمَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الضُّو
لَمْ يَكُنْ مِنْهُ غَيْرٌ وَمَضَى مِنَ (الْأَزْ
كَذْبَالِ الْمِشْكَاةِ قَدْ جَفَّ إِلَّا
فَأَتَى مُنْقِذُ الْبِلَادِ فَأَحْيَا
لَوْ دَعَا أَنْجَمَ السَّمَاءِ لِلْبَيْتِ

رَ دَبِيبُ الْحَيَاةِ بَيْنَ الرُّفَاتِ
فَالِقِ الْحَبِّ بَاعِثِ الْأَمْوَاتِ
هَبْرِزِي الْأَعْرَاقَ وَالْعَرَمَاتِ ٢٥
عَيْلٍ) بِالْخِصْبِ مُورِقًا وَالْحَيَاةِ ٢٦
نَ وَيَمْحُو دِيَاجِرَ الظُّلُمَاتِ؟ ٢٧
رَ فَيَهْتَرُ مُحْصِبَ الْجَنَبَاتِ؟ ٢٨
سَ فَتُحْيِي عِظَامَهُ النَّخْرَاتِ؟ ٢٩
وَاقْتِبَالَ الشَّبَابِ بَعْدَ فَوَاتٍ؟ ٣٠
عَرَضُ جَاءَ فِي اتِّجَاهِ الرُّمَاءِ ٣١
مِنْ دَفِينِ الْأَدْوَاءِ جَهْلُ الْأَسَاةِ
قَطَرَاتٍ تَجْرِي إِلَى قَطَرَاتٍ ٣٢
مُقْفِرَاتٍ مِنْ دُورِهِ دَارِسَاتٍ ٣٣
ءَ وَلَوْ كَانَ فِي ابْتِسَامِ الْفَتَاةِ
هَرٍ) يَبْدُو مُفْرَغَ اللَّمَحَاتِ ٣٤
أَثَرًا مِنْ بُلَالَةِ الْمِشْكَاةِ ٣٥
هَا بِرَأْيٍ وَعَزْمَةٍ وَثَبَاتِ
مُهْطِعَاتٍ لِأَمْرِهِ صَاغِرَاتٍ ٣٦

شَادَ فِي مِصْرَ لِلْمَعَارِفِ دِيوَا
وَبَنَى لِلْعُلُومِ خَيْرَ بِنَاءٍ
نَهَضَتْ مِصْرُ بَعْدَهُ نَهَضَاتٍ
أَرْسَلَ الْعِلْمُ نَوْرَهُ فَسَرَى الرُّكَّ

نَا مَنِيْعَ الْأَعْلَامِ وَالشُّرْفَاتِ
عَلَوِيٌّ فَكَانَ خَيْرَ الْبُنَاةِ
تَسْتَجِثُ الْخُطَا إِلَى نَهَضَاتِ
حُبُّ يَقُودُ الْمُنَى إِلَى الْغَايَاتِ

وَرَأَيْنَا بِكُلِّ أَرْضٍ رِيَاضًا دَانِيَاتٍ قُطُوفُهَا زَاهِيَاتٍ

* * *

كُلُّ يَوْمٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ تَرَى جَيِّدًا
جَعَلُوا كُتُبَهُمْ مَكَانَ الْمَوَاضِي
طَلَعُوا أَوَّلَ الْغَدَاةِ فَرَانُوا
مِثْلَ سِرْبٍ لِلطَّيْرِ هَمَّتْ خِفَافًا
نَتَرُوا جَمْعَهُمْ فَأَبْصَرْتُ فِيهِمْ
وَرَأَيْتُ الْفِلْدَاتِ تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
هُمْ أَمَانِي (مَصْر)، هُمْ مَرْتَجَاهَا
شَا مِنْ النَّشْرِ صَادِقَ الْوَثَبَاتِ
وَيَرَاعَاتِهِمْ مَكَانَ الْقَنَاطَةِ^{٣٧}
بَسَنَّا ضَوْوَهُمْ جَمَالَ الْغَدَاةِ^{٣٨}
ثُمَّ رَاحَتْ لَوَكْرِهَا مُثْقَلَاتِ^{٣٩}
أَنْجُمًا فِي الْفَضَاءِ مُنْتَثِرَاتِ
ضَ فَخَلُّوا الطَّرِيقَ لِلْفِلْدَاتِ^{٤٠}
هُمْ حَنَايَا ضُلُوعِهَا الْخَافِقَاتِ

* * *

مَائَةٌ مِنْ سِنِي (المعارف) مَرَّتْ
بَلَعْتُ مِصْرُ فِي مَدَاهُنَّ شَأُوًا
وَعَدَا مَجْدُهَا الْحَدِيثُ — وَقَدْ شَا
أَصْبَحْتُ كَغَبَةٍ يَحُجُّ إِلَيْهَا الشَّرُّ
تَتَهَادَى وَحَقُّ أَنْ تَتَهَادَى
كُلُّ تَارِيخِهَا كِتَابٌ مِنَ الْمَجْدِ
بَعَثْتُ دَارِسَ الْفُنُونِ وَأُحْيَيْتُ
وَأَعَادْتُ إِلَى الْعُلُومِ مَنَارًا
أَنْجَبْتُ لِلْبِلَادِ أَبْطَالَ عَزَمَ
دَعَا الشَّعْبَ لِلْعُلَا فَرَأَيْنَا
أَنْجَبْتُ كُلَّ عَالِمٍ بَهَرِ الْكُؤُ
أَنْجَبْتُ كُلَّ شَاعِرٍ عَبْقَرِيٍّ
تَتَمَنَّى الْأَزْهَارُ لَوْ كُنَّ يَوْمًا
أَنْجَبْتُ كُلَّ كَاتِبٍ يَمْلِكُ السَّمَّ
أَنْجَبْتُ كُلَّ مِدْرَةٍ وَخَطِيبٍ
وَحَمَتُ شِرْعَةَ الْخِلَاقِ أَنْ يَغْ
زَاهِيَاتٍ بِمَا حَوَتْ حَافِلَاتِ
فَوْقَ شَأُ الْكَوَاكِبِ السَّابِحَاتِ^{٤١}
عَ شَذَا عِطْرُهُ — حَدِيثُ الرُّوَاةِ^{٤٢}
قُ بَيْنَ الْخُشُوعِ وَالْإِفْنَاتِ^{٤٣}
بَيْنَ مَاضٍ زَاهِي الْجَبِينِ وَآتِي
بِدِ كَرِيمٍ مُطَرَّرُ الصَّفَحَاتِ
بَعْدَ يَأْسِ الزَّمَانِ أُمُّ اللُّغَاتِ^{٤٤}
كَانَ صُبْحُ الدُّجَى وَهْدِي السَّرَاةِ^{٤٥}
هُمْ دُرُوعُ الْبِلَادِ فِي الْأَزْمَاتِ
خَيْرَ شَعْبٍ أَجَابَ خَيْرَ الدُّعَاةِ
نَ بَايَاتِ عِلْمِهِ الْبَيِّنَاتِ
صَادِقِ الْحِسِّ بَارِعِ اللَّفَقَاتِ
فِي قَوَافِيهِ مَوْضِعَ الْكَلِمَاتِ
عَ، بِأَثَارِ فَنِّهِ الْخَالِدَاتِ
سَاحِرِ الْقَوْلِ، صَادِقِ الْحَمَلَاتِ^{٤٦}
بَرَّ صَافِي نَمِيرِهَا بِقَدَاةِ^{٤٧}

قد وَلَجْنَا الْحَيَاةَ مِنْ كُلِّ بَابٍ فَرَأَيْنَا الْأَخْلَاقَ بَابَ النَّجَاةِ
أَصْبَحْتُ مِصْرُ مَعَهْدًا لَشَبَابِ الشَّ شَرْقٍ، يَسْعَوْنَ نَحْوَهَا بِالْمِثَّاتِ
عَقَدْتُ بَيْنَنَا اللَّيَالِي صَلَاتٍ مُحْكَمَاتٍ أَحْبَبَ بِهَا مِنْ صَلَاتِ

* * *

إِنَّ عِيدَ الْمَعَارِفِ الْيَوْمَ عِيدٌ لِلنُّهَى وَالْجُهُودِ وَالذُّكْرِيَّاتِ^{٤٨}
عِيدٌ يُمْنٌ لِمِصْرَ، فَالذَّهْرُ دَانٍ خَاضِعُ الرَّأْسِ، وَالزَّمَانُ مُوَاتِي
بَلَّغْتُ مِصْرُ مَا تَرْجِي وَفَارَتْ بَعْدَ طُولِ الْأَسَى، وَذُلَّ الشَّكَاةِ
وَأَطَاحَتْ قُيُودُهَا فَاسْتَقَلَّتْ وَامَّحَى مَا تَرَكْنَ مِنْ نَدَبَاتِ
وَاسْتَعَزَّتْ بِطُلْعَةِ الْمَلِكِ الْفَا رُوقٍ، زَيْنِ الْحِمَى وَفَخْرِ الْحِمَاةِ
يُشْرِقُ الْمُلْكُ بِالْمَلِكِ وَيُزْهِى بِمَجَالِي آلَائِهِ الْمُشْرِقَاتِ
تَجْتَليهِ الْعُيُونُ بَدْرًا، وَتَفْدِي هَ عُيُونُ الزَّمَانِ بِالْحَدَقَاتِ^{٤٩}
عَهْدُهُ فِي الْعُهُودِ أَنْضَرُ عَهْدٍ كَجَمَالِ الرَّبِيعِ فِي الْأَوْقَاتِ
بَهْرُ الشُّعْرِ أَنْ يُحِيطَ بِمَعْنَى مِنْ مَعَانِي صِفَاتِهِ الْبَاهِرَاتِ
عَاشَ لِلْعِلْمِ وَالْبِلَادِ هُمَامًا أَرْيَحِيًّا، وَعَاشَ لِلْمَكْرُمَاتِ

هوامش

- (١) تجنت: طغت وعلت. النيرات: الكواكب المنيرة المضيئة.
- (٢) الكمام: جمع كم (بكسر الكاف فيهما)، وهو وعاء الطلع وغطاء النور. الشذا: قوة ذكاء الرائحة وسطوعها.
- (٣) ترهب: تهاب وتخشى. تخذ: أي تجرح وتخدش.
- (٤) القسمات: جمع قسمة (بكسر السين وفتحها): وهي الحسن.
- (٥) التبر: الذهب قبل صوغه. الدر: اللآلئ، الواحدة، درة.
- (٦) يشير إلى الآية الكريمة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾.
- (٧) الموصل: نسبة إلى إبراهيم الموصل أو ابنه إسحاق، وكلاهما مغن عباسي بلغ شهرة واسعة في الضرب والغناء. ولد إبراهيم سنة خمس وعشرين ومائة هجرية بالكوفة،

وتوفي ببغداد سنة ١٨٨هـ. وولد إسحاق سنة ١٥٠ (وهي السنة التي ولد فيها الإمام الشافعي ومات فيها الإمام أبو حنيفة)، وتوفي ببغداد في أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٥هـ. (٨) الحبرات (بالتحريك، وبكسر الحاء مع فتح الباء): جمع حبرة. وهي ضرب من برود اليمن، وملاءة سوداء اختص بها نساء مصر.

(٩) تتناهى: تبعد. مدلة: من الدلال، وهو التمتع. الشتات: الفرقة.

(١٠) القرطاس: الصحيفة يكتب عليها.

(١١) الوشاة: الساعون بالكذب والنميمة.

(١٢) الجنة: ما يجنى من الشجر.

(١٣) الترهات (في الأصل): الطرق الصغار تتشعب عن الجادة، ثم استعير للباطل

الذي لا يقوم على رأي صحيح، الواحدة ترهة، فارسي معرب.

(١٤) ضلة، أي: ضللاً وبعداً عن الرشد والهدى. الزلال: الماء البارد العذب الصافي.

الغضارة: الخصب. الفلاة: الصحراء والمفاضة لا ماء فيها.

(١٥) المهجات: جمع مهجة وهي الروح.

(١٦) الفرات: المفرط في العذوبة.

(١٧) غذونه: غذياه (بالتضعيف).

(١٨) تعيث به، أي: تعيث به وتفسده. الجنة: الأشرار ودعاة الإفساد، الواحد،

جان.

(١٩) السياج: ما أحاط بالشيء. يحفظه ويقيه. اللبنة: ما يضرب من الطين مربعاً

للبناء، الواحدة: لبنة. توثيق اللبنة: إحكام البناء.

(٢٠) جناه: ثماره التي تجنى منه. يريد الناشئين في دور العلم. الشرة (بالكسر):

الشر.

(٢١) مثاب الخيرات والبركات، أي: حيث توجد وتجتمع.

(٢٢) فساح: واسعات. لا عداها: لم يعدها ولم يتجاوزها، والجملة دعائية. السداد:

التوفيق وإصابة الغرض.

(٢٣) جازت: تخطت وتغلبت.

(٢٤) الدروع: جمع درع، وهو ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس في الحرب وقاية

من سلاح العدو، مؤنث وربما ذكر. سابغات: تامة طويلة.

(٢٥) يريد «بالكنانة»: مصر. النذب: السريع إلى الفضائل الذي يخف لقضاء الحاجة عندما يندب إليها. هبرزي الأعراق والعزمات: أي طيب الأصول، قوي فيما يهم به ويعزم عليه.

(٢٦) محمد: هو محمد علي باشا ابن إبراهيم أغا جد الأسرة المالكة في ذلك الوقت.

(٢٧) يبهر العين: يغلبها ضوءه وتألّقه فلا تقوى على النظر إليه. الدياجر: جمع ديجور. وهو الظلام.

(٢٨) الجنبات: النواحي.

(٢٩) النخرات: البالية المتفتتة.

(٣٠) النفار: التباعد والفوت. اقتبال الشباب: عنفوانه واكتماله. بعد فوات: أي بعد ذهاب ومضي.

(٣١) الغرض: الهدف الذي يرمى إليه. الرماة: جمع رام، وهو الذي يرمى بسهامه نحو الهدف.

(٣٢) يقال: نكأ القرحة ينكؤها: إذا قشرها قبل أن تبرأ فنديت وسال دمها.

(٣٣) مقفرات: خاليات. دارسات: قد عفا أثرها وامحى.

(٣٤) منه: أي من الضوء. الومض: اللمعان الخفيف لا يظهر حتى يختفي. الأزهر:

هو ذلك المسجد التاريخي العظيم، الذي بناه جوهر الصقلي في أوائل حكم الدولة الفاطمية سنة ٣٥٩-٣٦١هـ/٩٧٠-٩٧٢م، وكان لا يزال داراً للتعليم يؤمها المسلمون من جميع الأقطار الإسلامية. المفزع: الخائف. اللمحات: جمع لمحة، وهي لمعة الضوء وبريقه.

(٣٥) الذبالة: الفتيلة، المشكاة: الأنبوبة في وسط القنديل، يريد القنديل.

(٣٦) لبت: أجابت. مهطعات: مسرعات. صاغرات: ذليلات.

(٣٧) المواضي: السيوف القواطع، الواحد: ماض. اليراعات: الأفلام، الواحدة: يراعة.

القناة: الريح.

(٣٨) أول الغداة: الصباح المبكر. سنا الضوء: تلالؤه وتألّقه.

(٣٩) السرب: الجماعة. همت: أي خرجت لقصدها وبغيتها. راحت: رجعت. الوكر:

عش الطائر أين كان.

(٤٠) الفلذات: جمع فلذة (بالكسر)، وهي القطعة من الكبد.

(٤١) المدى: الأمد والنهاية. الشأو: الغاية. السابحات: الجاريات في أفلاكها

ومداراتها.

- (٤٢) شذا العطر: قوة ذكاء رائحته وسطوعها.
- (٤٣) الكعبة: البيت الحرام بمكة، وإليها يتجه المسلمون في صلاتهم ويقصدونها في حجه. الإقنات: إظهار التواضع والخشية.
- (٤٤) دارس الفنون: ما عفا منها وذهب أثره. أم اللغات: اللغة العربية.
- (٤٥) المنار: مبعث النور ومصدره. الدجى: الظلام، السراة: جمع سار.
- (٤٦) المدره: القوي الحجة.
- (٤٧) الشرعة (بالكسر): مورد الشاربين. الخلائق: الطبائع والسجاياء، الواحدة: خليفة. يغبر: يصير أغبر كدراً. النمير: الماء العذب الصافي. القذاة: ما يقع في الشراب مما يكدره.
- (٤٨) النهى: العقول، الواحدة: نهية (بالضم) وسمي العقل بها؛ لأنه مصدر النهي والضبط والكف.
- (٤٩) تجتليه: تستبينه وتراه. الحدقات: جمع حدقة. وهي سواد العين.

كُلُّ بَيْتٍ فِيهِ سَعْدٌ مَائِلٌ

نشرت هذه القصيدة حينما نقل رفات المغفور له سعد زغلول باشا إلى الضريح الذي أُعد له في يونيه سنة ١٩٣٦م.

أَكْشَفُوا التُّرْبَ عَنِ الْكَنْزِ الدَّفِينِ	وَأَرْفَعُوا السُّتْرَ عَنِ الصَّبْحِ الْمُبِينِ ^١
وَابْعَثُوهُ عَسْجَدًا مُؤْتَلِقًا	زَادَ فِي لَأْلَائِهِ طَوْلُ السَّنِينِ ^٢
وَانْتَضَوْا مِنْ غَمْدِهِ سَيْفَ وَغَى	كَانَ إِنْ صَالَ يَقْدُ الدَّارَعِينَ ^٣
وَقِنَاءَةً جَلَّ مِنْ ثَقْفِهَا	لِلْحِفَافِ الْمُرِّ وَالْعِزِّ الْمَكِينِ ^٤
لَوِ الدَّهْرَ عَلَى بَاطِلِهِ	وَهِيَ كَالْحَقِّ صَفَاءُ لَا تَلِينُ ^٥
هَزَمْتَ جَيْشَ الْأَبَاطِيلِ فَمَا	غَادَرْتُ غَيْرَ جَرِيحٍ أَوْ طَعِينِ ^٦
كَتَبَ اللَّهُ عَلَى عَامِلِهَا	إِنَّمَا الْخُلْدُ جَزَاءُ الْعَامِلِينَ ^٧

* * *

جَدَثَ ضَمٌّ سَنَاءً وَسَنَاءً	وَمَصَاصُ الطَّهْرِ فِي دُنْيَا وَدِينِ ^٨
طَاعَةُ الْأَمْلَاقِ فِيهِ امْتَزَجَتْ	فِي السَّمَوَاتِ بَعْزُ الْمَالِكِينَ
فَتَشَوْا فِي التُّرْبِ عَنْ عِزْمَتِهِ	وَعَنِ الْإِقْدَامِ وَالرَّأْيِ الرَّصِينِ
وَاخْفَضُوا أَبْصَارَكُمْ فِي هَيْبَةٍ	إِنْ رَأَتْ أَبْصَارَكُمْ نُورَ الْيَقِينِ
وَاخْشَوْا بِالصَّمْتِ فِي مُحْرَابِهِ	أَفْصَحَ الْأَلْسُنِ صَمْتُ الْخَاشِعِينَ!
وَانْتَحَوْا مِنْ قَبْرِهِ نَاحِيَةً	وَاحْذَرُوا أَنْ تَزْحَمُوا الرُّوحَ الْأَمِينِ ^٩
وَحَنَانًا بِضَرِيحٍ طَالَمَا	صَقَلَتْهُ قِبَلَاتُ الطَّائِفِينَ

وجثت مصر به خاشعة
صيحةٌ قدسيّةٌ إن سكنت
وغرين حلّ فيه ضيغم
ومضاء عرفت مصر به
لا أرى قبراً ولكني أرى
أو أراه قصبَ المجد الذي
أو أراه علماً في فدق
أو أراه روضةً إن نفحت
أو أراه دوحهً وارفةً
أو أراه قلب مصر نابضاً

تذرف الدمع على خير البنين^{١٠}
فلها في مصر رجّع ورني^{١١}
رحمة الله على ليث العرين!^{١٢}
أنّ للحقّ يميناً لا تمين^{١٣}
صفحةً من صفحات الخالدين
دونه ينفق جهد السابقين
لمعت أضواؤه للحائرين^{١٤}
خجل الورد وأغضى الياسمين^{١٥}
نشرت أفياءها للاجئين^{١٦}
بمنى تمحو من القلب الأنين

نقلوا التابوت تحثف به
ذاك بعث حيت مصر به
هل علمتم أن من واريتم
ما لسعد خفرة واحدة
كل بيت فيه سعد مائل
نظرة الرئبال في نظرتة
وضعت مصر به آمالها
هو للأبناء علم وأب
كان سعد علماً منفرداً
إن أم المجد مقلات فكم
تبخل الدنيا بأساد الشرى
أنت قد أنجبت سعداً بطلاً
وجدت مصر به واحدها
ومن الناس نضار خالص
ومن الناس أسود خدر
قاد للمجد مناجيد الحمى

رحمات من شمال ويمين^{١٧}
من جديد، تلك عقيب الصابرين!^{١٨}
في حنايا كل مصري دفين؟^{١٩}
هو ملء القلب، ملء الأرضين^{٢٠}
في إطار من حنان وحنين
وانبلاج الحق في ضوء الجبين^{٢١}
فاستقرت منه في حضن حصين
وهو للأباء خل وخدين^{٢٢}
هل يرى للشمس في الأفق تنين؟^{٢٣}
سوّفت بين جنين وجنين!^{٢٤}
أيها الدنيا إلى كم تبخلين؟^{٢٥}
وقليل مثله من تلدين
ربّ فرد بالوف ومئين!
ومن الناس غثاء وغرين^{٢٦}
ومن الناس ذباب وطنين^{٢٧}
كلهم أزوغ منبت القرين^{٢٨}

تَقْرَأُ الْأَقْدَامَ فِي صَفْحَتِهِ مَثَلَمَا تَقْرَأُ خَطَّ الْكَاتِبِينَ
كَلَّمَا مَرَّتْ بِهِ عَاصِفَةٌ زَعَزَعُ، مَرَّتْ عَلَى طَوْدٍ رَكِينٍ^{٢٩}
تَقَرَّعُ الْأَقْدَارُ مِنْهُ عَزْمَةٌ أَنْفَتُ صَخْرَتُهَا أَنْ تَسْتَكِينَ
يَا بَنِي الرُّبَّانِ لَا تَسْتَيْئِسُوا إِنْ مَضَى الْمَوْتُ بِرُبَّانِ السَّفِينِ
إِنَّ سَعْدًا أَخْضَعَ الرِّيحَ لَكُمْ وَالْبَقِيَّاتُ عَلَى اللَّهِ الْمَعِينِ
لَا حَتَّ الْفُرْصَةُ فِي إِبَانِهَا إِنَّهَا لَا تُرْتَجَى فِي كُلِّ حِينٍ^{٣٠}
فَهَلُمُّوا فَاقْنِصُوا طَائِرَهَا كَلَّكُمْ بِالسَّبْقِ وَالنَّصْرِ قَمِينٍ^{٣١}
صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى وَعْدَهُ إِنَّمَا الْفَوْزُ ثَوَابُ الْمَخْلَصِينَ!

هوامش

- (١) الستر: الحجاب.
- (٢) العسجد: الذهب.
- (٣) انتضوا: أخرجوا. وغى: الحرب. صال: وثب وجال. يقدر: يشق ويقطع. الدارعين: لابسى الدرع والمراد المحاربين.
- (٤) قناة: الرمح. ثقفها: سواها. للحفاظ المر: للمحافظة القوية.
- (٥) لوت: أخضعت وألانت. صفاة: صخرة ملساء قوية.
- (٦) جيش الأباطيل: جيش الكذب والبهتان.
- (٧) عاملها: عامل الرمح: صدره الذي يركب فيه السنان.
- (٨) جدث: قبر. سناء: الرفعة والشرف. سنا: الضوء. مصاص الطهر: خلاصته.
- (٩) الروح الأمين: سيدنا جبريل.
- (١٠) جثت: ركعت.
- (١١) رجع: ترديد.
- (١٢) عرين: بيت الأسد. ضيغم: الأسد. ليث: أسد.
- (١٣) مضاء: نفاذ. يميناً: قوة. لا تمين: لا تكذب.
- (١٤) فدغد: الفلاة أو المكان المرتفع من الأرض.
- (١٥) نفحت: انتشرت رائحتها الذكية. أغض: أدنى جفونه وأخفض من نظرتة.
- (١٦) أفياءها: ظلالها.

- (١٧) تحتف به: تحيط به.
(١٨) عقيبى: جزاء.
(١٩) حنايا: أضلع.
(٢٠) الأرضين: الأرض.
(٢١) الرثبال: الأسد. انبلاج: إضاءة.
(٢٢) خل: الصديق الودود. خدين: الصديق.
(٢٣) تنين: شبيهه.
(٢٤) مقلات: قليل الولادة، سوفت: باعدت.
(٢٥) آساد الشرى: آساد الجبال.
(٢٦) نضار خالص: ذهب نقي. غثاء: ما يحمله السيل من قدر. غرين: طين يخالطه ماء.
(٢٧) خدر: جمع خادر يقال: أسد خادر: ملازم عرينه.
(٢٨) مناجيد: شجعان. منبت القرين: ليس لهم مثيل.
(٢٩) زعزع: متحركة. طود: جبل.
(٣٠) إبانها: حينها.
(٣١) طائرها: ثمرتها. قمين: جدير.

وَصِيَّةٌ

عرض على الشاعر بعض أصدقائه قطعة نثرية باللغة الفرنسية يوصي فيها كاتبها ابنته بالتحلي بكريم الصفات، ثم طلب إليه أن يقول شعراً على مثالها، فنظم هذه القصيدة في سنة ١٩١٨ م.

وَجَمَالًا يَزِينُ جِسْمًا وَعَقْلًا^١
فَجَمَالُ النُّفُوسِ أَسْمَى وَأَعْلَى
وَرَدَّةُ الرُّوضِ لَا تُضَارِعُ شَكْلًا
سَسْ، تَعَالَى إِلَهُ عَزَّ وَجَلَّ
سِسْ سَوَاءٌ: مَنْ عَزَّ مِنْهُمْ وَذَلَّ
وَأَمْنَجِي الْبَائِسَاتِ بِرًّا وَفَضْلًا
شَرْفًا يَسْحَرُ الْعُيُونَ وَنُبْلًا
فَهُوَ بِالْغَادَةِ الْكَرِيمَةِ أَوْلَى^٢
إِنْ تَنَاءَى الْحَيَاءُ عَنْهَا وَوَلَّى
كُلُّ ثَوْبٍ سِوَاهُ يَفْتَنِي وَيَبْلَى
بِدُمُوعِ الْإِحْسَانِ يَهْطِلُنْ هَظْلًا^٣
وَأَبْهَى مِنَ اللَّالِي وَأَعْلَى
ةٌ — فففيه تبدو النفوسُ وتُجَلَّى
وَابْنَتِي لَا تَرُدِّ لِلأَبِ سُؤْلًا

يَا بِنْتِي إِنْ أَرَدْتَ آيَةَ حُسْنٍ
فَانْبِذِي عَادَةَ التَّبَرُّجِ نَبْذًا
يَصْنَعُ الصَّانِعُونَ وَرَدًّا وَلَكِنْ
صِبْغَةُ اللَّهِ صِبْغَةٌ تَبْهَرُ النَّفْسَ
ثُمَّ كُونِي كَالشَّمْسِ تَسْطَعُ لِلنَّاسِ
فَأَمْنَجِي الْمُثْرِيَّاتِ لِيْنَا وَلُطْفًا
زِينَةُ الْوَجْهِ أَنْ تَرَى الْعَيْنُ فِيهِ
وَأَجْعَلِي شِيمَةَ الْحَيَاءِ خِمَارًا
لَيْسَ لِلْبِنْتِ فِي السَّعَادَةِ حَظٌّ
وَالْبَسِي مِنْ عَفَافِ نَفْسِكَ ثَوْبًا
وَإِذَا مَا رَأَيْتِ بُؤْسًا فَجُودِي
فَدُمُوعِ الْإِحْسَانِ أَنْصُرْ فِي الْخَدِّ
وَانظُرِي فِي الضَّمِيرِ — إِنْ شِئْتَ مَرًّا
ذَاكَ نَصْجِي إِلَى فَتَاتِي وَسُؤْلِي

هوامش

- (١) الآية: العلامة.
- (٢) الشيمة: السجية والطبع. الخمار: ما تغطي به المرأة رأسها ووجهها.
- (٣) يهطل: ينصب انصباباً في تتابع وكثرة.

ذِكْرِي قَاسِمِ أَمِين

أذيعت بدار الإذاعة في سنة ١٩٣٨م مرور ثلاثين سنة على وفاته.

مَلَّ مِنْ وَجْدِهِ وَمِنْ فَرْطِ مَا بِهِ
وَإِذَا الْقَلْبُ أَظْمَأَتْهُ الْأَمَانِيُّ،
وَإِذَا النَّفْسُ لَمْ تَكُنْ مَنِبْتَ الْأُنْ
وَأَشَدُّ الْأَلَامِ أَنْ تُلْزِمَ الثُّغَرَ ابْتَسَا
وَأَرَاكَ الشَّرَابَ مِنْ أَكْوَابِهِ!
فَمَاذَا يُرِيدُهُ مِنْ شَرَابِهِ؟
سِسْ، تَنَاعَى الْقَرِيبُ مِنْ أَسْبَابِهِ
مَاءً، وَالْقَلْبُ رَهْنُ اكْتِنَابِهِ

* * *

كُلَّمَا اخْتَالَ فِي الزَّمَانِ شَبَابٌ
وَالنُّبُوغُ النُّبُوغُ يَمْضِي، وَتَمْضِي
عَرْدٌ، مَا يَكَادُ يَصْدَحُ حَتَّى
وَحَبَابٌ، إِذَا عَلَا الْمَاءُ وَلَّى
وَسَفِينٌ، مَا شَارَفَ الشُّطَّ حَتَّى
عَصَفَتْ رِيحُهُ بِلَدْنِ شَبَابِهِ!
كُلُّ أَمَالٍ قَوْمِهِ فِي رِكَابِهِ
يُسْكِتُ الدَّهْرُ صَوْتَهُ بِنُعَابِهِ^١
فَاسْأَلِ الْمَاءَ هَلْ دَرَى بِحَبَابِهِ؟^٢
مَزَّقَ الْيَمُّ دُسْرَهُ بِعُغَابِهِ^٣

* * *

بَخِلَ الدَّهْرُ أَنْ يُطَوَّلَ لِلْعَقْلِ،
كَلَّمَا سَارَ خُطْوَةٌ وَقَفَ الْمَوْ
وَابْتِدَاءُ الْكَمَالِ فِي عَمَلِ الْعَا
ضِلَّةً نَكُتُمُ الْمَشِيبَ فَيَبْدُو
أَيَّنْ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُرْشِدَ الدُّنْيَا،
فَيَجْرِي إِلَى مَدَى آرَابِهِ^٤
تُ، فَسَدَ الطَّرِيقُ عَنْ طُلَابِهِ
مِلْ بَدَأَ الشُّكَاةَ مِنْ أَوْصَابِهِ^٥
ضَاحِكًا سَاحِرًا خِلَالَ خَضَابِهِ^٦
وَسَوَّطَ الْمَنُونِ فِي أَعْقَابِهِ؟^٧

كَيْنَ يُرْسَلُ أَنْفَاسُهُ فِي كِتَابِهِ
بِسَنِينَ تُعَدُّ لِي فِي جَسَادِهِ
لَمْ أَزَلْ وَأَقِفًا عَلَى أَبْوَابِهِ
رُ، فَتَرْضَى بِنَهْلَةٍ مِنْ سَرَابِهِ
أَتُخَنَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ بِحِرَابِهِ
الْمَوْتُ دُونَ وَشِكِ طَلَابِهِ؟
هَالِنِي بُعْدَهُ وَطُولُ شَعَابِهِ^٨
وَدَمِي لَا يَزَالُ مِلءَ لُعَابِهِ^٩
لِ، مِنْ شَدْوِهِ وَعَزْفِ رَبَابِهِ
نِ، فَلَا حَدَّ يَنْتَهِي لِإِنْصَابِهِ^{١٠}

أَيُّهَا الْمَوْتُ: أَمْهِلِ الْكَاتِبَ الْمَسْدَ
أَهْ لَوْ يَشْتَرِي الزَّمَانُ قَرِيضِي
مَا حَيَاتِي؟ وَالْكَوْنُ بَعْدَ جِهَادِ
تَظْمًا النَّفْسُ فِي حَيَاةٍ هِيَ الْقَفْ
أَنَا قَلْبِي مِنَ الشَّبَابِ وَجِسْمِي
أَمَلُ هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَهَلْ يَغْنُرُ بِي
كُلَّمَا رُمْتُ لَمَحَةً مِنْ سَنَاهُ
مَا الَّذِي تَبْتَغِي يَدَ الدَّهْرِ مِنِّي؟
دَعِ يَرَاعِي يَا دَهْرُ يَمَلَأْ سَمْعَ النَّيْبِ
كُلُّ شَيْءٍ لَهُ نِصَابٌ سِوَى الْفَنَدِ

وَهُوَ لَمْ يَعُدْ صَفْحَةً مِنْ خِطَابِهِ
عَقَدَ النُّوْءَ لُجَّةً بِسَحَابِهِ^{١١}
كَمْ مَشَتْ مَضْرُ فِي ضِيَاءِ شَهَابِهِ
تَفَرَّعَ النُّجْمَ رَاسِيَاتُ قِبَابِهِ^{١٢}

عَصَفَتْ صَيْحَةُ الرَّدَى بِخَطِيبِ
سَكَنَتُهُ أَسْكَنَتْ نَيْيَجَ خِضْمٍ
سَكَنَتُهُ أَطْفَاءُ مَنَارِ طَرِيقِ
وَمَضَى (قَاسِمٌ) وَخَلَّفَ مَجْدًا

وَفَهِمْنَا مَعْنَاهُ يَوْمَ احْتِسَابِهِ
بَا، شَقَقْتَ الْجُيُوبَ عِنْدَ غِيَابِهِ
تَمَنَّيْتُ لَمَحَةً مِنْ ضَبَابِهِ
فَنَثَّرْتَ الْأَزْهَارَ فَوْقَ تُرَابِهِ
فُ، وَيُبْكِ النُّبُوءُ بَعْدَ ذَهَابِهِ
وَشَغِفْنَا بِالْبَدْرِ بَعْدَ احْتِجَابِهِ!
كُلُّ نِي دَعْوَةٍ إِلَى الْحَقِّ نَابِهِ
بَطْلًا لَا يَهَابُ هَوْلَ صِعَابِهِ
عَرَفَ الْجَوُّ نَسْرَهُ مِنْ غُرَابِهِ
نِ، وَمَا فِيهِ غَيْرُ حُسْنِ ثِيَابِهِ

قَدْ نَكِرْنَاهُ حِينَ قَامَ يُنَادِي
رَبِّ مَنْ كُنْتَ فِي الْحَيَاةِ لَهُ حَزْ
وَتَحَدَّيْتُ شَمْسَهُ، فَإِذَا وَلَّى
لَمْ يَفْزَ مِنْكَ مَرَّةً بِثَنَاءِ
يُعْرِفُ الْوَرْدُ حِينَمَا يَنْقُضِي الصَّيْبُ
كَمْ نَدَبْنَا الشَّبَابَ حِينَ تَوَلَّى
كَتَبَ اللَّهُ أَنْ يَعِيشَ غَرِيبًا
لَا تَرَى فَوْقَ قِمَّةِ الطُّوْدِ إِلَّا
كُلُّ ذَاتِ الْجَنَاحِ طَيْرٌ، وَلَكِنْ
كَمْ رَأَيْنَا فِي النَّاسِ مَنْ يُبْهِرُ الْعَيْبُ

يَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ رِيَاءً وَعُيُوبُ الزَّمَانِ مِلْءُ عِيَابِهِ^{١٣}

* * *

نَقَدَ النَّاسَ (قَاسِمًا) فَرَأَوْهُ أَصْبَرَ النَّاسَ فِي تَجَرُّعِ صَابِهِ^{١٤}
حُجَّةَ الْجَاهِلِ الْمِرَاءِ، فَإِنْ شَأْ ءَ سُمُوءًا، أَمَدَهَا بِسَبَابِهِ^{١٥}
قَدْ يُغَشِّي الْوُجْدَانُ بَاصِرَةَ الْعَقْفِ لِ، فَيُعْمِيهِ عَنْ طَرِيقِ صَوَابِهِ
صَالَ بِالرَّأْيِ (قَاسِمٌ) لَا يُبَالِي وَمَضَى فِي طَرِيقِهِ غَيْرَ آبِهِ
كَمْ جَرِيءٍ لَا يَرْهَبُ السَّيْفَ إِنْ سَلَّ لَ وَنَكَسَ يَخَافُ مَسَّ قِرَابِهِ
وَالشُّجَاعُ الَّذِي يُجَاهِرُ بِالْحَقِّ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ مُرٌّ عَذَابِهِ
كَيْفَ يَهْدِي النَّصِيحُ إِنْ رِيحَ يَوْمًا مَنْ قَلَى مَنْ يُحِبُّ أَوْ إِغْصَابِهِ^{١٦}
وَطَرِيقُ الْإِصْلَاحِ فِي كُلِّ شَعْبٍ عَسِرُ الْمُرْتَقَى عَلَى مُجْتَابِهِ
يَعْشَقُ الشَّعْبَ مَنْ يَدُلُّهُ زُو رًا، بِمَذَقٍ مِنْ سَخْفِهِ وَكَذَابِهِ^{١٧}

* * *

قُمْتَ لِلْجَهْلِ تَقْلِيمُ الظُّفْرِ مِنْهُ وَتَفُضُّ الْجَدَادَ مِنْ أَنْيَابِهِ^{١٨}
فِي زَمَانٍ كَانَ الْقَدِيمُ بِهِ قَدْ سَا، يُذَادُ الْجَدِيدُ عَنْ مَحْرَابِهِ^{١٩}
يَا نَصِيرَ النِّسَاءِ، وَالْدِّينَ سَمُحٌ لَوْ وَعَيْنَا السَّرِيَّ مِنْ آدَابِهِ^{٢٠}
قَدْ خَشِينَا عَلَى الْحَمَائِمِ فِي الدَّو حِ، أَظَافِيرَ بَازِهِ أَوْ عُقَابِهِ^{٢١}
إِنْ أَرَدْتَ الظُّبَاءَ تَمَرِّحُ فِي السَّهْ لِ، فَطَهَّرْ أَكْنَافَهُ مِنْ ذَنَابِهِ^{٢٢}
كَمْ ضِرَاءٍ وَسَطَ الْمَدَائِنِ أَنْكَى مِنْ ضِرَاءِ الضَّرْعَامِ فِي وَسْطِ غَابِهِ^{٢٣}
وَشَبَاكِ، مِنَ الْجَرَائِمِ وَالْخُتْلِ، حَوَاهَا شَيْطَانُهُمْ فِي جِرَابِهِ^{٢٤}
وَإِذَا مَا الْحَيَاءُ لَمْ يَسْتُرِ الْحُسْنَ، فَمَاذَا يُفِيدُهُ مِنْ نِقَابِهِ؟

* * *

قُمْتَ تَدْعُو الْبَنَاتِ لِلْعِلْمِ فَاَنْظُرْ كَيْفَ حَلَقْنَ فَوْقَ شَمِّ هَضَابِهِ^{٢٥}
وَزَهَا النِّيلُ بَابِنَةَ النِّيلِ فَاخْتَا لَ، يَجُرُّ الذُّيُولَ مِنْ إِعْجَابِهِ
وَعَدَا الْبَيْتُ جَنَّةً بَالْتِي فِيهِ، خَصِيبًا بِالْأُنْثَى بَعْدَ يَبَابِهِ^{٢٦}
يَا فَتَى الْكُرْدِ، كَمْ بَزَزْتَ رِجَالًا مِنْ صَمِيمِ الْحِمَى، وَمِنْ أَغْرَابِهِ^{٢٧}

نَسَبُ الْمَرْءِ مَا يَعُدُّ مِنَ الْأَعْدَاءِ
كَمْ سُؤَالٍ بَعَثَتْ إِثْرَ سُؤَالٍ
كُنْتُ فِي الْحَقِّ لِلْإِمَامِ نَصِيرًا
نَمْ هَنِيئًا، فَمِصْرُ نَالَتْ ذُرَا الْمَجْدِ
مِنْكَ عَزْمُ الدَّاعِي، وَفَضْلُ الْمُجَلِّي
مَالٍ، لَا مَا يَعُدُّ مِنْ أَنْسَابِهِ
أَيَقُظُ النَّائِمِينَ رَجْعُ جَوَابِهِ
وَالْوَفَى الصَّفَى مِنْ أَصْحَابِهِ^{٢٨}
د، وَفَارَتْ بِمَحْضِهِ وَلُبَابِهِ^{٢٩}
وَمِنْ اللَّهِ مَا تَرَى مِنْ ثَوَابِهِ^{٣٠}

هوامش

- (١) النعاب: صوت الغراب.
- (٢) حباب: حباب الماء بفتح الحاء نفاخاته التي تملؤه.
- (٣) الدسر: خيوط تشد بها ألواح السفينة. واحدها دسار ككتاب. عابه: أمواجه.
- (٤) طول له: أمهله. مدى: غاية. أراب: جمع إرب وهو الحاجة والمطلب.
- (٥) الشكاة: الشكوى. أوصاب: جمع وصب المرض.
- (٦) الضلة: بكسر الضاد عدم الهدى. الخضاب: صبغ يوضع على الشعر لإخفاء الشيب.
- (٧) أعقاب: جمع عقب وهي مؤخر القدم.
- (٨) رمت: أردت. السنا: الضوء. هالني: أزعجني. شعابه: جمع شعب وهو الطريق في الجبل.
- (٩) إشارة إلى وفاة نجل الشاعر البكر عام ١٩٣٥م.
- (١٠) النصاب: المقدار المعين.
- (١١) النتيجة: الصوت. الخضم: البحر العظيم. النوء: النجم مال للغروب أو سقوط النجم في المغرب مع الفجر، وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق وكانت العرب تنسب الرياح والأمطار إلى النوء، والمراد هنا العواصف التي تنشأ عن النوء.
- (١٢) قاسم: هو الرجل الاجتماعي العظيم الذي دافع عن المرأة المصرية طول حياته، وبذل في سبيل تحريرها جهدًا كبيرًا وقوة فتية حتى تنهض إلى مكانة سامية، وألف في سبيل تحريرها كتابيه: تحرير المرأة، والمرأة الجديدة. وهو من أصل كردي ولد سنة ١٨٦٥م، وبعد أن فاز بقسط كبير من العلم في مصر سافر إلى فرنسا، وهناك درس الحقوق ثم رجع إلى مصر في سنة ١٨٨٥م وعين قاضيًا بالمحاكم الأهلية، ثم مستشارًا

واشترك في إنشاء الجامعة المصرية وتوفي سنة ١٩٠٨ م. تفرع: فرع القوم علامهم بالشرف والجمال.

(١٣) الرياء: أن تظهر للناس غير ما أنت عليه؛ لتخدعهم عن حقيقة أمرك. عيابه: عياب جمع عيبة وهي الحقيبة.

(١٤) تجرع: من جرعت الماء كنفج جرعا إذا بلعته، والجرعة من الماء كاللقمة من الطعام. صابه: الصاب عصارة شجر مر.

(١٥) المرء: من ماريته أماريه مماراة ومراء: جادلته بالحق أو بالباطل.

(١٦) ريع: خاف وفزع. القلى: البغض.

(١٧) يُدَلِّلُهُ: يرضي رغباته. مذاق: المذاق الخلط. سخفه: سخف الثوب سخفاً وسخافة رق لقلة غزله، فهو سخيّف ومنه قيل: رجل سخيّف وفي عقله سخف أي: نقص والمراد بالسخف هنا الهراء من الكلام، الكذاب: الكذب.

(١٨) تقلم: قلمت الظفر قطعته وما يسقط منه يسمى القلامة. الحداد: جمع حديد القوى. وناب حديدة أي: حادة قوية. فض الله فاه: نثر أسنانه.

(١٩) القدس: الطهر والمراد به هنا الشيء الذي لا يحل تغييره وتبديله. يذاذ: يدفع ويطرده. المحراب: صدر المجلس أو محراب المسجد أو المسجد نفسه.

(٢٠) سمح: يسر. وعينا: أدركنا. سرى الآداب: شريفها وعاليها.

(٢١) الحمام: جمع حمامة. الدوح: الشجر العظام ومفرده دوحة. الباز: طير جارح وكذا العقاب.

(٢٢) الظباء: جمع ظبية. تمرح: ترتع وتلعب. السهل: الأرض المستوية. أكنافه: جمع كنف وهو الجانب.

(٢٣) ضراء: من ضرى الكلب بالصيد ضراء بكسر الضاد وفتحها فهو ضار إذا تعود، والمراد هنا بالضراء الجرأة والفتك. أنكى: من قولهم: نكيت في العدو من باب رمى إذا قتلت وأثخنت والاسم منه النكاية، والمراد بأنكى هنا: أشد وأبلغ. الضرغام: الأسد. الغاب: جمع غابة.

(٢٤) الختل: الخداع والمكر.

(٢٥) حلق الطائر: طار في دوران. شم: جمع شماء وأشم، والشمم ارتفاع في الجبل والأنف، وشم الهضاب مرتفعها.

(٢٦) ييباه: اليباب: القفر.

(٢٧) فتى الكرد: قاسم؛ لأنه كردي الأصل من بلاد كردستان أقليم من أقاليم العراق يقع جزء منه بين دجلة والفرات. بززت: غلبت. صميم: خالص. الحمى: المراد بالحمى هنا مصر.

(٢٨) الإمام: المرحوم الشيخ محمد عبده. الصفي: المختار.

(٢٩) الذرا: جمع ذروة: وهي أعلى كل شيء. المحض: الخالص. اللباب: لب النخلة قلبها.

(٣٠) المجلى: السابق من أفراس الحلبة.

دَارُ الْعُلُومِ

احتفل كبار خريجي دار العلوم في شهر أغسطس سنة ١٩٢٧م بانقضاء خمسين عاماً منذ إنشائها. وقد حضر هذا الحفل الجامع عليّة رجال مصر، وخيرة علمائها وأدبائها. وأنشد الشاعر هذه القصيدة في هذا المهرجان:

يا خَلِيلَيَّ خَلِيَانِي وَمَا بِي	أَوْ أَعِيدَا إِلَيَّ عَهْدَ الشَّبَابِ
حُلُمٌ قَدْ مَضَى، وَأَيَّامُ أَنْسِ	نَهَبْتُ غَيْرَ مُزْمَعَاتِ الْإِيَابِ
وَأَزَاهِيرُ كُنَّ تَاجَ عَرُوسٍ	غُفِّرْتُ بَعْدَ لَيْلَةٍ فِي التُّرَابِ
وَبَسَاطُ لِلشَّارِبِينَ يُصَلِّي	فِيهِ إِبْرِيْقُهُمْ بِلَا مِحْرَابِ ^١
فِي حَدِيثٍ أَحَلَّى مِنَ الْأَمَلِ الْحُلْ	وَوَاصَفَى دِيْبَاجَةً مِنْ شَرَابِ ^٢
كُلُّ فَضْلٍ كَأَنَّهُ صَفْحَةُ الرَّوِّ	ضٍ وَعِنْدَ الْعُقَارِ فَضْلُ الْخُطَابِ ^٣
وَمُجُونٌ يَحُوطُهُ الْأَدَبُ الْجَم	مُ فَمَا رَاعَهُ اللِّسَانُ بَعَابِ
يَتَغَنَّوْنَ بِالنُّوَاسِي حِينًا	وَبِشِعْرِ الْقَتَى أَبِي الْخُطَابِ ^٤
كُلَّمَا هَزَّتِ الْمُدَامُ يَدَيْهِمْ	قَهَقَهَتْ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَكْوَابِ ^٥
صَاحَ فِيهِمْ دِيكَ الصَّبَاحِ فَطَارُوا	كُلُّ جَمْعٍ لِفَرْقَةٍ وَاغْتِرَابِ!

* * *

يَا شَبَابًا أَقَامَ أَقْصَرَ مِنْ حَسَوَةٍ	طَيْرٌ عَلَى وَحْيٍ وَارْتِيَابِ ^٦
لَكَ عُمْرُ النَّدَى يَطِيرُ مَعَ الشَّمْسِ	وَعُمْرُ الْبُرُوقِ بَيْنَ السَّحَابِ
كُنْتُ فِينَا كَمَا لَمَحْنَا حَبَابًا	فَنَظَرْنَا فَلَمْ نَجِدْ مِنْ حَبَابِ ^٧

وَعَرَفْنَاكَ مُذْ ذَهَبْتَ كَمَا يُعْرَفُ
مُذْ خَلَعْنَا ثِيَابَكَ الْقُشْبَ
وَرَأَيْنَا فِي لَوْنِكَ الْفَاجِمَ اللَّمَّا
أَيْنَ لَوْنُ الْحَيَاةِ وَالْقَهْرِ وَالْقُوَّةِ
فَضْلُ النُّبُوغِ بَعْدَ الذَّهَابِ
لَمْ نَنْعَمْ بِشَيْءٍ مِنْ مُنْفَسَاتِ الثِّيَابِ^٨
حَ هُزُّوا بَلَوْنَ كُلَّ خِصَابِ
مِنْ لَوْنٍ نَاصِلِ الْأَعْشَابِ؟^٩

* * *

يَا سَوَادَ الْعُيُونِ! يَا حَبَّةَ الْقَلْبِ!
سَرَقَ اللَّيْلُ مِنْكَ لَوْنًا فَاْمَسَى
وَرَأَى فِيكَ أَحْمَدُ لَوْنًا كَافُو
بَسْمَةِ لِلزَّمَانِ أَنْتَ، تَلَتْهَا
كُلَّمَا رُمْتُ خَدَعَ نَفْسِي بِنَفْسِي
رَبِّ صَدَقَ تَوَدُّ لَوْ كَانَ كِذْبًا
لَيْتَ لِي لَمَحَّةٌ أُعِيدُ بِهَا مِنْ
حَيْثُ أَخْتَالُ نَاضِرَ الْعُودِ بَسًّا
فِي صَحَابٍ مِثْلِ الدَّنَانِيرِ لَا تَبِ
بِوُجُوهِ غُرٍّ تَرَاهَا فَتَتَلَوُ
تَسْبِقُ الْخَطُوبَ لِلشُّرُورِ وَثَابًا
وَتَجْرُ الذُّيُولَ فِي غَيْرِ نُكْرٍ
إِنْ دَعَانَا الْهَوَى لِعِغْرِ سَدِيدٍ
زَيْنَبُ، أَيْنَ مِنْكَ زَيْنَبُ، وَالشَّمْلُ
وَبَنَاتُ الثُّغُورِ يَلْعَبْنَ بِالْأَلِ
يَتَظَاهَرْنَ بِالْحِجَابِ، وَهَلْ أَدْ
كَمْ وَجُوهُ تَنْقَبَتْ بِسُفُورِ
أَيْنَ تِلْكَ الْإَيَّامُ؟ بَانَتْ وَبَنَّا
وَيَا خَالَ كُلِّ خَوْدٍ كَعَابِ!^{١٠}
مَسْرَحَ اللَّهْوِ مَوْطِنَ الْإِطْرَابِ
رَ فَعَنَى خَوَالِدَ الْآدَابِ^{١١}
كَثْرَةُ لِلزَّمَانِ عَنْ أَنْيَابِ
كَشَفْتُ لِي الْمِرْآةَ وَجَهَ الصَّوَابِ
وَكَذَابِ لَوْ كَانَ غَيْرَ كِذَابِ!
لَكَ بَقَايَا تِلْكَ الْأَمَانِي الْعَذَابِ
مَا كَثِيرَ الْهَوَى قَلِيلَ الْعِتَابِ
لَى مَوْدَاتِهِمْ بِطُولِ الصَّحَابِ
فِي أَسَارِيرِهَا سَطُورَ كِتَابِ^{١٢}
لَا تُنَالُ الْمُنَى بِغَيْرِ الْوِثَابِ
طَاهِرِي النَّفْسِ طَاهِرِي الْجِلْبَابِ^{١٣}
سَدَدْتُنَا كِرَائِمُ الْأَخْسَابِ
جَمِيعُ وَالْعَيْشُ خِصْبُ الْجَنَابِ؟^{١٤}
بَابِ لِعَبِّ الشُّمُولِ بِالْأَلْبَابِ^{١٥}
كَى الْجَوَى غَيْرَ لَوْمَ ذَاكَ الْحِجَابِ؟^{١٦}
وَوُجُوهُ قَدْ أَسْفَرَتْ بِنِقَابِ!
وَتَوَلَّتْ بِشَاشَةِ الْأَحْبَابِ!^{١٧}

* * *

لَيْتَ شِعْرِي، أَيْرَجُ الْأَمْسِ عَهْدًا
عَهْدَ دَارِ الْعُلُومِ، أَنْتَ يَدُ الدَّهْرِ
غَصَبَتْهُ الْإَيَّامُ أَيَّ اغْتِصَابِ؟
رَ، جَمَالُ الدُّهُورِ وَالْأَحْقَابِ^{١٨}

إِنْ ذَكَرْنَاكَ هَزَّنَا الشُّوقُ لِلشُّوْ
أَنْتَ جَدُّ الشَّبَابِ، بَيْنَكُمَا فِي الْـ
فَكَأَنِّي أَرَى الزَّمَانَ وَقَدْ دَا
وَأَرَى «الْجَارِمَ» الْفَتِيَّ يَقُودُ الْـ
وَأَثْبًا لَاهِيًا، لَعُوبًا ضَحُوكًا
وَأَثَقًا بِالْإِلَه، لَيْسَ يَرَى الصَّعْبَ
فَهُوَ كَالطَّائِرِ الطَّلِيْقِ فَحِينًا
عَابَثَ بِالْغُصُونِ فِي ظِلِّ رَوْضِ
يَحْمِلُ الْكُتُبَ فِي الصَّبَاحِ، وَلِلَّـ
رَأْسُهُ رَأْسُ مَالِهِ، وَامْتِلَاءُ الرَّأْ
كُلُّ يَوْمٍ فِي الْامْتِحَانَاتِ هَيْنٌ

قِ وَلَهُوِ اللَّدَاتِ وَالْأَتْرَابِ^{١٩}
وَهُم قُرْبَى وَشِجَّةُ الْأَنْسَابِ^{٢٠}
رَ وَعَادَ الصَّبَا نَضِيرَ الْإِهَابِ^{٢١}
حَشَدَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الطُّلَابِ
غَيْرَ مَا وَاجِلٍ وَلَا هَيَّابِ^{٢٢}
سَوَى أَنْ تَهَابَ حَوْضَ الصَّعَابِ
فِي وَهَادٍ وَمَرَّةً فِي هَضَابِ
حَاكَ أَفْوَاهَهُ مُلِثُ الرَّبَابِ^{٢٣}
مَالٍ فِي صَدْرِهِ نَثِيْجُ الْعُبَابِ^{٢٤}
سَ خَيْرٌ مِنْ اِمْتِلَاءِ الْوُطَابِ^{٢٥}
خَطْبُهُ غَيْرَ خَطْبِ يَوْمِ الْحِسَابِ^{٢٦}

إِيَّاهِ دَارُ الْعُلُومِ، كُنْتُ بِمَضْرٍ
فِي زَمَانٍ مَنْ كَانَ يُمَسِّكُ فِيهِ
أَنْتِ أُمُّ الْأَشْبَالِ، إِنَّ غَابَ لَيْثٌ
تَلْدِينَ الْبَنِينَ مِنْ كُلِّ مَاضٍ
شَاعِرٍ يُنْصِتُ الْوُجُودُ إِذَا قَا
شَعْرَهُ زَفَرَةُ الْغَرَامِ، تَعَالَتْ
تَتَغَنَّى بِهِ الْعَذَارَى فَيُبْعَثْنَ
تَخِذَتْ فِيكَ بِنْتُ عَدْنَانَ دَارًا
عَادَهَا الْحُسْنُ فِي ذَرَاكِ وَرَوَا
وَعَدَتْ فِي عُكَاطٍ بَيْنَ شُيُوخٍ
خَلَعُوا فِي طِلَابِهَا جَدَّةَ الْعُمَرِ،
وَدَنُوا مِنْ خِبَائِهَا فَأَرَتْهُمْ

فِي ظِلَامِ الدُّجَى ضِيَاءَ الشَّهَابِ^{٢٧}
قَلَمًا عَدَّ أَكْتَبَ الْكُتَّابِ!
صَالَ لِلْحَقِّ بَعْدَهُ لَيْثٌ غَابِ
شَمَرِيٍّ مُزَاجِمٍ وَثَّابِ^{٢٨}
لَ وَيَهْتَزُّ هِزَّةَ الْإِعْجَابِ
عَنْ قُبُودِ الْأَوْتَادِ وَالْأَسْبَابِ^{٢٩}
الْهَوَى بَعْدَ صَحْوَةٍ وَمَتَابِ^{٣٠}
ذَكَرَتْهَا بَدَاوَةُ الْأَعْرَابِ^{٣١}
هَا عَلَى غِلَّةٍ نَمِيرُ الشَّبَابِ^{٣٢}
فَتَنَنْتَهُمْ بِسِحْرِهَا الْخَلَّابِ^{٣٣}
وَقَدَّرُ الْمَطْلُوبِ قَدْرُ الطُّلَابِ^{٣٤}
ثَمَرَاتِ النُّهَى وَسِرَّ الْكِتَابِ^{٣٥}

لَكَ دَارُ الْعُلُومِ فِي كُلِّ نَفْسٍ أَثَرُ الْقَيْنِ فِي صِقَالِ الْحِرَابِ^{٣٦}

حَسْبُ مُطْرِيكَ أَنَّ كُلَّ نَجِيبٍ
أَنْتِ كَالنَّيْلِ، كُلُّمَا مَسَّ جَذْبًا
كَيْمِيَاءُ الْعُقُولِ أَنْتِ، تَصَوِّغِي
إِنَّ خَمْسِينَ حِجَّةً قَدْ كَفَّتِ
نَهَضَتْ مِصْرُ نَهْضَةِ النَّسْرِ فِيهَا
كُلُّ عَامٍ كَأَنَّهُ خُطْوَةُ الْجَبَّارِ
كُلُّ عَامٍ كَأَنَّهُ عَلِمُ النَّصْرِ
كُلُّ عَامٍ كَطَالِعِ السَّعْدِ شَمْنَا
كُلُّ عَامٍ كَالْفَجْرِ يَهْزِمُ لَيْلًا
كُلُّ عَامٍ كَأَنَّهُ الْأَمَلُ الضَّا
كُلُّ عَامٍ كَوَافِدِ الْغَيْثِ تَلْقَا

نَفْحَةً مِنْ رَجَالِكَ الْأَنْجَابِ
هَزَّهُ بِالنَّمَاءِ وَالْإِخْصَابِ
نَنْ نَضَارًا مِنَ النَّحَاسِ الْمُذَابِ^{٣٧}
مِنْكَ لِمَلَأَ الدُّنْيَا بِكُلِّ عُجَابِ^{٣٨}
وَأَسْتَوَتْ فَوْقَ مُسْتَقَرِّ الْعُقَابِ^{٣٩}
أَوْ وَثَبَتْ الْأُسُودُ الْغِضَابِ
بِكُفِّ الْمُظْفَرِ الْغَلَابِ
هُ عَلَى طُولِ غَيْبَةٍ وَاحْتِجَابِ^{٤٠}
نَابِغِي الْهُمُومِ وَالْأَوْصَابِ^{٤١}
حِكْ، وَفَاكِ بَعْدَ طُولِ ارْتِقَابِ
هُ وَجُوهَ الرِّيَاضِ بِالتَّرْحَابِ

* * *

لَا تَهَابِي دَارَ الْعُلُومِ مُلِمًّا
إِنَّ فِي مِصْرٍ لَوْ عَلِمْتَ قُلُوبًا
سَتَنَالِينَ بِالْمَلِكِ فَوَادٍ
لَا تُرَاعِي فِي الْكِفَانَةِ سَعْدُ
وَاطْلَبِي الْخَيْرَ وَالْمُنَى مِنْ فَوَادٍ
لَا خَلَّتْ مِصْرُ مِنْ نَدَاهُ فَقَدْ صَا

آفَةُ الْمَجْدِ وَالْعُلَا أَنْ تَهَابِي^{٤٢}
وَاجْفَاتِ لِقَلْبِكَ الْوَجَابِ^{٤٣}
كُلَّ مَا تَرْتَجِينَ مِنْ آرَابِ^{٤٤}
بَيْنَ أَشْبَالِهِ الشَّدَادِ الصَّلَابِ^{٤٥}
نَاشِرِ الْفَضْلِ، نَاصِرِ الْأَدَابِ
رَعْنَانَ الْقُلُوبِ طَوَّقَ الرِّقَابِ^{٤٦}

هوامش

(١) يريد بصلاة الإبريق: ميله في أيدي الشاربين ليصبوا منه الخمر ثم اعتداله. تشبيهاً بركوع المصلي واستوائه. المحراب: مكان الإمام في المسجد.

(٢) ديباجة الشيء: رواؤه ومظهره.

(٣) الفصل: القطعة من الحديث. صفحة الروض: ما بدا لك منه موشى بالزهر والنور. العقار: الخمر. فصل الخطاب: الكلام يسمو فلا يدرك له شأؤ ولا مدى.

(٤) النواصي: هو أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر المتقن الجاد الماجن، ولد بقرية من كور خوزستان سنة ١٤٥هـ. وتوفي ببغداد سنة ١٩٩هـ. وأبو الخطاب: هو

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي، أشعر قريش وأرق أصحاب الغزل وأوصف الشعراء لأحوال النساء، ولد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب، ومات محترقاً في سفينة سنة ٩٣هـ. وخص النواصي وأبا الخطاب لما عرف من الأول من مجونه ووصفه للخمر، وعن الثاني من غزله وتشبيبه.

(٥) المدام: الخمر. القهقهة: ارتفاع الصوت بالضحك. التلة: الجماعة.

(٦) حسوة الطير: المرة من شربه، ولا تكون إلا بمقدار ما يضع منقاره في الماء ثم يرفعه في عجلة وخوف شأن الذي يشغله ما يريبه. فهو يخاف أن يؤتى من مأمنه. الوحي: العجلة والسرعة. الارتباب: الشك.

(٧) الحباب: الفقائيع تعلو سطح الماء.

(٨) القشب: الجديدة من الثياب، الواحد: قشيب. منفسات الثياب: النفيس المرغوب فيه منها.

(٩) القهر: الغلبة والاستطالة. ناصل الأعشاب: الذابل الذي ذهب لونه.

(١٠) سواد العيون: أعز شيء فيها. حبة القلب: سويداؤه. الخال: الشامة السوداء في الخد. والخود الشابة الحسنة الخلق الناعمة. الكعاب: الناهدة الشدين.

(١١) أحمد: هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، الشاعر الحكيم، صاحب الأمثال السائرة، والمعاني النادرة. ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ ومات مقتولاً سنة ٣٥٤هـ. وكافور: هو أبو المسك الإخشيدي كان أسود اللون. تولى كافور ملك مصر سنة ٣٥٥هـ وبقي عليها إلى أن مات سنة ٣٥٧هـ. وكان أبو الطيب اتصل بكافور ومدحه. رجاء أن ينال عنده ما لم ينل عند غيره.

(١٢) غر: بيض. يصفها بالسماحة والطلاقة. أسارير الوجه: غضونه وخطوطه.

(١٣) نجر الذبول: أي نمشي في تيه واختيال.

(١٤) زينب: كنى بها الشاعر عن المحبوبة. الجنب: الناحية. خصب الجنب: أي

معشب النواحي مخضرها. وهو كناية عن رغد العيش وخفضه.

(١٥) بنات الثغور: يشير إلى موطنه الأول رشيد، وهي ثغر من الثغور المصرية

المعروفة بجمال خودها، وحسن عيدها، ويذكر أيامه الأولى بها. الألباب: العقول. الشمول: الخمر.

(١٦) الحجاب: ما تضعه المرأة على وجهها تستره به. الجوى حرقه الوجد وشدته.

إذكاء الجوى: إشعاله وإيقاده.

- (١٧) بانث وينا: انقطعت عنا وانقطعتنا عنها. تولت بشاشة الأحباب: أي حرمتنا الهرم والكبر أنس الشباب وبشره.
- (١٨) يد الدهر: أي طول الزمان. الأحقاب: السنون.
- (١٩) هزنا الشوق: استخفنا وحركنا، اللدات والأتراب: المماثلون لك في سنك.
- (٢٠) الخدن: الصديق. وشيجة: مشتبكة لا انفصام لها.
- (٢١) وقد دار: أي عاد بنا إلى سيرتنا الأولى من الصبا والشباب. الإهاب: الجلد. نضرة الإهاب: دليل الشباب والفتوة.
- (٢٢) الواجل: الخائف. الهياب: غير المقدام الذي يفقد الجرأة رعباً وفزعاً.
- (٢٣) الأفواف: ضروب من برود اليمن. تشبه الأزهار بها. ملث الرباب: السحاب المطر.
- (٢٤) العباب: الموج. نئيجه: صوته.
- (٢٥) الوطاب: جمع وطب (بالفتح) وهو سقاء اللبن. يكنى بامتلاء الوطاب عن الغنى وبامتلاء الرأس عن العلم!
- (٢٦) خطبه: خطره وشدته. يوم الحساب: يوم البعث. ويريد به هنا يوم امتحان الحساب.
- (٢٧) ظلام الدجى: يريد به ظلمة الجهالة التي كانت تخيم على مصر، ويخبط فيها المصريون. الشهاب: أحد نجوم سبعة تعرف بالدراري.
- (٢٨) الماضي: المقدام الذي لا يثنيه شيء. الشمري: (بفتح الشين والميم أو بكسرهما) المجرب الجريء غير الهياب. المزاحم: الذي يغالب غيره ويقوى عليه. الوثاب: السباق إلى الغايات.
- (٢٩) زفرة الغرام: جعل الشعر كزفرة المغرم حري صادقه التعبير عما يختلج في النفس، ويجيش في الصدر. الأوتاد: جمع وتد، وهو عند العروضيين على ضربين: مجموع ومفروق، فالمجموع هو كل ثلاثة أحرف سكن ثالثها، والمفروق كل ثلاثة أحرف سكن ثانيها. الأسباب: جمع سبب وهو كل حرفين تحركا أو سكن ثانيهما، ويسمى الأول منهما ثقیلاً والآخر خفيفاً. والأوتاد والأسباب ما تتألف منها التفعيلات في الشعر.
- (٣٠) العذارى: الأبقار، الواحدة: عذراء. الصحو: الإقلاع عن الهوى والخلاص من أسباب المجون. المتاب: التوبة.
- (٣١) فيك: يخاطب دار العلوم. بنت عدنان: اللغة العربية، نسبة إلى عدنان الجد الأعلى للعرب. بداوة الأعراب: إقامتهم في البادية.

(٣٢) ذراك: نواحيك. الغلة: العطش أو شدته. النمير: الزاكي من الماء الناجع في الري.

(٣٣) عكاظ: سوق للعرب بين نخلة والطائف، وكانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً، تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون، أي: يتناشدون ويتفاخرون. الخَلَاب: الذي يأسر الألباب ويستهوئها.

(٣٤) طلابها: طلبها وتعلمها. جدة العمر: أوائله. ويريد أيام الشباب ومقتبله. وخلع جدة العمر: كناية عن إفناء الشباب وبذله.

(٣٥) الخباء: البيت يصنع من وبر أو شعر أو صوف.

(٣٦) القين: الحداد. صقال الحراب: شحذها وإعدادها.

(٣٧) النضار: الذهب. والكيمياء فيما كانوا يزعمون تصيير المعادن الخسيسة ذهباً.

(٣٨) الحجة: السنة.

(٣٩) العقاب: طائر لا يتخذ وكره إلا في أعالي الجبال.

(٤٠) طالع السعد: فأله وما يجيء بشيراً به ودليلاً عليه. شمناه: نظرناه.

(٤١) نابغي الهموم: كثبرها شديدها. وهو نسبة إلى النابغة الذبياني الشاعر

المعروف، ويشير إلى قول النابغة في وصف الليل:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

الأوصاب: الآلام.

(٤٢) ملماً: شيئاً ينزل بك مما تكرهين وتخافين، يشير إلى الفكرة التي نبتت في

ذلك الوقت بإلغاء دار العلوم.

(٤٣) واجفات: مضطربة شفقة عليك. الوجاب: الخفاق.

(٤٤) فؤاد: هو الملك أحمد فؤاد الأول. الآراب: جمع أرب. وهو البغية والمأرب.

(٤٥) لا تراعي: لا تخافي ولا يملأ الرعب نفسك. الكنانة: مصر. سعد: هو سعد

زغلول باشا زعيم النهضة.

(٤٦) الندى: الكرم والمعروف. العنان: ما تقاد به الدابة. والطوق: ما يكون حول

العنق.

مَوْلِدُ الْفَارُوقِ

نظم الشاعر هذه القصيدة بمناسبة احتفال البلاد بذكرى مولد الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٤٣م.

هَاتِ مِنْ وَحْيِ السَّمَاءِ الْكَلِمَا	وَاجْعَلِ الْأَيَّامَ وَالدُّنْيَا فَمَا
وَابْعَثِ الشُّعْرَ جَنَاحِي طَائِرٍ	كُلَّمَا شَارَفَ أَفْقًا دَوَّمَا ^١
أَيُّ يَوْمٍ سَعِدَتْ مِصْرُ بِهِ	كَانَ فِي طَيِّ الْأَمَانِي حُلُمَا
مَوْلِدُ الْفَارُوقِ يَوْمٌ بَلَغَتْ	رَايَةُ الْإِسْلَامِ فِيهِ الْقِمَمَا
طَافَتْ الْأَمْلاَكُ تَرْقِي مَهْدَهُ	وَتُنَاجِي رَبَّهَا أَنْ يَسْلَمَا ^٢
فَرَأَتْ لَمَّا رَأَتْهُ مَلَكًا	نُورُهُ مِنْ نُورِ سُكَّانِ السَّمََا ^٣
يُطْبِقُ الْغَيْمُ لَدَى عَبْسَتِهِ	ثُمَّ يَنْجَابُ إِذَا مَا ابْتَسَمَا ^٤
وَرَأَتْ فِي ابْنِ فَوَادٍ نَاشِئًا	يَمْلَأُ الدُّنْيَا وَيُحْيِي أُمَمَا ^٥
وَكَرِيمًا بَشَرًا اسْتَهْلَاهُ	أَنَّ فِيهِ الْهَدْيَ وَالْحِكَمَا ^٦
وَجَبِينًا عَلَوِيًّا مُشْرِقًا	يَبْهَرُ الْعَيْنَ وَيَمْحُو الظُّلَمَا ^٧
كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَسْطَرًا	تَقْرَأُ النَّبْلَ بِهَا وَالشَّمَمَا ^٨
وَيَدًا إِنَّ سَكْنَتَ فِي يَوْمِهَا	هَزَّتِ السَّيْفَ غَدَاً وَالْقَلَمَا
يَتَمَنَّى الْغَيْثُ لَوْ سَاجَلَهَا	أَوْ تَلَقَّى عَنْ نَدَاهَا الْكَرَمَا ^٩
زُهِيَ الْمَهْدُ فَمَنْ أَنْبَأَهُ	أَنَّهُ يَحْوِي الْعُلَا وَالْهِمَمَا؟
وَشَدَا الْكُونُ لَدَى مَوْلَدِهِ	أَيْنَمَا سَرَتْ سَمِعَتْ النَّغَمَا
وَتَنَادَتْ بُشْرِيَّاتٌ بِاسْمِهِ	صُدَّحَا فِي كُلِّ أَفْقٍ حَوَمَا ^{١٠}

ومضت أصدأوها هاتفةً
ومشَى الدهرُ إلى ساحتِهِ
واللَّيالي خاشعاتٌ حولَهُ
وُلِدَ السعدُ على أبوابِهِ
فأتى التاريخُ في أبطالِهِ
وبدا العرشُ وقد حلَّ به
ما رأى بعدَ سليمانَ له
زانه الفاروقُ من خَيْرِ أبٍ
حينَ عزَّ الدينُ والملكُ به
لا ترى العينُ به إلَّا علًّا
أين شعري وفُنوني من مدى
أنا من فيضٍ له مُتَّصِلِ
ليس بدعًا أن زها شعري به
أنجبت مصرُ فتاها المعلِّمًا^{١١}
رأسه كاد يُداني القَدَمًا^{١٢}
يترقبن رضاه خَدَمًا
ونما في ظلُّه لَمَّا نَمَّا
يلمحون العَبْقَرِيَّ المُلْهِمًا
يَفْرَعُ الشَّمْسَ ويعلو الأنجمًا^{١٣}
مُشبَّهاً في عدله إن حَكَمًا^{١٤}
فدع المأمونَ والمعتصمًا^{١٥}
هَنَّا المُنْبِرُ فيه العَلَمًا
كلِّمًا تسمو له العَيْنُ سَمًا
لو مَضَى حَسَنٌ فيه أَفْجَمًا^{١٦}
أُنْعَمُ تَمْضِي فَأَلْقَى أُنْعَمًا
يزدهي الروضُ إذا الغيثُ هَمًا

هوامش

- (١) شارف: أشرف عليه. أفقًا: ناحية. دَوَّما: حلق في طيرانه.
- (٢) الأملاك: الملائكة. ترقى: تعيذه.
- (٣) سكان السما: المقصود الملائكة.
- (٤) يطبق: يغطي. الغيم: السحاب. عبسته: تجهمه. ينجاب: ينكشف
- (٥) ابن فؤاد: الملك فاروق ابن الملك فؤاد.
- (٦) استهلاله: مطلعته. الهدى: الهداية. الحكما: اتقان الأمور.
- (٧) علويًا: نسبة إلى محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية. يبهز: يعجب.
- (٨) الشمم: الارتفاع والعلو والشرف.
- (٩) الغيث: المطر وفيه مجاز مرسل. ساجلها: باراها وفاخرها. نداها: جودها.
- (١٠) صدحًا: مغنيات بصوت حسن. حومًا: دائرًا حوله.
- (١١) المعلما: من له علامة تميزه في الشرف أو في الشجاعة أو نحوهما.
- (١٢) ساحتها: المكان الذي هو به.

(١٣) يقرع: يعلو ويزيد علوه عليها.

(١٤) سليمان: سيدنا سليمان الحكيم لقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾.

(١٥) المأمون: الخليفة المأمون بن هارون الرشيد وكان عظيمًا. المعتصم: الخليفة المعتصم صاحب الجولات والصلوات والفتوحات العظيمة.

(١٦) من مدى: غاية. حسان: هو حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ. أفحما: أسكت وأعجز عن أن يقول شعرًا.

قُبْعَةٌ بَعْدَ عِمَامَةٍ

كان الشاعر عضوًا في بعثة أرسلتها الحكومة المصرية إلى إنجلترا سنة ١٩٠٨م، فأرسل وهو هناك إلى والده صورته وهو بالقبعة وكتب تحتها هذين البيتين:

لَبِستُ الآنَ قُبْعَةً بَعِيدًا عن الأوطانِ، مُعتادَ الشُّجونِ
فإنَّ هِيَ غَيَّرَتْ شَكلي فَإِنِّي «متى أضع العِمَامَةَ تعرفوني»

رثاء زعيم

أنشدت هذه القصيدة في حفلة تأبين المغفور له محمد محمود باشا بدار الأوبرا عام ١٩٤١م.

جُودِي بما شئتِ من ذُوبِ الأَسَى جُودِي
أَوَدْتُ صُرُوفُ اللَّيَالِي بَابِنِ مُحَمَّدٍ^١
أَوَدْتُ بِأَشْجَعِ مِنْ حَفِّ الرَّعِيلِ بِهِ
يَوْمَ النَّضَالِ، وَمَنْ نَادَى وَمَنْ نُودِي^٢
أَوَدْتُ بِمَنْ تَعْرِفُ السَّاحَاتُ كَرَّتَهُ
إِذَا تَنَكَّبَ عَنْهَا كُلُّ مَزْعُودٍ^٣
وَيَشْهَدُ الْحَقُّ أَنَّ الْحَقَّ فِي يَدِهِ
سَيْفٌ يَرُوعُ الْمَنَايَا غَيْرُ مَغْمُودٍ^٤

دعته مصرٌ ولِلْأَحْدَاثِ مَلْحَمَةٌ
وَالْخَطْبُ مَا بَيْنَ تَهْدَارٍ وَتَهْدِيدٍ^٥
وَأَنْفُسُ النَّاسِ فِي ضَيْقٍ وَفِي كَمَدٍ
كَأَنَّهَا زَفْرَةٌ فِي صَدْرِ مَعْمُودٍ^٦
حَيْرَى تَلُوذُ بِأَمَالٍ مُحْطَمَةٍ
كَمَا يَلُوذُ غَرِيمٌ بِالْمَوَاعِيدِ^٧

طارَتْ شَعَاءًا وَهَوًّا مِثْلَمَا عَصَفَتْ
هُوجُ الرِّيحِ بِرَمْلِ البِيدِ فِي الْبِيدِ^٨
وَالْجَوُّ أَكْلَفُ، وَالْدُنْيَا مُقْطَبَةٌ
أَيَّامُهَا الْبَيْضُ مِنْ لَيَّالِهَا السَّوْدُ!^٩
وَمَصْرُ لَيْسَ لَهَا حِصْنٌ وَلَا وَرَزٌ
إِلَّا الْغَطَارِيفَ مِنْ أَبْنَائِهَا الصَّيْدِ^{١٠}
لَهَا سِلَاحٌ مِنَ الْإِيمَانِ تَشْرَعُهُ
يَنْبُو لَهُ كُلُّ مَصْقُولٍ وَمَحْدُودِ^{١١}
فَجَاءَهَا خَالِدِيَّ الْعِزِّ فِي نَفْرِ
شُمِّ الْأَنْوَفِ صِنَادِيدِ مَنَاجِيدِ^{١٢}
مِنْ كُلِّ أَرْوَعِ عُنْوَانِ الْجِهَادِ بِهِ
قَلْبٌ رَكِيْنٌ، وَرَأْيٌ غَيْرُ مَخْضُودِ^{١٣}
جَاءُوا يَزَاحِمُهُمْ عِزٌّ وَتَفْدِيَةٌ
كَمَا تَصَادِمُ جُلُودٌ بِجُلُودِ^{١٤}
كَأَنَّهُمْ حِينَمَا شَدَّوْا لَغَايَتَهُمْ
سَهْمُ الْمَقَادِيرِ فِي قَصْدٍ وَتَسْدِيدِ
صُدُورَهُمْ بِلِقَاءِ الْهَوْلِ شَاهِدَةٌ
وَالطَّعْنُ فِي الظَّهْرِ غَيْرُ الطَّعْنِ فِي الْجِيدِ!^{١٥}
جَادُوا لِمَصْرَ وَفَدَّوْهَا بِأَنْفُسِهِمْ
«وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ»
كَمْ هَشَمَ الدَّهْرُ مِنْ سَنٍّ لِيَعْجُمَهُمْ
وَلَمْ تَزَلْ فِي يَدَيْهِ نَضْرَةُ الْعُودِ^{١٦}
إِنْ الَّذِي خَلَقَ الْأَبْطَالَ صَوَّرَهُمْ
مِنْ نُّورَةِ الْبَحْرِ أَوْ بِأَسِّ الصِّيَاخِيدِ^{١٧}
يَمْشِي الشَّجَاعُ لِحْدِ السِّيفِ مُبْتَسِمًا
وَيَرْهَبُ الْغِمْدَ دُعْرًا كُلُّ رَغْدِيدِ^{١٨}
كَمْ هَمَّةٌ تَفْرَعُ الْأَجْيَالَ سَامِقَةً
وَهَمَّةٌ رَكَدَتْ بَيْنَ الْأَخَادِيدِ^{١٩}

وكم فتى تسبق الأيام وثبته
وللبطولة أفق غير محدود
وخامل ما لآثار الحياة به
إلا ورود اسمه بين المواليد
وميت بعث الدنيا وعاش بها
ما كل من ضمه قبر بملحود! ٢٠
سبحانك الله، إن تحرم فتزكية
وإن تثب فعتاء غير محدود! ٢١
تعطي النفوس على مقدار جوهرها
ما كان لليث منها ليس للسيد ٢٢
والمجد عزمة أبطال مسددة
بريئة النصل من شك وترديد
وللعلل من صفات الغيد أن لها
دلاً يروغ تقريباً بتبعيد

جاءوا إليك كموج البحر عذتهم
رأي أصيل، وصدراً غير مفئود ٢٣
فقدتهم غير هياب ولا فزع
إلى لواء بحبل الله معقود ٢٤
تمشي بهم في فيافي الشوك معتزماً
من يطلب المجد لا يبخل بمجهود ٢٥
لا يستبيك سوى مصر ونهضتها
فكل شيء سواها غير موجود ٢٦
من يقصد النجم في علوا سماوته
نأى بجانبه عن كل مقصود
وراء الركب في يأس وفي أمل
لما يرون، وتصديق وتفنيدي ٢٧

تحنو على ضعفٍ من طال الطريقُ به
حنانَ والدَةٍ تُكَلِّى بمولود
وتلمَحُ الأفقَ، هل بالأفقِ من نبأ؟
وهل من الدهرِ إنجازٌ لموعود؟
وهل طيوفُ الأمانى وهي حائرةٌ
تدنو بطيفٍ من الآمالِ منشود؟
وهل ترى مصرَ صُبْحًا بعدَ ليلتها؟
وهل تَقْرُ عُيونٌ بعدَ تسهيد؟
وهل لمعتَقِلٍ في البحرِ من أملٍ
في أن يَرى قومَه من بعدِ تشريد؟^{٢٨}
حتى بدت غُرَّةُ الدُستورِ عن كُتُبٍ
كما تبدَّى هلالُ العيدِ في العيد^{٢٩}
فأرسلتُ مصرُ بنتُ النيلِ من دمها
ورداً تَزينُ به هامَ الصناديد^{٣٠}
وصفَّقت لحُماةِ الغيلِ تُنشدهم
من البطولةِ ماثورَ الأناشيد
والناسُ بينَ بشاشاتٍ وتهنئةٍ
وبينَ شكرٍ وتكبيرٍ وتحميد
جاء الزمانُ فلا قولٌ بممتنعٍ
على اللسانِ، ولا حرٌّ بمصفود^{٣١}
وأشرقَ الصبحُ والدنيا مهلَّةٌ
كأنَّه بَسَمَاتُ الخُرَدِ الغيد^{٣٢}
من ينصرِ الله لا جَوْرٌ يَحيدُ به
عن الطريقِ، ولا جَهْدٌ بمفقود^{٣٣}!
سيكتُبُ الدهرُ، فليكتبْ! فليس يَرى
إلا صحائفَ تشریفٍ وتمجيدٍ

نَمَتْ خَلَائِقُهُ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ
فِي سُوحِهِ الْمَجْدُ فَيَنَانُ الْأُمَالِيدِ
بَيْتُ دَعَائِمِهِ نُبُلٌ وَتَضَحِيَّةٌ
إِذَا بَنَى النَّاسُ مِنْ صَخِرٍ وَمِنْ شِيدٍ^{٣٤}
وَسَارَ فِي سَنَنِ الْأَبَاءِ مَتَّئِدًا
أَمْرٌ مَطَاعٌ، وَرَأْيٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ^{٣٥}
وَهَمَّةٌ تَتَأَبَّى أَنْ يُقَالَ لَهَا:
إِنْ جَازَتْ النِّجْمَ فِي مَسْعَاتِهَا: عَوْدِي^{٣٦}
تَجَرَّدَتْ لَصْعَابِ الدَّهْرِ وَاثِبَةً
وَيَلَّ الْمَصَاعِبِ مِنْ عَزْمٍ وَتَجْرِيدٍ^{٣٧}
وَفِكْرَةٌ لَوْ تَمْشَتْ نَحْوَ مَعْضِلَةٍ
صَفَتْ مَوَارِدُهَا مِنْ كُلِّ تَعْقِيدٍ
وَعَزَّةٌ نَظَرَتْ لِلْكَوْنِ مِنْ شَرْفٍ
عَالٍ، يَعْزُّ عَلَى رَقِيٍّ وَتَصْعِيدٍ^{٣٨}
قَالُوا: هِيَ الْكِبَرُ، قُلْتُ: الْكِبَرُ مَحْمَدَةٌ
إِذَا تَسَامَيْتَ عَمَّا بِالْعَلَا يُوْدِي^{٣٩}
تَرْنُو إِلَيْهِ فَتُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
فَالطَّرْفُ مَا بَيْنَ مَوْصُولٍ وَمَصْدُودٍ
خَاضَ السِّيَاسَةَ نَقَادَ الذِّكَاةِ فَمَا
رَأْيِي بِنَابٍ، وَلَا عَزْمٌ بِمَكْدُودٍ^{٤٠}
فَكَمْ لَهُ وَقْفَةٌ فِيهَا مَجْلِلَةٌ
وَكَمْ مَقَامٍ عَزِيزِ النِّصْرِ مَشْهُودٍ!
وَكَانَ خَصَمًا شَرِيفَ الصِّدْرِ مَرْتَفَعًا
عَنِ الدُّنْيَا إِنَّ عَادَى وَإِنْ عَوْدِي
فَاسْأَلْ مُنَاصِرَهُ، أَوْ سَلْ مُخَالَفَهُ
فَلَيْسَ فَضْلُ ابْنِ مُحَمَّدٍ بِمَجْهُودٍ^{٤١}
لَمَّا رَمَى زُخْرُفَ الدُّنْيَا وَبَاطِلَهَا
أَلْقَتْ إِلَيْهِ الْمَعَالِي بِالْمَقَالِيدِ

خِذِ الرِّثَاءَ نَوَاحًا مَلُؤُهُ شَجَنُ
لَمْ تَبَقْ بَعْدَكَ أَدْوَاخُ لِتَغْرِيدِي!٢٢
مَا فِي يَدِي غَيْرُ أَوْتَارٍ مُحَطَّمَةٍ
يَبْكِي لَهَا الْعُودُ، أَوْ تَبْكِي عَلَى الْعُودِ
وَكُلُّ جَمْعٍ إِلَى بَيْنٍ وَتَفْرِقَةٍ
وَكُلُّ شَمْلٍ إِلَى نَأْيٍ وَتَبْدِيدٍ!٢٣
أَمَسْتَ تَجَالِيدُهُ فِي جَوْفٍ مَظْلَمَةٍ
كَمْ صَوْلَةٍ وَإِبَاءٍ فِي التَّجَالِيدِ!٢٤
نَمَّ مَلَأَ جَفْنِيكَ فِي رُحْمَى وَمَغْفِرَةٍ
وَوَارِفٍ مِنْ ظِلَالِ اللَّهِ مَمْدُودِ
إِنَّ الْبَطُولَةَ وَالْأَجْسَادُ فَانِيَةٌ
تَبَقَّى عَلَى الدَّهْرِ فِي بَعْثٍ وَتَجْدِيدِ
لَمْ يَحُلْ مِنْكَ مَكَانٌ قَدْ تَرَكْتَ بِهِ
مَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ مِنْ ذِكْرِ وَتَخْلِيدِ

هوامش

- (١) أودت: ذهب. صروف: نوائب وأحداث. ابن محمود: هو محمد محمود باشا وهو أحد رؤساء وزراء مصر السابقين.
- (٢) حف: طاف به. الرعيل: الجمع.
- (٣) الساحات: الميادين. كرتة: هجومه. تنكب: مال. مزعود: مذعور، خائف.
- (٤) يروع: يفزع. المنايا: الموت. غير مغمود: مسلول خارج الغمد.
- (٥) ملحمة: معركة أو وقعة عظيمة. الخطب: المصاب. تهادر: باطلاً.
- (٦) كمد: حزن مكتوم. زفرة: تنفس. معمود: شديد الحزن.
- (٧) تلوذ: تأوي. غريم: مغرم.
- (٨) شعاعاً: منتشرة، متفرقة. هولاً: فزعاً. هوج: حمق. البيد: الصحراء.
- (٩) أكلف: أسود. مقطبة: متجهمة.

- (١٠) حصن: واق، حافظ. وزر: ملجأ. الغطاريف: السادة العظماء الشجعان، الكرماء. الصيد: الرؤساء المعتزون بأنفسهم.
- (١١) تشرعه: تسنه. ينبو: يتجافى ويبعد. مصقول: سيف. محدود: ذو حد.
- (١٢) خالدي: نسبة إلى البطل الإسلامي خالد بن الوليد. شم الأنوف: عالي الهمة. صناديد: شجعان. مناجيد: معينون.
- (١٣) أروع: رجل يعجبك. عنوان الجهاد به: يعرف به الجهاد. قلب ركين: قلب له أركان عالية أي: قوي. غير مخضود: غير مقطوع أو مكسور أي: سديد.
- (١٤) تفدية: فداء. جلمود: صخر.
- (١٥) الجيد: العنق.
- (١٦) سن: عمر. ليعجمهم: يسكتهم فلا يسمع لهم صوت. نضرة العود: رونقه.
- (١٧) بأس: شدة. الصياخيد: الصخور.
- (١٨) رعدي: جبان.
- (١٩) تفرع: تزداد علوًا، أعلا من. ركدت: سكنت وهذأت. الأخاديد: الشقوق المستطيلة من الأرض.
- (٢٠) بعث الدنيا: أحيائها بعد موتها.
- (٢١) تزكية: إصلاح. تثب: تجزى. محدود: لا حدود له.
- (٢٢) جوهرها: لبها وما بداخلها. الليث: الأسد والمقصود عظماء الرجال. السيد: العوام.
- (٢٣) مفئود: من أصيب فؤاده أي: الخائف الجبان.
- (٢٤) لواء: علم. معقود: موصول.
- (٢٥) فيافي الشوك: الصحراء الممتلئة بالشوك والمراد السبل الصعبة.
- (٢٦) لا يستبيك: لا يستهويك.
- (٢٧) تفنيد: تكذيب.
- (٢٨) معتقل في البحر: المقصود زعماء مصر الذين نفاهم الإنجليز.
- (٢٩) غرة: أول.
- (٣٠) هام: رأس. الصناديد: الشجعان.
- (٣١) مصفود: مقيد.
- (٣٢) الخرد: ذات الحياء. الغيد: المرأة الشابة الحسنة.

- (٣٣) جور: ظلم.
(٣٤) شيد: ما طلي به.
(٣٥) سنن الآباء: شريعة الآباء. مئتدًا: متمهلًا.
(٣٦) تتأبى: تأنف وتمتنع.
(٣٧) تجردت: استعدت وتهيات.
(٣٨) رقي: ارتقاء.
(٣٩) تساميت: علوت. يودي: يقتل.
(٤٠) نفاذ الذكاء: حاد الذكاء. بناب: بعيد. بمكدود: متعب.
(٤١) بمجود: بمنكر.
(٤٢) أدواح: الشجر الكبير ذو الأفرع الكثيرة.
(٤٣) بين: فراق. نأي: بعد.
(٤٤) التجاليد: جسم الإنسان وأعضاؤه.

التَّاجِيَّةُ الْكُبْرَى

قيلت هذه القصيدة في تهنئة الملك فاروق بتولي سلطته الدستورية يوم الخميس ٢١ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٦هـ/ ٢٩ يولييه سنة ١٩٣٧م.

خَشَعَتْ لَفَيْضِ جَلَالِكَ الْأَبْصَارُ وَذَكَتْ بِمِسْكٍ خِلَالِكَ الْأَشْعَارُ
وَتَوَسَّمتْ مِصرُ الْعُلَا فِي طُلْعَةٍ قَدْ حَفَهَا الْإِجْلَالُ وَالْإِكْبَارُ^١

* * *

مَلِكِ تَغَارِ النَّيِّرَاتِ إِذَا بَدَا أَسْمَعْتَ أَنَّ النَّيِّرَاتِ تَغَارُ؟^٢
وَدَّتْ لَوْ اشْتَمَلَتْ بِفَضْلِ رِذَائِهِ هَيْهَاتَ ثَوْبِ الْمَجْدِ لَيْسَ يُعَارُ
شَتَّانَ بَيْنَ النَّيِّرَاتِ وَمَنْ بِهِ سُبُلُ الْبُطُولَةِ وَالْحَيَاةِ تُنَارُ
تُهْدِي الْعُيُونُ بِضَوْوَنَ وَضَوْءِهِ تُهْدِي الْبَصَائِرُ فِيهِ وَالْأَبْصَارُ^٣
وَلَهَا مَدَارٌ مِنْ فَضَاءٍ مُبْهَمٍ وَلَكَ الْعُلَا وَالْمَكْرُمَاتُ مَدَارُ
غُضِّي جُفُونِكَ يَا نُجُومُ فِدْوَنَهُ تَتَضَاعَلُ الْأَمَالُ وَالْأَقْدَارُ
أَنْتَنْ أَقْرَبُ مُشْبِهٍ لِهَبَاتِهِ فَكَلَاكُمَا مِنْ رَاحَتِيهِ نَثَارُ

* * *

مِنْ حُسْنِهِ اخْتَلَسَ الْأَصِيلُ جَمَالَهُ وَبِإِشْرِهِ تَتَبَسَّمُ الْأَسْحَارُ^٤
تَبْدُو سَجَايَا النَّبْلِ وَهِيَ قَلَائِلُ فَإِذَا حَلَلْنَ ذَرَاهُ فَهِيَ كَثَارُ
أَبْصَرْنَ فِيهِ نَصِيرَ كُلِّ كَرِيمَةٍ إِنْ قَلَّتِ الْأَعْوَانُ وَالْأَنْصَارُ

* * *

لله يَوْمُكَ وَالضَّيَاءُ يَغُمُّهُ
نَسِيتَ بِهِ الْأَمَالَ جَفَوَةَ دَلَّهَا
يَوْمٌ تَمَنَّاهُ الزَّمَانُ وَطَالَمَا
سَفَرْتُ بِهِ الْبُشْرَى فَطَاحَ قِنَاعُهَا
وَالنَّفْسُ أَغْرَى بِالْجَمَالِ مُحَجَّبًا
مَا صُبْحُ يَوْمٍ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةٌ
يَوْمٌ غَدَا بَيْنَ الدُّهُورِ مُمَلَّكًا
الْأَمْسُ يَجْزَعُ أَنْ تَقْدَمَ خُطْوَةٌ
يَوْمٌ جَنَّا التَّارِيخَ فِيهِ مُدَوَّنًا
وَتَصَفَّحَ الْأَخْبَارَ يَبْغِي مِثْلَهُ
يَوْمٌ كَأَنَّ ضِيَاءَهُ مِنْ أَغْيُنٍ
فَعَشِيَّتُهُ سَيَّانَ وَالْإِبْكَارُ
وَمِنْ الدَّلَالِ تَحَجَّبَ وَنَفَارُ^٦
مَدَّتْ إِلَيْهِ رُءُوسَهَا الْأَعْصَارُ^٧
عَمَدًا وَطَارَ مَعَ الْهَوَاءِ خِمَارُ^٨
إِنْ زُحِرَحَتْ مِنْ دُونِهِ الْأَسْتَارُ^٩
كَصَبَاحِ يَوْمٍ وَالنَّهَارُ نَهَارُ^{١٠}
يَوْمًا إِلَيْهِ مَهَابَةٌ وَيُشَارُ^{١١}
وَعَدُّ أَطَارَ صَوَابِهِ اسْتِنْخَارُ^{١٢}
لِلَّهِ مَا قَدْ ضَمَّتْ الْأَسْفَارُ^{١٣}
هَيْهَاتَ تَحْوِي مِثْلَهُ الْأَخْبَارُ
مِنْ طَوْلٍ مَا اتَّجَهَتْ لَهُ الْأَنْظَارُ

* * *

يَكْفِيهِ أَنْ يُنَمَى لِأَكْرَمِ سُدَّةٍ
بَيَّتْ لَهُ عَنَتِ الْوُجُوهَ خَوَاشِعَا
ضَمَّتْ بِهِ فَلَذُ الْقُلُوبِ فَكَوْنَتْ
الِدِينِ وَالْخُلُقِ الْمَتِينِ أَسَاسُهُ
رَحِبْتُ بِهِ السَّاحَاتُ فَهُوَ مَثَابَةٌ
غَيْلٌ تَهَابَ الْأُسْدُ بَطْشَ لِيُوْثِهِ
مِنْ كُلِّ خَطَّارٍ إِلَى غَايَاتِهِ
نَدَبَ إِذَا حَلَّ الْحَبَاءُ لِعَاوَةِ
حَامَتِ نُسُورُ النَّصْرِ حَوْلَ جِيُوشِهِمْ
شُمُسُ الْعَدَاوَةِ وَالْحَسَامُ مُجَرَّدُ
سَبَقُوا وَثُوبَ الْحَادِثَاتِ وَبَادَرُوا
وَعَلَوْا لِنَيْلِ الْمَجْدِ كُلِّ مَطِيَّةٍ
الْخَالِدُونَ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
سَعَدَتْ بِهَا الْأَيَّامُ وَالْأَمْصَارُ^{١٤}
كَالْبَيْتِ يَمْسَحُ رُكْنُهُ وَيُزَارُ^{١٥}
بَيْتًا، فَلَا صَخْرَ وَلَا أَحْجَارُ^{١٦}
وَحِيَاطَةُ الْمَوْلَى لَهُ أَسْوَارُ
وَعَلَا عُلُوُّ الْحَقِّ فَهُوَ مَنَارُ^{١٧}
وَتَخُونُهَا الْأَنْيَابُ وَالْأُظْفَارُ^{١٨}
يُزْهِى بِهِ الصَّمْصَامُ وَالْخَطَّارُ^{١٩}
أَلْقَى السَّلَاحَ الْفَارِسُ الْمِغْوَارُ^{٢٠}
حَتَّى كَأَنَّ غُبَارَهَا أَوْكَارُ^{٢١}
فَإِذَا انْطَوَى فَمَلَايِكُ أَطْهَارُ^{٢٢}
إِنَّ الْحَيَاةَ تَوَثَّبَ وَبِدَارُ^{٢٣}
لَوْ كَانَ نَجْمًا فِي السَّمَاءِ لَطَارُوا
تَفَنَّى الرِّجَالُ وَتَخَلَّدُ الْآثَارُ

جاءُوا ومَصْرُ عَفَتْ مَعَالِمُ مَجْدِهَا
 الْعِلْمُ يَخْفِقُ لِلزَّوَالِ سِرَاجُهُ
 وَالنَّاسُ فِي حَلَكِ الظَّلَامِ يَسُوقُهُمْ
 قَبْدًا (مُحَمَّدُكُمْ) فَهَبَّ صَرِيْعُهُمْ
 وَالتَّفَتَّ الرَّيَاثُ حَوْلَ لَوَائِهِ
 وَأَعَادَ مَجْدَ الْأَوَّلِينَ بَعَزْمَةٍ
 إِنَّ النُّفُوسَ تَضِيقُ وَهِيَ صَغِيرَةٌ
 فَارُوقُ، عَيْدُكَ هَزَّ أَدْوَاخَ الْمُنَى
 الْيُمْنُ يَسْطَعُ فِي جَبِينِ نَهَارِهِ
 رَقَصَتْ بِهِ الرَّيَاثُ بَادِيَةَ الْحَلَى
 مُتَلَفِّتَاتٍ حَوْلَ رَكْبِكَ حَوْمًا
 مُتَدَلِّلَاتٍ مَا عَرَفْنَ صَبَابَةَ
 جَعَلَتْ سَمَاءَ النِّيلِ رَوْضًا أَخْضَرًا

لَا مَصْرُ مَصْرُ وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ^{٢٤}
 وَالْعَدْلُ مُنْذَكَ الذَّرَا مِنْهَا^{٢٥}
 نَحْوَ الْفَنَاءِ تَخْبُطُ وَعِثَارُ^{٢٦}
 حَيًّا، كَذَلِكَ الْبَعْثُ وَالْإِنْشَارُ^{٢٧}
 وَدَعَا الْغَفَاةَ إِلَى الْمَسِيرِ فَسَارُوا^{٢٨}
 إِيرَادُهَا لِلَّهِ وَالْإِضْدَارُ^{٢٩}
 وَيَضِيقُ عَنْهَا الْكَوْنُ وَهِيَ كِبَارُ
 وَتَعَطَّرَتْ بِعَبِيرِهِ الْأَزْهَارُ
 وَالسَّعْدُ كَوَكْبُ لَيْلِهِ السَّيَّارُ
 الْحُبُّ رَنَحَهَا وَالْإِسْتِبْشَارُ
 لَا يَسْتَقِرُّ لَوْجِدِهِنَّ قَرَارُ^{٣٠}
 نَشَوَى وَمَا لَعِبَتْ بِهِنَّ عُقَارُ^{٣١}
 هَيْهَاتَ مِنْهُ الرُّوضَةُ الْمِعْطَارُ

وَالنَّاسُ قَدْ سَدُّوا الْفَضَاءَ كَأَنَّهُمْ
 لَوْ صُبَّتِ الْأَمْطَارُ صَبًّا فَوْقَهُمْ
 مُتَجَمِّعِينَ كَأَنَّهُمْ سَرَبُ الْقَطَا
 قَدْ لَوَّحُوا بِالرَّاحَتَيْنِ وَزَاخَمُوا
 لَهُمْ دَوِيَّ بِالْهَتَافِ وَضَجَّةُ
 رَفَعُوا الْعِمَارَ وَبَعَثُوا أَرْهَارَهُمْ
 حُبُّ الْمَلِكِ الْأَزْجِيَّ شِعَارَهُمْ
 قَرَّعُوا السَّعَادَةَ فِي جَبِينِكَ أَسْطَرًا
 وَرَأَوْا شَبَابًا كَالْجَمَانِ يَزِينُهُ
 سُسَّتِ الْقُلُوبَ فَنَلَتْ أَكْرَمَ وَدَّهَا
 وَمِنْ الْقُلُوبِ حَدَائِقُ بَسَامَةِ
 مَنْ يَغْرِسُ الصَّنْعَ الْجَمِيلَ بِأَمَّةٍ
 لَمَا رَأَوْكَ رَأَوْا بِشَاشَاتِ الْمُنَى

بَحْرُ يَعْجُ عَجِيجُهُ زَخَارُ^{٣٢}
 مَا مَسَّ مَوْطِيَّ نَعْلِهِمْ أَمْطَارُ
 مُتَدَفِّقِينَ كَأَنَّهُمْ أَنْهَارُ^{٣٣}
 وَتَلَفَّتُوا بِالنَّاظِرَيْنِ وَمَارُوا^{٣٤}
 وَلَهُمْ بِصَدَقِ دُعَائِهِمْ تَهْدَارُ^{٣٥}
 فَالْجَوُّ زَهْرُ نَاضِرٍ وَعِمَارُ^{٣٦}
 لَوْ كَانَ يُنْسَجُ لِلْوَلَاءِ شِعَارُ^{٣٧}
 بَيِّدَ الْمُهَيِّمِينَ هَذِهِ الْأَسْطَارُ^{٣٨}
 أَنَّى التَّفَتَّ جَلَالَةُ وَوَقَارُ^{٣٩}
 وَعَرَفَتْ بِالْإِحْسَانِ كَيْفَ تُثَارُ
 وَمِنْ الْقُلُوبِ سَبَاسِبُ وَقْفَارُ^{٤٠}
 فَلَهُ مِنَ الشُّكْرِ الْجَمِيلِ ثِمَارُ
 الْوَجْهَ نَضْرُ وَالشَّبَابُ نَضَارُ^{٤١}

مُتَسَرِّبًا ثَوْبَ الْهُدَى مُتَوَاضِعًا لله، لَا صَلَفٌ وَلَا اسْتِكْبَارٌ^{٤٢}
 نُورُ الْإِلَهِ يَدُورُ حَوْلَكَ هَالَةً لَمْ تَزْدَهْرِ بِمَثِيلِهَا الْأَقْمَارُ^{٤٣}
 فِي مَوْكِبٍ لِلْمَلِكِ يَخْتَلِبُ النُّهَى وَتَتِيهِ فِي تَصْوِيرِهِ الْأَفْكَارُ^{٤٤}
 فَتَنَ الْعُيُونِ الشَّاخِصَاتِ بِسُخْرِهِ إِنَّ الْجَمَالَ لَفَاتِنٌ سَحَارُ^{٤٥}

* * *

فاروق، تاجك رَحْمَةٌ وَسَعَادَةٌ للوَادِيَيْنِ وَعِزَّةٌ وَفَخَارٌ^{٤٦}
 تَتَأَلَّقُ الْأَمَالُ فِي جَنَابَتِهِ وَيَدُورُ نَجْمُ السَّعْدِ حَيْثُ يُدَارُ
 مَا نَالَهُ (كِسْرَى) وَلَمْ يَظْفَرْ لَهُ بِمُمَاطِلِ يَوْمِ الْفَخَارِ (نِزَارُ)^{٤٧}

* * *

نُورُ الْجَبِينِ السَّمْحِ مَارَجَ ضَوْءِهِ فَتَشَابَهَ الْأُضْوَاءُ وَالْأَنْوَارُ
 الْمَلِكُ فِيكَ طَبِيعَةٌ وَوَرَاثَةٌ وَالْمَجْدُ فِيكَ سَلِيقَةٌ وَنَجَارٌ^{٤٨}
 أَعْلَيْتَ دِينَ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ فَرَسًا لَهُ أَصْلٌ وَطَالَ جِدَارُ
 الدِّينِ نُورُ النَّفْسِ فِي ظُلُمَاتِهَا وَالْعَقْلُ يَعْتَرُّ وَالظُّنُونُ تَحَارُ
 بَيْنَ الْمَنَابِرِ وَالْمَآذِنِ بِهَجَّةٍ وَتَحَدَّثُ بِصَنِيعِكُمْ وَجَوَارُ
 آيَاتٍ نُبِّلِكَ فِي شَبَابِكَ سُبُقُ لِلْمَجْدِ لَمْ يُشَقِّقْ لَهَنَ غُبَارُ
 يَبْدُو شَذَا الرَّيْحَانِ أَوَّلَ غَرْسِهِ وَيَبِينُ قَدْرُ الدُّرِّ وَهِيَ صِغَارُ^{٤٩}
 فَتَحَتَ لَكَ الدُّنْيَا كَنُوزَ هِبَاتِهَا تَخْتَارُ مِنْهَا الْيَوْمَ مَا تَخْتَارُ
 يُمْنُكَ يُمْنٌ لِلْبِلَادِ وَرَحْمَةٌ غَدَقُ وَيُسْرَى رَاحَتِكَ يَسَارُ
 بَهَرَتْ رِجَالَ الْغَرْبِ مِنْكَ شَمَائِلُ خُلِقَ أَغْرُ وَرَاحَةٌ مِذْرَارُ
 عَرَفُوا بِمَجْدِكَ مَجْدَ مِصْرَ وَنُبْلَهَا وَتَحَدَّثَتْ بِخِلَالِكَ السُّمَارُ
 وَغَدَوَتْ قَالًا لِلْعُلَا فَتَحَقَّقَتْ فِيكَ الْمُنَى وَانْحَطَّتِ الْأَصَارُ^{٥٠}
 وَتَخَطَّرَتْ مِصْرٌ إِلَى فَارُوقِهَا غَيْدَاءَ مَا شَانَ الْجَمَالَ إِسَارُ^{٥١}
 شَمَاءَ يَحْنِي الدَّهْرُ أَصِيدَ رَأْسِهِ لَجَلَالِهَا وَتُطَاطِئُ الْأَقْدَارُ^{٥٢}
 فَا نَعَمْ بِمَا أَوْتَيْتَ وَاهْنًا شَاكِرًا نَعَمْ الْإِلَهِ فَإِنَّهُمْ غِرَارُ
 لَا زِلْتَ بِالنُّصْرِ الْمُبِينِ مُتَوَجًّا تَحْيَا بِكَ الْأَوْطَانُ وَالْأَوْطَارُ^{٥٣}

هوامش

- (١) توسمت: تبينت. حفاها: أحاط بها واستدار.
- (٢) النيرات: الكواكب الوضاءة المتلألئة.
- (٣) البصائر: جمع بصيرة، وهي العقل والفتنة.
- (٤) النثار: المنتثر المتفرق.
- (٥) الأسحار: جمع سحر (بالتحريك)، وهو قبيل الصبح.
- (٦) الجفوة: الإعراض. الدل: التمتع مع رغبة. التحجب: التستر والاختفاء. النفار: الصد والبعد.
- (٧) الأعصار: الدهور، الواحد، عصر.
- (٨) سفرت: بانت وتجردت عما يسترها.
- (٩) أغرى: أكثر ولعًا وأشد تعلقًا.
- (١٠) مريضة: أي متلبدة بالغيوم غير صاحية الجو. النهار نهار، أي: صحو مضيء.
- (١١) مملكا، أي: ملكا عليها، يوماً إليه: يشار إليه. المهابة: الخشية.
- (١٢) استئخار: أي تأخر. أطار صوابه: ذهب بلبه ورشده.
- (١٣) جثا: جلس على ركبتيه. الأسفار: الكتب الكبار، الواحد: سفر.
- (١٤) ينمي أي: يرتفع بالانتساب إليها. لأكرم سدة، أي: لأكرم بيت. السدة (في الأصل): الباب والظلة فوقه.
- (١٥) عنت: خضعت. ويريد بالبيت (الثاني): الكعبة.
- (١٦) فلذ القلوب: قطعها، الواحدة: فلذة (بالكسر).
- (١٧) رحبت: اتسعت. الساحات: النواحي. مثابة: أي مقصد للقاصدين وملتقى للوافدين. المنار: مبعث النور.
- (١٨) الغيل (بالكسر): الشجر الكثير الملتف، وهو موضع الآساد. الليوث: الآساد، الواحد: ليث (بالفتح). بطشها: عدوانها في شدة وصوله.
- (١٩) خطر إلى غاياته، أي: ساع إليها في تيه وإعجاب. يزهى: يعجب. الصمصام: السيف لا ينتهي. الخطار: الرمح.
- (٢٠) النذب: الخفيف السريع في الإغاثة. الحباء (بالضم وبكسر): جمع حبة (بالضم والفتح)، وهو ثوب يشده العربي وهو جالس القرفصاء. وحل الحبة كناية عن

القيام، كما يكنى بربطها عن القعود، ويريد «بحل الحباء»: الاستعداد للحرب. المغوار:
الشجاع الكثير الغارة.

(٢١) حامت: حلقت ودارت، وفي حومان النسور دليل على كثرة قتلهم لأعدائهم،
فهي تحوم لتطعم من جثث القتلى. الأوكار: جمع وكر، وهو العش.

(٢٢) شمس العداوة: أي لا يرجعون ولا ينتنون عن التنكيل بأعدائهم. الحسام
المجرد: السيف المسلول من غمده. انطوى: أي أدخل في غمده، وهو كناية عن السلم.

(٢٣) بدار: أي سرعة وتعجل.

(٢٤) عفت: اندثرت وانمحت.

(٢٥) يخفق: يضطرب في نوره. الذرا: جمع ذروة، وهي من كل شيء أعلاه. منهار:

متهدم.

(٢٦) العثار: التعثر في الشيء، لا تكاد تستوي حتى تقع.

(٢٧) محمدم، أي: محمد علي باشا بن إبراهيم أغا، جد الأسرة العلوية، ولد
ببلدة قوله سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م، وكان يحترف تجارة الدخان في صباه، ثم تطوع
في الحملة العثمانية التي جاءت لطرد الفرنسيين من مصر، وبقي في مصر بعد جلاء
الفرنسيين حتى صار والياً عليها، وإليه تعزى نهضتها في مناحيها المختلفة. وكانت
وفاته بالإسكندرية في ١٣ من رمضان سنة ١٢٦٥هـ/٢ من أغسطس سنة ١٨٤٩م.
ونقلت جثته إلى القاهرة حيث دفنت بمسجده الذي شيده بالقلعة.

(٢٨) اللواء: العلم. الغفاة: النائمون.

(٢٩) الإيراد والاصدار: الفعل والترك.

(٣٠) حومًا: حائمة تدور به وتطوف. الوجد: الشوق وشدته.

(٣١) العقار: الخمر، لمعاقرتها.

(٣٢) يعج عجيجه: يرتفع صوت أمواجه المتلاطمة. الزخار: الذي فاض وطما.

(٣٣) السرب: الجماعة. القطا: جمع قطة. وهي طائر في حجم الحمامة.

(٣٤) ماروا: تحركوا بسرعة جيئة وذهابًا.

(٣٥) الدوي: الصوت الشديد. التهدار: الصوت المرتفع.

(٣٦) العمار: الريحان، الواحدة: عمارة (بالفتح).

(٣٧) الأريحي: الذي يرتاح للندى والمعروف. الشعار: الثوب الذي يلي الجسد.

الولاء: الإخلاص والمحبة.

- (٣٨) المهيمن: من أسماء الله تعالى.
- (٣٩) الجمان: اللؤلؤ.
- (٤٠) بسامة: مشرقة بالنور والزهر، السباسب: المفايزات لا ماء فيها، الواحدة سبسب. القفار: الأرض المقفرة المجدبة، الواحدة: قفر.
- (٤١) البشاشات: جمع بشاشة، وهي طلاقة الوجه وبشره. نضر: حسن جميل.
- النضار: الذهب أو الفضة، وقد غلب على الأول.
- (٤٢) متسربلاً: لابساً. الصلف: الكبر.
- (٤٣) الهالة: دائرة تحيط بالقمر. تزدهر: تضيء وتتلاً.
- (٤٤) يختلب النهى: يسلب العقول، وواحدة النهى: نهية. تتيه: تضل وتعي.
- (٤٥) فتن العيون استمالها وجعلها تنصرف إليه إعجاباً. الشاخصات: الناظرات إليه المتعلقة به.
- (٤٦) الواديان: مصر والسودان.
- (٤٧) كسرى (بكسر الكاف وفتحها): لقب ملوك الفرس. نزار: هو نزار بن معد، وقبيلته أشرف العرب أحساباً.
- (٤٨) السليقة: الطبيعة. النجار (بالكسر): الأصل والحسب.
- (٤٩) شذا الرياح: رائحته العطرة التي تنبعث عنه.
- (٥٠) الأصار: أي الأعباء والأثقال التي كانت تنوء بها مصر، الواحد: إصر (بالتثنية).
- (٥١) تخطرت: مشت في تيه وعجب. الغيداء من النساء: اللطيفة الحسنة المتتنية لينا.
- (٥٢) شماء: ذات أنفة وإباء. أصيد رأسه: أي رأسه الذي يميل كبراً وزهواً.
- (٥٣) الأوطار: الحاجات ذات البال والشأن، الواحد: وطر (بالتحريك).

السُّودَان

أنشد الشاعر هذه القصيدة في جمع حافل بالخرطوم في زيارة للسودان الشقيق عام ١٩٤١م.

قفي نُحْيِيكَ، أو عوجي فحيينا!^١
كأنما سُقِيتُ من كفِّ ساقينا^٢
وأرسلتُ ذيلها وردًا ونُسرينا^٣
تمجُّ أنفاسُ مَسْراها الرياحينا^٤
فيها من الشوقِ والآمالِ ما فينا
عن الودادِ، ولا الأيامُ تُنسينا
وهجَّتْ عُشَّ الهوى لو كنتِ تدرينا^٥
ونشوة الشوقِ في نجوى المحبين
يكاد يطفر شوقًا حين تسرينا
من المُنَى فتمنّى لو تمرّينا!^٦

يا نَسَمَةً رَنَحْتُ أعطافَ وادينا
مرّتْ مع الصبحِ نَشْوَى في تكسُّرها
أرختُ غدائرَها أخلاطَ نافجةٍ
كأنّها روضةٌ في الأفقِ سابحةٌ
هبتْ بنا من جنوبِ النيلِ ضاحكةً
إنّا على العهدِ لا بُعدٌ يحولنا
أثرتِ يا نَسَمَةُ السودانِ لاعبةً
وسِرتْ كالعلمِ في أجفانِ غانيةٍ
ويحي على خافقٍ في الصدرِ محتبسٍ
مرّتْ به سنواتٌ ما بها أَرْجُ

* * *

من الرياضِ كوجهِ البُكرِ تلويينا^٧
يردّدُ الصوتَ قُدْسِيًّا فيُشْجِننا
ومن حفيفِ غصونِ الرُّوضِ تلحيننا
ويبعثُ الشدوّ والنجوى أفانينا

نَبَّهتِ في مصرَ قُمْرِيًّا بِمُعْشَبَةٍ
فراح في دَوْجِهِ، والعودُ في يده
صوتٌ من الله تَأْلِيفًا وتهيئةً
يَطِيرُ من فَنَنِ ناءٍ إلى فَنَنِ

من الحبيب، فإنَّ البعد يُقصينا؟
لما التقت خَطَرَاتُ من أمانينا^٨
وجاء شعرك غَمَرَ الدمع محزوناً
وجاش بالصدر إلهاً وتلقينا
ظَنَنْتَهُ كُلَّ كلامٍ جاء موزوناً
ما أضيّق العيشَ لو عَزَّ الْمُعَزُّونا!
فربَّ شرٍّ غداً بالخيرِ مقروناً
في صَفْحَةِ الغيبِ ما يُعْطِي الموازينا
فهل تريدُ له يا طيرُ تكويننا؟!
كالغيدِ ما هَجَرْتُ إِلَّا المَلْحِينا^٩
والأرضُ تَبَرّاً وَرَوْضَاتُ الهوى غينا^{١٠}
منابتِ العُشْبِ يُحييها فيُحيينا
يُطِلُّ بين ثنايا السُّحْبِ مفتونا
لك الرياحُ بما تختارُ يجرينا^{١١}
وكيف نُبْصِرُ حُسْنَ الشيءِ باкина؟
ونحن نملؤها حُزناً وتأبيناً

يا شادي الدَّوْح، هل وعدُ يقربنا
تشابهت نَزَعَاتُ من طبائعنا
فجاء شعري أَنَاتُ مُنْغَمَّةً
شعراً صَدَحنا به طبعاً وموهبةً
والنَّفْسُ إِن لم تكن بالشعرِ شاعرةً
تعزَّ يا طيرُ، فالأيامُ مقبلةً
خُذِ الحِياةَ بإيمانٍ وفلسفةٍ
فَكَمْ وزناً فما أجَدْتُ موازنةً
الكونِ كَوْنَهُ الرحمنُ من قَدَمِ
إِن المُنَى لا تُواتي من يهيمُ بها
تبكي وبينَ يديكَ الزهرُ من عَجَبِ
والماءُ يسبُحُ جَذْلانَ الغديرِ إلى
والزهرُ ينظرُ مفتوناً إلى قَبَسِ
قد حَزَّتْ مُلْكُ سليمان ودولته
ما أجملَ الكونَ لو صَحَّتْ بصائرنا
الله قد خلق الدنيا لِيُسعدنا

موَدَّةً كصفاء الدرِّ مكنونا^{١٢}
وعُزْوَةً قد عقدناها بأيدينا
وسَلَسَلُ النيلِ يُرويههم ويروينا
وضاء في ظُلْمَةِ التاريخِ ماضينا^{١٣}
عَمراً إذا شئتَ، أو إِن شئتَ آمونا^{١٤}

إِن جُزَّتْ يوماً إلى السودان فارُع له
عهدٌ له قد رَعَيْنَاهُ بأَعْيُننا
ظِلُّ العُرُوبَةِ والقرآنِ يجمَعنا
أشعُّ في غَلَسِ الأيامِ حاضرنا
مجدُّ على الدهر، فاسألْ مَنْ تشاءُ به

مراجلُ بلهيبِ النارِ يَغْلِينا^{١٥}
إلى اللقاء، ونازُ الشوقِ تُزْجِينا^{١٦}
كالبرقِ شقُّ السحابِ الحُفْلُ الجونا^{١٧}

تركتُ مِصْرَ وفي قلبي وقاطرتي
سرنا معاً فُبْخارُ النارِ يدْفَعُها
تشقُّ جامحةً غُلَبَ الرياضِ بنا

كَأَنَّهَا تَتَوَقَّى عَيْنَ رَائِينَا
فَمَا تَعْرِضُنْ إِلَّا حَيْثُ يَمْضِينَا
كَالسَّرِّ بَيْنَ جَنَائِهَا اللَّيْلِ مَدْفُونَا
وَنَسْتَحِثُّ وَإِنْ كُنَّا مُجَدِّينَا^{١٨}
وَفِي السُّؤَالِ عَزَاءٌ لِّلْمَشُوقِينَا^{١٩}
وَمَا عَلَيْنَا إِذَا مَا مَلَّ حَادِينَا
غَنَى بِحَمْدِ السُّرَى وَاللَّيْلِ سَارِينَا^{٢٠}

وَلِلْخَمَائِلِ فِي ثَوْبِ الدَّجَى حَذَرٌ
كَأَنَّهِنَّ الْعَذَارَى خِفْنَ عَاذِلَةً
وَلِلْقُرَى بَيْنَ أَضْغَاثِ الْكَرَى شَبَحٌ
نَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ كَلْفٍ
وَكَمْ سَأَلْنَا وَفِي الْأَفْوَاهِ جَابِتُنَا
وَكَمْ وَمَلَّ حَادِينَا لِحَاجَتِنَا
حَتَّى إِذَا مَا بَدَتْ «أَسْوَانُ» عَنْ كَثِبٍ

* * *

تَسْتَعْجِلُ الرِّكْبَ إِذَا نَا وَتَأْذِينَا^{٢١}
كَالشَّعْرِ يُتْبَعُ بِالتَّحْرِيكِ تَسْكِينَا
تَلْقَى النِّعَمَ بِهَا وَالْحَوْرَ وَالْعَيْنَا^{٢٢}
حِينَ، وَتَلْتُمُ مِنْ أَذْيَالِهَا حِينَا^{٢٣}
وَأَظْهَرْتُ سَعْفًا أَحْوَى وَعُزْجُونَا^{٢٤}
وَهَلْ يَجَاوِرُ ضَبُّ الْحَرَّةِ النَّوْنَا؟^{٢٥}
وَزَادَكَ اللَّهُ إِعْزَازًا وَتَمَكِينَا
وَعَتَّ حَوَادِثَ هَذَا الْكَوْنِ تَدْوِينَا
كَانُوا فِرَاعِينَ أَوْ كَانُوا سَلَاطِينَا
وَحُكْمُهُمْ كَانَ لِلدُّنْيَا قَوَانِينَا
إِلَّا حُطَامًا مِنَ الذِّكْرِ يُؤَسِّسِنَا
فَصَارَ مَا يُضْحِكُ الْأَغْرَارَ يُبْكِينَا!^{٢٦}

وَمَا شَجَانِي إِلَّا صَوْتُ بَاخِرَةٍ
لَهَا تِرَانِيمٌ إِنْ سَارَتْ مُهْمَمَةٌ
يَا حُسْنَهَا جَنَّةٌ فِي الْمَاءِ سَابِحَةٌ
مَرَّتْ تَهَادَى، فَأَمْوَاجُ تُعَانِقُهَا
وَالنَّخْلُ قَدْ غَيَّبَتْ فِي الْيَمِّ أَكْثَرَهَا
مَا لِابْنَةِ الْفَقْرِ وَالْأَمْوَاهِ تَسْكُنُهَا؟
سِرَّ أَيُّهَا النَّيْلُ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَا
أَنْتَ الْكِتَابُ كِتَابُ الدَّهْرِ، أَسْطَرُّهُ
فَكَمْ مُلُوكٍ عَلَى الشُّطُيْنِ قَدْ نَزَلُوا
فَنَوْنُهُمْ كَنٌّ لِلْأَيَّامِ مُعْجِزَةٌ
مَرُّوا كَأَشْرَطَةِ «السَّيْمَا» وَمَا تَرَكَوْا
إِنَّا قَرَأْنَا اللَّيَالِي مِنْ عَوَاقِبِهَا

* * *

بُعْدًا، وَتُوسِعُهَا صَبْرًا وَتَهْوِينَا^{٢٧}
فِرَاحٍ يَخْتَرِقُ الْأَجْوَاءَ مَأْفُونَا^{٢٨}
كَالْبَحْرِ يَزْخَرُ بِالْأَمْوَاجِ مَشْحُونَا
يَمْدُدُنْ طَرْفًا كَلِيلًا ثُمَّ يُغْفِينَا
فَقُلْتُ: حَتَّى هُنَا نَلْقَى الْمُرَائِينَا!

ثُمَّ انْتَقَلْنَا إِلَى الصَّحْرَاءِ، تُوسِعُنَا
كَأَنَّهَا أَمَلُ الْمَأْفُونِ أَطْلَقَهُ
وَالرِّمْلُ يَزْخَرُ فِي هَوْلِ وَفِي سَعَةِ
تُطْلُ مِنْ حَوْلِهَا الْكُتُبَانُ نَاعِسَةٌ
وَكَمْ سَرَابٍ بَعِيدٍ رَاحَ يَخْدَعُنَا

أَرْضُ مِنَ النُّومِ وَالْأَحْلَامِ قَدْ خُلِقَتْ
كَأَنَّمَا بَسَطَ الرَّحْمَنُ رُقْعَتَهَا
تَسْلَبَتْ مِنْ حُلِيِّ النَّبْتِ أَنْفَةً
صَمْتُ وَسَحَرٌ وَإِرْهَابٌ وَبَعْدُ مَدًى
صَحْرَاءُ فِيكَ حَبِيئًا سُرٌّ عَزَّتِنَا
إِنَّا بَنُو الْعُرَبِ يَا صَحْرَاءُ كَمْ نَحْتِ
عَزَّوَا، وَعَزَّتْ بِهِمْ أَخْلَاقُ أُمَّتِهِمْ
مِنْصَصَةُ الْحُكْمِ زَانُوها مَلَائِكَةُ
كَانُوا رُعَاةَ جَمَالٍ قَبْلَ نَهْضَتِهِمْ
إِنْ كَبَّرْتَ بِأَقَاصِي الطِّينِ مِئْذَنَةً

فهل لها نبأً عند «ابن سيرينا»؟^{٢٨}
من قبل أن يخلق الأمواه والطينا
وزيَّنت بِجَلالِ الله تزيينا^{٢٩}
ماذا تكونين؟ قللي، ما تكونينا؟
فأفصحي عن مكان السرِّ واهدينا
من صخرِ الصلِّدِ أخلاقًا أوالينا
في الأرض، لَمَّا أعزَّوا الخلق والدينا
وجذوة الحرب شبَّوها شياطينا
وبعدها ملأوا الآفاق تمدينا
سمعت في الغرب تهليل المصلينا

* * *

قف يا قطارُ فقد أوهى تصبُّرنا
وقد بدت صفحة الخُرطوم مُشرقةً
جننا إليها، وفي أكبادنا ظمًا
جننا إليها، فمن دار إلى وطن
يا ساقِي الحيِّ جدُّ نشوة سلفت
واصدح بنونية لما هتفت بها
وأحكِمِ اللحنَ يا ساقِي وغنِّ لنا

طولُ السفارِ، وقد أكدت قوافينا
كما تجلَّى جلالُ النورِ في «سينا»
يكاد يقتلنا لولا تلاقينا
ومن منازل أهلينا لأهلينا
وأنت «بالجبنات» الحُمرِ تسقيننا^{٣٠}
تسرِّق السمع «شوقي» و«ابن زيدونا»^{٣١}
«إنَّا محيوك يا سلمى فحيينا»^{٣٢}

هوامش

- (١) رنحت: أمالت. أعطاف: جوانب. وادينا: المقصود وادي النيل. عوجي: ميل أو ارجعي.
- (٢) نشوى: فرحة متمائلة. تكسرهما: تمايلها.
- (٣) أخلاط: هو امتزاج الأشياء. نافجة: المسك. نسرين: نبات ذو رائحة ذكية.
- (٤) تمج: تنشر.
- (٥) لاعجة: شدة وألم في الصدر.

- (٦) أَرَج: هو رائحة الطيب والمعنى أنها سنوات خالية من الأمانى.
- (٧) قمرِيًّا: نسبة إلى الطائر المعروف بالقمري والشاعر يقصد نفسه. معشبة: أرض كثيرة العشب.
- (٨) نزعات: صفات. خطرات: خواطر.
- (٩) الملحين: الملحقين الدائمي السؤال.
- (١٠) غينا: جمع غيناء أي: خضراء طويلة الشجر.
- (١١) حزت: ملكت. سليمان: سيدنا سليمان — عليه السلام — وفي البيت اقتباس من الآية الكريمة: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾.
- (١٢) جزت: سرت إلى. أَرع: احفظ.
- (١٣) أشبع: أنار. غلس الأيام: ظلام الأيام.
- (١٤) عمرًا: يريد عمرو بن العاص. آمونا: توت عنخ آمون من فراعين قدماء المصريين.
- (١٥) مراجل: أوعية النار التي لا دخان لها.
- (١٦) تزجينا: تدفعنا.
- (١٧) جامعة: غالبية. غلب: جمع غلباء: الحديقة الكثيفة الشجر. الجونا: جمع جون: الأسود.
- (١٨) جابتنا: إجابتنا.
- (١٩) سارينا: هاديننا.
- (٢٠) إيذانًا: إعلانًا بسفرها. تأذينا: الدعوة.
- (٢١) الحور: النساء الجميلات. العينا: خيار الشيء.
- (٢٢) تهادى: تتمهل.
- (٢٣) سعف: غصن النخلة. أحوى: هو الذي خالط خضرته سواد وصفرة. العرجون: هو ما يبقى يابسًا على النخلة بعد قطع الفروع.
- (٢٤) الحرّة: الأرض ذات حجارة سود. النون: الحوت.
- (٢٥) عواقبها: آخرها. الأغرار: غير المجربين.
- (٢٦) توسعنا: تزيدينا.
- (٢٧) المأفون: ضعيف العقل. الأجواء: ما بين السماء والأرض.
- (٢٨) ابن سيرينا: عالم من علماء المسلمين له كتاب في تفسير الأحلام.

(٢٩) تسلبت: خلت من.

(٣٠) سلفت: مضت. الجبنات: أوعية من الخفار يصنع السودانيون القهوة بها.

(٣١) نونية: يقصد هذه القصيدة وهي نونية. شوقي: هو الشاعر أحمد شوقي وله قصيدة نونية أيضاً أولها:

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نأسى لواديك أم تأسى لوادينا

ويعارض بها الشاعر الأندلسي ابن زيدون في نونيته ومطلعها:

أضحى التنائى بديلاً عن تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

(٣٢) إنا محيوك يا سلمى فحيينا: مطلع نونية الشاعر عمرو بن سعد بن مالك

وهو شاعر جاهلي، وكان يلقب بالمرقش الأكبر. وتكملة البيت: وإن سقيت كرام الحي فاسقيناً.

إلى الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا

أرسل الشاعر هذه الأبيات إلى صديقه الأستاذ أحمد لطفي السيد بمناسبة انتخابه رئيساً لمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٥ م.

وهَنَّتْهُ واهْتَفَتْ بِاسْمِهِ فِي المحافلِ
إِذَا صُغْتُ مَدْحًا قِيلَ: تَحْصِيلُ حَاصِلِ
فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَوْ صَحَّ تَكْمِيلُ كَامِلِ
فَسِيحُ المَرَامِي لَا يَضِيقُ بِقَائِلِ
وَأَيْنَ الثَّرِيَّا مِنْ يَدِ المَتَنَاوِلِ؟^١
فَقُلْتُ لَهُمْ: صُنْعُ العِيِّ المُجَامِلِ^٢
وَكُلُّ كَلَامٍ بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلِ^٣

وقالوا: غَدًا لَطْفِي رَئِيسًا فَحِيَّه
فَقُلْتُ: وَهَلْ يَرْضَى لِي العَقْلُ أَنَّنِي
فَقَالُوا: رَفِيعُ زَادٍ قَدْرًا وَرَفُوعَةً!
فَقَالُوا: عَلَيْكَ الشَّعْرَ وَيَحْكَ إِنَّه
فَقُلْتُ: وَأَيْنَ الشَّعْرُ؟ أَيْنَ خِيَالُهُ؟
فَقَالُوا: فَمَاذَا أَنْتَ فِي الجَمْعِ صَانِعُ؟
فَفِي سَكْتَةٍ المَبْهُورِ أَصْدَقُ مَدْحَةٍ

هوامش

- (١) الثريا: نجوم السماء.
- (٢) العيي: الثقل في نطقه.
- (٣) المبهور: المندهش.

العاشق الغضبان

سنة ١٩٠٤ م

هَجَرْتَنَا وَهَجَرْنَا زَيْنَبَا
طالما سُقْتُ فُؤَادِي نَحْوَهَا
ودعوتُ الْوَجْدَ لِلْهُوَ بِهَا
نَعَبَ الْبَيْنِ بِنَا، سُقِيَا لَهُ!
ومضى الشَّوْقُ فما جادتْ له
عَلِقْتُ غَيْرِي وَتَرْجُو صَلَاتِي؟
هل يَحُلُّ الْغَمْدَ سَيْفَانِ مَعَا؟
وَصَحَا الْقَلْبُ الَّذِي كَانَ صَبَا^١
فَنَبَتْ عَنْهُ مِطَالًا، وَنَبَا^٢
فَأَبَتْ دَلًّا عَلَيْهِ، وَأَبَى
فَاسْتَعَدْتُ الْبَيْنَ لِمَا نَعَبَا^٣
مُقَلَّتِي بِالذَّمْعِ لِمَا ذَهَبَا
عَجَبًا مِمَّا تُرَجِّي عَجَبَا!^٤
أَوْ يَضُمُّ الْغِيلُ إِلَّا أَغْلَبَا؟^٥

إِنَّ هَذَا الْحُسْنَ كَالْمَاءِ، إِذَا
وهو مِثْلُ الزَّهْرِ، إِنَّ أَكْثَرَتْ مِنْ
وهو مِثْلُ الْمَالِ، إِنَّ أَسْرَفَتْ فِي
كَثُرَ النَّاهِلُ مِنْهُ نَضْبَا^٦
شَمِّهِ يَا زَيْنُ، أُمْسَى حَطْبَا^٧
بَذَلِهِ لِلسَّائِلِيهِ، سُلْبَا

قَدْكَ الْمَائِسُ قَدْ بَغَضَ لِي^٨
وَجَنَى خَدْيِكَ قَدْ زَهَدَنِي
كُلُّ غُضَنِ بَيْنَ أَنْفَاسِ الصَّبَا
فِي حَدِيثِ الْوَرْدِ يَزْهَى فِي الرُّبَا^٩

أَبْصَرُوا الْبَدَرَ فَقَالُوا: وَجْهَهَا! فَتَغَشَّيْتُ بِثَوْبِي هَرَبًا^{١٠}
فاحتجب يا بدرُ عن أعيننا وعزيرُ عندنا أنْ تُحجبا!

* * *

أَنَا يَا زَيْنَبُ مَاءٌ، فَإِذَا هَجَّتَنِي صِرْتُ لَظَى مُلْتَهَبًا^{١١}
أَرْكَبُ الْمَرْكَبَ صَعْبًا خَشِنًا إِنَّ دَعَّتَنِي هَمَّتِي أَنْ أَرْكَبَا
ضاربًا في سُبُلِ الْمَجْدِ وَلَوْ رَصَفُوهَا بِالْعَوَالِي وَالظُّبَا^{١٢}

هوامش

- (١) صحا القلب: ترك الهوى وخلاه جانبًا. صبا: أحب وهوى.
- (٢) نبت: بعدت. المطال: التسويف بالوعد مرة بعد أخرى.
- (٣) البين: الفارقة. نعيبه: إيذانه بالشتات والبعد. سقيا له: يدعو له بالسقيا. استعاد الشيء: طلب إعادته.
- (٤) علقت غيري: أحبته وتعلقت به.
- (٥) الغمد: جفن السيف. الغيل: الشجر الكثير الملتف تتخذه الأسود مأوى لها. الأغلب: الأسد.
- (٦) الناهل: الشارب. نضب: قل وذهب.
- (٧) يا زين، أي: يا زينب.
- (٨) القد: القامة. المائس: اللدن المتثني. الصبا: ريح تهب من الشرق في بلاد العرب.
- (٩) جنى خديك: شبه حمرة خديها بما يجنى من الورد. يزهى: يزهى حسنًا ونضرة. الربا: الأماكن المرتفعة الواحدة ربوة.
- (١٠) تغشيت: تغطيت.
- (١١) هجتنني: أثرتني. اللظى: النار.
- (١٢) العوالي: الرماح. الظبا: السيوف.

عيد الجلوس الملكي

بمناسبة تولي الملك فاروق سلطته الدستورية في مايو سنة ١٩٣٨ م.

وَصُغْتُ مِنْ بَسَمَاتِ الْغَيْدِ أَشْعَارِي^١
بَيْنَ الظَّلَالِ، وَبَيْنَ السَّلْسَلِ الْجَارِي
مِنَ الْخُلُودِ فَأَنْصَتُ تَحْتَ أَوْكَارِي
وَقَدْ تَغَنَّى بِشِعْرِي سِنَّ مِنْقَارِ^٢
فَفَاقَهَا فِي التَّغْنَى فَوْقَ أَسْطَارِ
أَثَارَةٍ مِنْ تَرَانِيمِ وَأَسْرَارِ^٣
عَزَمَ الشَّبَابُ، وَيَهْدِي لَيْلَةَ السَّارِي^٤
وَالْيَأْسُ تَغَشَى بِأَسْدَافٍ وَأَسْتَارِ^٥

جَمَعْتُ مِنْ فَرْعِ ذَاتِ الدَّلِّ أَوْتَارِي
وَعِشْتُ لِلْفَنِّ أَحْيَا فِي بَدَائِعِهِ
أَشْدُو، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُصْغِيَ لِسَاجِعِهِ
كَادَتْ تَزُقُّ يِرَاعِي الطَّيْرُ تَحْسِبُهُ
قَدْ عَلِمَتْهُ التَّغْنَى فَوْقَ أَيْكَتِهِ
كَأَنَّ دَاوُدَ أَلْقَى عِنْدَ بَرِيَّتِهِ
أَعْدَدْتُهُ قَبَسًا يُذَكِّي تَوْقُدَهُ
وَيَكْشِفُ الْأَمَلَ الْمَحْجُوبَ سَاطِعُهُ

* * *

وَفِكْرَةٌ تَتَجَلَّى بَيْنَ أَفْكَارِ
كَمَا تَقَابَلُ تَيَّارُ بَتِّيَّارِ
نُورَ الْحَيَاةِ، وَزُنْدُ الْأُمَّةِ الْوَارِي^٦
إِلَى الْقُلُوبِ، فَتَحْيَا بَعْدَ إِقْفَارِ
وَدَمْعَةُ الطَّلِّ فِي أَجْفَانِ أَزْهَارِ
جِلَادُ مُرْهَفَةٍ أَوْ فَتْكَ بَتَّارِ^٧
تَرَى وَلَا وَثَبَاتٌ حَوْلَ أَسْوَارِ

الشُّعْرُ عَاطِفَةٌ تَقْتَادُ عَاطِفَةً
الشُّعْرُ إِنْ لَأَمَسَ الْأَرْوَاحَ أَلْهَبَهَا
الشُّعْرُ مَضْبَاحُ أَقْوَامٍ إِذَا التَّمَسُّوا
الشُّعْرُ أَنْشُودَةُ الْفَنَانِ يُرْسِلُهَا
الشُّعْرُ هَمْسُ غُصُونِ الدَّوْحِ مَائِسَةً
الشُّعْرُ لِلْمَلِكِ جَيْشٌ لَا يُصَاوِلُهُ
يَغْزُو وَيُنْصَرُّ. لَا أَشْلَاءَ مَعْرَكَةٍ

إِذَا تَخَطَّرَ فِي الْأَفْوَاهِ تُنْشِدُهُ
وَإِنْ أَغَارَ تَنَادَى كُلُّ ذِي هَلَعٍ
قَدْ كَانَ حَسَانٌ جَيْشًا فِي قِصَائِدِهِ
وَكَانَ مُلْكُ بَنِي مَرْوَانَ فِي أُطْمٍ
وَهَلْ زَهَتْ بِبَنِي الْعَبَّاسِ دَوْلَتُهُمْ
فَقُلْ لِمَنْ رَاحَ لِلْأَهْزَامِ يَرْفَعُهَا:
كَمْ حِكْمَةٍ فِيهِ لَا تَفْنَى بِشَاسَتْهَا
الشَّعْرُ لِلْمُلُوكِ مِرَاةٌ مُخَلَّدَةٌ
صَوَّرَتْ فِيهِ سَنَا الْفَارُوقِ مُؤْتَلَقًا
وَصُغَتْهُ فَاتِنَ الْأَلْوَانِ مُزْدَهَرًا

غَضَّ الْجُفُونَ حَيَاءً كُلُّ خَطَّارٍ^٨
إِلَى الْفِرَارِ، وَأَوْدَى كُلُّ مِغْوَارٍ^٩
أَشَدَّ مِنْ كُلِّ زَحَافٍ وَجَرَّارٍ^{١٠}
عَالٍ مِنَ الشَّعْرِ، يَرْمِي الشُّهْبَ بِالنَّارِ^{١١}
إِلَّا بِأَمْثَالِ حَمَادٍ وَبِشَارٍ؟^{١٢}
الْخُلْدُ فِي الشَّعْرِ لَا فِي رَصْفِ أَحْجَارٍ
وَمِنْ حَدِيثٍ عَلَى الْأَيَّامِ سَيَّارٍ
عَلَى تَعَاقِبِ أَجْيَالٍ وَأَذْهَارٍ
يَزْدَانِ بِاثْنَيْنِ: إِجْلَالٍ وَإِكْبَارٍ^{١٣}
كَأَنَّمَا نَقَشْتُهُ كَفَّ آذَارٍ^{١٤}

* * *

مُلْكٌ مِنَ النُّورِ قَدْ ضَاعَتْ دَعَائِمُهُ
وَدَوْلَةٌ رَكَزَ الْإِسْلَامُ رَايَتَهُ
وَعَايِلُ مِنْ صَمِيمِ النَّيْلِ نَبْعَتُهُ
أَحْيَا النُّفُوسَ بِأَمَالٍ تُضَاجِكُهَا

كَأَنَّمَا شِيدَ مِنْ هَالَاتٍ أَقْمَارٍ
فِيهَا عَلَى طَوْدٍ تَارِيخٍ وَآثَارٍ
أَمَا تَرَى لِيَدَيْهِ وَكُفَّ أَمْطَارٍ!^{١٥}
فَالْيَأْسُ فِيهَا غَرِيبُ الْأَهْلِ وَالذَّارِ

* * *

كَأَنَّ أَيَّامَهُ وَالْبِرُّ يَغْمُرُهَا
كَأَنَّمَا عَهْدُهُ وَالْبِشْرُ يَمْلُؤُهُ
كَأَنَّ ذِكْرَاهُ لَمَّا سَارَ سَائِرُهَا
كَأَنَّ أَمْدَاحَهُ فِي أُذُنِ سَامِعِهَا
كَأَنَّ طُلْعَتَهُ وَالشُّوقُ يَرْقُبُهَا

صَحَائِفُ الطُّهْرِ فِي أَيْمَانِ أَبْزَارٍ
تَبَسُّمُ الشَّرْقِ عَنْ أَنْفَاسِ أَسْحَارٍ
عَبِيرُ دَانِيَةِ الظَّلِيلِينَ مِعْطَارٍ^{١٦}
مَسَاقِطُ الشَّهْدِ مِنْ أَعْوَادِ مُشْتَارٍ^{١٧}
وَجْهَ الصَّبَاحِ يُحْيِي نَضْوَ أَسْفَارٍ^{١٨}

* * *

«فَارُوقُ» يَا زِينَةَ الدُّنْيَا وَبَهَجَتَهَا
وَابْنَ الْمُلُوكِ الْأَلَى فَلَتْ عَزَائِمُهُمْ
أَقْمَارُ مَمْلَكَةٍ، آسَادُ مَلْحَمَةٍ

وَأَسْعَدَ النَّاسِ فِي وَرْدٍ وَإِصْدَارٍ^{١٩}
مِنْ حَدٍّ كُلِّ صَلِيبِ الْحَدِّ جَبَّارٍ^{٢٠}
أَمْلَاكَ مَرْحَمَةٍ، صُنَاعُ أَقْطَارٍ^{٢١}

مِنْ كُلِّ نَذْبٍ بَعِيدِ الرَّأْيِ مُسْتَبِقِ
إِلَى الْجِهَادِ مُغَارِ الْقَتْلِ صَبَّارِ^{٢٢}
الْمَجْدِ أَبْقَى لَهُمْ ذِكْرِي مُخَلَّدَةً
أَعْمَارُهُمْ وَصَلَتْ مِنْهَا بِأَعْمَارِ

* * *

الشَّعْبُ شَعْبُكَ، وَالْأَيَّامُ بِاسْمَةِ
أَحَبِّكَ الشَّعْبُ فَنَنْعَمُ فِي مَحَبَّتِهِ
مُرٌّ وَانْهَ فِي الْحَقِّ، فَالْأَسْمَاعُ مُصْغِيَّةٌ
وَأَرْفَعُ لَوَاءَكَ فَوْقَ الشَّرْقِ تَلْثُمُهُ
وَالدَّهْرُ كَالزَّهْرِ، فِي صَفْوٍ وَإِنْضَارِ
فَأَنْتَ مِلءُ قُلُوبٍ، مِلءُ أَبْصَارِ
فِدَاؤِكَ النَّفْسُ مِنْ نَاهٍ وَأَمَارِ
أَفْوَاهِ أَوْدِيَةٍ فِيهِ وَأَمْصَارِ

* * *

ذِكْرَكَ فِي الدَّهْرِ آيَاتُ مُطَهَّرَةٍ
شَدَوْتُ بِاسْمِكَ حَتَّى كَدْتُ مِنْ طَرَبِ
فَإِنْ سَمِعْتَ رَنِينًا كُلُّهُ عَجَبٌ
جُلُوسِكَ الْيَوْمَ أَثْمَارُ الْمُنَى يَنْعَتُ
عِيدٌ بِهِ الْأَرْضُ وَالْأَفَاقُ مُشْرِقَةٌ
عِيدٌ كَأَنَّ اللَّيَالِي قَدْ وَهَبْنَ لَهُ
النَّيْلُ فِيهِ جَرَى يُمْلِي بِشَائِرِهِ
إِذَا الرَّبِيعُ رَمَى فِيهِ أَزَاهِرَهُ
أَوْ الْحَمَائِمُ غَنَّتْ فَوْقَ مَائِجَةٍ
تَخْلُو بَغْنٌ وَتَزْتِيلُ وَتَكْزَارِ
أُظُنُّنِي ذَا جَنَاحٍ بَيْنَ أَطْيَارِ
فَالْعُودُ عُودِي، وَالْأَوْتَارُ أَوْتَارِي
يَا حُسْنَهَا مِنْ مَنَى خُضِرَ وَأَثْمَارِ!
تَمَارَجَتْ فِيهِ أَنْوَارٌ بِأَنْوَارِ^{٢٣}
مَا فِي الْخَلِيقَةِ مِنْ يَمْنٍ وَإِسَارِ
وَيَنْتَنِي بَيْنَ أَدْوَاحٍ وَأَشْجَارِ
جَزَاهُ بِالتَّبَرِّ دِينَارًا بِدِينَارِ
حَبَا الْحَمَائِمُ تَهْدَارًا بِتَهْدَارِ

* * *

يَا كَالِيَّ الدِّينِ وَالِدُسْتُورِ مِنْ جَنْفِ
وَحَافِزِ الشَّعْبِ يَدْعُوهُ فَيَتَّبِعُهُ
الْعِلْمُ لِلشَّعْبِ رُكْنٌ غَيْرُ مُنْصَدِعِ
اخْتَارَكَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ تَنْصُرُهُ
عَشْ فِي الْقُلُوبِ فَقَدْ أَعْطَتْ مَقَالِدَهَا
وَحَارَسَ النَّيْلَ مِنْ أَوْضَارِ أَكْدَارِ^{٢٤}
إِلَى النُّجُومِ جَرِيئًا غَيْرَ خَوَارِ^{٢٥}
وَالشَّعْبُ بِالْعِلْمِ صَفٌّ غَيْرُ مُنْهَارِ
فَكُنْتُ مَوْدِلَهُ يَا خَيْرَ مُحْتَارِ
وَفِي نَعِيمٍ عَمِيمٍ الْغَيْثُ مِذْرَارِ

هوامش

- (١) الفرع: الشعر.
- (٢) زق الطائر فرخه: أطعمه. اليراع واليراعة: القلم. سن المنقار: طرفه.
- (٣) داود عليه السلام: نبي كتابه يسمى الزبور، وما كان يتغنى بتلاوته منه يسمى المزامير جمع مزمار. أثارة الشيء: بقيته، الترانيم: جمع ترنيم وهو ترجيع الصوت في تطريب وتغن. الأسرار: جمع سر وهو هنا الحكمة والمعنى السامي.
- (٤) القبس: الشعلة من النار وكذا المقياس. يذكى: يشعل من أذكى النار. الساري: السائر ليلاً.
- (٥) المحجوب: المستور. تغشى: تغطى. الأسداف: جمع سدف، الستر.
- (٦) الزند: العود الأعلى الذي يقدح به النار. والزندة العود الأسفل وهما زندان، الواري: الذي يخرج النار، من ورى الزند ورىا خرجت ناره.
- (٧) يضاوله: يواثبه. الجلاد والمجالدة بالسيوف: المضاربة بها. المرفهة: المشحونة. البتار: السيف القاطع.
- (٨) تخطر: اهتز وتبخر. غص طرفه: خفضه. خطار: رمح خطار ذو اهتزاز، ورجل خطار بالرمح طعان به.
- (٩) أودى: هلك.
- (١٠) حسان: حسان بن ثابت شاعر الرسول — عليه السلام — دافع عنه بلسانه، فأخاف المعاندين وأذل الجاحدين.
- (١١) أطم: الأطم القصر وكل حصن مبني بحجارة والجمع آطام وأطوم. الشهب: جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة والشهب أيضاً الدراري.
- (١٢) زهت: ازدهرت وأشرقت. حماد: هو حماد بن عمر من أهل الكوفة شاعر عباسي كان معلماً وشاعراً محسناً، وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم: الحمادون حماد عجرد وهو هذا وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوي، وكانوا يتعاضون ويتنادمون وقد اتهموا بالزندقة كلهم. وبشار: هو أبو معاذ بشار بن برد العقيلي ولأه الفارسي أصلاً. أخذ العربية عن أعراب البصرة ونبغ في الشعر لذكائه وكان هجاءً ماجناً.
- (١٣) السنا: الضياء: مؤثلقاً: من اثثت البرق لمع. الإجلال والإكبار: التعظيم.
- (١٤) فاتن: مأخوذ من الفتنة وهي الإعجاب بالشيء. مزدهراً: مثالقاً مشرقاً. أذار: شهر رومي يوافق شهر مارس.

- (١٥) العاهل: الملك الأعظم أو الخليفة. صميم الشيء: خالصه. الذبعة: الشجرة تتخذ منها القسي والجمع نبع. وكف المطر: سيله.
- (١٦) دانية الظلين: قريبتهما ووارفتها والمراد بالظلين ظل الصباح وظل ما بعد الزوال.
- (١٧) المشتار: من يستخرج العسل من الخلية.
- (١٨) النضو: المهزول.
- (١٩) البهجة: الحسن. الورد: ضد الصدر من ورد الماء أتاها ليستقي. الإصدار: الرجوع من صدر عن المكان إذا رجع عنه والمراد بالورد والإصدار، تصريف الأمور.
- (٢٠) فل الجيش: من باب قتل فانفل كسره فانكسر.
- (٢١) الملحمة: القتال. أملاك: جمع ملك من ملائكة السماء. صناع أقطار: المراد به هنا أنهم ساسة فاتحون.
- (٢٢) النذب: الخفيف في الحاجة. بعيد الرأي: ذو دهاءٍ وحنكة. مستبق إلى الجهاد: سباق إليه. مغار الفتل: كناية عن الصلابة وقوة الحسم.
- (٢٣) الأنوار، الأولى: جمع نور وهو الزهر. والأنوار الثانية: جمع نور بمعنى الضوء.
- (٢٤) الكالي: الحافظ. الجنف: الجور والظلم. الأوضار: جمع وضر، القذارة.
- (٢٥) حفزه: حثه. الخوار: كثير الجبن.

دَمْعَةٌ عَلَى صَدِيقٍ

في اليوم الأول من شهر مارس سنة ١٩٣٦م انتقل إلى جوار ربه المرحوم الأستاذ «أبو الفتح الفقي» وكيل دار العلوم، ورئيس جماعة دار العلوم، فكان لنعيه وقع على القلوب أليم، وفقدت مصر بفقده عالماً من أفاضل علمائها، ورجلاً من خيرة رجالها. وكان — رحمه الله — صديقاً حميماً للشاعر، فبكاه ورثاه بهذه القصيدة التي ألقى في الحفلة التي أقامتها لتأبينه جماعة دار العلوم بدار الأوبرا في مساء الاثنين ٢٠ من أبريل سنة ١٩٣٦م.

إِنْ كَانَ مِنْ صَبْرٍ لَدَيْكَ فَهَاتِهِ!
بِالنَّبْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي أَنْاتِهِ¹
مَا يَبْتَغِي الْخَيْرَانُ مِنْ نَظَرَاتِهِ²؟
وَهَجِيرٌ قَيْظُ الْبَيْدِ مِنْ زَفَرَاتِهِ!
مِنْ بَعْضِ مَا يُبْدِيهِ مِنْ عِبَرَاتِهِ
مَا تُرْسِلُ الْأَقْلَامُ مِنْ نَفَثَاتِهِ
أَيْنَ الرَّخِيمِ الْعَذْبُ مِنْ أَصْوَاتِهِ؟
مَلَّتْ نُجُومُ اللَّيْلِ مِنْ دَقَّاتِهِ
قَدْ أَوْهَنَ الْأَسْلَاكُ مِنْ خَفَقَاتِهِ
يَا وَيْلَ، مَا فَعَلْتَ يَمِينُ رُمَاتِهِ!

مَلَكُ الْمُصَابِ عَلَيْهِ كُلُّ جِهَاتِهِ
أَسْوَانُ تَعْرِفُهُ إِذَا اخْتَلَطَ الدُّجَى
يَبْكِي وَيَنْظُرُ فِي السَّمَاءِ مُصْعَدًا
خَفَقَانُ نَجْمِ الْأَفَقِ مِنْ خَفَقَانِهِ
وَبُكَاءُ كُلِّ عِمَامَةٍ هَتَّانَةٍ
وَنُوحُ ذَاتِ الطُّوقِ فِي أَعْوَادِهَا
يَرْتِي فَيَحْتَبِسُ الْبُكَاءُ بِصَوْتِهِ
فِي صَدْرِهِ قَلِقُ الْجَوَانِحِ مُوجِعُ
كَالطَّيْرِ فِي قَفْصِ الْحَدِيدِ مُوثَّقًا
يَبْكِي وَيَضْرِبُ بِالْجَنَاحِ مُجَرَّحًا

نُوبُ كُلِّلَاتِ الْمَحَاقِ تَتَابَعْتُ
وَبَنَاتُ دَهْرٍ قَدْ زَحَمْنَ مَنَاكِبِي
أَوْدَى (أَبُو الْفَتْحِ) الْمُرْجَى وَاخْتَفَى
وَانْحَازَ لِلرَّكْبِ الَّذِي مِنْ آدَمِ
سَارَتْ بِهِ الْأَحْبَابُ تَسْتَبِقُ الْخُطَا
فَوَقَفْتُ أَنْظُرَ فِي الْفَلَاةِ فَلَمْ أَجِدْ
مُتَشَابِهَاتٍ، هَذِهِ مِنْ هَاتِهِ^٢
وَيْلَاةُ! لَوْ أَسْطِيعُ وَأَدَّ بَنَاتِهِ!^٤
عَلِمَ طَوَاهِ الدَّهْرِ فِي طَيَّاتِهِ^٥
مَا زَالَ يُزْعَجُنَا رَنِينُ حُدَاتِهِ^٦
وَالْقَلْبُ مَكْظُومٌ عَلَى حَسَرَاتِهِ
إِلَّا جَلَالًا فِي فِسِيحِ فَلَاتِهِ!^٧

* * *

يَا جَامِعًا شَمَلَ الشُّيُوخَ بِحَزْمِهِ
يَمْشِي الرَّعِيلُ نَوَاكِسًا أَبْصَارُهُ
أَلْوَى بِعِزْمَتِهِ وَهَذَّ شِمَاسَهُ
حَيْرَانٌ يَعْتُرُّ بِالْأَعْنَةِ مِثْلَمَا
يَطْفُو نَشِيجُ الْيَأْسِ مِنْ لَهَوَاتِهِ
سَارَتْ بِهِ الْفُرْسَانُ تَخْبِطُ فِي الدُّجَى
يَبْكُونُ لِلطَّرْفِ الْمُحَلَّى سَرَجُهُ
يَبْكُونُ لِلدَّرْعِ الْمَطْرَحِ حَطَمَتْ
يَبْكُونُ أَطْوَلَهُمْ يَدًا، وَأَبْرَهُمْ
مَنْ ذَا يَلُمُّ الْيَوْمَ مِنْ أَشْتَاتِهِ؟
مَنْ بَعْدَ مَا عَيْثَ الرَّدَى بِحُمَاتِهِ^٨
قَدَّرَ أَطَاحَ الْقَرَمِ عَنْ صَهَوَاتِهِ^٩
يَتَعَثَّرُ التَّمْتَامُ فِي تَاءَاتِهِ
وَتَثَّرُ نَارُ الشَّوْقِ فِي لَبَّاتِهِ^{١٠}
وَالرَّكْبُ قَدْ زَاغَتْ عُيُونُ هُدَاتِهِ
وَالْفَارِسِ الْمُنْبَتِّ عَنْ غَايَاتِهِ^{١١}
أَيْدِي الزَّمَانِ الْعُسْرِ مِنْ حَلَقَاتِهِ^{١٢}
كَفًّا، وَأَسْبَقَهُمْ إِلَى قَصَبَاتِهِ^{١٣}

* * *

خُلِقَ كَمَا يَصْفُو النُّضَارُ وَطُلْعَةُ
مَنْ صَارَ فِي الْخُمْسِينَ فَخَرَ بِلَايِهِ
وَالدَّهْرُ لَا يُنْشِي الرَّجَالَ صَوَارِمًا
صَانَ الْكِرَامَةَ أَنْ تُمْسَ، وَإِنَّمَا
مُنِعَ الرَّقِيقُ وَلَا تَزَالُ عِصَابَةُ
قَدْ كَانَ كَالْفَلَكِ الدَّءُوبِ نَشَاطُهُ
فَإِذَا تَرَاءَى سَاكِنًا فَلَانَّهُ
الْحَقُّ وَالْإِيمَانُ مِلءُ فُؤَادِهِ
فَإِذَا تَخَطَّرَ لِلْجِدَالِ مُصَاوِلًا
أَزْهَى مِنْ ابْنِ اللَّيْلِ فِي هَالَاتِهِ
قَدْ كَانَ فِي الْعِشْرِينَ فَخَرَ لِدَاتِهِ
إِلَّا إِذَا نَضَجُوا عَلَى جَمَرَاتِهِ
إِذْ لَالُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ زَلَّاتِهِ
تَهْفُو إِلَى أَغْلَالِهِ وَسِمَاتِهِ!
لَا يَسْتَرِيحُ الدَّهْرُ مِنْ دَوَرَاتِهِ
فِي أَسْرَعَ الْأَحْوَالِ مِنْ حَرَكَاتِهِ!
وَبَلَاغَةُ الْأَعْرَابِ مِلءُ لَهَاتِهِ
فَاخْذَرْ فَتَى الْفِتْيَانِ فِي صَوْلَاتِهِ!

السَّيْلُ فِي دَفْعَاتِهِ، وَالسَّيْفُ فِي
لَبَسِ الْقَوِيِّ بَنَابِهِ وَيُظْفِرُهُ
وَالْحُجَّةُ الْبَيِّضَاءُ أَفْضَلُ مَقْطَعًا
عَزَمَاتِهِ، وَالْمَوْتُ فِي وَثْبَاتِهِ
مِثْلَ الْقَوِيِّ بَرَأْيِهِ وَثْبَاتِهِ
مَنْ نَصَلَ كُلَّ مُهَنْدٍ وَشَبَاتِهِ^{١٤}

مَاذَا أَصَابَ اللَّيْثُ عَنْ غَدَوَاتِهِ
سَمَحَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِمَاءِ سَرَابِهَا
إِنَّ الْأَمَانِيَّ الْحَسَانَ جَمِيلَةٌ
فَلَرَبِّ رَوْضٍ لِلنَّوَاطِرِ مُعْجِبٍ
قَدْ كَانَ لِي أَمَلٌ سَقَيْتُ فُرُوعَهُ
أَحْنُو عَلَيْهِ مِنَ الْهَجِيرِ يَمْسُهُ
وَأَذُودُ عَنْهُ الطَّيْرُ إِنْ حَامَتْ عَلَى
الَلَّيْلِ يَنْفُخُهُ بِذَائِبِ طَلِّهِ
حَتَّى إِذَا قَوِيَتْ لِذَانُ غُصُونِهِ
وَأَخَذَتْ أَسْتَجَلِي السَّنَا مِنْ نَوْرِهِ
وَأَفَاخِرُ الزُّرَّاعِ أَنَّ غِرَاسَهُمْ
عَصَفَتْ بِهِ هُوَجٌ فَخَرُ مُعَفَّرًا
وَوَقَفَتْ أَنْظَرُ لِلْحَطَامِ مُحَطَّمًا
أَهْوَنُ بِدُنْيَا مَا لَحِي عَنْدهَا
سَلَّ كُلٌّ مَنْ كَتَبَ الْكَتَائِبَ غَازِيًا
إِنَّ ابْنَ دَاوُدَ عَلَى سُلْطَانِهِ
وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ الْمُلُوكَ بِبَاسِهِ
كُلُّ ابْنٍ أَنْثَى فِي الْحَيَاةِ إِلَى مَدَى
صُبْحًا، وَمَاذَا نَالَ مِنْ رَوْحَاتِهِ؟
فَابْتَاعَهُ مِنْهَا بِمَاءِ حَيَاتِهِ
لَوْ حَقَّقَ الْإِنْسَانُ أُمْنِيَّاتِهِ!
كَمَنْتُ سُمُومُ الصِّلِّ فِي زَهْرَاتِهِ^{١٥}
بِدَمِي وَغَذَيْتُ الْمُنَى بِغَذَاتِهِ^{١٦}
وَمِنْ النَّسِيمِ يَهْزُ مِنْ أَسْلَاتِهِ^{١٧}
زَهْرٌ يُضِيءُ الْأَفَقَ فِي عَذْبَاتِهِ^{١٨}
وَالصُّبْحُ يَمْنَحُهُ شُعَاعَ إِيَّاتِهِ^{١٩}
وَاسْتَحْصَدَ الْمَرْجُوُّ مِنْ ثَمَرَاتِهِ^{٢٠}
وَأَشْمُ رِيحِ الْخُلْدِ مِنْ نَفَحَاتِهِ^{٢١}
لَمْ يَزْكُ مِثْلَ زَكَائِهِ وَنَبَاتِهِ^{٢٢}
وَجَنَى عَلَيْهِ الْحَيْنُ قَبْلَ جَنَاتِهِ^{٢٣}
مُتَفَتَّتِ الْأَفْلَاحُ مِثْلَ فُتَاتِهِ^{٢٤}
وَعُدَّ يُنْجِزُ غَيْرَ وَعْدٍ وَفَاتِهِ!
هَلْ رَدَّ عَنْهُ الْجَيْشُ سَهْمَ مِمَاتِهِ؟
قَدْ خَرَّ مُنْفَرِدًا عَلَى مَنَسَاتِهِ^{٢٥}
وَأَخَافُ جَنِّ الْأَرْضِ مِنْ سَطَوَاتِهِ
وَالْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا إِلَى مِيقَاتِهِ

أَخِي! دَعَوْتُ فَلَمْ تُجِبْ، وَلِرُبَّمَا
قَدْ كَانَ عَهْدُكَ فِي بَشَاشَةِ أَنْسِهِ
كَانَ الزَّمَانُ يُظِلُّنَا بِرَبِيعِهِ
قَدْ كُنْتُ أَسْبَقَ نَاهِضٍ لِدُعَاتِهِ
عَهْدَ الشَّبَابِ مَضَى إِلَى طَيَّاتِهِ^{٢٦}
فَتَرَكْتَنِي لِلْقُرِّ مِنْ مَشْتَاتِهِ^{٢٧}

أُبْكِي الشَّبَابَ وَزَهْوَهُ وَصِحَابَهُ
كُنَّا كَفَرَعِي بَانَةً فَتَفَرَّقَا
وَالْعُمُرُ أَضِيقُ أَنْ يُمَدَّ لِسَالِكِ
أَصْفَيْتَنِي مَحْضَ الْوِدَادِ وَطَالَمَا
وَرَفَعْتَ مِنْ شَعْرِي، وَكُنْتَ تُحِبُّهُ
فَاسْمَعِهِ مِنْ بَاكِ أَطَاعَ شُجُونَهُ
نَظَّمَ الدُّمُوعَ فَكُنَّ بَحْرًا كَامِلًا
أُنْشِدَهُ حَسَانًا إِذَا لَاقَيْتَهُ
وَافْخَرْ بِقَوْمِكَ أَنْ أَعَادُوا لِلْوَرَى
وَانْعَمَ بَرِضُوانِ الْإِلَهَ وَظِلُّهُ
إِنْ الَّذِي خَلَقَ الْبُكَاءَ أَغَاثَهُ
وَالْمُشْرِقَ الْوَضَّاحَ مِنْ بَسَمَاتِهِ
وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَتِهِ!^{٢٨}
إِنْ أَوْسَعَ الْخُطُوبَاتِ فِي سَاحَاتِهِ
خَلَطَ الْمُمَازِقَ مِلْحَهُ بِفُرَاتِهِ^{٢٩}
وَتُحِسُّ سِرَّ الْفَنِّ فِي أَبْيَاتِهِ
فَطَعَتْ زَوَاخِرَهَا عَلَى مَرَثَاتِهِ^{٣٠}
وَأَقَامَ بِالزَّفَرَاتِ تَفْعِيلَاتِهِ^{٣١}
فِي جَنَةِ الْفِرْدَوْسِ بَيْنَ رُؤَاتِهِ^{٣٢}
عَهْدَ الْبَيَانِ وَمُجْتَلَى آيَاتِهِ^{٣٣}
وَاسْعَدَ بَعِيشَ الْخُلْدِ فِي جَنَاتِهِ^{٣٤}
بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ مِنْ رَحْمَاتِهِ

هوامش

(١) الأسوان: الحزين. الدجى: الظلام. النبرة: الصوت. ويريد بالنبرة السوداء: صوته الحزين.

(٢) مصعدًا، أي: متردد النظرات لا يكاد يستقر بصره في بقعة.

(٣) النوب: المصائب تنوب بها الأيام وتصيب. المحاق (بالتثنية): آخر الشهر. وقيل: ثلاث ليالٍ من آخره. أي: إنها نوب مدلهمة حالكة الليالي المحاق كلها سود.

(٤) بنات الدهر: حادثاته وشدائده. زحمن مناكبي: أي أثقلتني لكثرتهن حتى عييت بحملهن. وأد البنات: دفنها في القبر وهي حية، فعلت العرب ذلك مخافة العار والحاجة.

(٥) أودى: مات.

(٦) انحاز: مال. الحداة: الذين يرفعون الصوت بالغناء يستحثون بذلك الإبل على المسير.

(٧) الفلاة: القفر. ويريد بها حيث قبور الموتى.

(٨) الرعيل: القطعة من الجياد شبه به جماعة دار العلوم. نواكسو الأبصار: مطأطئو الرؤوس، أبصارهم إلى الأرض.

- (٩) أُلُوى بعزمته: أتى عليها وأوهنها. شماسه: أي عزته وتأبيه وامتناعه. القرم: السيد العظيم، الصهوات: جمع صهوة (بالفتح) وهي مقعد الفارس من الفرس.
- (١٠) تَتَز: تصوت. اللبات: جمع لبة وهي المنحر.
- (١١) الطرف: الفرس الكريم. والكلام على المجاز. المخلى سرجه: أي الذي أصبح مكانه من سرجه خاليًا. المنبت: الذي حيل بينه وبين إدراك غايته.
- (١٢) الدرع: ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس في الحرب وقاية من سلاح العدو (يؤنث ويذكر). المطرح: الملقى. العسر: الشديدة.
- (١٣) يَكْنَى بطول اليد: عن السبق إلى الفضل. أبرهم كَفًا: أي أكثرهم جودًا وعطاء. وأسبقهم إلى قصباته، أي: إنه كان أولهم في ذلك. القصبات في الأصل: ما كان ينصب في حلبة السباق، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع.
- (١٤) المهند: السيف المطبوع من حديد الهند وهو من أجود السيوف. نصل المهند وشباته: حديدته بحددها.
- (١٥) كمنت: توارت واستخفت. الصل: الحية التي لا ينفع مع سمها علاج.
- (١٦) العذاة: الأرض الطيبة البعيدة الوخم. ويريد بها منبته الطيب. وهذا البيت والأبيات الثمانية بعده في غرض خاص بالشاعر.
- (١٧) الهجير: شدة الحر. الأسلات: الفروع الدقيقة.
- (١٨) أذود: أمنع وأطرد. حامت: حلقت ودارت. العذبات: الأغصان.
- (١٩) ينفحه: يهب عليه بليلاً. الطل: الندى. الإيأة: النور. أي: إن أسباب الحياة والرغد كانت موفورة.
- (٢٠) لدان الغصون: اللينة الطرية. الواحد، لدن. استحصدت الثمرات: قاربت النضج وحن لها أن تحصد.
- (٢١) أستجلى: أنظر وأتبين. النور: الأزهار، الواحدة، نوره. سناه: تألقه وإشراقه. نفحاته: ما يفوح وينتشر من رائحة العطرة. أشم ريح الخلد: أي ريح الجنة.
- (٢٢) يزكو: ينمو.
- (٢٣) الهوج: الرياح العاصفة غير المستوية في هبوبها. يريد عصف الموت. المعفر: الذي اختلط بالتراب. الحين: الهلاك. الجناة: ما يجنى.
- (٢٤) الحطام: ما تحطم وتكسر. يريد رفاته. محطّمًا، أي: مهودود القوى حزناً. الأفلاذ: جمع فلذة (بالكسرة) وهي القطعة من الكبد. يصف في هذا البيت والأبيات

الثمانية قبله فقيده الذي أودى من بعد ما اكتمل وقوي، مشبهًا إياه بالنبت في أدواره المختلفة، ثم يذكر ما كان يبذله في سبيله حتى إذا ما استحصد عدا عليه الموت فاخطفه من بين يديه، أحوج ما يكون إليه، وتركه محطم الأوصال مفتت الكبد حزناً.

(٢٥) ابن داود: هو سليمان بن داود — عليهم السلام — وقد آتاه الله ملكاً وسلطاناً واسعاً، وسخر له الريح والجن وعلمه منطق الطير. وقد ورد في القرآن الكريم تعدد نعم الله عليه. المنسأة (بالكسرة): العصا. يشير إلى ما يروى أنه — عليه السلام — مات متكئاً على عصاه، وبقي كذلك لا يعرف موته، حتى نخرت عصاه فلم تقو على حمله فخر على الأرض، فعلم أنه ميت.

(٢٦) الطيات: جمع طية، وهي الجهة والمقصد.

(٢٧) ربيع الزمان: أيامه النضرة الطيبة. يريد به أيام الشباب. القر: البرد. المشتاة: زمن الشتاء. ويريد بقر الشتاء أيام الكبر.

(٢٨) البانة: واحدة البان، وهو شجر سبط القوام لينه، ورقه كورق الصفصاف.

(٢٩) محض الوداد: خالصه. أصفاه محض الوداد: صدقه الإخاء والمحبة. الممازق:

الكاره الذي لا إخلاص عنده. الفرات: العذب.

(٣٠) الشجون: الهموم والأحزان، الواحد: شجن (بالتحريك). طغت: فاضت

وجاوزت الحد. زواخرها: أي كثيرها وعميمها تشبيهاً لها بالبحر الزاخر الكثير الماء. مرثاته، أي: ما أعده لك من شعر يرثيك به.

(٣١) نظم الدموع: ضمها وألفها. بحرًا كاملاً: أي ممتلئًا. ويريد به أحد بحور

الشعر المسمى بالكامل، وفي هذا اللفظ تورية ظاهرة؛ لأن القصيدة من هذا البحر. الزفرات: الأنفاس الحارة من الحزن. التفعيلات: الأجزاء التي يتألف منها الشعر.

(٣٢) يريد بحسان: حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ.

(٣٣) بقومك: أي بأبناء دار العلوم. مجتلى آياته: أي آياته الناطقة البينة المرئية.

(٣٤) رضوان الإله: رضاه.

الدعوة إلى الوئام

أنشدها الشاعر بين يدي سعد زغلول باشا سنة ١٩٢١ م.

بِ وَأَثْبَتَ الْأَبْطَالِ قَلْبًا	لَبَّيْكَ يَا مِلءَ الْقُلُوبِ
ةِ فَأَقْبَلُوا عَدُوًّا وَوَثْبًا	نَادَيْتَ قَوْمَكَ لِلْحَيَا
بُ خَوَافُكُمْ وَهَلَا وَرُغْبًا ^١	وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ وَالْقُلُوبِ
وَكُنْتَ لِلرَّحْمَنِ حِزْبًا ^٢	أَلْفَتَ بَيْنَ الْعُنْصُرَيْنِ
هُ لِمِصْرَ إِخْلَاصًا وَحُبًّا	نَبَذُوا الشَّجَارَ وَأَبْدَلُوا
ةِ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ ثَقْبًا ^٣	وَتَبَادَرُوا صَوْبَ النُّجَا
وَأَقْبَلَا جَنْبًا فَجَنْبًا	وَسَعَى الْهَلَالُ إِلَى الصَّلِيبِ
مُرْجَفَيْنِ يَعْجُبُ عَبَاءُ	وَالسَّيْفُ مَسْلُوكٌ وَسَيْلُ الْ
تَرْقُبُ الْقَدَرَ الْمُحِبًّا	وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ وَمِصْرُ
سُ فَكُنْتَ أَعْلَى النَّاسِ كَعْبًا	فَوَقَفْتَ فَاَنْحَنَتِ الرُّءُوفُ
رِ فَمَا امْرُؤٌ إِلَّا وَلَبَّى	وَحَطَبْتَ بِالصَّوْتِ الْجَهِي
رِ دَعْنَهُ أَشْبَالُ فَهَبًا	وَبَرَزْتَ كَاللَّيْثِ الْهَاصِ
بِ مُتَّقِفَ الْحَدِيثِ عَضْبًا ^٤	كَالسَّيْفِ سُلٍّ مِنَ الْقِرَا
لَهَبُ الْجِدَالِ عَلَا وَشَبًّا	يَا سَعْدُ أَنْتَ لَهَا إِذَا
مَا صَرَّصَ الْأَحْدَاثُ هَبًّا ^٥	يَا سَعْدُ أَنْتَ لَهَا إِذَا
سَارَ ضَمٌّ إِلَيْهِ صَحْبًا ^٦	تَسَعَى إِلَى بَارِيَسَ كَالْمُخْتِ
نِ خَدَمْتَهُ شَرْقًا وَغَرْبًا	يَا خَادِمَ الْوَطَنِ الْأَمِي

كُنْ لِلْوِزَارَةِ سَاعِدًا وَتَوَحَّحَا رَأْيَا وَلُبًّا^٨
 سَعْدٌ وَعَدْلِي يَغْمَلَا نِ فَمَا أَجَلٌ وَمَا أَحَبَّا
 سَعْدٌ وَعَدْلِي يَغْمَلَا نِ فَلَا نَخَافُ الْيَوْمَ خَطْبَا
 صُنُوانٍ فِي حُبِّ الْبِلَا دِ وَنِيلَهَا الْمَيِّمُونَ شَبَّا
 كُونَا يَدًا فِي الْحَادِثَا تِ وَذَلَّلَا مَا كَانَ صَعْبَا
 دَامَ الْوِفَاقُ وَدَامَ سَعْدُ صَائِبَ الْآرَاءِ نَذْبَا^٩
 الشَّعْبُ أَنْتَ فَمَنْ رَأَى كَ فَقَدْ رَأَى فَرْدًا وَشَعْبَا

هوامش

(١) يشير إلى زهابه مع نفر من أصحابه إلى دار العميد البريطاني وإبلاغه صوت الشعب المصري، كان ذلك عقب أن وضعت الحرب الكبرى أوزارها في نوفمبر سنة ١٩١٨م وخرجت منها بريطانيا منتصرة، ولهذا كانت مطالبة سعد باستقلال بلاده في ذلك الوقت شجاعة ومخاطرة تعرض بسببها للاعتقال والنفي.

(٢) يريد بالعنصرين: مسلمي مصر وقبطها. وفي الشطر الثاني إشارة إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الآية ٢٢ من سورة المجادلة.

(٣) تبادروا: تسارعوا. الصوب: الجهة.

(٤) سل السيف: أخرجه من غمده. المرجفون الذين يخوضون في أخبار الفتن ونحوها. يعب: يتتابع ويسمع له صخب، وهذا كناية عن الشدة والطغيان.

(٥) التثقيف: التسوية. العضب: القاطع.

(٦) الصرصر من الرياح: ما كان شديد الصوت، أو شديد البرد. الأحداث: نوب الدهر ومصائبه. هبت الريح: هاجت وثارَت.

(٧) يريد بالمختار النبي محمداً ﷺ. الصحب: جمع صاحب، يشبه سعدًا وهو يسعى مع أصحابه أعضاء الوفد المصري إلى باريس سنة ١٩١٩م؛ لإسماع المؤتمرين فيها صوت مصر وإعلاء كلمتها، وإظهار حقها بالنبي ﷺ وهو يجاهد مع أصحابه لإعلاء كلمة الله.

(٨) يريد بالوزارة وزارة عدلي يكن باشا سنة ١٩٢١م، وكانت تتأهب لمفاوضة الحكومة الإنجليزية في حل القضية المصرية معتمدة على ثقة سعد وتأييده. الساعد: ما بين المرفق والكف، اللب: القلب، يطلب إلى سعد أن يؤيد الوزارة العدلية ويتحد معها رأياً وقلباً حتى تكلل المفاوضة بالنجاح، وقد كرر هذا المعنى في الأبيات الآتية وحض الوفد والوزارة على التعاون، وأشاد بفضلها جميعاً، وفضل الوفاق، وذلك لأن سعداً في ذلك الوقت كان يطلب مفاوضة الإنجليز باعتباره زعيماً للشعب المصري ووكيلاً عنه في طلب الحرية والاستقلال، وكانت الوزارة تبغي الانفراد بالمفاوضة؛ لأنها هيئة رسمية تفاوض هيئة رسمية مثلها وهي الحكومة الإنجليزية.

(٩) رجل ندب: خفيف في الحاجة نجيب.

إلى مجلة الهلال

سنة ١٩٤٧ م

قد قرأتُ الهلالَ خمسينَ عامًا فاقَ فيها بدرَ السماءِ اكتمالًا
وعجيبُ يزيدُ في كلِّ شهرٍ ثمَّ يدعى برغمِ ذاكِ هلالًا

تهنئة الفاروق بعيد الفطر

سنة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م

تَبَلَّجَ بِالْبُشْرَى وَلَاحَتْ مَوَاكِبُهُ
وَرَفَّتْ بِأَنْفَاسِ النَّسِيمِ سَبَائِبُهُ^١
أَطْلَ صَبَاحُ الْعِيدِ جَذْلَانِ ضَاغًا
يُمَازِحُ وَسَنَانَ الدُّجَى وَيُلَاعِبُهُ^٢
وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلُ فِي صَحْوَةِ الْمُنَى
وَقَدْ سَهَرَتْ شَوْقًا إِلَيْهَا كَوَاكِبُهُ؟
تُنَاجِيهِ أَلْحَانُ الْهَوَى فَيُجِيبُهَا
وَتَسْتُرُ لَوَاعِثَ الْمَحَبِّ غَيَاهِبُهُ^٣
تَرَدَّى مُسَوِّحَ النَّسْكِ فِي زِيٍّ رَاهِبٍ
وَطَارَتْ تَسْدُ الْخَافِقَيْنِ ذَوَائِبُهُ
وَأَعْجَبَهُ أَنْ دَارَتْ الْأَرْضُ تَحْتَهُ
كَدُورِ شَرِيطٍ مَا تَنَاهَى عَجَائِبُهُ
إِذَا أَبْصَرَ الْإِحْسَانَ فِيهَا تَلَالُثُ
أَسَارِيرُهُ وَاهْتَزَّ بِالْعُجْبِ جَانِبُهُ

يَمُوجُ فَيَعْلُو الْبَرَّ وَالْبَحْرَ مَوْجُهُ
وَتَمْلِكُ أَرْجَاءَ الْفَضَاءِ مَذَاهِبُهُ^٥
عَلَيْهِ النُّجُومُ السَّابِحَاتُ سَفَائِنُ
يُغَالِبُهَا آذِيهِ وَتُغَالِبُهُ^٦
سَفَائِنُ لَمْ يَعْرِفْ لَهَا الدَّهْرُ سَاحِلًا
وَسَفَرُ عَلَى الْأَيَّامِ مَا مَلَّ ذَائِبُهُ^٧
رَأَاهُ سَلِيلُ الطَّيْنِ يَجْتَابُ لَيْلَهُ
فَهَلْ هَذَاتُ دُونَ الْمَسِيرِ جَوَائِبُهُ^٨
تَلَقَّاهُ فَجَرُ الْعِيدِ فِي غُنْفَوَانِهِ
تَصُولُ بِشُهْبِ الصَّافِنَاتِ كَتَائِبُهُ^٩
تَأَلَّقَ كَالْحَقِّ الْمُبِينِ إِذَا بَدَا
تَوَلَّى ظِلَامَ الشَّكِّ وَارْتَاعَ شَاحِبُهُ^{١٠}
وَلِلصُّبْحِ عِنْدِي مِنَّةٌ كُلَّمَا نَبَا
بِي اللَّيْلُ أَوْ طَالَتْ عَلَيَّ هَيَائِبُهُ^{١١}
أَرَاهُ فَأَلْقَى الْبِشْرَ فِي قَسَمَاتِهِ
طَهُورًا كَتَغْيَرِ الطُّفْلِ حِينَ تُدَاعِبُهُ
وَأَشْعُرُ أَنَّ الْكَوْنَ عَادَتْ حَيَاتُهُ
إِلَيْهِ وَأَنَّ الْأَنْسَ قَدْ أَبَ غَائِبُهُ
يَهْشُ إِلَيْهِ كُلُّ حَيٍّ كَأَنَّمَا
أَشَعَّتْهُ حُلُمُ الصَّبَا وَرَغَائِبُهُ
وَتَضَحُّو لَهُ الْأَزْهَارُ مِنْ وَسَنَاتِهَا
تُسَاحِكُهُ وَالطُّلُّ لَمْ يَجِرْ ذَائِبُهُ^{١٢}
وَتَسْتَقْبِلُ الْأَطْيَارُ بِسَمَةِ نُورِهِ
فَيَبْهَرُنَا مِنْ كُلِّ لَحْنٍ غَرَائِبُهُ
تَرَاهَا عَلَى الْأَفْنَانِ سَكْرَى مِنَ السَّنَا
يُنَاغِي أَلِيفُ إلفه فَيُجَاوِبُهُ

قِيَانُ أَدَقَّ اللّهُ أَوْتَارَ عُودِهَا
 فَأُحْيَتْ أَغَانِيهِ وَأَشْجَتْ مَضَارِبَهُ^{١٢}
 كَأَنَّ ضِيَاءَ الصُّبْحِ وَالْكُونُ مُشْرِقُ
 سَنَا طُلْعَةِ الْفَارُوقِ لَاحَتْ رَكَائِبُهُ
 أَطْلَ هِلَالُ الْعِيدِ يَحْظَى بِنَظَرَةٍ
 فَأَبْصَرَ نَوْرًا يَبْهَرُ النُّورَ ثَاقِبُهُ^{١٤}
 وَشَاهَدَ فِي طَهْرِ الْمَلَائِكِ سَيِّدًا
 سَمَتْ فَوْقَ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ مَنَاسِبُهُ^{١٥}
 تَرَاهُ فَتَلْقَى أُمَّةً فِي شَبَابِهَا
 وَتُصْغِي إِلَى الْأَمَالِ حِينَ تُخَاطِبُهُ
 أَصَالَةُ رَأْيٍ فِي ابْتِسَامِ سَمَاحَةٍ
 وَصَوْلَةُ عَزْمٍ يُرْهِبُ الدَّهْرَ قَاطِبُهُ^{١٦}
 تَأْتُرُ خَطْوُ الْحَزْمِ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ
 وَهَلْ يَعْظُمُ الْمَطْلُوبُ وَالْحَزْمُ طَالِبُهُ؟^{١٧}
 مَلِيكَ مِنَ الْأَفْلَازِ أَعْوَادَ عَرْشِهِ
 فَمَنْ ذَا يُدَانِيهِ وَمَنْ ذَا يُقَارِبُهُ؟^{١٨}
 مَحَبَّتِهِ فِي كُلِّ قَلْبٍ شَغَافُهُ
 وَإِحْسَانُهُ فِي كُلِّ كَفٍّ رَوَاجِبُهُ^{١٩}
 حَوَتْ رِيَشَةَ الرَّسَامِ بَعْضَ سِمَاتِهِ
 وَعَزَّتْ عَلَى رِيَشِ الْقَرِيضِ مَنَاقِبُهُ
 لِكُلِّ خِيَالٍ فِي فَمِ الشُّعْرِ غَايَةٌ
 وَلَا تَنْتَهِي غَايَاتُهُ وَمَآرِبُهُ
 صِفِ الْبَحْرَ فِي أُمُوجِهِ وَكُنُوزِهِ
 وَقُلْ: هَذِهِ الْأَوُّهُ وَمَوَاهِبُهُ^{٢٠}
 صِفِ الْهِمَمَ الْجُرْدَ الَّتِي تَقْنِصُ الْمُنَى
 وَقُلْ: هَذِهِ أَفْرَاسُهُ وَنَجَائِبُهُ^{٢١}

صِفِ الْأَنْجَمَ الزُّهَرَ اللَّوَامِعَ فِي الدُّجَى
وَقُلْ: هَذِهِ أَقْدَارُهُ وَمَرَاتِبُهُ^{٢٢}
صِفِ السُّحْبَ أَيْنَ السُّحْبُ مِنْ قَيْضِ جُودِهِ
إِذَا وَكَفَتْ لِلْبَائِسِينَ سَحَائِبُهُ؟^{٢٣}
تَمَنَّتْ زُهُورُ الرُّوْضِ لَوْ أَنَّ طَيْبَهَا
لَهُ نَفْحَةُ الذَّكْرِ الَّذِي هُوَ كَاسِبُهُ^{٢٤}
فَمَا كَرَمٌ إِلَّا وَمِنْهُ انْبِعَاشُهُ
وَلَا شَرَفٌ إِلَّا وَفَارُوقُ صَاحِبُهُ
إِذَا اصْطَنَعَ اللَّهُ أَمْرًا جَلَّ سَعْيُهُ
وَعَمَّتْ أَيْدِيهِ وَطَابَتْ نَقَائِبُهُ^{٢٥}
بِهِ ازْدَادَ دِينَ اللَّهِ عِزًّا وَرَدَّدَتْ
مَنَابِرُهُ آلاءَهُ وَمَحَارِبُهُ
وَقُورُ بَدْرِسِ الدِّينِ يُطْرِقُ خَاشِعًا
مِنَ النَّسْكِ يَرْجُو رَبَّهُ وَيُرَاقِبُهُ^{٢٦}
بِجَانِبِهِ الشَّعْبُ الْوَفِيُّ يَحُوطُهُ
وَتَزَحَّمُهُ أَعْضَادُهُ وَمَنَاقِبُهُ
وَجِبْرِيلُ يَهْفُو فَوْقَهُ بِجَنَاحِهِ
حَنَّانًا، وَفَيْضُ اللَّهِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ
تَجَلَّى بِهِ عَصْرُ الرَّشِيدِ وَعِزُّهُ
وَسَالَفُ عَهْدِ الرَّاشِدِينَ وَذَاهِبُهُ^{٢٧}
إِذَا الشَّعْبُ وَالْآهَ فَذَلِكَ فَرَضُهُ
وَإِنْ هُوَ فَدَّاهُ فَذَلِكَ وَاجِبُهُ^{٢٨}

* * *

شَهِدْتُكَ يَوْمَ الْعِيدِ وَالشَّعْبُ حَاشِدٌ
تَهَيَّمُ بِهِ أَشْوَاقُهُ وَتُجَازِبُهُ

له صَوْتُ صِدْقٍ بِالدُّعَاءِ مُجَلِّجٍ
يُفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَوَاتِ صَاحِبُهُ
فَعَيْنُ اشْتِيَاقٍ تَرْتَجِي لُقْيَةَ الْمُنَى
وَصَدْرٌ وَلَا عِزٍّ خَافِقُ الْقَلْبِ وَاجِبُهُ
رَأَيْتُ كَأَنَّ الْبَحْرَ مَدًّا بِمِثْلِهِ
وَقَدْ زَارَتْ أَمْوَاجُهُ وَغَوَارِبُهُ
هُنَاكَ بَدَا الْعِيدَانِ: وَجْهَكَ وَالضُّحَى
مَشَارِقُهُ وَضَاءَةٌ وَمَغَارِبُهُ
طَلَعْتَ فَأَبْصَرْنَا الْجَلَالَ مُصَوَّرًا
نَرَاهُ فَيَغْضِي طَرْفُنَا وَهُوَ هَائِبُهُ^{٢٩}
لَكَ الْبِسْمَةُ الزَّهْرَاءُ تَخْتَلِبُ النُّهَى
وَيُمَحِّي بِهَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ شَوَائِبَهُ^{٣٠}
طَلَعْتَ فَقُلْنَا: خَيْرٌ مِنْ سَاسِ أُمَّةٍ
وَأَشْرَفُ مَنْ شُدَّتْ عَلَيْهِ عَصَائِبُهُ^{٣١}
لَدَى مَوْكِبٍ لِلْمُلْكِ عَزٌّ مِثَالُهُ
تُحِيطُ بِهِ فُرْسَانُهُ وَكَوَاكِبُهُ
يُشَاهِدُهُ التَّارِيخُ وَالْعُجْبُ مِلْؤُهُ
فَيَذْهَلُ عَنْ حَصْرِ الَّذِي هُوَ كَاتِبُهُ
فَمَنْ شَاءَ مَجْدَ الْمُلْكِ فِي بُعْدِ شَأُوهِ
فَهَذِي عَوَالِيهِ وَتِلْكَ قَوَاضِيهِ^{٣٢}
وَهَذَا الذِّكَاؤُ الْعَبْقَرِيُّ مَلِيكُهُ
وَهَذِي الْجُنُودُ الزَّآخِرَاتُ مَوَاكِبُهُ
مَلِيكَ لَهُ عَزْمُ الصَّبَا وَوُثُوبُهُ
وَأَرَاءُ مَا بَعْدَ الصَّبَا وَتَجَارِبُهُ

تَخْطُرُ شَهْرُ الصَّوْمِ يَسْحَبُ ثَوْبَهُ
فَتَنْشُرُ مِسْكَاً فِي الْفَضَاءِ مَسَاجِبُهُ^{٣٣}
تَحْمَلُ لِلْفَارُوقِ أَجْرَ مُجَاهِدٍ
يَتِيهِ بِهِ إِنْ حَاوَلَ الْعَدَّ حَاسِبُهُ
وَعَادَ إِلَى مَوْلَاهُ جَمًّا ثَوَابُهُ
مَلِيئًا مِنَ الْإِحْسَانِ بُجْرًا حَقَائِبُهُ^{٣٤}
تَحَدَّثَتْ فِي الْمَذْيَاعِ عَنْ فَضْلِ صَوْمِهِ
وَكَمْ مَثَلٍ عَلَيِ الذُّرَا أَنْتَ ضَارِبُهُ^{٣٥}

* * *

هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي بِكَ أَشْرَقَتْ
مَنَازِلُهُ بِشْرًا، وَضَاءَتْ رَحَائِبُهُ
رَأَتْ فِيهِ مِصْرَ هَمَّةٍ عَلَوِيَّةٍ
يَرَى كُلُّ بَأْسٍ عَزَمَهَا فَيُجَانِبُهُ^{٣٦}
وَأَبْصَرَ فِيهِ النَّيْلُ خَيْرَ مُمَلِّكَ
تَجَلَّى مَسَاعِيهِ، وَتَصَفُّو مَشَارِبُهُ
بَصِيرٌ إِذَا سَاسَ الْأُمُورَ تَكَشَّفَتْ
وَبَانَ لَهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ
يُزَاوِلُهَا مِنْهُ حَصِيفٌ مُدْرَبٌ
بَعِيدُ الْمَرَامِي صَائِقُ الرَّأْيِ صَائِبُهُ^{٣٧}
إِذَا مَدَّ زَنْدَ الْعَزْمِ فِي إِثْرِ مَطْلَبٍ
تَدَانَتْ أَقَاصِيهِ، وَلَانَتْ مَصَاعِبُهُ^{٣٨}
نَعِمْنَا بِالْإِسْتِقْلَالِ فِي يُثْمَنِ عَهْدِهِ
وَأَسْفَرَ لَيْلٌ لَمْ يَنْمَ فِيهِ نَاصِبُهُ^{٣٩}
وَعَزَّ حِمَى مِصْرٍ بِجُهْدِ رَجَالِهَا
وَعَادَ لَهَا مِنْ لَامِعِ الْمَجْدِ عَازِبُهُ^{٤٠}

فِعْشَ لِلْهُدَى وَالْمَكْرُمَاتِ فَإِنَّمَا
سَجَايَاكَ آيَاتُ الْهُدَى وَجَوَالِبُهُ^١

هوامش

- (١) تبليج: أضاء وأشرق والضمير يعود إلى الصباح الذي سيأتي ذكره. لاحظت: ظهرت وبدت. السبائب: الأعلام. الواحدة: سببية. رفت: خفقت واهتزت.
- (٢) جذلان: فرحاً. الوسنان: الذي غشيته سنة النوم. الدجى: ظلام الليل.
- (٣) تناجيه: تساره وتجاذبه الحديث. غياهبه: ظلماته وحنادسه.
- (٤) تردى: لبس. مسوح النسك: ما يظهر فيه الزهاد من لباس أسود. الخافقين: المغرب والمشرق. نوائبه: أطرافه، ويريد السنة الظلام.
- (٥) مذاهبه: طرقه.
- (٦) الآذي: الموج.
- (٧) السفر: المسافرون. الواحد سفر. الدائب: المستمر فيما أخذ فيه.
- (٨) سليل الطين: آدم؛ لأنه خلق من الطين. يجتاب: يقطع.
- (٩) في عنفوانه: في اكتماله ورائع نوره. تصول: تسطو وتعدو. الشهب: جمع أشهب، وهو الذي فيه بياض يصدعه سواد. الصافنات: الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف الرابعة، ولا يكون ذلك إلا في الجياد العتاق. الكتائب: جمع كتيبة، وهو الجيش. ويريد بالكتائب: جيوش الضوء، وبشهب الصافنات: الأشعة للونها وسرعة جريها.
- (١٠) تألق: أضاء وأشرق.
- (١١) نبا بي الليل: أي نبا جنبي عن الليل كأنه فراش خشن، فاستوحشت وضجرت. هيادبه: سحائب ظلماته.
- (١٢) تصحو: تتفتح. سناتها: سباتها.
- (١٣) القيان: الجواري المغنيات. شبه الطير بها. أشجت: أثارت الشجو وحركت الشوق. أغانيه: أي أغاني العود.
- (١٤) ثاقبه: نوره الذي يبذ كل نور.
- (١٥) مناسبه: أي أنسابه وأصوله.

- (١٦) القاطب: العابس عن غضب وشدة. القاطب: الأسد (أيضاً). والكلام على كلا المعنيين مستقيم. فعلى الأول جعل عزمه العابس يخيف الدهر. وعلى الثاني جعل من عزمه أسداً يخشى الدهر بطشه.
- (١٧) تأثر: احتذى وترسم.
- (١٨) الأفلان: قطع الأكباد.
- (١٩) شغاف القلب (هنا): سويداؤه. الرواجب: بواطن مفاصل الأصابع، وقيل غير ذلك، الواحدة راجبة.
- (٢٠) كنوز البحر: ما ينطوي عليه من جوهر كريم ومنافع للناس. الآلاء: النعم.
- (٢١) الجرد: من صفات الخيل. وهي القصيرة الشعر، وهو مما تمدح به. تقنص المنى: تظفر بها وتلحقها. النجائب: كرام النوق. الواحدة: نجيبة. والأفراس والنجائب، عدة الإنسان في بلوغ الغايات.
- (٢٢) الزهر: الناصعة البياض. الدجى: الظلام. الأقدار والمراتب: المنازل والدرجات.
- (٢٣) فيض جوده: عميم كرمه. وكفت: أمطرت.
- (٢٤) نفحة الذكر: سيرته الطيبة التي تملأ الأرجاء. كاسبه: المتصف به.
- (٢٥) اصطنعه: تولاه برعايته وحاطه بعنايته. وجل: عظم. عمت: انتشرت، الأيادي: النعم، النقائب: الخلال الطيبة، الواحدة: نقيبة. طيبها: حسننها وبلوغها غاية الكمال.
- (٢٦) يرجو: يخاف. يراقب: يخشى.
- (٢٧) تجلى: وضح وبان، الرشيد: هو هارون الرشيد أحد الخلفاء العباسيين. وكان عهده من أزهى عهود الدولة حضارة ومدنية. الراشدون: الخلفاء الأربعة وقد بلغ الدين في عهدهم غايته.
- (٢٨) والاه: أخلص له الولاء ودان له. فرضه: واجبه. فداه: جعل نفسه فداءً له.
- (٢٩) يغضي: يكسر الطرف حياءً. هائبه: في خشية منه.
- (٣٠) الزهراء: المشرقة إشراق النجوم. تختلب النهى: تستلب العقول. شوائب الهم: ما يشوب النفس ويعكر صفوها.
- (٣١) العصائب: جمع عصابة، وهي ما يشد على الرأس.
- (٣٢) الشأو: الغاية والمدى. العوالي: الرماح. القواضب: السيوف.
- (٣٣) مساحب الثوب: ما ينجر منه على الأرض.
- (٣٤) بجرًا حقائبه: منتفخة من كثرة ما فيها من الثواب.

تهنئة الفاروق بعيد الفطر

- (٣٥) الذرا: جمع ذروة، وهي من كل شي أعلاه.
- (٣٦) علوية: نسبة إلى جده رأس الأسرة الملكية في مصر «محمد علي باشا». البأس: القوة والشدة. يجانبه: يباعده.
- (٣٧) الحصيف: الذي استحكم عقله. المدرب: ذو الخبرة بالأمور. بعيد المرامي: بعيد النظر، صائبه: أي: لا يخطئ مواقع الأمور.
- (٣٨) يريد بزند العزم: ذراعه القوي الفتى، والمقصود همته التي لا تنثنى أمام المطالب. تدانت: قربت. أقاصيه: ما بعد وعز. لانت: هانت وسهلت.
- (٣٩) الناصب: المضني المتعب.
- (٤٠) الحمى: ما يجب عليك حمايته. عازبه: ما بعد عليها قديمًا وامتنع.
- (٤١) سجايك: طباعك وخلالك. جوالبه: تجلبه وتأتي به.

أعلام المجمع

في رثاء الأساتذة أحمد الإسكندري وحسين والي ونلينو أعضاء مجمع اللغة العربية.
أنشدت بدار الأوبرا في فبراير سنة ١٩٣٩ م.

غَدًا فِي سَمَاءِ الْعُبْقَرِيَّةِ نَلْتَقِي
وَنَذْكُرُ عَيْشًا كَالْأَزَاهِرِ لَمْ يَطْلُ
وَنَضْحَكُ مِنْ آمَالِنَا كَيْفَ أَنَّهَا
وَنَسْبَحُ فِي أَنْهَارِ عَدْنٍ كَأَنَّمَا
وَنَخْتَرِقُ الْأَجْوَاءَ بَيْنَ مُدَوِّمٍ
وَتَجْتَمِعُ الْأُنْدَادُ بَعْدَ التَّفَرُّقِ
وَوُدًّا كَمَشْمُولِ الرَّحِيقِ الْمُصْفَقِ^١
أَصَاخَتْ إِلَى وَعْدِ الزَّمَانِ الْمُلْفَقِ
سَرَائِرُنَا مِنْ مَائِهَا الْمُتَدَفِّقِ
يَمْدُ جَنَاحِيهِ وَبَيْنَ مُصْفَقِ^٢

ذَكَرْتُ أَحِبَّائِي وَقَدْ سَارَ رَكْبُهُمْ
أُودِّعُهُمْ مَا بَيْنَ لَوْعَةٍ وَاجِدٍ
وَأَبْعَثُ فِي الصَّحَرَاءِ أَنَّاتَ شَيْقٍ
تَعَلَّقْتُ بِالْحَدَبَاءِ حَيْرَانٌ وَالْهَاءُ
لَمَسْتُ فَلَمْ أَلْمَسْ سِوَى أَرْيَحِيَّةٍ
إِلَى غَيْرِ آفَاقٍ عَلَى غَيْرِ أَيْنُقِ^٣
تَطِيرُ بِهِ الذُّكْرَى وَزَفْرَةٌ مُشْفِقٍ
وَهَلْ تَسْمَعُ الصَّحْرَاءُ أَنَّاتَ شَيْقٍ؟!
وَكَيْفَ! وَمَاذَا نَافِعِي مِنْ تَعَلُّقِي؟!^٤
مِنْ النُّورِ لُفَّتْ فِي رِدَاءِ مُخْلِقِ^٥

أَتَدَفَّنُ فِي الْأَرْضِ الْكَنُوزُ وَفَوْقَهَا
وَيَمْضِي الْحَجَا مَا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
يُضِيقُ فِضَاءُ الْأَرْضِ عَنْ هِمَّةِ الْفَتَى
خَلَاءً إِلَى لِأَلَيْهَا جِدُّ مُمْلِقِ^٦
كَلِمَحَةٍ طَرْفٍ أَوْ كَوْمَضَةٍ مُبْرِقِ^٧
وَيُجْمَعُ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ ضَيْقِ

تَبَابٌ لِهَذَا الدَّهْرِ مَاذَا يُرِيدُهُ؟
يُصَدِّعُ مِنْ أَعْلَامِنَا كُلِّ رَاسِخٍ
هُوَ الْمَوْتُ مَا أَغْنَى اسْمُهُ عَنْ صِفَاتِهِ
رَمَتْنِي عَوَادِيهِ فَإِنْ قَلْتُ: إِنَّهَا
وَأَيُّ جَدِيدٍ عِنْدَهُ لَمْ يُمَرِّقِ؟^٨
وَيُطْفِئُ مِنْ أَنْوَارِنَا كُلِّ مُشْرِقٍ
وَعَنْ كُلِّ أَلْوَانِ الْكَلَامِ الْمُنَمِّقِ!
مَضَتْ بِأَمَانِي الْحَيَاةَ فَصَدَّقِ!

* * *

أَحْمَدُ أَيْنَ الْأَمْسُ وَالْأَمْسُ لَمْ يَعُدْ
كَأَنِّي أَرَاكَ الْيَوْمَ تَخْطُبُ صَائِلًا
تُنَافِحُ عَنْ بِنْتِ الصَّحَارِيِّ مُشَمَّرًا
مَضَى حَارِسُ الْفُصْحَى فَخَلَدَهُ اسْمُهُ
فَقَدْنَا بِهِ زَيْنَ الْفَوَارِسِ إِنْ رَمَى
فَقُلْ لِلَّذِي يَسْمُو لَذِيلَ غُبَارِهِ
إِذَا مَا رَمَى عِنْدَ الْجِدَالِ عِبَاءَهُ
فَجَانِبُ إِذَا كُنْتَ الْحَكِيمَ سُؤَالَهُ
سَوَى ذِكْرِيَّاتٍ لِلْخِيَالِ الْمُؤَرِّقِ
وَتَهْدِيرُ تَهْدَارِ الْفَيْنِقِ الْمُشَقِّقِ^٩
وَتَفْتَحُ مِنْ أَسْرَارِهَا كُلِّ مُغْلِقِ^{١٠}
كَمَا خَلَدَ الْأَعْشَى حَدِيثَ الْمُحَلِّقِ^{١١}
أَصَابَ وَإِنْ يُرْخِ الْعِنَانَيْنِ يَسْبِقِ
ظَلَمْتُ الْعِتَاقِ الشَّيْطَمِيَّاتِ فَارْفُقِ^{١٢}
رَمَاكَ بِسَيْلٍ يَقْذِفُ الصَّخْرَ مُغْرِقِ
وَأَطْرِقْ إِلَى آرَائِهِ ثُمَّ أَطْرِقِ

* * *

أَحْمَدُ، إِنْ تَمَرَّرَ بِوَالِي فَحْيِهِ
طَوِينَاهُ صَيَّادِ الْأَوَابِدِ لَمْ يَدْعُ
لَهُ نَظْرَةً لَمْ يَحْتَمِلْ وَقَعَ سِحْرُهَا
أَحَاطَ بِآثَارِ الْخَلِيلِ بَنَ أَحْمَدِ
إِذَا مَسَّ بِالْكَفِّ الْجَبِينِ تَدَافَعَتْ
وَبَلَغَهُ أَشْوَاقُ الْفَوَادِ الْمُحَرِّقِ^{١٣}
عَزِيزًا عَلَى الْأَفْهَامِ غَيْرَ مُوَثَّقِ^{١٤}
غَرِيبُ ابْنِ حُجْرٍ أَوْ عَوِيصُ الْفَرَزْدَقِ^{١٥}
إِحَاطَةً فَيَاضِ الْبَيَانِ مُدَقِّقِ
جُيُوشِ الْمَعَانِي فَيُلْقَا إِنْثَرُ فَيُلْقِ^{١٦}

* * *

وَيَوْمًا مَعَ الْإِسْكَندَرِيِّ رَأَيْتَهُ
فَهَذَا يَرَى فِي لَفْظَةٍ غَيْرَ مَا يَرَى
فَقُلْتُ: أَرَى لَيْثًا وَلَيْثًا تَجَمَّعَا
وَأَعْجَبَنِي رَأْيُ سَلِيمٍ وَمَنْطِقُ
وَقَدْ لَوَحَتْ أَيْدِيهِمَا فَكَأَنَّهَا
بُجَاذِبُهُ فَضَلَ الْحَدِيثِ الْمَشَقِّقِ^{١٧}
أَخُوهُ وَيَخْتَارُ الدَّلِيلَ وَيَنْتَقِي
وَأَشْدَقُ مِلءِ الْعَيْنِ يَمْشِي لِأَشْدَقِ^{١٨}
يَصُولُ عَلَى رَأْيِ سَلِيمٍ وَمَنْطِقِ
إِشَارَاتِ رَايَاتِ تَرَوْحُ وَتَلْتَقِي

ولم أرَ في لَفْظَيْهِمَا نَبَرَ عَائِبٍ ولم أرَ في عَيْنَيْهِمَا لَمَحَ مُحْنَقٍ^{١٩}
فَقُلْتُ: هِيَ الْفُصْحَى بِخَيْرٍ وَإِنَّهَا بِأَمْثَالِ هَذَيْنِ الْحَفِيِّينِ تَرْتَقِي

* * *

وَلَمْ أُنْسَ نَلِينُو وَقَدْ جَاءَ فَيَصَلَّا بِحُجَّةِ بَحَاثٍ وَرَأْيٍ مُحَقَّقٍ^{٢٠}
وَفَكَّرَ لَهُ مِنْ فِطْرَةِ الرُّومِ دَقَّةٌ وَمِنْ نَفَحَاتِ الْعُرْبِ حُسْنٌ تَأَلَّقَ
يُنَسِّقُ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ مُجَاهِدًا وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ إِذَا لَمْ يُنَسَّقِ
تَقَاسَمُهُ غَرْبٌ وَشَرْقٌ فَأَلْفَتْ مَنَاقِبُهُ مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ
فَدَعُ مَا يُغْطِي الرِّأْسَ وَاسْمَعَهُ لَا تَجِدْ سِوَى عَرَبِيٍّ فِي الْعُرُوبَةِ مُعْرِقٍ
إِذَا صَالَ أَلْقَى الرُّمَحَ كُلُّ مُنَازِلٍ وَإِنْ هُوَ دَوَى سَفِّ كُلِّ مُحَلِّقٍ^{٢١}
عَشَقْنَاهُ وَضَاحَ الْخَلَائِقِ مُخْلِصًا وَمَنْ يَكُ وَضَاحَ الْخَلَائِقِ يُعْشَقُ
فَيَا مَجْمَعَ الْفُصْحَى عَزَاءً فَكُلُّنَا إِلَى الشَّاطِئِ الْمَوْعُودِ رَكَّابُ زَوْرَقٍ
وَمَا عَقِمَتْ أُمُّ اللَّغَاتِ وَلَا خَلَّتْ خَمَائِلُهَا مِنْ سَجْعِ كُلِّ مُطَوِّقٍ

هوامش

- (١) الرقيق: صفوة الخمر. المشمول: البارد يقال: (غدير مشمول). هبت عليه ريح الشمال فأبردته. المصفق: المصفى بتحويله من إناء إلى إناء.
- (٢) مدوم: دوم الطائر حلق في الهواء دون أن يحرك جناحيه. مصفق: من صفق الطائر بجناحيه حركتهما فسمع لحركتهما صوت.
- (٣) أينق: جمع ناقة وجمع الجمع: أيانق.
- (٤) الحدياء: النعش.
- (٥) مخلق: الخلق والخلقة ضرب من الطيب. المخلق: ما وضع عليه الخلق.
- (٦) جد مملق: مفتقر جداً.
- (٧) الحجا: العقل والفتنة.
- (٨) التباب: القطع والإهلاك. وتبا له: دعاء عليه بالهلاك.
- (٩) هدر الفنيق: ردد صوته في حنجرتة. التهدار: مصدر منه. المشقشق: البعير يخرج من فيه ما يشبه الرثة إذا هاج ويسميها العامة (القلة).

- (١٠) تنافح: تدافع. بنت الصحاري: كناية عن اللغة العربية. مشمرًا: مجتهدًا. أسرارها: خفاياها ومعضلاتها. مغلق: مقفل.
- (١١) الأعشى: هو أعشى قيس أبو بصير من فحول شعراء الجاهلية. المحلق: لقب عبد العزى بن حنتم وكان فقيرًا خامل الذكر مدحه الأعشى بقصيدته التي مطلعها:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي تعشق

- فنبه ذكر المحلق وعلا شأنه، وخلد التاريخ اسمه.
- (١٢) العتاق: من الخيل. النجائب، ومفرده عتيق ككريم. الشيظميات: واحدها شيظمي وهو الفرس الرائع بطول جسمه وقوته. أرفق: ترفق وتلطف.
- (١٣) والي: هو المرحوم حسين والي عضو المجمع اللغوي وأحد فحول العربية في عصر النهضة. تخرج في الأزهر وزاول مهنة التدريس فيه وفي مدرسة القضاء الشرعي، وتدرج في مناصب الأزهر السامية. ولما أنشئ المجمع اختير عضوًا فيه وكانت مواقفه فيه خالدة، وآراؤه حكيمة، وله عدة مؤلفات في الأدب واللغة ورسم الحروف. أشواق: جمع شوق وهو نزاع النفس وحركة الهوى. المحرق: من حرقه باليد يحرقه بالغ في الإحراق.
- (١٤) الأوابد: الوحوش، والمراد عويصات المسائل وغرائبها مما يعز فهمه. الموثق: المحكم المتقن.

- (١٥) ابن حجر: امرؤ القيس إمام شعراء الجاهلية. عويص: من عوص الكلام صعب، والعويص من الشعر ما صعب فهم معناه. الفرزدق: أحد فحول الشعراء الأمويين مشهور بصلابة الشعر وغرابته.

- (١٦) تدافعت: تدافعوا في الحرب: دفع بعضهم بعضًا. الفيلق: الجيش.
- (١٧) الإسكندري: هو المرحوم الأستاذ أحمد علي السكندري. حجة الأدب العربي واللغة العربية، تلقى دروسه في الأزهر، ثم في دار العلوم، ثم كان مدرسًا في المدارس الأميرية، فناظرًا لمدارس المعلمين فأستاذًا بدار العلوم، فعضوًا في المجمع توفي سنة ١٩٣٨م. يجاذبه: يجذب حوله عن موضعه كجاذبه. والمراد هنا النقاش والمجادلة؛ لأن كلاً يجذب الآخر لرأيه بكلامه. جذب الشيء فضل: الفضل هنا بمعنى الطرف. المشقق: شقق الكلام أخرجه أحسن مخرج.

- (١٨) أشدق: الشدق. سعة الشدق وخطيب أشدق بليغ.

(١٩) نَبْر: نَبْر فلانًا بلسانه نال منه. لمح: لمح إليه اختلس النظر ولمح البرق لمح. محقق: الحق. الغيظ أو شدته.

(٢٠) نلينو: هو المستشرق الإيطالي الكبير الأستاذ نلينو ولد في تورينو من بلاد إيطاليا سنة ١٨٧٢م. وأتقن دراسة الرياضيات والفلك والفلسفة والفقه وتاريخ الأديان. وفد إلى القاهرة في بعثة إيطالية سنة ١٨٩٣م؛ ليتزود من علوم الشرق، ولا سيما العلوم الإسلامية ثم عاد إلى وطنه فاشتغل مدرسًا للعلوم العربية في المعهد الشرقي بنابولي وفي جامعة روما ثم بلرم. فأستاذًا للتاريخ الإسلامي بجامعة روما. وألقى محاضرات هامة في الجامعة المصرية بين عامي سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١٣، ثم دعاه الملك فؤاد سنة ١٩٢٦م؛ ليكون أستاذًا بكلية الآداب واختير عضوًا في المجمع كما اختير عضوًا في مجمع إيطاليا، وفي الجمعيتين الشرقيتين الإنجليزية والألمانية. وفي مجمع دمشق العلمي. توفي سنة ١٩٣٨م.

(٢١) دوى: دوى الطائر: طار في الهواء ولم يحرك جناحيه. سف الطائر: هبط إلى الأرض.

بَغْدَادُ

ألقيت في حفل افتتاح المؤتمر الطبي العربي ببغداد في ٩ من فبراير سنة ١٩٣٨ م.

وَمَنَارَةُ الْمَجْدِ التَّلِيدِ!¹	بَغْدَادُ، يَا بَلَدَ الرَّشِيدِ!
زَهْرَاءَ فِي ثَغْرِ الْخُلُودِ	يَا بِسْمَةَ لَمَّا تَزَلْ
مِمْ وَمَضْرِبِ الْمَثَلِ الشَّرُودِ²	يَا مَوْطِنَ الْحُبِّ الْمُقِيدِ
بَةِ خُطٍّ فِي لَوْحِ الْوُجُودِ	يَا سَطَرَ مَجْدٍ لِلْعُرُودِ
إِسْلَامُ خَفَاقِ الْبُنُودِ	يَا رَايَةَ الْإِسْلَامِ، وَالْ
مِمْ، وَمَشْرِقَ الْأَمَلِ الْجَدِيدِ	يَا مَغْرِبَ الْأَمَلِ الْقَدِيدِ
تُ لِرَشْفِ مَبْسِمِكَ الْبَرُودِ³	يَا بِنْتَ دِجْلَةَ، قَدْ ظَمِئَ
ي بِهَجَةِ الدُّنْيَا وَزَيْدِي	يَا زَهْرَةَ الصَّخْرَاءِ، رُدِّ
لَ بِقَوْمِنَا عَهْدُ الرَّقُودِ	يَا جَنَّةَ الْأَحْلَامِ، طَا
حِ، وَصَحْرَةَ الْمُلْكِ الْوُطَيْدِ⁴	يَا بُهْرَةَ الْمُلْكِ الْفَسِيدِ
إِنْ كُنْتَ صَادِقَةً فَعُودِي!	يَا زُورَةَ تُحْيِي الْمُنَى

* * *

وَالْفَنِّ، يَا بَيْتَ الْقَصِيدِ	بَغْدَادُ، يَا دَارَ النِّهَى
فِكَ بَيْنَ أَفْنَانِ الْوُرُودِ	نَبْتَ الْقَرِيضِ عَلَى ضِفَا
نِ» وَالتَّفَنُّنِ مِنْ «وَجِيد»⁵	سَرَقَ التَّدْلِيلَ مِنْ «عَنَا
شُدَّتْ عَلَى أَوْتَارِ عُودِ	يَشْدُو كَأَنَّ لَهَا تَهْ

بَغْدَادُ، أَيَّنَ الْبُحْتَرِيِّ؟
وَمَجَالِسُ الشُّعْرَاءِ فِي
أَيَّنَ الْقِيَانِ الضَّاحِكَا
السَّاحِرَاتِ الْفَاتِنَا
السَّاهِرَاتِ مَعَ النُّجُو
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءِ الطَّلَى
يَخْطِرْنَ حَتَّى تَعْجَبَ الـ
وَإِذَا سَفَرْنَ فَأَيَّنَ ضَوْ
يَعْبَثْنَ بِالْأَيَّامِ، وَالـ
خَبَأَ الْجَمَالَ لَهُنَّ كَنْزَا

وَأَيَّنَ أَيَّنَ ابْنُ الْوَلِيدِ؟
بَيَّتَ ابْنُ يَحْيَى وَالرَّشِيدِ؟
تُ يَمْسَنُ فِي وَشَى الْبُرُودِ؟
تُ النُّجُلُ مِنْ هَيْفٍ وَغِيدِ؟
مِ الْآنِفَاتِ مِنَ الْهُجُودِ
مَهْضُومَةِ الْكَشْحَيْنِ رُودِ؟
أَغْصَانُ مِنْ لَيْنِ الْقُدُودِ؟
عُ الشَّمْسِ مِنْ شَفَقِ الْخُدُودِ؟
أَيَّامُ أَعْبَثُ مِنْ وَلِيدِ!
بَيَّنَ سَالِفَةَ وَجِيدِ؟

كَمْ جَاشَ جَيْشُكَ بِالْفَوَا
لِلنَّصْرِ فِي أَعْلَامِهِمْ
مُلُوكُ إِذَا صَوَّرَتْهُ
وَجُهُودُ جَبَّارِينَ تَصـ
الرُّسُلَ تَتْلُو الرُّسُلَ مِنْ
سَارُوا «لِقُصْرِ الْخُلْدِ» يُعـ
يَتَعَثَّرُونَ، كَأَنَّهُمْ
الْجَوْ يُسْطَعُ بِالظُّبَا
حَتَّى إِذَا رَجَعُوا بَدَا

رِسَ مِنْ أَسَاوِرَةٍ وَصِيدِ!
صِلَّةً بِأَبْنَاءِ الْغُمُودِ؟
عَجَزَ الْخَيَالُ عَنِ الصُّعُودِ
غُرُ دُونَهَا شُمُّ الْجُهُودِ؟
بِيضِ صَقَالِبَةٍ وَسُودِ؟
شَيْ طَرَفُهُمْ وَهَجَ الْحَدِيدِ؟
يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْقِيُودِ؟
وَالْأَرْضُ تَزْخَرُ بِالْجُنُودِ؟
بِجِبَاهِهِمْ أَثَرُ السُّجُودِ

الْفَلَسَفَاتُ عَرَفَتْهَا
وَالْعَرَبُ يَنْظُرُ فِي خُمُودِ
كَمْ مَوْبِلٍ لِلْمُسْتَجِدِ
وَالْجَاحِظُ» الْمَرَحُ اللَّعُودِ
بَغْدَادُ، يَا وَطَنَ الْأَدِيبِ،

وَالْعِلْمُ طِفْلٌ فِي الْمُهُودِ
نَحْوَ قَاتِلَةِ الْخُمُودِ
رِ، وَمَنْهَلٍ لِلْمُسْتَفِيدِ
بُ يَغُوصُ لِلدَّرِّ الْفَرِيدِ؟
وَأَيْكَةَ الشَّعْرِ الْغَرِيدِ

جَدَدْتُ أَحْلَامِي، وَكُنْتُ جَمَعَ الْخَيَالُ فَمَا اطمَنَّ،
جَارَ الْقُرُونِ النَّائِيَا ذَكَرَ الْعُهُودَ فَإِنَّ لِلدَّ
وَاهْتَاَجَهُ الطِّيفُ الْبَعِيدُ، وَصَبَا إِلَى ظِلِّ الْعُرُو
صَحَوْتُ مِنْ عَهْدٍ عَهْدٍ ٢١ وَلَا اسْتَقَرَّ إِلَى خُلُودِ
تِ، وَفَكَ أَسْرَارَ الْعُقُودِ ٢٢ كُرَى، وَحَنَّ إِلَى الْعُهُودِ
فَجَنَّ لِلطِّيفِ الْبَعِيدِ بَةِ فِي حِمَى الْمَلِكِ الْعَتِيدِ ٢٣

* * *

يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ ارْكُضِي سُودِي، فَأَمَالُ الْمُنَى
هَذَا أَوَّانُ الْعَدُوِّ لَا الِ الْمَجْدُ أَنْ تَتَوَثَّبِي
وَتَحْلَقِي فَوْقَ النُّجُومِ وَإِذَا شَدَا الْكَوْنُ الْمَفَا
لَا تَخْطِئِي حَدَّ الْعُلَا مَنْ يَصْطَدِّ النِّمْرَ الْوُثُو
مِلءَ الْعِنَانِ، وَلَا تَهِيدِي ٢٤ وَالْعَبَقْرِيَّةُ أَنْ تَسُودِي
إِبْطَاءً وَالْمَشْيُ الْوَيْدِ وَإِذَا وَثَبْتَ فَلَا تَحِيدِي
مِ بَلَا شَبِيهِهِ أَوْ نَدِيدِ خَرَّ كُنْتَ عَنْوَانَ النِّشِيدِ
مَا لِلْمَعَالِي مِنْ حُدُودِ! بَ يَعْفُ عَنْ صَيْدِ الْفُهودِ

* * *

هَذِي طَلَائِعُ نَهْضَةٍ بَغْدَادُ أَشْرَقَ نَجْمُهَا
سَلَكْتُ إِلَى الْمَجْدِ الْقَدِيدِ وَزَهَتْ بِأَقْمَارِ الْهُدَى
بَغْدَادُ، إِنَّا - وَفَدَ مِصْرَ جِئْنَا نُحْيِي الْعِلْمَ وَالِ
مَرَّكَ عِيدَ لِلْمُنَى أَهْلُوكَ أَهْلُونَا، وَأَبْنَا
بَيْنَ الْقُلُوبِ تَشَوُّفٌ حَتَّى يَكَادَ يُحِبُّ نَخْلِكَ
نَهَبْتُ بِأَثَارِ الرُّكُودِ وَبَدَا بِهَا سَعْدُ السُّعُودِ
مِ مَحَجَّةَ النَّهْجِ السَّيْدِ ٢٥ وَسَطَّتْ بِأُظْفَارِ الْأَسُودِ ٢٦
ر - نَفِضُ الشُّوقِ الْأَكِيدِ ٢٧ آدَابَ فِي الْعَدَدِ الْعَدِيدِ
فُزْنَا بِهِ فِي يَوْمِ عِيدِ ٢٨ ءُ الْعَشِيرَةِ وَالْحُدُودِ
كَتَشَوُّفِ الصَّبِّ الْعَمِيدِ ٢٩ نَخْلُ أَهْلِي فِي «رَشِيدِ» ٣٠

شَطَطَتْ مَنَازِلُنَا، وَمَا
الرَّافِدَانِ تَمَازَجَا
وَتَعَانَقَ الظَّلَانِ: ظِلُّ الطِّ
جِنُّنَاكَ نَسْتَبِقُ الْخُطَا
طَالَتْ بِنَا الصَّحْرَاءُ حَتَّى
يَتَخَلَّصَ الْمَرْمَى الْمَدِيدِ
كَتَخَلَّصَ الْحَسَنَاءُ مِنْ
بَحْرٍ بَلَا شَطِطَيْنِ يَزُ
وَسَفِينَتِي «نَرْنُ» بِهَا
جِئْنَا إِلَى الْغَازِي سَلِيحِ
نَخْتَالُ بَيْنَ هَبَاتِهِ
أَحْيَا الْمُنَى بِالْعَزْمِ وَالتَّدْ
وَعَدَتْ بِهِ سَوْحُ الْعُرُو
فِي نَهْضَةِ «الْفَارُوقِ» وَالِ
«فَارُوقُ» مُنْبَثِقُ الرَّجَا
عَاشَا وَعَاشَ الشَّرْقُ فِي

اِحْتَاَجَ الْفُؤَادُ إِلَى بَرِيدٍ^{٣١}
فِي الْحَبِّ بِالنَّيْلِ السَّعِيدِ^{٣٢}
طَاقُ وَالْهَرَمِ الْمَشِيدِ^{٣٣}
أَنْضَاءُ أَوْدِيَةٍ وَبِيدِ^{٣٤}
حَتَّى خَلَّتْهَا أَبَدُ الْأَبِيدِ^{٣٥}
حُدَّ بِهَا إِلَى مَرْمَى مَدِيدِ
وَعْدِ طَوْتُهُ إِلَى وَعُودِ
خَرُّ بِالتَّنَائُفِ وَالنَّجُودِ^{٣٦}
مَا فِي فُؤَادِي مِنْ وَقُودِ^{٣٧}
لِ الْعَرَبِ وَالْحَسْبِ الْمَجِيدِ^{٣٨}
فِي ظِلِّ إِحْسَانٍ وَجُودِ
بِيرِ وَالسَّعْيِ الْحَمِيدِ
بَةِ مِنْهَلًا عَذْبُ الْوُرُودِ^{٣٩}
غَازِي غِنَى لِلْمُسْتَزِيدِ
ءِ وَمُلْتَقَى الرُّكْنِ الشَّدِيدِ^{٤٠}
عَزَّ وَفِي عَيْشٍ رَغِيدِ

هوامش

(١) بغداد: مدينة عظيمة على شاطئ نهر دجلة من بلاد العراق، وكانت مقر الخلافة العباسية، بناها أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين سنة ١٤٥هـ. والرشيد هو هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس تولى الخلافة (١٧٠-١٩٣هـ)، وكان عصره عصر نعيم ورخاء، وفي زمنه ازدهرت بغداد وعظم شأنها.

(٢) الشرود: السائر الذائع المنتشر.

(٣) المبسم: الثغر، وهو ما تقدم من الأسنان حيث يكون الابتسام، والمراد الريق.

البرود: البارد.

(٤) بهرة الملك: قصبته ومقره. الوطيد: الثابت المتين.

(٥) عنان: جارية الناطفي كانت مغنية رائعة الحسن فاتنة الدلال. وحيد: اسم

مغنية اشتهرت في العصر العباسي بافتتانها في الغناء، ولابن الرومي قصيدة في وصفها.

(٦) البحتري: هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية المقربين إلى الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان، وكانت ولادته بمبنج (وهي بلدة قديمة بين حلب والفرات) سنة ٢٠٦هـ. وتوفي بها سنة ٢٨٤هـ. ومسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني كان أيضًا من الشعراء المفلكين في عهد هارون الرشيد، وهو أول من تكلف البديع في شعره. وكانت وفاته بجرجان سنة ٢٠٨هـ.

(٧) ابن يحيى هو الفضل بن خالد بن برمك، وكان هو وأخوه جعفر وأبوهما يحيى من وزراء الرشيد، وأنبه الناس وأبعدهم صيتًا وأرفعهم قدرًا وأعظمهم كرمًا، وبلغ من أمرهم أنهم زاحموا الخليفة في نفوذه وسلطانه، وأصبح الملك في قبضتهم، ولهذا غضب عليهم الرشيد وفتك بهم. وكانوا إلى كياستهم وحسن سياستهم رجال فضل وعلم وأدب، وكانت مجالسهم ونواديهم مقصد الشعراء وكعبة البلغاء والأدباء.

(٨) القيان: جمع قينة وهي الأمة المغنية. الوشي: مصدر وشيت الثوب من باب وعد أي رقمته ونقشته. البرود: جمع برد وهو الثوب المخطط.

(٩) النجل: جمع نجلاء صفة من النجل بفتحيتين وهو سعة العين وحسنها. هيف: جمع هيفاء صفة من الهيف بفتحيتين وهو ضمير البطن ورقة الخاصرة. غيد: جمع غيداء صفة من الغيد بفتحيتين وهو لين الأعطاف والتثني.

(١٠) الطلي: الأعناق أو أصولها، واحدها طلية، مهضومة: ضامرة لطيفة. الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي، مضهومة الكشحين: هيفاء ضامرة البطن رقيقة الوسط. رود: رقيقة لينة ناعمة.

(١١) القدود: جمع قد وهو القامة وحسن التقطيع والاعتدال.

(١٢) السالفة: جانب العنق. الجيد: العنق أو مقدمة أو موضع القلادة منه.

(١٣) جاش جيشك: ماج واضطرب لكثرت كالبخر الزاخر المائج. الفوارس: جمع فارس وهو راكب الفرس. الأساورة: جمع أسوار بضم الهمزة وكسرهما وهو القائد والجيد الرمي بالسهام. الصيد: جمع أصيد وهو الملك ورافع رأسه كبرًا والأسد.

(١٤) أبناء الغمود: كناية عن السيوف.

(١٥) شم: جمع أشم وهو المرتفع العالي.

(١٦) الصقالبة: جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينية، والمراد الأمم والممالك الأوروبية المجاورة لبحر الخزر والبحر الأسود في الشمال والغرب.

(١٧) يريد بقصر الخلد قصر الخليفة ببغداد، الطرف: العين. يعشي طرفهم: يصيب عيونهم بالعشا، وهو سوء البصر بالليل والنهار، وهج الحديد: توقده ولعانه.

(١٨) عثر في مشيه وتعثر: كبا وزل وسقط. الحلق: جمع على غير قياس لحلقة.
(١٩) يسطع: يرتفع، والمراد يزدحم ويتلأأ من قولهم: سطعت النار إذا ارتفعت وعظم لهبها واشتد توقدها، الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف والرمح نحوهما. تزخر: تمتلئ.

(٢٠) الجاحظ: هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر الكناني البصري، ولد بالبصرة حوالي سنة ١٦٠هـ. وكان راوية فيلسوفًا كاتبًا مصنفًا أديبًا عالمًا بالحيوان والنبات وصافًا لأحوال الناس فكه المجلس خفيف الروح غاية في الظرف وطيب الفكاهة، ومن مؤلفاته المشهورة كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين وكتاب البخلاء، وطريقته في الكتابة لا تزال قدوة ومثالًا عاليًا لنوابغ الكتاب، وكانت وفاته ببغداد سنة ٢٥٥هـ وقد نيف على التسعين.

(٢١) عهد عهيد: زمن قديم.

(٢٢) القرون: جمع قرن وهو مائة سنة. النائيات: البعيدات. العقود: جمع عقد وهو العشرة من العدد، فالعقود عشرات السنين.

(٢٣) صبا: مال وتاق. والعروبة مصدر عرب لسانه إذا كان عربياً فصيحاً. والمراد القومية العربية. الحمى: المكان المحمي الذي لا يقرب ولا يجترأ عليه. العتيد: العظيم.
(٢٤) اركضي: أمر من الركوض وهو العدو والإسراع. العنان ككتاب: سير اللجام الذي تمسك به الدابة. ملء العنان: كناية عن شدة الركوض ونهاية الإسراع. لا تهدي: لا تبالي أو تخافي.

(٢٥) المحجة: جادة الطريق أي: معظمه. النهج: الطريق الواضح.

(٢٦) زهت: افتخرت وتاهت، ويريد بأقمار الهدى علماءها الأعلام وقاداتها وزعماءها الذين يهدونها سبيل الرشاد. سطت: صالت وقهرت وبطشت.

(٢٧) كان الوفد الذي يشير إليه الشاعر مؤلفاً منه والمرحوم الأستاذ أحمد عمر الإسكندري ممثلين للمجمع اللغوي، ثم من أطباء على رأسهم علي إبراهيم باشا.

(٢٨) المنى جمع منية وهي ما يتمناه الإنسان ويريده ويهواه. به: المرأى. وأشار بالشرط الثاني إلى موافقة حفلة افتتاح المؤتمر (٩ من فبراير سنة ١٩٣٨م) ليوم عرفة (وقفة عيد الأضحى من ذي الحجة سنة ١٣٥٦هـ).

(٢٩) التشوف: التطلع إلى الشيء والنظر والإشراف، والمراد الحب والاشتياق. الصب: العاشق المستهام، العميد: الذي هده العشق وأضناه الغرام.

(٣٠) رشيد: بلد الشاعر من بلدان مديرية البحيرة على فرع النيل الغربي (فرع رشيد).

(٣١) شطت: بعدت.

(٣٢) الرافدان: دجلة والفرات.

(٣٣) الطاق: إيوان كسرى وهو على مسافة بعيدة من بغداد، ويريد بالهرم هرم الجيزة الأكبر على مقربة من مدينة الجيزة في جنوبها الغربي، وهو إحدى عجائب الدنيا السبع، وبه عرفت مصر وامتازت عن سائر الممالك والبلاد، بناه الملك خوفو مؤسس الأسرة الرابعة من الأسر الملكية المصرية قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة، المشيد: المطلي بالشيد وهو ما تطل به الجدران من جص ونحوه، المشيد أيضًا: الرفيع العالي.

(٣٤) نستبق الخطا: نبترها ونعاجلها ونسرع فيها. الخطا: جمع خطوة. أنضاء: جمع نضو وهو المهزول الذي أضعفه السفر وأضناه أي: هزله. البيد: جمع بيداء وهي الصحراء.

(٣٥) خلقتها: ظننتها. الأبد: الدهر والزمان والدائم، وهو يريد بالصحراء هنا بادية الشام في شمال الجزيرة العربية، ويجتازها المسافر من دمشق إلى بغداد بسيارة (نرن) في نحو ٢٠ ساعة في ذلك الوقت.

(٣٦) يزخر: يعظم ويمتد ويزدحم. النتائف: جمع تنوفة وهي المفاضة أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس. والنجود: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض.

(٣٧) أراد بالسفينة السيارة الكبيرة الصحراوية التي كان يركبها. و«نرن» اسم شركة أجنبية تملك السيارات الكبيرة التي تغدو وتروح في تلك الصحراء بين دمشق وبغداد. الوقود: بضم الواو وفتحها النار أو اتقادها.

(٣٨) الملك غازي ملك العراق ابن الملك فيصل ابن الملك حسين.

(٣٩) السوح: جمع ساحة وهي الناحية والفضاء بين دور الحي، والمراد بالعروبة القومية العربية. المنهل: المورد أي: مكان النهل وهو الشرب، والورود مصدر ورد الماء إذا بلغه ووافاه، والمراد المورد والماء.

(٤٠) منبثق: اسم مكان من انبثق السيل ونحوه إذا تفجر. الركن: العز والمنعة.

صَوْمَان

نزل الشاعر ضيفاً في أحد الرمضانات ببعض أثرياء قومه وكانوا بخلاء، فقال هذين البيتين. ١٩٠٥ م.

يَزِيدُونَهُ صَوْماً تَضِيقُ بِهِ النَّفْسُ	أَتَى رَمَضَانُ غَيْرَ أَنَّ سِرَاتِنَا
وَصَوْمَ النَّصَارَى حِينَما تَغْرُبُ الشَّمْسُ	يَصُومُونَ صَوْماً الْمُسْلِمِينَ نَهَارُهُ

الزَّفَافُ الْمَلِكِيُّ

أنشدت بدار الأوبرا في الحفل الذي أقامه الأدباء والشعراء؛ لتهنئة الملك فاروق بزفافه في يناير سنة ١٩٣٨م.

وَجَلَّتْ يَدُ الدَّهْرِ الَّذِي عَزَّ نَائِلُهُ^١
تَطَامَنَ مَتْنَاهُ، وَدَانَتْ صَوَائِلُهُ^٢
أَمَامَ سَنَا الْمُلْكِ الْمَهِيْبِ كَوَاهِلُهُ^٣
فَلَمْ يَرِ فِي أَنْحَائِهَا مَنْ يُمَائِلُهُ
تَقْدُّ مُوَاضِيهِ، وَتَفْرِى مَنَاصِلُهُ^٤
فَمَا هُوَ إِلَّا غِمْدُهُ وَحَمَائِلُهُ^٥
إِلَى مَا يُرَجِّي، وَاللَّيَالِي رَوَاحِلُهُ^٦
لَمَّا انْحَدَرَتْ دُونَ النُّجُومِ مَنَازِلُهُ
لِفَاخَرِ وَجْهِ الصَّبْحِ فِي الْحُسْنِ حَائِلُهُ^٧
تَشَوَّفَ لَحْظُ الْعَيْنِ لَوْ جَالَ جَائِلُهُ^٨
وَيَصْغُبُ مَرَّأَاهَا عَلَى مَنْ يُحَاوِلُهُ
إِذَا دَاعَبَتْ وَجْهَ الرَّبِيعِ حَمَائِلُهُ^٩
فَطَارَتْ بِهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ بَلَائِلُهُ^{١٠}
وَتَنْطِقُ بِالْغَيْثِ الْعَمِيمِ مَخَائِلُهُ^{١١}
وَتَلْمَحُ سِرَّ النُّبْلِ حِينَ تُقَابِلُهُ
تَمَلًّا مِنْ مَاءِ الْفَرَادِيسِ نَاهِلُهُ^{١٢}

صَفَا وَرُدُّهُ عَذْبًا وَطَابَتْ مَنَاهِلُهُ
وَأَقْبَلَ مُنْقَادَ الْعِنَانِ مُذَلَّلًا
يُطَاطِئُ لِلْفَارُوقِ رَأْسًا، وَتَنْحِنِي
تَلَفَّتْ فِي الْآفَاقِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
رَأَى مَا رَأَى! لَمْ يَلْقَ عَزْمًا كَعَزْمِهِ
يَذُوبُ مِثْلَ السَّيْفِ عِنْدَ مِثْلِهِ
إِذَا مَا انْتَضَاهُ، فَالسَّعُودُ أَعْنَتُهُ
رَأَى طَلْعَةً، لَوْ أَنَّ لِلْبَدْرِ مِثْلَهَا
عَلَيْهَا شُعَاعٌ، لَوْ رَمَى حَائِلَ الدُّجَى
تَرَاهَا، فَتَغْضِي لِلْجَلَالِ، وَرُبَّمَا
هُوَ الشَّمْسُ يَدْنُو فِي الظَّهِيرَةِ ضَوْءُهَا
هُوَ الرُّوْضُ أَوْ أَزْهَى مِنَ الرُّوْضِ نَضْرَةُ
هُوَ الْأَمَلُ الْبَسَامُ، رَفَّ جَنَاحُهُ
هُوَ الْكُوكَبُ اللَّمَّاحُ، يَسْطَعُ بِالْمُنَى
تَرَى بِسْمَةَ الْأَمَالِ فِي بَسْمَاتِهِ
شَبَابٌ كَمَا يَصْفُو اللَّجَيْنُ كَأَنَّمَا

إِذَا اهْتَزَّ فِي كَفِّ النَّسَائِمِ مَائِلُهُ^{١٣}
فَعَادَ حَسِيرًا يَنْكُتُ الْأَرْضَ ذَابِلُهُ^{١٤}
وَمِنْ أَيْنَ لِلرُّمَحِ الطَّوِيلِ طَوَائِلُهُ؟^{١٥}
وَقَدْ شَكَّ أَحْشَاءُ الْحَوَادِثِ عَامِلُهُ^{١٦}
فَمَنْ ذَا يُدَانِيهِ، وَمَنْ ذَا يُفَاضِلُهُ؟^{١٧}
تَشِفُّ مَجَالِيهِ، وَتَهْفُو غَلَائِلُهُ^{١٨}
نَوَائِبُهُ نَفَاحَةٌ وَجَدَائِلُهُ^{١٩}
وَتَفْتَحُ أَكْمَامَ الزَّهْرِ مَسَاجِلُهُ^{٢٠}

يُفَدِّيهِ غَضْنُ الدَّوْحِ رِيَّانَ نَاضِرًا
تَطْلُعُ رُمَحُ الْخَطِّ يَبْغِي اعْتِدَالَهُ
وَمِنْ أَيْنَ لِلرُّمَحِ الْمُثَقَّفِ عَزْمُهُ
إِذَا حَفَزَتْهُ الْحَادِثَاتُ رَأْيَتَهُ
عَلَاءُ تَحْدَى الدَّهْرِ فِي بُعْدِ شَاوِهِ
وَرَأْيُ كَأَنْفَاسِ الصَّبَاحِ وَقَدْ بَدَا
وَخُلِقَ كُمُخْضَلِ النَّسِيمِ بِرَوْضَةٍ
يَمَسُّ جَبِينَ النِّيلِ فِي رَفَقِ عَاشِقٍ

وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ شَمْسًا جَوَائِلُهُ^{٢١}
تُبَادِلُهُنِي آيَاتُهُ وَرَسَائِلُهُ^{٢٢}
أَتَتْ بِأَعَزِّ الْأَبْدَاتِ حَبَائِلُهُ^{٢٣}
وَقَدْ صَدَحَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ عَنَائِلُهُ^{٢٤}
وَسَاءَلَ شَمْسَ الْأَفْقِ مَنْ هُوَ قَائِلُهُ^{٢٥}
فَآخِرُ أَكْنَافِ الْوُجُودِ مَرَاجِلُهُ^{٢٦}
وَتَجَّتْ قَوَافِيهِ، وَعَبَّتْ حَوَائِلُهُ^{٢٧}
مَنْ الْفَضْلُ شَيْءٌ، غَيْرَ أَنِّي نَاقِلُهُ
فَضَائِلُهُ جَلَّتْ، وَعَمَّتْ فَوَاضِلُهُ
شَمَائِلُ أَمْلَاقِ السَّمَاءِ شَمَائِلُهُ
فَغَمَرْتُ، وَأَمَّا الْمَكْرَمَاتُ فَسَاجِلُهُ
وَرَدَّدَ فِي الْأَفَاقِ ذَكَرَكَ هَائِلُهُ^{٢٨}
وَحَاكَّتْ لَكَ الْبُرْدُ الْمُوشَى أَنَامِلُهُ^{٢٩}
تَرْفُ نَدَى إِلَّا حَوَّتَهَا فَوَاصِلُهُ^{٣٠}
لِمَنْ تَوَجَّهَتْ بِالْفَخَارِ فَضَائِلُهُ
لَأَجْلِكَ، حَتَّى اسْتَنْجَدَتْ بِكَ بَابِلُهُ^{٣١}
إِلَى سُدَّةِ الْفَارُوقِ تَشْدُو بَلَائِلُهُ^{٣٢}
تَفَاعِيلُهَا الْبِرُّ الَّذِي أَنْتَ فَاعِلُهُ^{٣٣}

دَعَوْتُ إِلَيْكَ الشُّعْرَ فَاِنْقَادَ صَعْبُهُ
وَمَا كِدْتُ أَدْعُو الْوَحْيَ حَتَّى سَمِعْتُهُ
خَيَالٌ إِذَا أَرْسَلْتُهُ إِثْرَ نَافِرٍ
وَلَفْظٌ كَوَجْهِ الرُّوْضِ فِي مِيعَةِ الضُّحَى
إِذَا قُلْتُهُ أَلْقَى عُطَارِدُ سَمْعِهِ
وَإِنْ سَارَتْ الرِّيحُ الْهَيُوبُ بِجَرْسِهِ
إِذَا ذَكَرَ الْفَارُوقُ فَاضَ مَعِينُهُ
يَقُولُ: وَمَا لِي حِينَ أَكْتُبُ قَوْلُهُ
رَأَى مَلِكًا يَحْيَا الْقَرِيضَ بِوُصْفِهِ
رَأَى مَلِكًا يُزْهِى بِهِ الدِّينَ وَالتَّقَى
رَأَى مَلِكًا كَالنِّيلِ: أَمَا عَطَاؤُهُ
فَغَرَّدَ فِي الْأَجْوَاءِ بِأَسْمِكَ طَيْرُهُ
وَصَاغَتْ لَكَ التَّبَرُّ الْمُصَفَّى فُنُونُهُ
وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَسْجِ السَّحَائِبِ زَهْرَةٌ
وَصَبَّ شُعَاعُ الشَّمْسِ تَاجَ مَهَابَةٍ
وَفَكَ رُمُوزَ السَّحْرِ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ
أَعَدْتُ لَهُ عَهْدَ الرَّشِيدِ فَأَسْرَعْتُ
وَمَا أَنْتَ فِي الْأَمْلَاقِ إِلَّا قَصِيدَةٌ

يَهْبُ طَرِيحُ الشُّعْرِ فِي دَوْلَةِ النَّهْيِ
 حَمَلْتُ لَهُ الرِّيحَانَ يَوْمَ زِفَافِهِ
 أَزَاجِمُ لِلْفَارُوقِ حَشْدًا كَأَنَّهُ
 يُغْطِي أَدِيمَ الْأَرْضِ عَزَّ اخْتِرَاقُهُ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ مَدَى أُخْرِيَاتِهِ
 حَمَلْتُ لَهُ الرِّيحَانَ أَرْفَعُ مَعْصَمِي
 وَقَدْ مَلَأَ الْأَنْسُ الْوُجُوهَ فَأَشْرَقَتْ
 طَلَعَتْ عَلَى الْجَمْعِ الْحَفِيلِ بِمَوْكِبِ
 مَوَاكِبُ لَمْ يُعْرِفْ لِرِمْسِيَسِ مِثْلَهَا
 يُحِيطُ بِهَا عِزُّ الْمَلِكِ وَمَجْدُهُ
 إِذَا امْتَلَأَ الْحُبُّ النَفُوسَ هَفَّتْ لَهُ
 رَأُوكَ فَعَالُوا بِالْهَتَافِ كَأَنَّمَا
 كَأَنَّهُمْ جَيْشُ الْغَمَائِمِ أَرَقَّتْ
 فَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهْيَ تَرْتَقِبُ الْمُنَى
 وَقَدْ رُفِعَتْ أَعْلَامُ مِصْرَ خَوَافِقًا
 فَإِنْ كَانَ مِنْ عَيْنٍ فَإِنَّكَ نُورُهَا
 وَإِنْ كَانَ مِنْ دَهْرٍ فَأَنْتَ نَعِيمُهُ
 رَأَى فِيكَ هَذَا الشُّعْبُ أَمَالَهُ الَّتِي
 أَحَبَّكَ حَتَّى صَارَ حُبُّكَ رُوحَهُ
 فَمَنْ شَاءَ بُرْهَانًا عَلَى صَادِقِ الْهَوَى
 نَثَرَتْ بُدُورَ الْحُبِّ فِي كُلِّ مُهْجَةٍ
 حَيَاتِكَ يَا فَارُوقَ لِلدِّينِ عِصْمَةٌ
 مَنَابِرُهُ تَهْتَرُ بِأَسْمِكَ فَوْقَهَا
 تُعَفِّرُ بِالتُّرْبِ الْجَبِينِ الَّذِي عَنَا
 لَهُ لَمَعَاتُ الْمَشْرِفِي أَزْدَهَتْ بِهِ
 لَيَالِيكَ أَقْمَارُ الزَّمَانِ وَسَعْدُهُ
 قَدْ اخْتَارَكَ الرَّحْمَنُ مَوْضِعَ فَضْلِهِ

وَتَلَّهَمُ أَسْرَارَ الْبَيَانِ مَقَاوِلُهُ^{٣٤}
 نَضِيرَ الْحَوَاشِي يَنْشُرُ الْمِسْكَ خَاضِلُهُ^{٣٥}
 خِضَمٌ مِنَ الْأَمْوَاجِ ضَاقَتْ سَبَائِلُهُ^{٣٦}
 وَسُدَّتْ عَلَى أَقْوَى الرِّجَالِ مَدَاجِلُهُ^{٣٧}
 فَسَلَّ طَرَفَكَ الْمَمْدُودَ أَيْنَ أَوَائِلُهُ؟
 إِلَى الْمَلِكِ الْفَرْدِ الَّذِي فَازَ آمِلُهُ^{٣٨}
 مِنَ الْبَشَرِ حَتَّى كَادَ يَقْطُرُ سَائِلُهُ
 يُبَادِلُكَ الشُّعْبُ الْمُنَى وَتُبَادِلُهُ^{٣٩}
 وَلَا خَطَرَتْ فِي مِثْلِهِنَّ قَنَابِلُهُ^{٤٠}
 وَتَزَحْمُهَا فُرْسَانُهُ وَصَوَاهِلُهُ
 سِرَاعًا وَأَعْطَتْ فَوْقَ مَا هُوَ سَائِلُهُ^{٤١}
 يُنَافِسُ نِدَّ نِدَّهِ وَيُسَاجِلُهُ^{٤٢}
 رَوَاعِدُهُ جَفَنَ الدُّجَى وَرَوَاجِلُهُ^{٤٣}
 وَلَا صَدَرَ إِلَّا فَارِخُ الْقَلْبِ جَائِلُهُ^{٤٤}
 يُغَارِزِلُهَا مَسُّ الصَّبَا وَتَغَارِزِلُهُ^{٤٥}
 وَإِنْ كَانَ مِنْ قَلْبٍ فَإِنَّكَ آهْلُهُ^{٤٦}
 وَإِنْ كَانَ مِنْ فَضْلِ فَإِنَّكَ بَازِلُهُ
 تَمَنَّى عَلَى الْأَيَّامِ وَهْيَ تُمَاطِلُهُ
 وَنُورَ أَمَانِيهِ الَّذِي لَا يُزَايِلُهُ^{٤٧}
 فَهَذِي الْجُمُوعُ الزَّاحِرَاتُ دَلَائِلُهُ
 وَتِلْكَ الَّتِي تَهْفُو إِلَيْكَ سَنَابِلُهُ
 وَأَعْمَالُكَ الْغُرُ الْجِسَامُ مَعَاقِلُهُ^{٤٨}
 وَتَلْتَفُّ مِنْ شَوْقٍ عَلَيْكَ مَحَافِلُهُ
 لَهُ الشَّرْقُ وَانْقَادَتْ إِلَيْهِ جَحَافِلُهُ
 عَلَى كُلِّ أَبْنَاءِ الْغُمُودِ صَيَافِلُهُ^{٤٩}
 وَأَيَّامُكَ الْبَيْضُ الْجَسَانُ أَصَائِلُهُ^{٥٠}
 إِذَا عَزَّ مَوْصُولٌ فَقَدْ جَلَّ وَاصِلُهُ^{٥١}

هَٰذِيئًا لَكَ الْيَوْمُ السَّعِيدُ الَّذِي زَهَا
يُذَكِّرُنَا الْمَأْمُونَ يَوْمَ زَفَافِهِ
وَسَالَ بِهِ سَيْلُ النُّضَارِ كَأَنَّمَا
وَأَيْنَ مِنَ الْمَأْمُونَ أَوْ مِنْ زَفَافِهِ
أَبَى الدَّهْرُ أَنْ يَلْقَى لِيَوْمِكَ ثَانِيًا
تَخَيَّرْتَ مِنْ وَادِي الْكَنَانَةِ زَهْرَةً
فَرِيدَةً مَجْدٌ يَعْرِفُ الْمَجْدُ قَدْرَهَا
وَدُرَّةٌ خِذْرٌ أَقْسَمَ الْخِذْرُ إِنَّهُ
يَتِيهِ بِهَا ضَافِي الشَّبَابِ وَنَضْرُهُ
تَخَيَّرَتْهَا فَوْقَ السَّحَابِ مَكَانَةً
حَبَّأَهَا إِلَهُ الْعَرْشِ أَكْبَرَ نِعْمَةٍ
فَعِشْ فِي رِفَاءٍ بِالْبَنِينَ مُمْتَنِعًا
وَدُمَ لِبَنِي مِصْرٍ أَمَانًا وَرَحْمَةً

عَلَى الدَّهْرِ لَمَّا لَمْ يَجِدْ مَا يُشَاكِلُهُ
وَقَدْ مَشَتْ الدُّنْيَا إِلَيْهِ تُجَامِلُهُ
تَفَجَّرَ مِنْ بَيْنِ السَّحَابِ وَابِلُهُ
جَلَالُهُ مَلِكٌ أَغْجَزَتْ مَنْ يُطَاوِلُهُ
يُقَارِبُهُ فِي نُبْلِهِ أَوْ يُعَادِلُهُ
تَتِيهِ بِهَا جَنَّاتُهُ وَظَلَّائِلُهُ^{٥٢}
وَتُرْزَمِي بِهَا الْفَخَّارِ عَقَائِلُهُ^{٥٣}
عَلَى مِثْلِهَا لَمْ تُلَقْ يَوْمًا سَدَائِلُهُ^{٥٤}
وَتَسْمُو حَوَالِيهِ بِهَا وَعَوَاطِلُهُ^{٥٥}
وَأَصْفَى مِنَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ حَامِلُهُ
فَجَلَّتْ أَيْدِيهِ وَعَمَّتْ جَلَّائِلُهُ
يُضِيءُ بِكَ الْوَادِي وَيَخْضُرُ مَاحِلُهُ^{٥٦}
فَأَنْتَ حِمَى النِّيلِ الْوَفِيِّ وَعَايِلُهُ

هوامش

- (١) ورده: المراد مأوّه، والضمير للدهر. المناهل: موارد الماء، جمع منهل. يد الدهر: نعمته: عز نائله: قل عطاؤه.
- (٢) مذللًا: طيعًا. تطامن: ذل وسكن. المتنان: جانبا الظهر. دانت: خضعت. الصوائل: جمع صائل، الحيوان يهجم على الناس ويؤذيهم.
- (٣) سنا الملك: ضياؤه. الكواهل: جمع كاهل، الظهر مما يلي العنق.
- (٤) تقد: تقطع. المواضي: جمع ماض، السيف الحاد. تفري: تقطع. المناصل: السيوف، جمع منصل.
- (٥) يذوب: يفتى. غمد السيف: قرابه. الحمائل: جمع حمالة، علاقة السيف.
- (٦) انتضى السيف: سله من غمده. السعود: نجوم عشرة عشرة مختلفة المطالع يتيمن العرب بها، جمع سعد. الرواحل: جمع راحلة الناقة الكريمة يسافر عليها.
- (٧) عليها شعاع: لها ضياء. حائل الدجى: حالك الظلام. وجه الصبح: أوله.
- (٨) تغضي: تغمض العين حياء. تشوف: تشوق. جال جائله: تردد نظره.

- (٩) نضرة: حسنًا. داعبت: لامست. وجه الربيع: نبتة وزهره الذي يغطي الأرض. الخمائل: جمع خميلة، الشجر الملتف المتدلي الأغصان.
- (١٠) الأمل البسام: المقبل المرجى. رف جناحه: تحرك وانبسط. طارت: ذهبت. البلابل: جمع بلبله، الهم واضطرب القلب.
- (١١) اللماح: اللماح. المخايل: دلائل الخير، جمع مخيلة.
- (١٢) اللجين: الفضة، تملأ: ارتوى. الفراديس: الجنان، جمع فردوس. الناهل: الراوي.
- (١٣) يفديه: يقول له: «جعلت فداك». الدوح: جمع دوحة، الشجرة العظيمة. ريان: راويًا. ناضراً: حسنًا. النسائم: جمع نسيم، الريح اللينة.
- (١٤) تطلع: رفع بصره. الخط: مرفأ السفن بالبحرين، وتنسب إليه الرماح؛ لأنها تباع فيه. حسيراً: كليلاً ضعيفاً. ينكت الأرض: يبحث فيها بعود أو نحوه. ذابل الرمح: قناته.
- (١٥) المثقف: المقوم المذهب. الطوائل: الأعمال العظيمة، جمع طائل أو طائلة.
- (١٦) حفزته الحادثات: أثارتته لدفعها. شك: أصاب. الأحشاء: الأمعاء، جمع حشأ. عامل الرمح: صدره.
- (١٧) تحدى الدهر: طلب أن يأتي بمثل فعالة. الشأو: الغاية.
- (١٨) أنفاس الصباح: أضواؤه. مجاليه: أشعته، جمع مجلى. تهفو: تهتز وتنتشر. غلائله: أول ما يبدو من أنوار النهار، جمع غلالة، وأصلها الرقيق يلامس الجسم.
- (١٩) المخضل: الرطب الندي. زوائب النسيم: أوائله، جدائله: أواخره، وأصل الزوائب جمع ذؤابة. شعر الناصية، وأصل الجدائل جمع جديلة: الشعر المضفور خلف الرأس ففي كليهما استعارة. نفاحة: فواعة.
- (٢٠) جبين النيل: صفحة مائه، الأكمام: جمع كم، غلاف الزهرة. المساحل: جمع مسحل، الثوب النقي من القطن استعارها لخطرات النسيم.
- (٢١) الشمس: أصله ضم الميم، وسكنت، جمع شمس، الحصان يستعصي على راكبه. الجوافل: جمع جافل، الشارد الجموح.
- (٢٢) الوحي: هنا الإلهام. تبادهني: تفاجئني وتأتيني على البديهة.
- (٢٣) النافر والآبد: الشارد. الحبائل: شبك الصيد، جمع حباله.
- (٢٤) ميعة الضحى: أوله. العنادل: جمع عندليب، طائر صغير غرد.

- (٢٥) عطار: كوكب الفن والشعر.
- (٢٦) الهبوب: السريعة. الجرس: الصوت والنغمة. الأكناف: النواحي، جمع كنف.
- (٢٧) فاض: كثر. معينه: مادته، وأصل المعين الماء الجاري. ثجت: تدفقت. عبّت حوافله: غزرت معانيه، الحوافل: جمع حافل الكثير المتجمع من كل شيء.
- (٢٨) الأجواء: جمع جو. الهادل: المغرد من الحمام.
- (٢٩) البرد الموشى: الثوب المنقوش بألوان شتى.
- (٣٠) نسج السحائب: ما ينبته ماؤها. ترف: تهتز. فواصل الشعر: جملة.
- (٣١) فك رموز السحر: عرف أسرار. بابل: مدينة بالعراق عرفت بالسحر قديماً، كما ورد في القرآن.
- (٣٢) سدة الفاروق: بابه. تشدو بلبله: يريد إنشاد الشعراء المدائح. الرشيد: أعظم الخلفاء جاهاً، وأبعدهم صيتاً، وأكثرهم للعلماء والشعراء تقريباً، وهو نفسه كان شاعراً راوية.
- (٣٣) الأملاك: الملوك، جمع ملك. تفاعيل القصيدة: الأجزاء التي توزن بها، جمع تفعيلة، وهي تختلف باختلاف بحور الشعر، فهي مثلاً في بحر الطويل الذي منه هذه القصيدة، فعولن مفاعلين مكررين أربع مرات.
- (٣٤) يهب: ينهض. طريح الشعر: عليه وضعيفه. النهى: العقول، جمع نهية، ويريد بدولة النهى دولة العلم والثقافة. مقالوه: قائلوه، جمع مقول، ويسمى اللسان أيضاً مقولاً.
- (٣٥) نضير: حسن. الحواشي: الأطراف، جمع حاشية. خاضله: نديه ورطبه.
- (٣٦) الحشد: الجمع. الخضم: البحر، أو الجمع الكثير. السبائل: الطرق، جمع سبيلة.
- (٣٧) أديم الأرض: وجهها. عز اختراقه: شق السير فيه، والجملة حال من المفعول. مداخله: منافذه وطرقه جمع مدخل.
- (٣٨) معصمي: يدي، وأصل المعصم موضع السوار من الساعد.
- (٣٩) الحفيل: الكثير.
- (٤٠) رمسيس: يريد رمسيس الثاني، أحد ملوك الفراعنة. القنابل: طوائف الناس أو الخيل جمع قنبل أو قنبلة.
- (٤١) هفت: دانت.

- (٤٢) عالوا: رفعوا أصواتهم. الند: المثل والنظير كالنديد. يساجل: يباري وينافس.
- (٤٣) الغمائم: جمع غمامة. أرقت: أسهرت. الرواعد: جمع راعد وهو السحاب ذو الرعد. الزواجل: جمع زاجل من الزجل وهو الصوت، ويقال: سحاب زجل أي ذو رعد.
- (٤٤) الجاذل: الفرحان.
- (٤٥) خوافق: متحركات. يغازلها: يلعبها. الصبا: ريح طيبة تهب من الشمال الشرقي.
- (٤٦) أهله: ساكنه.
- (٤٧) يزائل: يفارق.
- (٤٨) العصمة: الوقاية. الغر: المعروفة المشهورة، جمع أغر، وأصله الحيوان في جبهته بقعة بيضاء تسمى الغرة، يشتهر بها. المعائل: الحصون، جمع معقل.
- (٤٩) المشرفي: السيف نسبة إلى مشارف الشام لصنعه بها. أبناء الغمود: السيوف.
- الصياقل: جمع صيقل، وهو من يجلو السيوف ويشحذها.
- (٥٠) الحسان: جمع حسن أو حسناء. الأصائل: جمع أصيل، الوقت من بعد العصر إلى المغرب وهو خير أوقات النهار ليئاً وأكثرها جمالاً.
- (٥١) عز: عظم. ويريد بالموصول الفاروق، وبالواصل الله سبحانه وتعالى.
- (٥٢) وادي الكنانة: وادي النيل، وأصل الكنانة جعبة السهام. زهرة: يريد الملكة فريدة. تتيه: تدل. الظلائل: جمع ظليلة، وهي الروضة الكثيرة الحرجات، والحرجات: جمع حرج وهو المكان الضيق الكثير الشجر.
- (٥٣) العقائل: كرائم النساء المخدرات، جمع عقيلة.
- (٥٤) الدرة: اللؤلؤة العظيمة. الخدر: كل ما وارك وسترك من بيت ونحوه. لم تلق: لم تoux. السدائل: الستور، جمع سديل.
- (٥٥) ضافي الشباب: سابغه وتامه. الحوالي: النساء عليهن الحلي جمع حال أو حالية. العواطل: من لا حلي عليهن، جمع عاطل.
- (٥٦) الرفاء: الالتئام والاتفاق. من رفا الثوب: أصلحه، ورفيت صديقي قلت له: «بالرفاء والبنين». الماحل والمحل: المجذب الخالي من النبات.

جُرْحٌ لَمْ يَنْدَمِلْ

أنشدت هذه القصيدة في حفلة تأبين المغفور له الشيخ عبد الوهاب النجار في دار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة عام ١٩٤٢م.

أقاموا بعضَ يومٍ فاستقلُّوا	فطار القلبُ يخفقُ حيثُ حلُّوا ^١
مضت بهمُ النجائبُ مُصْعِدَاتِ	تَمَلُّ بها الطريقُ ولا تَمَلُّ ^٢
زواملُ لم يُعوِّقْهُنَّ ليلُ	ولم يُثْقِلْ كواهلُهُنَّ حِمْلُ ^٣
رأها آدمُ، وَعَدَتْ بنُوحَ	وولَّى بعدها نَسْلُ ونسلُ ^٤
يسايرهُنَّ أنَّى سِرْنَ بَيْنُ	ويتبعُهُنَّ حيثُ ذهبَ نُكْلُ ^٥
هُوتُ أمُّ الرِّكائبِ؟ كيف سارت؟	وهل تدري الركائبُ من تُقِلُّ؟ ^٦
أسائلها — وقد شطَّتْ — وقوفاً	وأينَ من الوقوفِ المُشْمَعِلُ؟ ^٧
طفِقتُ أمدُ نحوَ الركِبِ طَرْفي	فَغَصَّ الطرفُ كُتُبَانُ ورملُ ^٨
وقمتُ أُطِلُّ من شَرَفٍ عليهم	فخاننتني الدُمُوعُ فما أُطِلُّ ^٩
وناديتُ الحبيبَ فعاد صوتي	وفي نَبْرَاتِهِ هَلْعٌ وَخَبْلُ ^{١٠}
أصاخ له من الصَّخْرَاءِ نَجْدُ	فرَدَّده من الصَّخْرَاءِ سهلُ ^{١١}
إذا بدت الغزاةُ ثم غارت	عَلِمْنَا أن هذا العيشَ ظِلُّ ^{١٢}

* * *

هي الدنيا، فليس لها ذِمَامٌ	وليس لها على الأيامِ خُلُ ^{١٣}
إذا أعطت فقد أعطت قليلاً	ولا يَبْقَى القليلُ ولا الأقلُ!

تدور: فبيّن شيخ أسكته لها نَهْلٌ من الأمم المواضي نعودُ إلى الترابِ كما بدأنا رأيتُ لكلِّ مشكلةٍ حُلُولًا إذا كان الفناءُ إلى بقاءِ

مَنِيَّتُهُ، وطفلٍ يَسْتَهْلُ ومما تَنَسَّلُ الأيامُ عَلَّ^{١٤} فكلُّ حياتنا نَقْضُ وَغَزْلُ^{١٥} ومشكلةُ المنيّةِ لا تُحلُّ! فأنجَعُ ما يُصَحِّكُ ما يُعلِّ^{١٦}

بنفسي في الثرى غُصْنًا رطيبًا تُضاحكُهُ لدى الإصباحِ شمسٌ كأنَّ حَفِيْفَهُ نَضْرًا وريقًا يميلُ به النسيمُ كأنَّ أُمًّا إذا اشتبهت غُصُونُ الروضِ شكلاً ضننْتُ به وجُدْتُ له بنفسي وكنتُ أشمُّ ريحَ الخُلْدِ منه وقلتُ: لَعَلَّه يَبْقَى ورائي فَسَلْ عنه العواصفَ: أيُّ نَوءٍ نَأَى عَنِّي وخَلَفَ لي فؤادًا يُبَلِّ على التداوي كلُّ جُرْحٍ

يَرِفُ من الشبابِ وَيَخْضَلُ^{١٧} ويلثمُه لدى الإمساء طَلَّ^{١٨} بسمعي حَلْيٌ غانية يَصِلُ^{١٩} يميلُ بصدرها الخَفَاقِ طفلُ فليس لَقْدَهُ في الحسنِ شكُّ^{٢٠} وإنَّ الحبَّ تَبْذِيرٌ وبُخلُ وأهنأ في ذِراهِ وأَسْتَظِلُّ^{٢١} بدَوْحَتِهِ، فما نفعت «لعلَّ» أطاح به؟ وأيُّ ثَرَى يحلُّ؟^{٢٢} يذوبُ أَسَى عليه ويضمحلُّ^{٢٣} وجُرْحُ القلبِ دام لا يُبَلِّ!^{٢٤}

أشترتم بالرثاء فهجتموني فضلَّ الشعرُ في وادي التُكالي خذوا مني الرثاءَ دموعَ عينٍ وآلامَ الجريح، أطلَّ نَبَلٌ وشعرًا يُلْهَبُ الأشجانَ جَزَلًا فليس له مع الأنثاءِ حَبْنٌ له نَعَمٌ يَعِزُّ عليه مِثْلٌ لعل به لمن فُجعوا عزاءَ

وتعذيبُ الذبيحةِ لا يَجِلُّ وكان إذا تحفَّز لا يَضِلُّ^{٢٥} تَكِلُ المعصِراتُ ولا تَكِلُ^{٢٦} يزاحم جانبِيهِ وغار نَبَلُ^{٢٧} كما أذكى لهيبَ النارِ جَزَلُ^{٢٨} وليس به مع الزفَراتِ حَبْلُ^{٢٩} على ماضٍ يَعِزُّ عليه مِثْلُ فإنَّ جميعنا في الحزنِ أهلُ

فقد يشفي بكاءً من بكاءٍ كما يشفى أليم الجُرْحِ نَصْلُ^{٣٠}
بكى خيرُ البريةِ خيرَ طفلٍ ودمعُ العينِ في الأحادثِ نُبْلُ^{٣١}

* * *

مضى «النجارُ» والعلياءِ حِصْنُ
به جمع الحجا للعلمِ شَمْلًا
له حججٌ يُسمِّيها كلامًا
إذا فاضت ينابغُه خطيبًا
يذلُّ له شَمُوسُ القولِ طَوْعًا
بيانُ مشرقِ اللمحاتِ زاهٍ
وآياتُ ترى فيها «ابنَ بحرٍ»
يُفلُّ شبا الخصومةِ كيف كانت
فذاك الفضلُ، جلَّ اللهُ رَبِّي!
رأيتكَ والردى يدنو رويدًا
فوجهك ذابلُ، والصمتُ هَمْسُ
تجرُّ وراءك السبعين عامًا
مشيتَ كأنَّ رجلاً في بساطي
أتيتَ تزورني فهُرَعْتُ أَسْعَى
وكان عناقنا لَمَّا افترقنا
ذممتَ لي المشيبَ وفيه حَزْمُ
وأين الحَزْمُ ويحك يا ابنَ أُمِّي
أتذكرُ إذ تَمَارَحْنَا لتَنسَى
إذا أَمَلُ الفتى فالهزلُ جدُّ
فديتك! هل إلى الأخرى بريدُ؟
وهل يبقى الفتى بعد المنايا
وهل تصلُ الدُمُوعُ إلى حبيبٍ
وهل لي بينَ من أهوى مكانُ
وهل في ساحةِ الجناتِ نهرُ

عليه بعده بابٌ وقُفْلُ
فبُدِّدَ بعده للعلمِ شَمْلُ^{٣٢}
وما هي غيرُ أسيافٍ تُسَلُّ
علمتَ بأن ماءَ البحرِ ضَحْلُ
ويستخذي له المعنى المُدْلُ^{٣٣}
وقولُ صادقِ النِّبَرَاتِ فَصْلُ^{٣٤}
يصولُ كما يشاءُ ويستدلُّ^{٣٥}
برأيٍ كالمهتدِ لا يُفَلُّ^{٣٦}
فليس يُحَدُّ للرحمنِ فضلُ
إليك كما دنا للفتك صَلُّ^{٣٧}
ومشيكَ واهنُ الخُطَوَاتِ دَالُّ^{٣٨}
وللسبعين أَرْزَاءُ وثِقَلُ^{٣٩}
تسيرُ بها، وفوق القبرِ رجلُ
إليك، ودمعُ عيني يستهلُّ^{٤٠}
وَنَاقًا للمودةِ لا يُحَلُّ
وأطريتَ الشبابَ وفيه جهلُ
إذا ما خانني جسمٌ وعقلُ؟
وقد أدركتَ أَنَّ المَرَحَ خَتْلُ؟^{٤١}
وإن يئسَ الفتى فالجدُّ هزلُ
وهل لتزاوِرِ الأرواحِ سُبُلُ؟^{٤٢}
له بالأهلِ والإخوانِ شُغْلُ؟
ويعلمُ حُرْقَةَ الأشجانِ نَجْلُ؟^{٤٣}
إذا قَوَّضْتُ رحلي أو مَحَلُّ؟^{٤٤}
يزول بمائه حِقْدُ وغِلُّ؟^{٤٥}

وهل إن ساءل الأحياء قبرًا
لقد جلّ المصاب، وجلّ صبري
فقم واخطب بحفلك، كم تَغْنَى
ونكّرنا اليقينَ فكم عقولٍ
وقل: إنَّ الفناءَ إلى خلودٍ
وإنَّ الموتَ إطلاقٌ لروحٍ
شبابُ المسلمين بكلّ أرضٍ
أخذتَ عليهمُ للحقِّ عهدًا
شبابٌ إن دعا القرآنُ شمسُ
بنو العرب الذين علّوا وسادوا
فنم ملء الجفونِ «أبا صلاح»
يطوفُ بقبرك الزاكي سلامٌ
وهاك رثاء محزونٍ مُقلٍّ

يُجابُ لصيحةِ الأحياء سُؤْل؟
عليك، وأنت من صبري أَجَل!
وهام بصوتك الرنّان حَفْل!
تكادُ عليك من شَجَن تَزَلّ
وإنّ زخارفَ الأيام بُطِّل^{٤٦}
معدّبة، وإنّ العيشَ غُلّ^{٤٧}
عليك ثناؤهم فرضُ ونَقْل^{٤٨}
فوقُوا بالعهودِ وما أخلّوا
وإن تستصرخ النّجّاتُ بُسْل^{٤٩}
سما فرعُ لهم واعتزّ أصل^{٥٠}
ففي الجنّاتِ للأبرارِ نُزْل^{٥١}
وينضّحه من الرّحماتِ وبُل^{٥٢}
وما أوفى إذا بذلَ المُقلّ!^{٥٣}

هوامش

- (١) أقاموا: نزلوا وحلو. استقلوا: مضوا وارتحلوا. حلوا: حيث نزلوا.
- (٢) النجائب: الإبل السريعة والمقصود بها مواكب الموتى.
- (٣) زوامل: الإبل الحاملة للطعام والمتاع. كواهلهن: عواتقهن وهو ما بين الكتفين.
- حمل: ثقل.
- (٤) عدت: جاوزت.
- (٥) بين: فراق. ثكل: فقدان.
- (٦) هوت: سقطت. أم الركائب: التي تتقدم الركب. ثقل: تحمل.
- (٧) شطت: جاوزت الحد. المشمعل: النشيط، المسرع.
- (٨) طفقت: جعلت. أمد: أنظر. طرقي: عيني. غص: امتلأ.
- (٩) شرف: علو، مكان عال. أطل: أنظر.
- (١٠) خبل: فساد.
- (١١) أصاخ: استمتع. نجد: ما ارتفع من الأرض. سهل: الأرض المنبسطة.

- (١٢) الغزالة: الشمس. غارت: ولت وغربت. ظل: المقصود غير حقيقي.
- (١٣) زمام: عهد، حرمة. خل: صديق.
- (١٤) نهل: مورد. عل: توقع. وأصله لعل.
- (١٥) غزل: غزل الخيط هو إبرامه. ونقض: ضد الغزل.
- (١٦) أنجع: أصح. يصحك: يشفيك. ما يعل: ما يصيبك بالعلة.
- (١٧) يرف: يرفرف. يخضئل: تكثر أغصانه وأوراقه. وفي هذا البيت وما بعده يصور الشاعر ذكريات له الأيمة بعد وفاة نجله البكر في أول مراحل الشباب (عام ١٩٣٥).
- (١٨) يلثمه: يقبله. طل: ندي.
- (١٩) حفيفه: صوته. نصرًا: حسنًا يافعًا مخضرًا. وريقًا: كثير الأوراق الخضراء الحسنة. حلي: ما تتحلى به المرأة. يصل: يصدر صوتًا عندما يحتك ببعضه.
- (٢٠) قده: قوامه.
- (٢١) ذراه: كنفه.
- (٢٢) نوء: ريح شديدة. أطاح: قذف به بعيدًا.
- (٢٣) نأى: بعد. يضمحل: يذهب ويضعف ويندثر.
- (٢٤) يبل: يبرأ. دام: ينزف دمًا.
- (٢٥) الثكالي: الحزاني على فقدهن أبنائهن. تحفز: تهيأ.
- (٢٦) تكل: تتعب. المعصرات: السحائب تعتمر بالمطر.
- (٢٧) غار: اختفى ودخل. نبيل: سهل.
- (٢٨) جزلاً: رصينًا. أذكى: أشعل. جزل: الحطب اليابس.
- (٢٩) خبن: سقوط أحد الأحرف، حذف الثاني الساكن في الشعر. خبل: حذف السين والفاء من مستقعلن في البسيط والرجز من بحور الشعر.
- (٣٠) نصل: حد السيف أو السكين والمقصود مشرط الجراح.
- (٣١) خير طفل: يريد به «إبراهيم» بن سيدنا محمد ﷺ لما توفي قال: «إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون».
- (٣٢) الحجا: العقل. شمل: ما اجتمع من أمره.
- (٣٣) يذل: يخضع. شمس القول: الألفاظ الفصيحة المنيرة كالشمس. طوعًا: منقادًا له. المدل: الذي يدل على المعنى.

- (٣٤) فصل: قاطع.
- (٣٥) ابن بحر: الجاحظ الكاتب العربي الشهير.
- (٣٦) يفل: يكسر. شبا: حد الشيء. المهند: السيف. لا يفل: لا يكسر.
- (٣٧) الردى: الموت. يدنو: يقترب. رويدًا: تمهلاً.
- (٣٨) واهن الخطوات: ضعيف المشي. دأل: مشي الضعيف من مرض أو كبر.
- (٣٩) أرزاء: مصائب. ثقل: ضد الخفة.
- (٤٠) هرعت: أسرع. يستهل: يبدأ في الهطول.
- (٤١) ختل: خداع.
- (٤٢) سبل: طرق.
- (٤٣) الأشجان: الأحزان.
- (٤٤) قوضت: كسرت وهدمت.
- (٤٥) غل: غش وحقد.
- (٤٦) بطل: كذب وباطل.
- (٤٧) غُلّ: ضيق، مقيد.
- (٤٨) فرض: فريضة واجبة. نفلُ: تطوع.
- (٤٩) تستصرخ: تستغيث. بسل: شجعان.
- (٥٠) سما: علا وارتفع. أصل: حسب ونسب.
- (٥١) نزل: مكان للإقامة الدائمة.
- (٥٢) الزاكي: ذو الرائحة الطيبة. ينضحه: يرشه. وبل: مطر شديد.
- (٥٣) مقل: يعد شعره قليلاً بالنسبة لما يستحق.

تَحِيَّةُ دَارِ الإِذَاعَةِ

احتفلت دار الإذاعة في شهر أبريل سنة ١٩٣٧م بانتهاء العام الثالث من إنشائها، ودعت لذلك نخبةً من رجال العلم والأدب في مصر؛ ليذيع كل منهم كلمة في هذا الصدد، فاخصها الشاعر بهذه القصيدة وأذاعها في هذه المناسبة.

وَحَلَلْتَ أَيَّ مَشَارِفٍ وَبِطَاحٍ!^١
الْقَاكَ بَيْنَ تَوَثُّبٍ وَجِمَاحٍ
وُخْطَاكَ مَائِلَةً بِكُلِّ مَرَاكِ^٢
وَتَفَوُّتُهُنَّ إِلَى مَدَى فَيَاحٍ^٣
نَسَرُّ إِلَى مَا رُزِمَتْهُ بِجَنَاحٍ^٤
وَيَكِلُ جُهْدَ الْأَجْرَدِ السَّبَّاحِ^٥
وَتَمُرُّ بَيْنَ الصَّلْدِ وَالصُّفَاحِ^٦
يَوْمًا، وَلَا مُسَّتْ يَدَاكَ بِرَاحٍ^٧
وَمِنَ السُّرُورِ تَمَائِلُ الْأَشْبَاحِ^٨
شَوْقًا إِلَيْكَ بَوَاسِقُ الْأَدْوَاكِ
تَسْقِي الْبِطَاحِ بِوَابِلِ سَحَاحٍ^٩
مِنْ نَسِجٍ مَنُثُورٍ وَوَشْيِ أَقَاكِ^{١٠}
مِنْ صَفْوَةِ الْمَازِي فِي الْأَقْدَاحِ^{١١}

سَارِي الْهَوَاءِ مَلَكْتَ أَيَّ جَنَاحٍ!
وَبِأَيِّ نَاجِيَةٍ أَقَمْتَ؟ فَإِنَّنِي
فِي كُلِّ مَغْدَى مِنْ دُيُوكَ مَسْحَبٍ
تَجْرِي فَتَنْتَظِمُ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى
لَا الْبَرْقُ يَسْرِي حَيْثُ سِرَتْ وَلَا رَمَى
يَكْبُو الظَّلِيمُ، وَأَيْنَ مِنْكَ عِدَاؤُهُ؟
تَمْضِي فَلَا تَقِفُ الْعَوَائِقُ حَائِلًا
دَانٍ وَمَا عَلَقْتَ بِشَخْصِكَ أَعْيُنُ
تَتَمَائِلُ الْأَشْبَاحُ إِنْ تَخْطُرُ بِهَا
وَتَهْزُ أَدْوَاكِ الرِّيَاضِ فَتَنْتَنِي
لَوْلَاكَ مَا صَبَّ الْغَمَامُ عَيْوَنُهُ
لَوْلَاكَ مَا زَهَتْ الرُّبَا بِمُرْقَشٍ
قَدَحُ الْحَيَاةِ. وَأَنْتَ أَعْلَى مَشْرَبًا

سِرْ يَا هَوَاءُ فَأَنْتَ أَوْطَأُ مَرْكَبٍ
وَاحْرِضْ عَلَى سِحْرِ الْبَيَانِ وَوَحْيِهِ
جَمَعْتَ مِنَ الزُّهْرِ النَّدِيِّ قَوَافِيَا
دُرَّرُ صَحَا حُ لَوْ تُقَاسُ بِشَبْهَهَا
مَا السَّيْفُ فِي كَفِّ الْمُفْرَعِ قَلْبُهُ
الشَّعْرُ مِنْ سِرِّ السَّمَاءِ فَهَمْسُهُ
كَمَلَتْ صِفَاتُ الرَّاحِ فِي نَشْوَاتِهِ
وَاهْتَفَ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الصَّدَاحِ^{١٢}
وَأَرْفُقْ بَأَيِّ فِي الْقَرِيضِ فَصَاحٍ
تَسْبِي النِّهْيِ بِعَبِيرِهَا الْفَوَاحِ
لَبَدَتْ دَرَارِي اللَّيْلِ غَيْرُ صَحَا^{١٣}
كَالسَّيْفِ فِي كَفِّ الْفَتَى الْجَحْجَاحِ^{١٤}
وَحْيِ النَّفُوسِ وَرَاحَةُ الْأَرْوَاحِ
وَنَجَا فَلَمْ يَوْصَمْ بِإِثْمِ الرَّاحِ^{١٥}

سِرْ يَا قَرِيضُ إِلَى الْعُرُوبَةِ مُسْرِعًا
وَأْمُرْجُ بِمِسْكِي الْأَثِيرِ تَحِيَّةً
شَحُّوا بِأَنْ تَلِدَ الْمَكَارِمُ غَيْرَهُمْ
جَعَلُوا مِنَ الْفُصْحَى وَمِنْ آيَاتِهَا
الضَّادُ تَجْمَعُهُمْ وَتَرَأْبُ صَدْعُهُمْ
دَارَ الْإِذَاعَةِ، لَا تَمَلِّي إِنْ بَنِي
حُبُّ الْعُرُوبَةِ قَدْ جَرَى بِمَفَاصِلِي
وَأَنْزِلْ بِأَفَاقِ بِهَا وَنَوَاحِي
لِعَشَائِرِ شَمِّ الْأَنْوَفِ سِمَاخِ^{١٦}
وَهُمْ عَلَى النِّجْدَاتِ غَيْرُ شَحَا
نَسَبًا مُضِيئًا كَالنَّهَارِ الضَّاحِي
سَيَّانِ فِي الْأَفْرَاحِ وَالْأَكْرَاحِ^{١٧}
أَطْلَقْتُ لِلْأَمَلِ الْبَعِيدِ سَرَاجِي^{١٨}
بِالرَّغْمِ مِنْ هَذِرِ الْحَدِيثِ مُلَاحِي^{١٩}

دَارَ الْإِذَاعَةِ، أَنْتِ بِنْتُ ثَلَاثَةِ
كَمْ فِيكَ لِلْقُرْآنِ رَنَّةٌ قَارِي
كَشَفْتَ عَنِ النَّفْسِ الْمُلُولِ جَابَهَا
الِدَيْنُ سَلَوَى النَّفْسِ فِي آلِمِهَا
أَوْدَعْتَهُ حَزَنِي فَلَمْ تَعْبَثْ بِهِ
دَارَ الْإِذَاعَةِ، كَمْ نَشَرْتَ ثَقَافَةً
كَمْ جَارَ صَوْتُكَ مِنْ بَحَارِ سُجَّرَتْ
أَصْبَحَتْ أَسْتَادَ الشُّعُوبِ وَكَافَحَتْ
وَمَلَأَتْ بِالْعِلْمِ الْبِلَادَ فَنُورُهُ
تَتَلَقَّفُ الدُّنْيَا حَدِيثُكَ مِثْلَمَا
مَرَّتْ كَوْمُضِ الْبَارِقِ اللَّمَّاحِ
تَحَلُّوْا لَدَى الْإِمْسَاءِ وَالْإِصْبَاحِ
فَتَوَجَّهْتَ لِلْخَالِقِ الْفَتَّاحِ
وَطَبَّبْتُهَا مِنْ أَدْمُعِ وَجَرَا
شَكْوَى وَلَا صَدَعَ الدَّجَى بَنَوا^{٢٠}
جَلَّتْ مَآثِرُهَا عَنِ الْإِفْصَاحِ!
وَقَدَافِدِ شُعْتِ الْفَجَاجِ فَسَاحِ!^{٢١}
نَجَوَاكِ جَيْشِ الْجَهْلِ أَيَّ كِفَاحِ^{٢٢}
فِي كُلِّ مُنْعَطَفٍ وَبُهْرَةٍ سَاحِ^{٢٣}
يَتَلَقَّفُ الْأَبْرَارُ وَحْيَ الْوَاحِي

دَارَ الإِذَاعَةِ، أَنْتِ أَمْرُحُ أَيَّكَةِ
صَاحَتْ بِلَابِلِكَ الْحِسَانُ فَأَخْمَلْتُ
مِنْ كُلِّ شَادِيَةٍ كَأَنَّ حَنِينَهَا
الْلَّيْلُ إِنْ نَادَتْهُ مَاسَ بَعِطْفِهِ
كَمْ فِيكَ مِنْ لَهْوٍ بِهِ رِيَّ النَّهْيِ
النَّفْسُ تَسْأَمُ إِنْ تَطَاوَلَ جِدُّهَا

صَدَحَتْ فَكَانَتْ أَيَّكَةِ الْأَفْرَاحِ
فِي الْجَوِّ صَوْتُ الْبُلْبُلِ الصِّيَاحِ
هَمْسُ الْمُنَى لِلْيَاسِ الْكَدَّاحِ
فَنَرَاهُ بَيْنَ الْمُنتَشِي وَالصَّاحِي
وَفُكَاهَةِ مَحْبُوبَةٍ وَمُزَاحٍ!^{٢٤}
فَاكْشِفْ سَامَةَ جِدِّهَا بِمُبَاحِ

رُزِمَ الشَّبَابُ، وَلِي مَلَامَةٌ نَاصِحِ
بِالْعِلْمِ «مَرْكُونِي» تَسْلَقُ لِلْعَلَا
رَجُلٌ عِصَامِي الْأَرْوَمَةِ لَمْ يَنْزَلْ
تَتَطَلَّعُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ وَتَمْتَطِي
إِنْ التَّفَاخُرَ بِالْقَدِيمِ تَعَلَّ
وَالْعِلْمُ مُصْبِحُ الْحَيَاةِ فَنَقَّبُوا
بِلِي السِّلَاحِ مَعَ الْقَدِيمِ وَعَهْدِهِ
الْيَوْمَ فِكْرَةٌ عَالِمٍ فِي مَصْنَعِ
وَتَصُدُّ كُلَّ كَتِيبَةٍ مَوَارَةٍ
أَمْضُوا الْجُهُودَ وَأَخْلِصُوا لِبِلَابِكُمْ
لَا يُرْتَجَى مِنْ أُمَّةٍ مَفْتُونَةٍ
خَوْضُوا الصَّعَابَ وَلَا تَمَلُّوا إِنَّمَا
قَدْ يَنْجِدُ اللَّجُّ الْغَرِيقَ بِقَذْفِهِ
الْعَهْدُ مِثْلُكُمْ جَدِيدٌ مُشْرِقٌ
وَمَلِيكُمْ مِثْلُ الشَّبَابِ مُجَمَّلٌ
يَتَفَاءَلُ النِّيلُ الْوَفِيُّ بِعَهْدِهِ
سَارَتْ مَحَامِدُهُ وَسَارَتْ خَلْفَهَا

لَوْ تَسْمَعُونَ نَصِيحَةَ النَّصَّاحِ!
وَبِعِزِّمَةِ الْوَثَابَةِ الطَّمَّاحِ!^{٢٥}
مَجْدًا «بِأَمُونٍ» وَلَا «بِفِتَاحِ»^{٢٦}
ذِكْرِي مَآثِرِهِ مُتَوْنِ رِيَّاحِ
وَالْجَهْلُ لِلْمَجْدِ الْمُؤَثِّلِ مَا حِي^{٢٧}
مَنْ قَبْلُ أَنْ تَثْبُتُوا عَنِ الْمُصْبَاحِ
وَالآنَ صَارَ الْعِلْمُ خَيْرَ سِلَاحِ^{٢٨}
تُغْنِي عَنِ الْأَسْيَافِ وَالْأَزْمَاحِ
خَضِرَاءَ تَفْذِفُ بِالْكُفَّةِ رَدَاحِ^{٢٩}
فِي الْجَهْدِ وَالْإِخْلَاصِ كُلُّ نَجَاحِ
بِاللَّهْوِ وَالتَّسْوِيفِ أَيُّ فَلَاحِ
نَيْلُ الْمُنَى بِالصَّبْرِ وَالْإِلْحَاحِ
حَيًّا فَيَلْقَى الْمَوْتَ فِي الضَّحْضَاحِ^{٣٠}
فَهَلُمَّ لِلْإِنْتِجَاحِ وَالْإِصْلَاحِ
بِخَلَائِقِ غُرِّ الْوُجُوهِ صَبَاحِ^{٣١}
وَبِيْمَنٍ طَلَعَةِ وَجْهِهِ الْوَضَاحِ
تَشْدُو بِسَابِغِ فَضْلِهِ أَمْدَاحِي

هوامش

- (١) الساري: السائر في الليل، ولما كان الهواء من الأجسام اللطيفة حسن وصفه بالسري، والمراد أن لطفه يخفيه كما يخفي الليل السائر فيه. المشارف: أعالي الأرض، واحدها مشرف. البطاح: جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى.
- (٢) المغدى: اسم مكان من الغد وهو السير في أول النهار. المسحب: مصدر ميمي من سحبه كمنعه، جره على وجه الأرض. المراح: اسم مكان من الرواح وهو السير في العشي. الرواح: الذهاب والرجوع.
- (٣) المدى: الغاية. فياح: عظيم الاتساع.
- (٤) يسري: يسير ليلاً. رمته: طلبته.
- (٥) يكلو: ينكب على وجهه. الظليم: الذكر من النعام يُضرب بسرعة عدوه المثل. العداء: العدو والجري. يكل: يُعيي ويعجز. الأجرد: الفرس السباق. السباح: الفرس السريع كأنما يسبح بيديه.
- (٦) العوائق: الموانع. الحائل: الحاجز. الصلد: الصلب الأملس من الحجارة. الصفاح: كرمان. ما كان منها عريضاً رقيقاً.
- (٧) دان: قريب. علقت: نشبت واستمسكت. الراح: جمع راحة وهي بطن الكف.
- (٨) الأشباح: جمع شبح وهو الشخص.
- (٩) في هذا البيت إشارة إلى معنى الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنُفِثُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾.
- (١٠) المرقش: المزخرف المزوق. الأقاحي: جمع أقحوان وهو البابونج من نبات الربيع له نور حوالية ورق أبيض ووسطه أصفر.
- (١١) صفوة الشيء: خالصه. الماذي: العسل الأبيض.
- (١٢) مركب وطيء: لين سهل ذلول. الصداح: الذي يرفع صوته بالغناء، ويريد بالشاعر بالطائر الصداح نفسه.
- (١٣) الدرر: جمع درة وهي اللؤلؤة العظيمة. دراري الليل: كواكبه المضيئة وأحدهما دُري.
- (١٤) المفزع: اسم مفعول من فزعت ففزع أي: خاف. الجحجاج: السيد الماجد الشريف الشجاع.
- (١٥) الراح: الخمر. النشوات: جمع نشوة وهي السكر. يوصم: يعاب. الإثم: الذنب.

(١٦) المسكي: نسبة إلى المسك وهو أفضل أنواع الطيب عند العرب. الأثير: مادة لطيفة جدًّا منتشرة في أنحاء الفضاء تنقل النور والحرارة الكهربائية والصوت. العشائر: جمع عشيرة وهي القبيلة. شم الأنوف: جمع أشم الأنف، صفة من الشمم وهو ارتفاع قسبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها، وذلك كناية عن الأنفة والترفع عن الدنيا، على أن الشمم من صفات العرب الخلقية. سماح: جمع سمح وهو الجواد المعطاء.

(١٧) يريد بالضاد لغة العرب. ترأب: تصلح وتجبر. الصدع: الشق. الأتراح: جمع ترح وهو ضد الفرح.

(١٨) السراح: الحرية.

(١٩) هذر كلامه: من باب فرح أي كثر في الخطأ والباطل. الملاحى: المنازع.

(٢٠) صدع: شق. الدجى: جمع دجية وهي الظلمة.

(٢١) جاز المكان: سلكه وسار فيه. سجرت: فجرت وامتلأت. الفدافد: جمع فدغد وهو الفلاة. شعث: جمع أشعث من الشعث وهو الانتشار والتفرق. الفجاج: جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين الجبلين. الفساح: جمع فسيح أي: متسع.

(٢٢) كافحت: واجهت وحاربت. النجوى: السر.

(٢٣) منعطف الوادي: حيث ينعطف أي: ينثني ويميل. البهرة: ما اتسع من الأرض. الساح: جمع ساحة وهي الناحية وفضاء بين دور الحي.

(٢٤) روى من الماء روى ورى أي: ارتوى. النهى: جمع نهية وهي العقل.

(٢٥) المركيز «ماركوني» عالم إيطالي اخترع بعبقريته أجهزة الإذاعة اللاسلكية، وطوق العالم كله بمأثرة خالدة ومنة من أجل المنن. توفي في يوليو سنة ١٩٣٧م، ودفن حيث ولد في «بولونيا» من بلاد إيطاليا في شمالها الشرقي.

(٢٦) العصامي: الشريف النفس المعتمد على همته في كسب المجد وبلوغ الأمل. الأرومة: الأصل. المجد: العز والشرف. و«أمون» و«فتاح» إلهان من آلهة قدماء المصريين.

(٢٧) التعلة: ما يتعلل به. المؤئل: الأصيل العظيم.

(٢٨) بلي الثوب: خلق وتمزق. العهد: الزمان.

(٢٩) مؤارة: سريعة مضطربة لكثرة عددها. خضراء: عظيمة كثرة السلاح. الكماة: جمع كمي وهو الشجاع المدجج أي: شاكى السلاح. الرдах: الكتيبة الثقيلة الجرارة.

(٣٠) ينجد: يعين. اللج: معظم الماء. الضحضاح: الماء اليسير القليل.

(٣١) الخلائق: جمع خليفة وهي الطبيعة والخلق. غر: جمع أغر وهو الأبيض. صباح: جمع صبيح وهو الجميل.

نقيب

نظم الشاعر هذه الأبيات بمناسبة انتخاب الدكتور علي إبراهيم نقيباً للأطباء عام ١٩٤٣م.

قالوا: «عليّ» غدا نقيباً	قلتُ: متى لم يكن نقيباً؟!
المسكُ مسكٌ، فإن تُبالغ	في وصفه لم تزد طيباً
لو اشتكى الدهر من سقام	لم يتخذ غيره طبيباً

وفاء صديق

بعث الشاعر بهذه القصيدة إلى صديقه الدكتور علي توفيق شوشة وكيل وزارة الصحة اعترافاً بفضلله في استئصال الأوبئة بمصر سنة ١٩٤٧م.

نَظَمْتُ لَأَلَىءَ الْفِرْدَوْسِ عَقْدَا
وسار مع النسيم نسيمٌ شعري
غلائله ترفُّ بكلِّ أرضٍ
تلقاه الخمائلُ ضاحكاتٍ
ويرقُمُ في الغديرِ سطورَ وَحْيٍ
وكم همست بِمسمعه غصونٌ
إذا ما الشعْرُ كان شعاعَ نورٍ
يشيبُ فيستردُّ صباهُ غَضًّا
طوى الدنيا فليس الوعرُ وعراً
إذا كفَّ الزمانُ رمت رماها
وإن بسمت له الدنيا سمعنا
تمنّتْ أَنْ يَكُونَ لها صداهُ
وأيّن لمثلها وترٌ مُرِنٌ
يغرّدُ للخلودِ بكلِّ أفقٍ
لمستُ جَنَاحَه رفقًا فوافي
له حبُّ القلوبِ فليس يطوى

ومن ذهب الأصيلِ وشيتُ بُرْدًا^١
فكان أرقُّ أذيالًا وأندى^٢
فتنشرُ حوله مسكًا ونَدًّا^٣
تهزُّ معاطفًا وتمدُّ خَدًّا^٤
وعاها الطيرُ حين شدا فأشدى^٥
فردّد همسها وَلَهَا ووجدًا^٦
أعار الشمسُ إشراقًا وخُلدا
وما أحلى الشبابِ المستردًّا^٧
لوثبته، وليس النجدُ نجدًا^٨
وإن جدّت به الأحداثُ جدًّا^٩
نشيّدًا يملأ الأطيّارَ حِقْدًا
فصعَرَ خَدّه ونأى وصدًّا^{١٠}
من الإلهامِ إحكامًا وشَدًّا؟^{١١}
وما عرفت له الآفاقُ حدًّا
وأغريتُ الودادَ به فودًّا^{١٢}
وماءُ المقلتينِ فليس يصدى^{١٣}

أَدَاعِبُهُ فَيَصْدَحُ عِبْقَرِيًّا
ضَنَنْتُ بِهِ فَلَمْ يَهْتَفْ بِعَمْرٍو
وَصُنْتُ لَهَا تَهَ عَنْ كُلِّ لَغْوٍ
تَلَثَّمُ بِالْإِبَاءِ فَعَاشَ حَرًّا
يَهْزُ حَمِيَّةَ الْفَتَيَانِ نَصَلًا
وَيُشْعِلُ فِي الْقُلُوبِ وَمِیْضَ نَارٍ
وَيَشْدُو بِالْمَرْوَةِ إِنْ تَرَأَتْ
تَلَقَّتْ حَوْلَهُ فَرَأَى (عَلِيًّا)
حَوَى هِمَمَ الرِّجَالِ فَكَانَ جَمْعًا
عَزِيْمَتُهُ تَرْدُ الْغِمْدَ سِيفًا
يُحِبُّ دَمَائَةً وَيُهَابَ خَوْفًا
وَفَاءً لَوْ تَقَسَّمُ فِي اللَّيَالِي
وَعِلْمٌ يَمْلَأُ الْآفَاقَ نَوْرًا
وَصَوْلَةٌ حَازِمٌ مَا حَادَ يَوْمًا
وَفَكْرٌ يَلْمَحُ الْأَقْدَارَ حَتَّى
وَوَجْهُ مَشْرِقِ الْقَسَمَاتِ سَمَحُ
رَأَاهُ الصَّبْحُ مِنْهُ فَزَادَ حُسْنًا
دَنَا كَالشَّمْسِ حِينَ دَنَتْ شِعَاعًا
فَلَمْ نَعْرِفْ لَهُ فِي الْفَضْلِ قَبْلًا
فَتَى مَصْرٍ وَهَلْ تَلْقَى بِمَصْرٍ
تَدَارِكُ مَصْرَ (وَالْمَيْكُرُوبِ) يَطْعَى
طَوَى آجَالِ أَهْلِهَا هَبَاءً
فَشَدَّ عَلَيْهِ مَقْدَامًا جَرِيئًا
تَحْدَاهُ وَصَالَ وَلَوْ سِوَاهُ
فَطَهَّرَ أَرْضَهَا وَحَمَى جِمَاهَا
تَطِيرُ بِهَا الْبَعُوضَةُ وَهِيَ تَدْرِي
وَيَمْشِي الْقَمَلُ (وَالْدِي دِي) رَصِيدُ

فَتَمْتَدَّ الرِّقَابُ إِلَيْهِ مَدًّا
وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ بَسَمَاتُ سَعْدَى^{١٤}
لَهُ خَدُّ الْفَتَى الْعَرَبِيِّ يَنْدَى^{١٥}
وَلَوْ عَرَفَ الرِّيَاءَ لَمَاتَ عَبْدًا
وَيَحْشُدُ رَابِضَ الْعِزْمَاتِ جُنْدًا
كَنِيرَانِ «الْكَلِيمِ» هُدَى وَرَشْدًا^{١٦}
وَبِالصَّنْعِ الْجَمِيلِ إِذَا تَبَدَّى
وَلَمْ يَبْصُرْ لَهُ فِي الطَّبِّ نَدًّا
وَأَفْرَدَ بِالنَّبُوغِ فَكَانَ فَرْدًا
وَحَكْمَتُهُ تَرْدُ السِّيفَ غَمْدًا
كَغَمْرِ السَّيْلِ خِيفَ وَطَابَ وَرْدًا^{١٧}
لَمَّا نَقَضْتَ لِرَاجِيهِنَ عَهْدًا
وَذِكْرُ يَمْلَأُ الْأَيَّامَ حَمْدًا
عَنِ الْقَصْدِ السَّوِيِّ وَلَا اسْتِبْدَا
يَكَادُ يَرُدُّهَا لِلْغَيْبِ رَدًّا
يَفِيضُ بِشَاشَةٍ وَيَلُوحُ سَعْدًا
وَعَارَ الْبَدْرِ مِنْهُ فَزَادَ سُهْدًا
وَحَلَّقَ مِثْلَهَا فِي الْأَفْقِ بَعْدًا
وَلَمْ نَعْرِفْ لَهُ فِي النُّبْلِ بَعْدًا
فَتَى أَمْضَى وَأَوْرَى مِنْهُ زَنْدًا؟^{١٨}
وَيَنْفُتُ سَمَّهُ وَيُوْدُّ أَدًّا^{١٩}
وَيَبْدُدُ نَسْلَهَا فَتَكَا وَوَأْدًا^{٢٠}
كَمَا هَيَّجَتْ يَوْمَ الرُّوعِ أَسْدًا
أَرَادَ لَمَّا اسْتَطَاعَ وَلَا تَحَدَّى
وَصَانَ شَبَابَهَا وَهَدَى وَأَهْدَى
بِأَنَّ رَاءَهَا لِلْمَوْتِ حَشْدًا
يُصَوِّبُ خَلْفَهُ السَّهْمَ الْأَسْدَا^{٢١}

وما طَنَّ الذبابِ سوى نُواحٍ
إذا الحشراتُ في مصرٍ تصدَّتْ
أننسى (الجامبيا) والموتُ فيها
وكاد اليأسُ يُوهِنُ كلَّ عزمٍ
فخضتْ غِمَارُهَا صَمَدًا هَمَامًا
وأنقذتْ الكِنانةَ مِنْ فناءٍ
نُحيي المرءَ إن نَجَّى حياةً
فَعش للطبِّ والفُصحى إِمَامًا
مدحتُك كي أُشيدَ بمجدِ مصرٍ
وليس ينالُ شَاوُكُ وصفُ شعري
ومن أحصى مآثرَك الغوالي
وقد حصدته أيدي العلم حصداً
مُنَاجِزَةً، فأنت لها تصدَّى
يزمجرُ، والقلوبُ تذوبُ كَمُدا؟^{٢٢}
ومصرُ تصارعُ الخصمَ الألدَّ^{٢٣}
ورُعت بها جيوش الموت جُلداً^{٢٤}
وكنْتَ لقومك الركنَ الأشداً
فكيف إذا نجا الوطنُ المفدَّى؟
وكن لكليهما عَضْداً ورَندا^{٢٥}
وأرسمَ للشبابِ النهجَ قَصْداً^{٢٦}
ولو أفنيتُ عمرَ الشعرِ كدّاً^{٢٧}
فقد أحصى نجومَ الليلِ عدّاً

هوامش

(١) لآلئ الفردوس: درر من الجنة. ذهب الأصيل: المقصود لون الذهب في حمرة مثل لون الشمس في السماء فيما بين العصر والمغرب. وشيت: نسجت. برداً: كساء تلبسه العرب.

(٢) أرق أذياًلاً: أحسن أطرافاً. أندى: أسخى.

(٣) غلائله: الأثواب الشفافة. ترف: تتحرك. ندّاً: الطيب.

(٤) معاطفاً: جوانباً.

(٥) يرقم: يكتب. وعاما: حفظها. أشدى: أجاد الشدو.

(٦) ولهاً: شدة الوجد. وجدا: الحب والهيام.

(٧) غصّاً: طريّاً.

(٨) الوعر: جبل ويقال للشيء الصعب. النجد: ما ارتفع من الأرض.

(٩) جدت به الأحداث: عظمت به الأمور. جدا: عظم واجتهد.

(١٠) صعر خده: اسكتبر واستعظم. نأى: بعد. صدا: أعرض.

(١١) وتر: هو وتر العود. مرن: له صوت رنان.

(١٢) وافي: أعطى. ودا: أحب.

- (١٣) حب القلوب: سويداؤه وثمرته. يطوي: يجوع. المقلتين: العينين؛ لأن المقلة هي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد. يصدى: يعطش.
- (١٤) عمرو وسعدى: أسماء عربية. يقصد أنه ضن بشعره أن ينزلق إلى قصص الغرام وحديث الغزل.
- (١٥) لهاته: اللهاة هي الزائدة اللحمية في سقف الحلق والمقصود حديثه وقوله وشعره. يندى: يبتل. المقصود من العرق خجلًا.
- (١٦) الكليم: سيدنا موسى — عليه السلام — لأنه هو الرسول الذي تكلم الله معه.
- (١٧) كغمر السيل: كماء السيل الكثير. خيف: خيف منه. وردًا: منهلاً للماء.
- (١٨) أورى: يقال: أورى زنده أي: زاد وقوي. زندا: طرف الذراع حتى الكف.
- (١٩) يؤد: يقطع ويميت.
- (٢٠) طوى آجال: قضى على أعمار الناس. وأدا: دفن الحي.
- (٢١) الدي دي: هي مادة ال (د. د. ت) التي تقتل الحشرات برشها في الأماكن الموبوءة.
- (٢٢) الجامبيا: يقصد بعوض الجامبيا وقد اجتاحت جنوب مصر حينئذٍ في وباء شديد إذ تنقل مرض الملاريا الخبيثة، كمداً: حزناً مكتوماً.
- (٢٣) الألدا: شديد الخصومة.
- (٢٤) صمدا: سيدًا همامًا صامدًا. رعت: أخفت. جلدًا: صلبًا قويًا.
- (٢٥) عضدًا: الساعد. زندا: هو موصل طرف الذراع من الكتف والمقصود عونًا قويًا للطب واللغة العربية.
- (٢٦) النهج: الطريق.
- (٢٧) شأوك: مكانتك. كدًا: تعبًا.

رَشِيدُ تَحْيِي الفَارُوق

نظم الشاعر هذه القصيدة في شهر نوفمبر سنة ١٩٣٦ م يحيي فيها الملك فاروق حينما زار مدينة رشيد بلد الشاعر بالمرور عليها بسفينته.

وَأَمْلَأُ مَدَاهَا شَبَابًا	أَغْدِقُ عَلَيْهَا سَحَابًا
لِلْخَيْرِ بَابًا فَبَابًا	وَأَفْتَحُ عَلَى النَّاسِ فِيهَا
تَبْرًا وَكَانَتْ تُرَابًا	جُزْتَ الطَّرِيقَ فَصَارَتْ
وَالسَّعْدُ يَشْدُو إِيَابًا	الْيُمْنُ يَحْدُو ذَهَابًا
تَشَوُّقًا وَاجْتِدَابًا	وَالنَّخْلُ مَاسَتْ وَمَالَتْ
كَادَتْ تُجَارِي الرِّكَابًا	قَدْ هَزَّهَا الشَّوْقُ حَتَّى

* * *

بَيْنَ الرِّبَا وَمَلَابَا ^١	وَالزَّهْرُ يَنْضَحُ عِطْرًا
أَنْسَى الْمُحِبَّ الْعُتَابَا	لَهُ ابْتِسَامُ حَبِيبٍ
مَنْ الْكِمَامِ نِقَابَا	يَزْنُو فَيَرْجِي حَيَاءً
عَمَّ الْقُرَى وَالرَّحَابَا	رَأَى شَبَابًا وَضِيئًا
كَالْمُسْكِ طَابَتْ وَطَابَا ^٢	رَأَى خَلَائِقَ زُهْرًا

* * *

مَاذَا أَصَابَ الْهَضَابَا ^٣	تَطَامَنَتْ هَضَبَاتُ
وَالْيَوْمَ تَحْنِي الرِّقَابَا	كَانَتْ تُسَامِي الثَّرِيَا

رَأَتْ جَلَالًا مَهِيْبًا فَمَا وَنَتْ أَنْ تَهَابَا
وَهَالَهَا مِنْكَ عَزْمٌ لَوْ لَامَسَ الصَّخْرَ ذَابَا

* * *

وَالْبَحْرُ يَذْنُو وَيَعْلُو تَطَلُّعًا وَارْتِقَابًا
لَمَّا تَلَقَّاكَ قُلْنَا: لَأَقَى الْعُجْبَابُ الْعُجَابَا
«فَارُوقُ» أَغْظَمَ نَفْسًا مِنْهُ وَأَسْخَى جَنَابَا^٥
يَزْجِي السَّحَابَ ثِقَالًا وَأَنْتَ تُزْجِي الرِّغَابَا^٦

* * *

وَالنَّيْلُ يَنْسَابُ تَيْهًا بَيْنَ الْمُرُوجِ انْسِيَابَا
كَالْخَوْدِ ضَمَّتْ ثِيَابَا عُجْبًا وَأَرْخَتْ ثِيَابَا^٧
صَفَا لُجَيْنًا نَقِيًّا وَمَا جَ تَبَرًّا مُذَابَا^٨
الْقَى الدَّرَاهِمَ بُشْرَى بِكُمْ فَكَانَتْ حَبَابَا^٩
تَوَثَّبَ الْمَوْجُ فِيهِ لِنَظْرَةٍ ثُمَّ ثَابَا^{١٠}
جَرَى ذُلُولًا بِمَلِكٍ ماضٍ أَذَلَّ الصَّعَابَا
إِذَا رَأَى كَانَ حَقًّا أَوْ قَالَ كَانَ صَوَابَا

* * *

وَالنَّاسُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ تَهْوِي إِلَيْكَ انْصِبَابَا
جَاءُوا شُعُوبًا شُعُوبًا حَتَّى أَسَالُوا الشَّعَابَا^{١١}
يَرْجُونَ مِنْكَ دُنُوءًا فَيَرْجِعُونَ اهْتِيَابَا^{١٢}
وَالشَّمْسُ أَعْلَى مَكَانًا مِنْ أَنْ تُنَالَ اقْتِرَابَا
لَهُمُ دُعَاءُ أَمَاطَتْ لَهُ السَّمَاءُ الْحِجَابَا^{١٣}
إِنْ تَلَقَّاهُمْ تَلَقَّ مَوْجًا إِنْ قَارَبَ الشَّطَّ آبَا^{١٤}
تَلْقَى عَجِيْجًا وَشَوْقًا وَرَفْرَفَةً وَاصْطِخَابَا^{١٥}
قُلُوبُهُمْ فِي يَدَيْهِمْ تُهْدِي إِلَيْكَ احْتِسَابَا^{١٦}
وَحُبُّهُمْ فِي وُجُوهِ فَاقْرَأْ فِيهَا كِتَابَا

لَاخَ السَّفِينِ فَهَامَتْ	«رَشِيدُ» تَعْدُو وَثَابَا
وَأَقْبَلَتْ وَهِيَ تَرْنُو	مَاذِنَا وَقَبَابَا
تَوْدُ خَوْضًا إِلَيْهِ	لَوْ اسْتَطَاعَتْ ذَهَابَا
وَالشَّوْقُ إِنَّ غَالَ نَفْسًا	لَا تَسْتَطِيعُ غِلَابَا ^{١٧}
أَعْلَامُهَا خَافِقَاتُ	كَمَا هَزَزَتْ الْقَضَابَا ^{١٨}
قَدْ زَارَهَا مِنْكَ غَيْثُ	فَانْهَلَّ فِيهَا انْسِكَابَا
وَلُحَّتْ فِيهَا فَصَارَتْ	خِصْبًا وَكَانَتْ يَبَابَا ^{١٩}
اللَّهُ أَكْبَرُ عَادَتْ	بَعْدَ الْمَشِيبِ كَعَابَا! ^{٢٠}
إِنْ سُوِّلَتْ عَنْ سَنِهَا	قَالَتْ: نَسِيتُ الْحَسَابَا
فِيهَا نُهَى ثَاقِبَاتُ	كَمَا أَضَاءَتْ الثَّقَابَا
كَالتَبْرِ غَطَّاهُ تَرْبُ	وَالدَّرُّ فِي الْبَحْرِ غَابَا
كَمْ عَامِرَاتٍ عُقُولُ	تَأْوِي الدِّيَارُ الْخَرَابَا!
صَجِبْتُ فِيهَا شَبَابِي	فَمَا ذَمَمْتُ الصَّحَابَا
سَقِيًّا لِمَلْعَبِ أَنْسِ	شَابَ الزَّمَانُ وَشَابَا!
إِنْ يَجْرُ فِي الْوَهْمِ يَوْمًا	جَرْتُ دُمُوعِي اكْتِنَابَا
مَنْ غَاضَ مَاءُ صِبَاهُ	رَأَى الْحَيَاةَ سَرَابَا
أَبُوكَ رَاشَ جَنَاحِي	حَتَّى لَمَسْتُ السَّحَابَا ^{٢١}
وَكَانَ يُصْغِي لِشُعْرِي	وَكَانَ شُعْرِي عُجَابَا

* * *

«رَشِيدُ» لَاقَتْ رَشِيدًا	شَهْمًا مُجِيبًا مُجَابَا
سَوَاهُ مَوْلَاهُ نُورًا	صِرْفًا، وَمَجْدًا لُبَابَا
نَالَتْ بِيَمْنِ سَنَاهُ	مِصْرُ الْمُنَى وَالطَّلَابَا

هوامش

- (١) الربا: جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض. الملب: نوع من الطيب، أو هو الزعفران.
- (٢) الخلائق: جمع خليفة وهي الطبيعة والخلق. زهر: جمع زهراء أي: صافية خالصة غراء. المسك: أفضل أنواع الطيب عند العرب. طاب: جمل وحسن.
- (٣) تطامنت: انخفضت.
- (٤) تسامى: تفاخر وتبارى في السمو. الثريا: اسم لنجوم كثيرة متقاربة يضرب المثل بها في الرفعة والعلو.
- (٥) الجنب: الناحية.
- (٦) يزجي: يسوق سوقاً رقيقاً. ثقال: جمع ثقيلة. الرغاب: جمع رغبة.
- (٧) الخود: المرأة الحسنة الخلق الشابة الناعمة. العجب: الكبر والفخر.
- (٨) اللجين: الفضة. ماج: اضطربت أمواجه. التبر: ما كان من الذهب غير مضروب ولا مصوغ.
- (٩) الحباب: فقاقيع الماء التي تطفو كأنها الدراهم.
- (١٠) ثاب: رجع.
- (١١) الشعوب: جمع شعب وهو القبيلة العظيمة. الشعاب: جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق.
- (١٢) الدنو: القرب. الاهتياب، مصدر اهتابه بمعنى هابه أي: أجله وعظمه.
- (١٣) أماطت: كشفت.
- (١٤) الشط: جانب النهر. آب: رجع.
- (١٥) العجيج: رفع الصوت مصدر عج يعج من باب ضرب. الزفرة: التنفس الطويل الممدود، الاصطخاب: الجلبة والأصوات المختلطة، والعجيج والزفرة والاصطخاب كلها من مظاهر الزحام.
- (١٦) الاحتساب: مصدر احتسب الأجر على الله أي: ادخره عنده لا يرجو ثواب الدنيا.
- (١٧) غاله: أخذه من حيث لم يدر والمراد استولى وسيطر. الغلاب: المغالبة مصدر غالبه.
- (١٨) الأعلام: جمع علم وهو الراية. خافقات: مهتزة. القضاب: السيف القطاع.

رَشِيدُ تَحْيِي الْفَارُوقِ

(١٩) اليباب: الخراب.

(٢٠) الكعاب: الجارية نهد ثدياها.

(٢١) راشه: جعل فيه الريش.

إلى روح داود بركات

جزع الشاعر أشد الجزع لموت صديقه الأستاذ داود بركات، رئيس تحرير جريدة الأهرام،
فرثاه بهذه القصيدة سنة ١٩٣٣م:

فَهَلْ أَجْدَى بُكَائُكَ أَوْ بُكَائِي؟
فَأَحْوَجَكَ الشِّفَاءُ إِلَى شِفَاءٍ
أَرَادَ الْبُرْءَ مِنْ دَاءٍ بَدَاءٍ^١
لَوْرِدِ الْمَوْتِ كَالْهِيمِ الظَّمَاءِ^٢
أَقْلَبُ طَرْفَ عَيْنِي فِي السَّمَاءِ
فَهَلْ نَدْبٌ يَخْفُ إِلَى رِثَائِي؟^٣
طَوَتْ أَمَالَهَا طَيِّ الرَّدَاءِ
وَلِلْبَاكِينَ رَنَاتُ الْحُدَاءِ^٤
وَعَابُوا فِي الْوَهَادِ دُجَى مَسَاءٍ^٥
وَأَضْغَى لِلنَّوَادِبِ مِنْ وَرَائِي
يَهْوُلُ وَمَا لَمْسْتُ سِوَى هَبَاءِ
وَعَادَ إِلَيَّ مَكْدُودًا نِدَائِي
لِقَاءٍ لَمْ نَجِدْ غَيْرَ الْفَنَاءِ
وَلَمْ تُلَقِ التَّمَائِمُ عَنْ دُكَّاءِ^٦
وَفِيهَا يَلْتَقِي دَانَ بِنَاءِ^٧
فَأَسْرَعُ مَا يُفَاجَأُ بِالشِّتَاءِ

ظَنَنْتَ الدَّمْعَ يُسْعِدُ بِالْعَزَاءِ
وَقُلْتَ: بِأَنَّهُ الْمَحْزُونُ أَشْفَى
وَمَنْ يَغْسِلُ بِأَدْمُعِهِ جَوَاهُ
بِنَفْسِي الرَّاحِلِينَ مَضَوْا سِرَاعًا
تَوَلَّى عَهْدَهُمْ وَبَقِيْتُ وَحْدِي
رَتَيْتُهُمْ فَأَدْمَى الْحُزْنُ قَلْبِي
وَكَمْ حَيٍّ يَعِيشُ بِنَفْسٍ مَيَّتِ
مَضَتْ بِهِمُ النَّجَائِبُ مُضْعِدَاتِ
تَجَلَّوْا فِي النَّجَادِ ضَحَى صَبَاحِ
وَقَفْتُ أَرْوْدُ النَّظَرَاتِ مِنْهُمْ
فَلَمْ أَرِ إِذْ نَظَرْتُ سِوَى جَلالِ
وَبَادَيْتُ الصَّحَابَ فَبَحَّ صَوْتِي
تَفَرَّقْنَا الْحَيَاةَ فَإِنْ أَرَدْنَا
طَرِيقَ عُبْدَتٍ مِنْ قَبْلِ نُوحِ
بِهَا الْأَضْدَاءُ تَجْمَعُ فِي صَعِيدِ
إِذَا لَبَسَ الرِّبِيعَ شَبَابُ قَوْمِ

وَكُلُّ نَضِيرَةٍ فَإِلَى ذُبُولٍ وَكُلُّ مُضِيئَةٍ فَإِلَى انْطِفَاءٍ
وَهَلْ تَهْوِي ثِمَارُ الرُّوضِ إِلَّا إِذَا أَدْرَكْنَ غَايَاتِ النَّمَاءِ

* * *

أَيَا «دَاوُدَ» وَالذَّكْرَى بَقَاءً ظَفِرْتَ بِكُلِّ أَسْبَابِ الْبَقَاءِ
نَعَاكَ لِي النُّعَاةُ فَقُلْتُ: مَيَّنْ وَكَمْ يَأْسُ تَشَبَّثَ بِالرَّجَاءِ
نُمَارِي كُلَّمَا فَدَحَتْ خُطُوبُ فَتَرْتَاخُ النُّفُوسُ إِلَى الْمِرَاءِ^٨
مَلَكْتَ يِرَاعَةً وَمَلَكْتَ قَلْبًا فَكَانَا سَلَمَيْنِ إِلَى الْعَلَاءِ^٩
شِبَابَةٌ شَقَّهَا الْبَارِي فَشَقَّتْ طَرِيقًا لِلْمَجَادَةِ وَالسَّرَاءِ^{١٠}
إِذَا مَا أُشْرَعَتْ فِي الْخَطِّ مَالَتْ رِمَاحُ الْخَطِّ مِيلَةً الْأَزْدِيَاءِ^{١١}
وَإِنْ هِيَ جُرِدَتْ لِمَضَاءٍ عَزَمَ تَوَارَى السَّيْفُ مِنْ هَوْلِ الْمَضَاءِ
وَإِنْ هِيَ لَامَسَتْ يَدَهُ أَضَاءَتْ فَهَلْ أَبْصَرْتَ فِعْلَ الْكُهْرَبَاءِ
كَأَنَّ لُعَابَهَا قَطْعُ اللَّيَالِي تَنْفَسُ عَنْ تَبَاشِيرِ الضِّيَاءِ^{١٢}
كَأَنَّ النَّقْسَ فَوْقَ الطَّرْسِ غَيْثٌ أَعَارَ الْأَرْضَ ثَوْبًا مِنْ رُوءِ^{١٣}
بَيَانُكَ وَاضِحَ الْقَسَمَاتِ صَافٍ يَكَادُ يُشْعُ مِنْ فَرْطِ الصَّفَاءِ
يَكَادُ يَسِيلُ فِي الْقِرْطَاسِ لُطْفًا فَتَحْبِسُهُ عَلَامَةُ الْإِنْتِهَاءِ^{١٤}
بَيَانٌ لَوْ صَدَعَتْ بِهِ اللَّيَالِي رَأَيْتَ الصَّبْحَ مِنْهَا فِي الْعِشَاءِ^{١٥}
لَهُ نُورٌ يَكَادُ يَسِيرُ فِيهِ «رَهِيْنُ الْمَحْبِسِينَ» بِلَا عَنَاءِ^{١٦}
لَهُ النَّبْرَاتُ نَدْعُوهَا غِنَاءً فَتَتَابَى أَنْ تُعَدَّ مِنَ الْغِنَاءِ
سُلَافٌ تَنْهَلُ الْأَرْوَاحُ مِنْهُ وَتَحْمِلُهُ السُّقَاةُ بِلَا إِنْءِ^{١٧}
وَرَوْضَاتُ حَلَتْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَأَغْرَتْ بِالْأَزَاهِرِ كُلَّ رَائِي
طَلَبْنِ إِلَى الْعِمَامِ كِسَاءَ حُسْنٍ فَكَلَّفَ قَطْرَهُ وَشَى الْكِسَاءِ
تُرِيكَ عَجَائِبَ الْأَلْوَانِ شَتَّى كَمَا عَكَسَتْ أَشْعَتَهَا الْمَرَائِي^{١٨}
أَوْ الْعُذْرَاءَ حِينَ رَأَتْ غَرِيبًا فَلَتَمَّتِ الْمَلَاخَةَ بِالْحَيَاءِ

* * *

بَنِي لُبْنَانَ خَطْبُكُمْ جَلِيلٌ دَعُونَا نَقْتَسِمُهُ عَلَى السَّوَاءِ
مَضَى شَيْخُ الصَّحَافَةِ أَرْحِيًّا مُبِيدُ الْوَفْرِ جَمَاعِ الثَّنَاءِ^{١٩}

خَلَالَ كُلِّهَا أَنْفَاسُ رَوْضٍ وَنَفْسٌ كُلُّهَا قَطَرَاتُ مَاءٍ
نُعْزِي فِيهِ لُبْنَانًا وَنَبْكِ فَمَنْ أَوْلَى وَأَجْدَرُ بِالْعَزَاءِ؟
مُصَابِكُمْ - وَقَدْ أَدْمَى - مُصَابِي وَرَزُّ الْعَبْقَرِيَّةِ وَالذِّكَا
لَهُ اهْتَزَّتْ بَوَاسِقُ نَخْلٍ مِصْرٍ وَهَالَ الْأَزَرْ إِرْجَافُ الْفَضَاءِ ٢٠
بَنِي الْقَطْرِ الشَّقِيقِ لَنَا صَلَاتٌ كَرِيمَاتٌ عُقْدَنَ عَلَى الْوَفَاءِ
بَنُو أَعْمَامِنَا أَنْتُمْ وَفِيكُمْ جَفَاطٌ لِلْمَوَدَّةِ وَالْإِخَاءِ
وَفِي الْفُصْحَى لَنَا نَسَبٌ كَرِيمٌ كَقُرْصِ الشَّمْسِ شَمَاخُ السَّنَاءِ ٢١
أَعَدْنَاهَا نِزَارِيَّةً عَرُوبًا لَهَا حُسْنُ التِّفَافِ وَأَنْثْنَاءِ ٢٢
إِذَا خَطَرَتْ بِنَادِي الْقَوْمِ حَلُوهَا مِنَ الْإِكْبَارِ مَعْقُودَ الْخُبَاءِ ٢٣
تَجَاوَزْنَا بِهَا أَطْلَالَ سُعْدَى وَبَدَّلْنَا الْمَقَاصِرَ بِالْخِبَاءِ ٢٤
وَجِئْنَا بِالْعُجَابِ يُخَالُ سِحْرًا وَكُلُّ السَّحَرِ مِنْ أَلْفِ وَبَاءِ
وَكَاثَتْ قَبْلَ نَهَضَتِنَا نُحَاسًا وَكُنَّا سَادَةً فِي الْكِيمِيَاءِ ٢٥
قَضَى دَاوُدُ فَلْأَقْلَامَ حُسْرَى نَوَاكِسَ خَاشِعَاتٍ لِلْقَضَاءِ
هِيَ الْأَيَّامُ تَهْدِمُ مَا بَنَتْهُ فَمَاذَا يَبْتَغِينَ مِنَ الْبِنَاءِ؟
حَيَاةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا هَبَاءٌ وَأَمَالُ الْمُؤْمِلِ مِنْ هَوَاءِ
وَمَا لِلْجَازِعِينَ سِوَى اضْطِبَارٍ وَمَا لِلْسَّاخِطِينَ سِوَى الرِّضَاءِ

هوامش

(١) الجوى: الحزن.

(٢) المراد بالورد هنا المورد وهو مأتى الماء وموضع وروده، الهيم: الإبل العطاش،
الظماء: العطاش أو الشديدة العطش.

(٣) الندب: الخفيف في الحاجة.

(٤) النجائب: عتاق الإبل وكرامها التي يسابق عليها، ومفردها نجيب أو نجيبة.
مصعدات: ماضيات من أصدع في الأرض بمعنى مضى، وفي الوادي بمعنى انحدر. الرنات:
جمع رنة وهي الصوت. الحداء: سوق الإبل والغناء لها.

(٥) تجلوا: تكشفوا وظهروا. النجاد: جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض. الضحى: حين تشرق الشمس ويمتد النهار. الوهاد: جمع وهدة وهي الأرض المنخفضة. الدجى: جمع دجية وهي الظلمة.

(٦) عبت: ذلت ومهدت. التمام: جمع تميمة وهي عوذة أو خرزة تعلق على المولود، نكاء: الشمس.

(٧) الأضداد: المختلفون. الصعيد: وجه الأرض، الداني: القريب. النائي: البعيد.

(٨) ماراه يماريه مرء: جادله وطعن في قوله تزييفاً للقول. فدحت: بهظت وثقلت واشتدت.

(٩) اليراعة: القسبة، والمراد بها القلم وهذا كناية عن أنه كاتب أديب بارع.

(١٠) الشبابة: حد كل شيء والمراد بها هنا طرف القلم وسنه أي: موضع البري منه، وسن القلم مشقوقة عادة. والبارئ، الخالق — عز وجل — اسم فاعل من براه الله من باب عدا أو من برأه من باب قطع، وقد تكون من البريء مصدر برى القلم من باب رمى، ففي هذه الكلمة تورية. المجادة: الشرف والكرم مصدر مجد ككرم. السراء: المروءة والشرف.

(١١) أشرعت: أميلت للكتابة من أشرعت الرماح أي سددت عند إرادة الطعن. والخط الأولى معناها الكتابة. والخط الثانية مرفأ للسفن بالبحرين على خليج فارس شرقي جزيرة العرب تنسب إليه الرماح؛ لأنها تباع فيه. الازدهاء: التيه والفخر.

(١٢) كنى بلعاب الشبابة أو البراعة عن المداد وهو الحبر الذي يكتب به. القطع: ظلمة آخر الليل. وتنفس أصلها تتنفس أي: تتبلج وتشرق، تباشير الصباح: أوائله.

(١٣) النقس: المداد الذي يكتب به. الطرس: الصحيفة. الغيث: المطر. أعار: أعطى على سبيل العارية وهي الثوب ونحوه يستعيره الإنسان من غيره على أن يرده. الرواء: حسن المنظر.

(١٤) القرطاس مثلثة القاف: ورق الكتابة.

(١٥) صدعه كمنعه: شقه.

(١٦) رهين المحبس: هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي الشاعر الفيلسوف الزاهد، كف بصره وهو في الثالثة من عمره فقضى أكثر حياته مقيماً في منزله، وسمى نفسه رهين المحبسين: محبس العمى ومحبس المنزل.

(١٧) السلاف: الخمر.

- (١٨) المرائي: جمع مرأة.
- (١٩) أريحي: واسع الخلق يرتاح للندى. مبيد: مهلك مضيع. الوفر: المال الكثير.
- (٢٠) بواسق: جمع باسقة أي: طويلة مرتفعة. هال: أخاف وأفزع. والأرض شجر الصنوبر الذي يمتاز لبنان به كما تمتاز مصر بكثرة نخيلها. والأرجاف مصدر أرجفت الأرض أي: زلزلت.
- (٢١) شماخ: عظيم الارتفاع وهي صيغة مبالغة من شمش الجبل ونحوه أي: علا وارتفع. السناء: الرفعة.
- (٢٢) نزارية: بتخفيف ياء النسب لضرورة الشعر نسبة إلى نزار بن معد بن عدنان جد العرب المستعربة وجد القبائل العدنانية وفيها كان الشعر والفصاحة. العروب: المرأة الضحاكة المتحبة إلى زوجها.
- (٢٣) حل معقود الحباء: كناية عن القيام.
- (٢٤) سعدى: علم على بعض النساء اللاتي تغزل بهن بعض شعراء الجاهلية ووقفوا بآثارهن وبكوا أطلالهن. المقاصر: جمع مقصورة وهي الدار الواسعة المحصنة، الخباء: بيت صغير يكون من وبر أو صوف ويرفع على عمودين أو ثلاثة.
- (٢٥) يقول: إن اللغة العربية كانت قبل نهضتنا الحاضرة في قيمة النحاس لكثرة ما اعتورها من عوامل الضعف والتأخر، وكنا نحن سادة فائقين في علم الكيمياء فجعلنا منها معدناً غالباً ثميناً. يشير بذلك إلى ما كان يعتقده المتقدمون من إمكانهم تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب بالكيمياء.

لبنان الشاعر

نظم الشاعر في القصيدة عندما ثار لبنان ثورته الوطنية في أواخر عام ١٩٤٣. ففاز بانتخاب نوابه. وكان الشاعر ينوي زيارة بيروت في ذلك الحين:

حُلْمٌ شَقَّ ظِلَامَ الْحُجُبِ ^١	هَاجَ شَوْقُ الْوَالِدِ الْمُضْطَرِبِ
فَتَخَطَّى عَقَبَاتِ الْغَيْهَبِ ^٢	جَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ غَيْهَبًا
يَتَمَطَّى عَنْ دِثَارِ السُّحُبِ ^٣	زَارَنِي وَاللَّيْلُ فِي غَفْوَتِهِ
وهو من جَفَنِكَ بَيْنَ الْهُدْبِ! ^٤	طَائِفٌ إِنْ رُمْتَهُ لَمْ تَلْقَهُ
غَائِبَ الشَّخْصِ كَأَنْ لَمْ يَغِبْ ^٥	بَارِعُ الرِّيشَةِ حَتَّى لَتَرَى
وَسَنَا الْكَأْسِ وَدُرَّ الْحَبَبِ ^٦	بَسَمَاتِ الرُّوْضِ مِنْ أَلْوَانِهِ
تُفْتَحُ الْعَيْنُ بِهِ عَنْ عَجَبٍ ^٧	فِي يَدَيْهِ مِجْهَرٌ مِنْ عَجَبٍ
أَمْ تَهَاوَيْلُ خَيَالٍ كَذِبٍ؟	قُلْتُ: هَذِي جَنَّةٌ؟ أَمْ مَا أَرَى؟
أَمْ هُوَ السَّحَرُ غَدَا يَلْعَبُ بِي؟	أَمْ أَنَا غَيْرِي؟ وَإِلَّا مَنْ أَنَا؟
يَتَحَدَّى سَبَاحَاتِ الْكُوكَبِ ^٨	مَا الَّذِي يَبْدُو لِعَيْنِي سَامِقًا
يَنْبُتُ الْفَنُّ مَكَانَ الْعُشْبِ ^٩	أَرْضُهُ مِسْكٌ، وَفِي ثُرْبَتِهِ
لَوْلُؤِي الصَّوْتِ، حُلُوُ الْمَذْهَبِ ^{١٠}	وَإِذَا شَادٍ يُغْنِي مَرْحُ
قُلْتُ: مَا لِي غَيْرُهُ مِنْ أَرْبٍ ^{١١}	صَاح: ذَا لُبْنَانٍ فَانْزِلْ سَفْحَهُ
وَكِنَاسٌ لِظُبَاءِ الرُّبْرِ ^{١٢}	هُوَ عَرِيْسٌ لَأَسَادِ الْجَمَى
كَيْفَ لَوْ أَبْصَرَهُ عَنْ كُتُبٍ؟!	قَدْ تَمَنَّا هَوَى مِنْ بُعْدٍ
وَالْيَنَابِيْعُ رَحِيْقُ الْعِنَبِ	الْأَزَاهِيرُ بِهِ مِنْ قُبَلٍ

وقدودُ الهيفِ في رَوْضَاتِهِ
جُمِعَتْ لَيْلَاتُهُ مِنْ دَعَجِ
وَسَجَايَا أَهْلِهِ أَنْسَامُهُ
كَتَبَ الْمَجْدُ لَهُمْ تَارِيخَهُمْ
كُلُّ شَهِمٍ أَرْيَحِيٍّ أَغْلَبَ
بَيْنَ عَدْنَانَ وَغَسَّانَ لَهُمْ
نَصَبُوا فِي كُلِّ أَرْضٍ رَايَهُمْ
وَأَذَلُّوا الصَّعْبَ فِي رِحْلَاتِهِمْ
وَطَوَّوْا شَرْقًا بِشَرْقٍ، وَجَرَى
يَنْزَحُ النَّازِحُ مَا فِي رَحْلِهِ
وَرَجَاءٌ بَرْجَاءٍ يَلْتَقِي
رَأْسُ مَالِ الْمَرْءِ مَا فِي رَأْسِهِ
مَلَكُوا الدُّنْيَا فَلَمَّا جَمَحَتْ
لَيْسَ لِلْسَيْفِ عَلَى حَدِّهِ
هَذَّبُوا الْفُضْصَى وَلَمُّوا شَمْلَهَا
جَمَعُوهَا حُلُوةَ الْجَزْسِ كَمَا
أَنْتَ يَا لُبْنَانُ عَزَمَ وَنَهَى
كَلِمَا أَطْلَعَتْ لَيْلًا شَفَقًا
ظَنَنْتِ الْغَيْدُ وَمَا أَجْرَاهَا!
سِحْرُ شَعْرِ وَمَجَالِي فِتْنَةٍ
وَابْتِسَامُ فِيهِ أَشْرَاكُ الْهَوَى
أَيْنَ قَلْبِي؟ غَضَبُوه، فَاسْأَلُوا
وَاشْفَعُوا لِي، وَاحْذَرُوا غَضَبَتَهَا
ثُمَّ قُولُوا: مُسْتَهَامُ وَصَبُّ
طَائِرُ غَرْدٍ فِي دَوْحَتِكُمْ
طَارَ مِنْ مِصْرَ يُحْيِي أُمَّةً
قَاهِرِيٍّ أَخْجَلَتْ أَلْحَانُهُ

قُضِبَ تَمَرُحُ بَيْنَ الْقُضْبِ ١٣
وَسَنَا إِصْبَاحِهِ مِنْ لَبِّ ١٤
كَمْ نَعْمَنَا بِشَذَاهَا الطَّيِّبِ!
فِي جَبِينِ الدَّهْرِ لَا فِي الْكُتُبِ
مِنْ كَرِيمٍ أَرْيَحِيٍّ أَغْلَبَ
نَسَبُ يَرْفَعُ شَأْوَ النِّسَبِ ١٥
مَا دَرَوْا فِي الْمَجْدِ مَعْنَى النَّصَبِ ١٦
أَيُّ صَعْبٍ عِنْدَهُمْ لَمْ يُرْكَبَ؟
سَيُلْهِمُ يَزْحَمُ شَطُّ الْمَغْرِبِ ١٧
غَيْرُ إِقْدَامٍ وَعِزُّ ذَرْبِ ١٨
وَكِفَاحٍ لِلِقَاءِ النَّوْبِ ١٩
مِنْ ذِكَاةٍ، لَا حُطَامُ النَّشْبِ ٢٠
مَلَكُوهَا بِرَفِيعِ الْأَدَبِ ٢١
صَوْلَةُ الشَّعْرِ. وَخَزُّ الْخُطْبِ ٢٢
بَعْدَ أَنْ كَانَتْ صَدَى فِي سَيْسَبِ ٢٣
تَجَمُّعُ النِّحْلَةِ حُلُوَ الضَّرْبِ ٢٤
لَسْتُ مِنْ صَخْرٍ وَلَا مِنْ حَصَبِ! ٢٥
مُوهَتْ صَفْحَتُهُ بِالذَّهَبِ ٢٦
أَنَّهُ مِنْ خَذَّاهِ الْمَخْتَضِبِ ٢٧
وَعَيُونُ أُغْرِمَتْ بِاللَّعِبِ
وَحَدِيثُ فِيهِ عُذْرُ الْمَذْنِبِ ٢٨
«جَارَةُ الْوَادِي» عَنِ الْمَغْتَصِبِ ٢٩
أَهْ مِنْ صَوْلَةِ هَذَا الْغَضَبِ!
وَيَلْتَا لِلْمُسْتَهَامِ الْوَصَبِ ٣٠
عَلَّمَ الْأَطْيَارَ مَعْنَى الطَّرِبِ
تَوَجَّتْ بِالْمَجْدِ هَامَ الْحَقَبِ ٣١
رَنَّةُ الْعُودِ، وَشَدْوُ الْقَصَبِ ٣٢

خُلِقْتُ أوتارُهُ قُدْسِيَّةٌ من حَنانِ الحُبِّ، لا من عَصَبٍ^{٢٣}
 فارحمني مُغْتَرِبًا ليس اسْمُهُ في رُبَا لُبْنَانَ بالمُغْتَرِبِ^{٢٤}
 جاء يَبْغِي الحُبَّ لا الحَبَّ فهل جاوز المسكينُ حَدَّ الطَلَبِ؟^{٢٥}
 فنصبتِ الفخَّ خَدَّاعَ المُنَى خَشَنَ الكَفِّ، حديدَ المِخْلَبِ^{٢٦}
 وأتَى هَيْمَانٌ يشدو واثبًا ليته في يومه لم يثب!
 فازتَمَى بين جَنَاحِ هائِضٍ وَجَنَاحِ خافِقٍ مضطرب^{٢٧}
 واجِبَ القلبِ، ولولا نَظْرَةُ عرضتْ لاهِيَةً لم يَجِبِ^{٢٨}
 أطلقِيه وابعْثِي آمالَه وثوابَ اللَّهِ فيه احتسبي^{٢٩}
 هل على الهاتِفِ بالحسن إذا ما شدا من حَرَجٍ أو عَتَبِ؟
 قد براه السُّقْمُ إِلَّا فَضْلَةً من فَوَائِدِ حائِرٍ ملتهب^{٤٠}

* * *

كم هفا القلبُ للْبُنَانِ وكم عاقه صَرْفُ الزمانِ القُلُوبِ!
 أصبحَ الحَكمُ به في نُخْبَةٍ من بنيه الكرماءِ النُّجُبِ^{٤١}
 كلُّهم حرٌّ أبِيّ ينتمي في ذُرَا المجدِ إلى حرٍّ أبِي^{٤٢}
 وهبوا الروحَ للْبُنَانِ فِدَى ووضنينَ كُلُّ مَنْ لم يَهَبِ^{٤٣}
 خُلِقَ مثلُ أزاهيرِ الرُّبَا ضجكت للعارِضِ المنسكبِ^{٤٤}
 وسياساتٌ ورأيٌ ساطعُ يَضَعُ الحَقَّ مكانَ الرِّيبِ^{٤٥}
 قادهم خيرُ رئيسٍ للغُلا شمريّ العزمِ عالي الحَسَبِ
 عاش لُبْنانٌ وعاشت رايَةُ للكرامِ العُربِ فوق الشُّهَبِ

هوامش

- (١) هاج: أثار. الحجب: الأستار.
- (٢) غيهبًا: ظلمة.
- (٣) غفوته: نومه. يتمطى: يتثاءب. دثار: غطاء.
- (٤) طائف: ما يجول بالخطر أثناء النوم. رمته: أردته. الهدب: رموش العين.
- (٥) بارع الريشة: ماهر في الرسم والتصوير.

(٦) سنا الكأس: ضوء الكأس. در الحبيب: ما يطفو فوق الماء من فقائيع تشبه الدر.

(٧) مجهر: منظار مكبر.

(٨) سباحات الكوكب: حيث تسبح الكواكب.

(٩) مسك: طيب.

(١٠) حلو المذهب: جميل اللحن والطريقة.

(١١) أرب: مقصد.

(١٢) عريس: غيل الأسد. كناس: بيت الطبي. طباء الربرب: ظبي القطيع.

(١٣) قضب: أغصان.

(١٤) دعج: سواد العين وسعتها. سنا إصباحه: نور صباحه وإشراقه. لبب: خالص

الشيء.

(١٥) عدنان وغسان: أصل قبائل العرب. شأو: السبق والغاية.

(١٦) النصب: التعب.

(١٧) شط المغرب: دول العرب (المهجر) التي هاجروا إليها.

(١٨) رحله: متاعه. ذرب: حاد ماض.

(١٩) النوب: الشدائد والكوارث.

(٢٠) النشب: المال والعقار.

(٢١) جمحت: شردت وبعدت كالحصان الجامح.

(٢٢) حدته: مضاءه. وخز: طعن.

(٢٣) سبسب: الفلاة، الصحراء.

(٢٤) الضرب: العسل.

(٢٥) حصب: الحصو الصغير.

(٢٦) شفقاً: حمرة الشمس في أول الليل. موهت: طليت. صفحته: جوانبه.

(٢٧) المختضب: الملون بلون الخضاب.

(٢٨) أشراك: مصايد.

(٢٩) جارة الوادي: هو وادي البقاع بלבnan ولشوقي قصيدة رائعة يناجي فيها

حارة هذا الوادي.

(٣٠) مستهام: هائم. وصب: دائم.

- (٣١) هام: قمة. الحقب: السنون.
- (٣٢) قاهري: نسبة إلى القاهرة والشاعر يقصد نفسه. القصب: المقصود المزمار.
- (٣٣) قدسية: طاهرة. عصب: الأعصاب بالجسم.
- (٣٤) ربا: أعالي.
- (٣٥) لا الحب: الحبوب.
- (٣٦) المخلب: الظفر.
- (٣٧) هائض: مكسور.
- (٣٨) واجب القلب: خافق القلب.
- (٣٩) احتسبي: اكتفي.
- (٤٠) براه: أضناه. السقم: المرض. فضلة: بقية. فؤاد: قلب.
- (٤١) نخبة: جماعة منتخبة. النجب: نجباء أشراف.
- (٤٢) أبّي: لا يقبل الضيم. ذرا: علا.
- (٤٣) ضنين: بخيل.
- (٤٤) العارض المنسكب: السحاب الممطر.
- (٤٥) الريب: الشك.

ذِكْرِي الْغَرْبِ

بعض ذكريات الشاعر بعد عودته من أوروبا سنة ١٩١٢ م.

سَيَّرْتُ فِيكَ وَفِي مَنْ فِيكَ أَشْعَارِي
فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ نَارٍ
وَمُسْتَرَاضَ لَبَانَاتٍ وَأَوْطَارٍ^١
أَوْ تَنْقُلُ الطَّيْرُ عَنْهَا بَعْضَ أَخْبَارٍ!
وَمَا تَجَشَّمُ مِنْ بَيْنِ وَأَسْفَارٍ^٢
أَهْلًا بِأَهْلٍ، وَأَضْهَارًا بِأَضْهَارٍ
فَدَيْتَ بِالنَّفْسِ مِنْهُمْ كُلَّ خَطَّارٍ^٣
جِدَ الصَّرِيخِ سَرَاةً غَيْرَ أَغْرَارٍ
إِلَّا وَيُمْسِي عِشَاءً صَاحِبَ الدَّارِ
آيَاتِهِ بَيْنَ إِجْلَالٍ وَإِكْبَارٍ^٤
يَدَاهُ بِالنَّبْلِ أَضْمَى كُلَّ جَبَّارٍ^٥
لَهُ سِوَى زَفَرَاتِ الْوَجْدِ مِنْ نَارٍ
وَحِذْرُهَا بَيْنَ أَغْلَاقٍ وَأَسْتَارٍ
وَقَلْبُهَا نَهَبٌ أَوْهَامٍ وَأَفْكَارٍ^٦
وَالْأُمُّ إِنَّ تَسْتَطِيعَ بَاحَثَ بِأَسْرَارٍ
كَفَّاهُ بِالسَّيْفِ أَرْدَى كُلَّ مَغْوَارٍ
أَوْ نَادِبٍ إِثْرَ أَطْلَالٍ وَأَثَارٍ^٧

يَا دَارَ فَاتِنَتِي حُيِّيتِ مَنْ دَارٍ!
رَحَلْتُ عَنْهَا وَلِلْأَشْجَانِ مَا تَرَكْتُ
كَانَتْ مَجَالَ صَبَابَاتٍ لَهَوْتُ بِهَا
أَسْأَلُ الطَّيْرَ عَنْهَا لَوْ تُنَبِّئُنِي
يَنْسَى بِهَا كُلُّ نَائِي الدَّارِ مَوْطِنَهُ
يَلْقَى بِهَا أَيْنَمَا أَلْقَى عَصَاهُ بِهَا
وَفَتْيَةٌ كَرِمَاحِ الْخَطِّ إِنَّ خَطَرُوا
بَيْضَ الْوُجُوهِ مَسَامِيحِ الْأَكْفِ مَنْ
لَا يَنْزِلُ الضَّيْفُ صُبْحًا عَقَرَ دَارَهُمْ
قَدْ أَمَنُوا بِإِلَهِ الْحُبِّ وَارْتَقَبُوا
وَصَوْرُوهُ فَتَى أَعْمَى إِذَا رَشَقَتْ
عُرْيَانُ إِنَّ مَسَّهُ بَرْدُ الشِّتَاءِ فَمَا
يَغْشَى الْفَتَاةَ وَلَمْ تَرْقُبْ زِيَارَتَهُ
فَطَرَفُهَا خَاشِعٌ مِنْ بَعْدِ زُورَتِهِ
تَشْكُو إِلَى أُمِّهَا ضَيْفًا أَلَمَ بِهَا
وَيَصْرَعُ الْفَارِسُ الْمَغْوَارَ إِنْ لَعِبَتْ
فَلَا تَرَاهُ سِوَى شَاكِ لِسَاجِعَةٍ

وَيَطْرُقُ الشَّيْخَ فِي الْمَحْرَابِ قَدْ فَنَيْتُ عِظَامُهُ، وَبَرَّتْهُ خَشْيَةُ الْبَارِي
فَلَمْ تَكُنْ لَمْحَةً إِلَّا لِيَفْتَلَهُ مِنْ الصَّلَاةِ وَمَنْ تَرْتِيلِ أَذْكَارِ^٩

* * *

يَبْرُزْنَ فِي اللَّيْلِ مِثْلَ الشُّهْبِ سَاطِعَةً مَا بَيْنَ سَيَّارَةٍ تَجْرِي لِسَيَّارِ^{١٠}
مِنْ كُلِّ خَمْصَانَةِ الْكَشْحَيْنِ نَاصِعَةً كَأَنَّهَا دُرَّةٌ فِي جَوْفِ زَخَّارِ^{١١}
تَسْعَى إِلَى أَغْيَدٍ مَا طَرَّ شَارِبُهُ كَأَنَّمَا صَفَحَتَاهُ وَجْهٌ دِينَارِ^{١٢}

* * *

أَرْضُ كَأَنَّ إِلَهَ الْأَرْضِ أَوْدَعَهَا بَدَائِعِ الْحُسْنِ مِنْ عُونِ وَأَبْكَارِ^{١٣}
الْقَوَا خُدُودَ الْعَذَارَى فِي حَدَائِقِهَا وَلَقَبُوهَا بِأَثْمَارِ وَأَزْهَارِ
وَجَرَّدُوا كُلَّ حُسْنٍ مِنْ قَلَائِدِهِ فَصَرْنَ حَصْبَاءَ فِي سَلْسَالِهَا الْجَارِي^{١٤}
لَوْ كَانَ فِي غُنْصِرِي صَلْصَالٍ طَيِّبَتِهَا مَا رَاعَنِي الدَّهْرُ فِي يَوْمٍ بِأَكْدَارِ^{١٥}
أَوْ كُنْتُ أَظْفَرُ فِي الْأُخْرَى بِجَنَّتِهَا غَسَلْتُ بِالدَّمْعِ آثَامِي وَأَوْزَارِي

هوامش

(١) المستراض: المكان الفسيح الطيب. اللبانة: الحاجة مع علو الهمة. الوطر: المطلب والمأرب.

(٢) البين: البعد والفرقة.

(٣) رماح الخط نسبة إلى مرفأ السفن بالبحرين؛ لأنه مبيعها لا منبتها، وشبههم بالرماح في فرعهم واعتدال أجسامهم ولدونتها.

(٤) مناجيد الصريخ: أي يسرعون إلى المستغيث بالنجدة والإغاثة. السراة: السادة الأشراف. الأغرار: من لا تجربة لهم بالأمر. الواحد غر (بالكسر).

(٥) تخيل قدماء اليونان آلهة كثيرة منها إله للحب سموه «كيوبد» وصوروه طفلاً أعمى عريان في يديه قوس ونبال يرمي بها عن غير قصد، وهذا مصداق لقول العرب: الحب يرمي ويصم.

(٦) رشقه بالنبل: رماه به. أصماه: رماه فقتله مكانه. الجبار: العاتي.

(٧) الطرف: البصر. خاشع: متكسر مطرق.

- (٨) الساجعة: المغردة من الطير.
- (٩) يفتله: يصرفه. ترتيل الأذكار: إجابة تلاوتها.
- (١٠) الشهب: الكواكب. الساطعة: اللامعة المتألقة. السيارة والسيار: من أوصاف الكواكب وهي التي تجري في مداراتها. ولما جعلهم شهباً جعل مسيرهم ليلاً كجري النجوم في أفلاكها.
- (١١) خمصانة الكشحين: أي ضامرة الخصر دقيقته. الكشح: هو ما بين الخصرة إلى الضلع الخلفية. الزخار: البحر إذا طما وامتلأ.
- (١٢) الأغيد: الغلام مالت عنقه ولانت أعطافه. وما طر شاربه، أي: ما ظهر. ويريد بصفحتيه: خديه.
- (١٣) العون: جمع عوان. وهي من النساء: النصف، لا بكر ولا مسنة. الأبكار: جمع بكر. وهي العذراء.
- (١٤) القلائد: الحلي تجعل في العنق، الواحدة: قلادة. سلسالها الجاري: مياه أنهارها المنسابة.
- (١٥) راعه: أفزعته ونغص عليه.

شروق كوكب

ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال بميلاد الملك فاروق آخر ملوك مصر في سنة ١٩٣٤م، حينما كان ولياً للعهد.

ورُدَّت في فم الدُّنيا بِشائِرُهُ^١
كما تَلَأَّ بِالْإِنْجَارِ آخِرُهُ^٢
يَلُوحُ بِالْخَيْرِ وَالْإِسْعَادِ سَافِرُهُ^٣
كما أَعَادَ جَمَالَ الرُّوضِ مَاطِرُهُ
كَالْبَدْرِ يَجْتَذِبُ الْأَبْصَارَ بَاهِرُهُ
وَاسْتَبَشَرَ الدَّيْنَ وَاهْتَزَّتْ مَنَابِرُهُ
وَنُخِبَ الْجَوْهَرُ الصَّافِي وَنَادِرُهُ
مَا ضَلَّ فِيهِ طَرِيقَ الْمَجْدِ عَابِرُهُ^٤
وَحَلَّ فِي كُلِّ طَرَفٍ فَهُوَ نَاضِرُهُ^٥
لَا حَتَّ مَخَايِلُهُ، طَابَتْ عَنَاصِرُهُ^٦
مُلْكًا عَلَى الدَّهْرِ لَا تَبْلَى مَفَاخِرُهُ^٧
وَالنَّيْلُ يَشْهَدُ مَاضِيَهُ وَحَاضِرُهُ
وَذَلَّلُوا الصَّعْبَ حَتَّى لَانَ نَافِرُهُ^٨
وَكَلَلَتْ هَامَةَ الدُّنْيَا مَآثِرُهُ^٩
وَأَشْرَقَتْ فِي رُبَا الْوَادِي أَزَاهِرُهُ^{١٠}
حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ الدَّهْرَ شَاعِرُهُ

لله يَوْمٌ جَرَى بِالْيُمْنِ طَائِرُهُ
يَوْمٌ تَحَلَّى بِحُسْنِ الْوَعْدِ أَوَّلُهُ
تَرَقَّبْتُ مَصْرُ فِيهِ الصُّبْحِ مَبْتَسَمًا
يَوْمٌ أَعَادَ إِلَى الْأَيَّامِ نَضْرَتَهَا
يَوْمٌ تَجَلَّى بِهِ الْفَارُوقُ مُؤْتَلِّقًا
بَدَا فَكَبَّرَتِ الدُّنْيَا لِمَوْلِيهِ
سُلَالَةُ الشَّرَفِ الْعَالِي وَصَفْوَتُهُ
زَيْنُ الشَّبَابِ لَهُمْ مِنْ هَدْيِهِ قَبَسُ
أَقَامَ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَهُوَ حَبَّتُهُ
رَقَّتْ شَمَائِلُهُ، عَزَّتْ أَوَائِلُهُ
فَارُوقُ يَا ابْنَ الْأَلَى شَادُوا بِهِمَّتِهِمْ
آثَارُهُمْ تَبَهَّرُ الْأَيَّامَ جِدَّتْهَا
رَاضُوا الْجَمُوحَ فَأَعْطَاهُمْ مَقَادَتَهُ
يَا ابْنَ الْمَلِكِ الَّذِي عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ
أَحْيَا لَنَا الْمَجْدَ حَتَّى عَادَ دَارُسُهُ
جَرَتْ عَلَى أَلْسُنِ الْأَيَّامِ مَذَحَّتُهُ

المُلْكُ فِي ظِلِّهِ طَابَتْ مَشَارِعُهُ والدِّينُ فِي عَهْدِهِ قَامَتْ شَعَائِرُهُ^{١١}
فَانْظُرْ تَجْدُ أَمَلًا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ العِزْمُ يَمْلِيهِ وَالْحُسْنَى تُؤَازِرُهُ^{١٢}
فَارُوقُ، أَنْتَ لَأَمَالِ الشَّبَابِ حَمَى وبَاعَتْهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى وَنَاشَرُهُ
لَمَّا دُعِيتَ أَمِيرًا لِلصَّعِيدِ زَهْتَ بهِ الْقِبَائِلُ، وَازْدَانَتْ حَوَاضِرُهُ^{١٣}
وَعَادَهُ مَجْدُهُ الْخَالِي يَشَافُهُهُ وَجَاءَ تَارِيخُهُ الْمَاضِي يُسَامِرُهُ^{١٤}
لَا زَلْتَ قَرَّةَ عَيْنِ الْمَلِكِ تَحْرُسُهُ عَيْنُ الْمَهِيْمِنِ، وَالدُّنْيَا تُظَاهِرُهُ^{١٥}
وَدَامَ مَلِكُ فَوَادٍ فِي عَلَا وَسْنَا وَعَاشَ لِلنَّيْلِ مَوْلَاهُ وَنَاصِرُهُ^{١٦}

هوامش

- (١) اليمن: البركة والخير. طائره: فأله. بشائره: خيريه وبركته.
- (٢) تلاًلاً: أنار وزهى. الإنجاز: قضاء الحاجة.
- (٣) سافره: بدون حجاب.
- (٤) قيس: استفادة والقيس نار أو علم.
- (٥) حبته: سويداؤه وقيل: ثمرته.
- (٦) شمائله: صفاته الحسنة. أوائله: المقصود آبأؤه. مخايله: عظمته.
- (٧) الألى: الملوك الأوائل.
- (٨) راضوا: روضوا واستأنسوا. الجموح: الشارد. مقادته: قيادته. لان: رق. نافرته:

بعيده.

- (٩) هامة: أعلى الشيء.
- (١٠) دارسه: الذي يبحث عنه فيتهدي إليه.
- (١١) مشارعه: أموره.
- (١٢) تؤازره: تسانده.
- (١٣) أميراً للصعيد: لقب لقب به الملك فاروق عندما كان ولياً للعهد.
- (١٤) يشافهه: المشافهة هي المخاطبة. يسامره: يحادثه ليلاً.
- (١٥) المهيمن: الله، سبحانه وتعالى.
- (١٦) سنا: ضوء والمقصود هنا الشرف والرفعة.

مصر تعزي العراق

أنشد الشاعر هذه القصيدة مندوبًا عن مصر في حفل تأبين الملك غازي ملك العراق، وكان الحفل يجمع قادة العرب وشعراء البلاد العربية سنة ١٩٣٩م.

بَكَيْنَا النُّضَارَ الْحُرَّ وَالْحَسَبَ الْعِدَّاءَ	بَكَيْنَا، فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ وَلَا أَجْدَى ^١
حُشَّاشَةً لَعْلَ الدَّمْعِ يُطْفِئُ حُرْقَةً	مِنَ الشَّوْقِ، فَازْدَادَتْ بِتَذَرِافِهِ وَقْدًا ^٢
وَلَوْعَةً مَكْلُومِ الْفَوَّارِ وَسَاءَهُ	وَجَذْوَةُ نَارٍ فِي الْحَشَا سُمِّيتُ وَجْدًا ^٣
يُقَلِّبُ طَرْفًا فِي الظَّلَامِ مِنَ الْأَسَى	يَحْنُ لَهُ قُرْبًا. فَيَوْسُغُهُ صَدًّا ^٤
بَكَيْنَا وَمَا تَبْكِي الرِّجَالُ، وَإِنَّمَا	وَيُرْسَلُ فِي الْأَفَاقِ أَنْفَاسُهُ صَهْدًا ^٥
هُوَ الْقَدَرُ الْمَاضِي إِذَا أَنْسَابَ سَهْمُهُ	يَعُودُ الْفَتَى لِلطَّبْعِ إِنْ لَمْ يَجِدْ بُدًّا ^٦
هُوَ الدَّهْرُ، مَا بَضَّتْ بِخَيْرٍ يَمِينُهُ	فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْعَالَمُونَ لَهُ رَدًّا
يُجَرِّدُ سَيْفًا فِي الظَّلَامِ مِنَ الرَّدَى	يُجْمَعُنَا سَهْوًا، وَيَنْتُرُنَا عَمْدًا ^٧
	وَيَخْبِطُ لَا يُبْقِي مَلِيكًا وَلَا عَبْدًا!

* * *

مَصَابٍ أَصَابَ الْهَاشِمِيَّةَ سَهْمُهُ	وَهَدَّ مِنَ الْعُلِيَاءِ أُرْكَانَهَا هَدًّا ^٨
وَعَالَ شَبَابَ الْمُلِكِ فِي عُنُقُوانِهِ	وَأُطْفَأَ نُورُ الشَّمْسِ وَاخْتَرَمَ الْمَجْدَا ^٩
وَطَارَ بِأَحْلَامٍ، وَفَرَّقَ أَنْفَسًا	شِعَاعًا، تَرَى نُورَ السَّيْلِ وَمَا تُهْدَى ^{١٠}
حُشُودٌ عَلَى الْأَلَامِ وَالْحَزَنِ تَلْتَقِي	يُقَاسَمُ حَشْدٌ فِي رَزِيئَتِهِ حَشْدًا ^{١١}
فَفِي كُلِّ قَلْبٍ مَاتَمٌ وَمَنَاحَةٌ	وَفِي كُلِّ دَارٍ أُنَّةٌ تَصْدَعُ الصَّلْدَا ^{١٢}

وفي كل أرض للعروبة صيحةٌ إذا رددتها أبكتِ الترك والهندا

* * *

فقدناه رِيَّانَ الشبابِ تَضَوَّعت
فقدناه والأحداثُ تَغْشى غُيُومُها
فقدناه والآمالُ تومي بإضْبَع
فقدناه أزهى ما نكونُ بمثله
فقدناه سيقًا هاشميًّا. إذا سطت
حُسامٌ بكفِّ الله كان صياله
ورُوحٌ سَرى السارون في نورِ هديه
أطلَّ عليهم من بعيدٍ فشمَّروا
إذا بُعِدت آمالُهم فتردَّدوا
يقودُهم «الغازي» إلى خير غاية
نسورُ إذا طاروا ليوم كريهة
سلَّ السيفُ عنهم كيف صال بكفهم
كأنَّ غبارَ النصر في لهواتهم
أولئك أبناءُ الفُتوح التي زها
لهم في سِجْلِ المجد أوَّلُ صفحةٍ
ومَن كتب النصرَ المبينَ بسيفه

شمائله مسكًا وآثاره ندًا^{١٣}
وتنتظمُ الآفاق عابسةً رُبداً^{١٤}
إليه، وتمتدُّ العُيونُ له مدًّا^{١٥}
وأعلى به كعبًا وأقوى به زندا^{١٦}
سيوفُ الليالي كان أرهفها حدًا
فأصبحت الأرضُ الطهورُ له غمدا^{١٧}
فلم يُخَطِّثوا للمجد نَهْجًا ولا قصدًا^{١٨}
إلى قِمَّةِ الدنيا غطارِفَةً جُردا^{١٩}
دعاهم إلى الإقدام، فاستقربوا البعدا
فأكْرِمَ به مَلَكًا وأكْرِمَ بهم جُندا
وإن بطشوا يوم الوغى بطشوا أسدا
شيوخًا لهم قلبُ الجلاميد أو مُردًا^{٢٠}
سُلافٌ من الفردوس مازجتِ الشَّهدا^{٢١}
بها الدين، واجتاح الممالك وامتدا
كفاتحةِ القرآنِ قد مُلِئت حمدا^{٢٢}
على جَبْهةِ الدنيا، فقد كتب الخُلدا

* * *

حمامةٌ وادي الرافدين ترفَّقِي
حنانك، إنَّ الصبرَ من زينةِ الفتى
طرحنا رداءَ اليأسِ عنَّا بَواسِلاً
حمامةٌ وادي الرافدين ابعثي الهوى
ففي النيل أرواحٌ ترفُّ خوافُ
ظمَاءٌ إلى ماءٍ بدِجْلَةٍ سَلْسَلِ
إذا مَسَّتِ البأساءُ أذيالَ دِجْلَةٍ

بعثتِ الجوى، ماكان منه وما جدًا^{٢٣}
إذا غاص في ظلماته الأمرُ واشتدَّا
وإن هزنا يومَ العِراقِ وإنَّ أدَّا^{٢٤}
حنينًا. فما أحلى الحنينَ وما أشدَّى
تقاسمُكِ التاريخَ والدينَ والودَّ^{٢٥}
تودُّ بنور العين لو رأتِ الوردًا^{٢٦}
قرأتِ الأسى في صفحةِ النيل وَالْكمدا^{٢٧}

وإن طُرفت عينٌ ببغدادَ من قَدَى
إخاءٍ على الفصحى توثَّق عَقْدُهُ
رَأَيْتَ بِمِصْرَ أَعْيُنًا مُلِئَتْ سُهْدًا^{٢٨}
وَشُدَّتْ عَلَى الْإِيمَانِ أَطْرَافُهُ شَدًّا
لَنَا فِي صَمِيمِ الْمَجْدِ خَيْرُ أَبْوَةٍ
زُهِينَا بِهَا أَصْلًا. وَتَاهَتْ بِنَا وَلُذًا^{٢٩}

مَضَى الْهَاشِمِيُّ السَّمْحُ زَيْنُ شَبَابِهِ
أَطْلَتْ شُمُوسُ الدِّينِ مِنْ حُجْرَاتِهِمْ
وَأَعْرَقَهُم خَالًا وَأَكْرَمَهُم جَدًّا
عَلَى الْكُونِ، لَا وَهْدًا تَرَكْنَ وَلَا نَجْدًا^{٣٠}
وَإِنَّ لَهُ فِي كُلِّ جَانِحَةٍ لِحْدًا^{٣١}
فَلِلَّهِ مَا أَوْلَى وَلِلَّهِ مَا أَسْدَى^{٣٢}
فَتَى تَنْبُتُ الْأَمَالُ مِنْ غِيثِ كَفِّهِ

أَتَيْنَا إِلَى بَغْدَادَ وَالْقَلْبُ وَاجِفٌ
تَطَوَّحْنَا الصَّحْرَاءُ لَيْسَ بَعِيدُهَا
كَأَنَّ الرَّمَالَ الْجَائِمَاتِ بِأَرْضِهَا
عَدَدْنَا بِهَا السَّاعَاتِ حَتَّى تَرَكْنَاهَا
أَتَيْنَا نَوْدِيَّ لِلْعُرُوبَةِ حَقَّهَا
يُحْمَلُنَا النَّيْلُ الْوَفِيُّ تَحِيَّةً
عِزًّا، مَضَى «الْغَازِي» كَرِيمًا لِرَبِّهِ
عِزًّا، فَفِينَا فَيَصِلُ شَبْلُ فَيَصِلُ
لَهُ فِي اسْمِهِ أَوْفَى اتِّصَالٍ بِجَدِّهِ
بَدَا نَجْمُهُ فِي الشَّرْقِ يُنْمَأُ وَرَحْمَةً
عَهْدَتُمْ إِلَى «عَبْدِ الْإِلَهِ» وَإِنَّهُ
إِذَا رَنَتْ الْأَمَالُ كَانَ ثِمَالُهَا
سَلَامٌ عَلَى الْغَازِي سَلَامٌ عَلَى النَّدَى
يَهْزُ جَنَاحًا لَا يَقَرُّ وَلَا يَهْدَا
بَدَانِ وَلَمْ نَعْرِفْ لآخِرِهَا حَدًّا^{٣٣}
جِمَالًا أَنَاخَتْ لَا تُسَاقُ وَلَا تُحْدَى^{٣٤}
وَقَدْ سَيِّمَتْ مِنْهَا أَصَابِعُنَا عَدَا
يَسَابِقُ وَقَدْ فِي تَلْهُفِهِ وَفْدَا
وَيُهْدِي مِنَ الْأَمَالِ أَكْرَمَ مَا يُهْدَى
فَمَا أَعْظَمَ الْجُلَى، وَمَا أَفْدَحَ الْفَقْدَا^{٣٥}
نَرَى فِي ثَنَائِيَا وَجْهَهُ الْأَسَدَ الْوَرْدَا^{٣٦}
فِيَا حَسَنَهُ فَلَا، وَيَا صَدَقَهُ وَعْدَا^{٣٧}
وَأَشْرَقَ فِي الْأَيَّامِ طَالَعُهُ سَعْدَا
لَأَكْرَمُ مِنْ يَرَعَى الْقِرَابَةَ وَالْعَهْدَا^{٣٨}
وَإِنْ حَارَتْ الْأَرَاءُ كَانَ لَهَا رُشْدَا^{٣٩}
إِذَا مَا بَكَى مِنْ بَعْدِهِ التَّرَبُّ وَالنَّدَا^{٤٠}

هوامش

- (١) النضار الحر: الذهب الخالص. العدا: القديم.
(٢) وقدا: اشتعالا.
(٣) حشاشة: بقية الروح. جذوة: شعلة. الحشا: البطن. وجدا: شوقا.
(٤) لوعة: حرقه. مكتوم الفؤاد: مجروح القلب.
(٥) صهدا: بها حرارة النار.
(٦) الطبع: السجية التي جبل عليها.
(٧) ما بضت: ما أتت. ينثرنا: يفرقنا.
(٨) الهاشمية: الأسرة الهاشمية الذي ينتمي إليها الملك غازي.
(٩) غال: اغتال وأمات. اخترم: استأصل.
(١٠) شعاعًا: متفرقًا كشعاع الضوء. نور السبيل: نور الطريق. وما تهدى: وما
ترشد.
(١١) رزيئته: مصيبتة.
(١٢) مناحة: حزن وبكاء. أنة: أنين. تصدع: تشق. الصلدا: الصخر القوي.
(١٣) ريان الشباب: الريان ضد العطشان والمقصود هنا الشباب الكامل. تضوعت:
انتشرت. ندًا: طيبًا.
(١٤) تغشى: غيومها: سحبها المظلمة. ربدا: مغبرة.
(١٥) تومي: تشير إلى.
(١٦) أزهى: مفتخرين به. أعلى به كعبًا: أعلى به شرفًا ومجدًا. زندًا: قوةً وبطشًا.
(١٧) صياله: تحركه ووثوبه. غمدًا: غمد السيف جرابه والمقصود مقر.
(١٨) نهجًا: طريقًا. قصدا: مقصدا.
(١٩) شمروا: استعدوا. غطارفة: جمع غطريف وهو السيد الكريم. والجرد: الخفاف
السراع في الأمور.
(٢٠) الجلاميد: الصخر الأصم. مردا: صغار السن لم ينبت الشعر بعد في وجوههم.
(٢١) سلاف: الخمر. الشهدا: العسل.
(٢٢) فاتحة القرآن: فاتحة الكتاب سورة الفاتحة.
(٢٣) الرافدين هما نهرا دجلة والفرات والمقصود العراق. الجوى: الحرقه وشدة
الوجد.

- (٢٤) طرحنا: تركنا بعيداً، رمينا. بواسلاً: شجعان. يوم العراق: يوم وفاة ملك العراق. أدا: أده الأمر، دهاه وعظم عليه.
- (٢٥) النذل: كناية عن مصر.
- (٢٦) سلسل: عذب. الورداء: المنبع.
- (٢٧) أذيال: أطراف. الكمدا: الحزن المكتوم.
- (٢٨) قذى: مرض بالعين. سهدا: سهرا.
- (٢٩) تاهت بنا: افتخرت بنا.
- (٣٠) وهداً: المكان المنخفض. نجدا: ما ارتفع من الأرض.
- (٣١) لحداً: قبراً. جانحة: الأضلاع.
- (٣٢) ما أولى: ما أنعم. ما أسدى: ما أعطى.
- (٣٣) تطوحنا: تبعدنا. بدان: قريب.
- (٣٤) أناخت: بركت. لا تحدى: لا يغنى لها لتساق أي: لا تسير.
- (٣٥) الجلى: الخطب والأمر الشديد.
- (٣٦) فيصل: الملك فيصل ابن الملك غازي. الورداء: الجريء الشجاع.
- (٣٧) بحده: الأمير فيصل الكبير أبو الملك غازي. فالاً: بشرى بالخير.
- (٣٨) عبد الإله: الوصي على العرش وولي العهد وهو ابن عم فيصل الصغير ملك العراق.
- (٣٩) ثمالها: غياثها وملجؤها.
- (٤٠) الترب: الصديق ومن ولد معه. والندا: المثل والنظير.

صدي أنات حائرة

بعث الشاعر بهذه القصيدة إلى الأستاذ عزيز أباطة عام ١٩٤٤م، حينما كان مديراً للبحيرة عندما أهدى إليه «أنات حائرة»، وهي طائفة من الشعر الحزين في رثاء زوجه:

رَحِمَتَا لِلجَرِيحِ مِنْ أَنَاتِهِ
غَرَبَتْ شَمْسُهُ فَقَامَ يَنَاجِي
إِنَّهَا بَيْنَهُنَّ تَسْمَعُ نَجْوَا
أَرْسَلْتُ مِنْ شِعَائِهَا ذِكْرِيَا
وَلَهَا فِي سَمَائِهَا حَفَقَاتُ
سَبَحَتْ فِي عَوَالِمِ النُّورِ «زَيْنُ»
كَمْ يَمُدُّ الْيَدَيْنِ أَسْوَانَ مُضْنَى
وَيَسُوقُ الْأَشْعَارَ فِي نَبْرَاتِ
سَمِعَ الدَّوْحُ نَوْحَهَا عِبْقَرِيَا
مُشْجِيَاتٌ يَوَدُّ كُلُّ ابْنِ غَصْنِ
قَلْتُ شَعْرًا فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ بَحْرِ
وَبَعِثْتَ الشُّجُونَ فِي كُلِّ صَدْرِ
فَاقْتَسَمْنَا لَوَاعِي قَلْبِكَ فَانْظُرْ
إِنَّ مَاءَ الدَّمْعِ أَطْفَأَ لِلْوَجْهِ
فَاسْكَبِ الدَّمَاعَ وَابْعَثِ الشَّعْرَ وَأَمْلَأْ
كَنْتُ قَيْسًا بَكَى عَلَى قَبْرِ لَيْلَا

وَلَسَمِعَ الْوَسَادِ مِنْ أَهَاتِهِ
سَاهَدَاتِ النُّجُومِ فِي لَيْلَاتِهِ^١
هُ، وَتَبْكِي لِابْنِهِ وَشَكَاتِهِ^٢
هَاجَتِ الْكَامِنَاتُ مِنْ ذِكْرِيَا
أَسْرَعْتُ فِي فَوَائِدِهِ حَفَقَاتِهِ
أَيْنَ مِنْهَا الْغَرِيقُ فِي ظُلُمَاتِهِ؟^٣
فَيَفِرُّ الشُّعَاعُ مِنْ قَبْضَاتِهِ!^٤
ظَنَّهَا ابْنُ الْهَدِيلِ مِنْ نَبْرَاتِهِ^٥
فَتَمَنَّى لَوْ نُحِنَ فِي عَذْبَاتِهِ^٦
أَنَّ أَنْغَامَهَا جَرَتْ مِنْ لَهَاتِهِ^٧
مِنْ دُمُوعِ طِفْلا بِتَفْعِيلَاتِهِ
وَأَثَرَتِ الْمَكْبُوتُ مِنْ زَفَرَاتِهِ
هَلْ أَفَاقَ الْمَسْكِينُ مِنْ لَوَاعَاتِهِ؟^٨
بَدَّ، وَأَشْفَى لِلصَّبِّ فِي خَلَوَاتِهِ^٩
أُذِنَ الْخَافَقَيْنِ مِنْ آيَاتِهِ^{١٠}
هُ، وَرَوَّى الضَّرِيحُ مِنْ عِبْرَاتِهِ^{١١}

بَيَّ جُرْحُ مَضَى عَلَيْهِ زَمَانُ
كَلَّمَا صَاحَ نَادِبٌ هَاجَ شَكُّوَا
أَنَا أَبْكِي لِكُلِّ بَاكِ وَنَفْسِي
بَائِعُ الصَّبْرِ، إِنْ يَكُنْ عَشْرُ مَثَقَا
كَلْنَا مَسَّهُ مِنَ الدَّهْرِ ظُفْرُ
وَأَدْتَنَّا بِنَاتِهِ بَرَزَايَا
فَكِرْهَنَا حَتَّى النِّعِيمِ لَأَنَا
لَذَّةُ الْمَرْءِ مِنْ جَنَى أَلَمِ الْمَرْءِ
مَا حَيَاةُ الْمُحِبِّ بَعْدَ حُبِّبٍ
حَسْبُهُ أَنَّهُ إِذَا رَامَ قُرْبًا
عَشَّ أَبَا وَاثِقٍ لَوَاقِحِ الْبَا
حَرْتُ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرٍ أَسَاتِهِ^{١٢}
هُ، وَمَسَّ الْأَلِيمَ مِنْ نَدْبَاتِهِ^{١٣}
حَسَرَاتٌ تَذُوبُ فِي حَسَرَاتِهِ
لِ بِأَعْلَى مَا فِي الْحَيَاةِ فَهَاتِهِ!
أَهْ مِنْ ظُفْرِهِ وَمِنْ فَتَكَاتِهِ!
هَآ، وَمَنْ ذَا يَسْطِيعُ وَأَدَّ بَنَاتِهِ؟^{١٤}
قَدْ رَأَيْنَا اجْتِمَاعَهُ لَشَتَاتِهِ^{١٥}
ء وَتَأْتِي الْأَلَامُ مِنْ لَذَاتِهِ!^{١٦}
قَبَسَ النُّورَ وَالْهَوَى مِنْ حَيَاتِهِ؟^{١٧}
لَمْ يَجِدْ لِلْوَصُولِ غَيْرَ مَمَاتِهِ^{١٨}
كِي، وَلِلنَّائِكَاتِ مِنْ أَخَوَاتِهِ^{١٩}

هوامش

- (١) ساهدات النجوم: النجوم الساهرة.
- (٢) بثه: حزنه.
- (٣) زين: اسم الفقيد حرم الشاعر عزيز أباطة.
- (٤) أسوان: حزين. الشعاع: ضوء الشمس.
- (٥) ابن الهديل: الحمام الصغير المغني بصوت حسن.
- (٦) نحن: بكين بصوت حزين. عذباته: ما تتفوه به النائحات.
- (٧) مشجيات: مغنيات بصوت رخيم جميل. ابن غصن: نسبة إلى الطير. لهاته: اللهاة هي زائدة لحمية في مؤخر سقف الحلق.
- (٨) لوعات: حرقه.
- (٩) للصب: للمحب المشتاق. خلواته: انفراده.
- (١٠) الخافقين: الليل والنهار. آياته: المقصود شعره.
- (١١) قيسًا: المراد قيس بن الملوح صاحب ليلي العامرية.
- (١٢) بي جرح: يشير إلى مصيبتة بفقد ابنه البكر. أساته: أطبائه.
- (١٣) نادب: باك يندب الموتى. هاج: أثار. ندباته: آثار الجروح جمع ندبة.

صدى أنات حائرة

- (١٤) وأدتنا: دفنتنا أحياء. بنات الدهر: مصائبه. برزايها: بمصائبها.
(١٥) لشتاته: لتفرقة.
(١٦) جنى: حصاد.
(١٧) قبس: شعلة.
(١٨) رام: أراد.
(١٩) واثق: هو محمد واثق أباطة نجل الشاعر عزيز أباطة. الثاكلات: اللائي فقدن
أمهن.

غزل شاعرين

قام الشاعر في هذه القصيدة بتشطير قصيدة للشاعر إسماعيل صبري في عام ١٩٠١م.

(يا لواء الحسنِ أحزابُ الهوى)
مذ رأوا طَرْفَكَ يبدو ناعسًا
(فرَّقَت أهواءهم ثاراتهم)
جمعوا بغضاءهم فافترقوا
(إن هذا الحسنَ كالماء الذي)
والرضابُ الحلُّ لو جدت به
(لا تذودي بعضنا عن وِده)
فانظري، ليس الصدى في بعضنا
(وتجلِّي واجعلي قومَ الهوى)
هم فداءً لك، لا، بل كلُّ مَنْ
(أقبل نستقبل الدنيا وما)
أنت كالجنة ضُمَّنت الذي
(واسفري تلك حُلَى ما خلقت)
ما رأينا آيةَ الله أنت
(واخطري بينَ الدامي يحلفوا)
أخبرتهم نفحةً منك سرَّت
(وانطقي ينثر إذا حدثنا)

أَجْجُوا فِي الْحَبِّ نِيرَانَ الْجَفَاءِ^١
(أَيَقْظُوا الْفِتْنَةَ فِي ظِلِّ اللِّوَاءِ)^٢
كُلُّ حُبٍّ بَيْنَ أَشْوَكَ عِدَاءِ
(فاجمعي الأمرَ وصوني الأبرياء)
راق حتى كاد يخفيه الصفاء
(فيه للأنفَسِ رِيٌّ وَشِفَاء)^٣
كُلُّنَا يَشْكُو الْجَوَى وَالْبُرْحَاءُ^٤
(دون بعضٍ واعدلي بينَ الظماء)^٥
للهوى فيك وللحسنِ فِدَاءُ^٦
(تحت عرش الشمس في الحكم سواء)
يَمْلَأُ الْأَعْيْنَ حَسَنًا وَرُؤَا^٧
(ضُمَّنْتَهُ مِنْ مَعَدَّاتِ الْهِنَاءِ)
لِسَوَى لَثَمٍ وَضَمٍّ وَاجْتِلَاءِ^٨
(لِتُؤَارِيَ بِلِثَامٍ وَخِبَاءِ)^٩
أَنْكَ الْغَصْنَ ازْدِهَارًا وَاسْتِوَاءِ^{١٠}
(أَنْ رَوْضًا رَاحَ فِي النَّادِي وَجَاءِ)
لَفْظُكَ الْعَذْبُ عَنِ الْقَلْبِ الْعَنَاءِ

إنه الدرُّ، فهل يمنحنا
 (وابسمي من كان هذا ثغره)
 فدعيه ينشر الطَّيبَ كما
 (لا تخافي شططاً من أنفس)
 إنَّ أجابت دعوة الحبِّ مشت
 (راضت النخوة من أخلاقنا)
 وسمت فوق الهوى أحسابنا
 (فلو امتدت أمانينا إلى)
 أو سرت أنفاسنا في جانبي
 (أنت يَمُّ الحسن فيه ازدحمت)
 أنقذتهم بعد يأسٍ مُغرِق
 (يقذف الشوق بها في مائج)
 فهي تجري والجوى يبعثها
 (شدة تمضي وتأتي شدة)
 لو علت للنجم نفسي لأتت
 (ساعفي آمالُ أنضاء الهوى)
 واكشفي حُجَبَ النوى ينتعشوا
 (أنتِ رُوحانيَّةٌ لا تدعي)
 فاسألِي المِراة هل يومًا رأَت
 (وانزعي عن جسمك الثوب يَبِن)
 وارفعي شَعْرَكَ عنه ينجلي
 (وأري الدنيا جَنَاحِي مَلِك)
 نُشِرا في مُجْتَلَى ضوء الضحا

(ناثر الدرُّ علينا ما نشاء؟)
 فتن الزهرَ أريجاً وبهاء^{١١}
 (يملاً الدنيا ابتساماً وازدهاء)
 داولت بين خضوع وإباء^{١٢}
 (تعزُّ الصبوة فيها بالحياء)^{١٣}
 فخضعنا وجمحننا كرماء^{١٤}
 (وارتضى آدابنا صدق الولاء)
 أسدٍ ما لاث كفاً بدماء^{١٥}
 (مَلِك ما كدّرت ذاك الصفاء)
 زَمَرُ العشاقِ كُلُّ بسقاء^{١٦}
 (سفنُ الآمال يُزجيهما الرجاء)^{١٧}
 ما له من ساحلٍ إلَّا اللِّقاء^{١٨}
 (بين لَجَّينِ عناء وشقاء)^{١٩}
 واعتداءً للهوى بعد اعتداءً
 (تقتفيها شدة، هل من رخاء؟)^{٢٠}
 يقتل الداء إذا عزَّ الدواء^{٢١}
 (بقبولٍ من سجاياك رُخاء)
 غيرَها، فالأمرُ كالصبح جلاء^{٢٢}
 (أنَّ هذا الشكل من طينٍ وماء؟)
 رَبُّ حقٍّ ضاع في ثوب رياء^{٢٣}
 (للملا تكوينُ سكانِ السَّماء)
 منهما تستمنح النورَ دُكَّاء^{٢٤}
 (خلفَ تمثالٍ مصوغٍ من ضياء)^{٢٥}

هوامش

- (١) لواء: علم. أحزاب: أصحاب. أجبوا: زادوا إشعاعاً.
- (٢) طرفك: جفنك.
- (٣) الرضاب: الريق. ري: ارتواء.
- (٤) ورده: منهله. البرحاء: الحمى.
- (٥) الصدى: العطش.
- (٦) تجلّلي: اظهري وانكشفي.
- (٧) رواء: المنظر الجميل.
- (٨) اسفري: اكشفي عن حسنك. حلّلي: زينة وجمال.
- (٩) لتواري: لتخفي. لثام: نقاب. خباء: ساتر.
- (١٠) اخطري: امشي متبخرة. الندامى: الشاربين. استواء: اعتدال.
- (١١) أريجاً: رائحة الطيب الفواحة.
- (١٢) شططا: خروجاً عن المألوف. داوت: دارت وتداولت مرة ومرة.
- (١٣) تعثر: تسقط وتزل. الصبوة: رقة الشوق.
- (١٤) راضت: طوعت. النخوة: الكبر والعظمة. جمحنا: شردنا.
- (١٥) ما لاث: ما لطح وكدر.
- (١٦) يم: ماء. زمر: جماعات. بسقاء: ما يسقى به.
- (١٧) يزجيها: يدفعها ويسيرها.
- (١٨) مائج: مضطرب الموج.
- (١٩) لجين: موجتين عاتيتين.
- (٢٠) تقففيها: تتبّعها.
- (٢١) ساعفي: ساعدي. أنضاء: رقة.
- (٢٢) روحانية: كالملائكة.
- (٢٣) واترعي: اخلعي أو خففي. رياء: ادعاء كذب وممالىء.
- (٢٤) نكاء: الشمس.
- (٢٥) مجتلى: ظهور. مصوغ: مصنوع.

صبح باسم

نشرت هذه القصيدة بمناسبة احتفال مصر بعيد جلوس الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٤٥ ميلادية.

زَهْرَاءُ يَعْثُبُ عِقْدُهَا بِوِشَاحِهَا
فَأَغَارَ مَوْتُورًا عَلَى أَنْفَاجِهَا^١
تَتَزَيَّنُ الْحُسْنَاءُ فِي أَفْرَاحِهَا
عَذْرَاءُ تَخْلِطُ لَيْنَهَا بِجِمَاحِهَا
بِمَسَائِلِهَا وَمَسَاءِهَا بِصَبَاحِهَا
وَشَذَى جَنَانِ الْخُلْدِ مِنْ أُرَاجِهَا^٢
فَارْتَاخَتِ الدُّنْيَا لَخْفَقِ جَنَاحِهَا
وَلَكَمْ لِقِينَا الْوَيْلَ مِنْ أَشْبَاحِهَا!
فِي لَوْنِ صَفَحَتِهَا عَيُونَ مِلَاحِهَا؟^٣
لِتَغْنَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَدْوَاخِهَا
وَالدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ مِنْ أَلْوَاخِهَا^٤
بِرَّاقِ سَافِرَةِ الْمُنَى لِمَاحِهَا^٥
لَمَسْتُ بِهِ الْأَمَلَ الْبَعِيدَ بِرَاجِهَا^٦
مِنْ بَعْدِ طَوْلِ نِفَارِهَا وَشِيَاحِهَا^٧
جَازَ الشَّبَابُ بِهَا مَدَى أَطْمَاحِهَا^٨
كَمْ أَصْغَتِ الدُّنْيَا إِلَى أَصْدَاحِهَا^٩

بَسَمَتْ تَتِيهَ مُدْلَّةً بِصَبَاحِهَا
نَهَبَتْ مِنَ الْمَسْكِ الْفَتِيْقِ سَوَادَهُ
وَتَزَيَّنَتْ بِحَلَى الْكَوَاكِبِ مِثْلَمَا
أَرَخَى غَدَائِرَهَا الْحَيَاءُ كَأَنَّهَا
هِيَ لَيْلَةُ مَزَجِ السَّرُورِ صَبَاحِهَا
نُورِ الْمَلَائِكِ مِنْ سَنِيّ ضِيَائِهَا
نَشَرَتْ جَنَاحَ السَّلْمِ يَخْفِقُ بِالْمُنَى
وَمَضَى بِهَا شَبَحُ الْخُطُوبِ مُفَزَّعًا
فُتِنَتْ بِصَفَحَتِهَا الْقُلُوبُ فَهَلْ رَأَتْ
لَوْ أَنَّهَا عَادَتْ فَكَانَتْ رَوْضَةً
هِيَ لَيْلَةُ الْفَارُوقِ تَتَلَوُ مَجْدَهُ
قَدْ أَسْفَرْتُ عَنْ صُبْحِ يَوْمٍ بِاسْمِ
يَوْمٍ عَلَى مِصْرٍ أَغْرُ مُحَجَّلٌ
مَدَّتْ لَهُ الْأَيَّامُ فَضْلَ عِنَانِهَا
وَسَمَا بِهَا الْفَارُوقُ نَحْوَ مَطَامِحِ
غُصْنٍ مِنَ الْمَجْدِ النُّضِيرِ بِدَوْحَةٍ

إن أشكلت دُهمُ الأمورِ وأغلقتُ
 تُبْنَى الممالكُ، والبطولةُ أسَّها
 والمجدُ أنْ تَرَدَّ الصَّعَابَ بهمةٍ
 تُلْقَى على الأحداثِ من بَسَمَاتِها
 وَلَرُبَّ نَفْسٍ ضَمَّها صدرُ الفتَى
 شَرَّتِ المكارمَ حُلوةً بجهادها
 والناسَ أشباهَ ولكنَّ العُلاَ

أبوابها، فسلوه عن مِفْتَاحِها^{١٠}
 وعزائمُ الأحرارِ من صُفَّاحِها^{١١}
 شُمُّ الرواسي عِنْدَها كِبَاطِها^{١٢}
 ما يُذهِلُ الأحداثَ عن إلحاحِها
 ويضيقُ صدرُ الأرضِ عن فيَّاحِها^{١٣}
 مُرًّا، فكان الحمدُ من أرباحِها
 عَرَفَتْ فتى العزماتِ من مزَّاحِها^{١٤}

* * *

فاروقُ أنت فتى العُروبةِ وابْنُها
 جَمَعْتَ فُرْقَتَها فأضحَتْ أُمَّةٌ
 بَسَمَتْ لها الدنيا وأشرقَ وجهُها
 وشفى الزمانُ جراحَها، ولطالما
 وتوَحَّدت رايَاتُها في رايةٍ
 أُمِّمَ لها خُلُقُ السَّماحِ سَجِيَّةٌ
 في جَبْهةِ التاريخِ منها أُسْطُرُ
 آيَاتُ مجدٍ مُشْرِقاتُ فاسألوا
 نهضتُ بفاروقِ فكانت آيَةً
 ورأتُ بشائرَ يُمنِّها في طَلْعَةٍ
 وجهٌ كأنَّ البدرَ ألقى فوقَه
 ومضاءُ نهَّاضِ العشيرةِ باسلٍ
 هبت به مصرُ إلى قصباتها
 رَسَمَ النجاحَ لها فسارتُ حُرَّةً
 والناسُ من هِمَمِ الملوكِ، وثوبُهم
 وإذا السفينةُ لم تُبالِ زَعازَعًا

وبشيرُ وُحْدَتِها وزَنَدُ كِفاحِها
 أقوى وأصلَبُ من حديدِ رماحِها
 من بعدِ ما عَبَسَتْ لَطولِ نُواحِها
 ضاقَ الزمانُ وطَبَّهُ بجراحِها
 تُزْهِى الرياحُ بَعْجَبِها ومِراحِها
 ودماؤها في الحربِ رَمَزُ سَمَاحِها^{١٥}
 كَتَبَ الإِبَاءُ حروفَها بسلاحِها
 عَمَرُوا وسيفَ الله عن أَوْضاحِها^{١٦}
 لِلْبَعَثِ بعدَ شَتَاتِها وطراحِها^{١٧}
 تُغْنِي بها البَسَمَاتُ عن إفصاحِها^{١٨}
 لَأَلَاءَهُ وَالشَّمْسُ نورَ لِيَاحِها^{١٩}
 حَمَّالِ أَلْوِيَةِ العُلا كَدَّاحِها^{٢٠}
 رِيحًا تُسَاقِ عاصِفَاتِ رياحِها^{٢١}
 مِنْ بَعْدِ مَا التَبَسَتْ طَرِيقَ نَجَاحِها
 من وَحْيِها، وصلاحُهم بصلاحِها
 فاسألَ كَبِيرَ الشَّطِّ عن مَلَأَحِها

* * *

عيدَ الجلوسِ وفي جَبِينِكَ آيَةً
 للمسلمِ تُنْجِي الأرضَ من أَتْرَاحِها

حَرْبٌ طَوَى الحلفاءُ فيها صَيْحَةً
والحربُ تبدأُ كالحصاةِ بزاخر
كم هَزَّت الدنيا صواعقُ نارها
نَفْسِي فداءُ البُسْلِ في حَوَماتها
تَشْرِي شُعوبُ الحَقِّ فيها مبدأً
النصرُ قد خَفَقَتْ لهم أعلامه
وَعَدَتْ على الظَمآنِ للدمِ غُصَّةً
للظلمِ أزعجتِ الورى بُنباحها^{٢٢}
لم يُدْرَ إِنْ قُذِفَتْ مَدَى مُنداحها^{٢٣}
وأصابَ وجَّهَ الأرضِ من لَوّاحها^{٢٤}
وفدَى الشابِ يسيلُ فوقَ صِفاحها^{٢٥}
بالنَقْدِ من دِمِها ومن أرواحها^{٢٦}
والحربُ قد صاحَ البشيرُ بساحها
وجَهَنماً أُخْرَى على سَفّاحها^{٢٧}

* * *

عيدَ الجلوسِ وللقوافي رَنَّةً
أرسلتُها ملءَ الأثيرِ كأنما
ونثرتُها دُرّاً فودَّتْ أنجمُ
عيدَ الجلوسِ وفيكَ ضاحكَةُ المُنَى
ثِمَلْتُ وأغصانُ الربيعِ تمايلتُ
فاروقُ نَكرُكَ في الورى متجدِّدُ
أجهدتُ ساريةَ الخيالِ فأجبلتُ
ألَهْتُ غصونَ الدُوحِ عن صَدّاحها^{٢٨}
وخيَّ السماءِ اختارَ غُرَّ فصاحها^{٢٩}
لو عَدَّهِنَّ الحَسَنُ بينِ صِاحها^{٣٠}
دَبَّ السُرورُ بروحها وبراحها^{٣١}
فكأنهنَّ شَرِبْنَ من أقداحها^{٣٢}
كالشمسِ بينَ غُدُوها ورَواحها^{٣٣}
ماذا تقولُ اليومَ في أمداحها؟^{٣٤}

هوامش

- (١) نهبت: أخذت ما شاءت. الفتيق: المستخرج بشيء تدخله عليه. أنفاحها: رائحتها الفواحة الطيبة.
- (٢) سنى: نور. شذى: رائحتها الذكية. أرواحها: رائحتها الذكية.
- (٣) ملاحها: جمالها وحسبها.
- (٤) ألواحها: صفحها.
- (٥) أسفرت: كشفت. براق: متلألئ. سافرة المنى: ظهور الأماني. لماحها: مبصرها.
- (٦) أغر: منير. محجل: بيض قوائمه. براحها: بكفها.
- (٧) فضل عنانها: ما زاد وطال من عنانها والعنان لجام الفرس. نفارها: تجافيتها وبعدها. شياحها: إغراضها، حذرها.

- (٨) سما: ارتفع وعلا. مطامح: المآرب السامية. جاز: سار وتعدى.
- (٩) النضير: الحسن الرونق. أصغت: استمعت. أصداحها: غنائها الحسن.
- (١٠) أشكلت: التبست. دهم الأمور: الأمور المبهمة الداهمة.
- (١١) أسها: أساسها. صفاحها: الصفاح. حجارة عراض رقاق.
- (١٢) ترد: تخوض. شم الرواسي: عالية الجبال. بطاحها: مسيل واسع فيه حصى.
- (١٣) فياحها: رائحتها الطيبة الذكية.
- (١٤) العزمات: الارادة القوية. مزاحها: أهل اللهو واللعب.
- (١٥) السماح: الجود والكرم. سجية: طبيعة.
- (١٦) عمرو: عمرو بن العاص. سيف الله: خالد بن الوليد. من أشهر قواد العرب في الإسلام. أوضاحها: جمع وضح وهو العزة والتحجيل في قوائم الفرس والمراد أعمال المجد الواضحة المشهورة.
- (١٧) شتاتها: تفرقها. طراحها: اتكالها.
- (١٨) يمنها: بركتها.
- (١٩) لياحها: الياح، الصبح.
- (٢٠) نهاض العشيرة: منجد الناس وقت الشدة. حمال ألوية العلا: حامل أعلام العلا. كداحها: المجد في طلبها.
- (٢١) قصباتها: المقصود مجالات التسابق.
- (٢٢) حرب: المقصود الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء إنجلترا وفرنسا وأمريكا ضد دولتي المحور وهما ألمانيا وإيطاليا.
- (٢٣) منداحها: اتساعها. والبيت اقتباس من المثل القائل، ومعظم النار من مستصغر الشرر.
- (٢٤) لواحها: لسعتها ونارها.
- (٢٥) البسل: الشجعان. حوماتها: ميادين القتال. صفاحها: جمع صفح وهو من السيف عرضه والمقصود أرضها.
- (٢٦) تشري: تشتري.
- (٢٧) الظمآن للدم: المتعطش لإراقة الدماء والمقصود «هتلر» قائد ألمانيا وهو الذي أشعل هذه الحرب. غصة: ما اعترض في الحلق فأشرقه.
- (٢٨) غر: أحسن. فصاحها: بليغها.

صَبْحُ بِاسْمِ

(٢٩) صحاحها: السليمة الجيدة.

(٣٠) براحها: مستراحها أو كفلها والمراد البدن وقيل: الأرض المستوية.

(٣١) الورى: الخلق.

(٣٢) سارية الخيال: الساري هو السائر ليلاً والمقصود هو طائف الشعر لدى

الشاعر. أجبلت: أجبل الشاعر، امتنع عليه القول.

يَوْمُ عَبُوسٍ

نظم الشاعر هذه الأبيات في يوم اشتد فيه البرد بإنجلترا عام ١٩٠٩م، وقد كان موفداً إليها في بعثة تعليمية.

سِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ عَبُوسٌ	وَيَلَاهُ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيـ
حُ فَلَا تُقَلُّ: حَرَبَ الْبُسُوسِ ^١	فِيهِ تَحَارَبَتِ الرِّيا
لَهُ، فَالْغَمَامُ لَهَا تُرُوس ^٢	خَافَتْ غَوَائِلُهُ الْغَزَا
فِيهِ، وَنَكَّسْنَا الرُّؤُوس ^٣	يَوْمٌ أَحْطَنَّا بِاللَّظَى
يَدُ فِيهِ مُعْتَقَدَ الْمَجُوسِ ^٤	فَكَأَنَّنا قُمْنا نُؤَيـ

هوامش

- (١) البسوس: اسم امرأة من العرب قامت بسببها الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب ابني وائل من قبائل ربيعة وظلت أربعين سنة.
- (٢) غوائله: دواهيته. العزالة: الشمس. الغمام: السحاب المظلم. ترُوس: جمع ترس وهو المجن الذي يتستر به المحارب ويتوقى به ضربات عدوه.
- (٣) اللظى: النار الملتهية. نكسنا: جعلنا الرؤوس إلى أسفل.
- (٤) معتقد المجوس: لأنهم يقدسون النار ويعبدونها وينحنون لها في صلاتهم.

ضَيْفٌ كَرِيمٌ

نشرت هذه القصيدة في يونيو عام ١٩٤٧م، حينما تخلص الأمير محمد عبد الكريم الخطابي من الأسر، ونزل ضيفاً على مصر وملكها السابق فاروق.

وَرَمَى بِالْقَيْدِ فِي وَجْهِ الرِّيحِ	حَلَّقَ النَّسْرُ كَمَا شَاءَ وَصَاخُ
تَنْجَلِي الْأَصْدَاءِ عَنْ بَيْضِ الصَّفَاحِ ^١	وَجَلَا عَنْ رِيْشِهِ الْعَارَ كَمَا
تَعْرِفُ الْجَنُّ مَتَى أَوْ أَيْنَ طَاحَ ^٢	وَأَطَاخَ الْقَفْصَ الْمَشْتُومَ، لَا
جَزَعًا، بَيْنَ أَنْيْنٍ وَنُوحٍ	كَمْ قَضَى اللَّيْلَ بِهِ مَسْتَيْئَسًا
قَلِقَ الْأَضْلَاعَ، خَفَّاقَ الْجَنَاحِ ^٣	وَلَكُمْ حَنٌّ إِلَى أَوْطَانِهِ
لُجَجِ خُضِرِ دَمِيمَاتِ شُحَاخِ ^٤	يُرْسِلُ الْعَيْنَ فَلَا يَلْقَى سِوَى
فَإِذَا غَابَ تَشَكَّى لِلصَّبَاحِ	يَشْتَكِي لِلَّيْلِ فِي وَحْشَتِهِ
رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ! أَيْنَ رَاحَ؟	نَهَبَ الْمَاضِيَ مَجِيدًا حَافِلًا

* * *

وِإِبَاءُ الْحَرِّ شَيْءٌ لَا يُبَاحُ؟ ^٥	أَسَارُ الْحَرِّ حَقٌّ سَائِغٌ
هَزَّتِ الْفِتْنَةُ أَطْرَافَ الرَّمَاحِ؟ ^٦	وَإِذَا مُدَّتْ لِإِحْسَانٍ يَدٌ
ضَنْبَتِ الْأَنْفُسُ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ؟ ^٧	وَإِذَا جَفَّتْ لَهَا ظَمَأٌ
مَلَأَ الْأَفْوَاهَ شَغْبٌ وَصِيَّاحُ؟ ^٨	وَإِذَا مَالَ أَخٌ نَحْوَ أَخٍ
لَطِيبٍ، قِيلَ: لَا تَشْكُ الْجِرَاحِ؟ ^٩	وَإِذَا أَنْ جَرِيحٌ دَنَفُ
حَرَجٌ إِنْ رَدَّدَ الشُّكُوى وَبَاحُ؟ ^{١٠}	هَلْ عَلَى الْمَفْجُوعِ فِي أَوْطَانِهِ

أو على من رام أن يحيا كما يتمنى الحرُّ ذنبٌ أو جناح؟^٩
أو على المعاني ملامٌ إن رنا بعدَ عشرين، لإطلاقِ السَّراح؟^{١٠}

* * *

ثم قالوا: لم يصُنْ ميثاقُهُ ونبا عن خُلُقِ العُربِ السَّماح^{١١}
أَيُّ عهدٍ يرتضيه باسلٌ عربيُّ الذَّبْعِ، ريفيُّ الجَماح؟^{١٢}
أَيُّ عهدٍ هو أنْ أُذْبَحَ من غيرِ سَكِّينَ، ولا أشكو الذَّباح؟^{١٣}
هو عهدُ الذَّبِ يُمليه على شاتِه المِخْلَبِ والذَّابِ الوَقَّاح!^{١٤}
وهو القوَّةُ، ما أجراها! إنْ مَشَتْ يوماً إلى الحقِّ الصَّراح
كم سلاحٍ صالٍ من غيرِ يدٍ ويدٍ تدفَعُ من غيرِ سِلَاح!^{١٥}
قصد الفاروقَ يبغي موئلاً في رِحابِ لبني العُربِ فِساخٌ^{١٦}
هَمَّةٌ جاءت تناجي هَمَّةً ويدٌ مُدَّتْ إلى أكرمِ رَاخٍ
مَلِكٌ يرنو لعلِّيا مَلِكٍ وطماحٌ يتسامى لِطَمَاح^{١٧}
فثوى في خيرِ غمدٍ آمناً صارمٌ أرهقه طولُ الكِفَاح^{١٨}
لم يجدْ غيرَ بشاشاتِ المُنَى وارتياحٍ للندى أَيُّ ارتياح!^{١٩}

هوامش

- (١) جلا: كشف. الأصداء: الصدى الذي يصيب الحديد. بيض الصفاح: السيوف.
- (٢) أطاح: رمى بعيداً عنه. القفص المشئوم: المقصود الأسر.
- (٣) خفاق: مضطرب متحرك. الجناح: للطائر كاليد للإنسان.
- (٤) لجج: البحر المرتفع الأمواج. دميمات: قبيحات. شحاح: بخلاء.
- (٥) أسار: الهمزة للاستفهام والاسار بمعنى القيد والأسر. سائغ: جائز.
- (٦) الفتنة: الدسيسة والوقية. يشير إلى منع الحاكم الفرنسي بتونس الطوافة المصرية «فوزية» من الوصول إلى ميناء تونس، وكانت تحمل غذاء ومعونة لمنكوبي المجاعة هناك ومنع رجال الحكم الفرنسي بتونس وصول الماء العذب إلى الطوافة.
- (٧) دنف: مريض ثقل عليه المرض.
- (٨) المفجوع: المتألم المتوجع الذي فقد شيئاً عزيزاً.

- (٩) رام: رغب وود. جناح: إثم.
(١٠) عشرين: عشرون عامًا في الأسر.
(١١) ميثاقه: عهده. نبا: تباعد عن. إشارة إلى قول الفرنسيين إن الأمير عاهدكم على ألا يفر.
(١٢) النبع: الأصل. ريفي: نسبة إلى ريف تونس. الجماح: الطباع.
(١٣) شاته: من الغنم. المخلب: الظفر. الناب: السن. الوقاح: الصلب.
(١٤) موئلاً: كنفًا وملأً.
(١٥) طماح: علو وارتفاع.
(١٦) ثوى: أقام. صارم: سيف. أرهفه: رققه، جعله حادًا قاطعًا.
(١٧) بشاشات: طلاقة الوجه والفرحة. الندى: الكرم.

نصل الموت

يرثي الشاعر صديقه الدكتور علي إبراهيم باشا بهذه الأبيات سنة ١٩٤٧م.

إن جرّد الموتُ نصلًا ما صمّدت له
قد كنت تهزّمه في كل مُعْتَرِكٍ
وكان جَرْحُك يأسو كلّ ما جرحَتْ
اليومَ يَثْأُرُ، والأَيّامُ عُدَّتْهُ
لو حزت كلّ حياةٍ ضُنت مُهجَّتْها
ما أقصر العمر في الدنيا لنا بَغِيَّةٍ
سبعون؟! أولها لهوٌ، وآخرها
لقد شربنا بكأس الراح أولّها
ليت الشباب الذي أقداحه عَجَبٌ
قد كنت تُصغي لشعري إن صدحتُ به
أَقْضُ موتُك من مصرٍ مضاجعها

فطالما ردّ نصلٌ منك أرواحًا^١
يزاحم الشمس أسيافاً وأرماحا
يدُ الزمان، ويحيي كلّ ما اجتاحت^٢
لا الطبُّ يُجدي، ولا الجراح جراحا
خَلَدَتْ كالشمسِ إشراقاً وإصباحا
إذا تطلّعت الدنيا له راحا!
لو يعرفُ المرءُ لاقى الموتَ مرتاحا
حلواً، فماذا أصاب الكأس والراحا؟^٣
أَبْقَى لفوتِ الصبا والشيبِ أقداحا!
فاليومَ تسمع إن أصغيت أنواحا
وأسكت الخطبَ أطيّاراً وأدواحا

هوامش

(١) نصلًا: حد السيف.

(٢) يأسو: يداوي ويعالج. اجتاحت: أخذ كل ما في طريقه.

(٣) الراح: الخمر.

أفراح مصر

أنشدت هذه القصيدة بدار الأوبرا في حشد اجتمع للاحتفال بزواج الأميرة السابقة فوزية من شاه إيران السابق في سنة ١٩٣٩م.

خَلُّوا السُّجُوفَ تَذْغَ مَجَلَى مُحَيَّاها
عَقِيلَةً فِي جَلالِ الْمُلْكِ ناعمةً
وَدُرَّةً لَمْ تَرَ الْأَصْدافُ مُشَبَّهَها
وزهرةً ما رأى النيل الوفي لها
ترنو إليها نجومُ الأفقِ مُعْجَبَةً
كأنَّما قَطَرَاتُ المِزْنِ صافيةً
وَتَنْشُرُ الْمَسْكَ مِنْ أَنْفَاسِ رِيَّاهَا^١
النبْلُ يَحْرُسُها وَاللَّهِ يَرْعاها^٢
بَيْنَ الْكُنُوزِ الْغَوَالِي مِنْ خباياها
بين الأزاهر في واديه أشباها
تَوَدُّ لو قَبَسَتْ مِنْ نورِ مَرَّاهَا^٣
فوقَ الْخَمَائِلِ طُهرٌ فِي سجاياها^٤

أَمِيرَةَ النِّيلِ، وَالْأَيَّامُ مُسْعِدَةٌ
إِنْ يَسْطَعِ الصَّبْحُ قُلْنَا: الصَّبْحُ أَشَبَّهَها
مَجْدٌ تَمَنَّتْ سماءُ الْأَفْقِ لو ظَفِرَتْ
وَنَفْسٌ طَاهِرَةُ الْجَدِّينِ يَسَّرَها
الْيُسْرُ يَخْتالُ تِيها حَوْلَ يُسْراها
نَمَتْ بِظِلِّ فَوادٍ خَيْرَ مَنْ وَجَدَتْ
أَحْيَتْ لَهُ مِصرُ ذِكْرًا خُطَّ مِنْ ذَهَبٍ
وكانَ عَنوانُها الْغالي الَّذي اتَّجَهَتْ
بَلَّغَتْ مِنْ ذُرْوَةِ الْعِلياءِ أَقْصاها^٥
أَوْ يَسْطَعِ الْمَسْكُ قُلْنَا: الْمَسْكُ حاكاهَا^٦
بَلْمَحَةٍ مِنْ ثُرَيَّاهِ ثُرَيَّاهَا^٧
رَبُّ الْبَرِّيَّةِ لِلْحُسْنَى وَزَكاهَا^٨
وَالْيَمْنُ يَجْري يَمِينًا حَوْلَ يُمْنِها
بِظِلِّهِ زُمُرُ الْأَمالِ مَثْواها^٩
عَلَى جَبِينِ اللَّيالي حِينَ أَحْيَاهَا^{١٠}
إِلَيْهِ بِاسْطَةِ الْأَيْدِي فَأَعْلَاهَا

* * *

أميرة النيل، غَنَى الشَّعْرُ من طَرَبٍ
طافَتْ كُثُوسُ التَّهَانِي وهي مُتْرَعَةٌ
تَجْمَعُ الأَنْسُ حتَّى لم يَدْعُ أَمَلًا
في لَيْلَةٍ من سَوَادِ العَيْنِ قد خُلِقَتْ
يخالها الفجر فجراً حين يَطْرُقُها
كَأَنَّهَا بَسَمَاتُ الغَيْدِ قد ملأتْ
كانت يداً من أيادي الدهر أرسلها
هنا زَفَافٌ، وفي الأَفْلاكِ هاتِفَةٌ
لها أناشيدُ في الأَسْماعِ ساحرةٌ
لكنها نَفَحَاتُ اللّهِ خَصَّ بها
«فوزية» دُرَّةُ التاجِ التي لمعتْ
شُعُوبَ مَصْرَ تُفْديها ولو نطقتْ

في لَيْلَةٍ غَنَّتِ الدُّنْيَا بِبُشْرَاهَا
من المُنَى فانتشينا من حُمَيَّاهَا^{١١}
للنَفْسِ تَبَعْتُ شَوْقًا خَلْفَهُ: واهَا^{١٢}
جَلَّ الذي من سَوَادِ العَيْنِ جَلَّاهَا!^{١٣}
فيختفي من حَيَاءٍ في ثَنَائِهَا^{١٤}
بالحُبِّ والبِشْرِ أَحْدَاقًا وَأَفْوَاهَا^{١٥}
بيضاء مُشْرِقةَ النُّعْمَى وأَسْداها^{١٦}
من المَلَأِكِ تدعو رَبَّها الله^{١٧}
لو كُنَّ من لُغَةِ الدُّنْيَا رَوَيْنَاهَا^{١٨}
من البَرِيَّةِ أَنْقَاهَا وَأَصْفَاهَا
فوقَ الجَبِينِ فحِيَّتَهُ وحيَّاهَا
للنَّيْلِ أَلْسَنَةً فُصِحَ لَفْذَاهَا

* * *

أميرة النيل، غَنَى الشَّعْرُ من طَرَبٍ
إِنِّي وأَلْحَانَ شِعْري صُنْعُ بَيْتِكُمْ
لولا مدائِحُكم ما كان لي قَلَمٌ
تَأَلَّقِي بِسَمَةِ زَهْرَاءَ مُشْرِقةً
كوني بها قُرَّةً للعَيْنِ غَالِيَةً
ومثلي مَصْرَ والشَّأُو الذي بَلَغَتْ

لولا قِرَانُكَ ما غَنَى ولا فَاها^{١٩}
فكم من الفضلِ أَوْلَانِي وأَوْلَاهَا!
يَوْمًا على الأَيْكِ وابنِ الأَيْكِ تَيَّاهَا^{٢٠}
بأَرْضِ إِيْرانَ، أَنْتِ اليَوْمَ دُنْيَاهَا
فَأَنْتِ أَكْرَمُ من لَاقَتَهُ عَيْنَاهَا
فَأَنْتِ أَصْدَقُ بُرْهانٍ لَدَعْوَاهَا^{٢١}

* * *

لقد قطفنا لك الأزهارَ بِاسْمَةٍ
وقد جمعنا من الألحانِ أُغْنِيَةً
ولم نَدْعُ من رموزِ السَّحَرِ سَانِحَةً
قد ذَكَّرْتُنَا لِيَالِيكَ التي سَطَعَتْ

وفي عقودٍ من الفَصْحَى نظمناها
لو يفهمُ الطيرُ معناها لَغَنَّاهَا
طافَتْ بمعنَى العُلا إلَّا لمحناها^{٢٢}
أَفْرَاحَ «قَطْرِ النَّدى» والعَزَّ والجَاهَا^{٢٣}

عُرْسُ الْأَمَانِيِّ أَحْيَا كُلَّ ذِي أَمَلٍ
وَلَيْلَةُ ظَلْفَرِ الشَّعْبِ الْوَفِيُّ بِهَا
فِي كُلِّ بَيْتٍ أَغَارِيدُ مُرَدَّدَةٌ
وَكُلُّ رَوْضٍ يُرْجِي لَوْ سَعَتْ قَدَمٌ
وَكَمْ تَمْنَى الرَّبِيعِ النَّضْرُ لَوْ سَعِدَتْ
الْبِشْرُ يَضْحَكُ. وَالدُّنْيَا مُصَفَّقَةٌ

وَطَافَ بِالْغُلَّةِ الظَّمْأَى فَرَوَاهَا^{٢٤}
وَكَمْ عَلَى الدَّهْرِ مَشْغُوفًا تَمَنَّاها
سَرَتْ فَجَاوَزَ نَجْمُ اللَّيْلِ مَسْرَاهَا^{٢٥}
بِهِ لِيُهْدِيَ مِنَ الْأَزْهَارِ أَزْكَاهَا^{٢٦}
بَحْلَةُ الْعُرْسِ كَفَّاهُ فَوَّشَاهَا^{٢٧}
يَهْتَزُّ مِنْ نَشْوَةِ الْأَفْرَاحِ عِطْفَاهَا^{٢٨}

يَا ابْنَ الْأَمَاجِدِ مِنْ إِيْرَانَ نَلْتَ يَدًا
بَنَيْتُمُ الْمَلِكَ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ هِمَمٍ
لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ مَنَارٍ يَسْتَضِيءُ بِهِ
جَلَالَةٌ كَمْ تَغْنَى الْبُحْتُرِيُّ بِهَا
وَدَوْلَةٌ لِلْعُلَا وَالسَّبْقِ حَاضِرُهَا
لَنَا صِلَاتٌ قَدِيمَاتٌ مُحَبَّبَةٌ
ثِقَافَةُ الْفُرْسِ قَدْ كَانَتْ ثِقَافَتَنَا
تَأَلَّقَتْ فِي بَنِي الْعَبَّاسِ آوَنَةٌ

أَصْفَى مِنَ الْكُوكَبِ الدَّرِّيِّ أُمُوَاهَا^{٢٩}
شَمَاءَ مَنْ خَلَقَ الْأَطْوَادَ أَزْسَاهَا^{٣٠}
لَدَى الشَّدَائِدِ إِلَّا الْعَزَمَ وَالشَّاهَا^{٣١}
وَكَمْ تَرَنَّمَ مَهْيَارٌ بِذُكْرَاهَا^{٣٢}
وَلِلْخُلُودِ وَلِلْإِبْدَاعِ أَوْلَاهَا
لِخْدَمَةِ الدِّينِ وَالْفُضْحَى عَقْدَنَاهَا
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ عَنْهُمْ أَخَذْنَاهَا
مَا كَانَ فِي أَعْصَرِ التَّارِيخِ أَزْهَاهَا^{٣٣}

فَارُوقُ كَمْ لَكَ عِنْدَ النِّيلِ مِنْ مَنَنْ
وَصَلَتْ مِصْرَ بِإِيْرَانَ كَمَا اتَّصَلَتْ
مِصْرُ الْمَجِيدَةِ تُزْهِى فِي حِمَى مَلِكٍ
سَعَى إِلَى الْمَجْدِ نَهَاضًا فَأَنْهَضَهَا
فِي كُلِّ نَفْسٍ لَهُ ذِكْرَى مُخْلِدَةٌ
شَمَائِلُ السَّلَفِ الْأَطْهَارِ شَيْمَتُهُ
سَجِيَّةٌ مِنْ فَوَادٍ فِيهِ قَدْ رَسَخَتْ
فِي سَاحَةِ الْجَيْشِ حَيَّتُهُ فَوَارِسُهُ
لَهُ أَيَْادٍ عَلَى الْأَيَّامِ سَابِغَةٌ

كَصَفْحَةِ الشَّمْسِ بَيْضٌ لَيْسَ يَنْسَاهَا^{٣٤}
فَرَائِدُ الْعَقْدِ أَغْلَاهَا بِأَغْلَاهَا^{٣٥}
لَوْلَاهُ لَمْ تُشْرِقِ الدُّنْيَا وَلَوْلَاهَا^{٣٦}
لِلَّهِ وَالْحَقُّ مَسْعَاهُ وَمَسْعَاهَا!
وَصُورَةٌ مِنْ جَلَالٍ فِي حَنَائِيهَا^{٣٧}
لَمَّا تَجَلَّتْ بِفَارُوقٍ عَرَفْنَاهَا^{٣٨}
إِذَا دَعَتْ لِلْعُلَا وَالْمَجْدِ لِبَاهَا^{٣٩}
وَفِي الْمَسَاجِدِ حَيَّاهُ مُصَلَّاهَا^{٤٠}
فِي كُلِّ جَيْدٍ مِنَ الْأَيَّامِ نُعْمَاهَا^{٤١}

يا أُسْرَةَ الْمُلْكِ صَاغَ الشَّعْرُ تَهْنئةً من حَبَّةِ الْقَلْبِ مَعْنَاهَا وَمَبْنَاهَا
أَهْدَى الْوَفَاءَ جَمِيلاً حِينَ أَرْسَلَهَا وَأَرْسَلَ الْوَدَّ مَخْضًا حِينَ أَهْدَاهَا
لَا زَالَ مُلْكُكُمْ جَمًّا بِشَائِرِهِ وَنَالَ مِنْ بَسَمَاتِ الدَّهْرِ أَسْنَاهَا! ٤٢
وَعَاشَ لِلنَّيْلِ رَبُّ النَّيْلِ سَيِّدُهُ وَلِلرَّعِيَّةِ وَالْأَمَالِ مَوْلَاهَا

هوامش

- (١) خلوا: دعوا. السجوف: جمع سجف وهو الشيء بينه وبين ستر آخر فرجة. تذع: تنشر. مجلى: حسن. محياها: وجهها وطلعتها. رياها: ما ترتوي به.
- (٢) عقيلة: كريمة الملك.
- (٣) قبيست: أخذت. مرأها: رؤيتها.
- (٤) قطرات المزن: السحاب الأبيض والمقصود المطر. سجاياها: خلقها وطبيعتها الطيبة.
- (٥) ذروة: أعلا الشيء. أقصاها: أبعداها.
- (٦) المسك: الطيب.
- (٧) لمحة: نظرة عاجلة. ثرياه: النجم والمقصود هنا من نورها.
- (٨) يسرها: وفقها. زكاها: مدحها.
- (٩) فؤاد: والدها الملك فؤاد. زمر: جماعة. مئواها: مكانها.
- (١٠) جبين: الجبهة.
- (١١) مترعة: مملوءة. حمياها: أولها.
- (١٢) واه: للتعجب بمعنى ما أطيبه.
- (١٣) جلاها: أظهرها.
- (١٤) يطرقها: يأتيناها.
- (١٥) أحداقا: سواد العين. أفواها: الفم.
- (١٦) مشرقة النعمى: مضيئة النعم ظاهرة. أسداها: أنعم بها.
- (١٧) الأفلاك: مدار النجوم.
- (١٨) رويناها: حكيناها.
- (١٩) ولا فاها: ولا تفوه بها.

- (٢٠) الأيك: الحديقة ذات الشجر الكثيف. الملتف الأغصان. ابن الأيك: الطائر المغرد.
تياهاً: مفتخرًا مزهوًا.
- (٢١) الشاؤ: السبق والغاية. لدعواها: لما تدعيه.
- (٢٢) سائحة: عارضة.
- (٢٣) قطر الندى: الأميرة قطر الندى بنت خمارويه حاكم مصر تزوجت الخليفة العباسي، ويضرب المثل بفرحها في عظمته وبذخه.
- (٢٤) الغلة: حرارة العطش. رواها: أسكن ظمأها بالماء.
- (٢٥) مسراها: سيرها ليلاً.
- (٢٦) يرجى: يأمل.
- (٢٧) وشاها: لونها.
- (٢٨) عطفها: جانبها.
- (٢٩) الكوكب الدري: النجم الثاقب المضيء.
- (٣٠) شماء: عالية. الأطواد: الجبال العالية. أرساها: ثبتها.
- (٣١) الشاها: لقب ملوك الفرس.
- (٣٢) البحترى: الشاعر العباسي الشهير وقد مدحهم بقصائد خلدتهم مثل قصيدته السينية المشهورة. ترنم: تغنى. مهيار: مهيار الديلمي الشاعر الفارسي الذي كثيراً ما أشاد بمدينة الفرس.
- (٣٣) آونة: حيناً من الزمن.
- (٣٤) منن: عطايا وهبات.
- (٣٥) فرائد العقد: الدرر الكبار لا مثيل لها التي نظمت في العقد.
- (٣٦) حمى: كنف.
- (٣٧) حناياها: عطفها.
- (٣٨) السلف: المتقدمون السابقون. شيمته: صفاته الطيبة.
- (٣٩) سجية: خلق وطبع. لباهها: أجابها.
- (٤٠) مصلاها: المصلون.
- (٤١) سابغة: كاملة وافية.
- (٤٢) أسناها: أرفعها وأشرفها.

الحَرْبُ

حينما شبت نار الحرب العالمية الأولى، وشاعت الأخبار بوصف ويلاتها وأرزائها، واقترب الألمان من باريس في أول الأمر ثارت شاعرية الشاعر، واشتدت آلامه لما يصيب الإنسانية في سبيل أطماعها، فأنشأ هذه القصيدة في سنة ١٩١٤م.

مَنْ سَلَبَ الْأَعْيُنَ أَنْ تَهْجَعَا؟
وَمَنْ رَمَى بِالشُّوْكِ فِي مَضْجَعِي
رَوَّعَنِي وَاللَّيْلُ فِي زِيَّهِ
طَاخَتْ بِأَهْلِ الْغَرْبِ نَارُ الْوَعَى
طَافَ عَلَيْهِمْ بِالرَّدَى طَائِفُ
وَصَاحَ فِيهِمْ لِلتَّوَى صَائِحُ
فِي الْبَرِّ، فِي الْبَحْرِ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ
يَجْمَعُهُمْ جَبَّارُهُمْ عَنُوءٌ
يَحْسُو دَمَ الْقَتْلَى، فَأَظْمِئْ بِهِ
لَمْ يَكْفِهِ رُمْحٌ وَلَا مُرْهَفُ
وَحَبَّ فِيهَا رَاكِبًا رَأْسُهُ
قَدْ غَصَّتِ الْأَرْضُ بِأَسْلَافِهِمْ
وَأَنْ لِلْعِقَبَانِ أَنْ تَكْتَفِي
صَوَاعِقُ الْمُنْطَادِ لَا تُتَّقَى
أُطْلِقُ عَزْرَائِيلَ مِنْ قَدِّهِ
وَبَزَّ ذَاتَ الطَّوْقِ أَنْ تَسْجَعَا؟^١
فَبِتُّ مَكْلُومَ الْحَشَا مُوجَعَا؟^٢
مِنْ مُرْجِفَاتِ الْخَطْبِ مَا رَوَّعَا!^٣
وَهَبَّتِ الرِّيحُ بِهِمْ زَعْرَعَا
فَاخْتَرَمَ الْأَنْفُسَ لَمَّا سَعَى^٤
فَصَمَّتِ الْأَسْمَاعُ مِذْ أَسْمَعَا^٥
لَمْ يَتْرُكِ الْمَوْتُ لَهُمْ مَوْضِعَا
وَإِنَّمَا لِلْمَوْتِ مَنْ جَمَّعَا!^٦
وَيَنْهَشُ اللَّحْمَ، فَمَا أَجْشَعَا!^٧
فَاتَّخَذَ الْمُنْطَادَ وَالْمِدْفَعَا
لِلشَّرِّ مَا حَبَّ وَمَا أَوْضَعَا^٨
وَأَصْبَحَ الْبَحْرُ بِهَا مُتْرَعَا^٩
وَأَنْ لِلْحَيَاتَانِ أَنْ تَشْبَعَا^{١٠}
وَصَوْلَةُ الْأَلْغَامِ لَنْ تُدْفَعَا
يَزْنَعُ أُنَى شَاءَ أَنْ يَزْتَعَا^{١١}

تَطْرِبُهُ الْحَرْبُ بِأَزْجَالِهَا وَيَسْتَبِيهِ السَّيْفُ إِنْ قَعَقَعَا^{١٣}
 كَأَنَّمَا فِي صَدْرِهِمْ غُلَّةٌ أَبَتْ بِغَيْرِ الْمَوْتِ أَنْ تُنْقَعَا^{١٤}
 كَأَنَّهُمْ سَرَبٌ قَطَا عُطَّشٍ صَادَقْنَ مِنْ وَرْدِ الرَّدَى مَشْرَعَا^{١٥}
 كَأَنَّهُمْ وَالنَّارُ مِنْ حَوْلِهِمْ جِنٌّ تَأَلَّوْا أَنْ يَبِيدُوا مَعَا^{١٦}
 صَارُوا مِنَ الْعَثِيرِ فِي ظُلْمَةٍ لَا تُبْصِرُ الْعَيْنُ بِهَا الْإِضْبَعَا^{١٧}

كَمْ فَارِسٍ يَمْرُحُ فِي سَرْجِهِ يَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ وَقَدْ أَيْنَعَا^{١٨}
 كَأَنَّهُ الصَّمْصَمُ إِذْ يُنْتَضَى وَعَامِلُ الرُّمَحِ إِذَا أُشْرِعَا^{١٩}
 مَا ضَنَّ بِالرَّفْدِ عَلَى وَافِدٍ وَلَا لَوَى حَقًّا وَلَا ضَيَّعَا^{٢٠}
 تَمْشِي بَنَاتُ الْحَيِّ فِي إِثْرِهِ يَرُشِّقُنُهُ بِالزَّهْرِ إِذْ وَدَّعَا^{٢١}
 مِنْ كُلِّ بَيَضَاءِ الطَّلَى طَفْلَةً أُسْطَعَ مِنْ بَدْرِ الدَّجَى مَطْلَعَا^{٢٢}
 تَكْفُ غَرْبِ الدَّمْعِ أَنْ يُرْتَأَى وَتَحْبِسُ الزَّفَرَاتِ أَنْ تُسْمَعَا^{٢٣}
 لَجَّ بِهِ الْمَوْتُ فَاوْدَى بِهِ وَحَزَّ مِنْهُ اللَّيْتُ وَالْأَخْدَعَا^{٢٤}
 مَاتَ فَلَا قَبْرَ لَهُ مَاثِلٌ وَلَا بَكَى الْبَاكِى وَلَا شَيَّعَا^{٢٥}

سَلْ «لِيَجْ» مَا حَلَّ بِأَزْجَائِهَا فَقَدْ غَدَتْ أَرْجَاؤُهَا بَلَقَعَا^{٢٦}
 وَاسْأَلْ «نَمُورًا» مَا دَهَى أَهْلَهَا فَقَدْ نَعَاهَا الْبَرْقُ فِيمَا نَعَى^{٢٧}
 وَسَائِلِ الرُّوْضِ ذَوَى نَبْتِهَا وَسَائِلِ الْأَطْلَالِ وَالْأَرْبَعَا^{٢٨}

بَارِيسُ! وَالْعُسْرَى إِلَى يَسْرَةٍ وَغَايَةِ الْعَارِضِ أَنْ يُقْشَعَا^{٢٩}
 أَعَزَّكَ الْخَطْبُ بِأَوْجَالِهِ؟ وَكُنْتَ عَشَّ النَّسْرِ أَوْ أَمْنَعَا^{٣٠}
 كُنْتَ لِطُلَّابِ الْهُدَى مَعَهْدًا وَكُنْتَ رَوْضًا لِلْهَوَى مُمْرِعَا^{٣١}
 مَا أَحْسَنَ السَّيْنَ وَجِيرَانَهُ وَأَحْسَنَ الْمُصْطَافَ وَالْمَرْبَعَا^{٣٢}
 أَرِيعَتِ الْحَسَنَاءُ فِي خَدْرِهَا؟ نَعَمْ، دَعَاها الذَّعْرُ أَنْ تَهْلَعَا!^{٣٣}
 عَهْدِي بِهَا كَأَنَّتْ نَوُومَ الضُّحَى مَلُولَةً نَاعِمَةً زَغَرَعَا^{٣٤}

ما خَطَبُهَا وَالنَّارُ مِنْ حَوْلِهَا وَالْمَوْتُ لَمْ يَتْرُكْ لَهَا مَفْرَعًا؟^{٣٢}

* * *

زَرَاعِمَ الْمَاءِ ثَبُّوا وَثَبَّةً دَعَاكُمُ الْجَارُ فَكُنْتُمْ إِلَى
وَسِرْتُمْ لِلْمَوْتِ فِي جَحْفَلٍ مِنْ كُلِّ شَعْشَاعٍ خَفِيفِ الْخُطَا
لَوْ مَادَتِ الْأَجْبَالُ مِنْ تَحْتِهِ سَلُّوا بِحَارِ الْأَرْضِ عَنْ مَجْدِكُمْ
كَانَتْ وَلَا زَالَتْ لَكُمْ سَاحَةٌ تَهْوَى طُيُورُ الْمَاءِ أَعْلَامَكُمْ
قَدْ طَافَ «نَلْسُنُ» حَوْلَ أُسْطُولِكُمْ يُغْضِبُهُ يَا خَيْرَ أَشْبَالِهِ
أَنْ لِهَذَا الْغِيلِ أَنْ يُمْنَعَا!^{٣٣}
دُعَائِهِ مِنْ صَوْتِهِ أَسْرَعَا^{٣٤}
مَا ضَمَّ رَغْدِيدًا وَلَا إِمْمَعَا^{٣٥}
نِي مِرَّةً مُنْجَرِدٍ أَرْوَعَا^{٣٦}
أَوْ خَرَّتِ الْأَفْلَاكُ مَا زُعِرَعَا^{٣٧}
إِنَّ بِهَا سِرًّا لَكُمْ مُودَعَا
تَبْنُونَ فِيهَا الشَّرَفَ الْأَفْرَعَا^{٣٨}
فَتَقْتَفِيهَا حَوْمًا وَقَعَا^{٣٩}
مُسْتَصْرِخًا غُضْبَانَ مُسْتَفْزِعَا^{٤٠}
أَنْ يَبْلُغَ الْقَرْنَ بِكُمْ مَطْمَعَا^{٤١}

* * *

يَا خَالِقَ النَّاسِ طَغَى شَرُّهُمْ لَمْ يُشَبِّهُوا الْإِنْسَانَ فِي خَلْقِهِ
قَدْ رَفَعَ الْإِحْسَانُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَوْلَا سَنَا هَدْيِكَ فِي بَعْضِهِمْ
فَاهِدِ الْحَيَارَى وَاكْشِفِ الْمُهْيَعَا!^{٤٢}
وَأَشْبَهُوا الْحَيَاتِ وَالْأَسْبُعَا^{٤٣}
وَأَوْشَكَ الْإِيمَانُ أَنْ يُرْفَعَا
لَدُكَّتِ الْأَرْضُ بِهِمْ أَجْمَعَا

هوامش

- (١) الهجوع: النوم ليلاً. البز: النزاع وأخذ الشيء بجفاء وقهر. ذات الطوق: الحمامة المطوقة أي: التي في عنقها من الريش ما يشبه الطوق، سجع الحمام: صوته وغناؤه.
- (٢) المضجع: وضع الضجوع وهو النوم على الجنب. مكلوم: مجروح. الحشا: ما اشتمل عليه الجوف.
- (٣) روعني: أفزعني. الزي: الهيئة. الخطب: النازلة والمصيبة. مرجفاته: شدائده.
- (٤) طاح يطوح ويطيح: هلك أو أشرف على الهلاك. الوغى: الحرب. ريح زعزع: شديدة تزعزع الأشياء.

- (٥) طاف: دار. الردى: الهلاك. اخترم: أهلك. وفي هذا البيت إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (١٩: سورة القلم).
- (٦) صاح: صرخ وصوت. التوى: الهلاك والموت. صمت الأسماع: بطلت.
- (٧) الجبار: العاتي المستكبر، والمراد القائد. عنوة: قهراً.
- (٨) يخسو: يشرب شيئاً فشيئاً.
- (٩) خب: أسرع، والحسب ضرب من العدو. ركب رأسه: مضى على وجهه بغير رؤية لا يطيع مرشداً. الإيضاع: الإسراع في السير.
- (١٠) غصت: امتلأت. الأشلاء: جمع شلو وهو العضو، وأشلاء الإنسان أعضاؤه بعد البلى والتفريق. مترع: مملوء.
- (١١) آن: حان. العقبان: جمع عقاب وهي من جوارح الطير.
- (١٢) عزرائيل: ملك الموت. القد: سير من جلد غير مدبوغ قد يقيد به الأسير. يرتع: يقبض أرواح الناس بكثرة. ورتع في الأصل معناها أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة، أو أكل وشرب بشره.
- (١٣) الطرب: خفة تصيب من يشتد به السرور. الأزجال: جمع زجل وهو الجلبة والتطريب ورفع الصوت. يستبيه: يأسره ويستميله. القعقة: حكاية صوت السلاح.
- (١٤) الغلة: حرارة العطش. أبت: امتنعت. تنقع: تسكن. من نقع الماء العطش من باب قطع وخضع أي: سكنه.
- (١٥) السرب: القطيع والجماعة. القطا: ضرب من الحمام، الواحدة قطاة. عطش: جمع عاطش اسم فاعل من عطش. صادفن: وجدن. الورد: الإشراف على الماء وغيره. الردى: الهلاك. المشرع: مورد الشاربة أي: الموضع الذي يستقون منه كالمشرفة.
- (١٦) تألوا: حلفوا. يبيد: يهلك.
- (١٧) العثير: الغبار.
- (١٨) الصمصام: السيف لا ينتني. ينتضي: يسل أي يجرد من غمده. عامل الرمح: صدره. أشرع: أميل أو رفع عند القتال.
- (١٩) ضن: بخل. الرغد: العطاء والصلة. وافد: آت ووارد. لوى الحق: جرده.
- (٢٠) الحي: القبيلة أو البطن من بطون العرب، ويراد به هنا قوم الفارس وعشيرته. يرشقنه: يرمينه. ودع: شيع عند سفره.
- (٢١) الطلى: الأعناق أو أصولها. طفلة: رخصة ناعمة. أسطع: أعلى وأرفع، والمراد أبهى وأجمل. الدجى: جمع دجية وهي الظلمة. المطلع: الطلوع.

- (٢٢) تكف: تمنع. غرب الدمع: مسيله أو انهلاله من العين. يرتأى: يرى. الزفرات: جمع زفرة وهي إخراج النفس طويلاً ممدوداً.
- (٢٣) لج به الموت: لازمه. أودى به: أهلكه. حز: قطع. الليت: صفحة العنق. الأخدع: شعبة من عرق الوريد.
- (٢٤) «ليج» إحدى المدن البلجيكية التي استولى عليها الألمان بعد تخريبها بمدافعهم. الأرجاء: جمع رجا وهو الناحية. غدت: صارت. البلقع: الأرض القفر الخالية من أسباب العمران والحياة.
- (٢٥) «نامور» مدينة بلجيكية استولى عليها الألمان عقب استيلائهم على «ليج» في أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤م.
- (٢٦) الأربع: جمع ربع وهو محلة القوم ومنزلهم.
- (٢٧) باريس: كبرى المدن الفرنسية ومقر الحكومة، وقد كادت تسقط في أيدي الألمان في أوائل الحرب العظمى سنة ١٩١٤م. العسرى: الضيق والشدة والصعوبة. اليسرة: اسم مرة من يسر الأمر من بابي قرب وتعب أي: سهل واتسع. العارض: السحاب يعترض في الأفق ويراد به هنا الغمة والضيقة. يقشع: ينكشف.
- (٢٨) عزك: غلبك. والهمزة للاستفهام. ويراد بالاستفهام هنا التعجب. الخطب: النازلة الشديدة. الأوجال: جمع وجل وهو الخوف.
- (٢٩) أمرع الوادي: أخصب وكثر كلؤه.
- (٣٠) السين: نهر مشهور بفرنسا يمر بمدينة باريس. المربع: منزل القوم في الربيع.
- (٣١) نؤوم الضحى: كناية عن الترف والرفاهية ولين العيش. ملولة: من الملل وهو السآمة والضجر. ناعمة: متنةمة. الرعرع: اليافعة الحسنة الاعتدال مع حسن شباب.
- (٣٢) الخطب: الشأن والأمر. المفزع: الملجأ.
- (٣٣) الضراغم: جمع ضرغام وهو الأسد. الوثوب: الطفر والقفز. آن: حان. العيل: الأجمة أي: الشجر الكثير المتلف. والغيل مسكن الأسد عادة. يمنع: يحمي، يريد بضراغم الماء رجال الأسطول الإنجليزي وجنود البحر.
- (٣٤) يريد بالجار مملكة «بلجيكا» من ممالك أوروبا الشمالية، وهي إلى الجنوب الشرقي من الجزائر البريطانية.
- (٣٥) الجحفل: الجيش الكثير. الرعديد: الجبان. الإمع والإمعة: الرجل يتابع كل أحد على رأيه لا يثبت على شيء.

- (٣٦) الشعشاع: الطويل المسرع. الخطا: جمع خطوة. المرة: القوة وشدة العقل.
المنجرد: النشيط ذو الهممة. الأروع: من يعجبك بشجاعته.
- (٣٧) مادت: زلزلت وتحركت، الأجبال: جمع جبل. خرت: سقطت. الأفلاك: مدارات
النجوم، والمراد النجوم نفسها. زعزع: اضطرب وتحرك.
- (٣٨) الساحة: الناحية وفضاء بين دور الحي. الأفرع: الأعلى.
- (٣٩) حوم: دائرات حولها. وقع: حاطات نازلات بها.
- (٤٠) «نلسن»: من أبطال الإنجليز وقائد أسطولهم إبان الحرب الفرنسية.
- (٤١) القرن: كفؤك في الشجاعة.
- (٤٢) المهيع: الطريق البين.
- (٤٣) الخلعة: الأسبع. جمع سبع وهو المفترس من الحيوان.

يا أبا الأمة

تهنئة سعد زغلول باشا من خطر العدوان عليه، وقد أقيمت هذه القصيدة في حفل حاشد في ٢١ من يوليو سنة ١٩٢٤م.

يَا أَبَا الْأُمَّةِ يَا مَنْ ذَكَرُهُ
هَزَّ مِصْرًا نَبَأً فَاضَتْ لَهُ
هُرْعُوا نَحْوَكَ كَالْبَحْرِ إِذَا
بَيْنَ شَكٍّ وَيَقِينٍ قَاتِلٍ
بِوَجْهِهِ مَرَّةً أَمَلَةٍ
تَرْتَجِي الرَّحْمَنَ فِي مَحْنَتِهَا
كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ سَعْدٍ وَمَنْ
إِنْ سَعْدًا غَرَسَ النَّبْتَ وَقَدْ
كُلَّمَا رَامُوا بِسَعْدٍ ضَرَرًا
إِنَّ سَيْفًا فِي يَمِينِ اللَّهِ قَدْ
عَشَّ لِمِصْرٍ وَزَرًا يَكْلُوهَا
أَنْتَ مِصْرُ، عِشْ لِمِصْرٍ إِنَّهَا
بَطْلٌ أَيْقَظَ مِصْرًا بَعْدَمَا
بَعَثَ اللَّهُ بِهِ فَاَنْبَعَثَتْ
وَطَوَى اللَّهُ بِهِ عَهْدًا مَضَى
قَادَ جَيْشًا مِنْ قُلُوبٍ حَوْلَهُ

مَلَأَ الدُّنْيَا حَدِيثًا عَطِرًا
عَبَرَاتُ الْقَوْمِ تَجْرِي مَطَرًا
سُجِّرَتْ أَمَوَاجُهُ أَوْ زَخْرًا^١
يَنْشُرُ الْخَوْفَ وَيَطْوِي الْحَذْرًا^٢
وَهِيَ حِينًا بِاسِرَاتٍ كَدْرًا^٣
ثُمَّ تَخْشَى فِي الْمِصَابِ الْقَدْرًا
عَيْنُهُ مَاءُ الشُّنُونِ أَنْهَمْرًا^٤
شَاءَ رَبِّي أَنْ يَذُوقَ الثَّمَرَا
صَانَهُ اللَّهُ وَكَفَّ الضَّرَرَا
هَزَّهُ بَارئُهُ لَنْ يُكْسِرَا^٥
لَمْ نَجِدْ غَيْرَكَ فِيهَا وَزَرًا^٦
بِكَ تَحْيَا وَتَنَالُ الْوَطَرَا^٧
كَادَ يُرْدِي أَهْلَهَا طُولُ الْكَرَى^٨
رُسُلُ الْأَمَالِ تَتَرَى زُمْرًا^٩
تَهْلَعُ النَّفْسُ لَهُ إِنْ ذَكَرَا
خَاضِعَاتٍ إِنْ نَهَى أَوْ أَمَرَا

تَرْكَبُ الصَّعْبَ إِلَى مَرْضَاتِهِ وَتُلَاقِي فِي هَوَاهُ الْخَطَرَ^{١٠}
 شَلَّ زَنْدٌ قَدْ رَمَى زَنْدُ الْعُلَا وَحَمَى اللَّهُ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَ
 مَحَقَّ اللَّهُ أَبَا لَوْلُؤَةَ وَوَقَى مَصْرًا فَأَبْقَى عُمَرَ^{١١}
 إِنْ مِنْ يَحْرُسُهُ بَارِئُهُ لَا يُبَالِي بِالرَّدَى إِنْ خَطَرَ^{١٢}
 فَهَنَاءٌ بِنَجَاةٍ كَشَفَتْ عُمَّةَ الْقَطْرِ وَطَابَتْ أَثَرُ^{١٣}
 عَاشَ سَعْدٌ وَالْمَلِكُ الْمُرْتَجَى مَوْتِلُ الْأَمَّةِ فِي أَسْمَى الذَّرَا^{١٤}

هوامش

- (١) هرعوا: أَعْجلوا وحملهم النبأ العظيم الهائل على الإسراع. تسجير الماء: تفجيريه. زخر: ظما وارتفع وامتلأ.
- (٢) الطي: ضد النشر. الحذر: الاحتراز والتوقي.
- (٣) بإسرار: جمع بأسرة أي: عابسة. الكدر: ضد الصفو.
- (٤) الشئون: مجاري الدموع إلى العين واحدها شأن. انهمر: انصب وسال.
- (٥) بارئه: خالقه.
- (٦) الوزر: المعقل والملجأ والمعتصم. يكلؤها: يحفظها.
- (٧) الوطر: البغية والحاجة.
- (٨) البطل: الشجاع. يُردى: يهلك. الكرى: النعاس.
- (٩) تترى: متواترة متتابعة. الزمر: الجماعات. واحدها: زمرة.
- (١٠) المرضاة: الرضا. الهوى: الحب. الخطر: الإشراف على الهلاك وخوف التلف والمراد الهلاك والتلف.
- (١١) محق: محا وأهلك. وأبو لؤلؤة فيروز المجوسي عبد المغيرة بن شعبة، وكان قد قتل غدراً أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — طعنه بخنجر وهو قائم يصلي سنة ٢٣هـ. شبه الشاعر سعدًا بعمر بن الخطاب والمعتدي عليه بأبي لؤلؤة.
- (١٢) البارئ: الخالق وهو الله جلّ وعلا.
- (١٣) الغمة: الكربة والعي الشديد.
- (١٤) موئل: ملجأ. أسمى: اسم تفضيل من السمو وهو الارتفاع والعلو. الذرا: جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه.

ميلادُ الأميرة فريال

أنشدت بدار الأوبرا في الحفلة التي أقامتها دار الإذاعة المصرية ابتهاجًا بمولد الأميرة فريال، أولى بنات الملك السابق فاروق في أول أيام عيد الفطر سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٧م.

سَبَحَ الشَّعْرُ فِي سَمَاءِ الْجَمَالِ
هـ عَلَى شَاطِئِ السِّنِينَ الْخَوَالِي^١
بِدٍ، عَلَيْهِ غَدَائِرُ مِنْ لِيَالِي^٢
بَبٍ، فَمَرَّتْ تَحْوِضُ فِي الْأَجْيَالِ
هَوَاءَ فَوْقَ الْكُھُوفِ وَالْأَدْغَالِ
وَهُوَ يَتَلَوُّ سُطُورَهَا بِالتَّوَالِي
فِي شَتِيَتِ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ^٣
مَالٌ، بَعْدَ النَّوَى وَطَوْلِ الْمِطَالِ^٤
هـ بِسَحَرٍ مِنَ الْفُنُونِ حَلَالِ^٥
لِصَدَاهَا بَيْنَ الرِّبَا وَالظَّلَالِ
أَوْ إِذَا شِئْتَ قُلْ بِغَيْرِ مِثَالِ^٦
سَسٍ، وَحَيًّا مَوَاكِبَ الْأَقْيَالِ^٧
نَ، فَمَا سَتَ بَيْنَ الْهَوَى وَالِدَلَالِ
رِ، فَمَا دَتَ لَهَا رَوَاسِي الْجِبَالِ^٨
عَ، وَتَغَطُّوْ بِغُضْنِهَا الْمِيَالِ^٩
رُ، وَغَنَى بِهَا نَسِيمُ الشَّمَالِ^{١٠}

بَيْنَ صَحْوِ الْمُنَى وَحُلْمِ الْخِيَالِ
وَمَضَى سَانِحًا يَهْزُ جَنَاحَيْ
لَمَحِ الدَّهْرِ وَهُوَ يَحِبُّ مِنَ الْمَهْ
وَأَزَاحَ التَّارِيخُ عَنْ عَيْنِهِ الْحُجْ
وَرَأَى الشَّمْسَ طِفْلَةً تُرْسِلُ الْأَضْ
صَفَحَاتٍ مِنَ الزَّمَانِ تَوَالِي
وَتَصَاوِيرُ لِلْحَوَادِثِ تَبْدُو
وَإِذَا رَنَّةٌ، كَمَا تَضَحَكَ الْآ
وَقَفَ الشَّعْرُ شَاخِصًا حِينَ مَسَّتْ
نَعَمَاتٌ لَمْ يَعْهَدْ الرُّوضُ مِثْلًا
وَلُحُونٌ لَهَا مِثَالٌ عَجِيبُ
بَيْنَ عَوْدٍ كَمْ هَزَّ أَعْطَافَ رَمْسِي
وَدُفُوفٍ عَزَفْنَ لِابْنَةِ فِرْعَوُ
وَمَزَامِيرَ أُطْلِقَتْ مِنْ فَمِ السَّحْ
وَرَنْتَ كُلُّ سَرْحَةٍ تَسْرِقُ السَّمْ
وَأَهَازِيحَ رَدَّدَتْهَا الْأَرَاهِيـ

مَوْكِبًا حُفَّ بِالسَّنا وَالْجَلالِ^{١١}
 لُ، وَأَصْوَائُهُ بَنَاتُ الْهَلالِ^{١٢}
 صَفْحَةً الْجَوِّ بِالْطُّبَا وَالْعَوالي^{١٣}
 وَرَفَّتْ فَوْقَ السَّحابِ الثَّقالِ^{١٤}
 تَحْتَ أَعْلَامِهِ الْعُصُورُ الْأَوالي^{١٥}
 فِي احْتِفَاءٍ ضَافِي السَّنا واحْتِفَالِ
 بَ، وَهَذَا الْمُعْزُ جَمُّ النِّوالِ^{١٦}
 مُحْيِي الْبِلادِ مُنْشِي الرِّجالِ^{١٧}
 رَ، مُبِيدَ الْقِيُودِ وَالْأَغْلالِ^{١٨}
 عَيْلُ، دُخْرُ الْمُنى أَبُو الْأَشْبالِ^{١٩}
 مالِ، سِرُّ الْعِلا وَالاسْتِقْلالِ^{٢٠}
 رَكْبُ، بَعْدَ الطَّوافِ وَالتَّجْوالِ؟
 تَمْلَأُ الْجَوَّ، وَاضْحَاتُ الْمَقالِ
 مَلِكِ وَالنَّبْلِ وَالنَّجارِ الْعالي^{٢١}
 قِ، فَكَانَتْ نَهايَةَ التَّرْحالِ^{٢٢}
 نَهْرٍ ما مَرَّ مِثْلُهُ بِخِيالِ
 ضاحِكٍ كَالْمُنَى وَبَيْنَ ابْتِهاجِ^{٢٣}
 مِ سَعِيدِ الْغُدُوِّ وَالْأَصالِ^{٢٤}
 لُ، وَلَا جالَ لِلدَّهْورِ بِبالِ
 مِي، وَنُورِ الْحِجا وَنُبْلِ الْخِلالِ^{٢٥}
 فَهَناءَ بِأَكْرَمِ الْأَنْجالِ^{٢٦}
 حَاجَةً فِي نَفوسِنا لِلْمَعاليِ^{٢٧}
 ضَ، وَيَدْعُو بِالْعِزِّ وَالْإِقْبالِ
 بَيْنَ ظِلٍّ وَكَوْثَرِ سَلْسالِ^{٢٨}
 إِنْ دَعَتْهُ يَوْمًا، وَلَا هُوَ سالي^{٢٩}
 قِ، وَلَا رُوِّضَتْ بِصَيْدِ جِبالِ^{٣٠}
 فَ جَمِيمِ الْندى دَمِيثِ الرِّمالِ^{٣١}

ذُهِلَ الشَّعْرُ، فَاسْتَفاقَ، فَأَلْفَى
 ساطِعاتُ الشَّمُوسِ فِيهِ مَشاعِيـ
 زَحَمَ الْأَرْضَ بِالْجِيا، وَغَشَى
 وَهَفَّتْ رايَةً عَلَى قِمَّةِ النُّجْمِ،
 مَوْكِبٌ يَجْمَعُ الشَّعُوبَ، وَتَمْشِي
 سار فِيهِ الْمُلُوكُ مِنْ كُلِّ جِيلِ
 ذاك مِينا، وَذاك عَمَرُو فَتَى الْعُرِ
 وَبَدَا بَيْنَهُمْ مُحَمَّدٌ الْأَكْبَرِ،
 صادِعُ الْجَهْلِ، هادِمُ الظِّلِمِ فِي مِصـ
 خَلْفَهُ زِينَةُ الْخِلائِفِ إِسْما
 وَفِؤادٌ مُجَدِّدُ الْجِيا وَالآ
 سألَ الشَّعْرُ أَيْنَ يَقْصِدُ هَذَا الرِّ
 فَأَجابَتْ مِنْ فَوْقِهِ هاتِفاتُ
 أَسْرِعُوا نَحْوَ عابِدِينَ مَقامِ الـ
 وَقَفَ الرَّكْبُ عِنْدَ سُدَّةِ فارو
 ورأى الشَّعْرُ مَحْفِلًا لِمُلُوكِ الدِّ
 جَلَسُوا جاذِلِينَ، بَيْنَ ابْتِهاجِ
 ثُمَّ نادَى ذُو أَمْرِهِمْ: «نَحْنُ فِي يَوْ
 «يَوْمٌ يُمْنٌ لِمَضَرٍّ، لَيْسَ لَهُ مِثـ
 «وُلِدَ الْمَجْدُ، فِيهِ وَالشَّرَفُ السّا
 «نَجَلَ السَّيِّدُ الْمُمَلِّكُ فِيهِ
 «قَدْ سَعَيْنَا لِسُوجِهِ فَقَضَيْنَا
 بُهْرَ الشَّعْرُ فَاَنْتَنَى يَلِثُ الْأَرْ
 وَشَدَا مِثْلَما شَدَتْ بِنْتُ أَيْكِ
 نَعِمَتْ بِالْأَلِيفِ، لَا هُوَ ناءِ
 لَمْ تَرَ النِّسْرَ فِي مَخالِبِهِ الزَّرِ
 تَحْتَهَا الزَّهْرُ فَاتِنِ اللَّوْنِ رَفّا

صَدَحَتْ لِلدُّجَى، وَلِلَّيْلِ حُسْنٌ
صَدَحَتْ لِلصَّبَاحِ يَلْمَعُ فِي الشَّرِّ
حِينَ يَطْوِي الوجودَ فِي سِرْبَالٍ ٣٢
قِ، طَهُورًا كَبَسَمَةِ الْأَطْفَالِ
فَوْقَ طَوْقِ الْجُهُودِ وَالْإِيغَالِ ٣٣

* * *

غَرَّدِي كَيْفَ شِئْتِ يَا سَرَحَةَ الْوَا
وَأَجْمَعِي الْيَوْمَ كُلَّ ذَاتِ جَنَاحِ
أَرْسَلِي الْبُلْبُلَ الْفَرِيدَ يُنَادِي
إِنَّ يَوْمَ الْمِيلَادِ يَوْمٌ عَلَى الدَّهْرِ
صَفَقَ النِّيلُ فِيهِ زَهْوًا وَعُجْبًا
سَاحِبًا ذَيْلَهُ يَمُرُّ عَلَى الزَّهْرِ
لَا يُبَالِي، فَقَدْ تَمَلَّكَهُ الـ
وَهُوَ لَوْلَا عَذُوبَةُ الْحُبِّ مَا فَا
أَنْتَ مَوْلَاهُ، أَنْتَ عَلَّمْتَهُ الْبَدْ
عَمَرْتُنَا نَعْمَاكَ فِي كُلِّ حَالِ
أَيُّهَا الرَّاكِبُونَ فِي طَلَبِ الْغَيْ
لَا تَرِيمُوا، مَكَانَكُمْ، لَا تَرِيمُوا

دِي، وَهَزِّي فَضْلَ الْغُصُونِ الطَّوَالِ ٣٤
إِنَّ يَوْمَ الْفَارُوقِ فِي الدَّهْرِ غَالِي
تَسْتَجِبُهُ الطُّيُورُ فِي أَرْسَالِ ٣٥
رِ قَلِيلُ الْأَنْدَادِ وَالْأَمْثَالِ ٣٦
وَجَرَى فِي تَخَطُّرٍ وَاخْتِيَالِ ٣٧
رِ، فَتَمَضِّي الزَّهْوُ فِي الْأَذْيَالِ ٣٨
حُبِّ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ أَلَّا يُبَالِي
ضَ بَعْدَ مَنْ النَّمِيرِ زُلَالِ ٣٩
لَ، وَبَذَلَ الْعَبِيدِ فَضْلَ الْمَوَالِي
فَحَمَدُنَا نَعْمَاكَ فِي كُلِّ حَالِ ٤٠
سِ سِرَاعًا وَالْغَيْثُ مِلءُ الرِّجَالِ!
سَاحَةُ الْمُلِكِ مَوْرِدُ السُّؤَالِ ٤١

* * *

يَا لَهَا فَرَقْدًا أَطْلَّ عَلَى الدُّنْ
سَطَعَتْ بِالسُّعُودِ، تَسْتَقْبِلُ الْكُ
اسْتَهَلَّتْ بِالسَّلَامِ وَالْيَمْنِ وَالْعِي
أُغِمِدَ السَّيْفُ بَعْدَ طُولِ جِدَالِ
أَنَا فِي السَّلَامِ عِبْقَرِي الْقَوَافِي
أَنَا شَعْرِي كَالطَّيْرِ يُفَزَعُهُ الْفَخْ
لَا تَعِيشُ الْفَنُونَ بَيْنَ كِفَاحِ
خَفْتُ إِنَّ أُشْعِلْتَ لَطَى الْحَرْبِ أَنْ
«لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا (عَلِمَ اللَّهُ)

يَا، فَأَمَسَتْ نَجُومُهَا كَالذُّبَالِ ٤٢
نَ فَتَحَضِّي بِأَشْرَفِ اسْتِقْبَالِ
دِ، فَكَانَتْ بَرَاغَةَ اسْتِهْلَالِ ٤٣
وَجِدَالُ السُّيُوفِ شَرُّ جِدَالِ
لَيْسَ لِي فِي الظُّبَا وَلَا فِي النَّصَالِ
وَيَرْتَاغُ مِنْ حَفِيفِ النَّبَالِ
رَاكِبِ رَأْسَهُ، وَبَيْنَ نِضَالِ
نَشِدَ بَيْتًا جَرَى مَعَ الْأَمْثَالِ ٤٤
وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي ٤٥

فَمَتَى تَهْدَأُ الْقُلُوبُ إِلَى الْحُبِّ، وَتُهْدَى النَفُوسُ بَعْدَ ضَلَالٍ؟

* * *

أَشْرِقِي عَابِدِينَ، فَالْمُلْكُ زَاهٍ
أَنْتِ أَطْلَعْتَ فِي سَمَائِكَ بَدْرًا
دَوْحَةُ الْمَجْدِ أَنْتِ، كَمْ مِنْ أَصُولٍ
دَوْحَةُ أَرْضِهَا مِنَ الطَّيِّبِ وَالْمَسِدِ
كَمْ أَظَلَّتْ مِصْرًا وَحَاطَتْ بِبَنِيهَا
أَنْتِ يَا عَابِدِينَ خَيْرُ بِنَاءٍ
صَفَقَتْ مِصْرُ حِينَمَا جَاءَتْ الْبُشَى
كَمْ بَسَطْنَا الْأُكُفَّ نَضْرَعُ لِلرَّحَى
وَسَبَقْنَا دَقَّ الْبِشَائِرِ شَوْقًا
وَوَدِدْنَا لَوْ اسْتَقَرَّ التَّمَنِّي
وَإِذَا أَنْعُمُ الْإِلَهِ تَوَالَى
وَإِذَا الْفَجْرُ صَادِقُ يَمَلَأُ الشَّرَّ
وَإِذَا الْمَهْدُ فِيهِ ذُرَّةُ مَجْدٍ
وَإِذَا مِصْرُ أَعْيُنًا وَقُلُوبًا
فَهَنَاءُ مَلِيكَةِ النَّيْلِ، كَمْ حَقَّ
وَهَنَاءُ مَلِيكَ مِصْرَ الْمُفَدَى
عِشْ، وَعَاشَتْ أَمِيرَةُ الْمُلْكِ وَاسْلَمْ

صَاعِدُ الْجَدِّ، وَالزَّمَانُ مُوَالِي^{٤٦}
عَلَّمَ ابْنَ السَّمَاءِ مَعْنَى الْكَمَالِ
رَاسِيَاتٍ، وَمِنْ فُرُوعِ هِدَالِ^{٤٧}
كَ، وَأَثْمَارُهَا سُمُوطُ اللَّالِي^{٤٨}
مِنْ هَجِيرِ الْخَطُوبِ وَالْأَهْوَالِ
مَدَّ أَفْيَاءَهُ عَلَى خَيْرِ آلِ^{٤٩}
رَرَى، فَأَهْلًا بِمَوْلِدِ الْأَمَالِ
مِنْ، وَاللَّيْلُ مُسْبِلُ الْأَسْدَالِ^{٥٠}
وَبَعَثْنَا السُّؤَالَ إِنْثَرَ السُّؤَالَ
وَاسْتَرَحَ الرَّجَاءُ بَعْدَ كَلَالِ^{٥١}
بِعَمِيمِ الْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ^{٥٢}
قَ، فَيَمْحُو غِيَاهِبَ الْأَوْجَالِ^{٥٣}
لِكَرِيمِ الْجُدُودِ وَالْأَخْوَالِ^{٥٤}
تَقْبِسُ النُّورَ مِنْ سَنَا «فَرِيَالِ»^{٥٥}
حَقَّقَتْ لِلنَّيْلِ مِنْ أَمَانِ غَوَالِي
نَلَتْ — فَاشْكُرْ اللَّهَ — خَيْرَ مَنَالِ
لِلْمَعَالِي وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

هوامش

(١) السانح من الطير: ما ولاك ميامنة والعرب تتفاعل به. السنين الخوالي: الأعوام الماضية.

(٢) الغدائر: جمع غديرة. وهي الضفيرة.

(٣) شتيت الأشكال والألوان: أي مفرقتها ومختلفها.

(٤) النوى: البعد. المطال: التسويف.

- (٥) شخص بصره: رفعه.
- (٦) اللحن: جمع لحن.
- (٧) الأقيال: جمع قيل وهو دون الملك الأعلى.
- (٨) مادت: اهتزت وحركت.
- (٩) السرحة: الشجرة العظيمة، العطو: رفع الرأس.
- (١٠) الأهازيج: جمع أهزوجة وهي الأغنية.
- (١١) السنا: الضوء.
- (١٢) بنات الهلال: النجوم.
- (١٣) العوالي: جمع عالية وهي أعلى القناة. الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف.
- (١٤) هفت الراية: تحركت والراي جمع راية.
- (١٥) الأوالي: الأوائل.
- (١٦) يقول: كان مينا رسول الفراعنة في هذا الجمع الحاشد وكان مبعوث العرب
عمرًا، وكان رسول الفاطميين الجواد الكريم المعز لدين الله.
- (١٧) يقول: وظهر بين هؤلاء الملوك الصيد محمد علي رأس الأسرة العلوية.
- (١٨) الصدع: الشق. الأغلال: جمع غل وهو القيد.
- (١٩) الخلائف: جمع خليفة وهو السلطان الأعظم.
- (٢٠) وسار في هذا الجمع أيضًا فؤاد والد فاروق.
- (٢١) النجار: الأصل.
- (٢٢) السدة: باب الدار أو فناؤها، ويريد بسدة فاروق قصر عابدين.
- (٢٣) جاذلين: فرحين. ابتهاج: إخلاص في الدعاء.
- (٢٤) الغدو: جمع غدوة وهي أول النهار. الأصال: جمع أصيل وهو ما بعد العصر.
- (٢٥) الحجا: العقل.
- (٢٦) نجل: أنجب.
- (٢٧) السوح: جمع ساحة وهي الفضاء بين دور الحي.
- (٢٨) شدا: غنى وترنم. الأيك: الشجر الملتف. السلسال: الماء العذب.
- (٢٩) السالي: المتخلص من لواجع الحب.
- (٣٠) المخالب الزرق: الأظفار الحادة الجارحة. روعت: أخيفت.
- (٣١) جميم الندى: كثيره. دميث الرمال: سهلها لينها. رفاف: متحرك.

- (٣٢) الدجى: شدة الظلمة. سربال: قميص، رداء.
- (٣٣) الإيغال: المبالغة والمغالاة.
- (٣٤) سرحة: الشجر العظيم. فضل: بقية الشيء.
- (٣٥) الأرسال: جمع رسل وهو الجماعة من كل شيء.
- (٣٦) الأنداد: جمع ند وهو المثل كالنديد.
- (٣٧) التخطر: التبخر. الاختيال: الزهو والعجب.
- (٣٨) الذيل من الثوب: ما جر على الأرض.
- (٣٩) ماء زلال: عذب بارد صاف.
- (٤٠) غمره الماء: غطاه.
- (٤١) لا تريموا: الزموا أماكلكم.
- (٤٢) الذبال: جمع ذبالة وهي الفتيل. الفرقد: نجم يهتدى به.
- (٤٣) يشير إلى أن مولد الأميرة كان في وقت استبشر الناس فيه بزوال نذر الحرب (التي كان يندلع لهيبها في سبتمبر سنة ١٩٣٨م؛ بسبب أزمة السودان التي قامت بين ألمانيا وتشكوسلوفاكيا وانتهت باتفاق ميونيخ)، واستقبلوا فيه ليلة القدر وعيد الفطر فكان مولدها بشير خير وفاتحة عهد سعيد.
- (٤٤) لظى الحرب: لهبها.
- (٤٥) يخاف الشاعر إن دارت رحى الحرب واستعرت نيران القتال أن يصطلي بنارها ويجني مر ثمرها وهو لم يقدح زنادها ولم يضرم شررها ولم يكن من دعااتها ومثيريها، فيتمثل ببيت الحارث بن عباد (لم أكن من جناتها)، وقد أنشده في حرب البسوس لما أكره على خوض غمارها.
- (٤٦) الموالي: المصافي.
- (٤٧) الهدال: ما تهدل وتثنى من الأغصان. الدوحة: الشجرة العظيمة.
- (٤٨) السموط: جمع سمط وهو الخيط ينظم فيه.
- (٤٩) الأفياء: الظلال.
- (٥٠) الأسدال: جمع سدل وهو الستر.
- (٥١) الكلال: الإعياء والتعب.
- (٥٢) توالي: تتابع.
- (٥٣) غياهب: الظلمات. الأوجال: الخوف.

مِلَادُ الْأَمِيرَةِ فَرِيَال

(٥٤) المهد: الموضع يهياً ويعد للصبي.

(٥٥) تقبس النور: تأخذه وتستمدّه.

ضنَّ الشعر بالمديح (عام ١٩٤٥م)

قد قرأنا الحياةَ سَطْرًا فسَطْرًا
ورأينا المِقْدَامَ يسمو إلى العِزِّ
ولمحنّا بجانبه أناسًا
إنَّمَا المَنْصِبُ الكريمُ بمن فيهِ
قد حبسنا المديحَ عن كلِّ مُسْتَا
لا تزيّنُ العقوْدُ جيّدًا إذا لم
رُبَّ دُرٍّ لاقى من الصدرِ دُرًّا
لو مدحنا من لا يَحِقُّ له المد
الرسولُ الكريمُ أنطق حَسًّا
وابنُ حَمْدانَ لَقِنَ المتنبي
يصدّقُ الشعرُ حينما يصدّقُ النا
وإذا عزّتِ المكارمُ ولّى
ومضى يشتكي الزمانَ ويبكي
فإذا شئتَ أن أكونَ زُهَيْرًا

وشهدنا صروفها ألوانًا^١
ز ولا يرتضي النجومَ مكانًا^٢
قَتَلُوا ذِلَّةً وماتوا هوانًا
هـ، وليس القَنَاةُ إِلَّا سِنَانًا^٣
م، وأَجْدِرُ بشعرنا أن يُصَانَا^٤
يَكُّ، بالحسن قبلها مُزدانًا
وَجُمَانِ في النَحْرِ لاقى جُمَانًا!^٥
حُ لَوَى الشعرُ رأسه فهجانًا
نَّا، ولولاه لم يَكُنْ حَسَانًا^٦
غُرَرَ المدحِ في بني حَمْدانًا^٧
سُ فيشدو بمدحهم نَشوانًا^٨
مُطَرِّقَ الرأسِ واجمًا خَزْيَانًا
دارساتِ الطُّلُولِ والأُطْعَانَا^٩
فأعِنِّي وهاتِ لي ابنَ سِنَانَا^{١٠}

هوامش

- (١) صروفها: أحداثها.
- (٢) يسمو: يعلو ويرتفع.
- (٣) القناة: الرماح. سنانا: سنان الرمح.
- (٤) حبسنا المديح: منعنا الثناء. مستام: الذليل المهان.
- (٥) در: لؤلؤي ثمين. جمان: حبة من الفضة.
- (٦) حسان: حسان بن ثابت شاعر الرسول، عليه الصلاة والسلام.
- (٧) ابن حمدان: سيف الدولة الحمداني. المتنبي: أبو الطيب أحمد المتنبي الشاعر العربي العظيم. غرر: جمع غرة، أوائل.
- (٨) نشواناً: فرحاً.
- (٩) دراسات الطلول: بقايا الأطلال. الأظعانا: المسافرين.
- (١٠) زهيراً: هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي العظيم مدح هرم بن سنان لكرمه وفضله ومروءته.

نشيد التاج

أنشدته فرقة معهد الموسيقى العربية بقصر عابدين بمناسبة تولية الملك فاروق آخر ملوك مصر سلطته الدستورية سنة ١٩٣٧ م.

وَشَدَّتْ لَطْلَعَتِكَ الْأَغَانِي	بَسَمَتْ لِمَقْدَمِكَ الْأُمَانِي
بِ، فَكُنْتَ فِي أَوْفَى مَكَانٍ ^١	وَنَزَلْتَ أَحْنَاءَ الْقُلُوبِ
مَا لِلزَّمَانِ بِهَا يَدَانِ! ^٢	كَمْ نِعْمَةٍ أَسَدَيْتَهَا
رَ مُمَلِّكَاءَ مِلءِ الزَّمَانِ	الْيَوْمَ تَلْبَسُ تَاجَ مِصْرَ
مِنْ صُنْعِ أَيْدِيكَ الْحِسَانِ	تَاجَ أَضْيَاءَ كَأَنَّهُ
عِ فَمَنْ يُقَارِبُ أَوْ يُدَانِي ^٣ ؟	مَجْدُ أَنْفَافٍ عَلَى السَّمَاءِ

فَارُوقُ يَا نَجْمَ الْهُدَى دُمِ لِلْعُلَا
أَدْرَكْتَ غَايَاتِ الْمُنَى مُتَمَهِّلًا
الشَّعْبُ يَلْمَحُ نُورَكُمْ مُتَفَائِلًا
مَجْدُ أَثِيلٍ، دَهْرُ مُنِيلٍ، مَلِكُ نَبِيلٍ
زَيْنُ الْجِمَى سَبْطُ الْبَنَانِ^٤

لَمَحَاتُهُ بِشَرِّ الْأُمَانِي!	لِلْهِ تَاجُكَ إِنَّمَا
بِ، فَجَلَّ عَنْ حَبِّ الْجُمَانِ ^٥	قَدْ صِيغَ مِنْ حَبِّ الْقُلُوبِ
تِ جَلَالَةٍ وَعُلُوشَانِ	بَهْرَ الْعُيُونِ الْخَاشِعَا
هِيَ أَوَّلُ وَالْبَدْرُ ثَانِي	وَزَهَا وَعَزُّ بِجَبْهَةِ
عِ، وَدُرُّهُ صِدْقُ التَّهْنَانِي ^٦	شَذَرَاتِهِ صَفْوُ الْوَلَا

كَمْ رَحْمَةٍ ضَمَّتْ لَأَ لِيَّهِ لِمَضَرَ وَكَمْ حَنَانٍ!
اليوم عيدٌ بِاسْمِ عِيدِ الْأَمَلِ
تُزْهِى بِهِ مَضَرٌ عَلَى كُلِّ الدُّوَلِ
مَنْ كَالْمَلِكِ بِنُبُلِهِ ضُرِبَ الْمَثَلُ؟
نَفَحَاتُهُ، وَصِفَاتُهُ، وَهَبَاتُهُ
قد أَعْجَزَتْ وَحْيَ الْبَيَانِ
حَصَّنَتْهُ بِفَوَاتِحِ الْـ قُرْآنِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي^٧
نَالَتْ بِهِ مَضَرُ الْمُنَى وَتَفَيَّاتٌ ظِلُّ الْأَمَانِ
مَلِكٌ مَشَى الدَّهْرُ الْجَمُوعُ حُ إِلَيْهِ مَرْجِي الْعِنَانِ
أَعْلَى أَبُوكَ بِنَاءِ مِصْرَ وَكَانَ جَدُّكَ خَيْرَ بَانِي
الْخَيْرُ أَسْبَقُ لِلْبَقَا عِ مِنْ السَّوَابِقِ فِي الرَّهَانِ
وَالْبِرُّ فِي أَنْ يُفَا دُ، وَذِكْرُهُ فِي كُلِّ أَنْ
فَاهِنًا بِمُلْكِكَ إِنَّهُ بِكَ يَخْتَمِي
وَأَسْعَدُ فَكُلُّ مَجَادَةٍ لَكَ تَنْتَمِي
وَأَسْلَمَ لِمَضَرَ عِمَادَهَا فِي الْمُعْظَمِ
عَاشَ الْمَلِكُ، عَاشَ الْمَلِكُ، عَاشَ الْمَلِكُ
بِالْقَلْبِ يُحْمَدُ وَاللِّسَانِ

هوامش

- (١) أحناء: داخل. أوفى: أشمل، أأمن.
- (٢) أسديتها: أديتها.
- (٣) أناف: ارتفع علا حتى قرب من السماء.
- (٤) سبط البنان: حسن الهيئة سخي كريم.
- (٥) حب القلب: سويداؤه. الجمان: حبة من الفضة كالدرة.
- (٦) شذراته: صغار اللؤلؤ.
- (٧) فواتح القرآن: هي بسم الله الرحمن الرحيم. السبع المثاني: فاتحة الكتاب وهي الحمد لله رب العالمين إلى آخر السورة.

تقريظ

بعث الشاعر بهذه القصيدة لأحد أصدقائه الأدباء بمناسبة كتابته لقصة مصرية عام ١٩٠٥م.

أصبحتَ في الكتابين المُفردَ العَلَمَا^١
ماذا عليكِ إذا سَمَّيتها كَلِمَا؟^٢
فما أَثْمَتَ، ولا شرَّابُها أَثَمًا^٣
وتوقَّظَ الدينَ والآدابَ والكَرَماءُ^٤
وفي كتابك شيخًا يَنْثُرُ الحِكَماءُ^٥
فكاد يلمِسُهُ قُرَّاءُه وهَماءُ^٦
وكم حديثٍ تَمَنَّتْ عنده الصَّمَماءُ!
من المجيدينَ ألاَّ يَحْمِلَ القَلَمَا^٧
وصُغْتَ فيه كَريمَ اللَّفْظِ ملْتَمَمًا^٨
بِدُرٍّ لَفْظِكَ مَنْثُورًا وَمُنْتَظَمًا^٩
بدائعُ الكونِ فيها صُورَتِ نَعَمًا^{١٠}
إذا بَكَى الغَيْثُ في أَنحائِه ابتسَمًا^{١١}
لا يرهَبُ الحِنْتَ من لَمْ يَخْطِ القِسَمَا!^{١٢}

كَفَّاكَ، حَسْبُكَ هذا، أَغْمِدِ القَلَمَا
ملأتَ للشَرْبِ كاساتٍ مُشْعِشَةً
أهديتها من عصيرِ الفِكرِ صافيةً
تَفُلُّ من موطنِ الأسرارِ سَوْرَتَه
نراك فينا غلامًا في غُضارَتِه
بدا الخيالُ به في زِي ذِي شَبَحٍ
مالت له أُنْذِي من بعد جَفَوَتِها
أبدعتَ فيه، فالى كُلُّ ذِي قَلَمٍ
وَسُقْتَ فيه حَكيمَ الرأيِ مَنَحَلًا
ورُغِمَتْ كُلُّ فتاةٍ في قِلادَتِها
كأنَّما لَفْظُه أَلحانُ ساجِعةٍ
أو روضُ حَزْنٍ أعار المِسْكَ نَفْحَتَه
أَقسمْتُ أَنَّكَ في الكُتَّابِ سيِّدُهُم

هوامش

- (١) حسبك: يكفيك. اغمد: أدخل.
- (٢) للشرب: لجماعة الشاربين. مشعشة: ممزوجة.
- (٣) أئمت: أذنبت. شرابها: شاربها والمقصود القراءة.
- (٤) تفل: تقطع. موطن الأسرار: كناية عن القلب. سورته: حديثه.
- (٥) غضارته: الغضارة، النعمة والسعة والنصرة.
- (٦) زي: لباس. ذي شبح: شخص. وهما: غلطا.
- (٧) آلى: أقسم.
- (٨) منتخلًا: مختارًا.
- (٩) رعت: أخفت. قلاذتها: حليها. در: لؤلؤ. لفظك: كلماتك. منثوره: نثرًا. منتظمًا: منظومًا شعرًا.
- (١٠) ساجعة: الحمامة المردة صوتها كالغناء.
- (١١) روض حزن: الحزن ما غلظ من الأرض ورياض أبهى الرياض وأجملها.
- (١٢) الحنث: الحلف في القسم.

تَحِيَّةُ الشَّعْرِ لِلْأَمِيرَةِ

أرادت مدرسة الأميرة فوزية الثانوية للبنات سنة ١٩٣٣م أن تتوج أول جزء من أجزاء مجلتها، فصدرته بهذه القصيدة.

واصدَحَ بخيرِ الأنساتِ	حَيَّيْ الخِلالِ الطاهراتِ
لِ الْمَلِكِ، باهرةَ الصفاتِ	حَيَّيْ الْأَمِيرَةِ فِي جِلا
كَ الصَّيْدِ والغُرِّ السَّراةِ ^١	(فوزيةً) بَنَتِ المُلُو
أَجْزَلُوا نورَ الحياةِ ^٢	الواهبينَ لمصرَ فيما
يَخْتالُ بَيْنَ الخافِقاتِ ^٣	والناشِرينَ لواءها
من بَيْنِ أطواءِ الرِّفاتِ ^٤	والنازِعينَ ترائِها
هُ على البلادِ الأخرِياتِ	قامتُ بِهِم مِصرُ تَتِي
هِ بِالقُطوفِ الدانياتِ ^٥	في حاضِرِ كالرُوضِ زا
جِيدَ العُصُورِ الخالِياتِ ^٦	وَجلائِلِ قَد زَيَّنتُ
عَ وَقِبلَةَ المُتعلِّماتِ	يا دُرَّةَ النَّجَّجِ الرَفِي
وَكُلُّ فَضْلٍ مِنْكَ آتٍ	هَذي مَجَلَّتْنا إِلَيْكَ،
بِقَبُولِها جُهدَ الفتاةِ	جُهدُ الفتاةِ، فَشَجَّعِي
نَ وَأَنْتِ زَيْنُ الناشئاتِ ^٧	(فاروقُ) زَيْنُ الناشِئِ
تِ وَأَنْتِ أَسْمَى النِيراتِ ^٨	والشَّمْسُ إِحْدَى النِيرا
نُنبِلُ مِنْ بَعْدِ الشَّتاتِ	اللَّهُ جَمَعَ فِيكَ شَمْلَ الن
فَهَزَّ أَعْطافَ النَّباتِ ^٩	خُلُقٍ كَمَا خَطَرَ النَّسِيمُ

أُنْقَى مِنَ الدُّرِّ الْفَرِّ	يَدِ يَزَيْنُ صَدَرَ الْحَالِيَاتِ
وَشَمَائِلُ عَلَوِيَّةُ	أَصْفَى مِنَ الْمَاءِ الْفُرَاتِ ١٠
الطَّالِبَاتُ — كَمَا تَرَّ	يُنْ — وَأَنْتِ ذُخْرُ الطَّالِبَاتِ
يَبْعَثُنَ آيَاتِ الْوَلَا	ءِ إِلَى الْأَمِيرَةِ مُخْلِصَاتِ ١١
وَيَطْفَنَ بِالْبَيْتِ الْكَرِّ	يَمِ مُكَبَّرَاتِ دَاعِيَاتِ
بَيْتُ بِنَاهُ مَحَمَّدُ	فَوْقَ النُّجُومِ السَّابِحَاتِ ١٢
لِبَنَاتِهِ الْمَجْدُ الْعَرِّ	يُقُ وَصَحْرُهُ خُلُقُ الثَّبَاتِ ١٣
فِيهِ فَوَادُ بَاعَثُ الْـ	أَمَالِ فَيَاضُ الصَّلَاتِ ١٤
الدَّهْرُ يَرْوِي فَضْلَهُ	وَالدَّهْرُ رَاوِيَةُ الرُّوَاةِ
وَالْمَلِكُ مُؤْتَلِقُ السَّنَا	فِيهِ الْعَشِيَّةُ كَالْغَدَاةِ ١٥
عَاشَ الْمَلِكُ وَعِشْتُمْ	رَمَزَ الْعُلَا وَالْمَكْرُمَاتِ

هوامش

- (١) الصيد: جمع أصيد. وهو المزهو في عز وعظمة. الغر: السادة الشرفاء. الواحد: أغر. السراة: الأجواد الكرماء، الواحد: سري. وسراة، من الجموع النادرة.
- (٢) أجزلوا: أوسعوا في العطاء وأكثروا.
- (٣) اللواء: العلم. ويريد بنشر لواء مصر: تمكين سلطانها وإعزاز شأنها. يختال: يعجب. الخافقات: الأعلام، يريد أعلام الدول الأخرى، أو الخافقات الرياح الأربع.
- (٤) النازعون: المستخلصون. التراث: ما خلفه الأوائل. الأطواء: الثنايا. الرفات: ما تحطم وبلي.
- (٥) القطوف: ما يقطف من الثمار. الواحد: قطف (بالكسر). دانية: قريبة.
- (٦) جلائل: أي أعمال عظيمة. الجيد: العنق. الخاليات: الماضية.
- (٧) فاروق: ولي العهد إذ ذاك.
- (٨) النيرات: الكواكب المضيئة.
- (٩) خطر: مر. الأعطاف: الجوانب، الواحد عطف.
- (١٠) الشمائل: الطباع. الواحدة شمال (بالكسر). الفرات: المفرط في العذوبة.
- (١١) آيات الولاء: مظاهر الإخلاص ودلائل الوفاء.

تحيّة الشّعْر للأميرة

(١٢) النجوم السابحات: التي تدور في أفلاكها. محمد: أي محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية.

(١٣) اللبّات: ما يضرب من الطين للبناء. الواحدة: لبنة.

(١٤) فياض الصلّات: كثير العطاء واسع الجود.

(١٥) مؤتلق: متألّق متلألئ. السنا: الضوء.

إلى جريدة

عام ١٩٠٦ م

محوتِ الليلَ ناصعةَ الجبينِ
وأرسلتِ الصحائفُ منك نورًا
وكان الحقُّ مذكومًا سجينًا
وكنْتَ صحيفةَ الأبرارِ حقًا
سوادُ مدادك اللِّمَّاحُ سحرٌ
أثيري التَّربُّ عن حقِّ مُضاع
ومُدِّي الصوتِ صخبًا جريئًا
وذودي عن حمى الوطنِ المفدى
وصولي صولةَ الرِّثَالِ يعدو
فنحن الآنَ نحيا في زمانٍ

فكنتِ بشائرَ الصبحِ المبينِ^١
ففرَّ الشكُّ من وَضَحِ اليقينِ
فحطَّمتِ القيودَ عن السجينِ^٢
تلَقَّتْكِ الكنانةُ باليمينِ^٣
تمنَّتْ مثله سودُ العيونِ^٤
فقد طال المُقامُ على الدفينِ!
فمعنى الموتِ من معنى السُّكونِ!^٥
وردِّي حرمةَ الحقِّ المصونِ
على من حام من حولِ العرينِ^٦
تنكَّرَ للضعيفِ المستكينِ!

هوامش

(١) محوت: أزلت. ناصعة: بيضاء. بشائر: أوائل. المين: الواضح.

(٢) مذكومًا: معيَّبًا.

(٣) الأبرار: المطيعون. الكنانة: مصر.

ديوان علي الجارم

(٤) مدادك: حبرك الذي يكتب به.

(٥) صخاباً: كثير الضوضاء.

(٦) الرئبال: الأسد. العرين: بيت الأسد.

نشيد المعلمين

نشأ الجارم معلماً وأستاذًا، فلا أقل وهو الشاعر المبدع أن يشيد — من خلال شعره
ومن موقع الوفاء — بهذه المهنة الشريفة وبأربابها الشرفاء من معلمي مصر. فكان هذا
النشيد «نشيد المعلمين» عام ١٩٣٨ م.

ملكْتُ مصرَ زِمَامَ العالمين — بالعلوم — في حديثٍ للمعالي وقديم^١
نكُرْها حَلَقَ بين الأولين — للنجوم — ووعاهُ الدهرُ والدهرُ فطيم^٢
كوكبُ في الظلماتِ — روضةً وسطَ فلاةٍ — رمزُ عزمٍ وحياء^٣
مصرُ أنتِ — مُذْ نشأتِ — صفحة المجدِ سجلُ الخالدين

* * *

نحن حِرَّاسُ على الكنزِ المصونِ — العقول — كَنَزُ مصرِ ومُنَى المستقبلِ
نحنُ للأخلاقِ في مصرَ حصونٌ — لا تزولُ — عِزَّةُ الشعبِ بعِزِّ المعقلِ^٤
كم غَرَسْنَا من نبات — عبقريِّ النفحاتِ — مُورِقُ دانيِ الجنةِ^٥
كم جهَدْنَا — كم سهِدْنَا — نهْدُمُ الجهلَ ونبني الناشئين

* * *

تلك في الأرضِ حياة الأنبياء — والهداة — شَرَفٌ أعْظَمُ به من شَرَفِ
نحنُ للأرواحِ إن عَزَّ الدَّوَاءُ — الأساة — كم وقينا مهجَةً من تلفِ^٦
وَأَلْنَا مِنْ قِناةٍ — في اعتزامٍ وأناةٍ — بالخلالِ الطيِّباتِ^٧
كَمْ بلغْنَا — ما أَرَدْنَا — من صلاحِ النفسِ في رفيقٍ ولين

* * *

نَرْقُبُ اللهَ وَنَرْجُوهُ الثَّوَابُ — فِي الْعَمَلِ — وَعُلَا مِصْرَ الْمَنَالِ الْأَوْحَدُ
مَا لَنَا إِلَّا نُهْوُضُ بِالشَّبَابِ — مِنْ أَمَلٍ — قُوَّةُ الْأَوْطَانِ عَقْلٌ وَيد
حَسَبْنَا مِنْ حَسَنَاتٍ — أَنَّنَا فِي النَّهَضَاتِ — أَهْلٌ جَدٌّ وَثَبَاتٍ
الْكَفَاخُ — وَالْفَلَاخُ — شِيْمَةُ الْحُرِّ وَدَأْبُ الْعَامِلِينَ^٨

* * *

كَمْ صَنَعْنَا مِنْ عُقُولٍ وَرَجَالٍ — لِلْوَطَنِ — عُرِفُوا بِالنَّبْلِ فِيمَنْ عُرِفَا
لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ دَعَا الْحَقَّ فَمَالَ — أَوْ وَهَنَ — هُوَ مِصْرِيٌّ صَمِيمٌ وَكَفَى^٩
هُوَ مِنْ نَسْلِ الْكُفَاةِ — الْأَمَاجِيدِ السُّرَاةِ — مَنْ أَتَوْا بِالمُعْجَزَاتِ^{١٠}
مَنْ يُبَاهِي؟ — مَنْ يُضَاهِي؟ — مَا لِمِصْرِ فِي مَدَى الْمَجْدِ قَرِينٌ^{١١}

* * *

مَنْشَى الْأَجْيَالِ أَسْتَادُ الشُّعُوبِ — وَالْأُمَمِ — قَلَمًا يَبْلُغُ فِي الدُّنْيَا مُنَاهُ
شِعْلَةً تَعْلُو وَتَحْبُو وَتَذُوبُ — فِي الضَّرَمِ — لَتَقْوَدَ النِّشْيُ فِي لَيْلِ الْحَيَاةِ^{١٢}
يَا لَهَا مِنْ صَفَحَاتٍ — طَاهِرَاتٍ نَاصِعَاتٍ — مُلِئَتْ بِالصَّالِحَاتِ
كُلُّ خَطْبٍ — كُلُّ صَغْبٍ — هَيِّنٌ إِنْ صَحَّ عَزَمُ الصَّابِرِينَ

* * *

عَاشَ فَارُوقٌ أَمَانًا وَرَجَاءً — عَاشَ عَاشٌ — رَافِعُ الْعِلْمِ وَمُحْيِي الْأُمَلِ
بَلَّغَتْ مِصْرٌ بِهِ أَوْجَ السَّمَاءِ — عَاشَ عَاشٌ — وَغَدَتْ سَيِّدَةً فِي الدُّوَلِ
عَاشَ رَبُّ الْمَكْرَمَاتِ — وَالْأَيَادِي السَّابِغَاتِ — يُفْتَدَى بِالمِهْجَاتِ
الْمَلِيكَ — الْمَلِيكَ — حُبُّهُ مَلَأَ قُلُوبَ الْمُخْلِصِينَ

هوامش

- (١) زمام: قيادة.
- (٢) فطيم: في مرحلة الفطام أي صغير.
- (٣) فلاة: مفازة، صحراء.
- (٤) المعقل: الأصل أو الملجأ. أو الشرف والسيادة.
- (٥) الجناة: الحصاد والجنى.
- (٦) الأساة: الأطباء. تلف: إفساد.
- (٧) قناة: رمح. أناة: تمهل وصبر.
- (٨) دأب: استمرار العمل دون تعب أو كلل وملل.
- (٩) وهن: ضعف.
- (١٠) الكماة: رماة القوس والمقصود المحاربون الشجعان. الأماجيد: السادة الأشراف.
- (١١) قرين: شبيه.
- (١٢) تخبو: تسكن وتهدأ. الضرم: الحطب الذي يسرع اشتعال النار فيه.

الإسكندرية

أنشد الشاعر هذه القصيدة في حفل افتتاح المؤتمر الطبي العربي الذي عقد بحديقة
النزهة بالإسكندرية عام ١٩٤٣م أثناء الحرب العالمية الثانية.

بَدَتْ أَعْلَامُهَا فَهَهَا وَهَامَا	سَلَامًا دُرَّةَ الْوَادِي سَلَامَا ^١
بَعَثْنَا بِالتَّحِيَّةِ خَفَقَ قَلْبُ	يَطِيرُ إِلَيْكَ شَوْقًا وَاضْطَرَامَا ^٢
تَحِيَّاتٍ إِذَا رَفَّتْ أَثَارَتُ	أَرِيحَ الْمَسْكِ أَوْ رِيحَ الْخُزَامَى ^٣
نَظْمُنَا لَوْلَوْ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا	وَسَمِينَاهُ تَضَلِيلًا كَلَامَا

عُرُوسَ الشَّرْقِ دُونَكَ كُلُّ مَهْرٍ	وَأَيْنَ لِمِثْلِ مَهْرِكَ أَنْ يُسَامَا؟ ^٤
فَجَوْهَرُ ثَغْرِكَ الْفَتَّانِ فَرْدُ	تَأَبَّى أَنْ يَرَى فِيهِ انْقِسَامَا ^٥
بَهْرَتِ بَنِي الزَّمَانِ حُلًى وَحُسْنًا	وَدَلَّهَتْ الْأَوَاخِرَ وَالْقَدَامَى ^٦
«فَمَكْسُكَ» مُشْرِقُ الْبَسَمَاتِ ضَاغِ	«وَرَمْلُكَ» جَنَّةٌ طَابَتْ مُقَامَا ^٧
تَرَامَى الْمَوْجُ فَوْقَ ثَرَاهِ صَبًّا	وَكَمْ صَبٌّ تَمْنَى لَوْ تَرَامَى! ^٨
«وَنَزَهَتْكَ» الْبَدِيعَةُ مَا أَحْيَلَى	وَمَا أَبْهَى اتِّسَاقًا وَانْسِجَامَا ^٩
إِذَا انْتَثَرَتْ أَزَاهِرُهَا نِثَارًا	جَمْعَنَ الْحَسَنَ فَانْتَظَمَ انْتِظَامَا ^{١٠}

جَرَى التَّارِيخُ بَيْنَ يَدَيْكَ طِفْلًا	وَشَمْسُ الْأَفْقِ لَمْ تَعُدْ الْفِطَامَا ^{١١}
وَصَالَ الْبَحْرُ حَوْلَكَ مِنْذُ «مِينَا»	عَظِيمًا يَدْفَعُ الْكُرْبَ الْعِظَامَا ^{١٢}

يحوطُ حماكِ أبيضَ أخوذياً
فكم غاز به أمسى رميماً
يمدُّ يديه نحوكِ في حنانٍ
ويشدو في مسامعكِ الأغاني
بعثتِ النورَ من زمنٍ تولَّى
وفي فجرِ الزمانِ طلعتِ فجرًا
كما جرّدتِ من غمدٍ حُساماً^{١٣}
وكم فُلِّك به أمست حُطاماً^{١٤}
ويغمركِ اعتناقاً واستلاماً^{١٥}
بلحنٍ علّم السجعَ الحَماماً^{١٦}
وكنيتِ لنهضةِ العِلْمِ الدِّعاما
على الدنيا، فأيقظتِ النِّياما

* * *

دهتك نوازِلُ لو زُرْنَ «رَضَوَى»
فكم بعثوا على ظمأ غَماماً^{١٧}
أبابيلاً نشأَن مُلْعَناتٍ
وأسراب الجحيمِ مُحَلِّقاتٍ
فلا أَمَّا تركن ولا رضيعاً
وخلفكِ رابضاً جيشُ لُهامٍ
إلى «العلمين» أبدى ناجذيه
وهوّل ما يهوّل واستطارت
فما أطلقتِ صيحةً مُستجيرٍ
تحدّيتِ الخطوبَ تزيّدُ هَولاً^{١٨}
إذا عصفتُ بجوِّكِ عابساتٍ
«عمودكِ» في سماءكِ مُشمِخِرٌ^{١٩}
«وحصنكِ» لا يلينُ له حديدٌ
وصخركِ لا يزال اليومَ صخرًا
أتوكِ مُناجزين أسودَ غابٍ
ومن يكن الإلهُ له نصيراً
لما أبقيْنَ «رَضَوَى» أو «شماماً»^{٢٠}
لثيمَ البرقِ قد حَجَب الغماما!^{٢١}
تسوقُ أمامها الموتَ الزُّواما^{٢٢}
إذا ما حوِّمتْ قذفتْ ضراماً^{٢٣}
ولا شيخاً رجُمن ولا غلاما
يصولُ مُناجزاً جيشاً لُهاما^{٢٤}
وزمجرَ غاضباً وسطا وحاما^{٢٥}
بُروقُ تنشرُ النباَ الجُساما^{٢٦}
ولا شرّدتِ عن عينِ مناما^{٢٧}
فتزدادين صبراً واعتزاما^{٢٨}
ملأتِ الجوَّ هُزْءاً وابتساما^{٢٩}
عليه السحبُ ترتطمُ ارتطاماً^{٣٠}
ولو شُهبُ الدُّجى كانت سهاما^{٣١}
يقلُّ عزائماً ويشقُّ هاماً^{٣٢}
وشالوا بعد نكبتهم نَعاما^{٣٣}
فحاشا أن يُضَيِّعَ أو يُضاماً!

* * *

أحقاً أن ليلكِ صار ليلاً
وأن حدادَ ليلكِ طرّزته
ومَغْنَى اللهو قد أمسى ظلاماً؟^{٣٤}
نُموغٌ للثواكل واليتامى؟^{٣٥}

وَأَنْ مَلَاعِبًا ضَجِكَتْ زَمَانًا
وَأَنْ الْغَيْدَ فِيكَ وَكَنْ زَهْرًا
وَأَنْ الْبَحْرَ لَمْ يَنْعَمْ بِوَجْهِ
وَلَمْ تَمْشِ السَّوَاحِرُ فِيهِ صُبْحًا
حَنَانًا إِنَّهَا شَيْمُ اللَّيَالِي
وَلَوْلَا صَوْلَةُ الْأَحْدَاثِ فِينَا
وَقَدْ يُخْفِي الْهَلَالَ مُحَاقٌ لَيْلٍ
غَدَتْ بِيدِ الْبِلَى طَلَلًا رُكَامًا؟^{٣٤}
تَخَيَّرَنَ الْخُدُورَ لَهَا كِمَامًا؟^{٣٥}
صَبَاحِي، وَلَمْ يَهْصِرْ قَوَامًا؟^{٣٦}
وَلَمْ تَمْلَأْ شَوَاطِئَهُ غَرَامًا؟^{٣٧}
إِذَا كَشَفْنَ عَنْ غَدْرِ لِثَامًا؟^{٣٨}
لَمَّا عَرَفَ الْوَرَى حَمْدًا وَذَامًا؟^{٣٩}
لِيُظْهَرَ بَعْدَهُ بَدْرًا تَمَامًا؟^{٤٠}

* * *

أَبْنَتَ الْبَحْرِ، وَالذَّكْرَى شُجُونُ
ذَكَرْتُ صَبَايَ فِيكَ، وَأَيْنَ مَنِي
فَعِذْرًا إِنْ وَصَلْتُكِ بَعْدَ هَجْرٍ
فَهَلْ تَذَرِي النَّوَى أَنَا التَّقِينَا
وَأَنَا بَيْنَ عَتَبٍ وَاشْتِيَاقٍ
إِذَا لَمَسْتُ فَوَادًا مُسْتَهَامًا؟^{٤١}
صَبَايَ؟ إِلَامٌ أَنْشُدُهُ إِلَامًا؟
وَمَا هَجَرَ الَّذِي حَفِظَ الذَّمَامَا؟^{٤٢}
كَمَا ضَمَّ الْهَوَى قَبْلًا تُوَامَا؟^{٤٣}
نَنَاغِي الْحَبَّ رَشْفًا وَالتَّزَامَا؟^{٤٤}

* * *

سَعَى لِكَ مِنْ حُمَاةِ الطَّبِّ حَشْدُ
إِذَا اخْتَلَفُوا لَوْجِهِ الْحَقُّ يَوْمًا
مَلَأَكُهُ إِذَا لَمَسُوا عَلِيًّا
وَجُنْدُ فِي شَجَاعَتِهِمْ حَيَاةُ
فَكَمْ أَوْدَى بِهِمْ دَاءٌ عُقَامُ
أَمَامًا يَا رَجَالَ الطَّبِّ سَيَرُوا
أَقْمَتُمْ مَهْرَجَانَ الطَّبِّ يُخَيِّي
وَطَفْتُمْ حَوْلَ شَيْخٍ عَبْقَرِيٍّ
دَعَوْنَاهُ أَبَا حَسَنِ «عَلِيًّا»
فَكُنْتُ كَرِيمَةً لَأَقْتِ كِرَامًا؟^{٤٥}
مَشَوْا لِلْحَقِّ فَالْتَأَمُوا التَّئَامَا
أَزَاحُوا الدَّاءَ وَاسْتَلُّوا السَّقَامَا؟^{٤٦}
إِذَا جَلَبَ الْجُنُودُ بِهَا الْجِمَامَا؟^{٤٧}
إِذَا مَا حَارَبُوا دَاءً عُقَامًا!^{٤٨}
فَإِنَّ لِكُلِّ مَرْحَلَةٍ أَمَامًا
مَعَالِمَ دَرْسِهِ عَامًّا فَعَامًا
فَأَلْقَيْتُمْ بِكَفِّهِ الزُّمَامَا؟^{٤٩}
فَقُلْتُمْ: نَحْنُ نَدْعُوهُ الْإِمَامَا؟^{٥٠}

* * *

وَفُودَ الْعُرْبِ غَنَّاكُمْ قَرِيضِي وَحَنٍّ إِلَى مَعَاهِدِكُمْ وَهَامَا

رَمَى الشَّرْقُ الغِمامَةَ بعدَ لأَيِّ وأَلْقَى تحتَ رِجْلَيْهِ الخُطاماً^{٥١}
عقدنا للعروبة فيه عهداً فلا وهناً نخاف ولا انفصاماً^{٥٢}
تَلُمُ شتاتنا أَنِّي نزلنا حِجاراً أو عِراقاً أو شاماً^{٥٣}
ونمشي إن دعت صَفًّا فصفاً نصافح تحتَ رايتها الوئاماً^{٥٤}

هوامش

- (١) هفا: اشتاق وحن.
- (٢) اضطراما: التهابا.
- (٣) رفت: تحركت. أريج المسك: رائحة المسك النفاذة الذكية. الخزامى: نبت زهره أطيب الأزهار ويستعمل كدواء.
- (٤) يساما: سام المشتري الشيء قدر له ثمناً.
- (٥) تأبى: تمنع.
- (٦) حُلَى: زينة وجمالاً. دلعت: جعلتهم يتدلهون في حبك.
- (٧) مكسك: حي المكس الشهير بالإسكندرية. ضاح: واضح. رملك: حي الرمل بالإسكندرية. طابت: حسنت.
- (٨) صبّاً: مغرماً.
- (٩) نزهتك: حي النزهة بالإسكندرية.
- (١٠) نثاراً: تفريقاً وانتشاراً وهو تأكيد.
- (١١) تعد: تتعدى. الفطام: مرحلة الفطام أي: في الصغر.
- (١٢) مينا: أول ملك من ملوك مصر الفرعونية من الأسرة الأولى وموحد الوجهين (البحري والقبلي).
- (١٣) حماك: كنفك. أبيض: لونه أبيض واسمه الأبيض. أحوذياً: النشيط السريع فيما يعمل. جردت: أخرجت.
- (١٤) غاز: عدو أتى غازياً. رميماً: بالياً. فلك: سفينة.
- (١٥) اعتناقاً: ضمّاً. استلاماً: تقييلاً.
- (١٦) السجع: الكلام المسجوع، هديل الحمام.

(١٧) دهتك: أصابتك ودهمتك. نوازل: كوارث. رضوى: جبل رضوى الشهير بالمدينة. شماما: جبل. يذكر الشاعر غزو الألمان لمصر من الصحراء الغربية أثناء الحرب العالمية الثانية وما أصاب الإسكندرية من غاراتهم.

(١٨) غماما: سحابا. لئيم البرق: ذو برق خبيث وكريه. والمقصود الطائرات التي كان يرسلها الألمان لضرب الإسكندرية بالقنابل في أعداد كبيرة غطت على السحاب في سمائها.

(١٩) أبابيل: فرقا متجمعة متتابعة وفيها إشارة إلى الطير الأبابل التي ترمي بحجارة من سجيل كما جاء ذكر ذلك في سورة الفيل. الزؤاما: المختوم.

(٢٠) أسراب: جماعات. حومت: دارت حول الشيء. ضراما: نارا مشتعلة.

(٢١) رابضا: معسكرا منتظرا. لهام: عظيم كثير العدد. مناجزا: محاربا.

(٢٢) العلمين: موقعة شهيرة وحاسمة في الحرب العالمية الثانية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى البلد التي وقعت فيها حيث انتصر الحلفاء على الألمان، وكان الجيش المصري يحارب مع الحلفاء. أبدى ناجذيه: كثر عن أنيابه. زمجر: صاح غاضبا. سطا: بطش وقهر. حاما: دار وحارب في ميدان القتال.

(٢٣) هول: أفزع. استطارت: انتشرت. الجساما: العظيم.

(٢٤) مستجير: مستغيث. شردت: بعدت.

(٢٥) اعتزاما: قوة وصرامة ونفاذ أمر.

(٢٦) هزءا: سخرية.

(٢٧) عمودك: عمود السواري وهو أحد معالم الإسكندرية. مشمخر: مرتفع شاهق.

(٢٨) حصنك: المقصود قلعة «قايتباي» الشهيرة على البحر. شهب الدجى: نار

تسقط من السماء فتضيء في ظلمة الليل.

(٢٩) يفل: يكسر. هاما: رأس الشيء وأعلاه.

(٣٠) مناجزين: محاربين. وشالوا: هزموا وقهروا وانقلبوا عائدين وهم كالنعام أي:

جبناء.

(٣١) يضاما: يظلم.

(٣٢) مغنى اللهو: مكان اللهو والغناء.

(٣٣) حداد: ثياب المأتم السود. طرزته: شغلته وصنعتة.

(٣٤) غدت: أصبحت. البلى: القدم. طللا: بقايا البناء. ركاما: تراكمت أحجاره

بعضها على بعض.

(٣٥) الخدور: جمع خدر وهو مكان الإقامة. كاماما: ورق الزهرة الذي يحيط بالثمرة.

(٣٦) صباحي: جميل. يهصر: يضم بقوة.

(٣٧) السواحر: الماشيات في الوقت قبيل الصبح.

(٣٨) شيم: عادات، صفات. لثاما: نقابا. وهو الستر الذي يخفي الوجه.

(٣٩) صولة: جولة. الوري: الخلق. ذاما: عيباً وذمماً.

(٤٠) محاق: ثلاث ليال من آخر الشهر العربي والمراد الظلام.

(٤١) مستهام: هائم محب.

(٤٢) حفظ الذماما: رعى حرمتك، ثبت على عهدك.

(٤٣) النوى: البعد وكثرة الأسفار. تؤاما: جمع تؤأم وهو المولود مع غيره.

(٤٤) عتب: عتاب. التزاماً: عناقاً.

(٤٥) حماة الطب: المدافعون عنه وهم الأطباء الذين نزلوا بالإسكندرية وشاركوا في

المؤتمر.

(٤٦) استلوا: نزعوا، استخرجوا. السقاما: الأمراض.

(٤٧) الحماما: الموت.

(٤٨) أودى: أهلك. داء عقام: داء عضال.

(٤٩) شيخ عبقرى: المقصود الدكتور علي إبراهيم باشا رئيس المؤتمر. الزماما:

القيادة.

(٥٠) أبا حسن علياً: لقب الإمام علي — كرم الله وجهه — وللدكتور علي إبراهيم

باشا نجل هو الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم الجراح المشهور.

(٥١) الغمامة: ما يوضع على عيني الدابة كي لا ترى. لأي: تعب ومشقة، جهد.

الخطاما: حبل يوضع في فم البعير ليقاد به.

(٥٢) وهنا: ضعفاً. انفصاما: تفرق.

(٥٣) شتاتنا: تفرقنا. شاماً: بلاد الشام.

(٥٤) رايتها: علمها. الوئام: الوفاق.

الجزء الثاني

تقديم

بقلم علي الجارم

هذا هو الجزء الثاني من شعري، أضعه بين يدي كل أديب، وأنشر صفحاته أمام كل شاعر، وأرسل صيحاته في سماء مصر وأرجاء العروبة.

شعر كانت أوزانه من نبضات قلبي، وبحوره من قطرات دمعي، هتفت به فكان صدّى لروحي وخفقة لنفسي، ثم أهديته إلى مصر وأبناء مصر، وأشدت فيه بالشرق وأبناء الشرق، وشدوت بالبطولة والأبطال، وحفزت به شباب العرب إلى الاعتزاز بقومهم والتغني بالشرف التالد والمجد القديم.

شعر نصر الفصحى فنصرته، وصان لها ديباجتها فصانته، وخط للناشئين مثلاً فيه نبل القديم وجدة الحديث. وأبان أن العربية تستطيع أن تقول في كل شيء دون أن يمسّها من آفات العجمة شيء.

والشعر لا يقاس بالكثرة، ولا يوزن بالقنطار، وإنما هو فن من أدق الفنون حساً، وأبعدها عن طالبه منلاً. فليس كل ما صحت تفاعيله شعراً، وليس كل ما حواه إطار فناً.

إنما الشعر على كثرته لا ترى فيه سوى إحدى اثنتين
نفحةً قدسيةً أو هذرٌ ليس في الشعر كلام بين بين!

محمد رسول الله

ألقى الشاعر هذه القصيدة احتفاءً بالمولد النبوي الشريف سنة ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م.

ومن قَطَرَاتِ المَزْنِ أَصْفَى وأَعَذَبُ^١
يكادُ لها فحْمُ الدَجَى يتلَهَّبُ^٢
فيخْفِقُ غِيظًا بِالْجَنَاحِ وَيَضْرِبُ
وَأَنَّ كَمَا أَنَّ السَّجِينَ الْمُعَذَّبُ
ويا رَبِّ جُرْحَ حَارَ فِيهِ الْمُطَبَّبُ!^٣
فِيَبْعَثُ آمَالَ الشَّجِيِّ وَيَذْهَبُ
رَأَى الدَّهْرَ يَلْهُو، وَالْأَمَانِيَّ تَكْذِبُ
وَصَبْرِي عَلَى تِلْكَ الْعَجَائِبِ أَعْجَبُ
زَمَانٌ بِأَشْوَاكِ الْحَقَائِقِ مُخْصَبُ
وَصَفَّقُ لَهُ فِي دَوْرِهِ حِينَ يُلْعَبُ^٤
مِنَ الْأَمْرِ مَا يَأْتِي وَمَا يَتَجَنَّبُ
أَثِيْتُ، وَمَا يَدْرِيهِ وَالشَّعْرُ أَشْيَبُ^٥
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْقَضَاءُ الْمُغَيَّبُ^٦
فَأَيُّ الْمَعَانِي بَعْدَ نَفْسِكَ أَقْرَبُ

تَحِيَّةُ نَاءٍ مِنْ شَذَى الْمَسْكِ أَطْيَبُ
وَتَبْرِيحُ أَشْوَاقٍ إِذَا مَا تَنَفَّسْتُ
وَقَلْبُ يَضِيقُ الصَّدْرَ عَنْ نَبْضَاتِهِ
تَلَفَّتْ فِي الْأَضْلَاعِ حَيْرَانٌ يَأْسًا
تَعَاوَدَهُ الذِّكْرَى فَتَنَكَّا جُرْحَهُ
وَيَخْدَعُهُ طَيْفُ الْخِيَالِ إِذَا سَرَى
وَمَنْ أَبْصَرَ الْأَيَّامَ خَلْفَ قَنَائِعِهَا
عَجَائِبُ أَحْدَاثٍ تَلِيهَا عَجَائِبُ
وَلَوْ لَا حَيَاةُ الْوَهْمِ أَوْدَى بِأَهْلِهِ
تَبَسَّمَ إِذَا مَا الدَّهْرُ قَطَّبَ وَجْهَهُ
يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْرِفَ الْفَتَى
وَسَيَّانٌ مَا يَدْرِيهِ وَالشَّعْرُ فَاحِمٌ
وَقَالُوا: حَيَاةُ الْمَرْءِ دَرْسُ فَفْهَقْهَتْ
إِذَا مَا جَهِلَتْ النَفْسَ وَهِيَ قَرِيبَةٌ

وَعَزَّ عَلَى الْأَيَّامِ مَا يَتَطَلَّبُ^٨

حَنَانًا لِقَلْبِي كَيْفَ طَاحَتْ بِهِ الْمُنَى

ويختله في مسبح الحوت مأرب^٩
 وجيرته من صدره يتوثب
 على لابتها والعوالم غيهب^{١٠}
 حياء بأهداب السحاب تنقب^{١١}
 وينفحها نشر من الخلد طيب^{١٢}
 إلى جنة الفردوس تُعزى وتُنسب^{١٣}
 من الدين نهر للهدى ليس ينضب^{١٤}
 وإن هو جافي الأرض فالخضب مجدب
 ويزار في أذن العتاة ويصخب
 له الحق ورذ والسماحة مشرب
 عن الساحة الكبرى، ولا القرب مقرب
 وليس لدى الإسلام غرب ومغرب
 بطيء المساعي والشريف المهيب^{١٥}
 ولا زاد في قدر ابن أيهم منصب^{١٦}
 وإن فرقت أوطانهم وتشعبوا^{١٧}
 أجاب على «التاميز» داع مئوب^{١٨}
 رأيت دموع النيل حيرى تصبب^{١٩}
 شكا حاجر منه وأن المحصب^{٢٠}

يغازله في مطرح النسر مأرب
 يكاد إذا مرّ الجواز بذكره
 بلاد بها الرحمن ألقى ضياءه
 تكاد إذا مرّت بها الشمس غدوة
 يجللها قدس من الله سابع
 إذا نسب الناس البلاد رأيتها
 وإن نضبت أنهارها فبحسبها
 إذا ما جرى في الأرض فالجدب مخصب
 يفيض على الأقطار يمنًا ورحمة
 تفجر من نبع النبوة ماؤه
 ووحد بين الناس، لا البعد مبعّد
 فليس لدى الإسلام شرق ومشرق
 هم الناس إخوان سواء على الهدى
 فما حط من قدر الفزاري فاقه
 يجمعهم قلب على الحق واحد
 إذا صاح في «جيحون» يومًا مؤذن
 وإن ذرفت من جفن دجلة دمة
 وإن مس جرح من فلسطين إصبعا

تتيه به الدنيا ويشرف يعرب^{٢١}
 ويسطع في الليل الخداري كوكب^{٢٢}
 كما هز أفنان الخمائل صيب^{٢٣}
 فطال عليها صبرها والترقب
 وتأتي على اليأس المبرح أخقب^{٢٤}
 عوالمها تشدو بظه وتطرب
 جلالة أنساب، ومجد مؤشب^{٢٥}
 وقد ضاق عن أماله القيح سبب^{٢٦}

بنفسي وليدًا في أباطح مكة
 أطل عليها مثلما تبسم المنى
 وكان لها رمز الحياة فأشرق
 وكم مدّت الأعناق ترقب لمحّة
 توالت بها الأيام، تذهب أخقب
 إلى أن بدا نور الإله فأقلبت
 وليد له عليًا معد ذؤابة
 حوته كما اعتاد الأعراب جفنة

ويعراه من طَيْفِ الْمَلَائِكَةِ النَّبِيِّنَ مَوْكِبُ
قِرَابٌ بِهِ مَاضِي الْغَرَارِ مُشْطَبٌ^{٢٧}
مَنِيعُ الصِّيَاصِي، وَالْحَدِيدِ الْمَذْرَبُ؟^{٢٨}
يَنْثُلُ عُرُوشَ الْقَاسِطِينَ وَيَسْلُبُ؟^{٢٩}
وَقَالَ لِفَرَسَانِ الْمَلَائِكَةِ: ارْكَبُوا^{٣٠}
وإِنْ مَلَأُوا الْأَرْضَ الْفَضَاءَ وَأَجْلَبُوا
فَإِنَّ الْحَسَامَ الْعَضْبَ نِعَمَ الْمُؤَدَّبِ^{٣١}
لَمَنْ سَدَّ أذُنَيْهِ الْهَوَى وَالتَّعَصُّبُ
بِأَنَّ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُشْعَبُ^{٣٢}

يَحْيِيهِ مِنْ طَيْفِ الْمَلَائِكَةِ مَوْكِبُ
فَهَلْ عَلِمَ الرُّومَانُ أَنَّ مَهَادَهُ
وَأَنَّ بِهِ نَفْسًا يُحْطَمُ دُونَهَا
وَأَنَّ بِهِ مِنْ صَوْلَةِ اللَّهِ جَحْفَلًا
لَهُ الْكُونُ مَيْدَانٌ إِذَا سَلَ سَيْفُهُ
يَطِيرُ عِدَاهُ مِنْهُ ذُعْرًا وَخَشْيَةً
وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الْبَيَانُ وَهَذِيهِ
فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْحَدِيدَ وَبِأَسِهِ
وَفِي صَدْعَةِ الْإِيوَانِ إِنْذَارُ أُمَةٍ

تَنَكَّبَتِ الدُّنْيَا بِهِمْ وَتَنَكَّبُوا
فَدَانَ لَهُ سِرُّ الْوُجُودِ الْمَحْجَبُ^{٣٣}
يَمُورُ لَهَا قَلْبُ الْحِيَالِ وَيُرْعَبُ^{٣٤}
فَأَيُّ عِبَادِ اللَّهِ يَخْشَى وَيَرْهَبُ؟
مَنْ الصَّبْحِ أَهْدَى أَوْ مِنَ النِّجْمِ أَثْقَبُ؟^{٣٥}
فَإِنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ مَا يَتَصَعَّبُ
لَهَا اللَّهُ يُمْلِي وَالْمَلَائِكُ تَكْتَبُ؟
وَهَلْ لَكَ نِدٌّ فِي الْوَرَى حِينَ تَخْطُبُ؟
وَجِئْتَ بِمَا يَعْنِي بِهِ الْيَوْمَ مُسْهَبُ^{٣٦}
فَقُرْنَا عَلَى الْأَيَّامِ نَشْكَو وَنَعْتَبُ

مُحَمَّدٌ أَنْقَذَتِ الْخَلَائِقُ بَعْدَمَا
وَأُطْلِقَتْ عَقْلًا كَانَ بِالْأَمْسِ مُصَفَّدًا
وَأَرْسَلَتْهَا مِنْ صَيِّحَةٍ نَبَوِيَّةٍ
إِذَا كَانَ صَوْتُ اللَّهِ فِي صَيِّحَةِ الْفَتَى
وَبَلَّغَتْ آيَاتٍ، رَوَائِعُ لَفْظِهَا
كَأَنَّ، وَمَا تُغْنِي كَأَنَّ؟ فَخَلَّهَا
وَمَاذَا يَقُولُ الشَّعْرُ فِي آيِ رَحْمَةٍ
خَطَبَتْ لَنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ مُشْرَعًا
فَكَشَفَتْ أَسْرَارَ السِّيَاسَةِ مُوجِرًا
وَأَمْلَيْتِ دُسْتُورًا شَقِينَا بِتَرْكِهِ

وَحُلُّو الْأَمَانِي وَالرَّجَاءُ الْمَحْجَبُ
تَلُمُ شَتَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَتَرَابُ^{٣٧}
وَتَرْفَعُ مِنْ رَايَاتِهِمْ حِينَ تُنْصَبُ^{٣٨}
وَفِي نُورِكَ الْقُدْسِيِّ نَسْعَى وَنَدَابُ^{٣٩}
وَفَاخَرَتِ الدُّنْيَا بِقَبْرِكَ يَنْثَرِبُ^{٤٠}

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ طَارَ بِنَا الْهَوَى
أَفْضَاهَا عَلَيْنَا نَفْحَةً هَاشِمِيَّةً
وَتَرْجَعُ فِيهِمْ مِثْلُ سَعْدٍ وَخَالِدٍ
سَنَصْحُو فَقَدْ مَلَّ الطَّرِيحُ وَسَادَهُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا حَنَّ وَاجِدُ

هوامش

- (١) ناء: بعيد. شذى المسك: رائحة المسك الذكية الفواحة. المزن: السحاب الممتلئ بالماء.
- (٢) تبريح أشواق: توهج أشواق. فحم الدجى: المقصود سواد ظلمة الليل. يتلهب: يتقد ويشتعل.
- (٣) تنكأ جرحه: تهيج وتثير جرحه قبل أن يبرأ. المطبيب: الطبيب المداوي.
- (٤) مخصب: كثير الخير.
- (٥) قطب وجهه: عبس وتجهّم.
- (٦) أثبت: قوي النمو كثير.
- (٧) المغيب: ما غاب عنك وهو المستقبل.
- (٨) حناناً: رحمة. طاحت: ذهبت. عز: قل وندر.
- (٩) يغالظه: يلاحظه. مطرح النسر: أعالي الجبال. يختله: يخدعه. مسبح الحوت: البحار الكبيرة. الذكر: التذكر.
- (١٠) لابتيتها: اللابة الأرض ذات الحجارة السود وبالمدينة المنورة لابتان تكتنفها. غيبه: في علم الغيب.
- (١١) أهذاب السحاب: أطراف السحاب. تنقب: تهرب.
- (١٢) نشر: رائحة طيبة.
- (١٣) تعزى: تنتمي وتنسب.
- (١٤) ينضب: يجف.
- (١٥) بطيء المساعي: الرجل ذو الطموح المحدود. المهيب: الذي يهابه الناس.
- (١٦) الفزاري: أعرابي من بني فزارة داس على فضل إزار جبلة بن الأيهم، وهو من عظماء الروم وكان قد دخل في الإسلام فلطم ابن الأبهم الفزاري فشكاه إلى سيدنا عمر بن الخطاب، فحكم له بأن يقتص من جبلة.
- (١٧) تشعبوا: تفرقوا.
- (١٨) جيحون: نهر جيحان ببلاد التركستان في الشرق. التاميز: نهر بإنجلترا في الغرب. داع: يدعو الناس. مثوب: والتثويب يكون في أذان الفجر خاصة، وهو قول المؤذن: «الصلاة خير من النوم» والمقصود الاستجابة للصلاة في جميع أنحاء العالم.
- (١٩) دجلة: نهر دجلة في العراق. تصبب: تنسكب.

- (٢٠) حاجر: نزل للحاج بالبادية. المحصب: موضع رمي الحجارة بمنى.
- (٢١) بنفسي: أفديه بروحي. وليدا: سيدنا محمد ﷺ. أباطح: مسيل واسع فيه حصي. يعرب: أبو العرب.
- (٢٢) الخداري: المظلم.
- (٢٣) صيب: السحاب ذو الصوت أي: الممتلئ بالماء.
- (٢٤) أحقب: سنون.
- (٢٥) عليا: الرفعة. معد: قبيلة عربية ذات سيادة. ذؤابة: ذؤابة الشيء أعلاه.
- المؤشب: الشجر المتلاصق والمراد بالجد المؤشب يجمع من كثير من أعمال الفضل والنبيل.
- (٢٦) الأغارب: سكان البادية. جفنة: وعاء أو قصعة يوضع بها الطفل الرضيع.
- سبسب: المفازة أو الأرض المستوية البعيدة الواسعة.
- (٢٧) قراب: جراب السيف. الغرار: حد السيف. المشطب: السيف في حده خطوط مجوفة.
- (٢٨) الصياصي: جمع صيصية: الحصن. الحديد المذرب: الحديد الحاد.
- (٢٩) صولة: قوة. يثل: يذهب ملكه أو عزه. القاسطين: الظالمين. يسلب: يختلس.
- (٣٠) سل: أخرجه من غمده.
- (٣١) الحسام العضب: السيف الطاعن.
- (٣٢) صدعة الإيوان: شق إيوان كسرى وهدمه وكسره. يشعب: يصلح.
- (٣٣) مصفداً: مقيداً. دان: خضع. المحجب: المستور في علم الغيب.
- (٣٤) يemor: يتحرك ويذهب.
- (٣٥) أثقب: مضىء.
- (٣٦) مسهب: كثير الكلام.
- (٣٧) شتات: تفرق. ترأب: تصلح.
- (٣٨) سعد وخالد: هما بطلا الإسلام سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد.
- (٣٩) ندأب: نجد ونتعب.
- (٤٠) واجد: حبيب. يثرب: المدينة المنورة.

فلسطين

نظم الشاعر هذه القصيدة عندما توالى انتصارات الجيش المصري في فلسطين عام ١٩٤٨م، إلى أن وصل إلى مشارف «تل أبيب»، فتدخلت أمريكا وفرضت الهدنة على الجانبين من أجل صالح إسرائيل؛ لتجنبها عار هزيمة محققة:

وَاسْتَقْبَلَتْ مُوَكِّبَ الْبُشْرَى قَوَافِينَا^١
عَزَّتْ عَلَى الْأَيْكِ إِيقَاعًا وَتَلْجِينَا^٢
فِي الْهَوْلِ مَا عَرَفْتَ رِفْقًا وَلَا لِينَا
جَرَى بِهِ دُمُ عَدْنَانِ شَرَايِينَا^٣
بِهِ الْمَوَاكِبُ أَوْ خَاصَّ الْمِيَادِينَا
وَفِي الْحُرُوبِ إِذَا مَا ثَارَ أَتُونَا^٤
وَيَحْسَبُ النِّقْعُ فِيهَا مِسْكَ دَارِينَا^٥
فَمَنْ كَأَبَاتِهِ عُرْبًا فَرَاعِينَا^٦
سِرًّا مِنَ الْمَجْدِ لَا يَنْفُكُ مَكْنُونَا^٧
وَعَذْلُهُمْ كَانَ لِلدُّنْيَا مَوَازِينَا^٨
وَحُكْمُهُمْ مَلَأَ الْأَفَاقَ تَمْدِينَا
لَدَى الصَّرَاعِ وَأَحْمَى النَّاسِ عَرْنِينَا^٩
وَإِنْ سَطَا الْجَوْرُ رَدَّتْهُ مَوَاضِينَا
جِبَاهُنَا تُرْبِيهَا إِلَّا مُصْلِينَا
وَلَا تَمْسُ الظُّبَا إِلَّا نَوَاصِينَا^{١٠}

تَأَلَّقَ النَّصْرُ فَاهْتَزَّتْ عَوَالِينَا
غَنَى لَنَا السَّيْفُ فِي الْأَعْنَاقِ أَغْنِيَّةُ
هَزَّتْهُ كَفٌّ مِنَ الْفُؤَادِ قَبْضَتُهَا
مَنْ صَخِرَ «خَوْفُو» لَهَا دُونَ الْوَرَى عَضَلُ
نَفْسِي فَدَى الْفَارِسِ الْمَصْرِيِّ إِنْ خَطَرْتُ
تَلْقَاهُ فِي السَّلْمِ مَاءٌ رَفٌّ سَلْسَلُهُ
يَرَى الدِّمَاءَ عَقِيقًا سَالَ جَامِدُهُ
مَا بَيْنَ «عَمْرُو» وَ«مِينَا» زَانَهُ نَسَبُ
سَلِّ مِصْرَ عَنْهُمْ سَلِّ التَّارِيخَ إِنْ بِهِ
سُيُوفُهُمْ كُنَّ لِلطُّغْيَانِ مَاحِقَةً
وَجَيْشُهُمْ هَزَّتِ الدُّنْيَا كِتَابَتُوبُهُ
إِنَّا بَنِي الْأَسَدِ أَمْضَى مَخْلَبًا وَيدَا
إِذَا دَعَا الْحَقُّ لَبَّتْهُ جَحَافِلُنَا
عِشْنَا أَعْرَاءَ مِلءِ الْأَرْضِ مَا لَمَسَتْ
لَا يَنْزِلُ النَّصْرُ إِلَّا فَوْقَ رَايَتِنَا

أَلَيْسَ مِنْ أَحْجِيَاةِ الدَّهْرِ قُبْرَةٌ
وتَائُهُ مَا لَهُ دَارٌ وَلَا وَطَنٌ
فيا جبالِ اقْذِفِي الأحجارَ مِنْ حُمَمٍ
ويا كواكبُ أَنْ الرَّجْمُ فَاَنْطَلِقِي
ويا بحارُ اجْعَلِي الماءَ الْأَجَاجَ دَمًا
العَهْدُ عِنْدَهُمْ خَلْفٌ وَمَجْحَدَةٌ
ما ذَلِكَ السَّمُّ فِي الْآبَارِ؟ وَيَلْكُمُ!
مَرَحَى بدولتهم! ماتت لمولدها
جاءوا مُهَنِّينَ أَرْسَالًا عَلَى عَجَلٍ
وَأَضْ تصْفِيْقُهُمْ نَوْحًا وَمَنْدَبَةٌ
رِوَايَةٌ مَا أَقَامُوا سَبْكَ حَبْكَتِهَا
قد حَيَّرْتَنَا، أَمَاسَةٌ؟ أَمَهْزَلَةٌ؟
أَهْلًا بِهَا دَوْلَةٌ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهَا
لَهَا قَوَانِينُ مِنْ عَدْلٍ وَمَرْحَمَةٍ
أَسْطُولُهَا يَمْلَأُ الْبَحْرَ الْمَحِيطَ دَمًا

رَعْنَاءُ تَزَحَّمُ فِي الْوَكْرِ الشَّوَاهِينَا^{١١}
يَسْطُو عَلَى دَارِنَا قَسْرًا وَيُقْصِينَا^{١٢}
وَيَا سَمَاءُ أَمْطِرِي مُهْلًا وَغَسْلِينَا^{١٣}
ما أَنْتِ، إِنْ أَنْتِ لَمْ تَرْمِ الشَّيَاطِينَا؟^{١٤}
إِذَا عَلَتِ رَايَةٌ يَوْمًا لَصْهِيُونَا^{١٥}
فَمَا رَأَيْنَاهُمْ إِلَّا مُرَائِينَا^{١٦}
وَمَنْ نُحَارِبُ؟ جُنْدًا أَمْ ثَعَابِينَا^{١٧}
فَكَانَ مِيلَادُهَا حُزْنًا وَتَأْبِينَا
فَحِينَمَا نَطَقُوا كَانُوا مُعْزِينَا
وَأَصْبَحَ الْبِشْرُ تَقْطِيبًا وَتَغْصِينَا^{١٨}
وَلَا أَجَادُوا لَهَا لَفْظًا وَتَلْقِينَا^{١٩}
فَالسُّخْفُ يُضْحِكُنَا وَالْجَهْلُ يُبْكِينَا
فَتَحًا وَغَزْوًا وَإِعْزَازًا وَتَمْكِينَا
قد نَفَذُوا بَعْضَهَا فِي «دَيْرِ يَاسِينَا»^{٢٠}
وَجِيْشُهَا يَمْلَأُ الْأَطَامَ تَحْصِينَا^{٢١}

نَفْسِي فِدَاءُ فِلَسْطِينَ وَمَا لَقِيتُ
نَفْسِي فِدَاءُ لِأُولَى الْقِبْلَتَيْنِ غَدْتُ
قَلْبُ الْعُرُوبَةِ إِنْ تَطَعْنُهُ زَعْنَفَةٌ
وَقَلْعَةُ الشَّرْقِ إِنْ مُسَّتْ جَوَانِبُهَا
وَأَسْطُرُّ مِنْ تَوَارِيخٍ مُخَلَّدَةٍ
فَقَبِّلُوا تَرْبَ «حَطَّيْنِ» فَإِنَّ بِهِ
أَرْضٌ بَدَلْنَا بِهَا الْأُرُوحَ غَالِيَةً
وَمَسْجِدُ نَزْلِ الْمُخْتَارِ سَاحَتَهُ
أَنْرَتْصِي أَنْ نَرَى مِيرَاثَنَا بَدَدًا

وَهَلْ يِنَاجِي الْهُوَى إِلَّا فِلَسْطِينَا؟
نَهَبًا يُزَاجِمُ فِيهِ الذَّنْبُ تَنْيِينَا^{٢٢}
كُنَّا لَهَا وَلَاشْقَاهَا طَوَاعِينَا^{٢٣}
خُضْنَا لَهَا جُثَّتِ الْقَتْلَى مَجَانِينَا
كَانَتْ لِمَجْدِ بَنِي الْفُصْحَى عَدَاوِينَا
دَمَ الْبُطُولَةِ مِنْ أَيَّامِ «حَطِينَا»^{٢٤}
دَاعِينَ لَهَا فِيهَا أَوْ مُلَبِّينَا
نَمُوتُ فِيهِ وَنَحْيَا مُسْتَمِيتِينَا^{٢٥}
وَنَكْتَفِي بِدَمْعٍ فِي مَاقِينَا!؟

الله صَوَّرَ فِيهَا الذَّلَّ وَالْهُونَا؟^{٢٦}
 إِذَا تَهَدَّمْ مَا كَانُوا يَشِيدُونَا؟
 إِنْ لَمْ نُجِبْ قَبْلَهُ بِالسَّيْفِ غَازِينَا؟^{٢٧}
 مَنْ حَقْدِ سَادَاتِهِمْ مَا كَانَ مَدْفُونَا؟^{٢٨}
 وَالْيَوْمَ تَشَحَّدُ أَمْرِيكَ السَّاكِينَا!!^{٢٩}
 فَأَيْنَ فِتْيَانُنَا؟ أَيْنَ الْمَحَامُونَا؟^{٣٠}
 أَسْرَارُهَا عِنْدَ مُوشَى وَابْنِ غَرْيُونَا؟^{٣١}
 وَلَا يَرَى غَيْرَ جَمْعِ الْمَالِ قَانُونَا؟^{٣٢}
 وَبَيْنَ مَا لَسْتُ أَدْرِيهِ مَلَائِينَا
 فَإِنَّ خَالِقَ هَذَا الْمَالِ يَحْمِينَا
 فَإِنْ خَرَجْتُمْ يَعُدُّ كُوْهَيْنُ كُوْهِينَا

مَا قِيَمَةُ النَّفْسِ إِنْ هَانَتْ لَطَائِفُهُ
 وَمَا نَقُولُ لِأَبْطَالٍ لَنَا سَلَفُوا
 وَمَا نَقُولُ لِعَمْرٍو حِينَ يَسْأَلُنَا
 أَتَلْكَ أُنْدُلُسُ أُخْرَى؟ فَقَدْ نَبِشَتْ
 سُحْقًا لِسَكَّيْنِ «فَرْدِينَانِد» كَمْ ذَبَحَتْ
 قَدْ شَرَّدُوا الْعُرْبَ وَاسْتَأْقُوا حَرَائِرَهُمْ
 مِنْ كُلِّ عَادٍ لَهُ فِي الشَّرِّ فِلْسَفَةٌ
 لَا يَعْرِفُ الرُّزَّاءَ فِي أَهْلِ وَلَا وَلَدٍ
 الْأَلْفُ تَصْبَحُ فِي كَفِّهِ بَيْنَ رَبِّا
 إِنْ كَانَ يَحْمِيهِمُ الْمَالُ الَّذِي جَمَعُوا
 قَالُوا: أَسُودُ. فَقُلْنَا: فِي الْجَحْرِ نَعَمُ

* * *

سِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ إِنْ الْمَوْتَ يُحْيِينَا
 تَبْقَى حَدِيثُ اللَّيَالِي فِي ذَرَارِينَا^{٣٣}
 فَجَرَّدُوا حَدَّ مَاضِينَا لِأَتِينَا
 لِلسَّيْفِ إِنْ يَرْضَ هَاتِيكَ الْقَرَابِينَا^{٣٤}
 وَمَا الَّذِي بَعْدَهُ يَبْقَى بِأَيْدِينَا
 عَنِ الْعَرِينِ أَبَاةَ شَمْرِيِينَا^{٣٥}
 إِنْ الْفَقَاقِيَعِ تَطْفُو ثُمَّ يَمْضِينَا

بَنِي الْعُرُوبَةِ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمُكُمْ
 وَخَلَفُوا لِلْعُلَا وَالْمَجْدِ خَالِدَةً
 لَقَدْ صَدِئْنَا وَدُونَ الْغَمْدِ مَنْفَسَحُ
 وَقَرَّبُوهُمْ قَرَابِينَا مُحَوَّرَةً
 مَاذَا إِذَا مَا فَقدْنَا إِرْثَ أُمَّتِنَا
 نُوْدُوا كَمَا يَدْفَعُ الضَّرْعَاْمُ فِي غَضَبٍ
 لَا تَرْهَبُوا الْقَوْمَ فِي مَالٍ وَفِي عَدِي

* * *

ضَاعَتْ عُرُوبَتُنَا وَانْفَضَّ نَادِينَا
 اللَّهُ يَكْفِيهِ نَجَاؤُهُمْ وَيَكْفِينَا!^{٣٦}
 مِنَ السِّيَاسَةِ تَرْمِيهِ وَتَرْمِينَا
 لِلْغَدْرِ وَالْفَتكِ أَشْكَالًا أَفَانِينَا

إِنْ لَمْ تَصُونُوا فَلِسْطِينَا وَجِبْهَتَهَا
 فَإِنَّ لِلشَّرِيقِ أَعْدَاءَ نَوِي إِحْنٍ
 لَهُمْ سِهَامٌ خَفِيَّاتٌ مَسْمُومَةٌ
 كَمْ نَمَقُوا صُورًا شَتَّى وَكَمْ خَلَقُوا

* * *

يَا جَيْشَ مِصْرَ وَلَا آلَوكَ تَهْنِئَةً
وَصَلَّتْ آخِرَ عَلَيَانَا بِأَوَّلِهَا
أَعَدَّتْهَا وَثْبَةً بِدَرِيَّةٍ صَرَعَتْ
شَجَاعَةً مَزَّقَتْ أَحْلَامَ سَاسَتِهِمْ
تَسِيرُ مِنْ ظَفَرِ حُلُوٍ إِلَى ظَفَرِ
فِيكَ الْمَلَائِكُ أَجْنَادُ مُسَوِّمَةٍ
وَفِيكَ مِنْ مُهْجَاتِ النِّيلِ نَاشِئَةٌ
يَمْشُونَ لِلْمَوْتِ فِي شَوْقٍ وَفِي جَذَلٍ؛
إِنْ شَكَّ فِي عَزْمَةِ الْمَصْرِيِّ مُخْتَبَلٌ
لَا يَسْتَطِيعُ خَيَالٌ وَصَفَ جُرْأَتِهِمْ
هُمُ رِيَاحِينَ مِصْرَ نَضْرَةً وَشَذًا
صَانَ إِلَهُ لَجِيشِ الشَّرْقِ عِزَّتَهُ

حَقَّقَتْ ظَنَّ اللَّيَالِي وَالْمُنَى فِينَا^{٣٧}
فَمَا أَوَاخِرُنَا إِلَّا أَوَالِينَا
دُهَاءَ جَيْشِ يَهُوذَا وَالذَّهَاقِينَا^{٣٨}
وَعَلَّمَتْ مُتَرْفِيهِمْ كَيْفَ يَضْحُونَا
مُبَارَكِ الْفَتْحِ وَالرَّايَاتِ مِيْمُونَا
أَعْلَامُهَا تَتَهَادَى حَوْلَ جَبْرِينَا^{٣٩}
فِيهَا مَطَامِحُنَا، فِيهَا أَمَانِينَا
لَأَنَّهُمْ فِي ظِلَالِ اللَّهِ يَمْشُونَا
فَبَيْنَ فِتْيَانِنَا يَلْقَى الْبِرَاهِينَا
وَيَعْجُزُ الشَّعْرُ تَصْوِيرًا وَتَلْوِينًا
لَا أَذْبَلَ اللَّهُ هَاتِيكَ الرِّيَاحِينَا
وَصَانَ أَبْطَالَهُ الْغُرَّ الْمِيَامِينَا^{٤٠}

هوامش

- (١) تألق: ازدهر. عوالينا: أعالينا.
- (٢) الأيك: الشجر الملتف والمقصود الحداثق.
- (٣) «خوفو» ملك من ملوك مصر القديمة وباني الهرم الأكبر. لها دون الوري:
- انفردت عن الخلق. عدنان: جد العرب.
- (٤) سلسله: عذوبته وصفاءه. أتون: الأخدود من النار.
- (٥) عقيقًا: نوع من الأحجار الكريمة حمراء اللون. النقع: الغبار. مسك دارينا:
- طيب من منطقة البحرين ينسب إليها المسك.
- (٦) عمرو: هو عمرو بن العاص داهية العرب وفاتح مصر في عهد عمر بن
- الخطاب، رضي الله عنهما. مينا: ملك من ملوك مصر الفرعونية، وهو أول من وحد
- الوجهين البحري والقبلي لمصر.
- (٧) لا ينفك: لا يُحَل ولا يتفكك. مكنونا: مخزونا.
- (٨) ماحقة: قضت عليها.
- (٩) عريننا: أنفًا وكبرياء.

- (١٠) الظبا: الظباء. نواصينا: جهاتنا وأرضنا.
- (١١) قبرة: نوع من الطيور صغير. رعناء: حمقاء. الوكر: العش. الشواهينا: نوع من الطيور الجارحة وهي الصقور المدربة على الصيد.
- (١٢) تائه: ضال وليس له وطن إشارة إلى اليهودي التائه.
- (١٣) حمم: نار ملتهبة. مهلاً: نحاساً مذاباً. غسلينا: ما اغتسل من لحوم أهل النار ودمائهم.
- (١٤) الرجم: القتل وأصله الرمي بالحجارة.
- (١٥) الأجاج: المالح. صهيون: أتباع صهيون من اليهود الذين أقاموا إسرائيل.
- (١٦) خلف: كذب. مجعدة: نكران. مراثينا: منافقين.
- (١٧) كان اليهود يضعون السم في آبار العرب في أوائل حربهم في الأربعينيات.
- (١٨) آض: رجع وأصبح.
- (١٩) سبك حبكتها: إعدادها.
- (٢٠) دير ياسين: قرية في فلسطين قام اليهود بذبح نساءها وشيوخها وأطفالها عندما احتلوها في حربهم الأولى ضد العرب.
- (٢١) الأطام: البيوت المغلقة.
- (٢٢) أولى القبلتين: بيت المقدس وبها المسجد الأقصى.
- (٢٣) زعنفه: جماعة ليس أصلهم واحد. لأشقاها: الشديد العسر. طواعينا: محاربين ومصيبين لهم.
- (٢٤) حطين: اسم بلد في الشام اشتهرت بالمعركة التي انتصر فيها القائد صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين.
- (٢٥) مسجد: المسجد الأقصى. المختار: سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام.
- (٢٦) الهونا: الهوان.
- (٢٧) عمرو: عمرو بن العاص القائد العربي الشهير.
- (٢٨) يشير إلى مأساة انهيار حكم العرب في الأندلس.
- (٢٩) فرديناند: قائد من قواد الفرنجة استطاع بالخديعة والدهاء أن يطرد العرب من الأندلس خاصة بعد ضعفهم وانقسامهم.
- (٣٠) استاقوا: أسروا واستعبدوا. حرائرهم: نساؤهم الأحرار.
- (٣١) عاد: متجن ظالم. موشى وابن غريونا: هو موسى شرتوك وابن غريون من أوائل وزراء دولة إسرائيل.

- (٣٢) الرزء: المصيبة.
(٣٣) ذرارينا: ذريتنا أي: أبناؤنا.
(٣٤) قريوهم: قدموهم. قرابينا: ما يتقرب به إلى الرفعة والمجد. محورة: ملونة بلون الدم.
(٣٥) الضرغام: الأسد. شمريينا: مختالينا.
(٣٦) إحن: حقد.
(٣٧) آلوك: أرسل إليك رسالة.
(٣٨) بدرية: نسبة إلى غزوة بدر التي انتصر فيها المسلمون على الكفار. جيش يهوذا: جيش اليهود الصهاينة. الدهاقينا: الزعماء في الدين.
(٣٩) جبرينا: سيدنا جبريل.
(٤٠) الميامينا: المباركين.

رثاء شوقي

احتفلت الحكومة المصرية بتأبين المرحوم أحمد شوقي بك، فاجتمع لذلك بدار الأوبرا حفل حاشد في سنة ١٩٣٢م، حضره شعراء بعض الدول العربية، وقد ألقى هذه القصيدة في هذا الحفل.

أَوْ بَكَيْتُمْ لِمَعْبِدِ الْحَانَةِ!^١
بَعْدَمَا قَصَفَ الرَّذَى رِيحَانَهُ!
نَ ذُبُولِ الْخَمِيلَةِ الْفَيْنَانَةِ
قَ وَيَنْهَضْنَ لِلْعَلَا شُبَّانَهُ
صَاعِدًا، ضَلَّتِ النُّجُومُ مَكَانَهُ
لَا وَيَبْعَثْنَ هِمَّةً وَهْنَانَهُ
فَبَذَلْنَا دُمُوعَنَا الْهَتَّانَةَ^٢
رُ إِذَا رَجَعَ الصَّدَى تَحْنَانَهُ
دَ بِلَفْظِ تَخَالُهُ تَبْيَانَهُ^٣
بِي وَأَوْحَتْ لِعُصْنِهِ مِيلَانَهُ^٤
صَائِبِ الرَّمْيِ مِنْ سِهَامِ الْكِنَانَةِ^٥
وَابِكِ لِلدَّهْرِ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ
مَالِيَّاتٍ بِوَحْيِهَا آذَانَهُ^٦
ضُ إِذَا هَزَّ بِالْإِرَاعِ بَنَانَهُ^٧
إِنَّهُ كَانَ فِي الْوَرَى تُرْجُمَانَهُ

هَلْ نَعَيْتُمْ لِلْبُحْتَرِيِّ بَيَانَهُ!
أَوْ رَأَيْتُمْ رَوْضَ الْقَرِيضِ هَشِيمًا
فُزَعَتْ طَيْرُهُ، فَحَوَّمَنْ يَبْكِي
كُنَّ فِي ظِلِّهَا يُغْنَيْنِ لِلشَّرِّ
كُنَّ فِي ظِلِّهَا يُحْيَيْنَ مَجْدًا
كُنَّ فِي ظِلِّهَا يُنَاغَيْنَ أَمَا
أَيُّهَا الطَّيْرُ ضَنْ مَاءِ الْقَوَافِي
مَاتَ يَا طَيْرَ صَادِحٍ تَسْجُدُ الطَّيْبُ
نَبَرَاتٍ تَخَالُهَا صَوْتُ دَاوُ
عَلِمْتَ الْإِبْتِسَامَ زَنْبَقَةَ الْوَا
مَاتَ شَوْقِي، وَكَانَ أَنْفَذَ سَهْمِ
أَبِكِ لِلشَّمْسِ فِي السَّمَاءِ أَخَاهَا
وَأَبِكِ لِلنُّجُومِ، كَمْ سَامَرْتُهُ
وَأَبِكِ لِلرَّوْضِ وَاصِفًا يَخْجَلُ الرَّوْ
وَأَبِكِ لِلْخِيَالِ صَفْوًا نَقِيًّا

مَلَأَ الشَّرْقَ مَوْتُ مَنْ مَلَأَ الشَّرْ
كَمْ يَتِيمٍ مِنَ الْمَعَانِي غَرِيبٍ
وَشُمُوسَ رَنَا إِلَيْهِ، فَأَلْقَى
وَنُفُورَ أَرْزَى بَصِيَّادِهِ الطَّبِ
نَظْرَةً تَلْتَقِي بِهِ يَنْهَبُ الْوَا
تَسْبِقُ السَّهْمَ عَيْنُهُ، فَتَرَاهُ
ثُمَّ يَخْفَى، فَلَا تَرَاهُ عِيُونُ
أَجْهَدَ الْفَارِسِ الْمَلِخِ، وَأَقْنَى
وَهُوَ يَغْدُو: لَا الرَّأْسَ مَالٍ مِنَ الْإِي
مَدَّ شَوْقِي إِلَيْهِ نَظْرَةً سَحَرِ
فَأَتَى مِشْيَةَ الْمُقَيِّدِ يَسْعَى

قَ حَيَاةً وَقُوَّةً وَزَكَانَةً^٨
مَسَحَتْ كَفَّهُ عَلَيْهِ فَصَانَهُ^٩
رَأْسَهُ خَاضِعًا وَأَعْطَى عَنَانَهُ^{١٠}
بِ وَأَعْيَا قَسِيَّةً وَسَنَانَهُ^{١١}
بِي، وَأُخْرَى تَرَاهُ يَطْوِي رِعَانَهُ^{١٢}
يَتَلَوَّى تَلَوَّى الْخَيْزُرَانَهُ^{١٣}
ثُمَّ يَبْدُو، فَلَا تَشْكُ عِيَانَهُ
نَبْلَهُ حَوْلَهُ، وَأَضْنَى حِصَانَهُ
نِ، وَلَا قَلْبُهُ شَكَا خَفَقَانَهُ^{١٤}
عَوَّقَتْ دُونَ شَوْطِهِ جَرِيَانَهُ
بَيْنَ هَوْلٍ وَذِلَّةٍ وَاسْتِكَانَهُ^{١٥}

غَزَلَ كَالشَّبَابِ يَنْضَحُ أَمَا
تَسْمَعُ الْحُبَّ فِي نَوَاحِيهِ هَمْسًا
وَتُحَسُّ الْهَوَى يَرِفُ حَنَانًا
وَإِذَا جَالَ وَاصِفًا رَاعَكَ الْحُسْ
صُورَ زَيْنُهَا بَيَانُ سَرِي
لَوْ (رُفَائِيلُ) رَاهَا، غَالَهُ الْبَهْ
عَالِمُ بِالنُّفُوسِ مَا غَاصَ مِيلُ
أَوْدَعَ الدَّهْرُ مَسْمَعِيهِ عَنِ الْكُو
ذَاكَ سِرُّ الْإِلَهِ يَخْتَصُّ مَنْ شَا
وَرَبَّاءُ لَوْ كَانَ يَسْمَعُهُ الْمَيِّ
عَرَفَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ جَمِيعًا
وَالرَّوَايَاتِ، أَذْهَشَتْ كُلَّ لُبٍّ
يُغْمِضُ الْعَيْنَ فِي اضْطِرَابٍ إِذَا حَسَ

لَا وَيَهْتَزُّ فِي حَلَى فَتَّانَهُ
يَتَنَاجَى، وَيَشْتَكِي أَشْجَانَهُ
شَرَكُ الْحُبِّ أَنْ تُحَسَّ حَنَانَهُ^{١٦}
نِ، وَأَكْبَرَتْ فَنَّهُ، وَافْتَنَانَهُ
مَزَجَ اللَّهْ وَحْدَهُ أَلْوَانَهُ^{١٧}
رُ، وَأَلْقَى أَلْوَاخَهُ وَدِهَانَهُ^{١٨}
فِي خَفَايَا النُّفُوسِ حَتَّى أَبَانَهُ
نَ حَدِيثًا فَلَمْ يُطِقْ كِتْمَانَهُ^{١٩}
ءَ بَاثَارَ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ!
تُ لَأَحْيَا بِسَحْرِهِ جُثْمَانَهُ
وَرَأَى بَعْدَ حَيْرَةٍ بُرْهَانَهُ
ثُمَّ أَرَبْتُ، فَأَذْهَشْتُ شَيْطَانَهُ^{٢٠}
سَ طُرُوقَ الْإِلْهَامِ أَوْ غَشْيَانَهُ^{٢١}

ثُمَّ يُمْلِي كَأَنَّهُ مِنْ كِتَابٍ قَارِئٌ فِي سُهولةٍ وَمَرَانَةٍ^{٢٢}
جَوْهَرِيٍّ وَدَّ الْكَواعِبُ لَوْ يَشْرِيبُ مِنْ يَوْمًا بِحُسْنِهِنَّ جُمَانَةٍ^{٢٣}
زَانَ مِصْرًا بِلَوْلِيٍّ يَبْهَرُ الْعَيْدَ مِنْ، وَأَوْلَى تَارِيخَهَا عِقْبَانَةٍ^{٢٤}

كَانَ صَبًا بِمِصْرَ كَمْ هَامَ شَوْقًا بِرُبَاهَا وَبَثَّهَا أَحْزَانَهُ
دَفَنَ اللَّهُوَ وَالصَّبَا فِي تَرَاهَا وَطَوَى مِنْ شَبَابِهِ عُنْفُوانَهُ
هِيَ بُسْتَانُهُ، فَغَرَدَ فِيهِ وَحَبَا كُلَّ قَلْبِهِ بُسْتَانَهُ
يُخْرِسُ الْفَنَّ فِي ظِلَالِ نَوَاحِيهِ وَيَرْمِي عَنْ دَوْحِهِ غَرْبَانَهُ
يَعْشَقُ النَّيْلَ، وَالْحَمَائِلُ تَهْ تَتَرُّ بِشَطِئِهِ خُضْرَةً وَلَدَانَهُ^{٢٥}
يَعْشَقُ النَّيْلَ، وَالْجَزِيرَةَ تُغْرِيبُ هِ، وَقَدْ لَفَّ حَوْلَهَا أُرْدَانَهُ^{٢٦}
يَعْشَقُ الْجِسْرَ، وَالسَّفَائِنُ تَهْفُو حَوْلَهُ كَالْحَمَائِمِ الظَّمَّانَةِ^{٢٧}
وَيُحِبُّ السَّوَادَ مِنْ عَيْنِ شَمْسٍ مَالِيًا مِنْ رُؤَايِهِ أَجْفَانَهُ^{٢٨}
كُلُّ شَيْءٍ بِمِصْرَ يَبْهَرُ عَيْنِي هِ جَمَالًا، وَيَسْتَثِيرُ جَنَانَهُ^{٢٩}
كُلَّمَا هَزَّهُ إِلَى الشَّعْرِ شَوْقٌ جَذَبَ الْحُبُّ نَحْوَهَا وَجْدَانَهُ
فَشَدَا بِاسْمِهَا كَمَا تَصْدَحُ الطَّيِّ رُ، وَقَدْ شَمَّرَ الدُّجَى طَيْلَسَانَهُ^{٣٠}
وَجَلَا مَجْدَهَا الْقَدِيمَ جَدِيدًا بَعْدَمَا هَدَمَ الْبَلَى أَرْكَانَهُ^{٣١}
فِي خُشُوعٍ يُشِيدُ بِاسْمِ (فُؤَادِ) مِثْلَمَا رَدَّدَ الْمُصْلَى أَذَانَهُ^{٣٢}
مَلِكٌ مَدَّ لِلْفُنُونِ يَمِينًا عَلَّمَتْ كُلَّ مُحْسِنٍ إِحْسَانَهُ
نَظْرَةً مِنْهُ زَادَتْ الشَّعْرَ زَهْوًا وَأَعَادَتْ لِعَهْدِهِ رَيَّعَانَهُ^{٣٣}
نَحْنُ فِي ظِلِّ تَاجِهِ فِي زَمَانٍ وَدَّ (هَارُونُ) أَنْ يَكُونَ زَمَانَهُ^{٣٤}

أَوَّلُ السَّابِقِينَ شَوْقِي، إِذَا جَا لَ نَوُو السَّبْقِ يَبْتَغُونَ رِهَانَهُ
شَعْرَهُ حِكْمَةً، وَصَدَّقُ خَيَالٍ وَجَمَالُ، وَرَوْعَةً، وَرِصَانَهُ
وَمَعَانِ شَوْقِيَّةً، فِي سِيَاقٍ بُحْثَرِيٍّ، وَرِقَّةً فِي مَتَانَهُ
يَا مُجِيرَ الْفُضْحَى وَقَدْ عَقَّقَهَا الدَّهْرُ وَأَغْرَى بِقَوْمِهَا جِدَّتَانَهُ^{٣٥}
نَزَلْتُ فِي ذَرَاكَ رَوْضًا مَرِيْعًا هَدَلَ النُّورُ وَالْجَنَى أَغْصَانَهُ^{٣٦}

وَاسْتَعَادَتْ حُسْنَ الشَّبَابِ وَكَانَتْ رَمَقًا بَيْنَ كَبَرَةٍ وَزَمَانِهِ^{٣٧}
وَحَمَّتْهَا يَدَاكَ مِنْ شَرِّ بَاغٍ فِي زَمَانٍ طَغَتْ عَلَيْهِ الرِّطَانَةُ^{٣٨}
ذَكَّرَتْهَا رَنَاتُ صَوْتِكَ قَوْمًا سَلَفُوا مِنْ هَوَاوَيْنِ وَكِئَانِهِ^{٣٩}

* * *

رَفَعَتْ مَضْرُ زَايَةَ الشَّعْرِ فِي الشَّرِّ ق، وَأُولَتْ أَمِيرَهُ صَوْلَجَانَهُ^{٤٠}
وَمَشَى الدَّهْرُ فِي الْوُفُودِ إِلَى الـ بَبِيعَةٍ يَحْتَثُّ نَحْوَهُ رُكْبَانَهُ^{٤١}
وَرَأَيْنَا مَجْدًا يُشَادُّ لِمَصْرِ يَعْجُزُ الْوَهْمُ أَنْ يَنَالَ قِنَانَهُ^{٤٢}
وَسَمِعْنَا بِكُلِّ أَفْقٍ رَنِينَ رَدَدَتْهُ الْقَصَائِدُ الرِّئَانَهُ
هَكَذَا كُلُّ مَنْ يُرِيدُ خُلُودًا يَجْعَلُ الْكُونَ كُلَّهُ مِيدَانَهُ
هَكَذَا فَلْيَسِرْ إِلَى الْمَجْدِ مَنْ شَا ء، وَيَرْفَعْ بِذِكْرِهِ أَوْطَانَهُ

* * *

خُلُقٌ كَالنَّدَى وَقَدْ نَقَطَ الزَّهْ ر، فَحَلَّى وَشَى الرِّيَاضِ وَزَانَهُ^{٤٣}
وَصَبًّا، يَمْلَأُ الزَّمَانَ ابْتِسَامًا وَحَجًّا، يَمْلَأُ الزَّمَانَ رَزَانَهُ^{٤٤}
وَسَمَاحٌ يَلْقَى الصَّرِيخَ بِوَجْهِه تَحْسُدُ الشَّمْسُ فِي الضَّحَا لَمَعَانَهُ^{٤٥}
شَمَمٌ فِي تَوَاضُعٍ، وَحَيَاءٌ فِي وَقَارٍ، وَفِطْنَةٌ فِي لَقَانِهِ^{٤٦}
وَحَدِيثُ خُلُودٍ، لَهُ رَوْعَةُ الشَّعْرِ، فَلَوْ كَانَ ذَا قَوَافٍ لَكَانَهُ
وَيَقِينٌ بِاللَّهِ، مَا مَسَّهُ الضَّعْفُ، وَلَا طَائِفٌ مِنَ الشَّكِّ شَانَهُ
هُوَ فِي الشَّمْسِ وَالْكَوَاكِبِ نُورٌ وَهُوَ فِي الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ رَكَانَهُ^{٤٧}
مَلِكُ الدِّينِ قَلْبُهُ وَهَوَاهُ وَجَلَا الشَّعْرُ سَاطِعًا إِيْمَانَهُ
يَمْدَحُ الْمُصْطَفَى، فَتَلَمَحُ حُبًّا عَاصِفًا آخِذًا عَلَيْهِ كِيَانَهُ^{٤٨}
وَتَرَاهُ يَذُودُ عَنْ آلِهِ الْغُرَّ، وَفَاءً لِحُبِّبِهِمْ وَصِيَانَهُ
حَسْبُهُ أَنْ يَجِيءَ فِي مَوْقِفِ الـ حَشْرُ فَيَلْقَاهُ مَالِئًا مِيزَانَهُ^{٤٩}

* * *

طَوَفَتْ حَوْلَهُ الْمَلَائِكَةُ الطُّه ر، وَمَسَّتْ بِطَيْبِهَا أَكْفَانَهُ
إِنَّ مَعْنَى الْحَيَاةِ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ تِ مَعَانٍ، لَوْ يَفْهَمُ الْمَرْءُ شَانَهُ

يُهْدَمُ الْمَرْءُ كُلَّ يَوْمٍ وَيُبْنَى
نَحْنُ حَبٌّ فِي قَبْضَةِ الدَّهْرِ يُلْ-
نَحْنُ فِي دَوْحَةِ الْأَمَانِي زَهْرٌ
إِنْ هَذِي الْحَيَاةَ بَحْرٌ، وَكُلُّ
قَدْ قَضَى اللَّهُ أَنْ نَكُونَ فَكُنَّا
ثُمَّ يَهْوِي فَلَا تَرَى بُنْيَانَهُ
قِيَهُ، وَيَجْنِيهِ مُدْرِكًا إِبَانَهُ
يَهْصِرُ الْمَوْتُ لِلْبَلَى أَفْنَانَهُ
بَالِغٌ بَعْدَ سَبْحِهِ شُطْرَانَهُ
وَقَضَيْنَا، وَمَا قَضَيْنَا لِبَانَهُ ٥٠

أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْكَرِيمُ لَقَدْ كُنْ-
نَمْ قَرِيرًا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ، وَانْعَمْ
وَالْتَمَسْ نَفْحَةَ الرَّسُولِ، وَطَارِحْ
كَيْفَ يُوفِي الشَّعْرُ الَّذِي مَلَكَ الشَّعْرَ
وَرِثَاءَ الْبَيَانِ جُهْدُ مُقْلٍ
تَ سَوَادَ الْعُيُونِ أَوْ إِنْسَانَهُ ٥١
بِرِضَا اللَّهِ، وَاعْتَنِمْ غُفْرَانَهُ ٥٢
فِي أَفَانِينَ مَدَحِهِ حَسَانَهُ ٥٣
رَ، وَالْقَى لِغَيْرِهِ أَوْزَانَهُ؟
لِلَّذِي خَلَدَ الزَّمَانَ بَيَانَهُ

هوامش

- (١) نعيتم: النعي الإخبار بالموت. البحري: شاعر عباسي اشتهر بالرقعة والانسجام وجمال تصوير المعاني. ونقاء الأسلوب. بكيتم لمعبد إلخ: أخبرتم معبدًا بموت ألعانه. ومعبد: مغن مشهور بجمال الصوت وحسن التوقيع، عاش في أوائل الدولة الأموية.
- (٢) ضن: بخل. القوافي: جمع قافية، والمراد الشعر، ويراد بماء القوافي جمالها ونضرتها. والهتانة: الهائلة.
- (٣) داود: من رسل الله — عليهم السلام — اشتهر بجمال صوته وحسن توقيع مزاميره.

- (٤) الزنبق: الياسمين. والوادي: هو وادي النيل.
- (٥) أنفذ: أمضى. والكنانة: جعبة السهام. وهي أيضًا مصر، وفي الأثر: مصر كنانة الله في أرضه.

- (٦) سامرته: حادثته ليلاً.
- (٧) اليراع هنا القلم. والبنان: أطراف الأصابع.
- (٨) الزكانة: الفهم والفطنة.

- (٩) اليتيم: الصغير الذي مات أبوه. ويقيم المعاني فريدها الذي لا يصل إليه الفكر النفاذ، والمسح على رأس اليتيم كناية عن الرفق والرحمة.
- (١٠) الشموس: الفرس الجامح، ويراد بها المعنى المستعصي على القاتل. رنا: أدام النظر، العنان: سير اللجام.
- (١١) أزرى: احتقر، الطب: الخبير الحاذق، أعيا: أعجز. القسي: جمع قوس وهي آلة للحرب والصيد. والسنان: جمع سن: وهي طرف السهم.
- (١٢) الرعان: جمع رعن وهو الجبل.
- (١٣) العيان: المشاهدة.
- (١٤) الأين: التعب.
- (١٥) فأتى مشية المقيد: أتى يمشي كمشي المقيد، وهي مشية فيها تعثر وبطء.
- (١٦) يرف: رف الطائر حرك جناحيه، وقد يرف الطائر على فرخه رف حنان ورحمة.
- (١٧) سري: شريف.
- (١٨) رفائيل: مصور إيطالي قديم بعيد الشهرة. راءها: رآها. غاله: اغتاله على غرة، البهر: العجب.
- (١٩) المسمع: آلة السمع وهي الأذن.
- (٢٠) يشير إلى ما ابتدعه شوقي من روايات شعرية تمثيلية.
- (٢١) طروق الإلهام: نزوله، والمراد ورود المعنى الشعري إلى نفسه.
- (٢٢) المرانة: اللين.
- (٢٣) كان جوهرياً، جواهره: المعاني الغالية، الكواعب: الفتيات الحسان، جمانه: اللآلئ.
- (٢٤) العقبان: الذهب.
- (٢٥) الخمائل: الأشجار الملتفة. واللدانة: اللين.
- (٢٦) الجزيرة التي يكونها النيل أمام القاهرة حينما يتفرع فرعين، وهي كثيرة الحدائق رائعة المناظر، وتعد من أحسن متنزهات القاهرة. والردن: الكم والمراد هنا الذراع.
- (٢٧) الجسر: المراد به جسر قصر النيل. تهفو: هفا الطائر حرك جناحيه.
- (٢٨) السواد: سواد البلدة قراها التي حولها. وعين شمس: ضاحية من ضواحي القاهرة كان يسكن بها شوقي قبل أن ينتقل إلى الجيزة.

- (٢٩) يستثير جنانه: يثير عواطفه.
- (٣٠) شدا: غنى. والطيلسان: ثوب فضفاض أسود من لباس العجم.
- (٣١) جلا: أظهر.
- (٣٢) فؤاد: هو فؤاد الأول ملك مصر وقت شوقي.
- (٣٣) الريعان: القوة.
- (٣٤) هارون: هو هارون الرشيد، وقد كان عصره أزهى عصور الدولة في العلم والشعر والأدب.
- (٣٥) الفصحى: اللغة العربية. عقها الدهر: ظلمها ولم ينصفها. الحدثان: النوب والمصائب.
- (٣٦) الذرا: الكنف والجانب. مريعًا: مخصبًا ناضرًا. هدل: هدله أرخاه إلى أسفل.
- النور: الزهر. الجنى: ما يجنى ويجمع من ثمر أو نحوه.
- (٣٧) الرمق: بقية الحياة قبل الموت. الكبرة: الشيخوخة والهرم. الزمانة: العاهة، وفعله زمن (كفرح).
- (٣٨) الرطانة: التكلم بالأعجمية.
- (٣٩) هوازن: قبيلة من قيس. كنانة: قبيلة من مضر.
- (٤٠) الصولجان: عصا تجعل شعارًا للملك.
- (٤١) يشير إلى حدث اجتماع شعراء الأقطار العربية في سنة ١٩٢٧ م لمبايعة شوقي على إمارة الشعر.
- (٤٢) القنان: جمع قنة بالضم وهي القمة.
- (٤٣) الوشي: نقش الثوب.
- (٤٤) الحجا: العقل. الرزانة: الوقار.
- (٤٥) السماح: الكرم. الصريخ: المستغيث والملتجئ.
- (٤٦) اللقانة: سرعة الفهم.
- (٤٧) الركانة: الثبات والرسوخ.
- (٤٨) المصطفى: نبينا، عليه الصلاة والسلام. تلمح: تنظر. عاصفًا: شديد الهبوب.
- كيانه: وجوده.
- (٤٩) حسبه: كافيته.
- (٥٠) قضى: حكم. وقضينا: متنا. وما قضينا: ما أدركنا. لبانة: غرضًا ومقصدًا.

- (٥١) سواد العيون: الدائرة التي يحيط بها بياض العين. إنسانه: أي إنسان السواد. وهو الحدقة التي بها الإبصار.
- (٥٢) قريراً: مطمئناً.
- (٥٣) نفحة الرسول: عطاء الرسول ﷺ وكرمه. أفانين: أنواع. حسانه: حسان بن ثابت.

إسماعيل العظیم

نشرت هذه القصيدة عندما احتفلت مصر في عام ١٩٤٥م بمرور خمسين سنة على وفاة الخديو إسماعيل.

يحوِّم شعري حوله فيهابُ
وُجوهٌ، ودانت بالولاءِ رِقَابُ^١
له من جَنَاحَيَّ جَبْرَائِيلَ قِبابُ^٢
عليه نعيمٌ وارِفٌ وثوابُ
تردُّ ثمينَ الدُّرِّ وهي سِخابُ^٣
بها الأرضُ مسكٌ، والنسيمُ مَلابُ^٤
سقاها من الحبِّ النَّديَّ رَبَابُ^٥
لها كلُّ حينٍ جَيِّئَةٌ وذهابُ
فليس لفضلِ العبقريِّ غيابُ!^٦
فليس على آثارهنَّ حِجابُ!^٧
له كلُّ يومٍ زُورَةٌ وإيابُ^٨
وأحيا بها الآمالَ وهي يَبَابُ^٩
«فكلُّ الذي فوق التُّرابِ تُرابُ»
له فوق أحداثِ الزمانِ وثابُ!^{١٠}
وفوق مناطِ الفرقَدَيْنِ طَلابُ!^{١١}
وإنَّ خارَ فالنُّضْحُ اليسيرُ عُبابُ

حُسامٌ له مجدُّ الخُلُودِ قِرَابُ
وطودٌ من العِزِّ الأشمَّ عَنَتٌ له
وسرُّ سماويٍّ ثوى في ضريحه
وقبرٌ كمحرابِ الصلاةِ مُطَهَّرُ
وكنزٌ به من جَنَّةِ الخُلدِ دُرَّةُ
وزهرٌ من الآمالِ رَفٌّ بروضَةٍ
إذا جاوزَتْها للرَّبَّابِ غمامَةٌ
قلوبُ بني مصرِ خوافقُ حولها
إذا غابَ شخصُ العَبْقَرِيِّ برُمُسِه
وإنَّ حَجَبَتْ بِيضُ الأيادي مَنِيَّةُ
وكم من فتى جاز الحياةَ وذكره
وما مات مَنْ رَدَّ الحياةَ لَأَمَّةُ
إذا المرءُ لم يخلِّده فضلُ جهاده
وهل مثلُ إسماعيلَ في الناسِ عاهلُ
طموحٌ له في ذِروَةِ الدهرِ مَأْرَبُ
إذا صَحَّ عزمُ المرءِ فالبحرُ ضَحْضَحُ

وليسَت شَبَاكُ العِزِّ إِلَّا عَزِيمَةً
تَمُدُّ اللَّيَالِي لِلجَرِيِّ زَمَامَهَا
وما كُلُّ مَنْ أَرَخَى العِنَانِينَ فَارَسُ
إِذَا مَا عَدَدْنَا مَأَثَرَاتِ يَمِينِهِ
دَعَاها فَسَارَتْ خَلْفَهُ تُسْرِعُ الْخَطَا
فَمَا الشُّوْكَ فِي أَقْدَامِهَا حِينَ صَمَمَتْ
إِذَا وَهَنْتِ أَذْكَى لَطَى رَغَبَاتِهَا
وإنْ أَظْلَمْتَ طُرُقَ المَعَالِي أَنَارَهَا
رَأَتْ مِصْرَ فِيهِ عَاهِلًا عَزَّ نَدُّهُ
حَبَاهَا أَبُو الْأَشْبَالِ جُرْأَةً ضَيَّعَ
وَأَزْلَفَهَا مَلَأَ النُّوَاطِرِ جَنَّةً
وَأَلْبَسَهَا مِنْ نَهْضَةِ الْغَرْبِ حُلَّةً
فَفِي كُلِّ حَيٍّ لِلْعُلُومِ مَنَابِرُ
وَأَيْنَ رَمَيْتِ الطَّرْفَ تَلْقَى مَعَالِمًا
عَجَائِبُ صُنْعٍ يَصْغُرُ الدَّهْرُ دُونَهَا
وَجُهِدْ مِنَ الْفُلُودِ مَا كَلَّ زَنْدُهُ
وَلِلْجُهِدِ فِي الدُّنْيَا نَصَابٌ وَطَاقَةٌ

وما المجدُ إِلَّا صَوْلَةٌ وَغِلَابُ!
وتَعْنُو لَهُ الْأَيَّامَ وَهِيَ صِعَابُ^{١٢}
ولا كُلُّ دَاعٍ لِلنَّهْوِصِ مُجَابُ!^{١٣}
على مِصْرٍ لَمْ يَنْفِذْ لَهْنَ حِسَابُ^{١٤}
وهِمَّتُهَا لِلْمُعْضِلَاتِ رِكَابُ
بِشُوكٍ، وَلَا صُمُّ الْهَضَابِ هِضَابُ^{١٥}
هَمَامٌ لَهُ عِنْدَ النُّجُومِ رِغَابُ^{١٦}
مَنْ الرَّاْيِ مِنْهُ وَالذِّكَاةُ شِهَابُ^{١٧}
وَمَنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ الْمَنِيرِ صَحَابُ؟
لَهُ ظَفَرٌ يَفْرِى الْخُطُوبَ وَنَابُ^{١٨}
تَمِيدُ بِهَا الْأَغْصَانُ وَهِيَ رِطَابُ^{١٩}
وَكَمْ زَانِتِ الْغَيْدِ الْمَلَاخِ ثِيَابُ!
وَفِي كُلِّ رَكْنٍ لِلْفَنُونِ رِحَابُ!
سَوَامِقُهَا فَوْقَ السَّحَابِ سَحَابُ^{٢٠}
وَكُلُّ فِعَالٍ الْخَالِدِينَ عُجَابُ!^{٢١}
وَصَادِقُ عَزَمٍ لَيْسَ فِيهِ كِذَابُ^{٢٢}
وَلَيْسَ لِجُهِدِ الْعَبْقَرِيِّ نِصَابُ!^{٢٣}

أَبَا مِصْرَ، هَلْ تُصْغِي وَلِلشَّعْرِ دَمْعَةٌ
أَتَذْكُرُ يَوْمًا بِالْقَنَاةِ وَقَدْ سَعَتْ
وَأَنْتِ تَوُمُّ الْحُشْدَ جَذْلَانِ هَانَتَا
وَمِصْرَ بِمَحْيِيهَا تَتِيهَ وَتَنْثَنِي
مَوَائِدُ لَوْ مَرَّتْ بِأَوْهَامِ حَاتِمٍ
وَمَوْكِبُ عِزٍّ مَا رَأَى النِّيلُ مِثْلَهُ
تَمَنَّتْ نَجُومُ الْأَفَقِ رَوْعَةً زَهْوَهُ

بِهَا الْحَبُّ صَفْوٌ، وَالْوَفَاءُ مُذَابُ؟
شُعُوبٌ، وَسَالَتْ بِالْمُلُوكِ شِعَابُ؟^{٢٤}
وَنَجْمُكَ لَمْ يَحْجُبْ سَنَاهُ ضِيَابُ^{٢٥}
كَمَا لَعِبْتَ بِالْعَاشِقِينَ كَغَابُ^{٢٦}
رَأَى أَنَّ مَدَحَ الْمَادِحِينَ سَبَابُ^{٢٧}
وَلَا خَطُّهُ فِي السَّابِقِينَ كِتَابُ
وَسَالَ لَشَمْسٍ أَبْصَرْتُهُ لُعَابُ^{٢٨}

تَفِيَّاتٌ ظَلَّ اللهُ خَمْسِينَ حَجَّةً
وَأَدْرَكَ مَصْرًا مِنْ بَنِيكَ صَوَارِمُ
كَرَامُ إِذَا نُودُوا أَجَابُوا، وَإِنْ هُمْ
وَهْلُ كَفَوَادٍ فِي الْبَرِيَّةِ مَالِكُ؟
لَهُ عَزْمَةٌ وَثَابَةٌ عَلَوِيَّةٌ
إِذَا مَا امْتَرَى فِي الْمَعْجَزَاتِ مَكَابِرُ
وَمَنْ مِثْلُ فَارُوقٍ وَلِلْعَرْشِ عَزَّةٌ
مُضَاءٌ وَإِقْدَامٌ وَجُودٌ وَصَوْلَةٌ
سَعَى لِرَسُولِ اللَّهِ يَحْدُوهُ شَوْقُهُ
يِنَاجِيهِ فَيَأْضِ الْمَدَامِعَ خَاشِعًا
رَأَى فِيهِ رَضْوَى مِثْلَهُ فِي ثَبَاتِهِ
حَصِيفٌ لَهُ فِي مَوْقِفِ الْحَقِّ صَوْلَةٌ
يَجْمَعُ شَمْلَ الْعُرْبِ فِي ظِلِّ وَحْدَةٍ
إِذَا ابْتَسَمُوا فَالْبَاتِرَاتُ بِوَاسِمُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَّةٌ بَعْدَ مِنَّةٍ
وَكُلُّ أَيْدِي غَيْرِهِ حُلْمٌ حَالِمُ
عَتَبْنَا عَلَى الدُّنْيَا فَمَذْ أَسْرَقَتْ بِهِ
وَصُغْنَا لَهُ مِنْ كُلِّ مَا تُبْدَعُ النُّهَى
فَلَا زَالَ مَوْفُورَ الْجَلَالِ مُسَدَّدًا

وَجَنَّاتُهُ لِلْعَامِلِينَ مَثَابُ^{٢٩}
مَوَاضٍ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ صَلَابُ^{٣٠}
رَمَوْا جِبْهَةً الرَّأْيِ الْبَعِيدِ أَصَابُوا
وَهْلُ كُلِّ بَابٍ الْمَجْدُ فِيهِ لُبَابُ؟^{٣١}
تَرَدُّ صُرُوفُ الدَّهْرِ وَهِيَ حَرَابُ^{٣٢}
فَسِيرَتُهُ لِلْمَمْتَرِينَ جَوَابُ^{٣٣}
وَلِلْمُلُكِ وَالْمَجْدِ الْأَثِيلِ مَهَابُ؟^{٣٤}
وَأَمَالُ حُرٍّ طَامِحٍ وَشَبَابُ^{٣٥}
وَلِلشَّوْقِ وَالْحُبِّ الصَّمِيمِ جَذَابُ^{٣٦}
صَمَوْتًا، وَصَمْتُ الْخَاشِعِينَ خَطَابُ
وَحْيَاهُ مِنْ رَحْبِ الْبَقِيعِ جَنَابُ^{٣٧}
وَرَأْيِي إِذَا غَمَّ الصَّوَابُ صَوَابُ^{٣٨}
كَمَا جَمَعَ الْأُسْدَ الضَّرَاعِمَ غَابُ^{٣٩}
وَإِنْ غَضِبُوا فَالْبَاتِرَاتُ غَضَابُ^{٤٠}
إِذَا مَا انْقَضَى بَابٌ تَفْتَحُ بَابُ^{٤١}
وَكُلُّ نَوَالٍ مِنْ سَوَاهِ سَرَابُ^{٤٢}
تَقْضَى خِصَامٌ بَيْنَنَا وَعِتَابُ^{٤٣}
رَوَائِعُ، لَمْ يُبْدَلْ لَهَنٌ نِقَابُ^{٤٤}
يُجِيبُ إِذَا تَدَعَوُ الْعُلَا وَيُجَابُ!^{٤٥}

هوامش

- (١) طود: جبل.
- (٢) ثوى: أقام. قباب: أبنية ذات قباب.
- (٣) سخاب: عقد من خرز صنع من الطين.
- (٤) رف: برق وتلألأ. مسك: رائحته ذكية. ملاب: عطر أو نبات الزعفران.
- (٥) جاوزتها: تركتها. للرباب: السحاب الأبيض والأسود. غمامة: سحابة. الندي: المبلل. رباب: السحاب الممتلئ بالماء.

- (٦) رمسه: قبره.
(٧) بيض الأيادي: العطايا والمنز والإحسان.
(٨) جاز الحياة: ترك ومات. زورة: زيارة. إياب: عودة.
(٩) يباب: قفر، خراب.
(١٠) عاهل: ملك. وثاب: ثبات في المكان.
(١١) ذروة: أعالي الشيء. مأرب: غاية. مناط: مجمع الشيء. الفرقدين: نجمان قريبان من القطب. طلاب: أعطاه ما طلبه.
(١٢) زمامها: قيادتها. تعنو له: تخضع له.
(١٣) أرخى العنانين: أرسل مقود الفرس.
(١٤) مآثرات: مآثره.
(١٥) صم: الصخرة الصماء الصلبة. هضاب: المرتفع من الأرض.
(١٦) وهنت: ضعفت. أزكى: أوقد. لظى: النار. رغب: أمر مرغوب.
(١٧) شهاب: شعلة من نار ساطعة.
(١٨) ضيغم: أسد. ظفر: مخلب. يفري: يقطع.
(١٩) أزلفها: قدمها وأظهرها. تميد: تتحرك. رطاب: طرية خضراء.
(٢٠) سوامقها: معاملها العالية المرتفعة.
(٢١) فعال: الفعل الحسن.
(٢٢) كل: تعب. زنده: موصل طرف الذراع إلى الكف.
(٢٣) نصاب: قدر محدود.
(٢٤) سالت: تدفقت. شعاب: طرق.
(٢٥) تؤم: تقود. جذلان: فرحاً.
(٢٦) كعاب: الفتاة التي برز نهداها في أول شبابها.
(٢٧) حاتم: حاتم الطائي ويضرب به المثل في الكرم. سباب: شتيمة.
(٢٨) لعاب: لعاب الشمس: خيوط شعاعية تنحدر من السماء وقت الظهيرة.
(٢٩) مثاب: موضع.
(٣٠) صوارم: السيوف القواطع. مواض: حادة. صلاب: صلبة قوية.
(٣١) لباب: خالص.
(٣٢) علوية: نسبة إلى محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية. صروف الدهر: أحداثه.

- (٣٣) امترى: شك فيه.
- (٣٤) الأثيل: العظيم. مهاب: جلال ومخافة.
- (٣٥) صولة: وثوب وشجاعة. طامح: مرتفع نظره إلى العلا.
- (٣٦) يحدوه: يدفعه. جذاب: انجذاب.
- (٣٧) رضوى: جبل رضوى الشهير بالحجاز. رحب: متسع. البقيع: مكان في مكة المكرمة يدفن فيه المسلمون منذ أوائل الإسلام. جناب: فناء.
- (٣٨) حصيف: ذو رأي سديد. صولة: جولة. غم: التبس وخفي.
- (٣٩) الضراغم: العظام. غاب: الأجمة كثيرة الأشجار.
- (٤٠) الباترات: القاطعات.
- (٤١) منة: إحسان. انقضى: انتهى، أغلق.
- (٤٢) سراب: ما يرى كأنه ماء.
- (٤٣) تقضى: انتهى.
- (٤٤) النهى: العقول.
- (٤٥) مسددًا: سديد الخطى.

الحُب

نظمت هذه القصيدة في صيف سنة ١٩١٦ م.

عَاجَ الْخِيَالُ فَلَمْ يَبْلُ أَوَامًا
ما لي وَلِلْكَحْلَاءِ! هَجْتُ عُيُونَهَا
يا قَلْبُ وَيْحَكَ! ما سَمِعْتَ لِنَاصِحٍ
لَعِبْتُ بِكَ الْحَسَنَاءُ، تَذْنُو سَاعَةً
وَالْحُبُّ ما لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلُ
وَالْحُبُّ أَحْلَامُ الشَّبَابِ هَنِيئَةً
وَالْحُبُّ نازِعَةُ الْكَرِيمِ تَهْزُهُ
وَالْحُبُّ مَلْهَأَةُ الْحَيَاةِ وَطَبُّهَا
وَالْحُبُّ نِيرَانُ الْمَجُوسِ، لَهَيْبُهَا
وَالْحُبُّ شِعْرُ النَّفْسِ إِنْ هَتَفَتْ بِهِ
وَالْحُبُّ مِنْ سِرِّ السَّمَاءِ فَسَمِّهِ
لَوْلَاهُ ما أَضْحَى وَلِيدُ زَبِيبَةٍ
وَلَمَّا رَمَى فِي الْجَحْفَلَيْنِ بَصْدَرِهِ
الْحُبُّ أَلْبَسَهُ الْمُرُوءَةَ يافِعًا

وَمَضَى وَخَلَفَ فِي الضُّلُوعِ ضِرَامًا^١
فَمَلَأْنِ قَلْبِي أَنْصَلًا وَسَهَامًا^٢
لَمَّا ارْتَمَيْتِ، وَلَا اتَّقَيْتِ مَلَامًا^٣
فَتَثِيرُ ما بِكَ، ثُمَّ تَهْجُرُ عَامًا
غُرٌّ يَعُودُ مَعَرَّةً وَأَثَامًا!^٤
مَا أَطْيَبَ الْأَيَّامَ وَالْأَحْلَامَا!
فَيَصُولُ سَيْفًا أَوْ يَسِيلُ غَمَامًا!^٥
وَلَقَدْ تَكُونُ بِهِ الْحَيَاةُ سَقَامًا!^٦
يُحْيِي النُّفُوسَ، وَيَقْتُلُ الْأَجْسَامَا!^٧
سَكَتَ الْوُجُودُ وَأَطْرَقَ اسْتِعْظَامَا!
وَحَيًّا إِذَا ما شِئْتَ أَوْ إلهَامَا
يَوْمَ التَّفَاخُرِ سَيِّدًا مِقْدَامًا^٨
لَا يَتَّقِي رُمْحًا وَلَا صَمْصَامَا
وَأَعَدَّهُ لِلْمَكْرُمَاتِ غَلَامَا

* * *

يَا شَدَّ مَا فَعَلَ الْغَرَامُ بِمُهْجَةٍ ذَابَتْ أَسَى وَصَبَابَةٌ وَهِيَامَا!

كَانَتْ صَوُولًا لَا تُنِيلُ خَطَامَهَا فَغَدَتْ أَذَلَّ السَّائِمَاتِ خَطَامَا!^٩
 سَكَنْتُ إِلَى حُلُوِّ الْغَرَامِ وَمَرِّهِ وَرَعْتُ عُهْودًا لِلْهَوَىٰ وَذِمَامَا!^{١٠}
 وَطَوْتُ أَحَادِيثَ الْجَوَىٰ فَطَوْتُ بِهَا دَاءَ يَدُكَ الرَّاسِيَّاتِ عُقَامَا!^{١١}
 نَالَ الضَّنَىٰ مِنْهَا الَّذِي قَدْ نَالَهُ فَعَلَامَ رَوَعَهَا الصُّدُودُ عَلَامَا!^{١٢}

* * *

يَا زَهْرَةً نَمَّ النِّسِيمُ بِعَرْفِهَا وَجَرَىٰ بِهَا مَاءُ النَّعِيمِ جِمَامَا!^{١٣}
 يَا جَنَّةً لَوْ كَانَ يَنْفَعُ عِنْدَهَا نُسْكُ لِبَتْنًا سَجْدًا وَقِيَامَا
 يَا طَلْعَةَ الرُّوضِ النُّضِيرِ تَحِيَّةً! وَمُجَاجَةً الْمِسْكِ الذِّكِيِّ سَلَامَا!^{١٤}

هوامش

- (١) عاج عوجًا ومعاجًا: أقام أو وقف. البلل: الندى، بله: نداء. الأوام: حر العطش، والمراد حرارة الشوق. الضرام: اشتعال النار.
- (٢) الكحلاء: المرأة يعلو جفون عينيها سواد الكحل من غير اكتحال، هجت: أثرت ونبهت. الأنصل: جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسيف ونحوها.
- (٣) ويح: كلمة رحمة.
- (٤) تكتنفه: تحيط به. شمائل: جمع شمال وهي الطبع والخلق. غر: جمع غراء وهي الشريفة البيضاء. المعرة: الإثم والذنب. الأثام: جزاء الإثم.
- (٥) النازعة: الميل.
- (٦) الملهاة: اللهو. والطب: علاج الجسم والنفوس. السقام: المرض.
- (٧) المجوس: أمة من الناس يعبد أكثرهم النار، ويلقون بأنفسهم فيها معتقدين أنها إذا أحرقت الأجسام فإنها تطهر النفوس وتحييها.
- (٨) الوليد: المولود والصبي والعبد، والمراد به هما عنتره بن شداد العبسي، أحد فرسان العرب وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة، وزبيبة أمه، وكانت أمة حبشية سوداء، سبأها أبوه في إحدى غزواته فأولدها عنتره، وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها بل تجعله في عداد العبيد؛ لذلك كان عنتره عند أبيه منبوذًا بين عبدانه، وما زال كذلك حتى أغار بعض العرب على عبس واستاقوا إبلهم، ولحققتهم بنو عبس

وفيهم عنزة، فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم القوم واستنقذ الإبل. فحرره أبوه واعترف ببنوته. ومن ذلك الوقت ظهر اسم عنزة بين فرسان العرب وساداتها. وقد عشق عنزة في شبابه بنت عمه «عبله» وكان ذلك قبل أن يحرره أبوه ويدعيه، فأبى عمه أن يزوجه ابنته وهو عبد. فحفزه ذلك للمعالي يتطلبها والمجد ينشده. وهاج ذلك من شاعريته فاجتمع له الشعر السلس القوي، والشجاعة النادرة، والهمة العالية من حسب ونسب وشجاعة ومروءة وغير ذلك.

(٩) الصَّوْل: الوثاب النافر من الإبل، شبه نفسه بالجمال الشرود. الخطام: الزمام أي المقود.

(١٠) سكنت: اطمأنت واستأنست. رعت: حفظت وصانت. الذمام: الحق والحرمة.

(١١) طوت: كتمت وأخفت. الجوى: هوى باطن، والحزن والحرقة وشدة الوجد.

يدك: يهدم. الراسيات: الجبال. داء عقام: لا يبرأ منه.

(١٢) الضنى: المرض المخامر كلما ظن برؤءه نكس.

(١٣) نم: أفشى وأظهر. العرف: الريح الطيبة. الجمام: جمع جميم وهو الكثير من

كل شيء.

(١٤) الطلعة: الوجه. والمجاجة في الأصل الريق، ويراد به هنا الفتات أو الخلاصة.

المسك: طيب معروف، وهو عند العرب أفضل الطيب. مسك ذكي وذاك: ساطع ريحه.

مصيف رشيد

أنشد الشاعر هذه القصيدة في احتفال كبير أقيم ببلد الشاعر «رشيد» بمناسبة افتتاح مصيفها سنة ١٩٣٩م.

عاد الزمانُ وصَحَّتِ الأحلامُ ^١	أرشيدُ لا جُرْحُ ولا إيْلَامُ
من بعدِ ما عبثتُ بكِ الأيامُ ^٢	وتمثَّلتُ فيكِ الحياةُ فتِيَّةً
سحرَ الممالكِ ثغرُكِ البَسَامُ ^٣	يا زينةً بينَ الثغورِ وفتنةً
تُزهِى بها الأغصانُ والأكمامُ ^٤	يا وردةً بين الرمالِ نضيرةً
ضَحِكَ الصباُ، وأشرقَ الإِظلامُ ^٥	يا دُرَّةَ البحرِ التي بوميضها
فأصولُها وفروعُها إلهامُ ^٦	يا دَوْحَةً نبتَ القريضُ بأرضها
وتحدَّثتُ بأريجها الأنسامُ ^٧	يا روضةَ فتنِ العيونِ جمالها
لو كانَ للأملِ الوسيمِ كلامُ ^٨	يا همسةَ الأملِ الوسيمِ رِواؤه
طالَ الزمانُ بنا ونحن نيامُ!	يا صحوةَ المجدِ القديمِ تحدَّثي
وانجابَ عنها البحرُ وهو لِثامُ ^٩	يا طلعةَ للحسنِ شاع ضياؤها

* * *

بيني وبين مَدَى الصبا أعوامُ! ^{١٠}	أرشيدُ يا بلدي ويا ملهى الصبا
وبكلِّ ركنٍ وقفَةٌ ولِمامُ ^{١١}	أيام لي في كلِّ سَرَجِ نَغْمَةٍ
أسفاً، ولا يومي عليَّ جَهامُ ^{١٢}	أيام لا أمسي يَجُرُّ وراءه
شدُّو، وَرَفَّ جَنَاحُها أنغامُ ^{١٣}	ألهو كما تلهو الطيورُ، حديثها

متنقّلاتٍ بين أزهارِ الرُّبا الجوّ مَتْنٌ، والنسييمُ زِمَامٌ^{١٤}
ومطالبي لم تُعَدْ مدّةٌ ساعدي بُعْدًا، فما استعصى عليّ مرام
لهوُ الطفولة خيرَ أيامِ الفتى إنّ الحياةَ وكَدَحَها أوهام!

أرشيّدُ، فيكِ لبانتي وصَبَابتي والصَّهْرُ والأخوالُ والأعمام^{١٥}
لمستُ حُنُوَ الحبِّ فيكِ تَمَائمي ورأيتُ فيكِ الدهرَ وهو غلام^{١٦}
ونشأتُ في ظلِّ النخيلِ يَهْزُنِي شوقٌ إلى أفيائِها وغرام^{١٧}
أرختُ شعورًا للنسييمِ كأنما أظلالُها تحت الغمامِ غمام^{١٨}
تهفو ويمنعها الحياءُ فتنتني كالغيدِ رَوَّعَ سِرْبِها اللُّوام^{١٩}
إنا كبرنا يا نخيلُ وحبُّنا بين الجوانحِ شُعْلَةٌ وضرام^{٢٠}
كم طَوَّقْتَ منك القُدودِ سواعدي ولكم شفاني من جَنَّاكِ طعام^{٢١}
ولكم هزّزتِ فتاكِ حين حملته كالأمِّ تُلهي الطفلَ حين ينام
إن يُقْصِنِي عنكِ الزمانُ وأهلُهُ فالْحُبُّ عهدٌ بيننا وذِمَام^{٢٢}
ميسي كأيامِ الطفولةِ وارْفُلي فالجوّ صَفْوٌ، والنعيمُ جِمام^{٢٣}
غنى لك القلمُ الذي أَرَهَفْتِه رأيْتُ كيف تغرَّدُ الأقلام؟
هذا وليدُك جاء يُنشدُ شِعْرَه ما كلُّ ما تحوي الخيوطُ نظام^{٢٤}
أصغى له الوادي، وغنّتْ باسمه بغدادُ، واهتَزَّتْ إليه الشام^{٢٥}
إن قال مال له الوجودُ برأسه ورنّتْ له الأسماعُ والأفهام^{٢٦}
ملك العَصِيّ من القريضِ بسحره طَوْعًا، فما استعصى عليه خِطام^{٢٧}

أرشيّدُ، هل في أن يبوحَ أخو الهوى حَرَجٌ، وهل في أن يَجَنَّ ملام؟^{٢٨}
يا مَرْتَعِ الآرامِ رَنَحَها الصِّبَا كيف المراتعُ فيكِ والآرام؟^{٢٩}
من كلِّ لقاءِ المعاطِفِ طَفْلَةٍ جيّدٌ كما يهوى الهوى وقوام^{٣٠}
سترت ملاحظتها الملاءةُ مثلما ستر الغمامُ البدرَ وهو تمام^{٣١}
يدنو الجمالُ بها فيحجبها التُّقَى «كظباءِ مكّةَ صيدُهنَّ حرام»
فإذا نظرتُ فخذُ لنفيسكِ جذرها إنّ العيونَ — كما علمتَ — سهام

* * *

أرشيد، مجدك في القديم صحيفة
ملأت مآذنك السماء شوامخاً
كم شاهدت قوماً زهت أيامهم
سبحان من لا مجد إلا مجده
خذ من زمانك ما استطعت فما لما
وارض الحياة نعيمها أو بوأسها
بيضاء، لا لبس ولا إبهام^{٣٢}
بين السحاب كأنها أعلام
حيناً، وجاءت بعدهم أقوام
نفنى ويبقى الواحد العلام^{٣٣}
أخذت يدك من الزمان دوام^{٣٤}
نعمى الحياة وبؤسها أقسام^{٣٥}

* * *

أرشيد، لم نسمع لصدرك أنة
أجملت صبراً للحوادث فانتنت
اليوم جددت الشباب فأقدمي
سعت الوفود إلى مصيفك سبقاً
النيل والبحر الخضم يحوطه
والتوت والصفصاف يهتف طيره
والزهر في جيد الرياض قلائد
والموج كالخيل الجوامح أطلقت
تجري السفائن فوقه وكأنها
ومناظر يعيا القريض بوصفها
والناس بين ممازح ومداعب
من شاء في ظل السعادة ضجعة
أو رام نسيان الهموم فما هنا
للنآزلات الدُهم وهي جسام^{٣٦}
إن الكرام على الخطوب كرام^{٣٧}
معنى الشباب العزم والإقدام
يتلو الزحام إلى سناه زحام^{٣٨}
والباسقات على الطريق قيام^{٣٩}
فتردد الكُثبان والآكام^{٤٠}
والنهر في خصر الرياض جزام^{٤١}
وانحل عنها مقود ولجام^{٤٢}
والريخ تدفع بالشرع، حمام^{٤٣}
ويضل في ألوانها الرسام^{٤٤}
والأنس حتم والسرور لزام^{٤٥}
فهنا تُشاد صروحها وتُقام^{٤٥}
تُنسى الهموم، وتذهب الآلام^{٤٦}

هوامش

- (١) إيلام: ألم. صحت: تحققت.
- (٢) تمثلت: تشبهت. فتية: شابة. عبثت: لعبت.
- (٣) الثغور: المواني على البحر.
- (٤) تزهى: تفتخر.
- (٥) درة: جوهرة ثمينة. وميضها: نورها ولعانها.
- (٦) دوحة: الحديقة ذات الشجر العظيم. القريض: الشعر. إلهام: وحي من الله.
- (٧) أريجها: رائحتها الطيبة. الأنسام: الهواء الطيب.
- (٨) الوسيم: الجميل. رواؤه: بهأؤه.
- (٩) انجلب: انكشف. لثام: ستر ونقاب.
- (١٠) مدى: غاية.
- (١١) سرح: فناء الدار. نغمة: لحن وكلام منغم. لمام: اجتماع.
- (١٢) جهام: السحاب لا مطر فيه والمراد باليوم الجهام: اليوم لا خير فيه ولا سرور.
- (١٣) رف جناحها: تحريك جناحها يشبه الألحان الجميلة.
- (١٤) متن: مطية. زمام: مقود.
- (١٥) لبانتي: حاجتي. صابتي: رقة شوقي وحرارته.
- (١٦) تمائي: تعاويذي.
- (١٧) أفيأؤها: ظلها.
- (١٨) شعورًا: يقصد سعفها الذي يشبه الشعر مسدل من رأس النخلة. أظلالها: ظلها. الغمام: سحاب.
- (١٩) روع: أخاف. سربها: جماعتها. اللوام: اللاتمون.
- (٢٠) الجوانح: الأضلاع. ضرام: نار.
- (٢١) طوقت: أحاطت. جناك: حصادك.
- (٢٢) يقصني: يبعثني. زمام: حرمة، توثيق.
- (٢٣) ميسي: تبختري. ارفلي: انعمي. جمام: كثير.
- (٢٤) نظام: نظم الشعر.
- (٢٥) الوادي: وادي النيل أي: مصر والسودان.

- (٢٦) رنت: نظرت.
(٢٧) العصي: الشارد من الألفاظ. القريض: الشعر. خطاب: زمام.
(٢٨) أخو الهوى: المحب لك يقصد نفسه.
(٢٩) مرتع: موضع اللهو واللعب. الآرام: الظباء. رنحها: ميلها.
(٣٠) لَفَاء: لابسة. المعاطف: جمع معطف وهو ما يلبس فوق الملابس. طفلة: رخصة ناعمة.

- (٣١) سترت: أخفت.
(٣٢) لبس: شك. إبهام: غموض.
(٣٣) العلامة: كثير العلم منذ الأزل وعلم الله — سبحانه وتعالى — صفة أزلية.
(٣٤) دوام: بقاء.
(٣٥) ارض: اقنع. أقسام: حظوظ مقدرة.
(٣٦) أنة: أنين وألم. النازلات: الكوارث. الدهم: السود المظلمة. جسام: كبيرة وشديدة.

- (٣٧) أجملت: أحسنت، تصبرت. انثنت: ذهبت وطويت.
(٣٨) سناه: نوره.
(٣٩) الخضم: ذو الأمواج المرتفعة الكبيرة. الباسقات: العالياات يقصد النخل العالي.
(٤٠) التوت والصفصاف: أنواع من الشجر الكبير العالي. الأكام: التلال المرتفعة.
(٤١) خصر: الوسط.
(٤٢) الجوامح: الشاردة. مقود: الذي تقاد به الدبة. لجام: ما يوضع في فم الفرس لقيادته.

- (٤٣) السفائن: السفن.
(٤٤) يعيا: يعجز. يضل: يتوه.
(٤٥) تشاد: تبنى. صروحها: مبانيها العالية.
(٤٦) رام: ابتغى وأراد.

زِيَارَةُ مَلِك

زار السلطان «حسين كامل» دار العلوم في أول ولايته سنة ١٩١٥م، فألقيت أمامه هذه الأبيات:

يا مالِكًا مَلَكَ الْقُلُوبِ	بَ وَلَمْ أَشْتَاتِ الرِّعِيَّةَ ^١
لَكَ فِي الْعُلَا كَعْبٌ وَكَفَ	خُفٌ فِي الْمَكَارِمِ حَاتِمِيَّةَ ^٢
لَكَ سِيرَةٌ كَصَحِيفَةِ الْأَ	بُرَارِ طَاهِرَةٍ نَقِيَّةَ ^٣
لَكَ فِكْرَةٌ يَجْرِي الْهُدَى	فِيهَا وَتَكَلُّوْهَا الرُّوِيَّةَ ^٤
كَالسَهْمِ لَا تَنْبُو إِذَا	نَظَرْتَ وَلَا تُخْطِي الرَّمِيَّةَ ^٥
الْعِلْمُ طَابَ ثَوَاؤُهُ	فِي ظِلِّ تِلْكَ الْأَرْيَحِيَّةِ ^٦
أَعْلَى أَبُوكَ بِنَاءُهُ	وَعَلَيْكَ إِتِمَامُ الْبَقِيَّةِ ^٧
«دَارُ الْعُلُومِ» تَشْرَفَتْ	بِشُرُوقِ طُلُوعِكَ السَّنِيَّةِ ^٨
فَلَوْ أَنَّهَا نَطَقَتْ لَكََا	نَتَّ تَمَلُّ الدُّنْيَا تَحِيَّةَ
فَاهِنًا بِمَا أَوْلَى إِلَهُ	وَعِشْ تَعِشْ كُلُّ الْبَرِيَّةِ ^٩

هوامش

- (١) لم أشتات الرعية: أصلها وجمع ما تفرق من أمورها.
- (٢) المكارم: جمع مكرمة وهي اسم من الكرم. وحاتمية: نسبة إلى حاتم الطائي أشهر أجواد العرب.
- (٣) الأبرار: جمع بر. وهو الخير الكثير.

- (٤) تكلؤها: تحفظها. والروية: التدبر والتفكر في الأمر.
- (٥) تنبو: تتباعد والرمية: فعلية بمعنى مفعولة وهي ما يرمى من الحيوان وغيره.
- (٦) ثواؤه: إقامته.
- (٧) أبوك: هو الخديو إسماعيل.
- (٨) الطلعة: الوجه. والسنية: ذات السناء وهو الرفعة والشرف.
- (٩) أولاه الأمر: ولاه إياه. والبرية: الخلق.

الشَّريدُ

نشرت في صيف سنة ١٩٣٨م.

أَطَلَّتِ الْآلَامُ مِنْ جُحْرِهِ
بُرْدَتُهُ اللَّيْلُ، عَلَى بَرْدِهِ
مُشَرَّدٌ يَاوِي إِلَى هَمِّهِ
مَا ذَاقَ حُلُوَ اللَّثْمِ فِي خَدِّهِ
وَلَا حَوْتَهُ الْأُمُّ فِي صَدْرِهَا
قَدْ صَبَرَ النَّفْسَ عَلَى مَا بِهَا
وُلِفَّتِ الْأَسْقَامُ فِي طَمْرِهِ^١
وَكَنُّهُ الْقَيْظُ، عَلَى حَرِّهِ^٢
إِذَا أَوَى الطَّيْرُ إِلَى وَكْرِهِ^٣!
وَلَا حَنَانَ الْمَسِّ فِي شَعْرِهِ
وَلَا أَبَّ نَاغَاهُ فِي جِحْرِهِ
وَانْتَظَرَ الْمَوْعُودَ مِنْ صَبْرِهِ

* * *

الْبَطْنُ مَهْضُومٌ، طَوَاهِ الطَّوَى
وَالْوَجْهَ لِلْيَأْسِ بِهِ نَظْرَةً
جَرَّحَهُ الدَّهْرُ، فَمِنْ نَابِهِ
قَدْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَى خَدِّهِ
وِغَارَ ضَوْءِ الْجِسِّ مِنْ عَيْنِهِ
وَالْبِشْرُ، أَيْنَ الْبِشْرُ؟ وَيُحْيِي لَهُ!
يَجُرُّ رِجْلَيْهِ بَطِيءَ الْخَطَا
إِنْ نَامَ أَبْصَرَتْ بِهِ كُتْلَةً
اِحْتَبَسَتْ «أَوَاهُ» فِي قَلْبِهِ
وَنَامَ أَهْلُ الْأَرْضِ عَنْ نَشْرِهِ^٤
يَقْذِفُهَا الْحِقْدُ عَلَى دَهْرِهِ
تِلْكَ الْأَخَادِيدُ، وَمِنْ طُفْرِهِ^٥
خَطًّا يَبِينُ الْبُؤْسَ فِي سَطْرِهِ
وَفَرَّ لَمَحُ الْأَنْسِ مِنْ ثَغْرِهِ
يَا رَحِمَةَ اللَّهِ عَلَى بَشْرِهِ
كَالْجُعْلِ الْمَكْدُودِ مِنْ جَرِّهِ^٦
تَجْمَعُ سَاقِيهِ إِلَى نَحْرِهِ^٧
وَاخْتَنَقَتْ «وَيْلَاهُ» فِي صَدْرِهِ^٨

وجفَّ ماءُ العَيْنِ في مُوقِهَا ماذا أَفَادَ العَيْنَ من هَمِّهِ؟^٩
 سالتُ به نَهْرًا على لُقْمَةٍ فعادَ كالسائلِ في نَهْرِهِ!
 لا يَجِدُ المَأْوَى، ولو رَامَهُ أحوالُهُ الدهرَ على قَبْرِهِ
 هناك يَثْوِي هادئًا آمنًا من شَطَفِ العَيْشِ ومن وَغَرِهِ^{١٠}
 فكم بصدرِ القَبْرِ من ضَجْعَةٍ أحنى من الدهرِ ومن نُكْرِهِ!^{١١}

* * *

مَتَعَبَةُ الإنسانِ في حِسِّهِ وشَقْوَةُ الإنسانِ من فِكْرِهِ
 كيف يُرَجَى الصَفْوُ من كائِنٍ الحَمَأُ المَسْنُونُ في ذَرِّهِ؟^{١٢}
 لم يَسْمُ للأَملاكِ في أَوْجِهَا ولا هَوَى للوَحْشِ في قَفْرِهِ^{١٣}
 رام اللبَابَ المَحْضَ من سَعْيِهِ فلم يَنْزِلْ منه سِوَى قَشْرِهِ^{١٤}
 يسْعَى، وما يَدْرِي إلى نَفْعِهِ سَعَى حَثِيثًا، أم إلى ضَرِّهِ^{١٥}
 آمَنَت بالله! فكم عَالِمٍ أعجزه المحجوبُ من سِرِّهِ

* * *

الله في طِفْلِ عِزَاهُ الضَّنَى بأذْهِمِ الخَطْبِ ومُغْبَرِّهِ^{١٦}
 في ظُلُمَاتٍ، مَوْجِها زَاخِرُ كأنَّهُ ذو النُّونِ في بَحْرِهِ^{١٧}
 والنَّاسُ بالشَّاطِئِ، من غَافِلٍ أو سَاخِرٍ، أَمَعَنَ في سُخْرِهِ
 والمَوْجُ كالذُّوبَانِ حَوْلَ الْفَتَى يسدُّ أذُنَ الأفقِ مَنْ زَأَرِهِ^{١٨}
 نادى، وما نادى سِوَى مَرَّةٍ حتَّى طَوَاهُ اليَمِّ في غَمِّهِ
 تظنُّهُ طِفْلًا، فإن حَقَّقَتْ عَيْنَاكَ، لم تَعْنُرْ على عُشْرِهِ
 كأنَّهُ الشُّكُّ إذا ما مَشَى أو ما يَرَى النَّائِمُ في نُعْرِهِ
 طَغَى به الجوعُ، ففي دَمْعِهِ ما فَعَلَ الجوعُ، وفي نَبْرِهِ

* * *

واهاً لكفِّ لَصِقَتْ بالثَرَى وأتَدَمَّتْ بالبُؤْسِ من عَفْرِهِ^{١٩}
 ماذا على الإحسانِ لو رَدَّها نَدِيَّةَ الأطْرَافِ من بَرِّهِ؟^{٢٠}
 ماذا على الإحسانِ لو رَدَّها رَطِيْبَةَ الأَلْسِنِ من شُكْرِهِ؟^{٢١}

كَمْ بِسَمَةِ أَرْسَلَهَا مُحْسَنٌ
 وَلُقْمَةٍ سَدَّتْ فَمَا جَائِعًا
 وَمِنَّةً كَانَتْ جَنَاحًا لَهُ
 وَدَمْعَةً يُذْرِفُهَا مُشْفِقًا
 لَا تَزْهَرُ الْجَنَّةُ إِلَّا بِمَا
 لَوْ عَرَفَ الْإِنْسَانُ مَا أَجَرُهُ
 يَبْقَى قَلِيلُ الْمَالِ مِنْ بَعْدِهِ
 بَيْضُ أَيَادِي الْمَرْءِ فِي قَوْمِهِ
 وَالْحُرُّ، لَا يَنْعَمُ فِي وَفَرِهِ
 وَالْمَرْءُ، لَا يُعْرِفُ مِقْدَارَهُ
 وَالنَّاسُ كَالْمَاءِ، فَمَنْ ضَخَّضَ
 لَيْسَ الَّذِي يُنْفِقُ مِنْ يُسْرِهِ
 كَمْ يَرَهُمُ الْقَيِّ فِي سَجْنِهِ
 لَمْ يَرَ حُسْنَ الصُّبْحِ فِي شَمْسِهِ
 يَطْمَعُ وَخَزَّ الْجُوعُ فِي وَصْلِهِ
 وَالْمَالُ كَالْخَمْرِ، إِذَا مَا طَغَى
 مَتَى يَهْبُ الْعَقْلُ مِنْ نَوْمِهِ؟
 مَتَى أَرَى النَفْسَ، وَقَدْ أَطْلَقَتْ
 مَتَى أَرَى الْحُبَّ كَضُوءِ الضُّحَى
 مَتَى أَرَى النَّاسَ، وَقَدْ نَزُّهُوا
 أُخُوَّةُ الْغُصْنِ إِلَى صِنْوِهِ
 وَرَحْمَةٌ، رَفَافَةٌ لَمْ تَدَعْ
 لَا يُحْسَدُ الْجَاهُ عَلَى مَالِهِ
 أَزْهَى مِنَ الرَّوْضِ وَمِنْ زَهْرِهِ!
 رَجَّحَتِ الْمِيزَانَ فِي حَشْرِهِ!
 طَارَ بِهِ الذَّائِعُ مِنْ ذِكْرِهِ
 أَصْفَى مِنَ الْمَدْخُورِ مِنْ دُرِّهِ^{٢٢}
 يَسْفَحُهُ الْبَاكِي عَلَى وَزْرِهِ
 مَا ضَنَّ بِالنَّفْسِ عَلَى أَجْرِهِ
 وَيَذْهَبُ الْمَالُ عَلَى كُثْرِهِ
 أَغْلَى مِنَ الْبَيْضِ وَمِنْ صُفْرِهِ^{٢٣}
 حَتَّى يَنَالَ النَّاسُ مِنْ وَفَرِهِ^{٢٤}
 أَوْ تُنْبِئُ الْأَحْدَاثُ عَنْ قَدْرِهِ
 وَمِنْ عَمِيقٍ، جَرْتُ فِي سَبْرِهِ^{٢٥}
 مِثْلَ الَّذِي يُنْفِقُ مِنْ عُسْرِهِ
 وَلَمْ يَنْلَ عَفْوًا مَدَى عُمْرِهِ!^{٢٦}
 وَلَا جَمَالَ اللَّيْلِ فِي بَذْرِهِ
 وَيُرْسِلُ الزَّفَرَاتِ مِنْ هَجْرِهِ^{٢٧}
 ضَاقَتْ فِجَاجُ الْأَرْضِ عَنْ شَرِّهِ^{٢٨}
 أَوْ يَسْتَفِيقُ الْمَالُ مِنْ سُكْرِهِ؟
 مِنْ رِبْقَةِ الْمَالِ وَمِنْ أَسْرِهِ؟^{٢٩}
 كُلُّ أَمْرٍ يَسْبَحُ فِي طُهْرِهِ؟
 عَنْ شَرِّهِ الذَّنْبُ وَعَنْ غَدْرِهِ؟
 وَبَسَمَةُ الزَّهْرِ إِلَى قَطْرِهِ^{٣٠}
 قَلْبًا يُوَارِي النَّارَ فِي صَخْرِهِ^{٣١}
 أَوْ يُنْهَرُ الْبُؤْسُ عَلَى فَقْرِهِ

* * *

كَمْ شَارِدٍ فِي مَضَرٍ، يَا كُثْرَهُ
 ذَخِيرَةُ الْأُمَّةِ أَبْنَاؤُهَا
 مَاذَا أَفَادَ النَّيْلُ مِنْ سَاعِدِ
 مِنْ عَدَدٍ، يَسَخَرُ مِنْ حَصْرِهِ!
 مَاذَا أَفَادَ النَّيْلُ مِنْ ذُخْرِهِ؟
 أَسْرَعَ مِنْ ضِعْثٍ إِلَى كَسْرِهِ؟^{٣٢}

وَأَرْجِلِ أَوْهَنَ مِنْ هَمْسَةٍ
ومن فتاةٍ، فَجَرُّهَا لَيْلُهَا
أَلْقَتْهُ مِصْرُ هَمَلًا ضَائِعًا
فَصَال يَنْغِي الثَّارَ مِنْ مِصْرِهِ^{٣٣}
غَاصَ مِنَ الْآثَامِ فِي آسِنِ
يَكْرَعُ مِلءَ الْقَمِ مِنْ مَرِّهِ^{٣٤}
أَسْرَى مِنَ اللَّيْلِ، وَأَمْضَى يَدًا
مِنْ عَبَثِ اللَّيْلِ، وَمِنْ مَكْرِهِ^{٣٥}
كَمْ ضَاقَ مِنْ شَقْوَتِهِ عَصْرُهُ
وَضَاقَ بِالسُّخْطِ عَلَى عَصْرِهِ!^{٣٦}
شَجَا بِحَلَقِ الْوَطَنِ الْمُفْتَدَى
وَشَوَّكَهُ كَالنَّصْلِ فِي ظَهْرِهِ^{٣٧}
مَدْرَسَةُ النُّشْلِ وَسَلَّ الْمُدَى
أَسَّسَهَا الشَّيْطَانُ فِي جُحْرِهِ
إِذَا هَوَى الْخُلُقِ، وَضَاعَ الْحِجَا
فَكُلُّ شَيْءٍ ضَاعَ فِي إِثْرِهِ!^{٣٨}
مَنْ يُصْلِحِ الْأُسْرَةَ يَصْلِحْ بِهَا
مَا دَمَّرَ الْإِفْسَادُ فِي قُطْرِهِ

* * *

جَنَائِيَةَ الْوَالِدِ نَبَذَ ابْنَهُ
فِي عُسْرِهِ، إِنْ كَانَ، أَوْ يُسْرِهِ
لَا تَتَرَكُ الذَّنْبَةُ أَجْرَاءَهَا
وَلَا يَغِيبُ الْكَلْبُ عَنْ وَجْرِهِ!^{٣٩}
الْبَيْتُ صَحْرَاءُ إِذَا لَمْ تَجِدْ
طُفُولَةً تَمْرَحُ فِي كِسْرِهِ^{٤٠}
فَعَاقِبُوا الْأَبَاءَ إِنْ قَصَّرُوا
لَا بُدَّ لِلْسَّادِرِ مِنْ زَجْرِهِ^{٤١}
وَأَنْقَذُوا الطُّفْلَ، فَمَا ذَنْبُهُ
إِنْ جَمَعَ الْوَالِدُ فِي خُسْرِهِ؟^{٤٢}
رَبُّوهُ، يَنْمُو ثَمَرًا طَيِّبًا
لَا يِيَأْسُ الزَّارِعُ مِنْ بَذْرِهِ
وَعَلِّمُوهُ عَمَلًا صَالِحًا
يَشُدُّ — إِنْ كَافَحَ — مِنْ أَزْرِهِ^{٤٣}
رَبُّوهُ فِي الرَّيْفِ، لَعَلَّ الْقَرَى
تُصْلِحُ مَا أَغْضَلَ مِنْ أَمْرِهِ
النَّفْسُ مِرَاءً، وَغَضَنُ النُّقَا
يَطِيبُ أَوْ يَخْبُثُ مِنْ جَذْرِهِ
لَعَلَّ هَمْسَ الْغُصْنِ فِي أُذُنِهِ
يُنْسِيهِ مَا أَضْمَرَ مِنْ ثَأْرِهِ!
لَعَلَّ أَنْفَاسَ نَسِيمِ الرُّبَا
فِي صَدْرِهِ، تُبْرِدُ مِنْ جَمْرِهِ!
النَّيْلُ يَسْتَنْجِدُ مُسْتَنْصِرًا
فَأَسْرِعُوا الْخَطْوَ إِلَى نَصْرِهِ
لَا يَذْهَبُ الْمَعْرُوفُ فِي لُجَّةِ
وَلَا يَكْفُ الْمِسْكُ عَنْ نَشْرِهِ^{٤٤}

هوامش

- (١) أطلت: أشرفت. الطمر: الثوب البالي.
- (٢) البردة: كساء صغير مربع. الكن: السترة.
- (٣) مشرد: مطرود منفرد. أوى: أقام وسكن.
- (٤) مهضوم: ضامر. الطوى: الجوع. نشره: إحيائه.
- (٥) الأحاديث جمع أهدود: وهو الحفرة في الأرض، والمراد بها الغضون والتجاعيد التي يطبعها البؤس على وجهه.
- (٦) الجعل: دويبة معروفة. المكدود: المتعب.
- (٧) النحر: أعلى الصدر.
- (٨) أوأه: يقصد بها الشكوى. ويلاه: يقصد بها الألم.
- (٩) الموق: جانب العين مما يلي الأنف. همر الدمع: انصبابه.
- (١٠) يثوي: يقيم. وعره: صعبه.
- (١١) أحنى: أعطف. النكر: القبح والشناعة.
- (١٢) الحمأ: الطين الأسود. المسنون: المتغير المنتن. ذره: الذر أصغر النمل، ويراد به أصل الإنسان وجرثومته.
- (١٣) الأوج: ضد الهبوط. هوى: سقط.
- (١٤) اللباب: قلب الشيء. المحض: الخالص.
- (١٥) حثيثاً: مسرعاً.
- (١٦) أدهم: أسود. أدهم الخطب: أشد المصائب وأفدحها.
- (١٧) موج زاهر: ممتد مرتفع. ذو النون: سيدنا يونس وقد ابتلعه الحوت في البحر، فنجاه الله من الغم وأخرجه.
- (١٨) الذوبان: جمع ذب. الزار: صوت الأسد، ويقصد به هدير الأمواج.
- (١٩) واهًا: اسم لعل للتعجب، ويراد به هنا التفجع. الثرى: التراب الندي. اتئدم: أساغ الخبز بالإدام. العفر: التراب.
- (٢٠) ندية الأطراف: غضة بضة بالإحسان.
- (٢١) رطيبة الألسن: تلهج بالثناء.
- (٢٢) المذخور: المدخر المعد لوقت الحاجة.
- (٢٣) بيض الأيدي: النعم المشهورة. البيض: الدراهم. الصفر: الدنانير.

(٢٤) وفره «في الشطر الأول»: المال الكثير. وفره «في الشطر الثاني»: ما زاد عن حاجته.

- (٢٥) الضحضح: الماء القليل. السر: الاختبار.
(٢٦) السجن هنا المكان الذي يدخر فيه البخيل ماله.
(٢٧) الوخز: الطعن بالرمح ونحوه.
(٢٨) فجاج الأرض: طرقاتها الواسعة.
(٢٩) الربكة: العروة في الربق وهو الحبل يشد به.
(٣٠) الصنو: الواحدة من النخلتين في أصل واحد.
(٣١) رفاة: هفاة شاملة، ويقال: رف الطائر بسط جناحيه.
(٣٢) الضغث: الحشيش الرطب واليابس.
(٣٣) هملا: متروكا سدى غير راع.
(٣٤) آسن: ماء آجن فاسد. يكرع: يشرب الماء بفيه من موضعه من غير أن يتناوله بكفيه أو بإناء.

- (٣٥) أسرى من الليل: أمضى. والسرى: السير بالليل.
(٣٦) شقوته: شقاؤه.
(٣٧) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه. النصل: حديدة السهم والرمح والسيف.

- (٣٨) هوى: سقط. الحجا: العقل. إثره: بعده.
(٣٩) الأجراء: جمع جرو، وهو صغير كل شيء، وولد الكلب والأسد والذئبة. الوجر: الكهف في الجبل وجحر الضبع.
(٤٠) كسره: جانبه.
(٤١) السادر: الذي لا يبالي ما يصنع. الزجر: المنع.
(٤٢) جمح: ركب هواه.
(٤٣) الأزر: القوة.
(٤٤) نشره: رائحته الطيبة.

قبر حفني

ألقي الشاعر هذه القصيدة بدار الإذاعة في رثاء العالم الأديب الشاعر حفني ناصف عام ١٩٣٨م.

يا قبرَ حفني أجبني	ماذا صنعتَ بحفني؟
ماذا صنعتَ بعلم؟	وما صنعتَ بفن؟
وما صنعتَ بفكرٍ	ماضي الشَّبابِ وذهن؟ ^١
طويتَ خيرَ مَثابٍ	للطائفين ورُكن! ^٢

في كلِّ يومٍ رثاءٌ	لصاحبٍ أو لخذن ^٣
حتَّى لقد كاد شعري	يبكي لضعفي ووهني ^٤
فإنَّما أنا منه	وإنَّما هو مني
الوزنُ من نَبْضِ قلبي	والبحرُ من ماء جفني ^٥
رحا المنايا رويدًا	خلطت طحْنًا بطحن! ^٦
وإنَّما الناس ظعنٌ	يسيرُ في إثرِ ظعن ^٧
فما حديدُ بباقي	ولا حذارٌ بمُغني ^٨
وكلُّ عقلٍ مُضيءٍ	إلى خُمودٍ وأفن ^٩
يكادُ إن مال غصنُ	يشكو الزمانَ لغصن
تعسًا له، كم نُعزِّي	حينًا، وحينًا نُهنِّي! ^{١٠}

إلى اجتماعٍ لدفن	من اجتماعٍ لعُرسٍ
والدهرُ يُبلي وَيُفني	والمرءُ يُحيي الأمانِي
ماذا أفاد التمني؟	فكم تمنيتُ لكن
في ظُلْمَةِ الليل دعني ^{١١}	دعني أَقْلُبُ طَرْفِي
أَسَى وَأَقْرَعُ سِنِّي ^{١٢}	حيرانَ أَضْرِبُ كَفِي
يا ليتَه لم يَحْنِي ^{١٣} !	قد خانني الدهرُ يومًا
أو طاف نَعْيُ بأذني	أكلَّمَا مرَّ نَعَشُ
بقيةً، ندَّ عني ^{١٤}	طار الفؤادُ، فلولًا
بجانبي أو يجدني ^{١٥}	لولا التَّقَى لم أجده

* * *

فقلتُ: إِنَّ، وإنِّي ^{١٦}	قالوا: أجدتَ المراثي
وزَفَرَةُ الوجدِ لحني ^{١٧}	دُموعُ عيني قَرِيضِي
فالحزنُ يُمَحِّي بحزن	عَلِّي أداوي حَزِينًا
مَنْ شَأْنُهُ مِثْلُ شَأْنِي ^{١٨}	أو يشتفي ببكاءٍ

* * *

يا قَبَرَ حَفَنِي أَجْبَنِي	أَيْنَ النُّبوغُ تَوَارَى؟
رَمَتَه رِيحٌ بَدَجْنُ؟ ^{١٩}	أكلَّمَا لاحَ بَدْرُ
سهلٌ يَمُوجُ بِحَزْنِ ^{٢٠}	وخَلَّفَ الأرضَ حَيْرِي
يُزْرِي بأرواحِ عَدْنِ ^{٢١}	وربَّ زَهْرٍ شَذَاه
أَلوانها ذاتُ حُسْنِ ^{٢٢}	كَأَنَّمَا مَنَحَتْهُ
أَغصانَه بالتَّثْنِي ^{٢٣}	جَمالَه الغَضُّ أَغْرَى
حينًا، وأُثْدَاءُ مُزْنِ ^{٢٤}	عَذَّتْهُ أَطْبَاءُ طَلٍّ
في خَشْيَةٍ وتَأَنِّي ^{٢٥}	تَسْرِي به الرِّيحُ رَفَقًا
يَمُرُّ في وَجْنَةِ ابْنِ ^{٢٦}	كَأَنَّهَا فَمٌ أُمٌّ
رحيقه وتُغَنِّي	النحلُ ترشُّفُ منه
أَنَّ الرَّدَى سوفَ يجني ^{٢٧}	تَجْنِي ولم تدرِ يومًا

قبر حفني

طغت عليه سَمُومٌ حرّى كَأَنفَاسِ جِنَّ^{٢٨}
فغادرته رُكَامًا أجفَّ من عودِ تِبْنِ^{٢٩}
والدهر أحرى رفيقٍ بأن يَخُونَ وَيُخْنِي^{٣٠}

يا قبرَ حفني أجبني وارحم بقيّة سنّي
قد راعني منك صَمْتُ بحقّه لا ترُعني^{٣١}
ففيك أمضى جَنَانًا من كلِّ فُضْحٍ ولُسْنِ^{٣٢}
وفيك شِعْرُ نقيٍّ من كلِّ وقصٍّ وخبْنِ^{٣٣}
كأنّه بِسَمَاتٍ للوصلِ بعد التجنّي^{٣٤}
أو نفحةً من «جميلٍ» طاقت بأحلام «بُثْنِ»^{٣٥}
أو رَغْوَةً من سُلَافٍ تفيضُ من رأس دَنْ^{٣٦}
كم نكتة فيه كادت تخفى على كُلِّ ظن!
مصرية جالَ فيها ذوقُ الأديبِ المفنّ^{٣٧}

لو كنتَ تعرفُ حفني لقلتَ: زدني وزدني!
نحوْ يَصُكُّ الكِسَائِي ويزدري بآبنِ جِنِّي^{٣٨}
وإنْ أَثِيرَ جِدَالٍ رأيته خيرَ قِرْنِ^{٣٩}
العلمُ أمضى سلاحٍ له وأوقى مِجَنِّ^{٤٠}
قد كان ضخمًا جَسِيمًا يبدو كشامخِ حِصْنِ
اللحمُ رخوٌ بدينٍ له نُعومةٌ قُطنِ^{٤١}
والصدرُ رَحْبٌ فسيحٌ ما جاش يومًا بضغنِ^{٤٢}
في وجهه الجهم حُسْنٌ من روحه المستكنِ^{٤٣}

قد زارني ذاتَ يومٍ في وقتٍ قَبيظٍ وكنّ^{٤٤}
فكان أنسا تدانت به المُنَى بعد ضنّ^{٤٥}

عَذْبًا وَمَا قَالَ قَطْنِي	فَاضَ الْحَدِيثُ زُلَالًا
وَنَكْتَةً مِنْ لَدُنِّي ^{٤٦}	فُكَاهَةً مِنْ لَدُنْهُ
وَالْكَفَّ قَهْوَةً بُنَّ ^{٤٧}	فِي الْأُذُنِ قَهْوَةٌ كَرَمٍ
كَالْدَرِّ وَزَنًا بِوَزْنِ	أُرْوِي وَيَرْوِي الْقَوَافِي
يُذَكِّي الْفَوَادَ وَيُضْنِي ^{٤٨}	يَا مَجْلَسًا عَادَ وَجَدًا
مِنْهُ بِصَفْقَةٍ غَبْنٍ ^{٤٩}	ضَاعَ الصَّبَا وَرَجَعْنَا
لِقَلْبِكَ الْمَطْمَئِنِّ	حَفْنِي، سَلَامٌ وَنُورٌ
لْخَيْرِ أَهْلِ وَسَكَنِ	فَارَقْتِ أَهْلًا وَسَكْنًا
أَعْنَاقَهَا حِينَ تُثْنِي ^{٥٠}	تَثْنِي إِلَيْكَ الْقَوَافِي

هوامش

- (١) ماضي: نافذ، حد. الشبابة: ما حد طرفه.
- (٢) مثاب: موضع.
- (٣) خدن: صديق.
- (٤) وهني: ضعفي.
- (٥) الوزن: وزن الشعر. البحر: أبحر الشعر ستة عشر بحرًا.
- (٦) راحا المنايا: راحا الموت. رويدًا: مهلاً. طحنًا: طحين.
- (٧) ظعن: سائرون، مسافرون.
- (٨) حذار: تحذير وتخويف. مغني: منجي.
- (٩) خمود: سكون. أفن: ضعف في الرأي والعقل.
- (١٠) تعسًا له: هلاكًا.
- (١١) طرفي: عيني.
- (١٢) أقرع: أضرب. سني: أسناني.
- (١٣) يشير الشاعر إلى وفاة نجله البكر في سن الشباب في نوفمبر عام ١٩٣٥ م.
- (١٤) الفؤاد: القلب. ند: بعد.
- (١٥) التقى: الصلاح.
- (١٦) إن: نعم. وإني: أي وإني أجيدها.

- (١٧) قريضي: شعري. زفرة الوجد: نفس الشوق والوله.
- (١٨) يشتفي: يشفى ويبرأ.
- (١٩) لاح: ظهر وبدأ. دجن: الغيم المطبق المظلم.
- (٢٠) خلف: يترك. يموج: يضطرب. حزن: بأس أو ما غلظ من الأرض.
- (٢١) شذاه: رائحته النفاذة. يزري: يحتقر. أرواح عدن: الأنفاس في جنات عدن.
- (٢٢) ذات حسن: صاحبة رونق وبهاء وجمال.
- (٢٣) الغض: الطري. التثني: التمايل.
- (٢٤) أطباء: طبقات. طل: المطر الضعيف. أئداء: جمع ثدي. مزن: السحاب به مطر كثير.
- (٢٥) تسري: تسير ليلاً.
- (٢٦) وجنة: جبهة.
- (٢٧) تجني: تقطف، تحصد. الردى: الموت.
- (٢٨) سموم: ريح ساخنة. حرى: ساخنة.
- (٢٩) ركامًا: متراكماً بعضه فوق بعض.
- (٣٠) أخرى: أجدر. يخني: يهلك.
- (٣١) لا ترعني: لا تخيفني.
- (٣٢) أمضى جنائاً: أنفذ قلب. فصح: بليغ. لسن: فصيح اللسان واللغة.
- (٣٣) وقص: في نظم الشعر حذف الحرف الثاني المتحرك. خبن: إسقاط الحرف الثاني الساكن في العروض.
- (٣٤) التجني: الادعاء كذباً.
- (٣٥) جميل: هو جميل بن معمر تدله بحب بثينة، ولذلك سمي جميل بثينة. بثن: بثينة صاحبة جميل.
- (٣٦) رغوّة: فوران. سلاف: خمر. دن: وعاء لشرب الخمر.
- (٣٧) المفن: ذو فنون.
- (٣٨) نحو: علم النحو وهو إعراب الكلام العربي. يصك: يضرب. الكسائي: عالم عربي من علماء النحو واللغة الأفذاذ. يزدرى: يستهين. ابن جني: عالم عربي آخر من علماء النحو واللغة.
- (٣٩) القرن: كفؤك في الشجاعة والرأي.

- (٤٠) أوقى: حفظ. مجن: درع.
(٤١) رخو: طري.
(٤٢) ما جاش: ما حمل وفكر. ضغن: حقد وكراهية.
(٤٣) الجهم: المتجهم. المستكن: المستكين.
(٤٤) قيظ: شديد الحرارة. كن: استكانة.
(٤٥) تدانت: قربت: ضن: شح.
(٤٦) لدنه: عنده.
(٤٧) قهوة كرم: خمرة عنب. والقهوة سميت كذلك؛ لأنها تقهي أي: تذهب بشهوة الطعام.
(٤٨) وجدًا: شوقًا. يذكي: يشعل. يضمني: يثقل ويمرض.
(٤٩) غبن: ظلم.
(٥٠) تنثني: تحنى، تنقاد.

قبلة

الصغيرة الحساء (١٩١٢م)

رأيتها في سربها	كالبدري بين أنجم ^١
جاءت فقبلت يدي	بثغرها المنظم ^٢
فليت كفي خدّها	وليت ثغرها فمي!

هوامش

(١) سربها: جماعتها.

(٢) المنظم: المنسق الجميل.

اللغة العربية

أنشدها الشاعر في افتتاح دور الانعقاد الثالث لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٤ م.

مَاذَا طَحَا بِكَ يَا صَنَاجَةَ الْأَدَبِ
أَطَارَ نَوْمَكَ أَحْدَاثٌ وَجَمَتْ لَهَا
وَالْيَعْرَبِيَّةُ أُنْدَى مَا بَعَثَتْ بِهِ
رُوحٌ مِنَ اللَّهِ أَحْيَتْ كُلَّ نَازِعَةٍ
أَزْهَى مِنَ الْأَمَلِ الْبَسَامِ مَوْقِعُهَا
هَلَّا شَدَوْتَ بِأَمْدَاحِ ابْنَةِ الْعَرَبِ؟^١
فَبِتَّ تَنْفُخُ بَيْنَ الْهَمِّ وَالْوَصَبِ^٢
شَجَّوًا مِنَ الْحُزْنِ أَوْ شَدَّوًا مِنَ الطَّرَبِ^٣
مِنَ الْبَيَانِ وَأَتَتْ كُلَّ مُطَلِّبٍ
وَجَرَسَ أَلْفَظُهَا أَحْلَى مِنَ الضَّرَبِ^٤

وَسَنَى بِأَخْبِيَةِ الصَّحْرَاءِ يُوقِظُهَا
تُحْدَى بِهَا الْيَعْمَلَاتِ الْكُومُ إِنْ لَغِبَتْ
تَهْتَزُّ فَوْقَ بَحَارِ الْأَلِ رَاقِصَةً
لَمْ تَعْرِفِ السَّوْطَ إِلَّا صَوْتَ مُرْتَجِزٍ
تُصْغِي إِلَى صَوْتِهِ الْأَطْيَارُ صَامِتَةً
كَأَنَّهُ وَظْلَامُ اللَّيْلِ يَكْنُفُهُ
قَدْ خَالَطَ الْوَحْشَ حَتَّى مَا يَرُوعُهَا
يَرْنُو بَعِينَ عَلَى الظُّلُمَاءِ صَائِقَةٍ
هُوَ الْحَيَاةُ بِقَفْرِ لَا حَيَاةَ بِهِ
يَبِيتُ مِنْ نَفْسِهِ فِي مَنْزِلٍ خَضِلٍ
وَحْيٍ مِنَ الشَّمْسِ أَوْ هَمْسٍ مِنَ الشَّهْبِ^٥
فَلَا تُحِسُّ بِإِنْضَاءٍ وَلَا لَغَبٍ^٦
وَالنَّصْبُ لِلنَّيْبِ يَجْلُو كُرْبَةَ النَّصَبِ^٧
كَأَنَّ فِيهِ مَزْمَارًا مِنَ الْقَصَبِ^٨
إِذَا تَرَدَّدَ بَيْنَ الْقُورِ وَالْهَضَبِ^٩
غُثَاءٌ قُذِفَتْ فِي مَائِجٍ لَجِبٍ^{١٠}
إِذَا تَعَرَّضَ لَمْ تَنْفِرْ وَلَمْ تَثِبِ^{١١}
كَأَعْيُنِ النَّسْرِ أُنَى صُوبَتْ تُصِبُ
كَالْمَاءِ فِي الصَّخْرِ أَوْ كَالْمَاءِ فِي الْحَطَبِ
وَمِنْ شَبَا بِيضِهِ فِي مَعْقِلِ أَشْبٍ^{١٢}

يَهْتَزُّ لِلْجُودِ وَالْمَشْتَاةُ بَاخِلَةٌ وَالْقُرُّ يَعْقِدُ رَأْسَ الْكَلْبِ بِالذَّنْبِ ١٤

* * *

تَهْفُو إِلَيْهِ بَنَاتُ الْحَيِّ مُعْجَبَةً إِذَا تَنَقَّبْنَ إِذْ يَلْقَيْنَهُ خَفَرًا تَرَاهُ كُلُّ فَتَاةٍ حِينَ تَفْقِدُهُ زَيْنُ الْفِنَاءِ إِذَا مَا حَلَّ حَبْوَتُهُ أَوْ هَزَّ شَيْطَانُهُ أَوْ تَارَ مَنْطِقِهِ مَا مَسَّ بِالْكَفِّ أَوْ رَاقَا وَلَا قَلَمًا يَطِيرُ لِلْحَرْبِ خَفًا غَيْرَ مُدْرِعٍ إِذَا دَعَاهُ صَرِيحُ كَانَ دَعْوَتُهُ لَا تَرْهَبُ الْجَارَةَ الْحَسَنَاءُ نَظَرَتُهُ وَالْحُبُّ يَنْبُتُ بَيْنَ الْعُجْبِ وَالْعَجَبِ ١٥ فَشَوْقُهُنَّ إِلَيْهِ غَيْرُ مُنْتَقِبٍ ١٦ فِي الْبَدْرِ وَالسَّيْفِ وَالضَّرْعَامِ وَالسُّحْبِ ١٧ لِلْقَوْلِ لَبَاهُ مِنْهُ كُلُّ مُنْتَخَبٍ ١٨ فَاخْشَ الْأَيَّيَّ وَحَاذِرَ صَوْلَةِ الْعُجْبِ ١٩ وَرَأْيُهُ زِينَةُ الْأَوْرَاقِ وَالْكُتُبِ ٢٠ فِي شِدَّةِ الْبَاسِ مَا يُغْنِي عَنِ الْيَلْبِ ٢١ وَإِنْ دَعَتْهُ دَوَاعِي الدُّعْرِ لَمْ يُجِبِ ٢٢ كَأَنَّ أَجْفَانَهُ شَدَّتْ إِلَى طَنْبٍ ٢٣

* * *

جَزِيرَةٌ أَجْدَبَتْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ جَذَبٌ بِهِ تَنْبُتُ الْأَحْلَامُ زَاكِئَةً تَوَدُّ كُلُّ رِيَاضِ الْأَرْضِ لَوْ مُنِحَتْ وَتَرْتَجِي الْغَيْدُ لَوْ كَانَتْ لِأَلِنَّهَا وَأَخْصَبَتْ فِي نَوَاجِي الْخُلُقِ وَالْأَدَبِ ٢٤ إِنَّ الْجَارَةَ قَدْ تَنْشَقُّ عَنْ ذَهَبٍ ٢٥ أَزْهَارُهَا قُبْلَةٌ مِنْ خَدَّهَا التَّرْبِ ٢٦ نَظْمًا مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرًا مِنَ الْخُطْبِ ٢٧

* * *

يَا جِيرَةَ الْحَرَمِ الْمَزْهُوِّ سَاكِنُهُ لِي بَيْنَكُمْ صَلََّةٌ عَزَّتْ أَوَاصِرُهَا؛ أَرَى بَعْضَ خَيَالِي جَاهِلِيَّتَكُمْ وَأَشْهَدُ الْحَشْدَ لِلشُّورَى قَدْ اجْتَمَعُوا مِنْ كُلِّ مُكْتَهَلٍ بِالْبُرْدِ مُشْتَمِلٍ وَالْمَحُ النَّارَ فِي الظُّلَمَاءِ قَدْ نُصِبَتْ نَارٌ وَلَكِنَّهَا قَدْ صُوِّرَتْ أَمَلًا رَمَزُ الْحَيَاةِ وَرَمَزُ الْجُودِ مَا فَتِنَتْ سَقَى الْعُهُودَ الْخَوَالِي كُلُّ مُنْسَكِبٍ ٢٨ لِأَنَّهَا صَلََّةُ الْقُرْآنِ وَالنَّسَبِ ٢٩ وَلِلتَّخِيلِ عَيْنُ الْقَائِفِ الدَّرْبِ ٣٠ وَلَسْتُ أَسْمَعُ مِنْ لَغْوٍ وَلَا صَخَبٍ لِلْقَوْلِ مُرْتَجِلٍ لِلْهَجْرِ مُجْتَنِبٍ ٣١ لِطَارِقِ اللَّيْلِ وَالْحَيْرَانِ وَالسَّغْبِ ٣٢ بَرْدًا إِذَا خَابَتْ الْأَمَالُ لَمْ يَخِبِ ٣٣ فَوْقَ الثَّنِيَّاتِ تَرْمِي الْجَوُّ بِاللَّهَبِ ٣٤

يَسْبُبُهَا أَزِيحِي كُلَّمَا هَدَأَتْ
وَأُبْصِرُ الْقَوْمَ يَوْمَ الرُّوعِ قَدْ حُشِدُوا
يَرْمُونَ بِالشَّرِّ شَرًّا حِينَ يَفْجُوهُمْ
وَأَحْضُرُ الشُّعْرَاءَ اللُّسْنَ قَدْ وَقَفُوا
أَبُو بَصِيرٍ لَهُ نَبْرٌ لَوْ اتَّخَذَتْ
إِذَا رَمَاهَا كَمَا يَخْتَارُ قَافِيَةً

أَلْقَى عَلَى جَمْرَهَا جَزْلاً مِنَ الْحَطَبِ^{٣٢}
لِلْمَوْتِ يَجْتَاكِ، أَوْ لِلنَّصْرِ وَالْغَلَبِ^{٣٣}
وَرَأَيْهُمْ فَوْقَهُمْ خَفَاقَةً الْعَذَبِ^{٣٤}
وَلِلْبَيَانِ فِعَالُ الصَّارِمِ الذَّرِبِ^{٣٥}
مِنْهُ السَّهَامُ لَكَانَتْ أَسْهُمُ النُّوبِ^{٣٦}
دَارَتْ مَعَ الْفَلَكَ الدَّوَارِ فِي قُطْبِ^{٣٧}

وَأَغْمِضُ الْعَيْنَ حِينَئِذَا تَمَّ أَفْتَحُهَا
نُورٌ مِنَ اللَّهِ هَالِ الْقَوْمِ سَاطِعُهُ
تَكَلَّمْتُ سُورَ الْقُرْآنِ مُفْصِحَةً
وَقَامَ خَيْرٌ قُرَيْشٍ وَابْنُ سَادَتِهَا
بِمَنْطِقِ هَاشِمِيِّ الْوَشْيِ لَوْ نُسِجَتْ
طَابَتْ بِهِ أَنْفُسُ الْأَيَّامِ وَابْتَهَجَتْ
وَهَزَّتِ الرَّاسِيَّاتُ الشَّمَّ، وَارْتَعَدَتْ
وَأَضْبَحَتْ بِنْتُ عَدْنَانَ بِنْفَحَتِهِ
فَارَتْ بُرْكُنِ شَدِيدٍ غَيْرِ مُنْصَدِعٍ

عَلَى جَلَالِ بِنُورِ الْحَقِّ مُؤْتَشِبِ^{٣٨}
وَلَيْسَ يُحْجَبُ نُورُ اللَّهِ بِالْحُجْبِ^{٣٩}
فَأَسْكَنْتْ صَحْبَ الْأَرْمَاحِ وَالْقُضْبِ^{٤٠}
يَدْعُو إِلَى اللَّهِ فِي عَزْمٍ وَفِي دَابِ^{٤١}
مِنْهُ الْأَصَائِلُ لَمْ تَنْصُلْ وَلَمْ تَغِبِ^{٤٢}
وَمَرَّ دَهْرٌ وَدَهْرٌ وَهِيَ لَمْ تَطِبِ
لِهَوْلِهِ الْبَاتِرَاتُ الْبَيْضُ فِي الْقُرْبِ^{٤٣}
تِيهَا تُجَرَّرُ مِنْ أَذْيَالِهَا الْقَشْبِ^{٤٤}
مَنْ الْبَيَانِ وَحَبْلٍ غَيْرِ مُضْطَرِبِ^{٤٥}

وَلَمْ تَزَلْ مِنْ جَمَى الْإِسْلَامِ فِي كَنْفِ
حَتَّى رَمَتْهَا اللَّيَالِي فِي فَرَائِدِهَا
وَعَاثَتْ الْعُجْمَةُ الْحَمَقَاءَ ثَائِرَةً
يَقُودُهُ كُلُّ وَلاَغٍ أَخِي إِحْنِ
لَمْ يَبْقَ فِيهَا بِنَاءٌ غَيْرَ مُنْتَقِضٍ
كَأَنَّ عَدْنَانَ لَمْ تَمَلَأْ بِدَائِعِهِ
مَضَتْ بِخَيْرِ كُنُوزِ الْأَرْضِ جَائِحَةً
لَوْلَا (فُؤَادُ) أَبُو الْفَارُوقِ مَا وَجَدَتْ
أَعَزَّ مِنْهَا جِمَى رِيَعَتْ كَرَائِمُهُ

سَهْلٌ وَمَنْ عَزَّهِ فِي مَنْزِلِ خَصْبِ^{٤٦}
وَحَرَّ سُلْطَانُهَا يَنْهَارُ مِنْ صَبَبِ^{٤٧}
عَلَى ابْنَةِ الْبَيْدِ فِي جَيْشٍ مِنَ الرَّهْبِ^{٤٨}
مُضْمَخٍ بِدِمَاءِ الْعُرْبِ مُحْتَضِبِ^{٤٩}
مَنْ الْفَصِيحِ وَشَمْلًا غَيْرَ مُنْقَضِبِ^{٥٠}
مَسَامِعِ الْكُونِ مِنْ نَاءٍ وَمُقْتَرِبِ
وَغَابَتِ اللُّغَةُ الْفُصْحَى مَعَ الْغَيْبِ^{٥١}
إِلَى الْحَيَاةِ ابْنَةُ الْأَعْرَابِ مِنْ سَبَبِ^{٥٢}
وَكَانَ مَمْنُوعُهُ نَهْبًا لِمُنْتَهَبِ^{٥٣}

وَرَدَّ بِالْمَجْمَعِ الْمَعْمُورِ غُرْبَتَهَا وَحَاطَهَا بِكَرِيمِ الْعَطْفِ وَالْحَدَبِ^{٥٤}

يَا عُصْبَةَ الْخَيْرِ لِلْفُصْحَى وَشِيعَتِهَا
هَلُمَّ فَالْوَقْتُ أَنْفَاسَ لَهَا أَمْدُ
فَإِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا إِقَامَتُهُ
الدَّهْرُ يُسْرِعُ وَالْأَيَّامُ مُعْجَلَةٌ
وَالْمُحَدَّثَاتُ تَسُدُّ الشَّمْسُ كَثْرَتُهَا
وَالْتَّرَجِمَاتُ تَشْنُّ الْحَرْبَ لَاقِحَةً
نَطِيرُ لِلْفِظِ نَسْتَجِدِّيهِ مِنْ بَلَدٍ
كُمُهِرِقِ الْمَاءِ فِي الصَّحراءِ جِبْنَ بَدَا
أَزْرَى بِبِنْتِ قُرَيْشٍ ثُمَّ حَارَبَهَا
وَرَاحَ فِي حَمَلَةٍ رَعْنَاءَ طَائِشَةٍ
أَنْتَرَكُ الْعَرَبِيَّ السَّمْحَ مَنْطِقُهُ
وَفِي الْمَعَاجِمِ كَنْزٌ لَا نَفَادَ لَهُ
كَمْ لَفْظَةٌ جُهِدَتْ مِمَّا نُكْرِرُهَا
وَلَفْظَةٌ سَجِنَتْ فِي جَوْفِ مُظْلِمَةٍ
كَأَنَّمَا قَدْ تَوَلَّى الْقَارِظَانِ بِهَا
يَا شَيْخَةَ الضَّادِ وَالذُّكْرَى مَخْلَدَةٌ
هُنَا تَخْطُونَ مَجْدًا مَا جَرَى قَلَمٌ

حَيَّاكَ صَوْبُ الْحَيَا يَا خَيْرَةَ الْعُصْبِ!^{٥٥}
وَلَا أَقُولُ بَأَنَّ الْوَقْتَ مِنْ ذَهَبٍ^{٥٦}
إِقَامَةُ الطَّيْفِ وَالْأَزْهَارِ وَالْحَبَبِ^{٥٧}
وَنَحْنُ لَمْ نَذَرِ غَيْرَ الْوَحْدِ وَالْحَبَبِ^{٥٨}
وَلَمْ تَفْزِ بِخَيَالِ اسْمٍ وَلَا لَقَبٍ
عَلَى الْفَصِيحِ فَيَا لِلْوَيْلِ وَالْحَرْبِ^{٥٩}
نَاءٍ وَأَمْثَالُهُ مَنَا عَلَى كَثَبٍ
لِعَيْنِهِ بَارِقٌ مِنْ عَارِضِ كَذِبٍ^{٦٠}
مَنْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّبْعِ وَالْغَرْبِ^{٦١}
يَصُولُ بِالْخَائِبِينَ: الْجَهْلُ وَالشَّغْبِ^{٦٢}
إِلَى دَخِيلٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ مُغْتَرِبٍ؟^{٦٣}
لِمَنْ يُمَيِّزُ بَيْنَ الدَّرِّ وَالسُّخْبِ^{٦٤}
حَتَّى لَقَدْ لَهَثَتْ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ^{٦٥}
لَمْ تَنْظُرِ الشَّمْسُ مِنْهَا عَيْنَ مُرْتَقِبٍ^{٦٦}
فَلَمْ يُوَوِّبَا إِلَى الدُّنْيَا وَلَمْ تُؤَبِّ^{٦٧}
هُنَا يُؤَسَّسُ مَا تَبْنُونَ لِلْعَقَبِ^{٦٨}
بِمِثْلِهِ فِي مَدَى الْأَذْهَارِ وَالْحَقَبِ^{٦٩}

لَبَّيْكَ يَا مَلِكَ الْوَادِي وَمُنْشِئَهُ
هَذَا غِرَاسِكَ قَدْ مَاسَتْ بِوَاسِقِهِ
الْمُلْكُ فِي بَيْتِكُمْ كَسْبًا وَمَوْهَبَةً
سَفِينَةً أَنْتَ مُجْرِيهَا وَكَالِئُهَا
وَأُمَّةٌ أَنْتَ مُجْرِيهَا وَحَافِزُهَا
وَدِيْعَةُ اللَّهِ صَيَنْتَ فِي يَدَيَّ مَلِكٍ

يَا حَارِسَ الدِّينِ وَالْآدَابِ وَالْحَسَبِ^{٧٠}
تُدَاعِبُ الرِّيحَ فِي زَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ^{٧١}
يُزْهِى عَلَى كُلِّ مَوْهُوبٍ وَمُخْتَسَبِ^{٧٢}
مَنْ الرِّعَازِ لَا تَخْشَى أَدَى الْعَطَبِ^{٧٣}
فِي حَلْيَةِ السَّبْقِ لَا تَبْقِي عَلَى الْقَصَبِ^{٧٤}
لِلَّهِ مُرْتَقِبٍ لِلَّهِ مُخْتَسَبِ

بَصِيرَةً كَضِيَاءِ الصُّبْحِ لَوْ لَطَمَتْ
وَعَزَمَتْ كَحَدِيدِ النَّصْلِ لَوْ طَلَبَتْ
قَدْ صَمَمَتْ فَمَضَتْ عَجَلَى لِمَقْصِدِهَا
فَانْظُرْ تَرَى مِصْرَ هَلْ تَلْقَى لَهَا مَثَلًا
فَتَرْوَةً مِنْ سَرِيِّ الْعِلْمِ وَاسِعَةً
بَنَى (فُوَادُ) بِنَاءَ الْخَالِدِينَ كَمَا
إِذَا الْغَمَائِمُ جَافَتْ مِصْرَ وَاحْتَجَبَتْ
مَنْ مُبْلِغُ الْعَرَبِ أَنَّ الضَّادَ قَدْ بَلَغَتْ
أَعَادَ مَجْدًا لَهَا مَالَتْ دَعَائِمُهُ
وَحَفَّهَا بِسَيَاحٍ مِنْ عِنَايَتِهِ
إِنْ عَقَّهَا أَهْلُ وَادِيهَا وَجِيرَتُهَا
رَأَتْ بِرَبْعِكَ عِزَّ الْمُلْكِ فَانْصَرَفَتْ
لَاذَتْ بِأَكْبَرِ مِعْوَانٍ لِذِي أَمَلٍ
عَشَّ لِلْكِنَانَةِ تَبْلُغُ أَوْجَ عِزَّتِهَا
وَعَاشَ (فَارُوقُ) نَجْمًا فِي تَأَلُّقِهِ

غَيَاهِبَ اللَّيْلِ لَمْ يَظْلِمَ وَلَمْ يُهَبِّ
زُهِرَ الْكَوَكِبِ نَالَتْ غَايَةَ الطَّلَبِ
تَحْتُو التُّرَابَ يَوْجُهُ الشُّكُّ وَالرَّيْبُ
فِي صَوْلَةِ الْمُلْكِ أَوْ فِي قُوَّةِ الْأَهْبِ؟
وَتَرْوَةً مِنْ سَرِيِّ الْجَاهِ وَالنَّشَبِ
بَنَى الْغَطَارِيفُ مِنْ أَبَائِهِ النُّجَبِ
فَإِنَّ بَرَّ يَدِيهِ غَيْرُ مُحْتَجِبِ
يُقَرِّبُ صَاحِبِ مِصْرَ أَرْفَعَ الرُّتَبِ؟
فَيَا لَهَا قُرْبَةً مِنْ أَكْظَمِ الْقُرْبِ
كَمَا تُحَفُّ جُفُونُ الْعَيْنِ بِالْهَدْبِ
فَأَنْتِ أُنْحَى عَلَيْهَا مِنْ أَخٍ وَأَبِ
عَنْ ذِكْرِ لُبْنَى وَذِكْرِ رَبْعِهَا الْخَرِبِ
نَاءً وَأَشْرَفَ عُنْوَانٍ لِمُنْتَسِبِ
وَلِلْعُلَا وَالنَّدَى وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
سَعْدُ السُّعُودِ وَفِيهِ مُنْتَهَى الْأَرْبِ

هوامش

- (١) طحا بك: صرفك، وذهب بك في كل مذهب. الصناجة: اللاعب بالصنح وهو آلة تتخذ من الصفر. وكان أعشى قيس يلعب بصناجة العرب لحسن رنين شعره. ابنة العرب: اللغة العربية.
- (٢) وجمت: سكت حزناً. تنفخ: ترسل نفساً طويلاً. الهم: الحزن. الوصب: المرض.
- (٣) اليعربية: اللغة العربية نسبة إلى يعرب بن قحطان الذي ينتسب إليه عرب اليمن، وهم العرب العاربة. أندى: أبعد صوتاً. الشجو: الحزن.
- (٤) نازعة من البيان: من قولهم: عنده نزعة إلى كذا أي: ميل إليه والمراد عاطفة بيانية. آتت: أعطت. مطلب: مطلوب، وأصله متطلب: أدغمت التاء في الطاء.
- (٥) جرس: صوت. الضرب: العسل.
- (٦) وسنى: نائمة، من السنة وهي النوم. أخبية. خيام: جمع خباء. الشهب: النجوم. جمع شهاب.

(٧) تحدَى: الحداء هو ضرب من الغناء يكون وراء الإبل. اليعملات: النياق السريعة.
الكوم: جمع كوماء، وهي العظيمة السنام. لغبت: تعبت وأعيها السير. إنضاء: هزال.
(٨) الآل: السراب. النصب: ضرب من الحداء. النيب: جمع ناب وهي الناقة المسنة.
يجلو: يكشف.

(٩) السوط: ما يضرب به من الجلد. مرتجز: مغن بالأراجيز. والرجز من أوزان
الشعر يوافق وقع سير الإبل.

(١٠) القور: جمع قارة وهو الجبل الصغير.

(١١) يكنفه: يحيط به. الغثاء: الزبد والوسخ ونحوهما مما يجيء فوق السيل.
مائج: بحر مضطرب الموج. لجب: لأواجه جلبه وضوضاء.

(١٢) يروعها: يخيفها. تنفر: تفر مستوحشة. تثب: تند فرقاً ورعباً.

(١٣) خضل: ند. شبا: جمع شبة وهي حد السيف. والبيض: السيوف. معقل:
حصن. أشب: ملتف الشجر كثيره، أي حصين.

(١٤) يهتز: ينشط. المشتاة: زمن الشتاء أو مكانه حيث يقل الخير. القر: البرد.
يعقد: يشد.

(١٥) تهفو: تميل. العجب: الصلف والزهو. العجب: بالتحريك الدهشة والاستغراب.

(١٦) تنقبن: احتجبن. خفرا: حياء.

(١٧) الضرغام: الأسد.

(١٨) الحبوة: أن يجمع الجالس بين ظهره وساقيه بعمامة أو حبل أو نحوهما،
وكان ذلك ضرورياً للعربي لانعدام ما يسند إليه ظهره. لباه: أطاعه.

(١٩) هز: حرك. الأتي: السيل. العيب: المياه المتدفقة، وهي مفرد.

(٢٠) خفا: خفيفاً غير مثقل. مدرع: لابس الدرع. البأس: الشدة والقوة. البلب:

الدروع.

(٢١) صريخ: ملهوف مستغيث. الذعر: الخوف.

(٢٢) الطنب: الحبل (المعنى) أنه عفيف النظر.

(٢٣) الأحلام: العقول، جمع حلم. زاكية: نامية متزايدة.

(٢٤) الترب: الكثير التراب.

(٢٥) الغيد: الحسان جمع غادة.

(٢٦) المزهو: المتكبر المفتخر. العهود الخوالي: العصور الماضية.

- (٢٧) عزت: قويت. أوأصرها: روابطها.
- (٢٨) القائف: من يعرف الآثار. الدرب: المتدرب.
- (٢٩) المكتهل: من علاه الشيب. مشتمل: ملتحف بالكساء حتى لا تظهر يده. مرتجل: متكلم على البديهة من غير تهئية للكلام. الهجر: فاحش القول وذميمة.
- (٣٠) الطارق: من يأتي ليلاً، السغب: الجائع.
- (٣١) رمز: عنوان ودليل. الثنيات: طرق الجبل.
- (٣٢) يشبها: يوقدها. أريحي: كريم. جزلاً: حطباً يابساً غليظاً.
- (٣٣) الروع: الفرع، وهو يوم الحرب. يجتاح: يهلك.
- (٣٤) يفجؤهم: يباغتهم. رايعهم: أعلامهم. العذب: الأطراف: جمع عذبة.
- (٣٥) اللسن: الفصحاء، مفرده لسن. الصارم: السيف. الذرب: الحاد.
- (٣٦) أبو بصير: هو الأعشى القيسي صاحب الملق. النوب: المصائب، جمع نائبة.
- (٣٧) القافية: آخر كلمة في البيت، والمراد هنا القصيدة. قطب: مدار.
- (٣٨) مؤتشب: ملتف.
- (٣٩) هال: أدهش.
- (٤٠) صخب: جلبة. القضب: السيوف الدقيقة.
- (٤١) خير قریش: كناية عن النبي ﷺ. دأب: جد.
- (٤٢) الوشي: النقش. الأصائل: جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. تنصل: يتغير لونها.
- (٤٣) الراسيات: الجبال. الشم: المرتفعات. الباترات: القاطعات. القرب: الأغمام جمع قراب.
- (٤٤) بنت عدنان: كناية عن موصوف هو اللغة العربية. تيهًا: زهوًا وكبرًا. القشب: الجديدة، جمع قشيب.
- (٤٥) منصدع: منشق.
- (٤٦) كنف: جانب. الخصب: الخصب.
- (٤٧) خر: سقط. صبيب: منحدر.
- (٤٨) عاثت: أفسدت. ابنة البيد: اللغة العربية. الرهب: الخوف.
- (٤٩) ولاغ: شارب شرب الكلب. إحن: أحقاد جمع إحنة. مضمخ: ملطخ.
- (٥٠) منتقض: متهدم. منقضب: منقطع.

- (٥١) جائحة: مصيبة مبيدة. الغيب: ما غاب، جمع غائب.
- (٥٢) ابنة الأعراب: اللغة العربية.
- (٥٣) حمى: ما يجب أن يحمى. ريعت: أفرغت.
- (٥٤) المجمع: مجمع اللغة العربية الذي أنشئ في عصره، وكان الشاعر من أعضائه.
- الحب: العطف.
- (٥٥) عسبة: جاعة بين العشرة والأربعين. صوب الحيا: نزول المطر.
- (٥٦) هلم: تعالوا: اسم فعل أمر. أمد: نهاية.
- (٥٧) الطيف: الخيال الطائف في المنام. الحب: فقايع الماء والخمر.
- (٥٨) الوخذ: سعة الخطو. الخب: السرعة.
- (٥٩) تشن: تشير. لاقحة: شديدة. الويل: العذاب. الحرب: الهلاك.
- (٦٠) كمهرق: كمن يصب الماء. عارض: سحب معترض في الأفق.
- (٦١) أزرى: أهان وعاب. النبع: شجر صلب ينبت على رءوس الجبال. الغرب: نبات رخو ينمو على الأنهار.
- (٦٢) رعناء: حمقاء. طائشة: مخطئة. يصول: يحارب. الشغب: التهويش.
- (٦٣) السمع: السهل. مغترب: غريب.
- (٦٤) المعاجم: كتب اللغة. السخب: جمع سخاب وهو العقد من الودع ونحوه.
- (٦٥) لهث: أخرج لسانه تعبًا.
- (٦٦) مظلمة: حفرة عميقة مظلمة.
- (٦٧) القارطان: رجلان من بني عنزة خرجا في طلب القرظ فلم يرجعا. يثوب: يعود.

- (٦٨) الضاد: اللغة العربية. عقب: من يأتون بعدكم.
- (٦٩) الحقب: العصور.
- (٧٠) لبيك: إطاعة لك وإجابة. الحسب: مفاخر الآباء.
- (٧١) ماست: تمايلت زهوًا. بواسقه: طواله.
- (٧٢) كسبا: إصابة واجتهادًا. موهبة: منحة من الله.
- (٧٣) كالثها: حافظها. الزعازع: العواصف. العطب: الهلاك.
- (٧٤) حافزها: دافعها. حلبة السبق: جماعة الخيل في ميدان السباق. القصب: ما يركز عليه الغاية في السباق. والمراد الفوز.

- (٧٥) بصيرة: فطنة. غياهب: ظلمات. يهب: يخاف منه.
- (٧٦) كحديد النصل: كالسيف الحاد المشحوذ.
- (٧٧) صممت: أصرت. تحثو: تثير.
- (٧٨) الأهب: جمع أهبة وهي عدة الحرب.
- (٧٩) النشب: المال.
- (٨٠) الغطاريف، جمع غطريف: السيد الشريف. النجب: الكريم.
- (٨١) جفت: بعدت.
- (٨٢) دعائمه: عمدته جمع دعامة. قربة: بر يتقرب به إلى الله تعالى.
- (٨٣) ربك: دارك. لبنى: من فتيات الجاهلية.
- (٨٤) الكنانة: مصر. أوج: علو.

حَنِينُ طَائِرٍ

نظمت هذه القصيدة في سنة ١٩١٥ م.

جَدَّدَ الذِّكْرَى لِذِي شَجَنِ	طَائِرٌ يَشْدُو عَلَى فَنَنِ
وَنَسِيمُ الصُّبْحِ فِي وَهْنِ	قَامَ وَالْأَكْوَانُ صَامِتَةً
لَوْعَةً لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ	هَاجَ فِي نَفْسِي وَقَدْ هَدَأَتْ
فَبَكَى لِلأَهْلِ وَالسَّكَنِ	هَزَّهُ شَوْقٌ إِلَى سَكَنِ
مَا لِطَيْرِ الْجَوِّ مِنْ وَطَنِ ^١	وَيْكَ لَا تَجْزَعُ لِنَازِلَةٍ
وِيرَاكَ اللَّيْلُ فِي عَدَنِ ^٢	قَدْ يِرَاكَ الصُّبْحُ فِي حَلَبِ
مِنْ بُكَاءِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ ^٣	أَنْتَ فِي خَضِرَاءَ ضَاحِكَةٍ
تَارِكُ غُصْنًا إِلَى غُصْنٍ ^٤	أَنْتَ فِي شَجَرَاءَ وَارِفَةٍ
نَاعِمٌ فِي الْحُلِّ وَالظَّعَنِ ^٥	عَابِثٌ بِالزَّهْرِ مُغْتَبِطٌ
غَيْرُ مَسْنُونٍ وَلَا أُسْنِ ^٦	فِي ظِلَالٍ حَوْلَهَا نَهْرٌ
كَيْفَمَا تَهْوَى بِلَا رَسَنِ ^٧	فِي يَدَيْكَ الرِّيحُ تُرْسِلُهَا

* * *

لَيْسَ لِلذَّاتِ مِنْ ثَمَنِ ^٨	يَا سَلِيمَانَ الزَّمَانِ أَفَقُ
يَا حَيَاةَ الْعَيْنِ وَالْأَذَنِ	وَابْعَثِ الْأَلْحَانَ مُطَرِبَةً
وَنِظَامَ الْكَوْنِ وَالسُّنَنِ ^٩	غَنِّ بِالذُّنْيَا وَزِينَتِهَا
وَبِمَا شَاهَدْتَ مِنْ مُدُنٍ ^{١٠}	وَبِقِيَعَانِ هَبَطْتَ بِهَا

وَبِأَزْهَارِ الصَّبَاحِ وَقَدْ نَهَضْتُ مِنْ غَفَوَةِ الْوَسَنِ ١١
وَبِقَلْبٍ شَفَّهَ وَلَهُ حَافِظٌ لِلْعَهْدِ لَمْ يَخُنْ ١٢
كُلُّ شَيْءٍ فِي الدُّنَا حَسَنٌ أَيُّ شَيْءٍ لَيْسَ بِالْحَسَنِ ١٣
خَالِقُ الْأَكْوَانِ كَالنُّهَا وَاسِعُ الْإِحْسَانِ وَالْمِنَّةِ ١٤

* * *

كَانَ لِي إِلْفٌ فَأَبْعَدَهُ قَدَرٌ عَنِّي وَأَبْعَدَنِي ١٥
أَنَا مَدَّ الدَّهْرُ أَذْكَرُهُ وَهُوَ مَدَّ الدَّهْرُ يَذْكُرُنِي ١٦
قَدْ بَنَيْنَا الْعُشَّ مِنْ مُهَجٍ غُسِلْتُ مِنْ حَوْبَةِ الدَّرَنِ ١٧
مِنْ لَدُنْهُ الْوُدُّ أَخْلَصُهُ وَالْوَفَا وَالطُّهْرُ مِنْ لَدُنِي
كَانَتْ الْأَطْيَارُ تَحْسُدُهُ جَنَّةَ الْمَأْوَى وَتَحْسُدُنِي
وَضَنَنَّا أَنْ نَعِيشَ بِهِ عِيشَةَ الْمُسْتَعْصِمِ الْأَمَنِ
فَرَمَتْ كَفُّ الزَّمَانِ بِهِ فَكَأَنَّ الْعُشَّ لَمْ يَكُنْ
طَارَ مِنْ حَوْلِي وَخَلَّفَنِي لِلْجَوَى وَالْبَثِّ وَالْحَزَنِ ١٨
وَنَأَى عَنِّي وَمَا بَرِحْتَ نَازِعَاتُ الشَّوْقِ تَطْرُقُنِي ١٩
وَمَضَى وَالْوَجْدُ يَسْبِقُهُ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ تَسْبِقُنِي ٢٠

* * *

إِنْ تَزُرْ يَا طَيْرُ دَوْحَتَهُ بَيْنَ زَهْرِ نَاضِرٍ وَجَنِي ٢١
وَشَهِدْتُ «التَّمَسَّ» مُضْطَرِبًا وَائِبًا كَالصَّافِنِ الْأَرَنِ ٢٢
عَبَيْتُ رِيحَ الشَّمَالِ بِهِ فَطَغَى غَيْظًا عَلَى السَّفِينِ
فَأَنشُدِ الْأَطْيَارَ وَاحِدَهَا فِي الْحُلَى وَالْحُسَنِ وَالْجَدَنِ ٢٣
وَتَرَيْتُ فِي الْمَقَالِ لَهُ قَدْ يَكُونُ الْمَوْتُ فِي اللَّسَنِ! ٢٤
صِفْ لَهُ يَا طَيْرُ مَا لَقِيتَ مُهَجَّتِي فِي الْحُبِّ مِنْ غَبَنِ ٢٥
صِفْ لَهُ رُوحًا مُعَذِّبَةً ضَاقَ عَنِ الْإِمْهَاءِ بَدَنِي
صِفْ لَهُ عَيْنًا مُقَرَّحَةً لِأَيِّ الدَّمْعِ لَمْ تَصُنْ

* * *

يا خَلِيلِي وَالْهَوَىٰ إِحْنٌ لا رَمَاكَ اللَّهُ بِالْإِحْنِ^{٢٦}
 إِنَّ رَأَيْتَ الْعَيْنَ نَاعِسَةً فَتَرَقَّبْ يَقْظَةَ الْفِتَنِ^{٢٧}
 أَوْ رَأَيْتَ الْقَدَّ فِي هَيْفٍ فَاتَّخِذْ مَا شِئْتَ مِنْ جُنَنِ^{٢٨}
 قَدْ نَعِمْنَا بِالْهَوَىٰ زَمَنًا وَشَقِينَا آخِرَ الزَّمَنِ!

هوامش

- (١) ويك: عجباً لك. والجزع: نقيض الصبر. والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس.
- (٢) حلب: بلدة سورية بالقرب من حدودها الشمالية. وعدن: بلد على ساحل الخليج المسمى باسمها جنوبي جزيرة العرب.
- (٣) العارض: السحاب المعترض في الأفق. والهتن: المنصب الهطل.
- (٤) أرض شجراء: كثيرة الشجر.
- (٥) الحل: مصدر حل المكان وحل به أي نزل به. والظعن بسكون العين وفتحها مصدر ظعن أي: سار وارتحل.
- (٦) مسنون: منتن. والأسن من الماء: الآجن وهو المتغير الطعم واللون.
- (٧) تهوى: تحب. الرسن: الحبل تربط به الدابة.
- (٨) سيدنا سليمان بن سيدنا داود — عليهما السلام — والمعنى أن الله قد سخر لك الريح كما سخرها من قبل لسليمان.
- (٩) السنن: جمع سنة وهي الطبيعة.
- (١٠) القيعان: جمع قاع وهو المستوي من الأرض.
- (١١) الغفوة: النومة الخفيفة. الوسن: النعاس.
- (١٢) شفة الهم: هزله. الوله: الهم والحزن والحيرة.
- (١٣) الدنا: جمع دنيا.
- (١٤) كالؤها: حافظها. المنن: جمع منة وهي النعمة.
- (١٥) الإلف: الأليف والحبيب. القدر: ما يقدره الله — عز وجل — ويقضي به.
- (١٦) مد الدهر: مداه وطوله.
- (١٧) المهج: جمع مهجة وهي النفس والروح. الحوبة: الإثم والذنب. الدرن: الوسخ.

- (١٨) الجوى: الحرقه وشدة الوجد. البث: أشد الحزن.
(١٩) نأى: بعد. النازعات: جمع نازعة وهي ميل النفس الشديد. تطرقني: تجيئني.
والطروق في الأصل المجيء ليلاً.
(٢٠) الوجد: الحزن والحب.
(٢١) الجنى: ما يجنى من الشجر ما دام غُضًّا.
(٢٢) التمس: نهر مشهور في إنجلترا. الصافن: من الخيل ما قام على ثلاث قوائم
وطرف حافر الرابعة. الأرن: النشيط مصلت الأذنين.
(٢٣) الحلى: جمع حلية وهي الصفة، والحلية أيضًا الحي وهو ما تتزين به المرأة
من المصوغات والجواهر ونحوها. الجدن: حسن الصوت.
(٢٤) تريث: اتئد وتمهل. المقال: القول. اللسن: الفصاحة.
(٢٥) المهجة: النفس. الغبن: مصدر غبنه في البيع ونحوه يغبنه أي: خدعه.
(٢٦) الخليل: صاحب. والهوى: الحب. الإحن: جمع إحنة وهي الحقد والغضب.
(٢٧) عين ناعسة: فاترة، والفتور من صفات الحسن في عيون النساء.
(٢٨) القد: اعتدال القامة وحسن التقطيع. الهيف: ضмор البطن ورقة الخاصرة.
والجنن: جمع جنة وهي السترة وكل ما وقى.

عِيدُ جُلُوسِ الْمَلِكِ فُؤَادٍ

في سنة ١٩٣٤ م

واليومُ من نَسَجَ السَّحَابِ أَنْضُرُ^١
فَالْعُودُ عُودٌ وَالْأَزَاهِرُ مِزْهَرُ^٢
صُعْدًا، وَتَجْذِبُهُ الْغُصُونُ فَيَنْفِرُ
فَالْوَرْدُ مِلءَ رِداثِهِ وَالْعَبْهَرُ^٣
فَالْيَوْمُ يَذْرُجُ مَا يَشَاءُ وَيَخْطُرُ
غَرْدًا يُصَفِّقُ بِالْجَنَاحِ وَيَطْفِرُ^٤
نُعْمَى الْحَيَاةِ وَعِزُّ مِصْرَ الْأَوْفَرِ^٥
أَمَلُ الْوُجُوهِ الْمُشْرِقُ الْمُسْتَبْشِرُ^٦
مِيلَادِهِ، وَرَنْتَ إِلَيْهِ الْأَعْصُرُ^٧
مَنْ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ لَا تَتَعَثَّرُ
وَاهْتَرَّ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ الْمُنْبَرُ^٨
خَفَرًا، وَيَزْهَوُهَا الْجَمَالُ فَتُسْفِرُ^٩
يَنْهَى كَمَا يَرْضَى إِلَهُ وَيَأْمُرُ
فَبِمِثْلِهِ يُزْهِى الزَّمَانُ وَيَفْخَرُ^{١٠}
وَالْعِزُّ فِي جَنَابَاتِهِ مُتَبَخَّرُ^{١١}
يَحْلُو عَلَى الْأَيَّامِ حِينَ يُكْرَّرُ

الْعَيْشُ مُخْضَلُّ الْجَوَانِبِ أَخْضَرُ
وَالرَّوْضُ يَصْدَحُ بِالْبَشَائِرِ أَيْكُهُ
يَجْرِي النَّسِيمُ بِهِ فَيَجْتَازُ الرَّبَا
كَمْ زَهْرَةٍ عَلِقَتْ بِفَضْلِ رِداثِهِ
إِنْ ضَجَّ مِنْ آبٍ وَحَرٍّ وَثَاقِهِ
يَطْفُو عَلَى وَجْهِ الْجَدَاوِلِ طَائِرًا
فِي كَفِّهِ الْبُشْرَى، وَفِي هَمَسَاتِهِ
وَالشَّمْسُ ضَاחِكَةٌ، كَأَنَّ شُعَاعَهَا
تَخْتَالُ فِي يَوْمٍ تَرَقَّبَتِ الْعُلَا
نَهَضَتْ بِهِ آمَالُ مِصْرَ وَأَقْسَمَتْ
فَلَكُمْ تَمَنَّى الدِّينَ طَالَعَ صُبْحِهِ
تَمْشِي الْمَنَى فِيهِ تَجُرُّ خِمَارَهَا
فَارَتْ بِهِ مِصْرُ بِخَيْرِ مُتَوَجِّجٍ
يَوْمٌ إِذَا زَهَى الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ
السَّعْدُ فِي سَاعَاتِهِ مُسْتَوِطِنٌ
هُوَ فِي فَمِ الدُّنْيَا حَدِيثُ خَالِدٍ

هو طَلْعَةُ الرَّوْضِ النَّضِيرِ وَظِلُّهُ
وَنَمِيرُهُ وَنَسِيمُهُ الْمُتَعَطَّرُ^{١٢}
أَمْلُ الْبِلَادِ تَمَسَّكَتْ بِحَبَالِهِ
فِي الْحَادِثَاتِ وَعِيدُ مِصْرَ الْأَكْبَرِ

* * *

عِيدُ بَأْنَوَارِ الْجَلَالِ مُتَوَجِّجٌ
وَبِمُنَّةِ النَّصْرِ الْعَزِيزِ مُؤَزَّرٌ^{١٣}
هُوَ صُورَةٌ لِلْبِشْرِ أَحْكَمُ رَسْمُهَا
لَأَنْتَ بِهِ الدُّنْيَا وَأَخْصَبُ عَيْشُهَا
وَشَدَتْ لِمَطْلَعِهِ الْقُلُوبُ كَأَنَّهَا
طَيْرٌ تُغَرَّدُ لِلرِّيَاضِ وَتَصْفِرُ^{١٤}
هُوَ فِي كِتَابِ الدَّهْرِ سَطْرٌ مَجَادٍ
خَشَعَتْ لِهَيْبَةِ مَا حَوَاهِ الْأَسْطُرُ^{١٥}
وَتَبَتَ بِهِ مِصْرٌ وَقَدْ طَالَ الْكَرَى
وَمَضَتْ إِلَى قَصَبِ الْفَخَارِ تُغْبِرُ^{١٦}
وَعَلَتْ بِفَضْلِ مَلِكِ مِصْرَ مَكَانَةً
لَمْ تَقْتَعِدْهَا فِي السَّمَاءِ الْأَنْسَرُ^{١٧}
تُنْقَطِعُ الْأَمَالُ دُونَ بُلُوغِهَا
وَتَوَدُّ رُؤْيَيْتَهَا الْعُيُونُ فَتَحْسُرُ^{١٨}
تَرْنُو لَهَا الْجَوَازَاءُ نَظْرَةً حَاسِدٍ
وَيَذْكُرُهَا تَلْهُو النُّجُومُ وَتَسْمُرُ^{١٩}
وَإِذَا سَمَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ لِمَغَايَةِ
فَالصَّعْبُ هَيْنٌ وَالْعَسِيرُ مُيسَّرُ^{٢٠}

* * *

عِيدَ الْجُلُوسِ وَأَنْتَ عِزَّةُ أُمَةٍ
تَعْلُو بِمَوْلَاهَا الْعَظِيمِ وَتَكْبُرُ
غَنَّاكَ شِعْرِي فَاسْتَمِعْ لِمَغْنَائِهِ
إِنَّ الْبَلَابِلَ فِي الْخَمِيلَةِ نَدْرُ
مَا كُلُّ مَنْ عَرَكَ الْمَزَاهِرَ مَعْبُدٌ
يَوْمًا وَلَا كُلُّ الْمَوَاضِعِ عَبَقَرُ^{٢١}
إِنْ الرِّمَاحَ حَدَائِدُ مَنْبُودَةٌ
حَيْثُ طَلَائِعُكَ الْقَوَافِي هُتِّفَا
وَالشَّعْرُ مِرَاةُ النُّفُوسِ وَصُورَةٌ
يَا عِيدُ كَمْ بَكَ مِنْ جَمَالٍ زَاهِرٍ
كَمْ مِنْ مَوَاكِبَ وَارِدَاتٍ تَرْتَجِي
وَالشَّعْبُ يَرْحَمُ بِالْمَنَاكِبِ طَامِعًا
ضَاقَتْ بِهِ السَّاحَاتُ حَتَّى أَصْبَحَتْ
حَتَّى إِذَا ظَهَرَ الْمَلِكُ كَأَنَّهُ
فِي بُرْدِهِ أَمْلُ الْكِنَانَةِ بِاسْمٍ
يَبْهَى بِإِشْرَاقِ الْمَلِكِ وَيَبْهَرُ!^{٢٢}
شَرَفَ الْمُتَوَلَّى وَمَنْ مَوَاكِبَ تَصْدُرُ^{٢٣}
فِي نَظْرَةٍ تُحْيِي الْقُلُوبَ وَتُجْبِرُ^{٢٤}
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ بِالْعُبَابِ وَيَزْخَرُ^{٢٥}
بَدْرٌ بِهِ أَنْجَابَ الظَّلَامِ الْأَخْذَرُ^{٢٦}
وَيُوجِّهُهُ نَوْرُ الْجَلَالَةِ مُسْفِرُ^{٢٧}

شَخَصَتْ لَهُ الْأَمَالُ تُسْرِعُ خَطْوَهَا
تَرْنُو الْعُيُونُ فَتَجْتَلِي مِنْ نوره
وَالنَّاسُ بَيْنَ مُسَبِّحٍ وَمُكَبِّرٍ
وَالْبِشْرُ قَدْ مَلَأَ الْوُجُوهَ نَضَارَةً
وَالْقَطَرُ يَهْتَفُ أَنْ يَعِيشَ فُؤَادُهُ
فِي مَوْكِبٍ لَمْ يَلْقَ (كِسْرَى) مِثْلَهُ
قَدَرُوا مَآثِرَكَ النَّبِيلَةَ قَدَرَهَا
أَحْسَنْتَ لِلشَّعْبِ الْكَرِيمِ رِعَايَةً
اللَّهُ قَدْ خَلَقَ الْمَكَارِمَ وَالنَّدَى
إِنَّ الَّذِي مَلَكَ الْقُلُوبَ بَعُطْفَهُ

وَدَنَا لِرُؤُوسِهِ الْعَدِيدِ الْأَكْثَرُ^{٣٢}
فَيْضًا وَيَغْلِبُهَا السَّنَا فَتَحْيِرُ^{٣٣}
لَبَّى نِدَاهُ مَسْبُوحٌ وَمُكَبَّرُ^{٣٤}
فَتَكَادُ مِنْ فَرْطِ النَّضَارَةِ تَقْطُرُ
وَالشَّعْبُ يَجْهَرُ بِالِدَعَاءِ وَيَجَارُ^{٣٥}
فِي السَّابِقِينَ وَلَمْ يَنْلَهُ قَيْصَرُ^{٣٦}
وَكَذَاكَ مَحْمُودُ الْمَآثِرِ يُقَدَّرُ
فَشَدَا بِنِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُكْفَرُ
شَجَرًا يُظَلِّلُ فِي الْهَجِيرِ وَيُثْمِرُ^{٣٧}
أَوَّلَى بِتَمْجِيدِ الْقُلُوبِ وَأَجْدَرُ

* * *

شَعْرِي اسْتَبَقَ فِي الْحَاشِدِينَ مُبَادِرًا
وَانْزِلْ (بِرَأْسِ التَّيْنِ) وَاحْشَعْ مُطَرِّقًا
فَهَذَاكَ الْمَجْدُ الْمُؤْتَلَّ سَامِقًا
هَذَا (ابْنُ إِسْمَاعِيلَ) فَاثْنُرْ حَوْلَهُ
سَاسَ الْبِلَادِ بِحُكْمَةٍ عَلَوِيَّةٍ
عَزَمَ كَمَا صَالَ الْحُسَامُ وَهَمَّةٍ
وَمَضَاءُ رَأْيٍ لَوْ رَمَى خَلَاكَ الدُّجَى
بَلِغْتَ بِهِ مِصْرَ مَنَازِلِهَا الْعُلَا
تَمْضِي، كَمَا يَمْضِي الشَّهَابُ، مُجِدَّةً
مَلَأَ الْبِلَادَ عَوَارِفًا وَمَعَارِفًا
وَأَعَادَ مَجْدَ الْخَالِدِينَ بِنَهْضَةٍ
فَتَلَقَّتْ التَّارِيخُ مَشْدُوهُ النَّهْيِ
لَا تَدْهَشِ الدُّنْيَا، فَصَوْلَةُ عَزْمِهِ
الْخَالِدُونَ عَلَى الزَّمَانِ جَدْوُهُ
النَّهْضَةُ الْكَبِيرَى إِلَيْهِمْ تَنْتَمِي
دَرَجُوا وَأَمَّا مَجْدُهُمْ فَمُخْلَدٌ

لَا يُدْرِكُ الْأَمَالَ مَنْ يَتَأَخَّرُ
مِمَّا تُحِسُّ مِنَ الْجَلَالِ وَتُبْصِرُ^{٣٨}
وَالْمَلِكُ حَوْلَكَ وَاسِعٌ مُسْتَبْجِرُ^{٣٩}
دُرَّرًا تَدُومُ عَلَى الزَّمَانِ وَتُذْخِرُ^{٤٠}
بَسَادِهَا تَعْتَزُّ مِصْرُ وَتُنْصِرُ^{٤١}
أَسْمَى مِنَ النَّجْمِ الْبَعِيدِ وَأَبْهَرُ
لَمْضَى الدُّجَى مُتَعَتِّرًا يَتَقَهَّقِرُ
يُومِي إِلَيْهَا طَرْفُهُ فَتَشْمُرُ^{٤٢}
لَا يَبْلُغُ الشَّأْوُ الْبَعِيدَ مُقْصِرُ^{٤٣}
تُرْجَى إِلَى أَقْصَى الْبِلَادِ وَتَنْشُرُ^{٤٤}
تَحْتَاجُ شَمَّ الرَّاسِيَاتِ وَتُقَهَّرُ^{٤٥}
وَتَطْلَعُ مِنْ حُجْبِهِنَّ الْأَذْهَرُ^{٤٦}
أَقْوَى عَلَى كَيْحِ الصَّعَابِ وَأَقْدَرُ^{٤٧}
وَالسَّابِقُونَ قَبِيلُهُ وَالْمَعْشَرُ^{٤٨}
وَجَلَائِلُ الْأَثَارِ عَنْهُمْ تُذْكَرُ
بَاقٍ، وَأَمَّا ذِكْرُهُمْ فَمُعَمَّرُ^{٤٩}

* * *

أَفْؤَادُ عَشٍّ لِلنَّيْلِ ذُخْرًا إِنَّمَا
 قَدْ فَاضَ فِي طَوْلِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا
 يَتَبَرَّكُ الْوَادِي بَلِثَّمُ بَنَانِهِ
 الْخَصْبُ وَالْإِغْدَاقُ فِيضُ يَمِينِهِ
 تَبَرُّ إِذَا غَمَرَ الْبِلَادُ رَأَيْتَهَا
 وَالْأَرْضُ وَشْيٌ طُرَّرَتْ أَفْوَافُهُ
 أَنَّى جَرَى هَمَسُ الْخَمَائِلُ بِاسْمِهِ
 وَسَرَتْ بِمَقْدَمِهِ الْبَشَائِرُ حَوْمًا
 إِنْ أَصْبَحَتْ مَصْرُ الْخَصِيبَةِ جَنَّةً
 عِشْ فِي حِمَى الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَاهْنًا بِعِيدِكَ إِنَّهُ قَالَ الْمُنَى
 لَا زِلْتَ تَرْفُلُ فِي مَطَارِفِ صَحَّةٍ
 وَاسْلَمْ لِمَصْرَ فَأَنْتَ أَنْتَ فَوَادُهَا

بِنْدَاكَمَا تَحْيَا الْبِلَادُ وَتَنْضُرُ^{٥٠}
 لَكِنَّهُ فِي جَنْبٍ فَيُضِكُ يَصْغُرُ
 فَيَعُودُ وَهُوَ الْمَعْشَبُ الْمُخْضَوُضُ^{٥١}
 وَالْمَسْكُ كُدْرَةُ مَائِهِ وَالْعَنْبَرُ^{٥٢}
 وَالْدُرُّ مِلءُ نُحُورِهَا وَالْجَوْهَرُ
 وَالزَّهْرُ مِنْهُ مُدْرَهُمْ وَمُدْنَرُ^{٥٣}
 وَتَبَسُّمُ النَّسْرَيْنِ وَالنَّيْلُوفَرُ^{٥٤}
 السُّحْبُ تُنْبِئُ وَالنِّسَائِمُ تُخْبِرُ
 فِي عَهْدِكَ الْعُمَرِيُّ فَهُوَ الْكَوْثَرُ^{٥٥}
 تَرَعَاكَ عَيْنٌ لَا تَنَامُ وَتَخْفَرُ^{٥٦}
 فَبَيْمَنْهُ تَعْلُو الْبِلَادُ وَتَظْفَرُ
 هِيَ كُلُّ مَا يَرْجُو الزَّمَانُ وَيُؤَثِّرُ^{٥٧}
 وَحَيَاتُهَا وَلُبَابُهَا الْمَتَخَيَّرُ^{٥٨}

* * *

فَارُوقُ زَيْنُ النَّاشِئِينَ الْمَرْتَجَى
 مَجْدُ الشَّبَابِ مَنَاطُ آمَالِ الْعُلَا
 أَنْبَتُهُ خَيْرَ النَّبَاتِ يَزِينُهُ
 الْفَضْلُ يَلْمَعُ فِي وَضِيءِ جَبِينِهِ
 إِنَّ الصَّعِيدَ لَمْزَدَهُ بِأَمِيرِهِ
 لَوْ تَسْتَطِيعُ الْبَاسِقَاتُ بِأَرْضِهِ
 عَاشَ الْمَلِكُ وَعَاشَ فَارُوقُ الْحِمَى

كَرُمْتَ أَوَائِلُهُ وَطَابَ الْعُنْصُرُ^{٥٩}
 وَسَنَا الْحَيَاةَ وَنَجْمُ مَصْرَ النَّيْرِ^{٦٠}
 خُلِقَ كَأَمْوَاهِ السَّحَابِ مُطَهَّرُ
 زَهْوًا كَمَا ابْتَسَمَ الرَّبِيعُ الْمُبَكِّرُ
 جَذْلَانُ يَصْدَحُ بِالثَّنَاءِ وَيَجْهَرُ^{٦١}
 سَعْيًا لَجَاءَتْ نَحْوَ بَابِكَ تَشْكُرُ^{٦٢}
 يَزْهَوُ بَطْلَعَتِهِ الْوُجُودُ وَيُزْهَرُ^{٦٣}

هوامش

- (١) المخضل: الندى الوصب. نسج السحائب: النبات والأزهار.
- (٢) العود: «الأول» الغصن من أغصان الشجر والعود «الثاني» تلك الآلة المعهودة. الأزاهر: جمع أزهار، وأزهار: جمع زهر، وهو نور كل نبات. والمزهر (بالكسر): الدف يضرب عليه.
- (٣) فضل الرداء: زيادته وما ينسحب على الأرض منه. العبهر: الياسمين.
- (٤) آب: شهر من شهور السنة الشمسية، وهو يقابل شهر أغسطس. حيث يشتد الحر. الوثاق: ما يشد به من قيد أو حبل أو غيره. يدرج: يسير. يخطر: أي يختال ويتبخر.
- (٥) يطفر: يثب مرتفعًا.
- (٦) الأوفر: الكامل.
- (٧) ترقبت: انتظرت. ورنأ إليه يرنو: أدام النظر. الأعصر: الدهور.
- (٨) طالع صبحه: أي ظهور صبحه.
- (٩) الخمار: هو ما تغطي به المرأة رأسها. الخفر: شدة الحياء. ويزهوها: يستخفها. تسفر: تكشف قناعها فتبين.
- (١٠) زهى به: تاه وتكبر.
- (١١) مستوطن: أي ملازم لا يبرح. الجنبات: النواحي.
- (١٢) النضير: الحسن الزاهي. النمر: الماء الناجع في الري.
- (١٣) المنة (بالضم): القوة. ومؤزر: أي إن النصر له عدة ومنعة.
- (١٤) اليمن: البركة. المقفر: المجدب المحل.
- (١٥) شدت: غنت. صفر الطائر: غرد.
- (١٦) المجادة: الرفعة والشرف.
- (١٧) الكرى: النوم والنعاس. قصب الفخار: أمده وغايته. وذلك أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبه. فمن سبق واقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق الذي أدرك الغاية. تغبر: أي تسبق، وذلك لأن المجدد المسرع يثير الغبار خلفه.
- (١٨) يقال: اقتعده: إذا اتخذه مقعدًا. وخص النسور؛ لأنها تختار الأماكن المرتفعة أوكارًا لها.
- (١٩) حسرت العين تحسر: كلت لطول مدى وغاية.

(٢٠) رنا له يرنو: أدام النظر إليه. الجوزاء: برج في السماء يضرب به المثل في العلو والارتفاع.

(٢١) الهين (بالتخفيف): الهين (بالتشديد).

(٢٢) المزاهر: جمع مزهر وهو العود. عركها: لوى مفاتيحها. معبد: مغن معروف، وكان إمام أهل المدينة في الغناء. عاش في أوائل دولة بني أمية، ومات بدمشق في أيام الوليد بن يزيد. عبقر: أي موضع يملك عليك إعجابك بحسه وجماله. العبقر (في الأصل): مكان كانت العرب تزعم أنه كثير الجن. ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته أو قوته.

(٢٣) تثقيف الرمح: تقويمه وتسويته. سمهر: رجل اشتهر هو وزوجته ردينة بتثقيف الرماحه فنسبت إليهما.

(٢٤) يريد (بالطلائع): كواكب الفرسان التي تتقدم ركب الملك. هتفاً: هاتفة. الأشرط: جمع شطر، وهو نصف البيت من الشعر، يريد القصائد.

(٢٥) تكن: تخفى وتستتر.

(٢٦) يبهى: يحسن ويظرف. يبهز: يشرق ويضيء.

(٢٧) تصدر: ترجع.

(٢٨) يزحم بالمنالك: يدفع بعضه بعضاً بمنالكه. تجبر: تصلح.

(٢٩) عباب البحر: معظمه وموجه. زخر: طما وارتفع.

(٣٠) انجاب الظلام: انكشف وانقشع. الأخضر: الساتر الموارى.

(٣١) مسفر: مضيء مشرق.

(٣٢) شخصت: اتجهت.

(٣٣) ترنو: تديم النظر. تجتلي: تستبين وتكشف. السنا: النور. فتحير: أي فتتحير.

(٣٤) لبي: أجاب وردد. الندى (بالماء وقصر للشعر): الدعاء.

(٣٥) يجأر: يرفع صوته بالدعاء.

(٣٦) كسرى: لقب لملك الفرس. قيصر: لقب لملك الروم.

(٣٧) الندى: الجود. الهجير: الهاجرة حيث يشتد الحر.

(٣٨) يريد «برأس التين»: سراي رأس التين بالإسكندرية. وهي مقر الملك في هذا

البلد.

(٣٩) المؤئل: الذي له أصل قديم. السامق: العالي المرتفع. مستبحر: متسع ممتد.

- (٤٠) يريد بابن إسماعيل: الممدوح أحمد فؤاد الأول. تذخر: تجمع وتذخر.
- (٤١) علوية: نسبة إلى رأس الأسرة محمد علي. السداد: الرشاد والإصابة في الأمور.
- (٤٢) يومي: يشير. الطرف: العين. تشمر: تجد وتسرع.
- (٤٣) الشأو: الغاية والمدى.
- (٤٤) تزجى: تبعث وتحمل.
- (٤٥) تجتاج: تستأصل وتذك. وشيم الراسيات: الجبال المرتفعة الثابتة الراسخة.
- (٤٦) مشدوه النهى: أي حائر العقل مذهباً. الأدهر: جمع دهر.
- (٤٧) الصولة: السطوة والمضاء. كبج الجماح: تذليلها والتغلب عليها.
- (٤٨) قبيله والمعشر: أقاربه وأهله.
- (٤٩) درجوا: مضوا وذهبوا.
- (٥٠) الذخر: ما يدخر للحاجة. الندى: الجود. تنضر: تصير ذات نضرة أي: حسن وبهاء ونعمة.
- (٥١) المخضوضر: المخضر.
- (٥٢) الإغداق: كثرة الخير والنعمة. الفيض: الإعطاء. ويريد بكثرة مائه: الغرين الذي يجلبه النيل معه فيفيد مصر خصباً. وشبهه بالمسك والعنبر في لونهما ونفاستهما.
- (٥٣) الوشي: الثوب المنقوش. الأفواف: نوع من البرود اليمينية مخطط، الواحد، فوف. مدرهم ومدنر: أي كالدرهم والدنانير في استدارتها وألوانها.
- (٥٤) النسرين: ورد أبيض عطري قوي الرائحة. النيلوفر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة له أصل كالجزر وساق أملس.
- (٥٥) العمري: نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب. الكوثر: نهر في الجنة.
- (٥٦) ترعاك وتخفرك: تحفظ وتحرسك.
- (٥٧) ترفل: تجر الذيل. المطارف: جمع مطرف وهو رداء من خز مربع ذو أعلام.
- يؤثر: يختار ويفضل.
- (٥٨) الفؤاد: القلب أو العقل. وفي هذا اللفظ تورية ظاهرة. الباب: المختار الخالص من كل شيء.
- (٥٩) فاروق: ولي العهد إذ ذاك. العنصر: الأصل.
- (٦٠) مناط الآمال: موضع الرجاء ومحط المنى. المناط (في الأصل): اسم موضع التعليق. السنا: الضوء. النير: المنير.

ديوان علي الجارم

(٦١) الصعيد: الوجه القبلي من مصر.

(٦٢) الباسقات: الأشجار العالية المرتفعة.

(٦٣) الحمى: ما تجب عليك حمايته ومنعه. ويريد به هنا مصر. يزهر: يشرق

ويضيء.

الجامعة العربية

أنشئت هذه القصيدة في حفل حاشد أقيم بالقاهرة تكريمًا لزعماء الأقطار العربية سنة ١٩٤٤م، بمناسبة إنشاء جامعة الدول العربية بالقاهرة.

سَنَا الشَّرْقَ، مِنْ أَيِّ الْفَرَادِيسِ تَنْبُعُ؟
وَفِي أَيِّ أَطْوَاءِ الْقُرُونِ تَنْقَلْتُ
طَلَعْتَ عَلَى الْأَهْرَامِ وَالْكُونُ هَامِدٌ
طَلَعْتَ شُعَاعًا عِبْقَرِيًّا كَأَنَّمَا
وَجَمَعْتَ أَسْرَارَ الْعُقُولِ فَهَلْ دَرْتُ
وَجَمَلْتَ أَفْقَ الشَّرْقِ وَالْأَرْضُ كُلُّهَا
أَذْكَ ابْتِسَامُ الْغِيدِ مَا أَشْرَقْتَ بِهِ
رَأَيْتَ ابْنَ عِمْرَانَ عَلَى الطُّورِ شَاخِصًا
وَأَبْصَرْتَ عَيْسَى يَنْشُرُ الرِّفْقَ وَالرِّضَا
وَشَاهَدْتَ وَسْطَ الْجَحْفَلَيْنِ مُحَمَّدًا
إِذَا صَالَ فَالْدُنْيَا مَجْرٌ رِمَاحِهِ
أَلَمْ تَرَهُ فِي بُرْدَةِ اللَّيْلِ سَاجِدًا
وَمِنْ أَيِّ آفَاقِ النُّبُوَّةِ تَلَمَعُ؟^١
بِمَصْبَاحِكَ الدُّنْيَا يَشْبُ وَيَسْطَعُ^٢
وَأَشْرَقْتَ بِالْإِلْهَامِ وَالنَّاسُ هُجَّعُ^٣
مَنْ الْحَقُّ أَوْ نَوْرُ الْبَصَائِرِ تَطْلُعُ
مَخَابِيءُ فِرْعَوْنَ بِمَا كُنْتَ تَجْمَعُ؟^٤
سُهِوبٌ تَضِلُّ الْعَيْنُ فِيهِنَّ بَلْقَعُ^٥
ثَنَائِكَ، أَمْ زَهْرُ الرُّبَا الْمَتَضَوِّعُ؟^٦
يُهَيِّبُ بِهِ الْوَحْيُ الْكَرِيمُ فَيَسْمَعُ^٧
وَيَسْتَلُّ أَحْقَادَ الْقُلُوبِ وَيَنْزَعُ^٨
وَبَيْنَ هُدَى الْإِيمَانِ وَالشَّرِكِ مَضْرَعُ^٩
وَإِنْ قَالَ فَلَا يُيَا عَيْنٌ وَمَسْمَعُ^{١٠}
وَمِنْهُ دُرُوعُ الرُّومِ حَيْرَى تَفْزَعُ؟^{١١}

* * *

سَنَا الشَّرْقَ، أَشْرَقَ وَابْعَثَ النُّورَ سَاطِعًا
أَعَدَّ شَمْسَكَ الْأُولَى إِلَى الْأَفْقِ مِثْلَمَا
يَشُقُّ دِيَاجِيرَ الظَّلَامِ وَيَصْدَعُ^{١٢}
أَعَادَ ضِيَاءَ الشَّمْسِ لِلْأَفْقِ يَوْشَعُ^{١٣}

فهل مرةً أجدى علينا التفجّع؟
يُرْوَعُها من دهرنا ما يُرْوَعُ^{١٥}
ولمَحْكَ آمَالٌ، ونَهَجَكَ مَهْيَعُ^{١٦}
فأنفَسَهُمْ في شِرْعَةِ الحقِّ ضِيَعُوا!^{١٧}
يَخِرُّ لها الدهرُ العَتِيَّ ويخْنَعُ^{١٨}
طموحٌ، ورأيي من شِبا السيفِ أَقْطَعُ^{١٩}
فليس له في ساحةِ المجدِ مَشْرَعُ!^{٢٠}

نَزَفْنَا دموعَ المقلتين تفجُّعًا
وعشنا بآمالٍ كأطيايفِ نائمٍ
شعاعُك تاريخٌ، ونورُك حِكْمَةٌ
إذا ضيَّعَ التاريخُ أبناءَ أُمَّةٍ
أَبَى الدهرُ أنْ ينقادَ إِلَّا لِعَزْمَةٍ
وسرُّ العلا نفسٌ كما شاءتِ العلا
ومن يتجنبُ في الحياة زحامها

من العزِّ لا يسمو إليه التطلع^{٢١}
بأرضك سحرٌ للفراعين مُودِعُ^{٢٢}
ومن دونه أعناقُهنَّ تَقْطَعُ!^{٢٣}
تناثر حول النيلِ عقدُ مُرْصَعٍ
طوى أُمم الشرقِ الحياءَ المُقَنَّعُ!^{٢٤}
وكُلُّ رداءٍ رثَّ باللبسِ يُخْلَعُ^{٢٥}
وليس لمن رام الكواكبَ مَضْجَعُ!^{٢٦}
فنهضتُه الكُبْرَى أجلُّ وأروع!
قلوبٌ من العُربِ الكرامِ وأضلعُ
لها الحبُّ يُملِي والوفاءُ يوقِّعُ
ولكن من الأحلامِ ما يُتَوَقَّعُ
وإنْ كثُرَتْ أوطانُه فهي موضعُ
لنا الشرقُ حدٌّ، والعُروبةُ مَوْقِعُ
إذا دَمِيتَ من كَفِّ بغدادِ إصْبَعُ!^{٢٧}
لذكِّ ذُرَا الأهرامِ هذا التصدُّعُ!^{٢٨}
لسالت بوادي النيلِ للنيلِ أدْمَعُ!^{٢٩}
لباتت له أكبادُنا تتقَطِّعُ!^{٣٠}
عن الفضلِ منأى، أو عن المجدِ منزَعُ!^{٣١}
وعند التقاءِ الرأيِ فردٌ مُجْمَعُ

خُذي مصرَ أسبابَ السماءِ لموطنٍ
سحرتِ عيونَ الخافقينَ كأنَّما
قَبَابُ ترومِ السُّحْبِ إدراكُ شأوها
وآثارُ عِرفانٍ تُضيءُ كأنَّما
دُعونا نباهي بالحياةِ فطالما
خلعنا رداءً رثَّ من طولِ لبْسِه
صحا الشرقُ وانجابَ الكرى عن عيونه
إذا كان في أحلامِ ماضيه رائِعًا
توحدَ حتى صار قلبًا تحوطه
وأرسلها في الخافقينَ وثيقةً
لقد كان حُلْمًا أنْ نرى الشرقَ وَحْدَةً
إذا عُدَّدَتْ رايائُه فهي رايَةٌ
فليست حدودُ الأرضِ تفصلُ بيننا
تذوبُ حُشاشاتُ العواصمِ حَسْرَةً
ولو صُدِعتْ في سَفْحِ لُبْنانٍ صخرةً
ولو بَرَدَى أنْتِ لخطبِ مياهُه
ولو مَسَّ رِضْوَى عاصفِ الريحِ مرَّةً
أولئك أبناءُ العُروبةِ ما لهم
هُمُ في ظلالِ الحقِّ جمعٌ موحدٌ

وقد يُدرك الغايات رأيي مُدرّع
لهم أمل لا ينتهي عند مطلب
غبار رحي الهيجاء في لهواتهم
إذا لم يكن حلم الحليم بنافع
سلوا عنهم عمراً وسعداً وخالداً
تحدثت الدنيا بهم في شبابهها

إذا ناء بالأمر الكمي المدرّع^{٣٢}
لقد ذلّ من يُعطى القليل فيقنع
من الشهد أخلّى، أو من المسك أضوع^{٣٣}
فإنّ صدام الجهل بالجهل أنفع!
وملّكا له يرنو الزمان فيخشع^{٣٤}
وجاءت إلى أبنائهم تتطلّع

* * *

فيا زعماء الشرق، والشرق أمة
نزلتم كأطياف الربيع بشاشة
وخلفتكم أهلاً كراماً وأربعاً
هنا علم الشرق الذي يمينكم
فسيروا بحمد الله للحقّ غضبة
ففي همّة الفاروق أفياء عزّة
دعانا إلى الجلى فأكرم بمن دعا
مليك له عزم هو السيف ماضياً
أعاد إلى الشرق الشباب وقد مضى
فلا زال دوحاً للعروبة وارفاً

على الدهر لا تفنى ولا تتضعضع
يضاحككم من روض النيل ممرّع^{٣٥}
فحيّاكم أهل كرام وأربع^{٣٦}
ستعنو له الأيام والدهر أجمع!
وإنّ أسرع دهم الليالي فأسرعوا^{٣٧}
وركن على اللاواء لا يتزعزع^{٣٨}
إلى الوحدة الوثقى وأعز بمن دعو! ^{٣٩}
ورأيي إذا ما أظلم الشك ألمع^{٤٠}
وأياس ما يرجى الشباب المودّع^{٤١}
يغني بذكره الزمان ويسجع^{٤٢}

هوامش

- (١) سنا: ضوء. الفراديس: جمع فردوس، الجنة. آفاق النبوة: نواحي النبوة وفي البيت إشارة إلى أن الشرق مهبط الرسالات السماوية.
- (٢) أطواء القرون: مرور السنين. يشب: يوقد. يسطع: يلمع ويضيء.
- (٣) هامد: ساكن. الإلهام: الوحي. هجع: نائمون ليلاً.
- (٤) شعاعاً: من الضوء. عبقرياً: عجباً وهو نسبة إلى أرض الجن وتسمى عبقر كما يقال.
- (٥) فرعون: اسم حكام مصر القديمة.

- (٦) سهوب: جمع سهب (بالفتح) وهو الفلاة. بلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها.
- (٧) المتضوع: المنتشر الرائحة.
- (٨) ابن عمران: سيدنا موسى عليه السلام. الطور: جبل الطور المشهور بسيناء. شاخصًا: فاتحًا عينيه.
- (٩) يستل: يخرج.
- (١٠) الجحفلين: يقصد المجموعتين. الشرك: الإشراف بالله. مصرع: مقتل.
- (١١) صال: وثب وهاجم. مجر: مسار.
- (١٢) بردة: كساء أسود تلبسه العرب. تفزع: خائفة.
- (١٣) دياجير: شدة الظلام. يصدع: يفرق ويشتت.
- (١٤) يوشع: هو سيدنا يوشع فتى سيدنا موسى — عليهما السلام — وجاءته النبوة بعد موسى ووعد الله بالانتصار على القوم الجبارين قبل غروب الشمس وقاربت الشمس على الغروب ولم يحدث، فدعا ربه فأمر الله غروب الشمس وأنزل الملائكة تحارب معه حتى انتصر عليهم.
- (١٥) أطياف: الخيال في النوم. يروعها: يخيفها.
- (١٦) نهجك: طريقك. مهيع: طريق واسع بين.
- (١٧) شرعة الحق: شريعة الحق.
- (١٨) ينقاد: يتبع. عزمة: عزيمة وإرادة. يخر: يسقط ويقع ويستسلم. العتي: القاسي المعتدي. يخنع: يخضع.
- (١٩) شبا: حد طرفه.
- (٢٠) مشرع: مورد الماء.
- (٢١) أسباب السماء: نواحي وطرق السماء. المتطلع: الناظر إلى الأمام، الطموح.
- (٢٢) الخافقين: أفقا المشرق والمغرب؛ لأن الليل والنهار يخفقان فيهما. الفراعين: لقب ملوك مصر القدماء. مودع: محفوظ.
- (٢٣) تروم: تريد. شأوها: غايتها وأمدتها.
- (٢٤) المقنع: واضعًا قناع يقصد الحياء الزائف.
- (٢٥) رث: بالي.
- (٢٦) الكرى: النوم. رام: أراد. مضجع: موضع النوم.
- (٢٧) حشاشات: موضع القلب من الجسم. دमित: أصيبت بالجراح.

- (٢٨) صدعت: تشققت. دك: كسر وهدم. ذرا: قمم، أعالي.
- (٢٩) بردى: نهر بسوريا.
- (٣٠) رضوى: جبل رضوى الشهير بالحجاز.
- (٣١) منأى: مكان بعيد. منزع: مقتلع الشيء من مكانه.
- (٣٢) مدرع: محمي، مستعد. ناء: كل وتعب. الكمي: الشجاع المحارب. المدرع: لابس درع الحرب.
- (٣٣) رحي: حومة. الهيجاء: الحرب. لهواتهم: جمع لهاة وهي الزائدة اللحمية في مؤخر سقف الحلق يقصد في حلوقهم. أضوع: منتشر الرائحة.
- (٣٤) عمراً: عمرو بن العاص. سعد: سعد بن أبي وقاص. خالد: خالد بن الوليد والثلاثة من أشهر قواد العرب في الحروب في فجر الإسلام. يرنو: ينظر. يخشع: يخضع.
- (٣٥) أطياف الربيع: أحلام الربيع. بشاشة: بشراً وسروراً. ممرع: كثير المرعى أي: به خضرة.
- (٣٦) أربعاً: جمع ربيع وهو الحي — المكان — محل.
- (٣٧) عصبية: جماعة. دهم: ظلمة.
- (٣٨) الفاروق: فاروق ملك مصر حينئذ. أفياء: ظل. اللاؤاء: الشدة.
- (٣٩) الجلى: عظيم الأمور. أعزز: أكرم.
- (٤٠) ماضياً: حاداً.
- (٤١) المودع: الذاهب.
- (٤٢) دوحاً: شجرة عظيمة. وارفاً: مظلاً. يسجع: يتكلم كلاماً مقفى وسجع الحمام: صوت الحمام.

خلود

نظم الشاعر هذه القصيدة في ذكرى الشعارين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم عام ١٩٤٧ م.

ما على الشعارين لو أرشداني؟ ^١ وبكى في الصبا بياض الأماني وابنُ غُصْنٍ شدا بلا أغصان! ^٢ لَى نَشِيدًا من أصفرِ رَنانٍ ^٣ ثُ وَزْهُوٌ من كاذبِ العيش فاني ^٤ مي، وإلا فانهبْ ودعني وشاني بِ طَغَى سِيلُهُ على الأذهانِ تركوه يبكي على كلِّ باني ح، وعادت حزينَةً ألحاني وَحَزْنْتُ الغريبَ من مَرَجاني ^٥ سوى أن أعيش من أوزاني ^٦ ج، جذبُ الثرى على الفنَّان! ^٧	ضلُّ شعري وندَّ عني بياني ضاع في ظُلْمَةِ المشيبِ أنينًا مَزْهُرٌ أنَّ في قِفارِ فلاةٍ بين قومٍ ما رنَّ في سمعهم أحد صَدَفَتْهم عن خالدِ الفنِّ أضغا هاتِ سمعًا أسمعكَ رائعَ أنغا أنا في أمةٍ بها جدولُ الضر إن رأوا صفحةً بها بيتُ شعرٍ صَحَّتْ فيهم فعاد صوتي مع الريد في كسادِ القريضِ أخفيتُ دُرِّي وتمنَّيتُ كلَّ شيءٍ على الله كلُّ شِبْرٍ بمصر خُصِبَ على الهرا

* * *

ح، وغنَّتْ نواعقُ الغربانِ ^٨ من يُروِّعَنَ صادقَ الأفنانِ ^٩ ثم تُرنا غَيْظًا على الآذانِ	سَكَّتَ العنديلُ في وحشةِ الدُّو فسمعنا من النشوزِ أفاني أسمعونا برغمنا فصبرنا

ب، ولم يجلبوا سوى الأكفان!
 بصناديد أخريات الزمان!^{١٠}
 س، وصنونا ديباجة الذبياني^{١١}
 فإني أخشى على البنيان^{١٢}
 ق، وهاتوا ما شئتُم من معاني
 كلسان القريض من طُمْطُماني!^{١٣}
 من دماء اللاتين واليونان^{١٤}
 إن غدا العلم ما له من مكان
 بَنَد، فابكوا سُلالة العيدان^{١٥}
 حَنائي، في صمت ليلة من حنان!
 ب، فَأَنَّى وكيف يلتقيان!

جلبوا للقريض ثوبًا من الغر
 ثم قالوا: مُجدّون فأهلاً
 لا تثوروا على تراث امرئ القيد
 واتركوا هذه المعاول بالله،
 واحفظوا اللفظ والأساليب والذو
 ما لسان القريض من عربي
 إنّما الشعر قطعة منك ليست
 كل فن له مكان وأهل
 إن رأيتم أخوة العود للجز
 لا يهز النخيل إلا حنان الند
 وجهة الشرق غيرها وجهه الغر

* * *

رُ؟ وأين الهوى؟ وأين المغاني؟
 حان، وا حسرتا على الريحان!
 ه وما فيه من أمان لِدان^{١٦}
 س، وأحلى من صادحات الأغاني^{١٧}
 م، ولا واكِل عن المجد واني^{١٨}
 ن، بلحن من الصبا ريان^{١٩}
 حَظ، و«حفني» وجملة الإخوان^{٢٠}
 لتأخي المصري والسوداني^{٢١}
 هو في عالم من الفن ثاني!
 ي، رأيت العينين تختلجان
 بت بالَجَس شاديّات المثاني^{٢٢}
 ث، فيأتي بآبدات البيان^{٢٣}
 ض، كلا العالمين مختلفان
 وهو في الشعر طائف نوراني
 ه، فحسان ليس بالحسان^{٢٤}

أين عهد الشباب واللّهو يا شع
 ذبل الورد وانقضى مؤسّم الريد
 وانطوى مجلس الصحاب بمن فيد
 كان أشهى للنفس من حسوة الكأ
 لم تدّر كأسّه على واغل فد
 يُنثر الشعر فيه كالزهر ريًا
 كان فيه «شوقي» وكان «أبو الحف
 و«إمام العبد» الذي كان رمزًا
 كان شوقي يُضغي وما كان يُضغي
 كلّما مدّ رأسه يرقب الوح
 ثم يُغضي مُهمهمًا مثلما جرّ
 ينظم الشعر وهو يلقي الأحاديث
 روحه في السماء، وهو على الأر
 هو شوقي جسمًا يرى ويُناجي
 شركسيّ أعيا على العُرب مأتا

ه ابنُ عَبْدَانَ فِي بني حَمْدَانَ^{٢٥}
 فارسيّ، فِي منطِقِ عدناني
 ليس من «مَسْقَطٍ» ولا من «عُمان»^{٢٦}
 ذلك النوعُ نَدَّ عن إمكاني^{٢٧}!
 ل لديه مِثْلُ له فاسألاني^{٢٨}
 رَى، فقد نالني الذي قد كَفَّاني
 لأراه كعهده ويراني
 تِ، وفي حضرة «الأمير» دعاني^{٢٩}
 د نضير الصِّبا طليق العِنان^{٣٠}
 وحسان، مَضَى زمانُ الحِسان!^{٣١}
 رِ، وغُصْنُ الشَّبابِ فِي رِيَّعان
 نِ، ومن أين مثله للغواني؟
 نَ مَغِيظًا مُسَائِلًا مَن حكاني؟
 فمن أين جاء للإنسان؟
 زُ حَوَالِيهِ هَزَّةُ النشوان^{٣٢}
 ها كما شاء مُبدِعُ الألوان^{٣٣}
 نَ شِعَارًا لصادق الإيمان^{٣٤}
 وأيادي «العباس» بيضُ دواني^{٣٥}

وله فِي المديح ما لم يُدانِيـ
 حكمةً مَشْرِقيَّةً، فِي خيالِ
 ينثُرُ الدرَّ عبقريًّا عجيبًا
 أنا بالدرِّ أَخْبِرُ الناسَ لكن
 فاسألًا كلَّ جوهريِّ فإنَّ قا
 يا خليلي لا تهيجا لي الذكـ
 ناولاني بالله ديوانَ شوقي
 ثم سيرا على الأصابع فِي صمـ
 مَرَّةً أَلْتَقِي بِهِ أَمَلَدُ العو
 بين راح وروضةٍ وغديرِ
 ووجوهُ الأَمالِ أَزْهى من الزهـ
 غَزَلُ أَذْهَلُ الغواني عن الحسـ
 حين يشدو يُصْغِي له الطيرُ حيرا
 ذَاكَ صَوْتُ بِهِ خُصِصْتُ من الله
 يَصِفُ الجَسَرَ والجَزيرةَ تهتـ
 فِي ثيابٍ من الطبيعة وشّا
 وَيَرى حُبَّهُ لدولةِ عثما
 ذَاكَ شَعْرُ الشَّبابِ والدارُ دارُ

* * *

فُيْثِرِ الكَمِينِ من أَشْجاني
 حِ «فِيُبْكِيهِ مِثْلَمَا أَبْكاني»^{٣٦}
 رِ، وعِيقُ الشادي عن الطيران!^{٣٧}
 لي، فنادَى بصوته الخافِقانِ^{٣٨}
 إن أردتم منافذَ البُرْكانِ
 دوسِ يَأْبَى مَسِيَسَه بالبنانِ
 دًا وعاد الغريبُ للأوطان!^{٣٩}
 رًا لأوتارِ عوده المِرْنانِ^{٤٠}

ثم ألقاهُ وهو فِي الأسْرِ يشكو
 ويُناجي شَعْرَهُ «نائِحَ الطلـ
 زُجِمْتُ مصرُ بالبُغَاثِ من الطيـ
 أسروه ليحبسوا صوته العا
 احبسوا السيلَ إن قَدَرْتُمْ وسُدُّوا
 ودعوا الشَعْرَ فهو طيرٌ من الفِرْ
 ثم طار الهَزَارُ للعُشِ غرَّيـ
 عاد «زرياب» بعد أن زاد أوتا

فتغنني بمصرَ في موكبِ الشر
 وشدا بالشموس من عبدِ شمس
 ألهب العزم في بني مصرَ نارًا
 ودعا بالشباب فابتدروا السب
 والروايات أعجزت كلَّ شيطا
 حكمةُ الشَّيبِ في مراسِ التجارب
 جنتِ السنُّ ما جنت غير عقل
 كلما هدَّت الليالي قواه
 شعرُ شوقي وديعةُ الزمنِ البا
 ق، وعزُّ التاجينِ والصُولجان
 والغطاريفِ من بني مروان^{٤١}
 أيُّ خير في هذه النيران!
 ق، وآمالُ مصرَ في الشَّبَّانِ^{٤٢}
 ن، وأعيت في وصفها شيطاني^{٤٣}
 ب، وفكرُ أمضى شَبًّا من سنان^{٤٤}
 زاد بالسَّنَّ صَوْلَةً ولسان^{٤٥}
 بلغ الشعرُ قَمَّةَ العُنفوان
 قي، وشوقي وديعةُ الرحمن!

* * *

قد شغلنا عن حافظٍ بأمير الشع
 كان يجري على أعتة شوقي
 لا الجوادان في النجار سواء
 يُلهبُ الشعرَ حافظُ أرعنَ السو
 ليت شعرَ القريضِ أيُّ سباق
 حافظُ زينَ القريضِ بفن
 لفظه في يديه يختار منه
 ولكم قد أعاد بيتًا مرارًا
 ينقرى في الشعر ميل الجماهير
 جال في حومة السياسة وثًا
 ورمى الاحتلال حُرًّا جريئًا
 في زمان قد ذلَّ كلُّ إباء
 وظفوه فأسكتوه فألقى
 ويح هذا الكروان! هل راقه الحب
 هشموا نابي «ابن بُردٍ» وحالوا
 كان شوقي وحافظُ إن دجى الخط
 «فهما في أواخر الليل فجرا
 ر، ويلي! لو كان يدري لحاني^{٤٦}
 ويُعاني من ركضه ما يُعاني^{٤٧}
 حين تبلوهما ولا الفارسان^{٤٨}
 ط، وشوقي في آخر الميدان!
 بين شعريهما؟ وأيُّ رهان؟
 بُحترِّي عذب رشيقي المباني^{٤٩}
 صحفة الدرِّ في يدَي دُهقان^{٥٠}
 باحثًا عن فريدةٍ من جُمان^{٥١}
 ر، ليحظى بصيحة استحسان^{٥٢}
 بًا، فأذكى حماسة الفتيان^{٥٣}
 وتحدى «العميد» ثبَّت الجنان^{٥٤}
 فيه، وانقاد كلُّ صعبِ الحِران^{٥٥}
 شِعْرُهُ في مَهامِهِ النسيان^{٥٦}
 سُس وأغراه عسجدُ القضبان؟^{٥٧}
 بين كاس الطلا وبين ابن هاني^{٥٨}
 ب، شعاعين في الدجى يلمعان^{٥٩}
 ن، وفي أوليائه شَفَقان^{٦٠}

* * *

أيها الشاعران قد صَوَّحَ الدُّوْ حُ، وولَّتْ بشاشةُ البُسْتانِ!^{٦١}
 و خلا الرُّبْعُ لا قِراعُ كئوسِ ضاحكاتٍ، ولا رنينِ قِيانِ!^{٦٢}
 وتولَّى القُطَّانُ لم يبقِ إلَّا حَسراتٌ لِفِرْقَةِ القُطَّانِ!^{٦٣}
 ومضَى الرُّكْبُ بالرفاقِ وخَلَا نِي وحيدًا أبكي على خِلّاني
 أيها الشاعران في جَنَّةِ الخُلِّ دِ، هَناءٌ بالخُلِّدِ والرَّضوانِ
 مَهَّدَا لي إلى جِواركما مَثْـوَى، إذا آن للرحيلِ أواني^{٦٤}

هوامش

- (١) ضل: تاه وضاع.
- (٢) مزهر: العود الذي يضرب به. أن: أخرج صوتًا هو أنين الحزن. قفار: أرض لا نبات فيها. فلاة: صحراء. ابن غصن: المقصود الطير المغرد. شدا: غنى.
- (٣) أصفر رنان: الذهب ورنينه والمقصود النقود عامة.
- (٤) صدفتهم: ألتهتهم — أبعدتهم — أمالتههم. أضغاث: أحلام. زهو: تكبر. فاني: زائل.
- (٥) كساد: بوار. القريض: الشعر. دري: نسبة الدر أي الجواهر. خزنت: حفظت في الخزائن. مرجاني: حجر كريم نادر وثمين.
- (٦) أوزاني: نسبة إلى أوزان الشعر.
- (٧) الهراج: المهرج. جذب الثرى: أرض قحط لا نبات فيها ولا ثمر.
- (٨) العندليب: طائر مغرد والشاعر يقصد نفسه. وحشة: الخلوة المخيفة. نواعق: صوت الغراب. الغربان: جمع غراب وهو الطائر المعروف.
- (٩) النشوز: الخروج عن المألوف. يروعن: يخفن. صاوح الأفنان: المغني بين الأغصان والمقصود الطيور ذات الصوت الجميل.
- (١٠) صناديد: السادة الشجعان الشرفاء والمقصود هنا التهكم.
- (١١) تراث: ما ورثناه من مجد سالف. امرؤ القيس: شاعر جاهلي كبير أحد أصحاب المعلقات السبع. ديباجة: مقدمة والمقصود الشعر. الذبياني: هو النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي العظيم، وهو أيضًا أحد أصحاب المعلقات.

- (١٢) المعاول: جمع معول وهو الذي يستعمل في الهدم.
- (١٣) لسان القريض: قول الشعر. طمطماني: صاحب الكلام غير المفهوم.
- (١٤) اللاتين واليونان: يقصد كل ما هو غير عربي.
- (١٥) العود: هو آلة موسيقية من آلات الموسيقى الشرقية. الجازبند: آلة موسيقية غربية. سلالة: نسل.
- (١٦) لدان: قريبة.
- (١٧) حسوة: امتلاء الكأس بالشراب. صادحات: المغنيات بصوت مرتفع.
- (١٨) واغل: مسرف في الشراب. قدم: عيي وغبي. واكل: معتمد على الغير. واني: مقصر.
- (١٩) ريان: مرتوي.
- (٢٠) شوقي: أحمد شوقي الشاعر الكبير. أبو الحفظ: كناية عن الشاعر حافظ إبراهيم. حفني: هو الشاعر الأديب حفني ناصف.
- (٢١) إمام العبد: أحد ظرفاء مصر وأدبائها وشعرائها وكان معاصرًا للشاعر.
- (٢٢) المثاني: العظام.
- (٢٣) آبدات: العويس، البعيد.
- (٢٤) شركسي: إشارة إلى أصله من بلاد الشركس. مأتاه: ما أتى به من البيان العربي الأصيل. حسان: هو حسان بن ثابت شاعر الرسول، عليه الصلاة والسلام.
- (٢٥) ابن عبدان: شاعر مدح بني حمدان.
- (٢٦) مسقط وعمان: إشارة إلى شهرة البلدين في صيد اللؤلؤ.
- (٢٧) نند: شرد.
- (٢٨) جوهري: تاجر الجواهر والأحجار الكريمة.
- (٢٩) الأمير: إشارة إلى لقب الشاعر أحمد شوقي «أمير الشعراء».
- (٣٠) أملد: ناعم. العود: القد. طليق العنان: غير مقيد.
- (٣١) راح: الخمر.
- (٣٢) الجسر: المقصود جسر قصر النيل. الجزيرة: حي الجزيرة عنده.
- (٣٣) وشاها: لونها ونقشها.
- (٣٤) دولة عثمان: الدولة العثمانية؛ لأنها دولة إسلامية.
- (٣٥) العباس: خديوي مصر وقت شوقي. دواني: قريبة العطاء.

- (٣٦) نائح الطلح: باكي أرض الوطن. إشارة إلى قصيدة شوقي: «يا نائح الطلح أشباه عوادينا نأسي لواديك أم تأسي لوادينا» كتبها في المنفى معارضاً للشاعر ابن زيدون القائل: «أضحى التناهي بديلاً عن تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا».
- (٣٧) زحمت: ازدهمت. البغاث: الضعيف المتهافت. عيق: منع وحبس.
- (٣٨) الخافقان: أفقا المشرق والمغرب؛ لأن الليل والنهار يخفقان فيهما.
- (٣٩) الهزار: طائر من الطيور المغردة.
- (٤٠) زريب: مغنٍ عظيم في العصر العباسي. المرنان: الرنان.
- (٤١) الشموس: الملوك. عبد شمس: قدماء المصريين. الغطاريق: السادة النجباء.
- بني مروان: ملوك الدولة الأموية في الأندلس.
- (٤٢) ابتدروا: بادروا. السبق: السباق والتطلع نحو المجد.
- (٤٣) الروايات: إشارة إلى روايات شوقي الشعرية. شيطان: المقصود شيطان الشعر. أعيت: أتعبت.
- (٤٤) مراس: الممارسة والمعالجة. التجاريب: حنكة الأمور وتجربتها. أمضى: أحد.
- شبا: كل شيء حد طرفه. سنان: سنان الرمح.
- (٤٥) جنت: حصلت، حصدت. السن: العمر والسنون. صولة: وثبة.
- (٤٦) لحاني: لامي.
- (٤٧) أعنة: يد اللجام للفرس. ركضه: جريه.
- (٤٨) النجار: الأصل. تبلوهما: تختبرهما.
- (٤٩) بحتري: نسبة إلى البحترى الشاعر العباسي العظيم.
- (٥٠) صحفة الدر: وعاء الدر. دهقان: تاجر الجواهر.
- (٥١) جمان: حبات تصنع من الفضة كالدرر.
- (٥٢) يتقرى: يختار، يسعى.
- (٥٣) جال: طاف: حومة السياسة: معظم الميدان.
- (٥٤) الاحتلال: الاستعمار الإنجليزي لمصر. العميد: المعتمد البريطاني الذي كان يعتبر الحاكم الفعلي لمصر حينئذ. ثبت الجنان: ثابت القلب.
- (٥٥) إباء: عزة وأنفة. انقاد: تبع. صعب الحران: لا ينقاد بسهولة.
- (٥٦) مهامه: المفازات البعيدة.
- (٥٧) عسجد: الذهب.

(٥٨) نابي: أسنان. ابن برد: الشاعر العباسي بشار بن برد ويقصد بالشاعر حافظ إبراهيم. كأس الطلا: كأس الخمر. ابن هاني: الشاعر الأندلسي الكبير وكان مشهورًا بوصف الخمر.

(٥٩) دجى: أظلم. الدجى: الظلمة.

(٦٠) شفقان: مثنى شفق وهو ضوء الشمس وحمرتها قبل الغروب.

(٦١) صوح: جف، يبس. الدوح: الشجر العظيم. ولت: ذهب.

(٦٢) الربع: الحي، المكان. قراع: صوت كئوس الشراب عندما تتخبط. قيان: الإماء المغنيات.

(٦٣) القطان: المقيمون بالمكان.

(٦٤) مئوى: مكان ينام فيه.

الشباب

نشرت هذه القصيدة بمجلة الهلال في سنة ١٩٤٧م.

أهْبْتُ بالشعر أن يعودا	إلى الصبا ناعماً رغيذاً ^١
يذكرُ ما مرَّ من عهودٍ	لله ما أنْضَرَ العهودا!
في كل يومٍ أرى فَنَاءً	وهو يرى حوله خلودا
طار حثيثاً بكل أفق	لَمَّا مشَتْ خُطُوتِي وثيذا
وصَوَّحْتُ دوحتي ومالت	ولم يزل صادقاً غريداً ^٢
يأخذُ ما أبقت الليالي	ويبتغي فوقه مزيدا
تجاربي الباقيات عادت	تجري بأوتاره نشيدا
في حكمة الشيب لي عزاءُ	وكم وعيدٍ حوى وعودا! ^٣
كادت أياديهِ وهي بيضُ	تُنسى حُلِيِّ الشبابِ سوداً

* * *

علوتُ طودَ الزمانِ حتَّى	رأيتُ من فوقه الوجودا ^٤
وبان ما لم يَبْنُ لغيري	وكان عن عينه بعيدا
كان شبابي رفيقَ عمري	فَعِشْتُ من بعده وحيدا
غاب فلمّا مضى وولّى	جعلتُ شعري له بريدا
أبعثُ بالشوق كلَّ يومٍ	ويبعثُ الهجر والصدودا ^٥
وكم محوت السطورَ لثُماً	أَحْسَبُهَا للصبا خدوداً

فأبصرُ الغيدَ فيه غيدا	يُصورُ الحبَّ في إطار
كعهده باسمًا سعيدا	ويرسمُ الماضيَ المولِّي
ألمحُ شخصًا به كأنِّي	ألمحُ شخصي به كأنِّي
ماذا دَهِى الكأسُ والورودا؟	أين ورودي وأين كأسي؟
يُجيد ما يشاء أن يجيدا	لم يبقَ مِنِّي سوى لسان
وحكمةٌ نُظِّمت عقودا ^٧	وفكرةٌ صُوِّرت نُضارًا

* * *

شَرَّخ الصبا قبل أن يبيدا ^٨	فيا شبابَ البلاد صونوا
وزاهبُ العمر لن يعودا	يعود في الكون كلُّ شيءٍ
فحرِّموا حوله الورودا ^٩	إن اشتكى النيلُ مسَّ ضيمٍ
فما لنا نلْمَحُ القيودا؟ ^{١٠}	تجارةُ الرِّق قد تولَّت
كُنَّا لنيرانه وقودا	قد ذهب العمرُ في جدالٍ
مثابرٍ يقرَع الحديدا	لا يدركُ السؤلُ غير عزمٍ
فإنها ملَّت الرقودا	فأيقظوا مصرَ من جديدٍ
فالمجدُ لا يعرف الحدودا	لا ترسموا للطموح حدًّا
فجرِّدوا نحوه الجهودا	العلمُ أمضى من المواضي
وأولُ النُّجَح أن تريدا	مصرُ تريدُ السماء وثبًا

هوامش

- (١) أهبّت: دعوت.
- (٢) صوحت: جفت. دوحتي: الدوحة الشجرة الكبيرة. مالت: انتثت.
- (٣) وعيد: تهديد. حوى: اشتمل. وعودا: بالخير.
- (٤) حلي: زينة.
- (٥) طود: الجبل العظيم.
- (٦) الصدود: الإعراض.
- (٧) نضارا: الذهب وقيل: هو الخالص من كل شيء. نظمت عقودا: انتظمت في هيئة عقد وهو الذي تتحلى به النساء.

الشباب

- (٨) شرخ الصبا: أول الشباب. يبيدا: يذهب ويندثر ويباد.
(٩) ضيم: ظلم. الورودا: إتيان الماء من منهل.
(١٠) الرق: العبودية.

في الزيارة الملكية

أنشدت أمام الملك فؤاد بمدينة أسيوط في ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٣٠م، حينما زار المدينة لزيارة معاهدها العلمية.

وَأَشْرَقَتْ مِثْلَ النَّجْمِ فِي الْأَفْقِ يَلْمَعُ^١
فَلَمْ يَخُلْ مِنْ آثَارِ مَجْدِكَ مَوْضِعَ
عَلَى الدَّهْرِ رَمْسِيسَ الْعَظِيمِ وَخَفَرَ^٢
وإنك تَبْنِي لِلْحَيَاةِ وَتُبْدِعُ
وَتَطْوِي ظِلَامَ الْجَهْلِ مِنْ حَيْثُ تَسْطَعُ^٣
كَمَا كَانَ (إِسْمَاعِيلُ) لِلْبَيْتِ يَرْفَعُ^٤
فَأَنْتَ بِأُخْرَى سَاهِرُ الطَّرْفِ مُوَلِّعُ^٥
مَضَوْا ثُمَّ أَبْقَوْا ذِكْرَهُمْ يَتَضَوُّعُ^٦
تُظَلِّلُنَا مِنْهُ غُصُونٌ وَأَفْرُعُ
تُعِيدُ إِلَى مِصْرَ الشَّبَابِ وَتَرْجِعُ؟
تَخِرُّ لَهَا شُمُ الْجِبَالِ وَتَخْشَعُ؟^٧
فَلَمْ يَبْقَ فِي مِصْرَ بِيْمَنِكَ بَلْقَعُ^٨
فَمَا سَالَ إِلَّا وَهُوَ بِالتَّبْرِ مُتْرَعُ^٩
وَأَنْتَ لَأَمَالِ الرَّعِيَّةِ مَشْرَعُ^{١٠}
لَهُ الْمَجْدُ تَاجٌ بِالْجَلَالِ مُرْصَعُ
تَخِرُّ لَهَا الْأَعْنَاقُ طَوْعًا وَتَخْضَعُ

طَلَعَتْ فَأَبْصَارُ الرَّعِيَّةِ خُشَعُ
وَأَقْبَلَتْ تَبْنِي الْمَجْدَ فِي كُلِّ مَوْضِعَ
خَوَالِدُ آثَارِ تَمَنَّى مِثَالَهَا
بَنَوْهَا لِمَا بَعْدَ الْحَيَاةِ وَأَبْدَعُوا
مَعَاهِدُ عِلْمٍ تَنْشُرُ النُّورَ وَالْهُدَى
وَأَثَارُ فَضْلِ فِي الْبِلَادِ رَفَعَتْهَا
إِذَا تُمَمَّتْ مِنْ فَيْضِ جَدُّوكَ نِعْمَةٌ
جَرَيْتْ عَلَى آثَارِ آبَائِكَ الْأَلَى
هُمْ غَرَسُوا دَوَّحَ الْحَضَارَةِ وَارْفًا
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ نَدَاكَ صَنِيعَةٌ
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْمَلِكِ عَزِيمَةٌ
مَلَكَتْ زِمَامَ النَّيْلِ يَا شَبَّهَ فَيْضِهِ
وَعَلَّمَتْهُ مِنْ جُودِ كَفِّكَ خَلَّةُ
عَلَوَتْ مَطَاهُ وَهُوَ لِلْأَرْضِ مَشْرَعُ
فَسَالَ يَجُرُّ الدَّيْلَ تَيْهًا بِمَالِكِ
وَأَشْرَقَ إِقْلِيمُ الصَّعِيدِ بِطَلْعَةِ

بَدَتْ مِثْلَ مِصْبَاحِ السَّمَاءِ تَعَاوَنْتُ
 لَدَى مُوَكِّبٍ مَا سَارَ فِيهِ ابْنُ مُنْذِرٍ
 يُحِيطُ بِهِ نُورُ الْإِلَهِ وَنَضْرُهُ
 سَمِعْتُ بِهِ حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتُهُ
 وَلِلشَّعْبِ قَلْبٌ حَوْلَ رَكْبِكَ خَافِقُ
 يَزَاجِمُ كَيْ يَحْظَى بِنَظَرَةٍ عَاجِلٍ
 هَتَافٍ مِنَ الْحُبِّ الصِّمِيمِ انْبِعَاطُهُ
 مَلَكَتْهُمْ مُلْكُ الْكَرِيمِ فَأَخْلَصُوا
 فَخَارًا (سُيُوطُ) فِيكَ خَيْرُ مُمَلِّكَ
 بَدَأَ مِثْلَ مَا يَبْدُو الرَّبِيعُ بِشَاشَةٍ
 فَمَاؤُكَ سَلْسَالٌ، وَطَيْرُكَ صَارِحُ
 (فُؤَاد) ابْنِ الْقَطْرِ الْخَصِيبِ تَحُوطُهُ
 وَعَاشَ بِكَ (الْفَارُوقُ) فِي ظِلِّ نِعْمَةٍ
 عَلَى تِمِّهِ فِي الْأَفْقِ عَشْرُ وَأَرْبَعٌ^{١١}
 وَلَا نَالَهُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تُبْعٌ^{١٢}
 وَتَحَرَّسُهُ عَيْنُ الْإِلَهِ وَتَمْنَعُ^{١٣}
 (رَأَيْتُ بِعَيْنِي فَوْقَ مَا كُنْتُ أَسْمَعُ)^{١٤}
 وَرَأَيْ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَالْوَدِّ مُجْمَعٌ^{١٥}
 فَيَبْهَرُهُ مِنْ نُورِ شَمْسِكَ مَطْلَعُ
 تُرَدِّدُهُ أَصْدَاؤُهُ وَتُرْجِعُ
 وَقُدَّتْهُمْ نَحْوَ الْمَعَالِي فَأَسْرَعُوا
 تَحُجُّ لَهُ آمَالُ مِصْرَ وَتُهْرَعُ^{١٦}
 وَوَأَقَى كَمَا وَأَقَى الرَّجَاءُ الْمُمْنَعُ
 وَغُصْنُكَ رِيَّانٌ، وَوَادِيكَ مُمْرَعٌ^{١٧}
 وَتَدْفَعُهُ نَحْوَ الْحَيَاةِ فَيُدْفَعُ
 يَلُمُّ شَتَاتَ الْمَكْرُمَاتِ وَيَجْمَعُ^{١٨}

هوامش

- (١) خشع: مطرقة هيبة وخشية.
- (٢) رمسيس وخفرع: من فراعنة مصر الأقدمين.
- (٣) تطوي الظلام: تذهب به وتزيحه.
- (٤) رفعتها: أعليت بنيانها. إسماعيل: هو نبي الله إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام. البيت: الكعبة.
- (٥) فيض جدواك: عيم كرمك وواسع جودك. ساهر الطرف: لا يغمض لك جفن حتى تنجزها.
- (٦) يتضوع: تنتشر رائحته الطيبة.
- (٧) تخر وتخشع: تقع وتنهد. وشم الجبال: ما علا منها وارتفع.
- (٨) الزمام: ما تقاد به الدابة. ملك زمام النيل: القدرة على توجيهه وتصريفه. فيض النيل: ما يفيض به على البلاد من حياة وخصب. البلقع: الأرض الجرداء لا نبات فيها.

في الزيارة الملكية

- (٩) الحالة: الخصلة والشيمة. مترع: مملوء فياض.
- (١٠) مطاه: متنه وظهره. مشرع: مورد.
- (١١) مصباح السماء: القمر. يريد البدر في تمامه وذلك في الليلة الرابعة عشرة من الشهر.
- (١٢) ابن منذر: هو النعمان بن المنذر، من المناذرة ملوك الشام، وكان ذا حول وطول، وهو الذي شاع ذكره في شعر النابغة. تبع: التبابعة ملوك اليمن، وكان لهم فيها السلطان الواسع.
- (١٣) تمنع: تدفع.
- (١٤) الشطر الثاني من شعر ابن هاني في مدح جوهر الصقلي.
- (١٥) خافق: يهتز بحبك.
- (١٦) تحج: تقصد. تهرع: تسرع.
- (١٧) سلسال: صاف خالص مما يشوبه. ريان: ناضر. ممرع: مخصب.
- (١٨) فاروق، كان ولي العهد إذ ذاك. شتات المكرمات: ما تفرق منها.

المجمع اللغوي

أُقيمت في الاحتفال بالدورة الثانية لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٤م.

نِكْرِيَاتٌ رَدَدَ الدَّهْرُ صَدَاهَا
وَصَلَ الْعُرْبُ الْغَطَارِيفُ إِلَى
وَجَرُوا صَوْبَ الْعَلَا فِي طَلَقٍ
تَقِفُ الْأَوْهَامُ حَسْرَى دُونَهُ
مَرٌّ بِالشَّمْسِ فَلَمْ تَشْعُرْ بِهِ
أُمَّةُ الصُّحَرَاءِ أَقْوَى جَلَدًا
صَخْرُهَا أَوْحَى إِلَيْهَا عَزْمَةً
وَسُكُونُ الْبَيْدِ فِي رَهْبَتِهَا
رُبَّ صَدْرٍ نَافَسَ الْجِلْمُ بِهِ
وَجَلَالَ أَنْبَتِ الْجَدْبُ بِهَا
أَبَتِ الضَّيْمُ فَمَا مَدَّتْ يَدًا
تَحْفَظُ الْعِرْضَ مَصُونًا نَاصِعًا
أَمَّمْ إِنْ يَهْلِكَ الْمَالُ، فَإِنْ
رَدَدَتْ أَشْعَارَهَا شَمْسُ الضُّحَا
آيَةٌ مِنْ نَفْحَةِ اللَّهِ، فَلَوْ
رَوْضَةٌ قَدْ لَقَّبُوهَا كَلِمًا
كَمْ حَكِيمٍ أَوْتِيَ الْحُكْمَ فَتَى

وَعُهُودٌ يَحْسُدُ الْمِسْكُ شَذَاهَا
غَايَةً، لَا تَبْلُغُ الطَّيْرُ ذُرَاهَا^١
زَاخَمَ الْأَنْجَمَ وَاجْتَاَزَ مَدَاهَا
لَاهِثَاتٍ قَصَصَ الْأَيْنُ خُطَاهَا^٢
إِنْ جَرَى إِلَّا ظَنُونًا وَاشْتِبَاهَا
مِنْ مَهَارِيبِهَا وَأَهْدَى مِنْ قَطَاهَا^٣
مِنْ بَنِي رَضْوَى وَتَهْلَانِ بَنَاهَا^٤
جَرَدَ الرُّوحَ وَبِالنُّورِ كَسَاهَا^٥
كُلَّ صَحْرَاءَ بَعِيدٍ مِنْتَهَا
عِزَّةَ الْيَأْسِ فَمَا لَانَتْ قَنَاهَا^٦
لِذَوِي النُّعْمَى وَلَمْ تَغْفِرْ جِبَاهَا^٧
وَإِلَى الطَّرَاقِ مَبْذُولٌ قِرَاهَا^٨
لُمِسَتْ أَغْرَاضَهَا حَلَّتْ حُبَاهَا^٩
وَسِرَاجُ اللَّيْلِ لَمَّا أَنْ تَلَاهَا^{١٠}
كَانَ لِلنَّسْيَانِ كَفٌّ مَا مَحَاهَا
تُخْجِلُ الْحُسْنَ إِذَا الْحُسْنُ رَأَاهَا
وَفَتَاةٌ مَلَأَ التَّبْيَانُ فَاهَا^{١١}

تُرْسِلُ الْأَمْثَالَ تَسْرِي شُرْدًا
 قَفَّ عَلَى الْأَطْلَالِ وَأَذْكَرُ أُمَّةً
 بَعَثَ اللَّهُ بِهَا نَوْرَ الْهُدَى
 أَشْرَقَ الصُّبْحُ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ
 وَجَرَى فِي الْأَرْضِ يَنْبُوعُ هُدًى
 قَلَّدَ الْفُضْحَى حُلًى قُدْسِيَّةً
 وَبَيَانًا هَاشِمِيًّا لَوْ رَمَى
 أَسْهُمٌ مِنْ كَلِمٍ مَسْنُونَةٍ
 كَلَّمَا صَاحَ بِهَا فِي طَيْبَةٍ
 يَزْعُمُ الشَّعْرُ سَفَاهَا أَنَّهُ
 نَزَلَ الْقُرْآنُ بِالضَّادِ فَلَوْ
 حَسِبُهَا أَنْ صَوَّرَتْ مِنْ آيِهِ
 وَبَنُو مَرْوَانَ لِلَّهِ هُمْ
 رَبُّ مَأْثُورٍ لَهُمْ وَدَّ لَهُ
 خُطْبٌ هَزَّ لَهَا مِنْبَرَهُمْ
 وَقَوَافٍ سَلَّ أبا حَزْرَتِهَا
 طُفَّ بِبَغْدَادٍ وَسَلَّ أَثَارَهَا
 كُلُّ رَسْمٍ قَدْ وَعَى نَايِرَةً
 مَشَتْ الدُّنْيَا إِلَيْهَا تَتَّقِي
 وَأَبُو الْمَأْمُونِ فِي مَمْلَكَةٍ
 بَلَغَتْ بِنْتُ قُرَيْشٍ ذِرْوَةً
 بَيْنَ شَعْرِ كَأَزَاهِيرِ الرُّبَا
 هُوَ دَلَّ رَدَدَتْهُ قَيْنَةٌ
 وَعُلُومٌ تُرْجِمَتْ وَاسْتَنْبِطَتْ
 أَبْدَاتُ الْقَوْلِ وَلَتْ بَعْدَهُمْ
 يَا بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مَضْرَعِكُمْ
 أَطْفِئِ النُّورَ وَدَالَتْ دَوْلَةُ

لَا تُبَالِي أَيْنَمَا كَانَ سُرَاهَا
 خَلَّدَ الْأَطْلَالَ مَأْثُورٌ بُكَاهَا^{١٢}
 مِنْ قُرَيْشٍ فَاصْطَفَاهُ وَاصْطَفَاهَا^{١٣}
 بَعْدَ أَنْ طَالَ عَلَى الدُّنْيَا دُجَاهَا
 بَعْدَ أَنْ حَرَّقَهَا حَرٌّ صَدَاهَا^{١٤}
 فَزَهَاها مِنْ حَلَاهَا مَا زَهَاها^{١٥}
 قُلِّلَ الْأَجْيَالَ لَانْهَدَّتْ قُؤَاهَا^{١٦}
 جَاهَدَتْ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ بَرَاهَا^{١٧}
 مُسْتَثِيرًا رَدَدَتْهَا لَابَتَاهَا^{١٨}
 لَوْ عَقَّتْ عَنْهُ الْقَوَافِي لَحْكَاهَا^{١٩}
 لَمْ يَكُنْ فِيهَا سِوَاهُ لَكَفَاهَا^{٢٠}
 مُعْجَزَاتٍ عَظُمَتْ أَنْ تَتَنَاهَى^{٢١}
 عُدَّةُ الْفُضْحَى وَحُرَّاسُ جِمَاهَا^{٢٢}
 صَدَفَ اللَّوْلُؤُ لَوْ كَانَ شَفَاهَا^{٢٣}
 يَقْذِفُ الْهَوْلَ دِرَاكًا مَنْ رَمَاهَا^{٢٤}
 وَسَلَّ الْأَخْطَلَ كَيْفَ ابْتَدَعَاهَا^{٢٥}
 أَيُّ سِرٍّ كَتَمَتْهُ شَفَتَاهَا!^{٢٦}
 لَوْ جَرَى النُّطْقُ عَلَيْهِ لَحْكَاهَا^{٢٧}
 سُخْطَ بَغْدَادَ وَتَسْتَجِدِّي رِضَاهَا
 يَتَحَدَّى الْمُرْنَ أَنْ تَعْدُو قُرَاهَا^{٢٨}
 بَنِي الْعَبَّاسِ صَعْبًا مُرْتَقَاهَا^{٢٩}
 عَكَفَ الْغَيْثُ عَلَيْهَا فَسَقَاهَا
 وَهُوَ وَجَدَ فَاِصَّ مِنْ نَفْسِ فَتَاهَا^{٣٠}
 وَفُصُولٍ بَهَرَ الدُّنْيَا جِجَاهَا^{٣١}
 طَيِّبَ اللَّهُ ثَرَاهُمْ وَثَرَاهَا!^{٣٢}
 عِظَةُ الْكَوْنِ وَعَاها مَنْ وَعَاها
 وَطَوَى الدَّهْرُ الْمُنَى حِينَ طَوَاهَا

شَدَّ هَوْلًا كَوَّ عَلَى أَرْبَابِهَا
وَجَرَى مِنْ حَوْلِهِ عَقْبَانُهُ
لَهْفَ نَفْسِي بِنْتُ عَدْنَانَ هَوْتُ
سَائِلُوا بِجَلَّةٍ عَمَّا رَاعَهَا
قَذَفَ الْكُتُبَ بِهَا طَاغِيَةً
فَتَأَمَّلْ إِذْ جَرَى أَدْنِيهَا
ذَهَبَ الْعَسْفُ بِآثَارِ النُّهَى
طَارَتِ الْفُضْحَى لِمِصْرِ تَبْتَغِي
بَقِيَّتَ فِيهَا تَلَاقِي شَطَقًا
ثُمَّ هَبَّتْ حَوْلَهَا عَاصِفَةٌ
وَإِذَا نَجْمٌ بَدَا مُؤْتَلِقُ
وَإِذَا مُنْقَذُ مِصْرِ مَائِلُ
وَإِذَا الْعِلْمُ يُدَوِّي صَوْتُهُ
ظَفِرَتْ بِالْعَبْقَرِيِّ الْمُرْتَجَى
دَوْلَةُ الْعِلْمِ بِهِ رُدَّتْ إِلَى
مَنْ كَأَسْمَاعِيلَ فِي آلِيهِ
زُهِيتَ مِصْرُ جَمَالًا وَسَنًا
تَخَجَّلُ السُّحُبُ إِذَا مَا وَازَنْتْ
عَرَسَ الْعِلْمَ بِمِصْرِ دَوْحَةً
سَمَتِ الْأَدَابُ وَالْدُنْيَا بِهِ
يَا ابْنَ إِسْمَاعِيلَ يَا ذُخْرَ النُّهَى
كُلُّ أَشْتَاتِ النَّدَى إِنْ فُرِّقَتْ
هَمَّةٌ شَادَتْ بِمِصْرِ دَوْلَةً
مَسَحَتْ مِصْرٌ بِهِ عَيْنَ الْكَرَى
وَتَبَّتْ وَتَبَّتْهَا ذَائِبَةٌ
أَيْنَمَا أَبْصَرْتَ تَلْقَى نَهْضَةً
وَقُصُورًا لِامْعَاتِ كَالضُّحَا

شَدَّةَ الذُّؤْبَانِ أَبْصَرَنَ شَيْهَا^{٣٣}
كُلَّمَا أَطْعَمَهَا هَاجَ ضَرَاهَا^{٣٤}
وَأَسْوَدَ الْغِيلَ قَدْ دَيْسَ شَرَاهَا^{٣٥}
أَوْ دَعُوهَا فَكَفَّاهَا مَا دَهَاهَا^{٣٦}
هَلْ دَرَى مَا كَنْزَتُهُ دَفَّتَاهَا؟
أَتَرَى فِيهِ عُقُولًا أَمْ مِيَاهَا؟^{٣٧}
كَيْفَ تَحْيَا أُمَّةٌ ضَاعَتْ نُهَاهَا؟^{٣٨}
نَاعِمَ الْعَيْشِ خَصِيْبًا فِي ذَرَاهَا^{٣٩}
فِي أَحَابِيْن، وَفِي حِينٍ رَفَاهَا^{٤٠}
خَلَطَ الذُّعْرُ ضُحَاهَا بِمَسَاهَا
شَخَصَتْ نَحْوَ سَنَاهُ مُقْلَتَاهَا^{٤١}
وَإِذَا مِصْرٌ وَقَدْ شَدَّتْ عُرَاهَا^{٤٢}
وَإِذَا الضَّادُ أَضَاءَتْ صَفْحَتَاهَا^{٤٣}
فَاسْتَجَابَتْ لِلْعُلَا لَمَّا دَعَاهَا
عَرْشُ مِصْرٍ بَعْدَ أَنْ طَالَ نَوَاهَا^{٤٤}
يَنْفَعُ الْقَوْلُ وَلَا يَفْنَى جَدَاهَا؟^{٤٥}
بِأَبِي الْأَشْبَالِ، وَاهْتَزَّتْ رُبَاهَا^{٤٦}
مَرَّةً بَيْنَ نَدَاهُ وَنَدَاهَا^{٤٧}
كُلَّمَا أَخْضَلَهَا طَابَ جَنَاهَا^{٤٨}
وَبَدَتْ تَخْطُرُ فِي أَزْهَى خُلَاهَا^{٤٩}
جَدَّدَتْ مِصْرٌ بِكُمْ عَهْدَ صِبَاهَا^{٥٠}
فَالِإِلَى بَابِ فَوَادٍ مُلْتَقَاهَا^{٥١}
صَانَهَا الْإِنْصَافُ وَالْعِلْمُ وَقَاهَا
بَعْدَ أَنْ طَالَ عَلَى مِصْرِ كَرَاهَا^{٥٢}
كُلَّمَا أَجْهَدَهَا السَّعْيُ رَجَاهَا^{٥٣}
تَمَلَّأَ الْعَيْنُ، وَإِقْبَالًا وَجَاهَا
رَدَّدَ الْعِرْفَانَ فِي مِصْرٍ صَدَاهَا

يَا نَصِيرَ الْعِلْمِ فِي مَمْلَكَةٍ
كُلُّ يَوْمٍ لَكَ حَفْلٌ لِلْعُلَا
وَجَدْتُ بِنْتُ قُرَيْشٍ مَوْئِلًا
لُغَةُ الْقُرْءَانِ تَزْهَى شَرْفًا
حِكْمَةُ الْمَأْمُونِ عَادَتْ دَارُهَا
مَجْمَعُ الْفُضْحَى تَجَلَّى مُشْرِقًا
هُوَ فِي مِصْرَ مَنَارٌ كُلَّمَا
رَأَتْ الْبَصْرَةَ فِيهِ حَفَلَهَا
مَنْ رَسُولِي لِأَعَارِبِ اللَّوَى؟
أَنْ مِصْرًا بَعَثَتْ آدَابُهَا
وَبَنَى الْيَوْمَ عُكَاظًا ثَانِيًا
هَلْ حَبَا الْآدَابُ تَاجٌ مِثْلَمَا
أَنْهَضَ التَّأْلِيفَ مِنْ كِبَوْتِهِ
كَمْ كِتَابٍ دَوَّنتُ أَخْبَارُهُ
رَحَلَ الْأَعْلَامُ فِي الْغَرْبِ إِلَى
فَرَأَوْا مَمْلَكَةً وَثَابَةً
دُمْ فَوَادُ الْقَطْرِ، تَحْيَا أُمَّةٌ
وَسَمَا الْفَارُوقُ نَجْمًا سَاطِعًا

بَلَغَتْ بِالْعِلْمِ غَايَاتٍ مُنَاهَا^{٥٤}
وَأَيَادٍ تَبْهَرُ الدُّنْيَا لُهَاهَا^{٥٥}
فِي ذَرَا الْمُلْكِ وَحِصْنًا مِنْ عِدَاهَا^{٥٦}
أَنْ حَامِي الدِّينِ وَالْمُلْكِ حَمَاهَا
بِابْنِ إِسْمَاعِيلَ مِنْ بَعْدِ بِلَاهَا^{٥٧}
فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ مُجْتَازًا سُهَاهَا^{٥٨}
أَرْسَلَ الْأَضْوَاءَ فِي مِصْرَ هَدَاهَا
وَرَأَتْ بَغْدَادَ فِيهِ مُنْتَدَاهَا^{٥٩}
أَيْنَ أَعْرَابُ اللَّوَى أَيْنَ لِيَوَاهَا؟^{٦٠}
وَأَبَا الْفَارُوقِ قَدْ أَحْيَا لُغَاهَا
تَاهَ إِعْجَابًا بِهِ الدَّهْرُ وَبَاهَى^{٦١}
صَاحِبُ التَّاجِ بِمِصْرَ قَدْ حَبَاهَا^{٦٢}
فَسَقَى الْأَحْلَامَ رُشْدًا وَغَذَاهَا^{٦٣}
مِنْنًا، كَانَ فَوَادُ مُبْتَدَاهَا^{٦٤}
سُدَّةٌ يَسْطَعُ بِالْعِلْمِ سَنَاهَا^{٦٥}
وَمَلِيغًا بِهَدَى اللَّهِ رَعَاهَا
لَمْ يَكُنْ إِلَّاكَ يَوْمًا مُرْتَجَاهَا^{٦٦}
لِبَنِي مِصْرَ وَعُنُونًا غَلَاهَا

هوامش

- (١) الغطاريف: السادة الشرفاء، الواحد: غطريف. الذرا: جمع ذروة، وهي من كل شيء أعلاه.
- (٢) الأوهام: خطرات القلوب. حسرى: كليله منقطعة من طول المدى. الأين: الإعياء.
- (٣) يريد بأمة الصحراء: العرب بنزولهم البوادي والصحاري. الجلد: الأيد والقوة.
- المهاري: الإبل المهريّة، نسبة إلى مهرة بن حيدان، حي من العرب امتازت إبله عما سواها، ويضرب بالإبل المثل في الجلد وقوة الاحتمال. القطا: ضرب من الطير عرف بقوة اهتدائه إلى مكانه.

- (٤) يريد بصخرها: آكامها وجبالها. رضوى وثهلان: جبلان ببلاد العرب.
- (٥) البيد: جمع بيداء، وهي الصحراء، الرهبة: الخشية والسكون، جرد: خلصها مما يشغلها وجعلها صافية، وبالنور كساها: أي جعلها من الحق على صلة ومن الهداية والتوفيق على بينة.
- (٦) القناة: الرمح. لينها: كناية عن الضعف والاستكانة.
- (٧) الضيم: الذل والصغار. ذوو النعمى: ذوو اليسار. وعفر الجباه: كناية عن الضعة والمهانة.
- (٨) الطراق: الطارقون الذين ينزلون طلباً للضيافة. القرى: ما يقدم للضيف.
- (٩) الأمم: الهين السهل. حل الحبا: كناية عن التحول للحرب والغارة والاحتباء (في الأصل) أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه برباط، فإذا تهيأ للقيام أزاله.
- (١٠) سراج الليل: القمر.
- (١١) التبيان: البيان والإفصاح.
- (١٢) الأطلال: جمع طلل، وهو ما بقي من آثار الديار. والمأثور: ما يحفظ ويؤثر من كل مליح.
- (١٣) يريد «بنور الهدى»: رسول الله ﷺ. قريش: قبيلته. اصطفاه: اختاره من بين خلقه وخصه برسالته.
- (١٤) حرقها: أجف أوراقها وأبيس عودها. حر الصدى: حرقه العطش.
- (١٥) يريد بالفصحى: اللغة العربية. قدسية: ربانية مقدسة. فزهاها: ملأها عجباً وزهواً.
- (١٦) هاشمياً: نسبة إلى بني هاشم، آل رسول الله ﷺ. وقلل الأجيال: قممها، الواحدة: قلة.
- (١٧) براها: هيأها للمرمى.
- (١٨) طيبة: مدينة الرسول ﷺ. مستثيراً: مثيراً وموقظاً. لابتها: حراتها. الحرة: الأرض ذات حجارة سود. وبالمدينة لابتان. ورددتها لابتها: أي كررت صوتها ليسمعه العالم.
- (١٩) سفاهها: ضللاً وغروراً. عفت عنه القوافي: سامحته في التقييد بها. حكاها: ماثلها.
- (٢٠) بالضاد: أي باللغة العربية. وسميت بلغة الضاد، لخلو اللغات الأخرى عنها.

(٢١) آية: آيات القرآن. وعظمت أن تتناهى: أي جلت عن أن تنتهي إلى غاية من الإعجاز والقوة.

(٢٢) بنو مروان: ملوك الدولة الأموية. والحمى: ما يجب عليك حياطته والذود عنه.

(٢٣) تود الأصداف لو قامت له مقام الشفاه.

(٢٤) دراكا: متتابعًا، يدرك بعضه بعضًا.

(٢٥) أبو حزرتها: جرير. وهو والأخطل شاعران أمويان معروفان. وابتدعاهما: خلقاها.

(٢٦) بغداد: عاصمة العراق، وقديمًا كانت مقر الدولة العباسية فشهدت عهدًا من أزهى العهود.

(٢٧) الرسم: ما بقي من آثار الدار. نادرة: قصة طريفة مفردة.

(٢٨) أبو المأمون، هو الرشيد. المزن: السحاب، يشير إلى قول الرشيد حين رأى سحابة عارضة فقال: أمطري حيث شئت أن تمطري، فلن تمطري إلا حيث سلطاني وملكي.

(٢٩) بنت قريش: هي اللغة العربية. الذروة من كل شيء: أعلاه. مرتقاها: الرقي إليها.

(٣٠) الدل: التمتع مع رغبة، القينة: الجارية أو المغنية. والوجد: الشوق.

(٣١) الحجا: العقل، ويريد أثره.

(٣٢) أبدات القول: نوادره وبدائعه.

(٣٣) هولأكو: هو الزعيم التتري الذي ثل عرش الدولة العباسية. الأرباض: جمع ربض وهو ما حول المدينة، الشياه: جمع شاه.

(٣٤) العقبان: جمع عقاب، وهو من الطيور الجارحة المعروفة بنهمها. ضراها: ما فيها من ولع ونهم بالعدوان والشراسة.

(٣٥) بنت عدنان: اللغة العربية. عدنان: جد من أجداد العرب. هوت: سقطت.

الغيل: الشجر الملتف وإليه تأوي الأسود. الشرى: جبل بتهامة وطريق في سلمى، وكلاهما معروف بكثرة أسده وشراستها.

(٣٦) دجلة: نهر معروف، وهو والفرات يرويان العراق. راعها: أفزعها. دهاها: أصابها.

(٣٧) الآذي: الموج. ويريد بالعقول: نتاجها الذي حوته الكتب.

المجمع اللُّغَوِيّ

- (٣٨) العسف: الظلم. النهى: العقول، ويريد آثارها.
- (٣٩) طارت: خفت. ذراها: نواحيها.
- (٤٠) الشظف: سوء العيش وخشونته. رفاها: رفاهية ونعيمًا.
- (٤١) مؤتلق: منير متلألئ. سناه: ضوءه. المقلتان: العينان.
- (٤٢) يريد بمنقذ مصر: محمد علي باشا. مائل: حاضر. العرا: جمع عروة، وهي أخت الزر. وشد العرا كناية عن القوة.
- (٤٣) يدوي صوته: يرتفع عاليًا. وصفحتها: وجهها، وللوجه صفحتان.
- (٤٤) نواها: بعدها.
- (٤٥) الآلاء: النعم. الجدى: العطية والمنحة.
- (٤٦) زهيت: تاهت ودلت. السنا: الإشراق والتلألؤ. أبو الأشبال: إسماعيل.
- (٤٧) نداه: كرمه وجداه. نداها: مطرها.
- (٤٨) أخضلها: أرواها. الجنى: ما تجنيه من الثمر، ويريد ثمار العلم.
- (٤٩) سمت: نهضت. تخطر: تختال مزهوة مدلة.
- (٥٠) ابن إسماعيل: هو الملك أحمد فؤاد. النهى: العقول. نخرها: أنفس ما عندها.
- (٥١) الندى: الكرم. وأشتاته: ألوانه وأنواعه.
- (٥٢) الكرى: النعاس. ومسح عين الكرى: كناية عن النهوض والانتعاش.
- (٥٣) دائبة: غير منقطعة السعي. أجهدا: أضناها وأتعبها. زجاها: ساقها ودفعها.
- (٥٤) غايات منها: منتهى ما تصبو إليه.
- (٥٥) لهاها: عطاياها ومنحها.
- (٥٦) بنت قريش: اللغة العربية. الموثل: الحصن والملجأ. وفي ذرا الملك: في كنفه.
- (٥٧) البلى: الفناء. يشير إلى دار الحكمة التي كانت قائمة أيام المأمون شبه بها المجمع.

- (٥٨) تجلى: ظهر وبدا. السهى: نجم يضرب به المثل في العلو.
- (٥٩) البصرة وبغداد: مدينتان لهما تاريخهما الزاهر بالحضارة العربية. المنتدى: مجتمع القوم للسمر والتشاور.
- (٦٠) يريد «بأعريب اللوى» العرب في باديتهم. اللوى: منعطف الوادي.
- (٦١) عكاظ: سوق للعرب معروفة، كانوا يتناشدون فيها الأشعار ويخطبون.
- (٦٢) حبا: أعطى ومنح. تاج، أي: صاحب تاج، ويريد: ملكًا.

- (٦٣) الكبوة: العثرة والسقطة. الأحلام: العقول. الرشد: الهدى والصلاح. غذاها: أمدّها بما ينميها وينشئها.
- (٦٤) المنن: العطايا. مبتدأها: أصلها.
- (٦٥) للسدة: بيت الملك. السنا: الضوء.
- (٦٦) مرتجأها: أملها ورجاؤها.

مصرُ الوالِهة

في رثاء الملك فؤاد المتوفى في الثامن والعشرين من أبريل سنة ١٩٣٦ م.

جَلَلْ، هَزَّ كُلُّ رُكْنٍ وَهَدًّا
كُلُّ صَدْرٍ بِهِ أَنْيَنٌ وَوَجْدٌ
عَبْرَاتٌ، مِنْ سَاكِبٍ لَيْسَ تَرْقَا
وَنَشِيْجٌ، أَقْضَ مِنْ مَضْجَعِ اللَّيْلِ
ومصَابٌ، رَمَى الْقُلُوبَ فَأَرْدَى¹
مُرْسَلٌ خَلَفَهُ أَنْيَنًا وَوَجْدًا
وَوَجِيبٌ، مِنْ خَافِقٍ لَيْسَ يَهْدَا²
لِ، وَمَا جَتْ لَهُ الْكَوَاكِبُ سُهْدَا³

* * *

فَزَعَتْ مِصْرُ فَرْعَةً طَارَ فِيهَا
هَرَعَتْ سَاعَةُ الْوَدَاعِ تُفِيضُ الدَّمَ
أُمَّةٌ هَالَهَا الْمُصَابُ فَهَامَتْ
خَرَجَتْ مِنْ خِبَائِهَا كُلُّ خَوْدٍ
أَعْجَلَتْهَا مُصِيبَةُ الْوَطَنِ الْمَفِ
رُمَرُ تَلْتَقِي عَلَى الْحَزَنِ وَالْيَأْ
وِبَحَارٍ مِنَ الْأَنْسَاءِ مَا جَتْ
وَجِبَالُ تَسِيرُ فِي يَوْمٍ حَشِرٍ
فَوْقَ سَطْحِ الْبُيُوتِ كَالنَّحْلِ فَاَنْظُرُ
كُلُّ بَيْتٍ قَدْ عَافَ أَحْجَارَهُ الصَّمْ
وَالْمِيَادِينَ كُلُّهَا أُمَمٌ تُزْ
كُلُّ عَقْلٍ عَنِ الرَّشَادِ، وَنَدَا⁴
عَ بَحْرًا، وَتُرْسِلُ الشُّوقَ وَقْدَا⁵
تَسْتَحِثُّ الْخُطَا، شُيُوخًا وَمُرْدَا⁶
لَمْ تُقْنِعْ رَأْسًا، وَلَمْ تُخَفِ حَدَا⁷
جُوعٍ أَنْ تَخْتَبِي، وَأَنْ تَتَرَدَّى⁸
سَ، وَحَشْدُ بَاكِ يَزَاحِمُ حَشْدَا
مُزْبِدَاتٍ، يَجِشْنَ جَزْرًا وَمَدَا⁹
كُلُّ فَنَدٍ تَرَاهُ يَتَّبِعُ فَنْدَا¹⁰
ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تُحَاوِلَ عَدَا
مَ، وَأُضْحَى دَمًا وَلَحْمًا وَجِلْدَا¹¹
جَى، كَمَا تُكْدُسُ السَّحَابُ رُبْدَا¹²

فإذا شئت أن ترى الأرض أرضاً
نفس واحد جميعاً، وقلب
ودعاء يمر بالصدر برقاً
وخشوع من الجلال تراءى
حملوه، وإنما حملوا آ
حملوا حامي الحقيقة والديـ
حملوا كوكبا أشع على مصـ

كنت ممن يحاول الأمر إذا^{١٣}
(لفؤاد) يئز شوقاً وصهداً^{١٤}
فإذا انسأب منه أصبح رعداً
وجلال من الخشوع تبدى
مال شغب، بزهرها الغض تندى
ن، كما تحمل الملائك عهداً
ر سناً مبصراً وهدياً وسعداً^{١٥}

* * *

ما على الدهر مرة لو توانى؟
لفحت ريحه أزاهير أما
وعدت كفه على دوحة كا
وجدت مصر في ذراها سلاماً
قد نعيناً فرداً به كان عصراً
دولة فاقت الكواكب نوراً
علمت كل مالك كيف ترعى

أو على الدهر ساعة لو تهدأ؟^{١٦}
ل، ملأ الوجود مسكاً ونذاً^{١٧}
نت تمد الظلال في مصر مداً
وطوت في ظلالها العيش رعداً^{١٨}
وفقدنا عصراً به كان فرداً
وأناقت على الكواكب بعداً^{١٩}
أمم حاطها الملوك وتهدى

* * *

رفع الشرق رأسه (بفؤاد)
ومضى يسبق الخواطر وثباً
وأنت كل أمة ترتجي (مصـ
كعبة حجت الوفود إليها
حفرتها لعرش (مصر) أمان
فراحت حزم جاهد لن يبارى
أبصروا الملك في جلاله معنا
أبصروا دولة وملكا كبيراً
همة تفرع النجوم، وعزم
ومضاء في الحادثات برأي

ونصاً عنه يأسه فاستجدأ^{٢٠}
وجرى يجهد الأمانى وخدا^{٢١}
ر) وداداً، وتنهل العلم ورداً^{٢٢}
تستحي الركب وفداً فوفداً^{٢٣}
بنشيد الولاء والحب تحدي^{٢٤}
ورأت جهد حازم لن يحدأ
ه، يباهي السماء عزاً ومجداً
ومراساً يعيي الزمان وجهداً
سلب السيف حده والفرنذاً^{٢٥}
فضح الصبح نوره وتحدي

يَسْتَمِدُّ الْإِلَهَامَ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ ب، وَأَجْدِرُ بِمِثْلِهِ أَنْ يُمَدَّ

دَفَعَ الشَّعْبَ لِلْسَّبِيلِ فَكَانَتْ مِنْ سَنَا هَذِيهِ أَمَانًا وَرُشْدًا^{٢٦}
مُلْهَبًا عَزَمَهُ إِذَا اجْتَاَزَ غَوْرًا مُسْتَحِثًّا إِذَا تَسَلَّقَ نَجْدًا^{٢٧}
كُلَّمَا خَارَ أَجْزَأْتُ بِسَمَةٍ مِنْ ه، فَمَدَّ الْخُطَا حَثِيئًا وَجَدًا^{٢٨}
وَمَضَى كَالْقَضَاءِ يَهْوِي لِمَرْمًا هُ، جَرِيئًا مُجَمِّعَ الْقَلْبِ جَلْدًا^{٢٩}
يَبْهَرُ الصَّخْرَ أَنْ يَرَى مِنْهُ صَلْدًا أَدْمِي الرُّوَاءِ، يَفْرَعُ صَلْدًا^{٣٠}
لَا يُبَالِي إِذَا سَعَى لِلْمَعَالِي خَبَطَ الشُّوْكَ، أَمْ تَوَطَّأَ وَرْدًا؟^{٣١}
(فَوَادِّ) أَمَامَهُ خَيْرُ هَادٍ قَادَ لِلْغَايَةِ الْبَعِيدَةِ جُنْدًا
كَانَ لِلْمُقَدِّمِينَ رُوحًا وَقَلْبًا وَلِرَكْبِ السَّارِينَ كَفًّا وَرَنْدًا^{٣٢}
لَوْ دَعَاهُمْ إِلَى النُّجُومِ لَسَارَوْا خَلَفَهُ يُزْمِعُونَ لِلنَّجْمِ قَصْدًا
وَإِذَا الْيَأْسُ مَسَّهُمْ كَانَ عَطْفًا وَسَلَامًا عَلَى الْقُلُوبِ وَبَرْدًا^{٣٣}
نَظْرَةً مِنْهُ تَبْعُثُ الْأَمَلَ الْوَا نِي، وَتُحْيِي مِنْهُ الَّذِي كَانَ أَوْدَى^{٣٤}

كَانَ رِدْءًا لِمَصْرَ إِنْ جَارَ دَهْرُ وَصِمَامًا لِأَمْنِهَا إِنْ تَعَدَّى^{٣٥}
سَاسَ بِالْحِكْمَةِ الْبِلَادَ، فَكَانَتْ مِنْ عَوَادِي الزَّمَانِ دِرْعًا وَسَدًا
فَهُوَ إِنْ شَاءَ صَيَّرَ الْغِمْدَ سَيْفًا وَإِذَا شَاءَ صَيَّرَ السَّيْفَ غِمْدًا
قَدْ أَعَدَّتْهُ رَحْمَةُ اللَّهِ لِلْحُكِّ م، كَرِيمًا مُبَارَكًا، فَاسْتَعَدَّا
وَرَعَى اللَّهَ فِي الرَّعِيَّةِ وَالْمَلِ كِ، فَوْقَى حَقَّ الْإِلَهِ وَأَدَّى
أَيْنَمَا سِرَتْ مَشْرِقًا تَلَقَّ شُكْرًا أَوْ تَوَجَّهَتْ مَغْرِبًا تَلَقَّ حَمْدًا
وَإِذَا اللَّهُ رَامَ إِصْلَاحَ شَعْبٍ سَلَكَ الْقَائِدُ الطَّرِيقَ الْأَسَدًا
إِنَّمَا النَّاسُ بِالْمَلُوكِ، وَأَعْلَى الـ مُلْكُ شَاوَا مَا كَانَ حُبًّا وَوُدًّا^{٣٦}

رَدَّ بِالْحَزْمِ كُلَّ خَطْبٍ سَوَى الْمَوْ ت، وَلِلْمَوْتِ صَوْلَةٌ لَنْ تُرَدَّ^{٣٧}
وَالْفَتَى فِي الْحَيَاةِ رَهْنٌ عَوَادٍ لَا يَرَى دُونَ مُلْتَقَاهُنْ بُدًّا^{٣٨}

حَكَمَ الموتُ فِي الْأَنَامِ فَسَوَّى لَمْ يَدَعْ سَيِّدًا، وَلَمْ يُبْقِ عَبْدًا
بَيْنَمَا يَسْحَقُ الْمَالُ تَرَاهُ بِاسِطًا كَفَّهُ لِيَقْنِصَ أُسْدًا

* * *

يَا مَلِيكِي، وَالْحُزْنَ يَطْحَنُ نَفْسِي! كَلَّمَا قُلْتُ: خَفَّ. قَالَ: سَأُبْدَا
أَيَّنَ عَزَّ الْمُلْكُ الَّذِي كَانَ لِلَا مَالٌ فِي سَوْجِه مَرَّاحٍ وَمَغْدَى؟^{٣٩}
أَيَّنَ تِلْكَ الْهَبَاتُ لِلْعِلْمِ تُزْجَى كُلُّ رِفْدٍ فِيهَا يُزَاجِمُ رِفْدًا؟^{٤٠}
أَيَّنَ أَيْنَ الْقُصَادُ فِي سَاحَةِ الْقَصَبِ رِرْ؟ وَأَيَّنَ الصَّلَاتُ تُغْطِي وَتُسَدَّى؟
أَيَّنَ ذَاكَ الْجَبِينُ يَنْضَحُ نُورًا؟ أَيْنَ ذَاكَ الْحَدِيثُ يَقْطُرُ شَهْدًا؟
قَدْ فَقَدْنَاهُ وَالْمُصَابُ جَلِيلٌ وَجَمِيلُ الْعَزَاءِ بِالْحَرِّ أَجْدَى
نَحْنُ لِلَّهِ رَاجِعُونَ، وَكُلُّ بَالِغٌ فِي مَجَالَةِ الْعُمْرِ حَدًّا؟^{٤١}
غَيْرُ أَنَّ الْفَتَى يُغَالِبُهُ الدَّمُ حُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لِلدَّمْعِ صَدًّا
كُلُّ مَهْدٍ يَصِيرُ مِنْ بَعْدِ حِينٍ قَصَرَ الْعُمْرُ أَوْ تَطَاوَلَ لَحْدًا

* * *

قَدْ مَلَأْتُ الْوُجُودَ شَدْوًا بِمَدْحِكَ، وَهَلْ غَيْرُ مِزْهَرِي بِكَ أَشَدَّى؟^{٤٢}
خَالِدَاتُ مَنْ الْجَلَائِلِ أَوْلَتْ شِعْرِي الْمَزْدَهِي بِوَصْفِكَ خُلْدًا؟^{٤٣}
كَتَبَ اللَّهُ أَنْ يَعُودَ رَثَاءٌ وَبُكَاءٌ يُدْمِي الْعَيُونَ وَكُمْدَا
قَدْ نَظَّمْتَ الْعُلَا قِلَادَةً دُرٌّ فَنَظَّمْتُ الدُّمُوعَ أَرْثِيكَ عِقْدًا؟^{٤٤}

* * *

أَمَلُ الشَّعْبِ فِي خَلِيفَتِكَ الْفَا رُوقِ أَحْيَا آمَالِهِ وَأَجْدَا؟^{٤٥}
قَرَأَ الشَّعْبُ فِي مَلَامِحِهِ الْغُرَّ رِ سَطُورِ الْمُنَى وَأَبْصَرَ جَدًّا؟^{٤٦}
وَرَأَى فِيهِ نُبْعَةَ الْمَجْدِ وَالنُّبِ لِي: أَبَا مُفَرَّدِ الْجَلَالِ وَجَدًّا؟^{٤٧}
لَمْ يَجِدْ لِلْعُلَا سِوَاهُ مَثِيلًا وَلِبَدِرِ السَّمَاءِ إِلَّاهُ نِدًّا
رَحْمَةُ اللَّهِ لِلْمَلِكِ الْمُسَجَّى! وَرَعَتْ عَيْنُهُ الْمَلِكِ الْمُفْدَى؟^{٤٨}

هوامش

- (١) جَلَل: خطب عظيم. كل ركن: كل ناحية. أَرْدَى: أفنى وأهلك.
- (٢) ترقا: تجف وتنقطع. الخافق: القلب.
- (٣) النشيج: البكاء يغص به الباكي في حلقه من غير انتحاب. ماجت الكواكب: اضطرب سيرها واختلف.
- (٤) ند: نفر وذهب.
- (٥) وقداً: أي حاراً بنار الحزن.
- (٦) المرد: جمع أمرد. وهو الشاب لم يطر شاربه ولم تنبت لحيته.
- (٧) من خبائها: أي من خدرها. الخباء (في الأصل): ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر، ويكون على عمودين أو ثلاثة ويريد هنا مكنها وبيتها. الخود: المرأة الشابة.
- (٨) تتردى: تضع عليها رداءها.
- (٩) ماجت: اضطربت. مزبدات: قاذفات بالزبد، وذلك لا يكون إلا في ثورة البحر وهيجانه. يجشن: يهجن ويضطربن. مد البحر وجزره: ارتفاعه واستطالته إلى ناحية مرة، ثم رجوعه عنها مرة أخرى.
- (١٠) الفند: الجبل العظيم. وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾.
- (١١) عاف: مل وكره.
- (١٢) تزجى: تساق وتدفع. تكدس، أي: يركب بعضها بعضاً. الربدة: الغبرة.
- (١٣) الإد: الأمر العظيم.
- (١٤) النفس: الزفرة ينفثها المحزون. أزيز القدر: صوتها عند غليانها.
- (١٥) أشع: نشر ضوءه. سنا مبصراً: أي نوراً يهتدي الناس به ويبصرون.
- (١٦) توانى: لم يبادر ولم يتعجل. وتهدا: أي تمهل وأبطأ.
- (١٧) لفح الرياح: حرها. الأزاهير: الأزهار. الند: العنبر، وقيل: هو عود يتبخر به.
- (١٨) الذرا (بالفتح) الكنف والجانب.
- (١٩) أنافت: زادت.
- (٢٠) نضا عنه يأسه: رمى به وطرحه. فاستجدا: أي فعاد جديداً بما صار إليه.
- (٢١) الخواطر: ما يخطر بالقلب ويهجس في النفس. الوخذ: ضرب من المشي فيه إسراع وإهراع.

- (٢٢) تنهل: تشرب. الورد: مورد الشاربة.
- (٢٣) الكعبة: البيت الحرام بمكة.
- (٢٤) حفزتها: أعجلتها وأسعرت بها. تحدي: من الحداء، وهو أن تغني للإبل تدفع بذلك عنها ملال السير.
- (٢٥) تفرع: تعلقو. فرند السيف: وشبه وجوهره.
- (٢٦) السبيل: الطريق. سنا هديه: أي نور هدايته.
- (٢٧) ملهبا: مثيرا مهيجا. الغور: ما انخفض من الأرض. مستحنا: حاضا.
- (٢٨) خار: ضعف وفتر. أجزاء: نابت وأغنت.
- (٢٩) الجلد: القوي الشديد.
- (٣٠) يبهره، أي: يفوقه بقوته فيدهشه. الصلب: الصلد. وأدمي الرواء: أي في صورة الأدميين. يقرع: يضرب.
- (٣١) خبط الشوك: وطئه وداسه. ومثله في ذلك، توطأ.
- (٣٢) المقدمون: الجادون. الزند: موصل طرف الذراع في الكف. الزند أيضا: العود الأعلى الذي تقتدح به النار.
- (٣٣) بردا: راحة وطمأنينة.
- (٣٤) الواني: الفاتر الواهي. أودى: أي فني وذهب.
- (٣٥) الردء: العون والناصر. حار: بغى.
- (٣٦) الشاؤ: الغاية والمدى.
- (٣٧) الخطب: المكروه. الصولة: السطوة والقهر.
- (٣٨) العوادي: جمع عادية. وهي ما يلم بالإنسان من مكروه.
- (٣٩) السوح: جمع ساحة. وهي النايحة. ومراح ومغدى: أي رواح وغدو.
- (٤٠) الرصد: الصلة والعطاء.
- (٤١) المجالة: الساحة والميدان يجال فيهما ويطاف. شبه بها فسحة العمر وحياة الإنسان.
- (٤٢) شدوا: ترنما. المزهر: العود يضرب به. أشدى: أي أحسن شدا وتطريبا.
- (٤٣) أولت: أعطت ووهبت.
- (٤٤) القلادة: ما يجعل في العنق من الحلي. نظمها: تأليف حباتها وجمعها.
- (٤٥) وأجدا: أي صيره جديدا.

- (٤٦) الملامح: ما بدا من محاسن الوجه. الغر: الجميلة الحسنة. سطور المنى: ما ينطق بتحقيق الرجاء. الجد (بالفتح): الحظ والسعد.
- (٤٧) النبعة (في الأصل): واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام.
- (٤٨) المسجى: الميت قد مد عليه غطاء. المفدى: الذي يفدى بكل عزيز.

إلى الأستاذ الإمام

قلت هذه القصيدة والشاعر طالب بالأزهر سنة ١٩٠١م، وكان يتلقى دروس البلاغة والتفسير على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده. فمدحه بهذه القصيدة ونحا فيها منحى الشعراء المتقدمين في الوصف والأسلوب. ونذ عن الذاكرة عدد غير قليل من أبياتها.

تَطْوِي أَلْفَا بَيْنَ إِجَافٍ وَتَوَخِيدٍ^١
رَمَتْ إِلَيْهَا اللَّيَالِي كُلَّ مَقْصُودٍ^٢
كَسَتْ خَيَالَ الْأَمَانِي ثَوْبَ مَوْجُودٍ^٣
فَحَبَّبًا هُوَ تَقْرِيبُ بَتَّبَعِيدٍ!^٤
لَا يُغْمِدُ الْحَقُّ سَيْفٌ غَيْرُ مَغْمُودٍ
مَنْ يَطْلُبُ الْمَجْدَ لَا يَبْخُلُ بِمَجْهُودٍ
وَأَقْطَعُ الْبِيدَ بَعْدَ الْجَهْدِ لِلْبِيدِ!^٥
يُدِيرُهَا الْقَوْمُ مِنْ بِنْتِ الْعَنَاقِيدِ^٦
طَيْفٌ مِنَ الْجِنِّ إِلَّا خَافَ أَنْ يُودِي^٧
إِلَّا بِزَجَرٍ وَإِبْعَادٍ وَتَهْدِيدِ^٨
سَيَقُفَا فَكَّرْتُ إِلَيْهِ كَرَّ صِنْدِيدِ
تَطْنُنُهُ لَأَمَّةٌ مِنْ نَسَجِ دَاوُدِ^٩
كَأَنَّني صَارِمٌ فِي كَفِّ رَعْدِيدِ^{١٠}
وَفَلَّ عَزْمِي بِسَيْفٍ مِنْهُ مَحْدُودِ^{١١}
عَزِمْتِي بَيْنَ إِقْدَامٍ وَتَسْدِيدِ^{١٢}

الْمَجْدُ فَوْقَ مَتُونِ الضُّمَرِ الْقُودِ
إِذَا رَمَتْ عَرْضَ صَيْهُودٍ مَنَاسِمُهَا
أَوْ مَزَقَتْ طَيْلَسَانَ اللَّيْلِ مِنْ حَبَبِ
تُدْنِي مِنَ الْمَجْدِ إِنْ شَطَّ الْمَرَارُ بِهَا
الْمَجْدُ بِالسَّيْفِ إِنْ عَزَّتْ وَسَائِلُهُ
فَكَمْ شَقَقَتْ فَوَادَ الْبِيدِ مُنْصَلِتًا
تَرْمِي التَّنُوفَةَ بِي أُخْرَى بِجَانِبِهَا
كَأَنَّني الْكَأْسَ بَيْنَ الشَّرْبِ مُتْرَعَةً
فِي كُلِّ بِهِمَاءٍ لَمْ يَعْبُرْ مَنَاقِبَهَا
لَا يُرْسِلُ الطَّرْفَ فِي مِيدَانِهَا قَدَمًا
إِذَا بَدَا الْفَجْرُ طَنَنَتْهُ صَرَاعِمُهَا
وَأَقْبَلَتْ لِغَدِيرِ الْمَاءِ وَاثْبَةً
فَكُنْتُ بَيْنَ مَرُوعِ الْقَلْبِ مُرْتَجِفِ
أَطْوِي الدُّجَى فَإِذَا مَا الْيَأْسُ أَدْرَكَنِي
ذَكَرْتُ عَزْمًا مِنَ الْأُسْتَاذِ فَاتَّجَهْتُ

وَسِرْتُ مِثْلَ قَضَاءِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ
مَوْلَايَ عَلَّمْتَنِي كَيْفَ الثَّبَاتُ إِذَا
عَلَوْتُ فَازْدَدْتُ بَيْنَ النَّاسِ مَعْرِفَةً
وَأَصْبَحَ الدِّينُ نَيَّاهَا بِنَاصِرِهِ
دَعِ الْحَسُودَ، أَمَّا يَكْفِيكَ أَنْ لَهُ
نَقْضٌ وَلَا سَهْمُهُ يَوْمًا بِمَزْدُودٍ
لَمْ يَتْرِكِ الرُّعْبُ قَلْبًا غَيْرَ مَزْدُودٍ^{١٣}
وَالنَّجْمُ يَغْلُو فَيَبْدُو شَبَهُ مَفْقُودٍ!
وَالضَّادُ تَزْهَى بِتَجْمِيلٍ وَتَجْدِيدٍ
نَفْسًا تَفُورُ، وَحَظًّا غَيْرَ مَجْدُودٍ؟^{١٤}

* * *

يَا فَارِسَ الشَّعْرِ لَا تَجَزَّعْ لِنَازِلَةٍ
فَنَظْرَةً مِنْهُ لَوْ مَسَّتْ ظِلَامَ دُجَى
إِذَا دَعَوْتَ إِلَيْهَا فَارِسَ الْجُودِ^{١٥}
مَا زُمَلَ اللَّيْلُ فِي أَثْوَابِهِ السُّودِ^{١٦}

هوامش

(١) المجد: العز والشرف. المتون: جمع متن وهو الظهر. الضمر: جمع ضامر وهو الناقة أو الجمل الذي أصابه الضمور والهزال من كثرة الأسفار. القود: جمع أقود وهو البعير الشديد العنق. الفلا: جمع فلاة وهي القفز، أو المفازة لا ماء فيها. وطى الفلوات اجتيازها وقطعها بالسير فيها. الإيجاف: ضرب من سير الإبل والخيول. التوخيد: ضرب آخر من سير الإبل، وهو الإسراع أو سعة الخطوة، أو أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام.

(٢) عرض الشيء: ناحيته وجانبه. الصيهود: الفلاة لا ينال ماؤها، المناسم: جمع منسم وهو خف البعير.

(٣) الطيلسان: من لباس العجم كساء مدور كان يلبسه الخواص من العلماء. الخيب: ضرب من العدو، أو كالرمل، أو أن ينقل الفرس أيامه جميعاً وأياسره جميعاً. أو أن يراوح بين يديه، أو هو السرعة.

(٤) تدنى: تقرب. شط: بعد. المزار: الزيارة.

(٥) التنوفة: المفازة. أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس.

(٦) الشرب: جمع شارب. مترعة: مملوءة. بنت العناقيد: كناية عن الخمر.

(٧) البهماء: الفلاة لا يهتدى فيها. المناكب هنا: الأنحاء. يودي: مضارع أودى أي:

هلك.

- (٨) الطرف: الفرس الكريم. الإيعاد: الوعيد لا يكون إلا في الشر.
- (٩) اللأمة: الدرع وقد اشتهر نبي الله داود — عليه السلام — بصنع الدروع.
- (١٠) الروع: الفزع، مروع القلب: خائف فزع. مرتجف: مضطرب. الصارم: السيف القاطع.
- (١١) الدجى: جمع دجية وهي الظلمة. فله: ثلمه وكسره. محدود: مسنون قاطع.
- (١٢) التسديد: التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل.
- (١٣) المزهود: المذعور الخائف.
- (١٤) فارت القدر: جاشت وغلت. غير محدود: غير سعيد.
- (١٥) يريد بفارس الشعر نفسه. جزع: ضد الصبر. النازلة: الكارثة والشديدة من شدائد الدهر. الجود: السخاء.
- (١٦) زمله في ثوبه: لفه.

رثاء الزهاوي

أقامت الحكومة العراقية حفلاً جامعاً لتأبين شاعرها الكبير «جميل صدقي الزهاوي»، دعت إليه شعراء الأقطار العربية ومن بينهم الشاعر. وقد أقيمت هذه القصيدة ببغداد في ١٢ من فبراير سنة ١٩٣٧م.

وَعَادَرَهُ قَفَرَ الخُمَائِلِ طَائِرُهُ!¹
مُصَوِّحَةً أَثْمَارَهُ وَأَزَاهِرُهُ²
وَأَيْنَ مَجَالِيهِ، وَأَيْنَ بَوَاكِرِهِ؟³
إِذَا صَدَحَتْ فَوْقَ الغُصُونِ مَزَاهِرُهُ؟⁴
وَأَذْهَلَهَا عَنْ عَابِسِ العَيْشِ نَاضِرُهُ
تَوَثَّبَ زَهْرُ الرِّوْضِ وَاهْتَزَّ عَاطِرُهُ⁵
إِذَا مَا عَلَتْ مَتْنُ النِّسِيمِ مَزَامِرُهُ⁶
وَأِنْ سَكَّتَتْ أَعْيَا بَيَانِكَ آخِرُهُ
يُسَايِرُهَا فِي لَحْنِهَا وَتُسَايِرُهُ⁷
بِأَنْفَسٍ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ بَنَاصِرُهُ⁸
إِذَا عَزَفَتْ فَلْيُسْكِتِ العُودَ وَاتِرُهُ⁹
كَمَا فَسَّرَ الحُلْمَ المَحَجَّبَ عَابِرُهُ
فَتَفَتَّرَ عَنْ زُهِرِ النُّجُومِ مَشَاغِرُهُ¹⁰
إِلَى شَعْرِهِ الدَّاجِي فَطَالَتْ غَدَائِرُهُ
وَطَاشَ بِهِ نَائِي الطَّرِيقِ وَجَائِرُهُ¹¹

جَفَا الرِّوْضَ مُغَبَّرَ الأَسَارِيرِ مَا طِرُّهُ!
ذَوَى نَبْتُهُ بَعْدَ البَشَاشَةِ وَارْتَمَتْ
تَلَفَّتْ: أَيْنَ الرِّوْضُ، أَيْنَ مَكَانُهُ
وَأَيْنَ الَّذِي لَمْ يَطْرُقِ الأَذَنَ مِثْلُهُ
حَمَائِمُ أَلْهَاهَا النِّعِيمُ عَنِ البُكََا
إِذَا أُرْسَلَتْ أَلْحَانُهَا فِي حَمِيلَةٍ
لَهَا صَوْتُ دَاوُدَ وَحُسْنُ رَنِينِهِ
إِذَا بَدَأَتْ أَشْجَاكَ أَوَّلُ صَوْتِهَا
وَأِنْ هَتَفَتْ فِي الدَّوْحِ مَالَ كَأَنَّمَا
تَحَدَّتْ فُنُونُ المَوْصِلِيِّ وَطَوَّحَتْ
أَوَّلِيكَ أَوْتَارُ الإِلَهِ وَصُنْعُهُ
أَلَمْتُ بِأَسْرَارِ النُّفُوسِ فَتَرَجَمْتُ
يُصِيخُ إِلَيْهَا أَسْوَدَ اللَّيْلِ بِاسِمًا
يَوَدُّ لَوْ أَنَّ الغَيْدَ ضَمَّتْ شُعُورَهَا
وَيَرْجُو لَوْ أَنَّ الفَجْرَ عَوَّقَ خَطْوَهُ

وَزَلْتُ بِشُطَّانِ الْمَجَرَّةِ رِجْلَهُ
سَلِ الرُّوْضِ إِنْ أَصَعْتُ إِلَيْكَ رَسُومَهُ
وَأَيْنَ الْغَدِيرِ الْعَذْبُ طَابَ وَرُودُهُ
إِذَا فَاضَ بَيْنَ الزَّهْرِ تَحَسَّبُ أَنَّهُ
تَأَزَّرَ مِنْ أَثْوَابِهِ الرُّوْضُ وَاحْتَسَى
تَدَوُّرَ بِهِ جَمِّ الْبَلَابِلِ مُطَرِّقًا
وَتُصْغِي، فَلَا يَجْتَازُ سَمْعَكَ نَغْمَةً
وَتَدْعُو، فَلَا تَلْقَى مُجِيبًا سِوَى النَّوَى
وَقَفْتُ بِهِ، وَالْقَلْبُ يَحْبِسُ وَجْدَهُ
وَمَا وَقَفْتِي بَيْنَ الرِّيَاضِ وَقَدْ عَفَتْ
أَرَى! مَا أَرَى إِلَّا غُبَارًا أَثَارَهُ
مَضَى الطَّائِرُ الصَّدَاحُ فَالْأَفَقُ مُوجِشٌ
وَأَوْدَى (الرَّهَآوِي) فَانْتَهَى مَلْعَبُ النُّهَى
أَقَامَ عَلَى رَغَمِ النُّبُوغِ بِحُفْرَةٍ
وَعَادَرَ عَرْشَ اللُّوْذَعِيَّةِ رَبُّهُ
دَعَاوُ زَكَرَ إِعْجَازَ الْبَيَانِ وَسِرَّهُ
لَهُ خَاطِرٌ لَوْ سَابِقَ الْبَرْقِ فِي الدُّجَى
تَمَلَّكَ حُرَّ الشَّعْرِ سَنُ يَزَاعِهِ
تَمَنَّى الْعَدَارَى لَوْ تَقَلَّدَنَ دُرَّهُ
وَيُزْهِهِ الْعُيُونُ الدُّعْجَ أَنْ سَوَادَهَا
وَمَا جَاشَتْ الصَّهْبَاءُ إِلَّا لِأَنَّهَا
تَمُرُّ بِهِ مَرًّا فَيَسْبِيكَ بَعْضُهُ
تَرَى فِيهِ هَذَا الْكُونُ صُورَةً حَاقِقَ
وَتَلْمَحُ فِيهِ الرَّأْيَ فِي بُعْدِ غَوْرِهِ
وَتَلْقَى بِهِ الْإِدْيَ فِي ثَوْرَانِهِ
لَهُ قَلَمٌ لَوْ لَامَسَ الطُّرْسَ مَرَّةً
لَقَدْ كَانَ مِنْظَارَ النُّفُوسِ فَلَمْ يَجُلْ

فَطَوَّحَهُ فِي غَمْرَةِ الْيَمِّ زَاخِرُهُ^{١٢}
مَتَى رُوِعَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَاَزَرُهُ؟^{١٣}
لِذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي وَطَابَتْ مَصَادِرُهُ؟^{١٤}
يَمَانِي بُرْدِ أَذْهَلِ التَّجَرِّ نَاشِرُهُ^{١٥}
فَرَّقَتْ حَوَاشِيهِ، وَطَالَتْ مَا زَرُهُ^{١٦}
وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الدَّهْرَ ذَارَتْ دَوَائِرُهُ^{١٧}
سِوَى أَنَّهُ يُلْهِي بِهَا الْحَزْنَ قَاهِرُهُ
تُطَارِحُ مَطْوِيَّ الْأَسَى وَتُحَاوِرُهُ^{١٨}
فِي طَعْنِي، وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَنْهَلُ بَايِرُهُ^{١٩}
سِوَى حَاجَةٍ يَقْضِي بِهَا الْحَقَّ نَازِرُهُ^{٢٠}
خَمِيسُ اللَّيَالِي حِينَمَا ثَارَ ثَائِرُهُ^{٢١}
حَزِينُ النَّوَاجِي، عَابَسَ الْوَجْهَ بَاسِرُهُ^{٢٢}
وَأُطْفِئَتْ الْأَنْوَارُ، وَانْفَضَّ سَامِرُهُ^{٢٣}
وَسَارَتْ عَلَى رَغَمِ الْمَنُونِ سَوَائِرُهُ^{٢٤}
وَخَلَّى نَدْيِي الْعَبْقَرِيَّةَ شَاعِرُهُ^{٢٥}
فَقَدْ غَابَ عَنْهُ طِيلَةُ الدَّهْرِ سَاحِرُهُ
لَجَلَّى عَلَى بَرْقِ السَّمَوَاتِ خَاطِرُهُ^{٢٦}
فَيَا عَجَبًا أَنْ حَرَّرَ الشَّعْرَ أَسِرَّهُ^{٢٧}
وَرَفَّتْ عَلَى أَجْيَادِيهِنَّ جَوَاهِرُهُ
شَبِيهٌ بِمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ مَحَابِرُهُ^{٢٨}
وَقَدْ صَفَّقُوا مَشْمُولَهَا، لَا تُنَاطِرُهُ^{٢٩}
وَتَقْرُوهُ أُخْرَى، فَيَسْبِيكَ سَائِرُهُ^{٣٠}
أَحَاطَتْ بِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ بَصَائِرُهُ
كَمَا غَاصَ تَحْتَ الْمَاءِ لِلدَّرِّ ذَاخِرُهُ^{٣١}
إِذَا عَقَلُهُ الْجَبَّارُ مَارَتْ مَوَائِرُهُ^{٣٢}
تَدَانِي لَهُ صَعْبُ الْقَرِيضِ وَنَافِرُهُ^{٣٣}
بِنَفْسِ هَوَى إِلَّا وَطَرَفَكَ نَاطِرُهُ^{٣٤}

وحاضِرُ تاريخِ الحَيَاةِ وَغَايِرُهُ^{٣٥}
تَهَابُ الرُّوَاسِي حَدَّهُ وَتَحَاذِرُهُ^{٣٦}
زِنَابُ الدُّنَايَا شُرَّدًا وَهُوَ شَاهِرُهُ^{٣٧}
يُصَاوِلُ مَنْ يَرْمِي بِهَا وَيُغَاوِرُهُ^{٣٨}
يَقُولُ الْفَتَى مَا لَمْ تَرِدْهُ سَرَائِرُهُ^{٣٩}
مَظَاهِرُهُ نَفْسٌ، وَنَفْسٌ مَخَابِرُهُ^{٤٠}
وفي الْحَانَ قَدْ نَمَتْ عَلَيْهِ سَتَائِرُهُ^{٤١}
رِيَاءً، وَمِنْ خَلْفِ اللِّسَانِ جَرَائِرُهُ^{٤٢}
فَمَاذَا يُفِيدُ الْمَرْءَ فِي الْحَرْبِ بَاتِرُهُ؟
وَكَيْفَ ثَوَى بَعْدَ التَّلَهُّفِ حَائِرُهُ؟^{٤٣}
كَثِيرِ التَّلَظُّنِّي أَبْصَرَ الصُّبْحَ سَاهِرُهُ؟^{٤٤}

يَلُوحُ بَعِيدُ الرَّأْيِ خَلْفَ زُجَاجِهِ
بَرَاهِ إِلَهُ الْخُلُقِ عَزَمًا وَجُرْأَةً
وَصَوْرَهُ غَضَبًا تَفَرُّ لِهَوْلِهِ
كَأَنَّ عَصَا مُوسَى أُعِيدَتْ بِكَفِّهِ
يَقُولُ جَرِيئًا مَا يُرِيدُ، وَرُبَّمَا
وَكَمْ مِنْ فَتَى يَقْضِي بِنَفْسَيْنِ عَيْشَهُ
تَرَاهُ مَعَ النَّسَاكِ فِي خَلَوَاتِهِمْ
لِسَانًا كَمَا طَالَ الْجَرِيرُ مُسَبِّحُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ قَلْبُكَ بَاتِرًا
حَنَانًا لَهُ! كَيْفَ اسْتَقَرَّتْ بِهِ النُّوَى؟
وَهَلْ بَعْدَ لَيْلٍ فِي الْحَيَاةِ مُؤَرِّقُ

* * *

نُراوِحُهُ أَلَمُهُ وَتُبَاكِرُهُ^{٤٥}
كَطِيفِ خَيَالٍ أَرَقَّ الصَّبِّ زَائِرُهُ
وَلَوْلَا الْمُنَى لَمْ يَبْذُرِ الْحَبَّ بَاذِرُهُ^{٤٦}
وَفَكَرَ فِي غَايَاتِهِنَّ - مَقَابِرُهُ^{٤٧}
يُسَاوِرُنِي حِينًا وَحِينًا أُسَاوِرُهُ^{٤٨}
لِيَلْقَاهُ فِيهَا أَهْلُهُ وَعَشَائِرُهُ
وَسَالِفُهُ الزَّاهِي الْمَجِيدُ وَحَاضِرُهُ^{٤٩}
فَسَارِ مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي الْأَفْقِ سَائِرُهُ
تَسَاوَتْ بِهِ أَصَالُهُ وَهَوَاجِرُهُ^{٥٠}
وَزَاهِرُ مُلِكِ الْفَاتِحِينَ وَبَاهِرُهُ^{٥١}
فَهَذِي مَغَانِيهِ، وَهَذِي مَنَايِرُهُ^{٥٢}
كَمَا لَمَعَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ زَوَاهِرُهُ^{٥٣}
وَدَوَّتْ بِأَفَاقِ الْبِلَادِ مَفَاخِرُهُ^{٥٤}
وَأَغْزَرَ مِنْ مَاءِ السَّحَابِ هَامِرُهُ^{٥٥}
فَجَلَّتْ مَرَامِيهِ، وَطَابَتْ عَنَاصِرُهُ^{٥٦}

شَقَقْتُ إِلَيْكَ الطَّرِيقَ وَالْقَلْبُ خَافِقُ
تَذَكَّرُ الْأَفْأَ أَلَمُوا فَوَدَّعُوا
وَنَحْنُ حَيَاةٌ، وَالْحَيَاةُ إِلَى مَدَى
وَإِنَّ الْمَهْودَ الزَّهَرَ - لَوْ عَلِمَ الْفَتَى
سَمَوْتُ إِلَى بَغْدَادِ وَالشُّوقُ نَحْوَهَا
كِلَانَا نَأَى عَنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرِهِ
حَبِيبَ إِلَى نَفْسِي الْعِرَاقُ وَأَهْلُهُ
دِيَارُ بِهَا الْإِسْلَامُ أَرْسَلَ ضَوْءَهُ
وَمَدَّتْ بِهَا الْأَدَابُ ظِلًّا عَلَى الْوَرَى
تَجَلَّى بِهَا عَهْدُ الرَّشِيدِ وَعِزُّهُ
إِذَا شِئْتَ مَجْدَ الْعُرْبِ فِي عُقُوفَانِهِ
أَطَلَّتْ عَلَى الدُّنْيَا فَأَبْصَرْتَ الْهُدَى
تَفَاخَرُ بِالْغَايِ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ
هُوَ الْمَلِكُ الْأَمْضَى مِنْ شَبَا السَّيْفِ عَزْمُهُ
نَمَاهُ بِنَاءُ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

أَعَادَ إِلَى عَهْدِ الْبَيَانِ شَبَابَهُ فَهَبْ فَتِيًّا يَنْفُضَ التُّرْبَ دَائِرُهُ^{٥٧}
يُرِيكَ بِهِ الْمَنْصُورَ مَا تُورُ حَزْمَهُ وَتُذَكِّرُكَ الْمَهْدِيَّ فِيهِ مَآثِرُهُ^{٥٨}
ذَكَرْنَا اسْمَهُ طُولَ الطَّرِيقِ فَذَلَّلْتُ مَصَاعِبُ مَنَنِهِ وَضَاعَتْ دِيَا جِرُهُ^{٥٩}

* * *

جَمِيلٌ، نِدَاءٌ مِنْ أَخٍ يَقْدُرُ النُّهَى وَإِنْ لَمْ يُمَتَّعْ بِاجْتِلَاثِكَ نَاضِرُهُ
عَرَفْتُكَ فِي آثَارِكَ الْغُرِّ مِثْلَمَا تُنَبِّئُ عَنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ بِشَائِرِهِ^{٦٠}
عَرَفْتُ (جَمِيلًا) فِي جَمِيلِ بَيَانِهِ يُشَاطِرُنِي وَجْدَانَهُ وَأُشَاطِرُهُ
تُجَاوِرُنِي فِي دَوْحَةِ النَّيْلِ رُوحُهُ وَرُوحِي بِدَوْحِ الرَّافِدَيْنِ تُجَاوِرُهُ^{٦١}
إِذَا اجْتَمَعَ الْقُلُبَانِ فَالْكُونُ كُلُّهُ مَكَانٌ، وَإِنْ شَقَّتْ وَطَالَتْ مَعَايِرُهُ^{٦٢}
لَنَا نَسَبٌ فِي الْمَجْدِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا تَعَالَتْ أَوَاسِيهِ، وَشَدَّتْ أَوَاصِرُهُ^{٦٣}
أَلْسَنَا حُمَاةَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ مُحْفِلٍ تَتِيهِ بِنَا فِي كُلِّ أَرْضٍ مَنَابِرُهُ؟

* * *

صَبَبْتُ عَلَيْكَ الدَّمَعَ سَحًّا، وَمَدَمَعِي غَزِيرٌ، وَلَكِنْ أَجُودُ الدَّرِّ نَادِرُهُ^{٦٤}
وَأَرْسَلْتُ فِيكَ الشَّعْرَ لَوْعَةً مُوجِعَ تَتِنُ قَوَافِيهِ، وَتَبْكِي صَدَائِرُهُ^{٦٥}
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ نُورًا وَرَحْمَةً وَغَادَتِكَ مِنْ سَيِّبِ الْإِلَهِ مَوَاطِرُهُ^{٦٦}

هوامش

(١) الأساريير: الخطوط في الوجه. اغبرار الأساريير: كناية عن العبوس والتجهم. ويريد بالطائر: الفقيد.

(٢) ذوى: ذبل. ويريد بالبشاشة: اخضرار النبات وتفتح أزهاره. مصوحة: يابسة ذابلة. الأزاهر: الأزهار.

(٣) مجاليه: ما تجتليه وتستمتع به من محاسن الروض. البواكر: أول ما يدرك من الثمر والزهر.

(٤) المزاهر: هو العود يضرب به.

(٥) الخميلة: الشجر الكثير الملتف. عاطر الزهر: الرائحة العطرة منه.

- (٦) داود: هو نبي الله داود — عليه السلام — وقد وهب الله له صوتاً عذباً رخيماً.
المتن: الظهر. مزامره: ما كان يترنم به من الأدعية والأناشيد.
- (٧) الدوح: العظيم من الشجر. الواحدة، دوحة.
- (٨) يريد بالموصلي إبراهيم أو ابنه إسحاق، وكلاهما له في الغناء والضرب شهرة واسعة. طوحت: نبذت وطرحت. البناصر: جمع بنصر، وهي الأصبع التي بين الوسطى والخنصر.
- (٩) واطر العود: الذي يشد أوتاره ليضرب عليها.
- (١٠) يصيخ: يلقي إليها بسمعه هادئاً ساكناً. وتفتر: تنفرج. زهر النجوم: الوضاعة المتلاثلة. المشافر: الشفاة وهي في الأصل للبعير، ثم استعملت للإنسان.
- (١١) جائره: غير السوى.
- (١٢) الشطآن: جمع شاطئ. المجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر، وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بياض مختلط، والعرب تشبهها بالنهر. زاخره: مياهه الطامية.
- (١٣) رسومه: ما بقي من آثاره. والأطلاء: أولاد الأطباء. الواحد. طلا (بالتحريك). الجازر: أولاد البقر الوحشي. الواحد: جؤذر.
- (١٤) الورود والمصادر: إتيان الماء والرجوع عنه.
- (١٥) البرد اليماني: نوع من الثياب مخطط موشى. التجر: التجار. الواحد تاجر.
- (١٦) تأزر: لبس الإزار، وهو الثوب. الحواشي: جوانب الثوب، ويكنى برقة الحواشي عن الحسن والجمال، كما يكنى بطول المئزر عن التيه والدلال.
- (١٧) البلابل: الوسواس والهم الشديد.
- (١٨) النوى: الفرقة والشتات. المطارحة: المحاورة. مطوي الأسى: الحزن الكمين.
- (١٩) الوجد: شدة الحزن. ينهل: ينصب في شدة. بادر الدمع: ما يسبق منه.
- (٢٠) عفت: درست وانمحت. وناذر الحق: من أوجب على نفسه قضاءه والوفاء به.
- (٢١) الخميس: الجيش. خميس الليالي: شدائدها وهمومها التي تكرر بها وتعدو. ثار ثأره: هاج هائجه.
- (٢٢) عابس الوجه بأسره: أي إن صفحته قد حالت من إيناع وازدهار إلى ذبول وجفاف.
- (٢٣) أودى: مات. النهى: العقول، الواحدة: نهية. ملعب النهى: حيث تتبارى العقول في الإتيان بكل عجيب. السامر: الجماعة من الناس يسمرون ليلاً.

- (٢٤) سوائره: أي ما سار وذاع مما يؤثر له ويحفظ.
- (٢٥) اللوذعية: الفصاحة والبيان. ربه: أي صاحب العرش. الندى: مجتمع القوم.
- العبقرية: النبوغ وبلوغ الغاية. ويريد بندق العبقرية: مجتمع رجالها اللسن.
- (٢٦) الدجى: الظلام. جلى عليه: سبقه.
- (٢٧) اليراع: جمع يراعة، وهي القلم. تحرير الشعر: تخليصه من شوائبه وعيوبه.
- (٢٨) يزهي العيون: يجعلها مزهوة فخورة. الدعج: السود.
- (٢٩) جاشت: اضطربت. ويريد فورة الخمر في الكأس. الصهباء: الخمر. التصفيق: تحويل الشراب من إناء إلى إناء ليصفو. المشمولة: الخمر، أو الباردة منها؛ لأنها تشمل الناس بريحتها، أو لأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال.
- (٣٠) يسبيك: يأسرك بسحره وجماله. السائر: البقية.
- (٣١) الغور: العمق. الذاخر: الذي يجمع الدر ويحفظه.
- (٣٢) الأذي: الموج. ومارت موائره: ثار ثائره وهاج هائجه.
- (٣٣) الطرس: الصحيفة يكتب فيها. نافره: ما استعصى على الذهن وند عن الخاطر.

- (٣٤) المنظار: آلة مكبرة. لم يجل: لم يخطر ولم يمر.
- (٣٥) يلوح: يظهر. بعيد الرأي: خفيه غير البين منه. الغابر: الماضي.
- (٣٦) براه: سواه. وبري القلم معروف. الرواسي: الجبال الثابتة شموخاً وعظمة. حده: سنه.
- (٣٧) العضب: القاطع من السيوف. ذئاب الدنيا: أي الدنيا التي هي كالذئاب عدواناً على الفضيلة وافتراساً للخصال الحميدة. شرداً: متفرقة مشتتة. وشاهره: رافعة للقتال.

- (٣٨) موسى: هو نبي الله موسى بن عمران — عليه السلام — ومعجزته في عصاه مشهورة. يصول: من الصول، وهو الاستطالة والغلبة. يغاوره: من الإغارة.
- (٣٩) السرائر: جمع سريرة، وهي ما يبطنه المرء.
- (٤٠) يقضي عيشه: يصرف حياته.
- (٤١) النساك: جمع ناسك، وهو العابد الزاهد في متاع الحياة. الحان: حيث تباع الخمر. الواحدة حانة. نمت: أذاعت وفضحت.
- (٤٢) الجرير: حبل يجعل للبعير، ويريد الحبل عامة. الجرائر: الشرور والآثام، الواحدة جريرة.

- (٤٣) النوى: البعد والفرقة. ثوى: هداً واستقر، ويريد بحائره: فكره، ووصفه بالحيرة؛ لأنه كان صاحب رأي وفلسفة كثير الشك في حقائق الكون.
- (٤٤) مؤرق: يأرق فيه الإنسان. التظني: الظن والشك. ويريد بالصبح: نور الحق. ساهره: أي الذي يسهر الليل ولا ينام فيه أرقاً.
- (٤٥) خافق: مضطرب حزناً ووجدًا. تراوحه وتباكره: أي تعاوده صباحاً ومساءً.
- (٤٦) المدى: الغاية.
- (٤٧) المهود: جمع مهد، الزهر: ذوات البهجة والحسن.
- (٤٨) سموت إلى بغداد: أي قصدت إليها، وفي تعبيره عن القصد بالسمو دليل على رفعتها وشرف مكانتها.
- (٤٩) سالفه: ماضيه. الزاهي: الحسن اللامع بمجده وحضارته.
- (٥٠) الأصال: جمع أصيل، وهو الوقت قبل الغروب. الهواجر: حيث يشتد الحر عندما ينتصف النهار.
- (٥١) تجلّى: ظهر وأشرق. الرشيد: هو الخليفة العباسي هارون الرشيد.
- (٥٢) عنفوانه: مقتبل عهده وأول عزه وبهجته. والمغاني: جمع مغنى، وهو المنزل غني به أهله. منائره: جمع منارة.
- (٥٣) جنح الليل (بالكسر والضم): الطائفة منه. زواهره: كواكبه المضيئة.
- (٥٤) الغازي: هو ملك العراق في ذلك الوقت. دوت مفاخره: أي علت أصوات الناس بذكرها، فسمع لهم كالدوي لكثرتهم.
- (٥٥) شبا السيف: حده. الهامر: الهائل المنصب.
- (٥٦) نماه، أي: ارتفع بالانتساب إليهم. آل هاشم: نسبة إلى جدهم هاشم بن عبد مناف، أحد أجداد الرسول ﷺ. جلت: عظمت. مراميه: غاياته. العناصر: الأصول.
- (٥٧) فتياً: قوياً. الدائر: الدارس البالي.
- (٥٨) المنصور والمهدي: من خلفاء الدولة العباسية، وقد تبوأ الدولة في عهد الأول مكاناً عالياً، وعرف ثانيهما بالجود والعطاء. مأثور حزمه: حزمه الذي يؤثر عنه ويخلد. أمآثره: أعماله الباقية على الزمن.
- (٥٩) متنا الطريق: ناحيته، وهما اللذان يكون السير فيهما. دياجره: ظلماته، الواحدة ديجور.
- (٦٠) الغر: الناصعة البيضاء. البشائر: جمع بشارة، وهي الأخبار بخبر محبوب ترغب فيه.

- (٦١) دوحة النيل: رياض مصر، الدوحة (في الأصل): الشجرة العظيمة المتسعة
الظل. الرافدان: دجلة والفرات.
- (٦٢) شقت: صعبت وامتنعت على السالك. المعابر: الطريق يعبر فيها.
- (٦٣) الأواسي: الدعائم. الواحدة: آسية. الأواصر: جمع آصرة، وهي القرابة والصلة.
- (٦٤) سحا: مدرارًا.
- (٦٥) يريد بالقوافي والصدائر: أواخر الأبيات وأوائلها.
- (٦٦) غاداه: باكره. السيب: العطاء. المواطر: السحب الماطرة. والعرب إذا دعت
لميت بالرحمة سألت الله أن يمطر قبره.

افتتاحُ الإذاعة

ألقيت بدار الإذاعة يوم الاحتفال بافتتاحها في ٣١ من مايو سنة ١٩٣٤م.

وَيَمْلَأُ الْأَفَقَ تَغْرِيدًا بِالْحَانِي
بَدَائِعُ الْحُسْنِ مِنْ آيَاتِ عَدْنَانٍ^١
مِنَ الرِّيَّاحِ فَقَدْ أَلْقَتْ بِأَرْسَانٍ^٢
وَنَاغٍ مَا شَتَّتَ مِنْ وَرْدٍ وَرِيحَانٍ
فَامْلَأْ مَدَاهُ بِصَوْتِ مَنْكَ رَنَّانٍ
صَوْبُ الْحَيَا وَنَدَى كَفَّيْهِ سَيَّانٍ^٣
مِنْ (عَابِدِينَ) فَطُفْ مِنْهَا بِأَرْكَانٍ^٤
ضَافِي الْمَهَابَةِ عَالِي الشَّأْوِ وَالشَّانِ^٥
فَلَمْ يُطَاوِلْ عُلاَهُ أَيْ بُنْيَانٍ
فِي بُهْرَةِ الْمُلْكِ مِنْ صَرْحٍ وَإِيوانٍ^٦
لَا مَا يَرَى النَّاسُ مِنْ صَخْرٍ وَصَوَّانٍ
يُزْهِى بِهِ الشَّعْبُ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ
مَا ضَمَّهُ الْقَلْبُ مِنْ نُبْلِ وَإِيمَانٍ^٧

يَا سَارِي الشُّعْرِ يَطْوِي الْجَوَّ فِي آنٍ
يَخْتَالُ فِي بُرْدَةِ الْفُضْحَى وَتُسْعِدُهُ
سِرُّ أَيُّهَا الشُّعْرُ وَارْكَبْ كُلَّ نَاجِيَةٍ
سِرِّ بِالرِّيَاضِ وَخُذْ مِنْهَا نَضَارَتَهَا
الْكُونُ أَذُنٌ لِمَا تُلْقِيهِ وَاعِيَةٍ
وَبَلِّغِ الْأَرْضَ أَنَا فِي حِمَى مَلِكٍ
وَإِنْ تَزُرُّ كَعَبَةَ الْأَمَالِ مُشْرِقَةً
وَقِفْ وَأَطْرِقْ خُشُوعًا أَنْتَ فِي قُدْسٍ
قَصْرٌ بَنَاهُ بُنَاةُ الْمَجْدِ مِنْ هَمَمٍ
فَأَيْنَ كِسْرَى وَمَا أَعْلَى مَشَارِفُهُ
أَسَاسُهُ عَزَمَاتُ جَلٍّ خَالِقُهَا
يُطِلُّ مِنْهُ عَلَى آمَالِنَا مَلِكٍ
فِي وَجْهِهِ قَسَمَاتٌ قَدْ دَلَّلْنَ عَلَى

* * *

وَأَيَّقِظُوا مِنْ بَنِيهَا كُلَّ وَسْنَانٍ^٨
تَعُدُّوْا إِلَى الْمَجْدِ فِي جِدٍّ وَإِمْعَانٍ^٩

يَا ابْنَ الْأَلَى بَعَثُوا مَصْرًا لِنَهْضَتِهَا
وَأَرْسَلُوهَا إِلَى الْعَلْيَاءِ فَاَنْطَلَقَتْ

كَأَنَّهَا تَبْتَغِي فِي الشَّمْسِ حَاجَتَهَا
أَثَارُهُمْ فِي ضِفَافِ النَّيْلِ مَائِلَةٌ
كَأَنَّهَا وَهْيَ فِي الْوَادِي قَدْ انْتَثَرَتْ
جَاءُوا بِمَا عَزَّ فِي الْأَذَانِ مَسْمَعُهُ
فِي بَاحَةِ السَّلَامِ كَانُوا رَحْمَةً وَهْدَى
قَدْ حَاوَلُوا الصَّعْبَ حَتَّى ذَلَّ شَامِسُهُ
أَوْ أَنَّهَا أَوْدَعَتْ سِرًّا لَكِيَّوَانٌ^{١٠}
أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ رَضْوَى وَثِلَانٌ^{١١}
عَقْدُ تَنَاسَّرَ عَنْ دُرٍّ وَعَقِيَانٌ^{١٢}
عَنِ الْمُلُوكِ وَلَمْ تُبْصِرْهُ عَيْنَانِ
وَفِي الْكَرْبِيهَةِ كَانُوا أَسَدَ حَقَّانٍ^{١٣}
وَمَالَ بِالرَّأْسِ عَنْ يُسْرِ وَإِمَّكَانٍ^{١٤}

غَفَرَا (فَوَادُ) أَبَا (الْفَارُوقِ) إِنْ عَجَزَتْ
حَاوَلْتُ تَصْوِيرَهَا جَهْدِي فَمَا اتَّسَعَتْ
وَالْبَحْرُ تُبْصِرُ جُزْءًا حَوْلَ سَاحِلِهِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَكُمْ فِي مِصْرٍ عَارِفَةٌ
نَشَرْتُ فِيهَا رُبُوعَ الْعِلْمِ زَاهِرَةٌ
غَرَسْتَهُ دَوْحَةً غَنَاءً وَارِفَةً
وَسَاسَنَا مِنْكَ رَأْيِي زَانَهُ خُلِقَ
الدِّينُ زَاهٍ وَوَجْهَ الْمُلْكِ مُؤْتَلِقُ
رَدَدْتُ لِلْغَةِ الْفُصْحَى بِشَاشَتِهَا
قَدْ ذَكَّرْتُهَا أَيَادِيكَ الَّتِي عَظُمَتْ
أَوَّلَيْتَهَا (مَجْمَعًا) طَابَتْ مَشَارِعُهُ
أَعَادَ فِي مِصْرٍ عَهْدًا لِلرَّشِيدِ مَضَى
سَعَتْ لِسَاحَتِكَ الدُّنْيَا وَيَمَّمَهَا
عَنْ عَدِّ آلَيْكَ الْغُرَاءَ أَوْزَانِي^{١٥}
لِبَعْضِ ذَلِكَ الْوَاحِي وَالْوَانِي
وَلَيْسَ فِي دَرْكِهِ طَوْقٌ لِلنَّسَانِ
فِي طَيْهَا مِنْ نَدَاكُمُ أَلْفُ بُرْهَانٍ^{١٦}
جَلَالَةُ الْمُلْكِ فِي عِلْمٍ وَعِرْفَانٍ^{١٧}
قَدِ صَاغَهُ اللَّهُ مِنْ رَفَقٍ وَإِحْسَانِ
كَالرَّوْضِ جَادَ ثَرَاهُ صَوَّبَ هَتَّانٍ^{١٨}
مِنْ بَعْدِ أَنْ هَجَرْتَهَا مِنْذُ أَرْزَمَانِ
مَنَازِلَ الْعِزِّ فِي دَارَاتِ قَحْطَانٍ^{١٩}
وَبَلَّ مِنْهُ صَدَاهُ كُلُّ صَدْيَانٍ^{٢٠}
أَيَّامَ أَشْرَقَتِ الدُّنْيَا (بِبَغْدَانِ)^{٢١}
جَهَابُ الْقَوْمِ مِنْ قَاصٍ وَمِنْ دَانِي^{٢٢}

هَذِي الْإِذَاعَةُ يَا مَوْلَايَ قَدْ نَطَقْتُ
مِنْ قَبْلِهَا سَارَ سَيْرَ الشَّمْسِ ذِكْرُكُمْ
أَنْشَأْتُهَا جَنَّةً غَنَّتْ بِلَابِلِهَا
فِيهَا الثَّقَافَاتُ أَلْوَانُ مُنَوَّعَةٌ
قَدْ أَصْبَحَتْ مَنَهْلًا يَسْعَى لِطَالِبِهِ
بِمَا بَدَلْتُ بِإِفْصَاحٍ وَتَبْئِيَانِ
يَطْوِي الْجَوَاءَ بِأَقْطَارٍ وَبُلْدَانٍ^{٢٣}
وَعَرَدَتْ بَيْنَ أَوْرَاقٍ وَأَغْصَانِ
تُرْجَى إِلَى الشَّعْبِ مِنْ أَنْ إِلَى أَنْ^{٢٤}
فَاعْجَبْ إِلَى مَنَهْلٍ يَسْعَى لِظُمْآنٍ^{٢٥}

عَشْ لِلْبَلَادِ (أَبَا الْفَارُوق) نُورَ هُدًى
وَعَاشَ فَارُوقٌ لِلدُّنْيَا يُجَمِّلُهَا
لَمَّا دَعُوهُ أَمِيرًا لِلصَّعِيدِ سَمَا
لَا زَالَ زِينَةُ عَهْدٍ طَابَ مَوْرِدُهُ
وَأَعْلَى رَايَتَهَا فِي كُلِّ مَيْدَانٍ
وَيَزْدَهِي بِمَحَيَّاهُ الْجَدِيدَانِ^{٢٦}
بِهِ الصَّعِيدِ وَأَضْحَى جِدَّ جَذْلَانٍ
مُجَمَّلٍ بِجَلَالِ الْمُلْكِ مُزْدَانٍ

هوامش

- (١) البردة: الثوب. الفصحى: اللغة العربية، عدنان: من أجداد العرب الذين تنتهي إليهم العربية ويعرفون بالفصاحة.
- (٢) الناجية: الناقة السريعة تنجو بمن ركبها. شبه بها الرياح في حملها الأخبار حافظة لها أمينة عليها. الأرسان: جمع رسن (بالتحريك) وهو الزمام. وإلقاء الرياح بالأرسان كناية عن لينها وسهولة قيادها.
- (٣) الحيا: المطر. صوبه: انصبابه ونزوله. ندى كفيه: عطاؤهما وبذلها.
- (٤) الكعبة: البيت الحرام بمكة وإليه يتجه المسلمون حجاً وصلاة. عابدين: قصر الملك في القاهرة.
- (٥) الشأو: الغاية والمدى. الشان (بالتسهيل): الشأن (بalehزة).
- (٦) كسرى (بكسر الكاف وفتحها): لقب ملك الفرس. ويريد بمشارفه: ما بني من قصور عالية. البهرة من كل شيء: وسطه. الصرح: القصر وكل بناء عال. الإيوان: الصفة العظيمة، وكانت تتخذ لجلوس الملك (الصفة: بناء ذو ثلاثة حوائط).
- (٧) القسمات: جمع قسمة (بكسر السين وفتحها) وهي ما تنطق به أسارير الوجه ولامحه من حسن وجمال.
- (٨) الوسنان: النائم الغافل.
- (٩) الإمعان في السير: الإسراع.
- (١٠) كيوان: اسم زحل (بالفارسية).
- (١١) ضفاف النيل: شواطئه ويريد مصر. رضوى وثهلان: جبلان بالحجاز.
- (١٢) العقبان: الذهب الخالص.
- (١٣) الباحة: الساحة. الكريهة: الحرب وشدتها. خفان (كحسان): مأسدة قرب الكوفة يضرب المثل بأسادها في البطش والقوة.

- (١٤) الشامس: الفرس الجموح. مال بالرأس: أي خضع.
- (١٥) الآلاء: النعم. الغراء: الحسنه المشهوره. أوزاني: أي قصائدي.
- (١٦) العارفة: العطية والمعروف. الندى: الكرم.
- (١٧) ربوع العلم: دوره.
- (١٨) الهتان: المطر فوق الهطل. صوبه: انصبابه.
- (١٩) الدارات جمع دارة. وهي المحل يجمع البناء والعرضه. وتطلق أيضًا على القبيلة وكلاهما مراد هنا. قحطان: هو ابن عابر، وهو جد عرب اليمن. وفيهم كان للعربية مجدها الأول.
- (٢٠) يريد بالمجمع: مجمع اللغة العربية الذي أنشأه الملك فؤاد الأول سنة ١٩٣٣م. المشارع: موارد الشاربه. الواحد: مشرع ومشرعة (بفتح الراء). وبـل صـداه: أروى ظمأه وشفى غلته. الصديان: العطشان.
- (٢١) الرشيد: هو هارون الرشيد الخليفة العباسي الذي بلغت بغداد في عهده غايتها في الحضارة والعلوم. بغدان: اسم لبغداد.
- (٢٢) يمم: قصد. جهابذ لقوم: نقادهم العارفون بتمييز الجد من الرديء.
- (٢٣) الجواء: جمع جو.
- (٢٤) تزجي: تساق وتحمل.
- (٢٥) المنهل: المورد ينهل منه الضامئون.
- (٢٦) المحيا: الوجه. الجديدان: الليل والنهار. ولا يفردان فلا يقال للواحد منهما جديد.

ميلادُ الفاروق

تهنئة الملك فاروق الأول بعيد مولده، وقد قيلت هذه القصيدة في الحادي عشر من فبراير سنة ١٩٣٧ م.

نَجْمٌ تَأَلَّقَ فِي بَدِيعِ سَمَائِهِ	بَهَرَ الْوُجُودَ بِلَوْلُؤِيَّ ضِيَائِهِ
حَتَّى كَأَنَّ الصُّبْحَ مِنْ أَسْمَائِهِ ^١	لَيْسَ الْمَسَاءُ بِهِ غِلَالَةٌ مُسْفِرُ
لِلْمُشْرِقِ الْوَضَّاحِ فِي عَلَيَّائِهِ ^٢	وَتَطَامَنْتْ زَهْرُ الْكَوَاكِبِ هَيْبَةً
وَسَنَاوُهَا مِنْ بَعْدِ أَوْجِ سَنَائِهِ ^٣	هَيْهَاتَ! أَيْنَ ضِيَاوُهَا مِنْ ضَوْئِهِ
وَالنَّجْمُ يُعْرِفُ إِنَّ عَلَاً بِخَفَائِهِ	عَجَبًا! يَزِيدُ ظَهْرُهُ بِعُلُوِّهِ
مِنْهُ وَأَصْفَى مِنْ نَقْيِ صَفَائِهِ ^٤	مَا جَالَ فِي الْأَفَاقِ أَصْدَقُ جَوْهَرًا
وَيَفِيضُ مَاءَ الْبِشْرِ مِنْ لَأْلَائِهِ ^٥	يَلْقَاكَ نُورُ الْحَقِّ فِي لَمَحَاتِهِ
مِنْ عَبْقَرِيٍّ جَلَالِهِ وَرَوَائِهِ ^٦	أَيْنَ النُّجُومُ جَلَالُهَا وَرَوَاوُهَا

* * *

زَمَرُ الْوُجُودِ وَهَلَّلَتْ لِلِقَائِهِ ^٧	نَجْمٌ أَطَّلَ عَلَى الْوُجُودِ فَكَبَّرَتْ
مَعْقُودَةً أَبْصَارُهَا بِرَجَائِهِ ^٨	وَرَبَّتْ لَهُ الْأَمَالُ ظُمَأَى حَوْمًا
تِيهًا وَيَمَرِّحُ فِي مَدَى خَيْلَائِهِ	وَالنَّيْلُ سَارَ يَجْرُ مِنْ أَذْيَالِهِ
مِنْ نَسَجِ كَفِّهِ وَمِنْ إِيحَائِهِ	يَخْتَالُ مَا بَيْنَ الرِّيَاضِ وَكُلُّهَا
وَيُنَبِّهِ الْقُمْرِيَّ مِنْ إِغْفَائِهِ ^٩	وَيُفَتِّحُ الْأَزْهَارَ فِي أَكْمامِهَا
وَيُجَدِّدُ الْأَمَالَ سِحْرُ غِنَائِهِ ^{١٠}	يُصْغِي إِلَيْهِ يَهْزُ أَعْطَافَ الدُّجَى

(إِسْحَاقُ) لَمْ يُوْهَبْ عُذُوبَةُ صَوْتِهِ
 أَيْنَ الصَّنَاعَةُ وَالْفُنُونُ وَمَا حَوَتْ
 النَّيْلُ بِالْفَارُوقِ أَعْذَبُ مَوْرِدًا
 عَلِمْتَهُ صِدْقَ الْوَفَاءِ فَأَصْبَحْتُ
 وَمَنْحَتَهُ خُلُقَ الْعَطَاءِ فَغَرَّدْتُ
 لَمَّا عَلَوْتَ مَطَاهُ صَفَقَ مَوْجِهِ
 يَبْدُو السَّفِينُ بِهِ كَمَا تَبْدُو الْمُنَى
 أَوْ كَالْحَيَاةِ تَدْبُ فِي جِسْمِ امْرِئٍ
 أَوْ كَالصَّبَاحِ لِمُدْلَجِ حَبَطِ الدُّجَى
 أَوْ كَالْغَمَامِ رَأْتُهُ أَزْهَارُ الرَّبَا
 أَوْ كَابْتِسَامِ السَّعْدِ بَعْدَ قُطُوبِهِ
 يَجْرِي السَّفِينُ وَفَوْقَهُ الْمَلِكُ الَّذِي
 الدِّينَ وَالْأَخْلَاقُ مِلءُ جَنَانِهِ
 يَهْتَزُّ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ كَأَنَّهُ
 وَالنَّيْلُ يَجْتَازُ الْمُرُوجَ مُبَشِّرًا
 وَخَمَائِلُ الْوَادِي تَمُدُّ عُصُونَهَا
 قَالُوا لَهَا: جَاءَ الْغَمَامُ فَأَقْبَلْتُ
 وَالزَّهْرُ يَخْتَرِقُ الْكِمَامَ لِنَظَرِهِ
 قَدْ كَانَ يُزْهِى فِي الرِّيَاضِ بِحُسْنِهِ
 وَرَأَى نَضَارًا مِنْ شَبَابٍ يَنْحَنِي
 سَعِدَ (الصَّعِيدُ) وَأَهْلُهُ بِزِيَارَةِ
 سَأَلْتُ إِلَيْكَ بِهِ الْمَدَائِنُ وَالْقُرَى
 سَدُّوا الشُّعَابَ وَأَقْبَلْتُ أَرْسَالَهُمْ
 مَا بَيْنَ حَامِلِ قَلْبِهِ بِمِيمِنِهِ
 فَاَنْظُرْ إِلَى الْوَادِي الْفَسِيحِ فَهَلْ تَرَى
 كُلُّ دَعَاةِ الشُّوقِ فَاَنْتَهَبَ الْخُطَا
 وَطَلَعَتْ كَالْأَمَلِ الْوَسِيمِ يَحُفُّهُ

و(عَنَانُ) لَمْ تَمْنَحْ جَمَالَ أَدَائِهِ^{١١}
 فِي جَنْبِ صُنْعِ اللَّهِ فِي أَحْيَائِهِ؟
 مَاءُ الْحَيَاةِ ثُمَالَةٌ مِنْ مَائِهِ^{١٢}
 تَتَحَدَّثُ الدُّنْيَا بِصِدْقٍ وَفَائِهِ^{١٣}
 صَدَاخَةُ الْوَادِي بِفَضْلِ عَطَائِهِ
 بِشْرًا وَأَسْكَتَ وَجَدَهُ بَرْغَائِهِ^{١٤}
 لِلْيَأْسِ الْخَيْرَانِ فِي ظُلُمَائِهِ
 أَفْنَتَ شِكَايَتِهِ فُنُونَ إِسَائِهِ^{١٥}
 فَطَوَاهُ وَادِي النَّيِّهِ فِي أَحْشَائِهِ^{١٦}
 مِنْ بَعْدِمَا احْتَرَقَتْ لَطُولُ جَفَائِهِ^{١٧}
 أَوْ كَانْتَقِيَادِ الدَّهْرِ بَعْدَ إِبَائِهِ^{١٨}
 صَفِرَتْ يَدُ الْإِيَّامِ مِنْ نَظَرَائِهِ^{١٩}
 وَجَلَالَةُ الْأَمْلاكِ مِلءُ رَدَائِهِ^{٢٠}
 سَيْفٌ يُدِلُّ بِمَائِهِ وَمَضَائِهِ^{٢١}
 فَتَرَدُّ الْأَطْيَارُ مِنْ أَصْدَائِهِ
 وَتَوَدُّ لَوْ فَازَتْ بِلَمْحِ ضِيَائِهِ
 تَسْتَقْبِلُ الْآمَالَ فِي أَنْدَائِهِ^{٢٢}
 فَيَرُدُّهُ لِلْكِمِّ فَرَطُ حَيَائِهِ^{٢٣}
 فَرَأَى بِهِاءَ فَوْقَ حُسْنِ بِهِائِهِ
 أَزْهَى الْعُصُونِ نَضَارَةً بِإِزَائِهِ
 بَلَّتْ غَلِيلَ الشُّوقِ فِي أَرْجَائِهِ
 وَالبَدْرُ يُغْرِي الْعَيْنَ بِاسْتِجْلَائِهِ^{٢٤}
 كَالزَّائِرِ الْهَدَّارِ فِي ضَوْضَائِهِ^{٢٥}
 وَمُثَوِّبِ هَزِّ الرَّبَا بِدُعَائِهِ^{٢٦}
 إِلَّا قُلُوبًا فِي فَسِيحِ فَضَائِهِ؟
 فِي نَظَرَةِ تَشْفِيهِ مِنْ بَرْحَائِهِ^{٢٧}
 نُورُ الْمَهَابَةِ فِي جَلَالِ جَلَائِهِ

كَالْبَدْرِ فِي إِشْرَاقِهِ، وَالرَّوْضِ فِي
فِي مَوْكِبِ بَهْرِ الزَّمَانِ فَحَيَّرَتْ
عَجَزَ الْمُؤَرِّخِ أَنْ يَرَى أَشْبَاهَهُ
مَا نَالَهُ (الْمَنْصُورُ) فِي (بَغْدَادِهِ)
و(النَّيْلُ) لَمْ يَشْهَدْ جَلَالَه حَفْلِهِ
إِزْهَارِهِ، وَالْغَيْثِ فِي إِسْدَائِهِ
عَيْنَاهُ بَيْنَ جَمَالِهِ وَسَرَائِهِ^{٢٨}
فِيمَا طَوَاهِ الدَّهْرِ مِنْ أَنْبَائِهِ
يَوْمًا وَلَا الْأَمَلِكُ مِنْ خُلَفَائِهِ^{٢٩}
فِي عَهْدِ (حَفَرِعِهِ) وَلَا (مِينَائِهِ)^{٣٠}

أَرَأَيْتَ آثَارَ الْمُلُوكِ وَمَا بَنَوْا
وُلِدُوا وَشَمْسُ الْأَفْقِ فِي رِيْعَانِهَا
دَرَسُوا كِتَابَ الْكَوْنِ أَوَّلَ طَبِيعَةٍ
وَأَتَوْا مِنَ الْإِعْجَازِ مَا تَرَكَ النَّهْيُ
ذَهَبُوا وَلَمْ تَذْهَبْ صَحَائِفُ مَجْدِهِمْ
الْمَجْدُ فِي الدُّنْيَا سِجْلٌ خَالِدٌ
مِمَّا يَضِيقُ الْجَنُّ عَنْ إِنْشَائِهِ؟
وَالدَّهْرُ يَرْفُلُ فِي ثِيَابِ صِبَائِهِ
وَوَعَوْهُ مِنْ أَلْفِ الْوُجُودِ لِيَائِهِ
حَيْرَى فَلَمْ تَمْلِكْ سِوَى إِطْرَائِهِ
وَطَوَاهُمُ الْمِقْدَارُ فِي أَطْوَائِهِ^{٣١}
تَتَعَاقَبُ الْأَجْيَالُ مِنْ قُرَائِهِ

(فَارُوقُ) أَنْتَ مَنَاطُ أَمَالِ الْجَمَى
أَعْلَى أَبُوكَ بِنَاءً (مُصَرِّ) فَزَاحَمَتْ
وَأَرَى (فُؤَادًا) فِيكَ فِي قَسَمَاتِهِ
تَبْدُو أَيَْادِي الْغَيْثِ فِي زَهْرِ الرُّبَا
أَشْرِقْ عَلَى الْوَادِي فَأَنْتَ حَيَاتُهُ
أَحْيَيْتَ دِينَ اللَّهَ فِي مَحْرَابِهِ
وَوَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَفَّةً خَاشِعٍ
الدَّيْنُ طِبُّ النَّفْسِ مِنَ الْآلِمَا
مَا أَجْمَلَ التَّوْفِيقَ فِي شَرْخِ الصَّبَا
وَسُلَالَةَ الْأَمْجَادِ مِنْ نَصْرَائِهِ^{٣٢}
زُهِرَ الْكَوَكِبِ رَاسِيَاتُ بِنَائِهِ^{٣٣}
وَمَضَائِهِ وَذِكَايُهُ وَسَخَائِهِ^{٣٤}
وَيَعِيشُ سِرُّ الْمَرْءِ فِي أَبْنَائِهِ
وَعِمَادُ نَهْضَتِهِ وَمَجْدُ لَوَائِهِ^{٣٥}
شُكْرًا عَلَى مَا تَمَّ مِنْ نِعْمَائِهِ^{٣٦}
يَرْجُو مَثُوبَتَهُ وَحُسْنَ جَزَائِهِ
وَهِدَايَةُ الْحَيْرَانِ فِي بَيْدَائِهِ
وَالْعُمُرُ فَيَاضُ السَّنَى بِفَتَائِهِ^{٣٧}

لِلَّهِ مَوْلِدُكَ السَّعِيدُ وَيَوْمُهُ
يَوْمٌ بِهِ بَسَطَ السُّرُورُ شِعَاعَهُ
وَتَسَابُقُ الْأَمَالِ فِي أَجْوَائِهِ
وَأَعَارُ ثَوْبٍ صَبَاحِهِ لِمَسَائِهِ

يَوْمٌ أَغْرُ كَأَنَّ صَفْوَ سَمَائِهِ صَفْوُ النَّعِيمِ بِظِلِّهِ وَرَخَائِهِ
يَوْمٌ سَرَتْ فِيهِ الْبَشَائِرُ حُومًا تُفْضِي إِلَى الدُّنْيَا بِسَرٍّ عَلَائِهِ

* * *

مَوْلَايَ عَهْدُكَ فِي الْبِلَادِ مُؤَزَّرٌ بِالْيُمْنِ فَاهُنَا فِي مَدِيدِ هَنَائِهِ
قَطَفْتُ بِهِ (مَصْرُ) جَنَى اسْتِقْلَالِهَا وَأَظْلَلَهَا الْمُمْتَدُّ مِنْ أَفْيَائِهِ^{٣٨}
وَأَطَاحَتِ الْقَيْدَ الْعَنيفَ وَطَالَمَا عَاذَتْ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ إِيْذَائِهِ^{٣٩}
وَالشُّكْرُ فِي السَّرَّاءِ يَعْظُمُ كُلَّمَا ذَكَرَ الْفَتَى مَا مَرَّ مِنْ ضَرَائِهِ^{٤٠}
مَوْلَايَ، عِشْ لِلْمَلِكِ نَجْمَ سُعُودِهِ وَارْفَعْ لِيَوَاءِ الْمَجْدِ فِي أَنْحَائِهِ^{٤١}
أَنْتَ الَّذِي تَحْيَا الْمُنَى بِحَيَاتِهِ وَتَسُودُ (مَصْرُ) وَتَعْتَلِي بِبَقَائِهِ

هوامش

- (١) الغلالة (بالكسر): شعار يلبس تحت الثوب. المسفر: المضيء المشرق.
- (٢) تطامنت: ذلت وخضعت. زهر الكواكب: الكواكب المشرقة الوضاء.
- (٣) هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بعد. السناء (بالمد): الرفعة. الأوج: العلو.
- (٤) جوهر الشيء: مبناه وامتكونه.
- (٥) اللمحات: جمع لمحة. وهي (هنا) بمعنى الضوء والنور. اللألاء: النور.
- (٦) الرواء: حسن المنظر.
- (٧) الزمر: جمع زمرة. وهي الفوج والجماعة.
- (٨) رنت: أدامت النظر إليه. حومًا: عطاشًا.
- (٩) الأكمام: جمع كم (بالكسر)، وهو وعاء الطلع وغطاء النور. القمري: ضرب من الحمام.

- (١٠) الأعطاف: جمع عطف، وهو الجانب والناحية. الدجى: الظلام.
- (١١) إسحاق: هو ابن إبراهيم الموصلي، وهو مغن عباسي معروف بجودة الغناء والضرب. عنان: جارية للناطفي مولدة من مولدات اليمامة، وبها نشأت وتأديت، وكانت جميلة مليحة الأدب والشعر، سريعة البديهة، وكانت مغنية مشهورة بحسن أدائها. ماتت بخراسان في عهد الرشيد. الأداء: التوقيع.

- (١٢) ثمالة من مائه: أي فضلة منه.
- (١٣) الوفاء: إنجاز الوعد. وفاء النيل: زيادة مائه.
- (١٤) المطا: المتن والظهر. رغاؤه: صوت أمواجه يشبهها برغاء البعير. يشير إلى رحلة (الفاروق) إلى الوجه القبلي سنة ١٩٣٧م في النيل، وهي السنة التي قال فيها الشاعر هذه القصيدة.
- (١٥) الإساء: جمع آس. وهو الطبيب.
- (١٦) المدلج: الذي يسير في أول الليل. وقد يستعمل لمن يسير في آخره. خبط الدجى: أي سار في ظلام الليل على غير هدى. التيه: ما يتيه فيه الإنسان ويضل.
- (١٧) الربا: جمع ربوة، وهو المرتفع من الأرض.
- (١٨) القطوب: العبوس والتجهم. إباؤه: امتناعه وشموسه.
- (١٩) صفرت: خلت.
- (٢٠) الجنان: القلب. الأملاك: الملوك، الواحد. ملك.
- (٢١) برد الشباب: إهابه. والبرد (في الأصل): الثوب. يدل: من الدلال. وهو التيه والعجب. ماء السيف: بريقه ولمعانه. مضأؤه: حدته وسرعة قطعه.
- (٢٢) الأنداء: جمع ندى. وهو المطر.
- (٢٣) الكمام: جمع كم (بالكسر) وهو وعاء الطلع وغطاء النور.
- (٢٤) يريد «بسيلان المدى والقرى»: كثرة من وفدوا وحضروا إلى لقائه منها. استجلاؤه: أي النظر إليه.
- (٢٥) الشعاب: أي الطرق والمنافذ. الأرسال: الجماعات، الواحد: رسل (بالتحريك). الزاخر الهدار: البحر على الأمواج.
- (٢٦) المثوب: الهاتف الداعي.
- (٢٧) انتهب الخطا: أسرع عدواً. البرحاء: ما يعانيه المشوق من شدة الشوق والوجد.
- (٢٨) السراء: الشرف والرفعة.
- (٢٩) المنصور: هو أعظم خلفاء العباسية والمؤسس الحقيقي لها، وفي عصره صارت بغداد أزهى مدن الدنيا، وانتشرت بها الحضارة وارتقت العلوم. وولد المنصور سنة ٩٥هـ، وولي الخلافة سنة ١٣٦هـ، وتوفي بمكة سنة ١٥٨هـ.
- (٣٠) خفرع: هو أحد فراعنة مصر ومشيد هرم الجيزة الثاني. ويريد «بمينائه»: مينا، أول الجالسين على عرش مصر بعد توحيد كلمتها وضم مصر السفلى إلى العليا.

- (٣١) المقدار: القدر (بالتحريك). أطواؤه: ثناياه.
- (٣٢) مناط الآمال: حيث تتجه وتجتمع.
- (٣٣) الراسيات: الثابتة المكيئة.
- (٣٤) القسّمات: جمع قسمة وهي الحسن. المضاء: حدة العزم، والنفاز في الأمور.
- (٣٥) اللواء: العلم.
- (٣٦) المحراب: مقام الإمام في المسجد.
- (٣٧) شرخ الصبا: أوله وريعانه. الفتاء: الشباب.
- (٣٨) جنى استقلالها: أي ثمرته. الأفياء: الظلال، الواحد: فيء.
- (٣٩) أطاحت القيد: حطمته وألقت به. عاذت: استعازت وامتنعت.
- (٤٠) السراء: نعيم العيش. الضراء: ضده.
- (٤١) نجم سعوذه: أي طالع يمنه وسعاده. وللعرب نجوم سعد يتفاءل بها ويتيمن. وسعود النجوم عندهم عشرة، منها: سعد السعود. ويقال فيه: إذا طلع سعد السعود نضر العود.

الشَّيْخُ الْغَزَلُ

عام ١٩٢٤م

لَنَا شَيْخٌ تَوَلَّى أَطْيَبَاهُ يَهِيْمُ بِحُبِّ رَبَّاتِ الْقُدُودِ^١
يَغَاظِلُ إِذْ يَغَاظِلُ مِنْ قِيَامٍ وَإِنْ صَلَّى يُصَلِّي مِنْ قُعُودِ^٢

هوامش

(١) تولى: ذهب. أطيباه: الشباب وسعة العيش.

(٢) قعود: جلوس.

رثاء محمود فهمي النقراشي باشا

رئيس من رؤساء وزراء مصر السابقين عُرف بنزاهته ووطنيته، كان زميلًا للشاعر في بعثة إلى إنجلترا عام ١٩٠٨م إلى أن استشهد في ديسمبر من عام ١٩٤٨م، فحزن الشاعر عليه حزنًا كبيرًا ورثاه بهذه القصيدة التي أنشدها نجله الأستاذ الشاعر بدر الدين علي الجارم في احتفال كبير أقيم بمناسبة ذكرى الأربعين بقاعة الجمعية الجغرافية مساء ٨ فبراير سنة ١٩٤٩م، ولكن المنية عاجلت شاعرنا الكبير وهو يستمع إلى شعره ينشد في هذا الحفل الكبير.

ماءُ العيونِ على الشهيدِ ذَارِفٌ	لو أَنَّ فيضًا من مَعينِكَ كافي ^١
إِنَّ لم يَفِ الدمعُ الهتونُ بسِيبهِ	فلمن يَقي بعدَ الخليلِ الوافي؟ ^٢
شيئانِ مَا عِيبَ البكاءِ عليهما	فقدُ الشبابِ، وفُرقةُ الأَلفِ ^٣
أَغَرَقْتُ همي بالدموعِ فخانني	وطفًا، فويلي من غريقِ طَافِي!
وإذا بكى القلبُ الحزينَ فما له	راقٍ ولا لبكائه من شافي ^٤
والدمعُ تهمني في الشدايدِ سَحْبُهُ	ومن الدموعِ مُماطلٌ وموافي ^٥
حَارَتْ به كفي تُحاولُ مَسحُهُ	فكأنَّها تُغريه بالإيكاف ^٦
وأجلُّ ما يَلقى الشريفُ ثوابَهُ	إِنْ غَسَلَتْهُ مَدامُ الأشرافِ ^٧

* * *

طيرُ المنيةِ صَحَتْ أَشَامُ صِيحَةٍ	وهززتَ شرَّ قِواديمِ وخوافي ^٨
وَعَلَّقتَ بالأملِ العزيزِ مُحَصَّنًا	بظواميِّ الأرماحِ والأسيافِ ^٩

والجندُ والأعوانُ ترعى موكبًا
يَفْدُونُ بالمهجَاتِ مهجَةً قَائِدِ
رَانَ الذَهْوُلُ، فكلُّ عقلٍ حائرٍ
والموتُ أعمى في يديه سهامُه
والموتُ قد يُخفي حمَاهُ بنسمةٍ
يغشى الفتى ولو اطمأنَّ لموئِلِ
ويحُ الكنانةِ بعد نزعِ شغافِها

ما حازه سابُورُ ذو الأكتافِ^{١٠}
في كلِّ منعرجٍ وكلِّ مطافٍ^{١١}
وجرى القضاء، فكل طرفٍ غافٍ^{١٢}
يرمي البريةَ من وراءِ سِجَافِ^{١٣}
هَفَافَةٍ، أو في رحيقِ سُلَافِ^{١٤}
في الجوِّ أو في غمرةِ الرِّجَافِ^{١٥}
أَتعيشُ في الدنيا بغيرِ شَغَافِ^{١٦}

* * *

قد عاشَ يحمل رُوحَه في كَفِّه
يلقى الكوارثَ باسمًا متألِّقًا
والموتُ يكشرُ عن نُيُوبِ مَشَانِقِ
بينَ الرياحِ الهُوجِ يزَارُ مثلَها
يرنو إلى استقلالِ مصرٍ كما رنَّتْ
ما ارتاعَ من حبسٍ ولا أسرٍ ولا
وإذا دهتْ الحادثاتُ بفادحِ
هابتْهُ أسبابُ المنيَّةِ جَهْرَةً
مَوْتُ الكرامِ البيضُ فوقَ جياذهمِ
فلکم تمنى «ابنُ الوليد» مَنِيَّةً

ما قَالَ في هول النضالِ كفافِ^{١٧}
والدهرُ يعصفُ والخطوبُ سَوافِ^{١٨}
غُبرِ الوجوهِ دميمةِ الأطرافِ^{١٩}
ويثورُ في غَضَبٍ وفي إغْفافِ^{٢٠}
عينِ المحبِّ لطارقِ الأطيافِ^{٢١}
زَجَرٍ، ولا قتلٍ، ولا إرْجَافِ^{٢٢}
لم تلقِ إِلَّا هِزَّةً استخفافِ
فَرَمَتْهُ خائنةٌ بِموتِ زُوافِ^{٢٣}
لا فَوْقَ نُمِرْقَةٍ وتحتَ طِرافِ^{٢٤}
بين الصواهلِ والقنا الرِّعَافِ^{٢٥}

* * *

ذهبَ الجريءُ النَّدْبُ نُحْرُ بلادِه
خُلِقَ كأمواهِ السحابِ مُطَهَّرُ
وتبسَّمُ للمعضلاتِ كأنَّه
ونقاءُ سُكَّانِ السماءِ يحوطه
ونزاهةٌ سيقَّتْ لها الدنيا فما
عُمِرُ حوى الدنيا ولم يملكِ سوى
والمرءُ إنْ يَحْشَ الدنيَّةَ في الغنى

عَوْتُ الصرِيخِ ونُجعةُ المُعتَافِ^{٢٦}
وسريرةُ كِلَالِي الأصدافِ
إِشراقُ وجهِ الروضةِ المئنانِ^{٢٧}
رَبُّ السماءِ بعِزَّةٍ وعِفافِ
ظفِرتُ بغيرِ تنكُّرٍ وعِفافِ^{٢٨}
شاءَ كأعوادِ القِسيِّ عِجَافِ^{٢٩}
يَقْنَعُ بعيشٍ في الحياةِ كَفَافِ^{٣٠}

قد كَانَ فِي غير التَحَرُّجِ مَنَفَذٌ سَهْلٌ إِلَى الْآلَافِ وَالْآلَافِ
مَهْمَا يَقْلُ مَنْ خَالَفُوهُ فَإِنَّهُ فِي نُبْلِهِ فَرْدٌ بِغَيْرِ خِلَافِ

* * *

وَعَزِيمَةٌ لَا الصَّعْبُ فِي قَامُوسِهَا صَعْبٌ، وَلَا خَافِي الطَّرِيقِ بِخَافِي
فَإِذَا أَرَادَ فَكَلَ شَيْءٍ آلَةً وَإِذَا رَمَى فَالْوَيْلُ لِلْأَهْدَافِ
يَزْدَادُ فِي ظُلْمِ النِّوَازِلِ بِشُرِّهِ كَمْ كُدْرَةٍ تَحْتَ النَّمِيرِ الصَّافِي^{٣١}
يُخْشَى وَيُرْهَبُ كَالْمَنِيَّةِ مُرْهَقًا عَدْلٌ لَدَى الْإِرْهَابِ وَالْإِرْهَافِ^{٣٢}
فَإِذَا طَلَبْتَ الْحَقَّ مِنْهُ وَجَدْتَهُ سَهْلَ الرِّحَابِ مُوْطَأً الْأَكْنَافِ^{٣٣}
ذَكَرَى كَحَالِيَةِ الرِّيَاضِ شَمِيمُهَا رَاحُ النِّفُوسِ وَرَاحَةُ الْمُسْتَفِإِ^{٣٤}
إِنَّ الْفَتَى مَا فِيهِ مِنْ أَخْلَاقِهِ فَإِذَا ذَهَبْنَ فَكُلُّ شَيْءٍ «مَا فِي»
مَا زَانَهُ الشَّرْفُ الْمَنِيفُ بِغَيْرِهَا وَلَوْ انْتَمَى لِسِرَافَةِ عَبْدٍ مَنَافِ^{٣٥}
عِشْنَا عَلَى الْأَسْلَافِ طَوْلَ حَيَاتِنَا حَتَّى سَتَمْنَا عِشْرَةَ الْأَسْلَافِ^{٣٦}
الْعَبْقَرِيُّ حَيَاتُهُ مِنْ صُنْعِهِ لَا صَنَعَ أَسْمَاءٍ وَلَا أَوْصَافِ
يَكْفِيهِ مِنْ شَرَفِ الْمَجَادَةِ أَنَّهُ دَرَسَ الْعَصُورِ وَقُدُوءَ الْأَخْلَافِ^{٣٧}

* * *

عَابُوا السَّكُوتَ عَلَيْهِ وَهُوَ فَضِيلَةٌ لَغَطُ الْحَدِيثِ مَطِيَّةُ الْإِسْفَافِ^{٣٨}
صَمْتُ الْهَمَامِ النَّجْدِ أَوْ إِطْرَاقِهِ خُطْبٌ مُجَلِّجَةٌ بِغَيْرِ هُتَافِ^{٣٩}
قَوْلُ الْفَتَى مِنْ قَلْبِهِ أَوْ عَقْلِهِ فَإِذَا سَمَّحَتْ فَلَا تَبِعَ بِجُزَافِ^{٤٠}
حَسْبُ الَّذِي أَلْقَى اللَّجَامَ لِسَانِهِ مَا جَاءَ مِنْ زَجَرٍ بِسُورَةِ «قَافِ»^{٤١}
خَاصَ السِّيَاسَةِ مَلَأَ جُعْبَتَهُ هَوَى مَصِرٍ وَمَحُوَ الظُّلْمِ وَالْإِجْهَافِ^{٤٢}
مَا كَانَ فِي الْجُلَى بِحَابِسِ سَرَجِهِ عَنْ هَوْلِهَا يَوْمًا وَلَا وَقَافِ^{٤٣}
يَمْضِي وَيَتْبَعُهُ الشَّبَابُ كَمَا جَرَتْ جُرْدُ الْمَذَاكِي فِي غُبَارِ خَصَافِ^{٤٤}
نَادَى مُلِحًا بِالْجَلَاءِ مَنَاجِرًا مَاذَا وَرَاءَ الْوَعْدِ وَالْإِخْلَافِ؟^{٤٥}
وَدَعَا بَوَادِي النِّيلِ غَيْرَ مَقْسَمِ سُودَانَ مَصَرَ كَشَاطِئِ الْمُصْطَافِ^{٤٦}
يَا يَوْمَ أَمْرِيكَ وَكَمْ بِكَ مَوْقِفٌ أَعْيَا النُّهَى وَبِرَاعَةِ الْوَصَافِ^{٤٧}
هِيَ صِيحَةٌ لَمْ يَرْمِهَا مِنْ قَبْلِهِ بَطْلٌ بَوَاجِ السَّادَةِ الْأَخْلَافِ^{٤٨}

صَوْتُ إِذَا هَزَّ الْأَثِيرَ جَهِيرُهُ
فِي كُلِّ أذنٍ مِنْهُ شَنْفٌ زَانِهَا
أَصغَى لَهُ جَمْعَ الدَّهَاءِ وَأَطْرَقُوا
سَمِعُوا بَيَانًا عَبْقَرِيًّا مَا بِهِ
وَجْدَالٌ وَثَابُ البِدِيهِةِ ثَابِتٌ
وَصِرَاحَةٌ بَهَرَتْ عَيُونََ رَجَالِهِمْ
فَلَكُمْ بِمَصْرِ هَزٍّ مِنْ أَعْطَافٍ^{٤٩}
مَا أَجْمَلَ الْأَذَانَ بِالْأَشْنَافِ^{٥٠}
شَتَّانَ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْإِنْصَافِ!^{٥١}
فِي الْحَقِّ مِنْ شَطِطٍ وَلَا إِسْرَافٍ^{٥٢}
فِي يَوْمٍ مَلْحَمَةٍ وَيَوْمٍ ثِقَافٍ^{٥٣}
لَمَّا بَدَتْ نُورًا بِلَا أَسْدَافٍ^{٥٤}

* * *

قالوا: الرثاء، فقلتُ: دَمَعٌ مُحَاجِرِي
شِعْرٌ مِنَ الذَّهَبِ النَّضَارِ حُرُوفِهِ
«محمود»، قد لقي المجاهدُ رَبَّهُ
نَمْ هَادِيًا إِنَّ الْغِرَاسَ وَرِيفَةً
وَأَنْزَلَ إِلَى مَثْوَى الصَّدِيقِ تَجَدُّ بِهِ
قَبْرُ الشَّهِيدِ سَمَاحَةً فَيَّاحَةً
مَا مَاتَ مَنْ كَتَبَ الْخُلُودَ رِثَاءَهُ
حَيِّيَتْ مِنْ مُزْنِ الْعَيُونِ بَوَابِلِ
بِحَرْ، وَأَنَاتِ الْحَزِينِ قَوَافِي^{٥٥}
وَلَكُمْ بِسَوْقِ الشَّعْرِ مِنْ زَيَّافٍ
فِي جَنَّةِ النِّفَحَاتِ وَالْأَلْطَافِ^{٥٦}
تُزْهِى بِأَكْرَمِ تُرْبَةٍ وَقِطَافٍ^{٥٧}
مَا شَتَّتَ مِنْ حُبٍّ وَمِنْ إِسْرَافٍ^{٥٨}
وَمَدِيدُ ظِلٍّ حَدَائِقِ أَلْفَافٍ^{٥٩}
وَوَشَى لَهُ حُلَّالُ الثَّنَاءِ الضَّافِي^{٦٠}
وَمِنْ الْحَنَانِ بِنَاعِمِ رَقَافٍ^{٦١}

هوامش

- (١) ماء العيون: الدموع. ذراف: تذرف بشدة. فيضًا: كثيرًا. معينك: مما تملكه.
- (٢) يف: يوفي. الهتون: المصبوب. بسبيه: بعطائه.
- (٣) الألف: الأحباب.
- (٤) راق: مُسَكِّن لبيكائه.
- (٥) سحبه: سحابه والمقصود شدة البكاء وكثرة دموع العين. مماطل: مسوف.
- (٦) الإيكاف: الهطول، الزيادة.
- (٧) ثوابه: جزاءه. غسلته: صببت عليه الماء عند اغتساله. مدامع: دموع.
- (٨) طير المنية: الموت. قوادم: المقاديم ريش الطير الأول وهي عشر في كل جناح.
- خوافي: ما دون الريشات المذكورة في الطير.
- (٩) علقت: تشبثت. بظوامي: بعطاشي.

- (١٠) سابور ذو الأكتاف: أحد ملوك الهند.
- (١١) المهجات: الأرواح. منعرج: منعطف. مطاف: مكان.
- (١٢) ران: غلب. طرف: عين. غافي: نائم.
- (١٣) البرية: الخلق. سجاف: ساتر.
- (١٤) حماه: سم العقرب. رحيق سلاف: صفوة الخمر.
- (١٥) يغشى: يداهم. موئل: مكان يحتمى به. الرجاف: البحر المضطرب الأمواج.
- (١٦) الكنانة: مصر. شغافها: غشاء القلب.
- (١٧) كفاف: بمعنى كفى والمعنى أنه لم يظهر كلاً ولا ملاً.
- (١٨) سوافي: مهلكة.
- (١٩) يكشف ويظهر. نيوب: الأسنان الأمامية. غير الوجوه: سود الوجوه.
- (٢٠) الهوج: السريعة الحقماء. يزأر: يرفع صوته كصوت الأسد. إعناف: شدة.
- (٢١) يرنو: ينظر، يتطلع. طارق الأطياف: ما يتخيله من الخيال والأحلام أثناء النوم.
- (٢٢) ما ارتاع: ما خاف. إرجاف: اضطراب.
- (٢٣) جهرة: علناً. زؤاف: عاجل.
- (٢٤) نمرقة: وسادة. طراف: أردية. أو غطاء من حرير.
- (٢٥) ابن الوليد: خالد بن الوليد البطل الإسلامي المشهور. الصواهل: الخيل. القنا: الحراب. الرعاف: الدم السائل والمقصود الحراب الملطخة بالدماء.
- (٢٦) النذب: قاضي الحاجات. ذخ: ما يدخر لوقت الحاجة. غوث الصريخ: معيذ المحتاج. نجعة المعتاف: طلاب الكلاء.
- (٢٧) المثئاف: الطيب الرائحة.
- (٢٨) عياف: كراهية.
- (٢٩) شاء: من الغنم. أعواد القسي: شجر صلب تصنع منه الرماح. عجاف: هزال.
- (٣٠) الدنية: النقيصة. كفاف: بسيطه، ما أغنى عن الناس.
- (٣١) النوازل: الملمات. كدرة: عدم الصفاء. النمير: عين الماء العذبة.
- (٣٢) مرهقاً: حاداً، رقيقاً.
- (٣٣) سهل الرحاب: يتسامح في سعة. موطاً الأكناف: موفق الجوانب.
- (٣٤) حالية الرياض: الرياض الجميلة المزهرة. شميمها: رائحتها الطيبة. المستاف: المسرور.

- (٣٥) المنيف: الزائد. عبد مناف: قبيلة قديمة يضرب بها المثل في الثراء.
- (٣٦) الأسلاف: الآباء المتقدمون. سئمنا: مللنا.
- (٣٧) المجادة: المجد والشرف. الأخلاف: من يأتون بعده.
- (٣٨) مطية: مركب.
- (٣٩) النجد: المعين وقت الشدة. مجلجلة: مرفوعة الصوت ومسموعة.
- (٤٠) بجزاف: بحدس وتخمين.
- (٤١) قاف: سورة من سور القرآن الكريم فيها زجر كثير.
- (٤٢) جعبته: صدره. هوى: حب. الإجحاف: الظلم.
- (٤٣) الجلى: الحلبة قبل الحرب. حابس سرجه: مانع فرسه، كناية عن الإسراع.
- هولها: شدتها. ولا وقاف: ولا مقلع عنه.
- (٤٤) جرد: الذين يجدون في الشيء. المذاكي: حدة القلب. خصاف: نعل.
- (٤٥) بالجلاء: بخروج الإنجليز من مصر وكانوا يحتلونها. مناجزًا: مقاتلاً.
- (٤٦) شاطئ المصطاف: البلاد الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط شمال مصر.
- (٤٧) يوم أمريكا: يشير إلى سفر الفقيه ممثلًا لمصر إلى هيئة الأمم المتحدة من أجل جلاء الإنجليز وقال قولته المشهورة: أيها القراصنة، اخرجوا من بلادنا. النهى: العقل.
- (٤٨) السادة الأحلاف: دول الحلفاء وهي إنجلترا وفرنسا وأمريكا، وكان ذلك لقبهم في أثناء الحرب العالمية الثانية ضد دولتي المحور وهما ألمانيا وإيطاليا.
- (٤٩) جهيره: إعلانه. أعطاف: جوانب.
- (٥٠) شنف: ما علق في أعلى الأذن.
- (٥١) جمع الدهاة: جماعة العقلاء ذوو الآراء الحصيفة والمقصود ممثلو الدول في اجتماع هيئة الأمم المتحدة.
- (٥٢) شطط: خروج.
- (٥٣) ملحمة: الوقفة العظيمة. ثقاف: تسوية الرماح. والمقصود يوم لقاء المحاربين.
- (٥٤) أسداف: ظلمة.
- (٥٥) محاجري: عيني.
- (٥٦) النفحات: الرائحة الذكية. الألفاف: التوفيق من الله والعصمة.
- (٥٧) الغراس: ما غرست من الشجر والمقصود ما أدت من أعمال عظيمة. وريفة: مظلة لأن فروعها وورقها وثمرها كثير. تزهى: تفخر. قطاف: ما يجمع من الثمار.

وعندما وصل نجل الشاعر عندما كان يلقي القصيدة إلى هذا البيت مالت رأس الشاعر على صدره — وقد كان جالسًا في أحد الصفوف الأمامية، وفارق الحياة إلى جوار ربه سبحانه وتعالى — ثم نقلوه إلى خارج القاعة ومنها تم نقله إلى منزله.

(٥٨) مثنوى: مكان. الصديق: يقصد أحمد ماهر باشا صديقه ورئيس وزراء مصر قبله، ودفن معه في نفس المدفن بشارع رمسيس بالقاهرة.

(٥٩) فياحة: تفوح منه رائحة المسك. ألفاف: أشجار يلتف بعضها ببعض.

(٦٠) الضافي: السابغ.

(٦١) وزن العيون: دمع العيون. وابل: مندفع شديد منهمر. ناعم رفاف: ثياب خضر حريرية ملساء. وقد يكون المقصود العلم المصري، وقد كان حينئذ أخضر اللون يتوسطه هلال وثلاث نجوم بيضاء اللون.

الزَّفَافُ الْمَلِكِي

بمناسبة زفاف الملك فاروق ملك مصر حينئذ في يناير سنة ١٩٣٨ م.

وَأَمَلًا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ نَشِيدًا^١
فَتَخَيَّرَ مِنَ النُّجُومِ عُقُودًا^٢
مِنْ قَوَافِيكَ مَا يَهْزُ الْوُجُودَا
ح وَكُنْ فِي عِشَائِهَا تَغْرِيدَا
فَابْعَثِ اللَّحْنَ «جَارِمِيًّا» جَدِيدَا
لُغَةَ الْخُلْدِ إِنْ مَلَكَتْ صُغُودَا
فِي الْفَرَادِيسِ مَا عَرَفْنَ حُدُودَا
هَآ وَجَرَ الذُّيُولِ يَمْشِي وَئِيدَا^٣
ء تُدَانِي رَأْسًا وَتُعْطِفُ جِيدَا^٤
لَى وَتَعْنُو لِقُدْسِهِ تَمْجِيدَا^٥
رُوقِ فَازَتْ بِهِ الْبَشَائِرُ عِيدَا
ضَاحِكَاتٍ وَبِالزَّمَانِ وَدِيدَا^٦
فَمَتَى يَا تُرَى تَكُونُ مُجِيدَا
فِيكَ وَرَبَّاتِهِنَّ نَايَا وَعُودَا
هَآ وَرَدَّدْ خِلَالَهَا تَرْيِيدَا^٧
ع وَطَرَّبْ بِهَا وَغَنِّ «الرَّشِيدَا»^٨
وَجَنَاتٍ مِنْ زَهْرِهِ وَخُدُودَا^٩

انْظِمِ الدَّرَّ تَوَّءَمَا وَفَرِيدَا
وَإِذَا مَرَّ بِالنُّجُومِ خَيَالُ
أَنَّ يَا شِعْرُ أَنْ تُغْنِي فَأَرْسَلُ
أَسَكَّتِ الصَّادِحَاتِ يَهْتَفْنَ فِي الدَّو
حَفِظْتُ رَنَّةً وَقَدْ رَدَدْتُهَا
وَاصْعِدِ الْجَوَّ لِلسَّمَوَاتِ وَانْقُلْ
نَغَمَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكِ تَسْرِي
صَفَّقَ الْكُوْنُورُ الطُّهُورُ لِمَسْرَا
وَسَعَتْ صَوْبَ هَمْسِهَا كُلُّ حَوْرَا
وَالْتِهَالِيلُ تَمَلُّ الْمَلَأُ الْأَع
فَرَحَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِالْفَا
غَنَّ يَا شِعْرُ بِالْأَمَانِي حِسَانَا
أَجِدِ الْقَوْلَ مَا اسْتَطَعْتَ وَإِلَّا
عَجَزَ النَّايُ فَابْتَكَرْ مِنْ قَوَا
وَتَخَيَّرْ مِنَ الْخَمَائِلِ أَنْدَا
هَاتِهَا مَوْصِلِيَّةَ تَمْلِكُ السَّم
وَابْعَثِ الرُّوْضَ مِنْ كَرَاهٍ وَقَبْلُ

وَتَمَلْ نَحْوَكِ الْغُصُونُ قُدُودًا^{١٠}
يَا وَتَبَقَى عَلَى الزَّمَانِ خُلُودًا
أَنْتِ أُخْرَى بَأَنْ تَذَلَّ الْقَيُودَا^{١١}
نَفْسًا يَمَلُّ الْفَضَاءَ مَدِيدًا^{١٢}
رُ وَتَنْفِي عَنْ مُقْلَتَيْهِ الرُّقُودَا
مِثْلَمَا هَزَّتِ الْفَتَاةُ الْوَلِيدَا
إِنْ رَنَا مُصْغِيًا يُرِيدُ الْمَزِيدَا
مِثْلَمَا يَنْقُدُ الشَّجِيحُ النُّقُودَا^{١٣}
رَ فَأُضَحَّتْ لَهُ الْمَعَانِي عَبِيدَا^{١٤}
ءِ وَأَشْهَى مَسَاغَةَ وَوُرُودَا
رِ وَنَهَجًا مِنَ الْبَيَانِ سَدِيدَا^{١٥}
وَطَوَى الْأَرْضَ مَا يَمَلُّ وَخِيدَا^{١٦}
أَوَّلَ الدَّهْرِ مَا عَرَفْنَ الصَّدُودَا
وَرَأَهُ مَنْ لَا يُجِسُّ قَصِيدَا^{١٧}
رِ وَيَطْوِي ابْنَ هَانِي وَالْوَلِيدَا^{١٨}
هُ تَمَنَّى مُتَابِعُ أَنْ يُعِيدَا
رِ فَرِيدُ، فَهَاتِ قَوْلًا فَرِيدَا
كَتَمْتُهُ الْكُفَّانُ عَهْدًا عَهِيدَا^{١٩}
وَأَنْسَجَ الرُّوْضَ فِي الرَّبِيعِ بُرُودَا
فَلْتَكُنْ أَنْتِ فِي الْبَيَانِ وَحِيدَا

وَتَرَنَّمْ تَجِبْ صَدَاكَ الْقَمَارِي
أَرْسَلَ الصَّوْتُ رَنَّةً تَمَلُّ الدَّنِي
لَا تَبَالِ الْقَيُودُ مِنْ فَاعِلَاتُنْ
سِرُّ خَفِيفًا مَعَ النَّسَائِمِ وَابْعَثْ
يُنْصِتُ اللَّيْلُ حِينَ تُنْشِدُ يَا شَعْبُ
ضَمُّهُ بَيْنَ سَاعِدَيْكَ وَغَرْدُ
لَا تَدْعُ فِي لَهَاةِ فَنِّكَ صَوْتًا
قَدْ نَقَدْنَا لَكَ الْقَوَافِي صَحَا حَا
وَجَمَعْنَا حُرَّ الْكَلَامِ الَّذِي عَزَّ
وَحَشَدْنَا الْأَلْفَاظَ أَنْقَى مِنَ الْمَا
وَبَعَدْنَا الْخَيَالَ سِحْرًا مِنَ السَّحَابِ
طَارَ فِي الْجَوِّ مَا يَمَلُّ زَفِيفًا
رَقَّةً لَوْ جَرَتْ بِسَمْعِ الْغَوَانِي
قَدْ رَأَاهُ مُتَقَفُّ الْجِسِّ وَحْيًا
سَارَ يَحْتَوِ التَّرَابَ فِي وَجْهِه بَشَا
كَلَّمَا قَامَ مُنْشِدُ الْقَوْمِ يَتْلُو
إِنَّ يَوْمَ الْفَارُوقِ يَوْمٌ عَلَى الدَّهْرِ
وَتَخَيَّرَ مِنْ سِحْرِ «مَنْفِيسٍ» سِرًّا
وَصُغَ الشَّمْسُ فِي الْأَصَائِلِ تَاجًا
إِنَّ «فَارُوقَ» فِي الْمُلُوكِ وَحِيدُ

يَلْقَى لَهُ بَيْنَ دَفْتَيْهَا نَدِيدَا
وَمَدَى رَأْيِهِ تَرَاهُ بَعِيدَا
لَوْ مَشَتْ حَوْلَ سُدَّتَيْهِ جُنُودَا^{٢٠}
لَوْ غَدَا فِي سَمَاءِ مِصْرَ بُنُودَا^{٢١}
يَرْهَبُ الدَّهْرُ سَيْفَهُ مَغْمُودَا
وَيَفُتُّ الصَّخْرَ الْأَصَمَّ الصَّلُودَا^{٢٢}

بَحَثَ الْمَجْدُ فِي الْعُصُورِ فَلَمْ
مَلِكُ فَضْلُهُ تَرَاهُ قَرِيبًا
خَدَمَتُهُ الْأَقْدَارُ حَتَّى تَمَنَّتْ
وَتَمَنَّى اخْضِرَارُ كُلِّ نَبَاتٍ
هَمَّةٌ تَمْتَطِي السَّمَاءَ وَعَزْمٌ
وَتَبَاتَ يُدْمِي جَبِينَ اللَّيَالِي

مَكْرُمَاتُ سَارَتْ بِكُلِّ مَسَارٍ مَثَلًا يَسْبِقُ الرِّيَّاحَ شَرُودًا

يَا لِهَوَاءِ الْبِلَادِ أَيُّ لِهَوَاءٍ لَا يُفَدِّي لِهَوَاءَكَ الْمَعْقُودَا^{٢٣٩}
صَانَهُ اللَّهُ فِي يَدَيْكَ فَخُذْهُ وَتَقَدَّمْ بِهِ قَوِيًّا جَلِيدَا^{٢٤٠}
وَجَدَ النَّصْرُ فِي ذِرَاةٍ مَقِيلًا فَأَبَى أَنْ يَرِيْمَ أَوْ أَنْ يَحِيدَا^{٢٤١}
وَرَأَتْ مِصْرُ فِيهِ عِزًّا مَنِيعًا وَمَتَابًا رَحْبًا وَرُكْنًا شَدِيدَا^{٢٤٢}
أَنْتَ مِنْ مَعْشَرِ بَنَوِ فَارَعَ الْمَجْدِ بِدِ قَامَسَى بِمِصْرٍ صَرَحًا مَشِيدَا^{٢٤٣}
عَرَفَ السَّيْفُ أَنَّهُمْ جُنْدُهُ الْبُسْ لُ إِذَا صَافَحَ الْحَدِيدُ الْحَدِيدَا^{٢٤٤}
أَسْعَدُوا شَعْبَهُمْ فَكَانُوا سَحَابًا وَحَمَوْا عَرْشَهُمْ فَكَانُوا أُسُودَا^{٢٤٥}
وَمَضَوْا لِلْعَلَا سِرَاعًا وَخَلُّوا أَنْجَمَ اللَّيْلِ جَاثِمَاتٍ هُجُودَا^{٢٤٦}
مَلَكُوا مَقُودَ اللَّيَالِي صَعَابًا وَلَوْوَا هَامَةَ الزَّمَانِ عَنِيدَا^{٢٤٧}

يَوْمَ «فَارُوق» نُمَ عَلَى صَفْحَةِ الدِّ نَهَرَ حَفِيلًا بِالْبُشْرِيَّاتِ مَجِيدَا^{٢٤٨}
لَبَسَتْ فِيكَ مِصْرُ أَزْهَى حُلَاهَا وَرَأَتْ فِيكَ يَوْمَهَا الْمَشْهُودَا^{٢٤٩}
عَبَدَهَا الدَّهْرُ وَاللَّيَالِي إِمَاءً وَالْأَمَانِي تُرِيدَهَا أَنْ تُرِيدَا^{٢٥٠}
فِي ضَلَالِ الْمَلِكِ عَزَتْ وَطَالَتْ وَاسْتَعَادَتْ فِرْدَوْسَهَا الْمَفْقُودَا^{٢٥١}
وَعَدَتْ حَلَقَةً مِنَ الْمَجْدِ حَتَّى قَدْ ظَنَّنَا الطَّرِيفَ مِنْهُ تَلِيدَا^{٢٥٢}
أَقْبَلَتْ نَحْوَ سُدَّةِ الْمَلِكِ الْعَا لِي وَفُودًا تَتَلَوُ إِلَيْهِ وَفُودَا^{٢٥٣}
مَلَكُوا سَاحَةَ الْإِمَامَةِ حَتَّى خَافَتْ الْأَرْضُ مِنْهُمْ أَنْ تَمِيدَا^{٢٥٤}
وَاسْتَحَثُّوا الْخُطَا فَكَانُوا بَرُوقًا وَعَلَا صَوْتُهُمْ فَكَانُوا رُعُودَا^{٢٥٥}
وَالسُّرُورُ السُّرُورُ يَلْعَبُ بِالشَّعْرِ بِ كَمَا هَزَّتِ النِّسَائِمُ عُودَا^{٢٥٦}
ضَحِكَاتٌ تَهْفُو إِلَى ضَحِكَاتٍ وَوَعُودٌ بِالصَّفْوِ تَلْقَى وَوَعُودَا^{٢٥٧}
كُلُّهُمْ يَجَارُونَ بِالْعِزِّ لِلْفَا رُوقٍ وَالْعَيْشِ نَاضِرًا وَرَغِيدَا^{٢٥٨}
كَبَّرُوا حِينَمَا رَأَوْكَ مُطِلًّا وَأَبْحُوا أَصْوَاتَهُمْ تَحْمِيدَا^{٢٥٩}
أَبْصَرُوا طُلْعَةً إِذَا مَا تَبَدَّتْ خَرَّتِ الشَّمْسُ وَالنُّجُومُ سُجُودَا^{٢٦٠}
وَرَأَوْا سَيِّدًا يُضِيءُ شَبَابًا بِاسْمًا كَالْمُنَى، وَيَهْتَزُّ جُودَا^{٢٦١}

قَدْ عَرَسْتَ الْوَلَاءَ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَتَقَيًّا فِي ظِلِّهِ مَمْدُودًا^{٣٩}

* * *

إِنَّ عَرْشًا أَسَاسُهُ مُهْجُ الشَّعْرِ
فَانْظُرِ الشَّعْبَ لَا تَرَى غَيْرَ قَلْبٍ
مَا رَأَتْ مِصْرُ مُنْذُ أَيَّامِ عَمُرُو
قَدْ نَثَرْنَا لَكَ الْوُرُودَ قُلُوبًا
وَحَفِظْنَا لَكَ الْوِدَادَ نَضِيرًا
بِخَلِيقٍ بَأْنٍ يَكُونُ وَطِيدًا^{٤٠}
نَابِضٌ يَحْفَظُ الْوَلَاءَ الْأَكِيدَا
مِثْلَ أَيَّامِكَ الْحَسَانَ غُهِودًا^{٤١}
وَنَثَرْنَا لَكَ الْقُلُوبَ وَرُودًا
وَأَدْعُنَا لَكَ الثَّنَاءَ نَضِيدًا^{٤٢}

* * *

مَوْكِبٌ يَبْهَرُ الشُّمُوسَ وَمَجْدٌ
لَمْ يَشَاهِدْ سِوَاهُ بَعْدَ ابْنِ دَا
وَمَلِيكَ يَرْعَى الْإِلَهَ وَيَخْشَا
أَكْمَلَ الدِّينَ بِالزَّوْاجِ فَأَسْدَى
فَرَحٌ شَامِلٌ بِهِ بَلَغَتْ مِصْرُ
كُلُّ بَيْتٍ بِهِ غِنَاءٌ وَشَدُو
تَتَمَنَّى الْأَغْصَانُ لَوْ رَقَصَتْ فِيهِ
وَتَوَدُّ النُّجُومُ لَوْ كُنَّ فِيهِ
حَمَلَقَ الدَّهْرُ مَذْ رَأَهُ سُمُودًا^{٤٣}
وَدَّ سَنًا مُشْرِقًا وَمُلْكًَا عَتِيدًا^{٤٤}
هُ وَيُعْلِي الْإِيمَانَ وَالتَّوْحِيدَا
مَثَلًا - لَوْ دَرَى الشَّبَابُ - رَشِيدًا^{٤٥}
رُ مِنْهَا وَحَظَّهَا الْمَنْشُودَا
عَلَّمَ الطَّيْرَ - إِنْ شَدَتْ - أَنْ تُجِيدَا
هَ مَكَانَ الْحَسَانِ هَيْفًا وَغِيدًا^{٤٦}
بَدَلًا مِنْ سَنَا الشُّمُوعِ وَقُودَا

* * *

يَا لِيَالِي الْفَارُوقِ كُونِي لِمَوْلَا
لَمَعَتْ فِي عِلَاقِ دُرَّةٍ خُذِرُ
بَلَغَتْ قِمَّةَ الْجَلَالِ فَأَمْسَى
مِنْ مِهَادِ النَّبْلِ السَّنِيِّ أَضَاءَتْ
وَزَهَتْ فِي مَقَاصِرِ الْمُلِكِ زَهْرَا
كِ رِفَاءٍ وَلِلْبِلَادِ سُعُودًا^{٤٧}
كُرِمَتْ نَشَاءً وَطَابَتْ جُدُودًا^{٤٨}
كُلُّ مَجْدٍ لِمَجْدِهَا مَرْدُودَا
فَعَلَتْ كَوُكْبًا وَعَزَّتْ مُهُودًا^{٤٩}
ءَ فَزَانَتْ مَقَامَهُ الْمَحْمُودَا^{٥٠}

* * *

يَا مَلِيكَ الْبِلَادِ فَاهِنًا بِمَا نِلَ
قَدْ أَشَدَّنَا بِفَضْلِكَ الْوَافِرِ الْجَمَ
تَ سَعِيدًا جَمَّ الثَّنَاءَ حَمِيدَا
مَ إِذَا اسْطَاعَ شَاعِرٌ أَنْ يُشِيدَا

أَجْهَدَ الشَّعْرَ أَنْ يَرَى عَزَمَاتٍ يَعْجِزُ الْوَصْفُ دُونَهَا وَجْهُوْدَا
وَمَعَانِيكَ لَا تُحَدُّ فَمَاذَا يَعْمَلُ الشَّعْرُ قَاصِرًا مَحْدُودًا؟
وَإِذَا مَا الْبَيَانِ عَقٌّ لَبِيدًا فِي الْمَقَامِ الْمَهِيْبِ فَاغْزُرْ لَبِيدًا^{٥١}
عِشْ وَحِيدَ الْجَلَالِ وَالْمَجْدِ وَاسْعُدْ أَمَلُ الْمَجْدِ أَنْ تَعِيشَ سَعِيدًا
وَأَبْقُ لِلدِّينِ مَوْئِلًا وَعِمَادًا وَابْقُ لِلشَّرْقِ سَيِّدًا وَعَمِيدًا^{٥٢}

هوامش

(١) الدر: اللآلئ العظيمة، الواحدة درة. التوعم: اسم لولد يكون معه آخر في بطن واحد، ويقال: توعم للذكر وتوعم للأنثى والجمع توائم، وهما توأمان وتوعم. وتوائم اللآلئ: ما تشابك منها. وفريدًا: واحدًا فردًا، والفريد أيضًا: الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد.

(٢) العقود: جمع عقد وهو القلادة.

(٣) الكوثر: نهر في الجنة.

(٤) صوب: جهة. الهمس: الصوت الخفي. حوراء: صفة من الحور وهو شدة بياض العين في شدة سوادها، تداني: تقرب. تعطف: تميل وتنتهي. الجيد: العنق.

(٥) التهاليل: جمع تهليل مصدر هلل أي قال: لا إله إلا الله. أو هو جمع تهليلة اسم مرة منه. والملا في الأصل: الجماعة، والمراد بالملا الأعلى هنا أهل السموات. تعنو: تخضع. القدس: الطهر. التمجيد: الإعظام والإجلال والثناء.

(٦) الأمانى بالياء المشدة وقد خففت هنا لضرورة وزن الشعر: جمع أمنية وهي ما يحبه الإنسان ويتمناه. وديدًا: محبًا.

(٧) الخمائل: جمع خميلة وهي الشجر الكثيف. أندى: اسم تفضيل من ندى بمعنى ابتل. والمراد أنضرها وأجملها.

(٨) موصلية: نسبة إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي مغني الرشيد والمضروب به المثل في تجويد الغناء وتنويجه والتفنن فيه وهو فارسي الأصل، وقد أخذ الغناء عن أبيه وأمه إذ كانا مغنيين مشهورين. الرشيدا: هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس ومن أعظمهم شهرة وأبعدهم صيتًا. تولى الخلافة من سنة ١٧٠هـ إلى سنة ١٩٣هـ.

(٩) الكرى: النعاس. الوجنات: جمع وجنة وهي من الإنسان ما ارتفع من لحم خده.

(١٠) القماري: جمع قمري أو قمرية لنوع من الحمام كأنه منسوب إلى القمرة وهي لون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة، وقد خففت ياء القماري هنا لضرورة وزن الشعر. القدود: جمع قد. وهو قامة الإنسان وحسن اعتداله.

(١١) فاعلاتن: من أجزاء الشعر وتفاعيله التي يوزن بها وتتألف منها بحوره. أخرى: أجدر وأحق.

(١٢) خفيفًا: صفة من الخفة. والخفيف أيضًا أحد بحور الشعر. وأجزاؤه فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين، والقصيدة من هذا البحر، ففي هذه الكلمة تورية لطيفة. مديدًا: صفة لنفسًا بمعنى ممدود منبسط طويل. والمديد أيضًا ثاني بحور الشعر، وأجزاؤه فاعلاتن أربع مرات وهو مجزوء وجوبًا، وفي مديد تورية أيضًا.

(١٣) نقد الدراهم من باب نصر: أخرج منها الزيف أو نظرها ليعرف جيدها وزيفها.

(١٤) يريد بحر الكلام: جيده.

(١٥) النهج: الطريق الواضح. البيان: الفصاحة واللسن. سديد: الصواب والقصد والاستقامة.

(١٦) الزفيف: مصدر زف الطائر يزف بكسر الزاي زفًا وزفيفًا إذا بسط جناحه وأسرع في طيرانه. وطى الأرض: كناية عن السير فيها. الوحيد: نوع من سير الإبل وهو الإسراع أو أن يرمي البعير بقوائمه كمشي النعام أو سعة الخطو.

(١٧) الوحي: الإلهام. القصيد: جمع قصيدة، أو القصيدة من الشعر ما تم شطر أبياته، وليس إلا ثلاثة أبيات فصاعدًا أو ستة عشر فصاعدًا.

(١٨) يحثو التراب: يقبضه بيده ثم يرميه، وهذا كناية عن الازدراء والتحقير. وبشار بن برد: من الشعراء المخضرمين في الدولتين الأموية والعباسية. كان نابغة زمانه في الفصاحة والشعر، وهو أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ومهد طريق الاختراع والبديع للمتفنين وقد مات مقتولًا سنة ١٦٧هـ بعد أن نيف على التسعين. وابن هانئ: هو أبو نواس الشاعر المبدع وقد أجاد في كل فنون الشعر، وبرع في المجون والغزل ووصف الخمر ومجالسها، مات سنة ١٩٦هـ والوليد: هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي البحتري من أشهر شعراء الدولة العباسية، وأحد الذين سارت بذكرهم الركبان وخلد شعرهم الزمان. ولد سنة ٢٠٦هـ بناحية «منبج» بين حلب ونهر الفرات، ولازم وهو فتى أبا تمام الشاعر المشهور وعليه تخرج واقتبس طريقته في البديع

من غير إفراط. ثم اتصل بالخليفة العباسي جعفر المتوكل على الله ووزيره الفتح بن خاقان ومدحهما وأقام في خدمتهما إلى أن قُتلا، فرجع إلى «منبج» وبقي يختلف أحياناً إلى رؤساء بغداد وسر من رأى حتى مات سنة ٢٨٤هـ.

(١٩) «منفيس»: مدينة قديمة أنشأها الملك «مينا» أول الفراعنة الذين جلسوا على عرش مصر قبل ميلاد المسيح بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، وكانت حاضرة البلاد المصرية في ذلك العهد ومقر الملك وموطن السحر والعظمة والبهاء والجلال، وموقعها الآن البدرشين وميت رهينة وعلى مقربة منها أهرام سقارة ودهشور وفي شمالها الغربي أهرام الجيزة المشهورة. وبقيت منف رفيعة القدر عالية الشأن بعيدة الصيت إلى أن انقرضت الدولة المصرية القديمة بانقراض الاسرة الثامنة حوالي ٢١٦٠ ق.م.

(٢٠) السدة: باب الدار، أو فناء البيت.

(٢١) البنود: جمع بند وهو العلم الكبير، وفيه إشارة إلى اللون الأخضر لعلم مصر

حينئذ.

(٢٢) الأصم: الصلب المصمت. الصلود: الصلب الأملس.

(٢٣) اللواء: العلم.

(٢٤) جليداً: قوياً شديداً صبوراً.

(٢٥) الذرا: الكنف والستر. المقييل: اسم مكان من قال من باب باع أي نام في الظهيرة، والمراد بالمقييل هنا المستقر والمكان الذي يجد فيه الإنسان راحته وطمأنينته. يريم: يبرح. يحيد: يميل ويعدل وينصرف.

(٢٦) منيعاً: قوياً عزيزاً مكيناً. المثاب: مجتمع الناس بعد تفرقهم، أو هو المرجع.

الركن: الجانب الأقوى، وما يقوى به من ملك وجند وغيره.

(٢٧) الفارع: الرفيع العالي. الصرح: القصر وكل بناء عال. مشيداً: مطلياً بالشيد

وهو ما طلي به حائط من جص ونحوه.

(٢٨) حماه: دفع عنه ومنعه وصانه.

(٢٩) خلوا: تركوا. جاثمات: جمع جاثمة اسم فاعل من جثم الطائر ونحوه إذا تلبد

بالأرض. هجوداً: نائمات.

(٣٠) المقود: الحبل تقاد به الدابة. صعباً: جمع صعبة، وهي حال من اللبالي.

لوى رأسه: أماله. الهامة: الرأس. غنيذاً: حال من الزمان وهي صفة من العناد بمعنى الخلاف والعصيان.

- (٣١) حفيلاً: ممثلاً.
- (٣٢) الإماء: جمع أمة. الأماني: جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان ويريده.
- (٣٣) الطريف: الجديد المستحدث. التلبد: القديم.
- (٣٤) السدة: باب الدار أو فناؤها.
- (٣٥) الساحة: الفضاء المتسع أمام الدار. تميد: تتحرك وتهتز.
- (٣٦) استحثوا الخطا: أسرعوا.
- (٣٧) تهفو: تذهب وتسرع.
- (٣٨) يجأرون: يرفعون أصواتهم بالدعاء ويتضرعون.
- (٣٩) الولاء: الحب. تقياً بالشجرة: استظل بها.
- (٤٠) المهج: جمع مهجة وهي دم القلب أو النفس والروح. وطيد: ثابت مستقر مكين.

(٤١) عمرو بن العاص: أحد دهاة العرب وساستهم وقوادهم الذين سارت بذكرهم الركبان، وخلد مجدهم الزمان، وقد فتح مصر بإذن من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م، ثم كان والياً عليها من قبله فأقام فيها ميزان العدل ونشر في ربوعها الأمن والطمأنينة والرخاء.

(٤٢) نضيداً: كثيراً منظوماً يتبع بعضه بعضاً. وأصلها من نضد متاعه إذا وضع بعضه على بعض.

(٤٣) سموذاً: حيرة وولها.

(٤٤) ابن داود: هو سيدنا سليمان — عليه السلام — وقد أشاد القرآن بجلال ملكه وعظمته في سورة ص وغيرها ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ * فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٥-٣٩ سورة ص﴾. السنا: الضوء. العتيد: العظيم.

(٤٥) أسدى إليه معروفًا: اتخذه عنده. رشيد: صفة من الرشاد وهو الهدى والصواب.

(٤٦) هيف: جمع هيفاء وهي المرأة الضامرة البطن والخاصرة. غيد: جمع غيداء، وهي المرأة الناعمة المتثنية ليناً.

(٤٧) مولاك: صاحبك وسيدك. الرفاء: الوفاق والالتئام وجمع الشمل.

(٤٨) الدرة: اللؤلؤة العظيمة شبه بها الشاعر الملكة «فريدة». الخدر: الستر، ويطلق الخدر على البيت.

(٤٩) المهود: جمع مهد.

(٥٠) المقاصر: جمع مقصورة وهي الحجرة. زهراء: حسناء بيضاء نضيرة.

(٥١) البيان: الفصاحة واللسن والبلاغة. عقى: عصى. ليبيد: هو أبو عقيل ليبيد بن ربيعة العامري كان في الجاهلية سيِّداً شاعراً مجيداً، وفارساً حكيماً شريفاً. وهو من بني عامر بن صعصعة إحدى بطون هوزان من مضر، وأمه عبسية، وهو من أصحاب المعلقات، وقد عمر حتى ظهر الإسلام فأسلم وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر الشعر.

(٥٢) موئلاً: ملجأً. العماد: الأبنية الرفيعة واحدها عمادة. العميد: السيد والرئيس.

تمثال سعد

احتفلت الحكومة المصرية برفع الستار عن تمثال سعد زغلول باشا بالقاهرة والإسكندرية في صيف سنة ١٩٣٨ م.

وَتَرَفَّقُ بِهَامَةِ الْجَوَازِ^١
لَى تَجَلَّى مُحَلَّقًا فِي السَّمَاءِ^٢
وَتَرَكَ الْعُيُونُ لَمَحَ رَجَاءِ^٣
بَب فَتَمَضِّي فِي رَهْبَةٍ وَحَيَاءِ
ضِ فَفَارَزَتْ بِهِ طِبَاقُ الْجَوَاءِ^٤
شَمَاءَ أُولَى بِالْقَمَّةِ الشَّمَاءِ؟^٥
بِهِ فَيَجْتَازُ مُسْتَسِرَّ الْخَفَاءِ^٦
مِنْ ضِيَاءٍ لَا مِنْ حُرُوفِ الْهَجَاءِ
جَلَّ مَكْنُونُهُ عَنِ الْإِفْشَاءِ^٧
قُ وَمَدَّ الْأَعْنَاقَ لِلْإِصْغَاءِ
حُرْمَتُهُ مَقَاوِلُ الْبُلْغَاءِ
عَنْ قُيُودِ الْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ^٨
بَالَ أَنْ يَحْتَوِيهِ جَوْفُ إِنَاءِ^٩
تَجِدُ الْغَيْبَ كُلَّهُ فِي الْوِعَاءِ^{١٠}
وَمَعْنَى ضَخْمٍ قَصِيرِ الرِّدَاءِ
أَخْمَدْتُهُ فَهَاهُ الْفَأَفَاءِ^{١١}

اُمْلِ الْأَفَقَ مِنْ سَنَا وَسَنَاءِ
وَأَسْمُ نَحْوِ السَّمَاءِ كَالْمَثَلِ الْأَعِ
تَجْتَلِيكَ النُّفُوسُ طَالِعِ سَعْدِ
رَافِعُ رَأْسُهُ يَشْقُوقُ بِهِ السُّحْبِ
شَمَمٌ عَافَ أَنْ يَعِيشَ عَلَى الْأَرْضِ
مَنْ سَوَى ذِي الْمَضَاءِ وَالْهَمَّةِ الشَّ
نَاطِرٌ يَعْبُرُ الْوُجُودَ بِلَحْظِيهِ
تَتَجَلَّى لَهُ الْحَيَاةُ سَطُورًا
وَيَرَى مِنْ وَرَائِهَا كُلَّ سِرٍّ
وَأَقِفْ كَالْخَطِيبِ فَاَنْتَبَهَ الشَّرُّ
رُبَّ صَمْتٍ مِنَ الْبَيَانِ رَهِيْبِ
وَإِذَا جَلَّتِ الْمَعَانِي تَسَامَتْ
يَتَأَبَّى السَّيْلُ الَّذِي يَصْدَعُ الْأَجْبِ
وَإِذَا لَمْ تَعِ الْمَعَانِي فَتَنْقُبْ
بَيْنَ مَعْنَى قَزَمٍ يَجُرُّ رِدَاءِيهِ
رُبَّ فِكْرٍ فِي النَّفْسِ وَهُوَ مُضِيٌّ

* * *

كَانَ فِي مَوْتِهِ مِنَ الْخُلْدِ مَعْنَى
عِشْتَ حُرًّا، فَكَانَ خَيْرَ قَرِينٍ
تَزْدَهِي الطَّيْرُ بِالزَّعِيمِ وَتَهْفُو
كُلَّمَا غَنَّتِ الْبِلَادُ بِسَعْدٍ
وَهُوَ عَالٍ كَذِكْرِهِ، مَلَأَ الْأَرْضَ
إِنَّ مَنْ لَمْ يُبَالِ بِالمَوْتِ حَيًّا
فَوْقَ مَعْنَى الْحَيَاةِ وَالْأَحْيَاءِ
لَكَ بَعْدَ الْحَيَاةِ طَلُقَ الْهَوَاءُ^{١٢}
بِجَنَاحَيْنِ مِنْ هَوَى وَوَفَاءٍ
رَدَدْتُ فِي السَّمَاءِ لَحْنَ الْغِنَاءِ
ضَ، وَاللَّوَى بِعَاصِفَاتِ الْفَنَاءِ^{١٣}
فَازَ مَنْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِالبَقَاءِ

* * *

فِي صَفَاءٍ مِنَ الطَّبِيعَةِ كَالْحَقِّ
تَقْبِسُ الشَّمْسُ نُورَهَا مِنْهُ فِي الصُّبِّ
فِي حَفِيفٍ مِنَ النَّسِيمِ رَفِيقٍ
لَا يُبَالِي الْأَنْوَاءِ مِنْ بَعْدِمَا عَا
تَحْتَهُ النَّيْلُ فِي الْخَمَائِلِ يَمْشِي
سَارَ يُزْهِى بِشَاطِئِهِ طَلِيقًا
يَزَارُ الْمَوْجُ فِيهِ غَضْبَانٌ أَنْ ضَا
هُوَ مَجْرَى مِنَ الْبَشَائِرِ وَالْآ
هُوَ جِنًّا حَوْلَ الرُّبَا مِنْ نُضَارٍ
قَبَّلَتْهُ الْأَزْهَارُ وَهُوَ أَبُوهَا
قِ، إِذَا لَمْ يَشْنُهُ ثَوْبُ الرِّيَاءِ^{١٤}
حِ، وَزَهْرُ النُّجُومِ عِنْدَ الْمَسَاءِ^{١٥}
وَجَمِيمٍ عَذْبٍ مِنَ الْأَنْدَاءِ^{١٦}
شَ حَيَاةً كَثِيرَةً الْأَنْوَاءِ
خَافِضًا طَرَفَهُ عَلَى اسْتِحْيَاءِ
نَحْنُ أَدْرَى بِنِعْمَةِ الطَّلَقَاءِ
قِ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ إِطْرَاءِ
مَالٍ مُثْلَنٍ فِي غَرِينٍ وَمَاءِ^{١٧}
وَهُوَ جِنًّا مِنْ فَضَّةٍ بَيْضَاءِ
كَمْ حَنَانٍ فِي قُبْلَةِ الْأَبْنَاءِ!

* * *

قَفْ كَمَا شَنَّتْ وَقَفَهُ اللَّيْثُ يَا سَعْدَ
مِصْرُ غَيْلِ الشَّرْقِ الَّذِي عَلَّمَ الْأُسْدَ
نَابَهَا الْحُجَّةَ الضَّرُوسَ، وَأَظْفَا
زَارَتْ مِصْرُ فَأَسْتَطَارَ لَهَا الشَّرُّ
وَأَمَاطَ الْحِجَابَ عَنْ نَاطِرِيهِ
قَفْ مُشِيرًا إِلَى الْفَضَاءِ، فَذَكَرَا
دُ، قَلِيلَ الْأَنْدَادِ وَالنَّظَرَاءِ
دَ صَيَانَ الْحِمَى، وَقَتَكَ الضَّرَاءَ^{١٨}
رُ يَدِيهَا عَزِيمَةَ الْبَسْلَاءِ^{١٩}
قُ، وَلَبَّى مُثَوِّبًا لِلْنَّدَاءِ^{٢٠}
وَمَضَى يَسْتَخِفُّ بِالْأَرْزَاءِ^{٢١}
كَ مَدَى الدَّهْرِ مِلْءُ هَذَا الْفَضَاءِ

حَفِظْتُهَا الْأَبْنَاءُ أَنْشُودَةَ الْمَهْدِ — وَكَانَتْ عَقِيدَةَ الْآبَاءِ

* * *

قَفْ وَشَاهِدْ مِصْرَ الطَّلِيقَةِ تَجْرِي
نَحْنُ أُخْرَى بِالرَّسْمِ مِنْ أَلْفِ مَثَا
ذَهَبَ الْقَيْدُ فِي الرِّيَّاحِ وَوَلَّى
لَيْسَ يَدْرِي حَلَاوَةَ النُّجُجِ إِلَّا
وَنَعِيمَ السَّرَّاءِ يَجْهَلُ مَعَنَا
مَرْحَبًا بِالشَّدَائِدِ الدُّهْمِ، يَتَلَوُ
عَلَّمْتَنَا أَلَّا نَبِيتَ عَلَى ضَيْدٍ
وَأَرْتَنَا أَنَّ النِّهَايَةَ لِلصَّبِّ
كِبْرِيَاءُ الشُّعُوبِ سِرٌّ عَلَاهَا

شَوَّطَهَا، فِي تَوْتُبٍ وَمَضَاءِ
لِ، وَأَذْرَى بِشِيمَةِ النُّبْغَاءِ
وَبَدَا وَجْهَهَا وَضِيءَ الرُّوَاءِ^{٢٢}
كَادِحٌ ذَاقَ فِيهِ مُرَّ الْعَنَاءِ
هُ فَتَى لَمْ يَمَسَّ بِالضَّرَاءِ
هَذَا صَبَاحٌ مِنْ نِعْمَةٍ وَرَخَاءِ
مِ، وَأَلَّا نَبْكِي بُكَاءَ الْإِمَاءِ^{٢٣}
سِرٌّ إِذَا حَاطَهُ كَرِيمُ الْإِبَاءِ
لَمْ تَسُدْ أُمَّةً بِلَا كِبْرِيَاءِ

* * *

إِنَّ تِمْتَالَكَ الَّذِي هُوَ رَمَزُ
بَارِزٍ فِي الضَّمِيرِ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ
قَدْ أَجَادَ الْمَثَالَ مَا تَصْنَعُ الْكَفْ
غَيْرَ أَنَّ النَّفْسَ الْكَبِيرَةَ خَلَقَ
مَنْ تَرَى يَسْتَطِيعُ تَصْوِيرَ فِكْرٍ
مَنْ تَرَى يَسْتَطِيعُ تَصْوِيرَ رَأْيٍ
أَيُّنَ مَنْ يَرِسُّمُ الشَّهَامَةِ وَالْحَقِّ
أَيُّنَ مَنْ يَرِسُّمُ الْإِبَاءِ عَزِيزًا
صَوَّرُوا شَخْصَهُ وَخَلَّوْا الْمَعَانِي
يَصْعَدُ الشَّعْرُ حَيْثُ لَا تَصِلُ الشَّمَمُ
هُوَ خَطُّ الْجَمَالِ فِي صَفْحَةِ الْكُو

لِلْأَمَانِي، وَالْهَمَّةِ الْقَعَسَاءِ^{٢٤}
بَاعَتْ نُورَهُ إِلَى كُلِّ رَائِي
فُ، وَمَا يَسْتَطِيعُ وَحْيُ الذِّكَا
فَوْقَ طَوْقِ التَّصْوِيرِ وَالْإِيحَاءِ^{٢٥}
لَكَ أَمْضَى مِنْ رَجْعَةِ الْأَصْدَاءِ؟
أَلْمَعِي كَالْكُوكِبِ الْوُضَاءِ؟^{٢٦}
قَ وَضِيءَ السَّنَا بَعِيدَ السَّنَاءِ؟^{٢٧}
وَجَلَالَ الْهُدَى وَنُبُلَ السَّرَّاءِ؟^{٢٨}
وَدَعَوْهَا لِرِيْشَةِ الشُّعْرَاءِ
سُ، وَيَبْقَى عَلَى مَدَى الْآثَاءِ
نِ، فَهَلْ لِلْجَمَالِ مِنْ قُرَاءِ؟

* * *

شَرْفًا سَعْدُ، قَدْ لَقِيتَ مِنَ الْفَا رُوقَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنْ حَفَاءِ

مَلِكٌ يَقْدُرُ الرَّجَالَ، وَتَعْلُو فِي جَمَاهُ مَرَاتِبُ الْعُظَمَاءِ
كُلَّمَا أَثْنَبِ الْمَعَالِي عَلَيْهِ كَانَ فَوْقَ الْعُلَا وَفَوْقَ الثَّنَاءِ
حُبُّهُ جَمَعَ الْقُلُوبَ كَمَا تَج مَعَ بَلُورَةٍ شَتِيَتِ الضِّيَاءِ
حِكْمَةُ زَانَهَا الشَّبَابُ فَأَضَحَتْ قَبَسًا لِلْهُدَاةِ وَالْحُكْمَاءِ^{٢٩}
وَجَلَالٌ لِمِثْلِهِ يَخْشَعُ الطَّرُ فُ، وَتَعْنُو الْقُلُوبُ بِالْإِيْمَاءِ^{٣٠}
قَدْ فَدَيْنَا لَوَاءَهُ فِي يَدَيْهِ وَفَدَيْنَاهُ حَامِلًا لِلَّوَاءِ^{٣١}
هَتَفَ الْمَجْدُ بِاسْمِهِ وَاسْتَضَاءَتْ بِسَنَاهُ زَعَامَةُ الزُّعَمَاءِ
قَدْ مَلَأَتْ الْوُجُودَ شِعْرًا بِمَدْحِهِ هِ، وَمَا زِلْتُ بَيْنَ بَاءٍ وَتَاءٍ
يَنْتَهِي جُهْدُ كُلِّ مَدْحٍ وَوَصْفٍ وَمَدَى فَضْلِهِ بِغَيْرِ انْتِهَاءِ

هوامش

- (١) سنا: ضوء. سناء: رفعة وشرف. هامة: رأس كل شيء وجمعه الهام. الجوزاء: برج في السماء.
- (٢) اسْمُ: اعلُ.
- (٣) تجتليك: تستبينك وتترك.
- (٤) الشمم: الأنفة والإباء. عاف: كره ومل. طباق: طبقات. الجواء: جمع جو.
- (٥) المضاء: النفاذ والإرادة القوية. السماء: العالية.
- (٦) يعبر: يجتاز. اللحظ: مؤخر العين. مستسر: مستتر.
- (٧) جل: عظم واستعصى. مكنونه: مستوره.
- (٨) جلت: عظمت. تسامت: تعالت وعظمت.
- (٩) يصدع: يشق.
- (١٠) لم تع: لم تستبن. نقب: ابحت.
- (١١) أخدمته: أخفته. فهاهة: عي. الفأفاء: مردد الفاء في كلامه من العي.
- (١٢) قرين: مثل ونظير.
- (١٣) ألوى بعاصفات الفناء: ذهب بها وسحقها.
- (١٤) لم يشنه: لم يعبه. الرياء: إظهار خلاف الباطن.
- (١٥) تقبس: تستمد وتأخذ. زهر النجوم: الكواكب المشرقة.

- (١٦) الأنداء: جمع ندى.
- (١٧) مثلن: صورن. الغرين: ما يحمله ماء النيل من الطين.
- (١٨) الغيل: الشجر الكثير الملتف وهو موضع الآساد. صيان: حفظ. الحمى: ما يحمى ويحافظ عليه كالوطن. الضراء: جمع ضرو كذئب وهو الحيوان الضاري.
- (١٩) الضروس: الطاحنة.
- (٢٠) استطار: أسرع. مثوبًا: مقبلًا أو مرددًا الإجابة.
- (٢١) أماط: نحى وأبعد. الأرزاء: جمع رزء وهو المصيبة.
- (٢٢) الرواء: حسن المنظر.
- (٢٣) ضيم: ذل وظلم. الإماء: جمع أمة وهي الجارية.
- (٢٤) القعساء: العالية.
- (٢٥) طوق: قدرة. الإيحاء: الإلهام.
- (٢٦) الرأي الأُلعي: الرأي السديد الواضح.
- (٢٧) وضيء السنا: ظاهر الوضوح. بعيد السناء: عظيم العلو.
- (٢٨) نبل السراء: عظمة الشرف.
- (٢٩) قَبَسًا: شعلة من النار.
- (٣٠) تعنو: تخضع. الإيماء: الإشارة.
- (٣١) اللواء: العلم.

الدكتور علي إبراهيم باشا

أنشدت هذه القصيدة في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة في حفل تكريم الجراح علي إبراهيم باشا بمناسبة بلوغه سن الستين عام ١٩٤١م، وكان وزيراً للصحة حينئذ.

وَوَثْبَةُ شَأْوٍ كَادَ يَسْتَبِقُ النَجْمَا ^١	نُؤَابَةُ مَجْدٍ مَا أَجَلٌّ وَمَا أَسْمَى
وَقَدَّرُ «عَلِيٌّ» يَبْهَرُ الشَّعْرَ وَالْوَهْمَا؟	وَمَاذَا يَقُولُ الشَّعْرُ وَالْوَهْمُ جُهِدُهُ
إِلَى رَقْمَةٍ شَمَاءَ أَعْجَزَتِ الْعُصْمَا؟ ^٢	وَأَنْتَى يَمْدُ ابْنِ الْقَوَافِي جَنَاحَهُ
إِذَا لَمَحَ الْآثَارَ وَالْحَسَبَ الضَّخْمَا	يَضِيقُ الْبَيَانُ الْعَبْقَرِيَّ مَهَابَةً
وَقَدْ كَانَ يِقْتَادُ النُّجُومَ إِذَا هَمَّ ^٣	يَهْمُ فَيَعْرِوهُ الْقُصُورُ فَيَنْتَنِي
فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يُحْكِمَ النَّقْشَ وَالرَّسْمَا؟ ^٤	وَمَنْ رَامَ تَصْوِيرَ الْمَلَائِكِ جَاهِدًا
وَعَرَّدَ بِمَا لَا تَسْتَطِيعُ لَهُ كَتْمًا	رُوَيْدَكَ قَلْ يَا شَعْرُ مَا تَسْتَطِيعُهُ
فَيَكْفِيكَ عِنْدَ الشَّطِّ أَنْ تَصِفَ الْيَمَّ ^٥	إِذَا الْيَمُّ أَعْيَا أَنْ تُلِمَّ بِحَدِّهِ
فَإِنَّ الْعُلَا صَارَتْ لَهُ لَقَبًا وَاسْمَا ^٦	وَيَكْفِيكَ أَنْ تَدْعُو أَبَا الطَّبِّ بِاسْمِهِ
تَمَاتِلُهَا حُسْنًا، وَتَشَبِّهُهَا شَمَّ ^٧	فَقُلْ وَانْتُرِ الْأَزْهَارَ فَوْقَ مَنَاقِبِ
أَشَادَتْ بِهِ نَثْرًا، وَغَنَّتْ بِهِ نِظْمَا	وَحُذِّدَتْ مِنْ قَمِّ الدُّنْيَا الثَّنَاءَ فَطَالَمَا
وَقَدْ عَرَفْتُهُ، لَنْ تَزِيدَ بِهِ عِلْمَا	وَحَدَّثَتْ بِهِ الْأَفَاقُ إِنْ شِئْتَ، إِنَّهَا

* * *

فَقَدْ عَادَ غُرْمًا مَا تَوَهَّمْتُهُ غُنْمَا	دَعُونِي أَوْفِي بِالْقَرِيضِ دِيُونَهُ
فَيَمْلُونِي رُعْبًا، وَأَمْلُوهُ هَمَّ ^٨	سَمَوْتُ إِلَيْهِ، وَالظَّلَامُ يَلْفَنِي

تَكَادُ تُذِيبُ الصُّمَّ لو مَسَّتِ الصُّمَّا^٩
 كَأَنَّ هَلَالَ الشُّكِّ كَانَ لَهَا جِسْمًا^{١٠}
 وَكَادَ عَلَيْهَا يَشْتَكِي السُّهْدُ وَالسُّقْمَا
 بِأُظْفَارِهِ حُمْرًا، وَأُنْيَابِهِ سُحْمَا^{١١}
 وَفِي الرَّأْسِ نَارٌ لَا تَبُوخُ مِنَ الْحُمَى^{١٢}
 خَيَالًا، فَلَا عَظْمًا يَرَيْنَ وَلَا لَحْمًا^{١٣}
 عَيْبًا، يَكَادُ الْعَجْزُ يَقْتُلُهُ غَمًّا^{١٤}
 طَيُورٌ رَمَى الرَّامِي بِدَوْحَتِهَا سَهْمًا^{١٥}
 وَأَقْتُلْ مِنْهُ نِيَّةٌ لَمْ تَجِدْ عَزْمًا
 إِذَا مَا أَدَارَ الدَّهْرُ صَفْحَتَهُ جَهْمًا^{١٦}
 وَأَكْرَمُ مَنْ يُرْجَى، وَأَشْرَفُ مَنْ يُسَمَّى
 فَتَمَّ الَّذِي تَرْجُوهُ مِنْ أَمَلٍ نَمًّا^{١٧}
 تَقْدَمَ بِسَامِ الْأَسَارِيرِ مُهْتَمًّا
 وَكَانَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَسْرَعَنَا فَهْمًا
 يَمُدُّ جَنَاحًا مِنْ حَنَانٍ وَمِنْ رُحْمَى
 كَأَنَّ لَهُ عِلْمًا بِمَوْضِعِهِ قَدَمًا^{١٨}
 أَطْلَحَ بَنَابَ الْمَوْتِ، وَاسْتَأْصَلَ السَّمَاءَ^{١٩}
 وَبَدَّلَهُمْ مِنْ بُؤْسِ أَيَّامِهِمْ نُعْمَى
 مَاثِرُهُ الْجُلَى، وَنَائِلُهُ الْجَمَّا^{٢٠}
 فَذَلِكَ قَدْ أَهْدَى الْوُجُودَ وَمَا ضَمًّا

أَسِيرٌ وَفِي قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ لَوْعَةٌ
 تَرَكْتُ بَيْتِي جُنَّةً أَدْمِيَّةً
 شَكْتُ سُقْمَهَا حَتَّى بَكَاهَا وَسَادَهَا
 يَمَزَّقُهَا الْمَوْتُ الْعَنِيفُ صِرَاعُهُ
 فِي الْبَطْنِ قَرْحٌ لَا يَكْفُ لَهْيَبُهُ
 إِذَا قَلَبْتُهَا الْعَائِدَاتُ حَسِبْنَهَا
 وَقَدْ وَقَفَ الطَّبُّ الْحَدِيثُ حِيَالَهَا
 وَغَادَرَهَا جَمْعُ الْأَسَاةِ كَأَنَّهُمْ
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْيَأْسُ، وَالْيَأْسُ قَاتِلُ
 فَقُلْتُ: «عَلِيٌّ» لَيْسَ لِلْأَمْرِ غَيْرُهُ
 أَبُو الْحَسَنِ الْجَرَّاحُ فَخَرُّ بِلَادِهِ
 فَزُرْ دَارَهُ يَلْقَاكَ قَبْلَ نَدَائِهِ
 فَمَا سَرْتُ نَحْوَ الْبَابِ حَتَّى رَأَيْتُهُ
 وَقَدْ فَهَمْتَنِي عَيْنُهُ وَفَهَمْتُهُ
 وَجَاءَ وَجِبْرِيلُ الْأَمِينُ أَمَامَهُ
 وَجَسَّ مَكَانَ الدَّاءِ أَوَّلَ نَظَرِهِ
 فَمَا هُوَ إِلَّا مَبْضَعٌ فِي يَمِينِهِ
 وَرَدَّ إِلَى أَهْلِي حَيَاةً عَزِيزَةً
 مَتَى ذَكَرُوهُ فِي خُشُوعٍ تَذَكَّرُوا
 إِذَا مَا أَمَرُوْهُ أَهْدَى الْحَيَاةَ لَمِيَّتْ

يُصِيبُ حُشَاشَاتِ الْمَنُونِ إِذَا أَدْمَى^{٢١}
 وَأَرْفُقُ مِنْ طِفْلِ إِذَا دَاعَبَ الْأُمَّا
 إِذَا مَا جَرَى يَسْتَأْصِلُ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
 تَظُنُّ الَّذِي شَهِدَتْ مِنْ عَجَبٍ حُلْمًا^{٢٢}
 يُضِيءُ لَهُ نَهْجُ الطَّرِيقِ إِذَا أَمَّا^{٢٣}
 وَأَصْدُقُ إِنْ مَرْتُ عَلَى جَسَدٍ حُكْمًا

لَهُ مَبْضَعٌ تَجْرِي الْحَيَاةُ بِحَدِّهِ
 أَحَنُّ عَلَى الْمَجْرُوحِ مِنْ أُمٍّ وَاحِدٍ
 تَعْلَمُ مِنْهُ الْبَرْقُ سُرْعَةَ خَطْفِهِ
 تَكَادُ وَقَدْ شَاهَدَتْ وَمَضَ مَضَائِهِ
 كَأَنَّ بِهِ نُورًا مِنَ اللَّهِ سَاطِعًا
 أَصَابِعُ أَجْدَى خَبْرَةٍ مِنْ أَشْعَةٍ

فكم من حياة في أناملها التي
وكم من يد أسدت، إذا شئت وصفها
زها الشرق إعجاباً به وبمثله
إذا قَسَم الله الكريم لأمة
تكاؤ شفاه الطب تلثمها لثماً^{٢٤}
ضللت بها كيفاً، وأخطأتها كمّاً^{٢٥}
وقد عاش دهرًا قبله يشتكى العُقمَا^{٢٦}
بنابغة فرد، فقد أجزل القسما^{٢٧}

* * *

هنيئًا لك العمر السعيد فإنّه
بلغت به علّيا السنين وكلّها
كأنك منه فوق ذروة شامخ
زمان مضى في الجد ما مس شُبّهة
بنيت به عزًا لمصر فأينما
بذلت لها من صحّة ورفاهة
وألهمتّها معنى الثناء ولفظه
إذا كان للرحمن في الناس آية
تلاؤ رأي يسلب الشمس ضوءها
فإن كرمك اليوم مصر فإنما
فقل للذي يبغي لحاقك جاهداً:
إذا ما رأى الناس المكارم جليّة
فِعش واملأ الدنيا حياةً وذكرةً
عُصارة دهرٍ ضمّت العزم والحزما
مدارج مجد تفرع القمم الشما^{٢٨}
ترى من أمور الدهر أبعدّها مرَمَى^{٢٩}
ولا وصلت كف الزمان به دماً^{٣٠}
تلقت تلقى صرحه سامقاً فخما^{٣١}
فأولتك حباً ما أبر وما أسمى^{٣٢}
كريمًا، فخذ اليوم من فمها نغماً
فإنك بين الناس آيته العظمى^{٣٣}
وكامل خلق علم القمر التما^{٣٤}
تكرّم من أبنائها رجلاً شهماً
رؤيدك حتى يدخل الجمل السما^{٣٥}
فأنت تراها في العلا واجباً حتماً
فمئلك يعلّي ذكره العرب والعجما^{٣٦}

هوامش

- (١) ذؤابة كل شيء: أعلاه. شأو: الغاية والأمد.
- (٢) ابن القوافي: الشاعر. شماء: عالية مرتفعة. العصما: جمع أعصم وهو الظبي في ذراعيه أو إحداهما بياض، وهو أقدر الحيوان على تسلق الجبال.
- (٣) يعرفه: يصيبه. يقتاد: يقود.
- (٤) يحكم: يتقن. النقش: الزخرفة.
- (٥) اليم: البحر. تلم: تحيط.

- (٦) أبا الطب: الدكتور علي إبراهيم باشا.
(٧) شما: شم الطيب، تنفس رائحته بهدوء.
(٨) يقص الشاعر هنا ما أصاب إحدى قريباته من مرض عضال، وما كان من عناية الممدوح بها حتى شفيت.
(٩) الصم: الحجارة الصلبة الملساء.
(١٠) هلال الشك: هو يوم استطلاع هلال أول الشهر العربي حيث يكون الهلال دقيقاً ويكاد لا يرى.
(١١) صراعه: قتله. سحما: سودا.
(١٢) قرح: ألم الجراح. لا تبوخ: لا تطفأ ولا تسكن.
(١٣) العائدات: زائراتها اللاتي يعطفن عليها.
(١٤) عيياً: عاجزاً.
(١٥) الأساة: الأطباء.
(١٦) أدار الدهر صفحته: قلب وجهه. جهماً: كالح الوجه عابساً.
(١٧) فثم: فهناك.
(١٨) قدما: قديماً.
(١٩) مبضع: مشرط.
(٢٠) الجلى: الظاهرة الواضحة. نائله: عطاياه. الجما: الكثيرة.
(٢١) بحدّه: بنصله. حشاشات: ما بداخلها. أدمى: أنزل الدم.
(٢٢) ومض: لمعان. مضائه: سرعته وهمته.
(٢٣) نهج: الطريق أبانه وأوضحه. أمّا: قصد.
(٢٤) أناملها: أطراف الأصابع. تلثمها: تقبلها.
(٢٥) ضللت: لم تهتد إليه. كمّاً: عددًا.
(٢٦) زها: افتخر. العقما: عدم الإنجاب.
(٢٧) أجزل: أكثر له العطاء.
(٢٨) تفرع: تزيد ارتفاعاً. شما: العالية.
(٢٩) ذروة: قمة الشيء وأعلى. شامخ: شاهق.
(٣٠) وصلت: اتصلت. ذمّاً: ضد المدح.
(٣١) صرحه: البناء العالي الشامخ. سامقاً: عاليًا.

الدكتور علي إبراهيم باشا

(٣٢) رفاهة: سعة من العيش. أولتك: أعطيتك.

(٣٣) آية: علامة.

(٣٤) تَلَأَلُوْا: إضاءة. يسلب: يسرق. التما: الكمال.

(٣٥) رويدك: مهلاً. الجمل: هو الحيوان المعروف أو الحبل الغليظ. السما: الثقب

وهنا اقتباس من الآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾.

(٣٦) ذكره: ذكرى.

ليلة وليلى

١٩١٧م

وَلَيْلَةٍ خَالِغَةِ الْجُلُبَابِ أَغْطَشَ مِنْ خَافِيَةِ الْغُرَابِ^١
كَأَنَّهَا صَحِيفَةُ الْمُغْتَابِ أَوْ حَظُّ مَحْدُودٍ مِنَ الْكُتَّابِ^٢
أَوْ عَمَرَاتُ الزَّاحِرِ الْخَضَمِ^٣
وَقَفْتُ فِيهَا وَقْفَةَ الْمُلتَاحِ أَسْأَلُ النَّجْمَ عَنِ الصَّبَاحِ^٤
فَقَالَ: سَلْ عَنْهُ عَتِيقَ الرَّاحِ أَوْ وَجَنَاتِ الْخُرْدِ الْمِلَاحِ^٥
فَلَيْسَ لِي بِشَأْنِهِ مِنْ عِلْمِ
إِنِّي رَأَيْتُ الْعُرْبَ الْجَسَانَا يَصْبِغْنَ مِنْهُ الْخَدَّ وَالْبَنَانَا^٦
وَرَاهِبًا، أَظُنُّهُ فُلَانَا أَخْضَرَ بِالْأَمْسِ هُنَا دِنَانَا^٧
وَرَاخَ وَهِيَ مُفْعَمَاتُ تَهْمِي^٨
يَا سَارِقَاتِ الصَّبْحِ طَالَ لَيْلِي! فَدَيْتُكُنَّ بَعْضَ هَذَا الدَّلِّ!
هَلْ جَارَ فِي دَيْنِ الْغَرَامِ ذُلِّي؟ مَنْ لِي بِأَنْ أَلْقَى الصَّبَاحَ مَنْ لِي؟
بِاللَّمَحِ أَوْ بِاللَّمْسِ أَوْ بِاللَّثَمِ
فَيَكُنَّ ذَاتُ حَسَبٍ وَدَيْنِ مُشْرِقَةُ الطَّلَعَةِ وَالْجَبِينِ
كَأَنَّهَا إِحْدَى الطُّبَّاءِ الْعَيْنِ مَنْ عَاذِرِي فِيهَا، وَمَنْ مُعِينِي؟^٩
عِيلَ بِهَا صَبْرِي وَطَاشَ جُلْمِي^{١٠}
عَلِقْتُهَا صَامِتَةً الْحَجَلَيْنِ أَنْصَعَ مِنْ سَبِيكَةِ اللُّجَيْنِ^{١١}

حَوْرَاءَ مِلءَ الْقَلْبِ، مِلءَ الْعَيْنِ كَأَنَّهَا اللَّقَاءُ بَعْدَ الْبَيْنِ^{١٢}
 أَوْ عَوْدَةُ الشِّفَاءِ بَعْدَ السُّقْمِ
 حَدِيثُهَا سُلَافَةُ النَّدِيمِ وَخُلُقُهَا تَوَاضُعُ الْيَتِيمِ^{١٣}
 فَدَيْتُهَا مِنْ مَلِكٍ كَرِيمٍ! تَعْرِفُ فِيهَا نَضْرَةَ النَّعِيمِ
 أَنْقَى وَأَصْفَى مِنْ نِطَافِ الْغَيْمِ^{١٤}
 أَبْرَزْنَهَا يَوْمًا فَقُلْتُ: وَاهَا! قُتِلْتُ إِنْ شَبَّتُ فِي سِوَاهَا!
 كَأَنَّهَا، وَالْحُسْنَ قَدْ جَلَّاهَا لَوْلَا، تَبْهَرُ مَنْ رَأَاهَا^{١٥}
 أَلْقَى بِهَا الْغَوَاصُ قُرْبَ الْيَمِّ
 لَيْلَايَ يَا مِضِيئَةَ اللَّيْلَاتِ! يَا مَلَكَ الرَّحْمَةِ وَالنَّجَاةِ!
 عَرَفْتُ مِنْكَ كَرَمَ الصِّفَاتِ وَقِيَمَةَ الْحَيَاةِ فِي الْحَيَاةِ
 إِنْ كَانَ لِي نَعْمٌ فَأَنْتِ نُعْمِي^{١٦}

هوامش

- (١) أَعْطَشَ: أَظْلَمَ. وخافية الغراب: واحدة الخوافي وهي ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفت، أو هي الأربع اللواتي بعد المناكب، أو هي سبع ريشات بعد السبع المقدمات، أو هي ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح.
- (٢) المغتاب: الذي يذكر غيره بما يكره.
- (٣) الغمرات: جمع غمرة وهي كثرة الماء. الزاخر: الطامي الممتلئ. الخضم: البحر.
- (٤) الملتاح: المتغير من هم أو سفر أو نحوهما.
- (٥) العتيق: القديم. الراح: الخمر. الخرد: جمع خريدة وهي البكر لم تمس، أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة.
- (٦) العرب: جمع عروب وهي المرأة الضاحكة المتغزلة.
- (٧) الراهب: عابد النصراني. الدنان: جمع دن وهو وعاء الخمر.
- (٨) راح: رجع. مفعمات: مملوءات. تهمي: تسيل.
- (٩) العين: جمع عيناء وهي الحسنة العينين الواسعتهما.
- (١٠) عيل صبري: غلب. الحلم: الأناة والعقل.
- (١١) علقتها: هويتها وأحببتها. الحجل: الخلخال، وصامته الخلخالين أي: لا يسمع لهما حس، وذلك كناية عن امتلاء ساقها. اللجين: الفضة.

(١٢) حوراء: صفة من الحور وهو شدة بياض العين في شدة سوادها. اليين: الفراق.

(١٣) السلافة: الخمر. النديم: من ينادمك أي يجالسك على الشراب.

(١٤) النطاف: جمع نطفة وهي الماء الصافي. الغيم: السحاب.

(١٥) جلاها: كشفها وأوضحها. تبهر: تغلب بحسنها.

(١٦) نعم: اسم فتاة شبيب بها عمر بن أبي ربيعة.

عيد جلوس الفاروق في السودان

حينما زار الشاعر السودان في سنة ١٩٣٧م، واحتفى السودان حكومته وشعبه بعيد جلوس الفاروق، أنشد الشاعر هذه القصيدة في حفل رسمي حاشد.

وَعَدَكَ بِالْمُنَى وَصَدَقْتُ وَعْدِي	عِيدَ الْجُلُوسِ صَدَقْتُ
فَغَرَّدَتْ بِحَنِينٍ وَجِدِي ^١	عَلَّمْتُ طَيْرَ الْوَادِيَيْنِ
كَانَتْ لِحَبْلِكَ خَيْرَ عَقْدٍ ^٢	وَنَظَّمْتُ فَيْكَ فَرَائِدًا
وَوَجْهَ الرِّوْضِ يُبْدِي	الشَّعْرُ يُبْدِي فَيْكَ زِينَتَهُ،
دَ نَضِيرَةً وَنَثَرْتُ وَرْدِي	نَثَرَ الرَّبِيعُ بِكَ الْوُرُودَ
وَأَنْتَقَى لَكَ خَيْرَ بُرْدٍ ^٣	وَوَشَى الْبُرُودَ مِنَ الْأَزَاهِرِ
وَتَنَيْنَ مِنْ جِيدٍ وَقَدْ ^٤	فِيهِ الرِّيَاضُ تَبَرَّجَتْ
فِيهَا وَمِنْ نَغْرٍ وَخَدْ ^٥	كَمْ مِنْ عُيُونٍ غَضَّةٍ
أُرْدَانٍ مِنْ مِسْكٍ وَنَدٍّ ^٦	وَجَرَى النَّسِيمُ مُضْمَخَ الـ

* * *

ذِكْرَكَ مِنْ عِزٍّ وَمَجْدٍ	عِيدَ الْجُلُوسِ وَكَمْ حَوَتْ
نَ وَصَرْتُ فِي الشُّعْرَاءِ وَحْدِي	أَصْبَحَتْ وَحْدَكَ فِي الرَّمَا
نُ وَأَيْنَ إِنْ لَمْ تُلَفْ عِنْدِي؟ ^٧	عِنْدِي لَكَ الدُّرَرُ الْحَسَا
رُ نَخِيرَةً وَأَعَزُّ بَنْدٍ ^٨	الشَّعْرُ لِلْأَمْلَاقِ خَيْـ
تَاجِينَ مِنْ مَجْدٍ وَخُلْدٍ ^٩	صَاغَتْ سَوَائِرُهُ لَهُمْ

وَلَرَّبِّ قَافِيَةٍ بِهَا مَا شِئْتُ مِنْ خَيْلٍ وَجُنْدٍ
تَسْرِي فَلَا صَعْبُ بِصَعْدِ بِ لَا وَلَا بُعْدُ بِبُعْدِ
تَثْبُ الْجِبَالِ وَمَا لَهَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ مِنْ مَصْدٍ
الشَّعْرُ زَنْدٌ لِلْقَوِيِّ وَعُدَّةٌ لِلْمُسْتَعِدِّ^{١٠}
كَمْ زَانَ مِنْ مُلْكٍ كَمَا أَزْ دَانَ الْمُهَنْدِ بِالْفِرَنْدِ^{١١}

* * *

عَيْدَ الْجُلُوسِ وَأَنْتَ فِي الْـ أَعْيَادَ فَرْدٍ أَيْ فَرْدٍ!
أَلْفَى بِكَ الْأَمْلُ الْبَعِيدِ دُ لِمَصْرٍ أَكْرَمَ مُسْتَمَدِّ^{١٢}
وَتَوَاتَرَتْ نِعَمُ الْإِلـ هِ تَجِلُّ عَنْ حَضْرٍ وَعَدِّ

* * *

«فَارُوقُ» يَا أَسَّ الرِّجَا ءِ وَمُلْتَقَى الرُّكْنِ الْأَشَدِّ^{١٣}
جُمَلْتُ بِالْقَوْلِ السَّيِّدِ دِ وَسَاطِعِ الرَّأْيِ الْأَسَدِّ
وَهَبْتُ لَكَ الدُّنْيَا مَفَا تَحَ مَجْدِهَا مِنْ غَيْرِ رَدِّ^{١٤}
وَضَمَمْتُ بُرْدَ شَبَابِكَ الزَّا هِيَ عَلَى جِدِّ وَجَدِّ^{١٥}
خُلُقٍ كَأَزْزَارِ النَّسِيمِ تَفْتَحَتْ عَنْ نَفْحِ رَنْدِ^{١٦}
وَعَزِيمَةً لَوْ لَاطَمَتْ أَحَدًا مَضَتْ أَيَّامُ أَحَدِ^{١٧}
طَهَّرْتُ مِنَ الصِّلَفِ الذَّمِيدِ مِ وَعُنْفُوانِ الْمُسْتَبِيدِ^{١٨}
تَجَرِّي عَلَى سَنَنِ الْمُهَيِّدِ مِّنْ بَيْنِ إِيْمَانٍ وَرُشْدِ^{١٩}
مَنْ سَارَ فِي نُورِ الْإِلـ هِ سَعَى إِلَيْهِ كُلُّ قَصْدِ^{٢٠}
وَمَضَى فَعَادَ الْوَهْدُ مُسـ حَتَوِيًّا وَطَاطَأَ كُلُّ نَجْدِ^{٢١}
الْمَجْدُ وَهُوَ مَنَى الْحَيَا ةِ أَعَدَّ لِلْبَطَلِ الْمُجْدِّ
حَسَنَاءَ دُونَ حِجَابِهَا رَصْدَانِ مِنْ هَجْرٍ وَصَدِّ^{٢٢}
تَقِفُ الْعُيُونُ حِيَالَهَا حَيْرَى عَلَى شَغْفٍ وَسَهْدِ
مَهْرُ الْبُطُولَةِ مَا أَجَلُ لَ فَمَنْ يُؤَفِّي أَوْ يُؤَدِّي!
لَا تَبُكُ إِنْ عَزَّ السَّبِيـ لُ فَإِنَّ نَوْحَكَ غَيْرُ مُجْدِي
وَأَعْمَلُ بِجُهْدِكَ مَا اسْتَطَعـ حَتَّ فَلَنْ تَفُوزَ بِغَيْرِ جُهْدِ

فالسَّيْفُ غَمْدٌ مَا أَقَا مَ وَلَمْ يُفَارِقْ جَوْفَ غَمْدِ

«فَارُوقُ» فَرَّدُ فِي الْجَلَا لِ يَجِلُّ عَنْ وَصْفٍ وَحَدِّ
الْعَبْقَرِيَّةُ أَنْ تُحَلِّ لِقَ لِلنُّجُومِ بِغَيْرِ نَدِّ
وَتَنَالِ قَسْرًا مِنْ فَمِ الدِّ نَيَا حَلَاوَةَ كُلِّ حَمْدِ

مَنْ كَالْمَلِكِ إِذَا انْتَمَى بَهَرَ الْعُلَا بِأَبٍ وَجَدُّ؟
كَانَا لِمَضَرَ وَأَهْلِيهَا عَضْدًا يَصُولُ بِخَيْرِ زَنْدِ
رَكِبَا الْعَزَائِمَ لِلْعَظَا ئِمَ بَيْنَ إِيجَافٍ وَشَدِّ^{٢٣}
مَلَكَا خِطَامَ الْحَادِثَا تَ وَمَقْوَدَ الدَّهْرِ الْأَلَدِّ^{٢٤}
وَتَحَدَّيَا قَصَبَ السَّبَا قِ فَأَذَعَنْتَ عِنْدَ التَّحَدِّيِ^{٢٥}
شَرَفٌ إِذَا اخْتَارَ الْمُقَا مَ أَقَامَ فِي عَلِيَا مَعَدِّ^{٢٦}
فَلَكُمْ تَنْقَلُ فِي الْعُلَا مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ صَاقِ الرِّ
جَعْدِ أَبِي يَنْتَمِي لِمُوثَقِ الْعَزَمَاتِ جَعْدِ^{٢٧}
جَلْدِ، وَهَلْ خَضَعَ الزَمَا نُ لِعَيْرِ صُلْبِ الْعُودِ جَلْدِ؟^{٢٨}
جَلْدِ، وَهَلْ خَضَعَ الزَمَا نُ لِعَيْرِ صُلْبِ الْعُودِ جَلْدِ؟^{٢٩}

إِنِّي نَزَلْتُ بِجَيْرَةٍ بُسِّلَ عَلَى النَّجَدَاتِ حَشْدِ
أُنْسِيَتْ أَهْلِي بَيْنَهُمْ وَسَلَوْتُ إِخْوَانِي وَوُلْدِي
الضَّيْفُ فِي سَاحَاتِهِمْ يَجْتَازُ مِنْ رَفْدٍ لِرَفْدِ^{٢٠}
عَقَدُوا خَنَاصِرَهُمْ عَلَى صِدْقِ الْوَفَاءِ أَشَدَّ عَقْدِ^{٢١}
وَمَضَتْ أَوَاصِرُنَا تُمَدُّ إِلَى الْعُرُوبَةِ خَيْرٌ مَدِّ^{٢٢}

«فَارُوقُ» عَشَ نَجْمًا يُضِيءُ بِئُْمِنْ إِقْبَالٍ وَسَعْدِ
قَدْ كَانَ عَهْدُكَ فِي عُهُوَ دِ الْمَالِكِينَ أَجَلٌ عَهْدِ

بَلَعْتُ بِهِ مِصْرُ الْمَدَى وَتَخَلَّصْتُ مِنْ كُلِّ قَدٍّ ٢٣
خُذْهَا عُجَالَةً شَاعِرٌ تُغْنِي عَنِ الْقَوْلِ الْمُعَدِّ
سَلَكْتُ سَبِيلًا لَيِّنًا سَهْلًا وَجَافَتْ كُلُّ صُلْدٍ ٢٤
وَالرَّوْضُ إِنْ صَدَحْتَ بَلَا بِلُهُ صَدَحْنَ بِغَيْرِ كَدٍّ
فَاهِنًا بِعَيْدِكَ فِي نَعِي سَمِ مُشْرِقِ الْبَسَمَاتِ رَغْدٍ
تَفْدِيكَ مِصْرُ وَنِيلُهَا عَاشَ الْمُفْدَى وَالْمُفْدَى!

هوامش

- (١) يريد بالواديين مصر والسودان.
- (٢) الفرائد: جمع فريدة وهي الجوهرة النفيسة. الجيد: العنق. العقد: القلادة.
- (٣) وشيت الثوب: رقمته ونقشته. البرود: جمع برد وهو ثوب مخطط.
- (٤) الجيد: العنق. القد: القوام وهو القامة وحسن الطول.
- (٥) غضة: ناضرة ذات حسن ورونق.
- (٦) ضمخه بالطيب: لطخه به. الأردن: جمع ردن وهو أصل الكم. المسك: طيب معروف وهو أفضل الطيب عند العرب. الند: نوع من الطيب أو هو العنبر. أو عود طيب الرائحة يتبخر به.
- (٧) الدرر: جمع درة وهي اللؤلؤة العظيمة. تلفى: توجد.
- (٨) الأملاك: جمع ملك. البند: العلم الكبير.
- (٩) السوائر: جمع سائرة أي: ذائعة منتشرة.
- (١٠) الزند: موصل طرف الذراع في الكف، وهو من مكامن القوة في الإنسان.
- (١١) المهند: السيف المطبوع من حديد الهند. الفرند: جواهر السيف وشبهه وبريقه.
- (١٢) ألقى: وجد. المستمد: المكان الذي يطلب منه المدد، أو الزمان الذي يطلب فيه.
- (١٣) الأس: الأساس والأصل. الركن: زاوية البناء، وهي أقوى ما فيه وأشدّه.
- (١٤) المجد: العزم والشرف. وقوله: «من غير رد» احتراس جميل؛ لأن الهبة يصح أن تسترد.
- (١٥) البرد: الثوب. الجد بالكسر: الاجتهاد في الأمر. الجد بالفتح: السعد والعظمة.
- (١٦) أزار القميص وأحدهما زر. النسيم: الريح الطيبة. الرند: شجر طيب الرائحة من أشجار البادية.

(١٧) أحد: جبل بقرب مدينة النبي ﷺ وكانت به الغزوة الشهيرة المعروفة بغزوة أحد.

(١٨) الصلف: التكبر. عنفوان الشيء: أوله، والمراد شدته. المستبد بالأمر: المتفرد به من غير مشارك له.

(١٩) السنن: الطريقة والسنة. المهيمن: من أسماء الله تعالى بمعنى الرقيب والحافظ. (٢٠) القصد: بمعنى المقصود.

(٢١) الوهد: الأرض المنخفضة. طأطأ رأسه: طامنه وخفضه. النجد: ما ارتفع من الأرض.

(٢٢) الرصد: القوم يرصدون ويرقبون، يستوي فيه الواحد والجمع. الهجر: ضد الوصل. الصد: الانصراف والإعراض.

(٢٣) الإيجاف: مصدر أوجف الراكب بعيره أو فرسه أي: حملة على الوجيف وهو العدو. الشد: العدو.

(٢٤) الخطام: الزمام وهو المقود أي: الحبل الذي تقاد به الدابة. الألد: الشديد الخصومة.

(٢٥) القصب: كل نبات تكون ساقه أنابيب وكعوبًا. الواحدة قصبية، وقصب السباق أصله أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبًا، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع. أذعنت: خضعت وذلت.

(٢٦) معد بن عدنان: أبو العرب.

(٢٧) الأروع: الوسيم الشجاع. الوتر: شرعة القوس ومعلقها. العرد: القوي المتين الصلب.

(٢٨) الجعد: الكريم. الأبي: العف الغني النفس الذي يأبى الدنيا ويكرهها. ينتمي: ينتسب. الموثق العزمات: القوي الإرادة المحكم التدبير.

(٢٩) الجلد: صفة من الجلد وهو الصلابة.

(٣٠) الرفد: العطاء والصلة.

(٣١) الخناصر: جمع خنصر وهي الأصبع الصغرى، وعقد الخناصر على الشيء كناية عن شدة الحرص عليه.

(٣٢) الأواصر: جمع آصرة وهي الرحم والقراصة.

(٣٣) المدى: الغاية. القد بالكسر: سير يقدر من جلد غير مدبوغ يقيد به الأسير

ونحوه.

ديوان علي الجارم

(٣٤) جافت: باعدت. والصلد: الصلب.

رثاء أمين

يبكي الشاعر في هذه القصيدة صديق شبابه الأستاذ محمد أمين لطفي، وكان وكيلًا مساعدًا بوزارة المعارف، وقد أنشدت هذه القصيدة في جمع حافل بدار الأوبرا في آخر يناير سنة ١٩٣٦م.

وَمَنْ وَدَّعْتُ يَوْمَ الرَّجِيلِ وَودَّعُوا
وَلَكِنْ إِذَا ضَاقَ الْفَتَى كَيْفَ يَصْنَعُ؟^١
وتدركنا رُحْمَى الإِلَهِ فَنَخْضَعُ^٢
فَلَا الْحَزْمُ يَنْزِيهِه، وَلَا الْكَفُّ تَدْفَعُ
وننثرُ من آمالنا، وهو يَجْمَعُ^٣
يَطِيرُ بِهِ الْأَمْسُ الَّذِي لَيْسَ يَرْجِعُ^٤
وَزَالَ كَمَا زَالَ الْخَيَالُ الْمودَّعُ^٥
(وما بين قيد الرمح والرمح إصبع)^٦
فهل بَقِيَتْ إِلَّا جُفُونٌ وَأدمع؟
يصيحُ بِهِ فِي كُلِّ رَوْضٍ وَيَسْجَعُ^٧
ويستخبرُ الْأَمْوَاءَ، وَالطَّيْرُ شُرَّعُ^٨
ويعلو فيعلو النجمُ منه تَطْلُعُ^٩
إِذَا هَمَسَتْ مِنْهُ غُصُونٌ وَأَفْرَعُ
فَيَحْبِسُ مِنْ زُفْرَاتِهِ ثُمَّ يَسْمَعُ^{١٠}
وَمَلَّ صِمَاخُ اللَّيْلِ مِمَّا يُرْجَعُ^{١١}

أَتَدْرِي الْعُلَا مَنْ شَيَّعَتْ حِينَ شَبِعُوا؟
بَكَيْنًا، فَلَمْ يَشْفِ الْبُكَاءُ حُرْقَةَ النَّوَى
تَهْيِجُ بِنَا الذُّكْرَى، فَيَغْلِبُنَا الْأَسَى
هُوَ الْمَوْتُ سَهْمٌ فِي يَدِ اللَّهِ قَوْسُهُ
نَرْوَحُ إِلَى حَاجَاتِنَا، وَهُوَ رَاصِدٌ
بِنَفْسِي أَمِينًا فِي ثِيَابِ شَبَابِهِ
أَقَامَ كَمَا تَبَقَّى الْأَزَاهِيرُ لَمْحَةً
فَقَدَّنَاهُ فَقَدَانُ الْكَمِيِّ سَلَاخَهُ
فَقَدْنَاهُ، حَتَّى قَدْ فَقَدْنَا وَجُودَنَا
فَقَدْنَاهُ، فَقَدَانُ الْأَلِيفِ أَلِيفَهُ
يَسْأَلُ عَنْهُ الْأَفَقُ، وَالطَّيْرُ حُومٌ
يَدِفُ فَيَحْوِي الْأَرْضَ مِنْهُ تَأْمَلُ
يَظُنُّ خَفِيفَ الدَّوْحِ خَفَقَ جَنَاحِهِ
وَيَحْسَبُ تَحْنَانَ الْغَدِيرِ هَدْيَلَهُ
لَقَدْ مَلَّتِ الْغَابَاتُ مِمَّا يَجُوسُهَا

له أَنَّةُ المَجْرُوحِ أَعْيَا طَبِيبَهُ
كَأَنَّ جَنَاحَيْهِ شِرَاعُ سَفِينَةٍ
تُضَاجِكُهُ الْأَمَالُ حِينًا فَيَرْتَجِي
لَدَى كُلِّ عُشٍّ صَاحِبَاهُ، وَعُشُّهُ
عَزَاءً عَزَاءً أَيُّهَا الطَّيْرُ إِنَّمَا
فَأَيْنَ مِنَ الطَّيْرِ الْهَدِيدُ وَوُلْدُهُ؟
طَوَاهِمَ خِضْمٍ لَا يُنَادَى وَلِيدُهُ
وَضَجَّ لَمَّا يَشْكُو وَسَادُ وَمَضَجَعَ
دَهْتَهَا مِنَ الْأَرْوَاحِ نَكْبَاءُ زَعَزَعَ^{١٢}
وَيَجْبُهُهُ الْيَأْسُ الْعَبُوسُ فَيَخْشَعُ^{١٣}
خَلِيٍّ مِنَ الْأَلْفِ قَفَرٌ مُصَدَّعُ^{١٤}
لِكُلِّ امْرَأٍ فِي سَاحَةِ الْعَمْرِ مَضْرَعُ
وَأَيْنَ مِنَ الْأَمْلَاحِ كِسْرَى وَتُبَّعُ؟^{١٥}
يَطْوَحُهُمْ أَذْيُهُ الْمَتَدَفِّعُ^{١٦}

رَمَتْنِي اللَّيَالِي قَبْلَ نَعْيِكَ رَمِيَّةً
نِصَالُ جِدَادٍ قَدْ أَلِمْتُ لَحْمِهَا
فَلَمَّا رَمَانِي سَهْمُكَ الْيَوْمَ وَانْطَوَتْ
أَمْنْتُ عَلَى قَلْبِي السَّهَامَ فَلَمْ يَعْذُ
عَرَفْتُ بِهَا كَيْفَ الْقُلُوبُ تَقْطَعُ^{١٧}
وَأَعْلَمُ أَنِّي هَالِكٌ حِينَ تُنْزَعُ^{١٨}
عَلَيْهِ جُنُوبٌ خَافِقَاتٌ وَأُضْلَعُ^{١٩}
بِهِ بَعْدَ خُطْبِ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ مَوْضِعُ

أَلْنَسَى أَمِينًا، وَالشَّبَابُ يَحْفَنُنَا
بَأَرْضٍ إِذَا غَصَّ النَّهَارُ بِغَيْمِهَا
نَسِيتُ بِهِ أَهْلِي، وَيَا رَبُّ صَاحِبِ
يَغَالِبَنِي شَوْقٌ إِلَى الْفَنِّ رَائِعُ
نُروُحٌ وَنَغْدُو لَاهِيَيْنَ، وَلَمْ نَكُنْ
وَنَضْحَكُ لِلدُّنْيَا لِلْعُوبِ وَزُورِهَا
وَكُنَّا نَرَى الْأَيَّامَ أَحْلَامَ نَائِمٍ
وَكَانَتْ غِنَاءً كُلُّهَا ثُمَّ أَصْبَحَتْ
جَدِيدًا، وَرَوْضُ الْوَدِّ بِالْوَدِّ مُمْرَعُ^{٢٠}
فَوَجْهُ أَمِينٍ أَيْنَمَا لَاحَ يَسْطَعُ^{٢١}
أَبْرٌ مِنْ ابْنِ الْأُمِّ قَلْبًا وَأَنْفَعُ
وَيَجْذِبُهُ مَيْلٌ إِلَى الْعِلْمِ أَرْوَعُ
نَخَافُ رَزَايَا الدَّهْرِ أَوْ نَتَوَقَّعُ^{٢٢}
وَنَمْرَحُ فِي زَهْوِ الشَّبَابِ وَنَرْتَعُ
فَأَيْقِظُنَا مِنْهَا الْأَلِيمُ الْمُرْوَعُ^{٢٣}
وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا الرِّثَاءُ الْمَفْجَعُ^{٢٤}

أَتَذَكَّرُ إِذْ نَمَشِي إِلَى الدَّرْسِ بُكْرَةً
وَقَدْ حَجَبَ الشَّمْسُ الضُّبَابُ كَأَنَّمَا
بِلَادُ كَأَنَّ الشَّمْسَ مَاتَتْ بِأَفْقِهَا
بِنُوتِنِجَاهِمَ، تَسْتَحِثُّ فَأَسْرِعُ؟^{٢٥}
تَلَا اللَّيْلُ لَيْلٌ عَاكِرُ اللَّوْنِ أَسْفَعُ^{٢٦}
فَظَلَّتْ عَلَيْهَا أَعْيُنُ السُّخْبِ تَدْمَعُ

سيوفٌ وَغَى فِي ظِلْمَةِ النَّقْعِ تَلْمَعُ^{٢٧}
صَحِيفَتُكَ الْبِيضَاءُ بَلْ هِيَ أَنْصَعُ
وَقَدْ رَقَّ مَعْنَاهُ الرَّحِيقُ الْمُشْغَشَعُ^{٢٨}
وَأَنْضَرُ مِنْ وَشْيِ الرِّيَاضِ وَأَضْوَعُ^{٢٩}
وَإِنِّي بِأَخْلَاقِ الْكَرَامِ لَمَوْلَعُ^{٣٠}
فَلَا الرَّأْيُ مَافُونٌ وَلَا الْقَوْلُ مُقْذِعُ^{٣١}
زُلَالًا مِنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَتَكَرُّعُ^{٣٢}
وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا سِوَى الْمَجْدِ مَطْمَعُ
وَسَعْيِي صَغِيرُ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ مُخَضَّعُ
وَعَزْمُ حَدِيدِ النَّصْلِ لَا يَتَزَعَّزَعُ
دَنَا الصَّعْبُ، وَانْقَادَ الْعَسِيرِ الْمُمَنَّعُ
بِغَيْرِ جَلِيلَاتِ الْمَطَالِبِ تَقْنَعُ
وَأَشْرَفُ عُتْوَانٍ لِمِصْرَ وَأَرْفَعُ
فَأَبْدَعْتُ فِيمَا قَدْ رَسَمْتُ وَأَبْدَعُوا
سِوَى سِيرَةِ الْأَبْطَالِ فِي النَّاسِ مَهِيْعُ^{٣٣}

كَأَنَّ الْمَصَابِيحَ الْخَوَافِقَ حَوَّلْنَا
كَأَنَّ بِيَاضَ الثَّلَجِ يُنْتَرُ فَوْقَنَا
تُنَاقِلُنِي حُلُوَ الْحَدِيثِ كَأَنَّهُ
خِلَالُ كَرِيمَاتٍ أَرَقُّ مِنَ الصَّبَا
وَلِيعْتُ بِهَا عُمْرِي، وَأَكْبَرْتُ رَبَّهَا
وَقَدْ كُنْتُ عَفَّ النَّفْسِ وَاللَّفْظِ وَالنَّهْيِ
تَكْدُ كَمَا كَدَّ النَّمَالُ، وَتَرْتَوِي
فَتَى طَلَبَ الدُّنْيَا كَرِيمًا فَنَالَهَا
وَسَعْيِي كَبِيرُ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ مُكْبِرُ
وَأَعْظَمُ أَخْلَاقِ الْفَتَى هِمَّةُ الْفَتَى
إِذَا وَفَّقَ اللَّهُ أَمْرًا فِي طَلَابِهِ
قَنَعْنَا بِمَا دُونَ الْقَلِيلِ، وَلَمْ تَكُنْ
وَعُدْتُ وَفِي يَمْنَاكَ أَسْمَى شَهَادَةٍ
رَسَمْتُ لَشَبَابِ الْبِلَادِ طَرِيقَهُمْ
وَمَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ الْمَنِيْعَ فَمَا لَهُ

تَزِينُكَ فِي الدُّنْيَا خَلَائِقُ أَرْبَعُ
وَعَزْمٌ كَمَا تَرْضَى الْعُلَا، وَتَرْفَعُ^{٣٤}
وَتُدْفِي مَنْ قَلْبَ الْجَبَانِ فَيَشْجَعُ
مَوَدَّتُهُ الْعَهْدِ الَّذِي لَا يُضَيِّعُ
فَقَدْ قَرَأَ الْأَوْرَاقَ لِلرَّأْيِ الْآلَمِ
فَلَيْسَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ تَصْدَعُ^{٣٥}

وَقَدْ كُنْتُ فِي كُلِّ الْمَنَاصِبِ سَيِّدًا
فَحَزْمٌ كَمَا تَرْضَى الْعُلَا، وَتَوَاضَعُ
لَكَ الْبِسْمَةُ الزَّهْرَاءُ تَلْمَعُ كَالضُّحَى
حَرِيصٌ عَلَى وَدِّ الصَّدِيقِ كَأَنَّمَا
إِذَا قَرَأَ الْأَوْرَاقَ لِلرَّأْيِ فَاتَّيَدُ
وَإِنْ صَدَعْتُ بِالْحُكْمِ يَوْمًا شَفَاهُهُ

وَأَرْجَاؤُهُ مِنْ شَاسِعِ الْبَيْدِ أَوْسَعُ^{٣٦}
تَوَارَى، وَنَجْمٌ عَنْ قَلِيلٍ سَيَطْلُعُ^{٣٧}
إِلَى الْغُصْنِ فِي رِيْعَانِهِ وَهُوَ مُوْنِعُ^{٣٨}

عَجِبْتُ لَصَدْرِ ضَاقَ بِالذَّاءِ حِلْمُهُ
مَرَضْتُ، فَقُلْنَا: مَشْرِفِي بِغَمِّهِ
وَلَمْ نَذَرِ أَنَّ الْمَوْتَ بَاسِطٌ كَفَّهُ

وَأَنَّ النُّوَى الْحَمَقَاءَ شَدَّتْ رِحَالَهَا وَأَنَّ الْمَعَالِي وَالْمَكَارِمَ وَالْحِجَا
وَأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ حُمًّا، فَمَا لَنَا إِذَا بَرَعَ الطُّبُّ الْحَدِيثُ فَقُلْ لَهُ:
وَأَنَّ الْفَتَى مَاضٍ وَمَاضٍ طَبِيبُهُ وَعَائِدُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَالْمُشِيعُ

أَمِينُ، وَظِلُّ الْمَوْتِ يَفْصِلُ بَيْنَنَا سَبَقَتْ، وَإِنِّي عَنْ قَلِيلٍ سَأَتَّبِعُ^{٣٩}
وَنَرْجِعَ لِلْحُسْنَى كَمَا كَانَ عَهْدُنَا فَلَا نَشْتَكِي هَمًّا وَلَا نَتَوَجَّعُ^{٤٠}
وَمَا مَاتَ مَنْ أَبْقَى ثَنَاءً مُخَلَّدًا وَذِكْرًا يُسَامِي النِّيَّاتِ وَيُفْرَعُ^{٤١}
إِذَا ذَهَبَ الْمِسْكُ الذَّكِيُّ فَإِنَّهُ يَزُولُ وَيَبْقَى نَشْرُهُ الْمُتَضَوِّعُ^{٤٢}

هوامش

- (١) النوى: الفرقة والبعد. حرقه النوى: لذعتها.
- (٢) تهيج: تنثور.
- (٣) راصد: مترقب بنا الدوائر ينتهز الوقية. نثر الآمال: تشعبها وتعدد مناحيها.
- (٤) بنفسى أمنيًا: أي أفدي أمنيًا بنفسى.
- (٥) الأزاهير: جمع الأزهار. ويضرب المثل في القصر بأعمارها.
- (٦) الكمي: الشجاع.
- (٧) الأليفان من الحمام: الذكر والأنثى. تسجع: تغرد نائحة.
- (٨) يقال: حوم الطائر: وذلك إذا دوم في طيرانه. شرع: أي مجتمعة حول الماء لتشرب.
- (٩) يقال: دف الطائر: وذلك إذا مر فوق الأرض. ويحوي الأرض ... إلخ أي: يحيط تأمله بجميع ما على الأرض وذلك لقربه منها في طيرانه.
- (١٠) تحنان الغدير: خريز مياهه. هديل الحمام: سجعه. زفراته: أنفاسه.
- (١١) يجوسها: يذهب خلالها ويجيء. الصماخ: خرق الأذن حيث تنحدر منه إليها المسموعات. الترجيع: ترديد الصوت في الحلق.

(١٢) دهتها: أصابتها. الأرواح: الرياح. والنكباء الريح تنحرف عن مهبها. الزعزع: الريح العاصفة.

(١٣) تجبهه: تواجهه بما يكره.

(١٤) قفر: خال. مصدع: أي قد تفرق جمع ساكنيه وتشتت شملهم.

(١٥) الهديل: فرخ من الحمام كان على عهد نوح يقال إنه مات عطشاً. كسرى:

لقب للوك الفرس. تبع: لقب للوك اليمن.

(١٦) الخضم: البحر. الآذي: الموج.

(١٧) يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة بعده إلى خطب (الشاعر) في ابن له انتزعه

القدر من بين يديه ناشئاً صغيراً، ورحل عنه في نوفمبر ١٩٣٥ م عن عشرين عاماً.

(١٨) النصال: جمع نصل. وهو حديدة السكين والسيوف والرمح. حداد: حادة.

(١٩) انطوت عليه: انضمت عليه. وخافقات: مضطربات همًا وحزنًا.

(٢٠) ممرع: مخصب معشب.

(٢١) بأرض: يقصد بلاد الإنجليز وقد اشتهرت بغيومها واحتجاب شمسها.

(٢٢) رزايا الدهر: أرزاؤه وما يصيب به مما يعيا بحمله الإنسان.

(٢٣) المروع: المفزع.

(٢٤) المفجع: المروع المؤلم.

(٢٥) بكرة: أول النهار. نوتنجهام: إحدى مدن إنجلترا. وكانت فيها الجامعة التي

تلقى فيها الشاعر والفقيه علومهما. تستحث: تحفزني للإسراع وتستنهضني.

(٢٦) الأسفع: الأسود المشرب حمرة.

(٢٧) الخوافق: المضطربة. الوغى: الحرب. النقع: الغبار تثيره الحرب.

(٢٨) الرحيق: أطيب الخمر وخالصها. المشعشع: المزوج منها. وهو أشد أثرًا

ولعبًا بالرعوس.

(٢٩) الصبا: ريح باردة منعشة. وشي الرياض: ألوان زهرها المختلفة. أضوع: أكثر

رائحة وأذكى.

(٣٠) ولعت: أغرمت وشغفت بها.

(٣١) المأفون: الضعيف الفاسد الرأي. المقذع: المفحش.

(٣٢) الزلال: العذب الصافي. تكرر: تشرب.

(٣٣) المهيع: الطريق البين الواضح.

(٣٤) النهى: جمع نهية. وهي العقل، وسمي العقل بها؛ لأنه ينهى عن كل مرذول قبيح.

(٣٥) صدعت بالحكم: نطقت به وجهرت.

(٣٦) البيد: جمع بيداء، وهي الفلاة الواسعة. يشير إلى موته بعلة الصدر ويعجب كيف أن صدره الرحب لم يتسع لمثل هذا الداء.

(٣٧) المشرقي: السيف، منسوب إلى المشارف، وهي قرى من أرض اليمن، وقيل: من أرض العرب تدنو من الريف. غمد السيف: جفنه.

(٣٨) ريعانه: اكتماله وتمام قوته. مונع: قد أدرك ونضج.

(٣٩) النوى: الفرقة، ويريد بها الموت. الرحال: جمع رحل، وهو ما يوضع على الراحلة. شد الرحال: كناية عن الأهبة للرحيل. أمين الركب: هو الفقيد. مزعم: عازم.

(٤٠) الحجا: العقل والفتنة. البلقع: التي لا أنيس بها.

(٤١) حم القضاء: وقع. ما لنا محيص: أي ليس لنا عنه محيد ولا منه مهرب. مفزع: أي مكان نلجأ ونفزع إليه فنتقي به ما وقع.

(٤٢) ظل الموت: حجاب.

(٤٣) يسامي: يباريها في السمو والرفعة. النيرات: الكواكب المضيئة المشرقة. يفرع: يعلو.

(٤٤) الذكي: الذي تسطع رائحته. نشره: ما ينبعث عنه من رائحة طيبة. المتضوع: المنتشر.

وزارة سعد

ألقيت أمام سعد زغلول، حينما زار وزارة المعارف سنة ١٩٢٤م وكان رئيساً للوزراء.

لِلّهِ حَمْدٌ وَشُكْرٌ	الْيَوْمُ يَوْمُكَ مِصْرُ
وَلَنْ يَمَسَّكَ أَسْرٌ	فَلَنْ يَرُوعَكَ رِقٌّ
وَكُلُّ مَنْ فِيكَ صَفْوٌ	وَكُلُّ مَا فِيكَ صَفْوٌ
وَهُوَ الْأَعَزُّ الْأَبْرُ	سَعْدٌ يَحُوطُ بَنِيهِ
وَالْوَجْهَ يَعْلُوهُ بَشَرٌ	دَعْتَهُ مِصْرُ فَلَبَّى
مَنْ الْفِرَارِ مَقَرٌّ ^١	فِي سَاعَةٍ لَيْسَ فِيهَا
وَالسَّجْنُ لِلْحَرِّ قَبْرٌ ^٢	الْمَوْتُ يَخْصِدُ حَصْدًا
فَمَا لَهَا مُسْتَقَرٌّ	وَالْأَرْضُ تَهْتَرُّ رُعْبًا
وَيَخْنُقُ الشَّمْسُ دُعْرُ	يَسْرِي مَعَ اللَّيْلِ هَمٌّ
كَأَنَّمَا هُوَ فِكْرٌ	تَحْدُثُ النَّاسَ هُمُوسٌ
مَوْتُ يَتْلُوهُ سَطْرُ	وَمِصْرُ تَرْقُبُ سَطْرًا لِلـ
يَهْزُ مِصْرُ وَزَارُ	إِذَا نِدَاءُ جَهِيْرُ
سَعْدٍ وَنِعَمَ الْهَزْبَرُ ^٣	رَأَى الْهَزْبَرِ الْمُفْقَدَى
أَسْمَعْتَ مَنْ فِيهِ وَقْرُ	دَعَوْتُ قَوْمَكَ حَتَّى
لَهُ عَلَى الْقَوْلِ أَمْرُ	وَقُمْتَ فِيهِمْ خَطِيبًا
لَهَا رَيْنٌ وَنَبْرُ	مُفْصَلَاتٍ قِصَارُ
إِنَّ الْبَيَانَ لِسِحْرُ	وَحِكْمَةٍ فِي بَيَانٍ

عَلَى الْخُطُوبِ وَصَدْرُ ^٦	قَلْبُ أَبِي شَمُوسَ
لَهَا عُرَامٌ وَأَزْرُ ^٧	وَعَزْمَةٌ مِنْ حَدِيدٍ
سَيَّانٍ عُسْرٌ وَيُسْرُ	أَبَتْ عَلَى الدَّهْرِ لِينًا
مَنْيَعَةً لَا تَخِرُ	بَانِي الْجِبَالِ بَنَاهَا
لِمَصْرَ رِذْءٌ وَذُخْرُ ^٨	فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ سَعِدٍ
لِلنَّاسِ وَرِذْءٌ وَذِكْرُ ^٩	فَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ سَعْدٍ
لَهُمْ أَزِيْزٌ وَهَذْرُ	جَاءُوا إِلَيْكَ سِرَاعًا
وَالْقَسُّ يَتْلُوهُ حَبْرُ	الشَّيْخُ يَتْلُوهُ قَسٌّ
وغيرُ ذَلِكَ كُفْرُ	وَدِينُهُمْ حُبُّ مِصْرَ
وَحُسْنُ عَزْمٍ وَصَبْرُ	فِي كُلِّ قَلْبٍ يَقِينُ
وَلَيْسَ فِي الْكَفِّ سُمْرُ ^{١٠}	وَلَيْسَ فِي الْكَفِّ بَيْضُ
لِمِصْرَ يَتْلُوهُ فَخْرُ	فَقُدَّتْهُمْ نَحْوُ فَخْرِ
مِنَ السَّمَاءِ وَنَصْرُ	رُوحٌ مِنَ اللَّهِ جَاءَتْ
لِلَّهِ قَبْلَكَ سِرُّ	وَنَهْضَةٌ كَانَ فِيهَا
فَلَيْسَ ثَمَّةَ صَخْرُ	سِرٌّ بِالسَّفِينَةِ هَوْنًا
وَأَنْتَ بِالسَّفَرِ بَرُّ	الْبَحْرِ صَافٍ أَمِينُ
فَقَرَّةُ الْعَيْنِ مِصْرُ	تَعِيشُ مِصْرُ وَتَبْقَى

هوامش

(١) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى قيام سعد بالمطالبة بحق مصر في وقت كان يحجم غيره عن التقدم ويولي خوفاً.

(٢) يصف حال مصر إبان ثورتها سنة ١٩١٩م.

(٣) الهزبر: الأسد.

(٤) الوقر: الصمم.

(٥) مفصلات قصار: أي كلمات بينة الدلالة وافية بالإبانة على قصرها. النبر: ارتفاع

الصوت.

(٦) الأبي: الذي يأبى الدنية كبراً. شמוש على الخطوب: أي لا يذل لها ولا يخضع.

- (٧) العرام: الشدة والحدة. الأزر: القوة.
(٨) الردء: العون والناصر. الذخر: ما تعده لوقت الحاجة.
(٩) الورد: ما يتلوه الإنسان ويردده.
(١٠) البيض: السيوف. السمر: الرماح.

إلى نادي المعلمين

نشرت هذه الأبيات في سنة ١٩٤٧م بعد أن منحت الدولة المعلمين نادي العلمين؛ ليكون ناديًا لهم.

يا نَادِي «الْعَلَمِينَ» صرْتَ لفتية	كانت مواقفهم بِمصرَ مشرّفة ^١
قد تَوَجَّ النطق «الكريم» جهادهم	وسما بمن يبني العقولَ وأنصفه
زادوك «ميمًا» فازدهيت بحسنها	تيهاً، ولم تُكْ غيرَ «ميم المعرفة» ^٢

هوامش

(١) العلمين: بلد غرب الإسكندرية حدثت به معركة فاصلة بين دول الحلفاء (إنجلترا وفرنسا وأمريكا) ودولتي المحور (ألمانيا وإيطاليا) في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٤م)، وانهزم فيه القائد الألماني الشهير روميل. وقد سمي النادي باسمه؛ لأن جنود الحلفاء كانوا يجعلونه منتدى لهم فلما منحت الدولة للمعلمين غيروا اسمه وسموه نادي المعلمين بدلاً من العلمين.

(٢) ميمًا: حرف الميم في الحروف الهجائية.

تهنئة الملك بالعيد (فاروق الأول)

عيد الفطر المبارك سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٧م

أَسْمِعَتْ شَدَوَ الطَائِرِ الْغَرِيْدِ
وَبَدَا عَمُودُ الصُّبْحِ أَبْيَضَ نَاصِعًا
أَوْ كَالْبَيْدِ الْبَيْضَاءِ تَنْضَحُ بِالنَّدَى
أَوْ كَاقْتِبَالِ الْحُسْنِ بَعْدَ تَحَجُّبٍ
وَإِذَا لَمَحْتَ الشَّرْقَ خِلْتَ عَرَائِيسًا
يَرْفُلْنَ فِي ضَافِي الضِّيَاءِ نَوَاعِمًا
وَدَمُ الشَّبَابِ لَهُ رَوَائِعُ نَشْوَةٍ
مَا بَيْنَ طَرْفٍ بِالْخَدِيعَةِ نَاعِسٍ
هَزَجًا يُنَاغِي فَجَرَ يَوْمِ الْعِيدِ؟^١
كَالسَّلْسَلِ الضُّخْضِاحِ فَوْقَ جَلِيدِ^٢
وَالْغَيْثِ، أَوْ جِيدِ الْعَذَارَى الْغِيدِ
أَوْ كَابْتِسَامِ الدَّلِّ بَعْدَ صُدُودِ^٣
مَا سَتَّ بَثْوٍ كَالشَّبَابِ جَدِيدِ^٤
فِي سِحْرِ أَنْغَامٍ، وَلَيْنَ قُدُودِ^٥
مَا نَالَهَا يَوْمًا دَمُ الْعُنُقُودِ^٦
تَمِلُ، وَآخِرُ فِي الْهَوَى عَرِيْبِ

* * *

وَدَعْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِ حَوَافِلًا
فَإِذَا خَطَرْنَ، فَهَنْ رُؤْيَا نَائِمٍ
أَرْنُو إِلَى عَهْدٍ لِهَنْ كَأَنَّهَا
وَأَرَى الْحَيَاةَ بِلَا شَبَابٍ مِثْلَمَا
مِنْ بَعْدَمَا عَصَفَ الْمَشِيبُ بِعُودِي
وَإِذَا هَمَسْنَ، فَهَنْ رَجْعُ نَشِيدِ
أَرْنُو لِنَجْمٍ فِي السَّمَاءِ بَعِيدِ
لَمَعَ السَّرَابُ بِمُقْفِرَاتِ الْبِيدِ^٧

* * *

وَحَفِيفُ غُصْنِ الْبَانَةِ الْأُمْلُودِ^٨
وَسِرَاجُ لَيْلِ السَّاهِدِ الْمَجْهُودِ
وَنَجَاةٌ وَعْدٍ مَنْ أَكْفٌ وَعِيدِ
بُدِثْتُ بِبِسْمِ اللَّهِ وَالتَّحْمِيدِ
رَوْضَاتِهِ عَنْ ضَاحِكَاتِ وَرُودِ
وَأَتَى الْوَلِيِّ لَهَا بَوْشَى بُرُودِ^٩
مَنْ نَرْجِسُ وَيَشْمُ وَرَدَ حُدُودِ
كَالْوَاخَةِ الْخَضْرَاءِ فِي الصَّيْهُودِ^{١٠}
جَدْبُ الْجَفَافِ وَقَسْوَةُ الْجُلُودِ^{١١}

إِنَّ الشَّبَابَ رَحِيقُ أَزْهَارِ الرُّبَا
وَمَطِيَّةُ الْأَمَالِ فِي رِيْعَانِهَا
وَبَشَاشَةُ الدُّنْيَا إِذَا مَا أَقْبَلْتُ
هُوَ فِي كِتَابِ الْعَمْرِ أَوَّلُ صَفْحَةٍ
وَرَبِيعُ أَيَّامِ الْحَيَاةِ تَبَسَّمَتْ
أَهْدَى لَهَا الْوَسْمَ نَسَجَ غَلَائِلُ
وَسَرَى النَّسِيمُ بِهَا يُغَازِلُ أَغْيُنًا
إِنَّ الشَّبَابَ، وَمَا أَحْيَلَى عَهْدَهُ!
تَلْقَى بِهَا مَاءً وَظِلًّا حَوْلَهُ

* * *

وَتَنَيْتُ عَنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ جِيْدِي^{١٢}
وَجَعَلْتُ مَأْثُورَ الْبَيَانِ عَقِيدِي^{١٣}
مِنْهُ وَأُحْيِي بِالْفَنَاءِ وَجُودِي
وَلَكَمْ ظَفَرْتُ بِفَاتِحِ صَنْدِيدِ^{١٤}
فَصَحَائِفُ التَّارِيخِ خَيْرُ بَرِيدِ
فِي مَسْمَعِي الْمَكْدُودِ رَنَّةٌ عُودِ^{١٥}
أَحْظَى بِهَا بِالْفَائِتِ الْمَفْقُودِ
وَالنَّجْمُ يَلْحَظُنَا بَعِينَ حُسُودِ
فَيَلِينُ بَعْدَ تَنْكُرٍ وَجُحُودِ
فَأَنَالَ قَادِمَتِيهِ بِالتَّغْرِيدِ^{١٦}
وَيَعَافُهُ سَمْعُ الْحِسَانِ الْخُودِ^{١٧}
هِيَ كُلُّ أَمْوَالِي وَكُلُّ رَصِيدِي
وَشَمَائِلُ «الْفَارُوقِ» بَيْتُ قَصِيدِي^{١٨}

إِنِّي طَرَحْتُ مِنَ الشَّبَابِ رِدَاءَهُ
وَاخْتَرْتُ مِنْ صُحُفِ الْأَوَائِلِ صَاحِبِي
وَمَرَرْتُ بِالتَّارِيخِ أَمْلًا نَاطِرِي
كَمْ عَالَمٍ قَابَلْتُ فِي صَفْحَاتِهِ
وَإِذَا التَّمَسَّتْ مِنَ الدُّهُورِ رِسَالَةً
أَحْنُو إِلَى قَلَمِي كَأَنَّ صَرِيرَهُ
وَأَعِيشْ فِي دُنْيَا الْخِيَالِ؛ لِأَنِّي
كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ شِعْرِي لِأَهْيَا
حِينًا يَرَاوُعُنِي فَأَنْظُرُ ضَارِعًا
وَلَقَدْ أَعْرَدُ بِالْقَرِيضِ فَيَنْتَنِي
طَهَّرْتَهُ مِنْ كُلِّ مَا تَابَى النُّهَى
وَبَعَثْتُ فِيهِ تَجَارِبًا مَذْخُورَةً
وَجَعَلْتُ تَشْبِيْبِي بِمَضْرُومٍ وَمَجْدَهَا

* * *

وَأَوَى لِرُكْنٍ مِنْ جِمَاهُ شَدِيدِ
فِي دَوْلَةِ «الْفَارُوقِ» خَيْرُ رَشِيدِ

مَلِكُ زَهَا الْإِسْلَامِ تَحْتَ لَوَائِهِ
إِنْ فَاتَ عَهْدُ الرَّاشِدِينَ فَقَدْ رَأَى

قَرَنْتَ مَنَابِرَهُ جَلَائِلَ سَعْيِهِ
وَصَغَتْ مَسَاجِدُهُ لِتَرْيِيدِ اسْمِهِ
مَنْ يَجْعَلِ الْإِيْمَانَ صَخْرَةً مُلْكِهِ
كَمْ وَفْقَةٍ لَكَ فِي الْمَحَارِبِ جَمَلَتْ
سَجَدَتْ لَكَ الْآيَّامُ حِينَ تَلَفَّتْ
وَتَطَلَّعَ الْإِسْلَامُ فِي أَمْصَارِهِ
وَجِهَادِهِ بِشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ
فَكَأَنَّمَا يَحْلُو عَلَى التَّرْيِيدِ^{١٩}
رَفَعَ الْبِنَاءَ عَلَى أَشْمٍ وَطِيدِ^{٢٠}
عَزَّ الْمُلُوكُ بِخَشْيَةِ الْمَغْبُودِ^{٢١}
فَرَأَتْكَ بَيْنَ تَشْهَدٍ وَسُجُودِ
يَهْفُو لِظِلِّ لَوَائِكَ الْمَعْقُودِ

سَعِدَ الصِّيَامُ وَشَهْرُهُ بِمُجَاهِدِ
فَنَهَارُهُ لِلصَّالِحَاتِ، وَلَيْلُهُ
حَيَّيْتُ فِي الْمَذْيَاعِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ
جَمَعَ السِّيَاسَةَ كُلَّهَا فِي أَحْرَفِ
وَكَقْطَرَةِ الْعِطْرِ الَّتِي كَمْ جَمَعَتْ
قَوْلُ بِهِ الْحِكْمُ الْغَوَالِي نُسَقَتْ
أَصْغَى إِلَيْهِ الشَّرْقُ يَسْمَعُ دَعْوَةَ
وَزَهَتْ بِهِ الْعِزَمَاتُ بَعْدَ ذُبُولِهَا
لِلَّهِ صَوْتُكَ فِي الْأَثِيرِ فَإِنَّهُ
لَبَّيْكَ يَا مَلِكَ الْقُلُوبِ! فَمُرْ نَكُنْ
عَبَقَ الْوُجُودِ بِذِكْرِهِ الْمَحْمُودِ^{٢٢}
لِلْبَاقِيَّاتِ وَلِلنَّدَى وَالْجُودِ^{٢٣}
مِنْهُ بِقَوْلِ مُحْكَمِ التَّسْيِيدِ
كَالْعِقْدِ أَلْفَ بَيْنٍ كُلِّ فَرِيدِ
مِنْ نَوْرِ أَغْوَارٍ وَزَهْرٍ نُجُودِ^{٢٤}
مَا بَيْنَ مَنْثُورٍ وَبَيْنَ نَضِيدِ^{٢٥}
قُدْسِيَّةٍ لِلْبَعِثِ وَالتَّجْدِيدِ^{٢٦}
وَصَحَّتْ بِهِ الْأَمَالُ بَعْدَ رُقُودِ
أَخَذَ الْهُدَى وَالْحُسْنَ عَنْ دَاوُدَ!
لَكَ طَاعَةٌ، وَاللَّهُ خَيْرُ شَهِيدِ

إِنَّا بِدَرِّسِ الدِّينِ أَبْصَرْنَا الْهُدَى
وَبَدَا الْمَلِكُ بِهِ يُمَجِّدُ رَبَّهُ
أَبْصَرْتُهُ وَالشَّعْبُ حَوْلَ بَسَاطِهِ
مَا أَسْمَحَ الْإِسْلَامُ! يَجْمَعُ رَحْبُهُ
حَرَسَتْهُ أَفِيدَةُ تَفْدِي عَرْشَهُ
إِنَّ الْجُودَ بِهِ تَلُودُ وَتَحْتَمِي
يُضْغِي وَيُنْصِتُ لِلْكِتَابِ وَأَبِيهِ
يَا قُدْوَةَ الْجِيلِ الْجَدِيدِ وَذُخْرَهُ
نُورًا يُشْعُ بِجَمْعِهِ الْمَحْشُودِ
لِلَّهِ مِنْ نُسْكِ وَمِنْ تَمَجِّيدِ!
كَالطَّيْرِ رَفَّ لِوَرْدِهِ الْمَوْزُودِ^{٢٧}
فِي اللَّهِ بَيْنَ مُسَوِّدٍ وَمَسُودِ
وَالْحُبِّ أَقْوَى عُدَّةٍ وَعَدِيدِ
وَلَكُمْ عُرُوشٌ تَحْتَمِي بِجُنُودِ!
فِي سَمْتِ مَوْفُورِ الْجَلَالِ حَمِيدِ
عَشَ لِلْمَنَى فَرْدًا بِغَيْرِ نَدِيدِ

* * *

حَارَ الْقَرِيضُ وَكَيْفَ أَبْلُغَ غَايَةَ
أَعْدَدْتُ أَلْوَانِي لِأَرْسَمَ صُورَةَ
هِيَ فَوْقَ طَوْقٍ يَرَاعَتِي وَجْهُوْدِي؟
جَلُمَ كَمَا تَغْضِي الْأُسُودُ تَكْرُمًا
أَيْنَ السُّهَى مِنْ سَاعِدِي الْمَكْدُودِ؟^{٢٨}
وَعَزَائِمُ فِيهَا نَجَارُ أُسُودِ^{٢٩}
وَفَرَّاسَةٌ سَبَقَتْ حَوَادِثَ دَهْرَهَا
حَتَّى كَأَنَّ الْغَيْبَ كَالْمَشْهُودِ^{٣٠}
وِإِرَادَةُ تَفْرِي الصَّعَابَ شَبَابُهَا
وَتَهْدُ عَزَمَ الصَّخْرَةَ الصَّيْخُودِ^{٣١}
وَذَكَاءُ قَلْبٍ لَوْ رَمَى حَلَكَ الدُّجَى
لَمْضَى يَهْرُولُ فِي الْمُسُوحِ السُّودِ^{٣٢}

* * *

مَوْلَايَ! إِنَّ الشُّعْرَ يَشْهَدُ أَنَّهُ
أَلْفَى خِلَالًا لَقَنْتُهُ بَيَانَهُ
بَلَغَ الْمَدَى فِي ظِلِّكَ الْمَمْدُودِ
فَلَكُمْ بَعَثْتُ مَعَ الْأَثِيرِ وَجِيدَةً
فَأَعَادَهَا كَالصَّارِحِ الْغَرِيدِ^{٣٣}
فَاهُنَا بِمِيلَادِ الْأَمِيرَةِ إِنَّهَا
فِي فَئْهَا تَشْدُو بِمَلِكٍ وَجِيدِ
وَأَنْعَمَ بِعِيدِ الْفَطْرِ وَاسْعَدَ بِالْمُنَى
عُنْوَانُ مَجْدٍ طَارِفٍ وَتَلِيدِ^{٣٤}
فِي طَالِعِ ضَافِي النِّعِيمِ سَعِيدِ

هوامش

- (١) هزجًا: مترنمًا. يناغي: يداعب.
- (٢) السلسل: الماء العذب أو البارد، الضحضاح: الماء اليسير لا غرق فيه. الناصع: الخالص من كل ما يشوبه.
- (٣) الدل: دل المرأة ودلالها.
- (٤) ماست: تبحرت في عجب.
- (٥) رفل في ثيابه: أطالها وجرها متبخترًا.
- (٦) النشوة: أول السكر. دم العنقود: كناية عن الخمر.
- (٧) السراب: ما يرى في البعيد ماء وليس بماء. مقفرات البعيد: الصحاري المجردة.
- (٨) الرحيق: صفوة الخمر. والمراد هنا خلاصة الأزهار الأرجة. الأملود: اللين الناعم.
- (٩) الوسمي: مطر الربيع الأول. الولي: مطر الربيع الثاني. البرود الموشاة: الثياب المنقوشة.

تهنئةُ الملِكِ بالعيد (فاروق الأول)

- (١٠) أحيلي: تصغير أحلى. الصيهود: الصحراء لا ماء فيها ولا نبات.
- (١١) الجلمود: الصخر الأَصْم.
- (١٢) ثنيت: حولت. الصبابة: رقة الشوق وحرارته.
- (١٣) عقيدي: حليفي ومعهدي.
- (١٤) الصنديد: السيد الشجاع.
- (١٥) أحنو: أميل. صريره: صرير القلم. صوته عند الكتابة. المكدود: المتعب. رنة عود: صوته.
- (١٦) ينثنى: ينعطف ويميل. قادمته: القادمتان: ريشتان في مقدم جناح الطائر.
- (١٧) الخود: جمع خوداء وهي الشابة الجميلة الناعمة.
- (١٨) تشبيبي: التشبيب الغزل بالنساء.
- (١٩) صغت: مالت.
- (٢٠) أشم: مكان عال. وطيد: ثابت.
- (٢١) المحراب: صدر المجلس، والمراد محراب المسجد.
- (٢٢) عبق الطيب: انتشر شذاه.
- (٢٣) الندى: العطاء والجود.
- (٢٤) النور: الزهر. أغوار: جمع غور وهو المطمئن من الأرض. نجود: جمع نجد ما ارتفع منها.
- (٢٥) نضيد: من نضد المتاع وضع بعضه على بعض.
- (٢٦) قدسية: طاهرة. البعث: الإيقاظ والتنبيه.
- (٢٧) رف الطائر: بسط جناحيه. ورف للماء: سعى إليه.
- (٢٨) السهى: كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم.
- (٢٩) النجار: الأصل.
- (٣٠) فراسة: هي المعرفة ببواطن الأمور.
- (٣١) تفري: تمزق. الشبابة: الحد. الصخرة الصيخود: الشديدة.
- (٣٢) حلك الدجى: سواد الظلمة. يهرول: يمشي مسرعًا. المسوح: جمع مسح وهو ثوب من الشعر غليظ.
- (٣٣) ألقى: وجد.
- (٣٤) الطارف: الجديد. التليد: القديم. الأميرة: الأميرة فريال أولى بنات فاروق.

عبد العزيز جاویش

یرثی الشاعر فی هذه القصيدة أستاذہ وصدیقه الشیخ «عبد العزیز جاویش». وقد توفي فی ینایر سنة ١٩٢٩م.

على راحلِ نائي المزارِ قَريبٍ؟^١
تُراعُ بصَوْتٍ في الظَّلامِ رهيبِ
وَكَم من يقينٍ في الحياةِ مُريبِ^٢
فلم نَسْتَمِعْ من فيكَ غَيْرَ نَعيبِ
صِراعُ لَيالٍ، واصطلاحُ خُطوبِ^٣
نُدُوبٌ لطعنِ الدهرِ فوقِ نُدُوبِ
على ابنِ سُرَى حامي الذِّمارِ وثُوبِ^٤
شَعُوبًا لهذا الناسِ مِثْلَ شَعُوبِ^٥
وتَشْفِي لَهيبًا للجوى بلهيبِ^٦
وتَنسَى أريبًا بأدكارِ أريبِ^٧
فما مُخطئٌ في قوله كَمُصيبِ
بفقدِ كريمٍ، أو فراقِ حبيبِ
فقال: مَضَى، قلنا: بغيرِ ضَريبِ^٨
وأخفى نَشيجًا تَحْتَ طيِّ نَحيبِ^٩
نصيبُ امرئٍ في الرُّزءِ فوقَ نصيبِ
نهايةِ هذِي الشمسِ غيرَ مَغيبِ

دُمُوعُ عُيونٍ أم دِماءُ قُلُوبِ
نعاه لنا الناعي فافزَعْ مِثْلَما
فقلنا: أبِن — رُحْمَاكَ — طارتْ عُقولُنا
شكَّكُنَا، وكان الشكُّ أَمْنًا وراحةً
حَنانَكَ، إنا أُمَّةٌ هَدَّ ركنَها
إذا كَشَفَتْ عنها القميصَ بدتْ بها
وإنْ أُرسلَتْ في ذِمَّةِ الله عِبْرَةً
دَهَتْها الليالي في سواه، ولا أَرى
تَدَاوَى مِنَ الإغوالِ بالِبِثِّ والبُكا
وتمسَحُ دَمْعًا كي تجودَ بِمِثْلِهِ
فيا أيُّها الناعي، إذا قُلْتَ فَاتَّيَدُ
حَنانَكَ، قُلْ ما شئتَ إلا فَجِيعَةً
فقال: قَضَى، قلنا: قَضَى حاجةَ العُلا
فَهَزَّ اعتلاجُ الحُزنِ أضلاعَ صَدْرِهِ
وقال: قَضَى عبدُ العزیزِ ولم يَكُنْ
فوا حسرتا! مات الإمامُ ولم تَكُنْ

وغازَ مَعِينُ كَانَ رِيًّا وَرَحْمَةً
فَمَنْ لِكِتَابِ اللَّهِ يَلْمَحُ نُورَهُ
وَمَنْ يَذْفَعُ الْعَادِي عَلَى دِينَ أَحْمَدٍ
وَقَدْ كُنْتُ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ إِذَا دَجَّتْ
وَكُلُّ مَعِينٍ صَائِرٌ لِنُضُوبٍ! ١٠
بَعِينٍ بِصِيرٍ بِالْبَيَانِ لَبِيبٍ؟
بِعِزِّ كَمَسْنُونِ الْجِرَابِ صَلِيبٍ؟ ١١
وَقَدْ قِيلَ: «أَمَّا بَعْدُ» خَيْرَ خَطِيبٍ ١٢

بِنَفْسِي مَنْ عَانَى الْحَيَاةَ مُشَرَّدًا
غَرِيبًا تَقَاضَاهُ اللَّيَالِي حُشَاشَةً
يَطُوفُ بِأَقْطَارِ الْبِلَادِ كَأَنَّهُ
وَيَطْوِي وَرَاءَ الْبَشَرِ نَفْسًا جَرِيحَةً
أَيْشْكُو لَنَيْمِ الْقَوْمِ كَظًّا وَبِطْنَةً
لَأَمْرِ غَدَا مَا حَوْلَ مَكَّةَ مُقْفَرًا
يَجُوبُ مِنَ الْأَفَاقِ كُلِّ مَجُوبٍ ١٣
وَلَكِنَّهُ لِلْفَضْلِ غَيْرُ غَرِيبٍ ١٤
خِيَالُ مُلِمٍّ، أَوْ خِيَالُ أَدِيبٍ
وَأَعْشَارُ قَلْبٍ بِالْهُمُومِ خَضِيبٍ ١٥
وَيَشْكُو فَتَى الْفَتَيَانِ مَسَّ سُغُوبٍ؟ ١٦
جَدِيبًا، وَبَاقِي الْأَرْضِ غَيْرُ جَدِيبٍ

تَقَتَّلْنَا الْأَيَّامَ وَهِيَ حَيَاتُنَا
فَمَا حِيلَتِي إِنْ كَانَ بِالْمَاءِ غُصَّتِي
كَأَنَّ جِبَالَ الشَّمْسِ كِفَّةُ حَابِلٍ
نَرُوحُ بِهَا، وَالْمَوْتُ ظِمَانٌ سَاغِبٌ
عَلَى الشَّفَقِ الْمُحْمَرِّ مِنْ فَتَكَاتِهِ
هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ طَالَ سَهْدُهَا
وَلَيْسَ تَرَابُ الْأَرْضِ غَيْرَ تَرَائِبٍ
سَلُّوا وَجَنَاتِ الْغَيْدِ فِي نِزْمَةِ الثَّرَى
وَكُنْتَ شَبَاكَا لِلْعُيُونِ فَأَصْبَحْتَ
وَتُعْطِي، وَمَا أَبْصَرْتُ غَيْرَ سَلِيبٍ ١٧
وَدَانِي إِذَا عَزَّ الدَّوَاءُ طَبِيبِي؟ ١٨
تُحِيطُ بِنَا مِنْ شِمَالٍ وَجَنُوبٍ ١٩
يُلَاحِظُنَا فِي جَيِّئَةٍ وَذُهُوبٍ ٢٠
بَقَايَا دَمٍ لِلذَّاهِبِينَ صَبِيبٍ ٢١
تَنْفَسُ عَنْ يَوْمٍ أَحْمَ عَصِيبٍ؟ ٢٢
وَعَبْرَ عُقُولٍ حُطِّمَتْ وَقُلُوبٍ! ٢٣
أَتَزْهَى بِحَسَنِ أَمْ تُدِلُّ بِطِيبٍ؟
وَلَسْتَ تَرَى فِيهِنَّ غَيْرَ شُحُوبٍ

فَيَا مَنْ رَأَى عَبْدَ الْعَزِيزِ تَنُوشُهُ
طَرِيحًا عَلَى أَيْدِي الْأَسَاةِ كَأَنَّهُ
فَيَا وَيْحَ لِلصَّدْرِ الرَّحِيبِ الَّذِي غَدَا
نُيُوبٌ لِعَادِي الْمَوْتِ أَيُّ نُيُوبٍ ٢٤
جَمَالَةُ عَضْبٍ أَوْ رِشَاءِ قَلِيبٍ ٢٥
بِمُزْدَحِمِ الْأَلَامِ غَيْرَ رَحِيبٍ

تَدِبُّ فِيهِ فِي مَوْطِنِ الْحِلْمِ عَلَّةٌ
تَرَى الْقَلْبَ مِنْهَا وَاجِبًا أَنْ تَمْسَهُ
لَهَا كَالصَّلَالِ الرُّقْشِ شَرُّ دَبِيبٍ^{٢٦}
فَتَتْرَكُهُ قَلْبًا بَغِيرِ وَجِيبٍ^{٢٧}
وَمَقْصِدَ آمَالٍ وَمَجْدَ شُعُوبٍ
أَصَابَتْ نِظَامًا لِلْمَعَالِي فَبَدَّدَتْ

* * *

لَقَدْ كُنْتُ تُعَلِّي فِي الْحَيَاةِ قَصَائِدِي
فَهَاكَ نِدَاءً، أَنْ يَجِدَ مِنْكَ سَامِعًا
وَهَاكَ رِثَاءً يَكَادُ الْمَيِّتُ يَحْيَا بِلَفْظِهِ
فَطَارِحَ بِهِ الْخُنْسَاءُ إِنْ جُزَّتْ دَارَهَا
تَمَنِّيْتُ لَوْ أُرْسِلْتُ شَعْرِي مَعَ الْبُكَاءِ
وَصَيَّرْتُ أَتَاتِي تَفَاعِيلَ بَحْرِهِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّعْرَ تَنْفِرُ طَيْرُهُ
تَهَابُ الْقَوَافِي أَنْ تَمْسَ جَلَالَهُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا نَاحَ طَائِرٌ
وَتَهْتَرُ عُجْبًا إِنْ سَمِعْتَ نَسِيبِي
وَهَاكَ رِثَاءً إِنْ يَفْزُ بِمُجِيبٍ
وَيَحْبِسُ شَمْسَ الْأَفْقِ دُونَ غُرُوبٍ
وَنَافِسُ بِهِ - إِنْ شِئْتَ - شَعْرَ حَبِيبٍ^{٢٨}
بَغِيرِ قَوَافٍ، أَوْ بَغِيرِ ضُرُوبٍ^{٢٩}
وَجِئْتُ بَوَازٍ فِي الْقَرِيضِ عَجِيبٍ
إِذَا دُهِمْتُ مِنْ فَادِحِ بَهْبُوبٍ
لِذِي شَمَمِ ضَافِي الْجَلَالِ مَهِيبٍ^{٣٠}
عَلَى غُصْنٍ غَضَّ الْإِهَابِ رَطِيبٍ^{٣١}

هوامش

- (١) نائي المزار: بعيد مكان الزيارة.
- (٢) النعيب: صوت الغراب، وهو مما يتشائم به ويتبرم بسماعه.
- (٣) اصطلاح الخطوب: تتابعها.
- (٤) الذمار: ما يلزمك حفظه والدفاع عنه.
- (٥) شعوبا: مصدعا ومفرقا. شعوب: الموت.
- (٦) البث: الحزن. الجوى: حرقتة.
- (٧) الأريب: ذو العقل والدهاء. الادكار: الذكر.
- (٨) قضى (الأولى): مات. قضى (الثانية): أنجز وأتم. الضريب: النظر والمثل.
- (٩) اعتلاج الحزن: اضطرابه وثورانه. النشيح: البكاء يغص به الحلق. النحيب: أشد البكاء.
- (١٠) غاض المعين: ذهب ماؤه. الري: الارتواء. النضوب: الجفاف.

- (١١) صليب: قوي لا يلين.
(١٢) دجت: أظلمت، ويريد بالإظلام أوقات الشدة.
(١٣) بنفسى: أفدى بنفسى. المجوب: المعمور من البلاد، الذي يجوبه الناس، يرحلون إليه.
(١٤) تقاضاه: تتقاضاه. الحشاشة: الفؤاد.
(١٥) الأعشار: الأجزاء. خضيب: مخضوب.
(١٦) الكظ والبطنة: امتلاء البطن. السغوب: الجوع مع التعب. مس سغوب: ما يشعر الإنسان به من ألم الجوع.
(١٧) السليب: المسلوب.
(١٨) الغصة: ما تشعر به عند اعتراض شيء في الحلق. عز: امتنع.
(١٩) الحابل: الصائد. كفته: حبالته التي يصيد بها.
(٢٠) الساغب: الجائع.
(٢١) صبيب: منصب.
(٢٢) السهد: الأرق وعدم النوم. تنفس: تتكشف وتسفر. الأحم: الشديد السواد.
(٢٣) الترائب: عظام الصدر.
(٢٤) تنوشه: تتناوله تمزيقاً. نيوب: أي أنياب قوية حادة.
(٢٥) الأساة: الأطباء. واحده آس. العضب: السيف القاطع. القليب: البئر. رشاؤه: حبله.
(٢٦) الصلال: الحيات. الرقش: المنقطة، ويريد بموطن الحلم: الصدر.
(٢٧) واجباً: خافقاً. الوجيب: خفقان القلب.
(٢٨) الخنساء: شاعرة عربية. حبيب: هو الشاعر العربي المشهور أبو تمام.
(٢٩) الضروب: جمع ضرب، وهو عجز البيت.
(٣٠) الشمم: الإباء. ضافي الجلال: عميمه مبسوطه.
(٣١) ما ناح طائر: ما بقيت الدنيا. رطيب: طري.

الصلح بين القبائل

حينما زار الشاعر بغداد في سنة ١٩٣٩م، مع صديقه حمد الباسل باشا. وُفقًا لعقد الصلح بين قبائل شمر والعبيد، بعد أن استمر العداء بينهما زمنًا طويلاً. وقد أقيمت بهذه المناسبة حفلة بدار السفارة المصرية أنشد الشاعر فيها هذه القصيدة.

وَعَادَتْ إِلَى الْأَعْمَادِ بَيْضُ الْمَنَاصِلِ ^١	أَجَابَتْ نِدَاءَ الْحَقِّ سُمُرُ الْعَوَاسِلِ
وخالَطَ دمعُ البشرِ دمعَ الثواكلِ ^٢	وَقَرَّتْ قُلُوبٌ جَازِعَاتٌ خَوَافِقُ
أطاحتُ بما قد حاكه من حبائلِ ^٣	وَوَاطَتْ عَلَى الشَّرِّ الْمَنَاجِزِ حَكْمَةً
من الجِلمِ، حَيًّا صَوْبَهُ كُلُّ وَابِلِ ^٤	وَأُطْفِئَ نِيرَانَ الْعَدَاوَةِ وَابِلُ
على نغماتِ الساجعاتِ الهوادلِ ^٥	وَصَفَّقَ بِالْبُشْرَى الْفُرَاتُ وَدَجَلَةٌ
به بَعْدَ طَوِيلِ الْفَتْكِ غَيْرَ الْحَمَائِلِ ^٦	وَحَطَّمَتِ السَّلْمُ الْحُسَامَ فَلَمْ تَدَعْ
لظَى الْحَرْبِ وَانْجَابَتْ غَيُومُ الْقَسَائِلِ ^٧	فَلَيْتَ زُهَيْرًا بَيْنَنَا بَعْدَمَا خَبَتْ

إِذَا مَا انتَضَاهُ الْحَقْدُ فِي كَفِّ جَاهِلِ ^٨	هُوَ السِّيفُ أَطْعَى مَا خَضَعْتَ لِحَكْمِهِ
وَيَبْتَرُ جَبَّارًا كَرِيمَ الْوَصَائِلِ ^٩	يُقَطِّعُ أَوْشَاجًا عَلَيْنَا عَزِيزَةً
أَعَزَّ وَأَزْكَى مِنْ نَجِيعِ الْأَصَائِلِ ^{١٠}	يَسِيلُ دَمُ الْقُرْبَى عَلَيْهِ مَطْهَرًا
وإن فِدَحْتَنِي عَابَسَاتُ النِّوَالِ ^{١١}	أَخِي، أَنْتَ دِرْعِي إِنْ أَلَمْتَ مُلِمَّةً
«فإن كنتُ مأكولًا فكنْ خَيْرَ آكِلِ»	أَخِي، أَنْتَ مِنْ نَفْسِي، دِمَاؤُكَ مِنْ دَمِي
فيا لَهَا كَانَتْ بِغَيْرِ أَنْامِلِ!	أَرْمِي أَخِي؟ يَا وَيْلَ مَا صَنَعْتَ يَدِي!

إِذَا مَسَّنِي خَطْبٌ فَأُولُ رَاكِبٍ
أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَزِدْ عَنْ حَيَاضِهِ
أَضَاحِكُهُ وَالْقَلْبُ مَا عَيْثُ بِهِ
وَأَبْسَطُ كَفِّي نَحْوَهُ غَيْرَ جَافِلٍ
إِذَا الْبَيْدُ لَمْ تُنْبِتْ نَبَاتًا فَحَسْبُهَا
وَقَدْ عَلَّمْتَنَا أَنْ يَكُونَ إِخَاؤُنَا
أَلْسِنَا الْكَرَامَ الْغُرَّ مِنْ آلٍ يَغْرِبُ
حَمِينَا بِحَمْدِ اللَّهِ أَنْسَابَ قَوْمِنَا
وَمَا خُلِقْتُ إِلَّا لِعِزِّ نَفْسِنَا
إِذَا افْتَرَقَتْ أَهْوَاءُ قَوْمٍ تَشْتَتُوا
عَزِيزٌ عَلَى الْأَوْطَانِ أَنْ شَجَاعَةٌ
حَمَانَا كِتَابُ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ فُرْقَةٍ
وَصَالَتْ بَنَا مِنْ قُوَّةِ الْبَاسِ وَحْدَةٌ
فَتَلَّتْ عُرُوشٌ، وَاسْتَطَارَتْ أَسْرَةٌ

يَخْوَضُ لِي الْجُلَى، وَأَسْرَعُ نَازِلٌ^{١٢}
كَرِيمًا، وَأَدْفَعُ عَنْهُ كَيْدَ الْغَوَائِلِ^{١٣}
لِتَأْمُ الْمَسَاعِي، أَوْ سَمُومُ الدَّخَائِلِ^{١٤}
وَيَبْسُطُ نَحْوِي كَفَّهُ غَيْرَ جَافِلٍ^{١٥}
فَقَدْ أَنْبَتَتْ فِينَا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ^{١٦}
كَشَامِخَ رَضْوَى رُكْنُهُ غَيْرُ زَائِلٍ^{١٧}
لَدَى الرُّوعِ، أَوْ عِنْدَ التَّقَافِ الْمُحَافِلِ؟^{١٨}
وَصُنَّا عَلَى الْأَيَّامِ مَجْدَ الْأَوَائِلِ
كَأَنَّا خُلِقْنَا مِنْ غُبَارِ الْجَحَافِلِ^{١٩}
وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَّا بِعَارِ التَّخَاذُلِ
تُمْرُقُهَا الشَّخْنَاءُ فِي غَيْرِ طَائِلِ
فَكُنَّا لِدِينِ اللَّهِ خَيْرَ الْمَعَاقِلِ
عَلَى الْكُونِ، لَمْ تَتْرُكْ مَصَالًا لِمَاقِلِ
مِنَ الذُّعْرِ فِي أَعْوَادِهَا وَالزَّلَازِلِ

جَمَعْنَا عَلَى الْحُبِّ الْقُلُوبَ فَأَشْرَقَتْ
وَعَفْنَا وَرَوَدَ الْمَاءُ أَكْدَرَ أَسْنَا
وَعَادَتْ إِلَى الْحَسَنِ «الْعَبِيدُ» وَ«شَمْرُ»
وَأَصْغَوْا إِلَى الرَّأْيِ السَّيِّدِ وَأَنْصَتُوا
إِلَى «حَمْدٍ» تَرْنُو الْمَعَالي مِدْلَةً
عَرَفْنَاهُ وَرَدًا لِلْنَدَى غَيْرَ نَاضِبٍ
وَقَدْ دَفَنَ الْقَوْمُ التُّرَاثَ وَأَقْبَلُوا
وَسَلُّوا لِإِعْلَاءِ الْعِرَاقِ عِزَائِمًا
يُفْدُونَ بِالْأَرْوَاحِ وَالْأَهْلِ «فَيَصِلَا»

كَمَا أَشْرَقَتْ بِالْغَيْثِ زُهْرُ الْخُمَائِلِ
وَحَنَّتْ حَنَائِينَا لِعَذْبِ الْمَنَاهِلِ^{٢٠}
وَسَارَ بِشِيرِ السَّلْمِ بَيْنَ الْقِبَائِلِ^{٢١}
لِنَصْحِ نَصِيرٍ لِلْعُرُوبَةِ «بَاسِلِ»^{٢٢}
وَتُلْقِي بِأَسْبَابِ النُّهْيِ وَالْفَضَائِلِ
لِرَاجٍ، وَعِزْمًا لِلْعَلَا غَيْرَ نَاكِلِ^{٢٣}
إِلَى الْحَقِّ يَمْحُو ضَوْؤُهُ كُلَّ بَاطِلِ^{٢٤}
أَسَدٍّ وَأَمْضَى مِنْ سِنَانِ الذَّوَابِلِ^{٢٥}
مَنَاطُ الْمُنَى مِنْ كُلِّ رَاجٍ وَأَمَلِ^{٢٦}

هوامش

- (١) نداء الحق: يراد هنا السلام. سمر العواسل: الرماح. الأغمداد: جمع غمد وهو الجراب الذي يوضع فيه السيف. بيض المناصل: السيوف.
- (٢) قرت: هدأت وسكنت. جازعات خوافق: خائفات مضطربات. الثواكل: النساء اللاتي فقدن أبناءهن.
- (٣) المناجز: المقاتل. حاكه: صنعه.
- (٤) وابل: المطر الشديد.
- (٥) الفرات ودجلة: نهران بالعراق. الساجعات الهوادل: الحمام.
- (٦) الحسام: السيف. الحمائل: علاقة السيف.
- (٧) زهيرًا: هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي العظيم وأحد أصحاب المعلقة في الجاهلية واشتهر بحبه للسلام وكرهيته للحرب، له معلقة مشهورة مطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلّم

دعا فيها للسلام ونفّر من الحرب وويلاتها إذ قال:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمو وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريرتموها فتضرم

- القساطل: جمع قسطل وهو غبار الحرب.
- (٨) أطفى: جاوز الحد.
- (٩) أوشاجًا: جمع وشج وهو صلة القرابة.
- (١٠) نجيع: الدم من الجوف. الأصائل: الأصيل.
- (١١) الدرع: ما يقي الإنسان أثناء الحرب. ألت ملمة: نزلت نازلة. فدحتني: أصابتني بمصاب كبير. عابسات النوازل: شدة الكوارث.
- (١٢) الجلى: حلبة القتال ويقصد المخاطر والأهوال.
- (١٣) أكلت دماء: دعاء على نفسه. أزد: أدافع. حياضه: أراضيه. كيد: مكر. الغوائل: الذين يقفون له بالمرصاد لإهلاكه.
- (١٤) الدخائل: الدخلاء المفسدون.

- (١٥) غير جافل: غير خائف.
- (١٦) البيد: الصحراء.
- (١٧) رضوى: جبل رضوى الشهير بالحجاز.
- (١٨) آل يعرب: يقصد العرب نسبة إلى يعرب بن قحطان وهو أبو العرب. الروع: الفزع والهول.
- (١٩) غبار الجحافل: غبار الجيوش الكبيرة.
- (٢٠) عفنا: كرهنا، تجنبنا. أكدر آسنًا: متغير اللون والطعم والرائحة. عذب المناهل: الماء العذب. وفي البيت طباق.
- (٢١) العبيد وشمر: القبيلتان المتحاربتان بالعراق.
- (٢٢) أصاخوا: استمعوا. باسل: هو حمد الباسل باشا وكان هو والشاعر أعضاء الوفد الذي أسهم في إصلاح ذات البين بين القبيلتين المتحاربتين.
- (٢٣) وردا: موردا. الندى: الكرم. غير ناضب: غير منقطع، وافر. ناكل: راجع عن.
- (٢٤) التراث: الأحقاد التي أدت بهم إلى الحرب.
- (٢٥) سلوا: أخرجوا. سل السيف: أخرجته من غمده استعدادًا للقتال. الذوايل: الرماح.
- (٢٦) فيصلًا: الملك فيصل الثاني ملك العراق حينئذ. راج: مرتجي، مؤمل.

ثَقِيل!!

عام ١٩٣٠م

تَبَّأْ لَهُ مِنْ ثَقِيلٍ دَمًا وَرُوحًا وَطِينَهُ!
لَوْ كَانَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ لَمَّا رَكِبْتُ السَّفِينَةَ¹

هوامش

(١) السفينة: يقصد بها سفينة سيدنا نوح كما جاء ذكرها في القرآن الكريم.

ذكرى الزفاف الملكي

بمناسبة ذكرى زواج الملك السابق فاروق إلى الملكة السابقة فريدة يناير ١٩٣٩م.

والثَمَّ الحَسَنَ في جَبِينِ الصَّبَاحِ^١
ونافسَ به ذَوَاتِ الجَنَاحِ^٢
واسْرِقَ السَّحَرَ من عُيُونِ المِلاحِ
نَ طَلِيقَ الهَوَى جَمِيمِ المِراحِ
قد سئَمنا مرارة الأقداحِ^٣
فصرنا رُوحًا بلا أشباحِ^٤
عزَّ على كلِّ باحثٍ كَدَّاحِ
فوق طوق البيان والإيضاحِ^٥
ح تعالى عن جَفَوَةِ الألواحِ^٦
وأصغينا لهمسِ الغُصُونِ في الأدواحِ^٧
ض فتَهَفَوْ لها تُغورُ الأقاحي^٨
في الدنيا إذا ضاق بي فسيحُ البَراحِ
وجَبِينِ مَسَحَتْ بعدَ كِفَاحِ!
وأطْلُقْ إلى الخَيالِ سَراحِي
بعدَ نَأْيٍ وبعدَ طَوْلِ جِماحِ^٩
وبعطفِ الزَّمانِ بعدَ شِياحِ^{١٠}
ض وَيَعْطُو بِمِثْرِزٍ ووُشاحِ^{١١}

أقبِسِ النورَ من شُعاعِ الراحِ
واُبْعِثِ اللَّحْنَ من سَمائِكَ يا شَعْرُ
وانْهَبِ الحَسَنَ من خُدودِ العَذَارَى
وَتَنَقَّلْ بَيْنَ الخَمائِلِ جَذْلاً
واسقِنَا من سُلَافِكَ العَذْبِ إِنَّا
كم ثملنا برَشْفَةٍ منك يا شَعْرُ
ورأينا من الحقائق ما
وقرأنا في كلِّ شيءٍ رُموزا
ورَسَمنا بدائعِ الكونِ في لو
وفهمنا لُغَى الطُّيُورِ
ورأينا البُرُوقَ تضحكُ في الرُّو
إِيهِ يا شَعْرُ أَنْتَ سَلَوَايَ
كم عناءٍ كشفت بعدَ نِضالِ
لا تَدْعُنِي يا شَعْرُ في ليلةِ الذِّكْرَى
غَنَّنِي بِالْمُنَى تَرِفُ حَنانًا
غَنَّنِي باللقاءِ بعدَ شَتَاتِ
غَنَّنِي بالربيعِ يَخْطُرُ في الرُّو

وَنَبَا مِزْهَرِي عَنِ الْإِفْصَاحِ^{١٢}
وَيَطْفُو بِهِ مِنَ الْأَفْرَاحِ؟^{١٣}
يَا شَعْرُ وَغَرَّدْ بِصَوْتِكَ الصَّدَاحِ
قَ وَبُعْدَ الْمَدَى عَنْ ابْنِ رَبَاحِ^{١٤}
رَجَعَ أَنْغَامِهِ جَمِيعُ النُّوَاحِي
يِي وَأَرْخَتْ شُعُورَهَا لِلرِّيَّاحِ^{١٥}
رَ وَيَهْفُو بِثَغْرِهِ الْفَوَّاحِ^{١٦}
يَمْلَأُ السَّمْعَ وَهُوَ نَشْوَانُ صَاحِي^{١٧}
هَلْ عَلَى الزَّهْرِ فِي الْهَوَى مِنْ جُنَاحِ؟^{١٨}

غَنَنِي غَنَنِي فَقَدْ عَيَّ نَابِي
كَيْفَ تَحْوِي الْأَوْتَارُ مَا يَغْمُرُ الْقُلُوبَ
غَنُّ فِي لَيْلَةِ الْبَشَائِرِ
وَحُذِ الْفَنِّ مِنْ تِرَانِيمِ إِسْحَا
وَأَمْلَأْ الْأَفَقَ بِالنَّشِيدِ تَرَدُّدُ
مَاسَتْ الْبَاسِقَاتُ فِي ضِفَّةِ الْوَا
وَرَنَا الزَّهْرُ بِاسْمًا يَنْشُرُ النُّو
أُسْكِرْتَهُ الذِّكْرَى فَأُضْغَى وَأُضْغَى
مَالَ تَيْهًا كَمَا تَمِيلُ الْعَذَارَى

* * *

تَمْلَأُ النَّفْسَ مِنْ مُنَى وَارْتِيَا
وَاسْتَنَارَتْ بِنُورِهَا الْوَضَاحِ
وَمَجَّدُ مِنَ الصَّمِيمِ الصُّرَاحِ^{١٩}
الْمَسْكُ وَفِي ظِلِّ عَزَّةٍ وَسَمَاحِ
فَغَضَّتْ مِنَ الدَّرَارِي الصَّحَاحِ^{٢٠}
وَيَا يُمْنَنَ نَجْمِهِ اللَّمَّاحِ^{٢١}
وَتَمْضِي بِعِزْمَةٍ وَطَمَاحِ^{٢٢}
وَعَرَسَتْ الْإِحْسَانَ فِي كُلِّ رَاحِ^{٢٣}
مِنْ عَطَاءِ الْمُهَيِّمِينَ الْفَتَّاحِ^{٢٤}
شَرَفَ مُشْرِقُ الْأَسَارِيرِ ضَاحِي^{٢٥}
وَكَبَّتْ دُونَ وَصْفِكُمْ أُمْدَاحِي^{٢٦}
مَا لِمَا خُطَّ فِي السَّمَوَاتِ مَاجِي
رَايَةَ الدِّينِ بِالْظُّبَا وَالرَّمَّاحِ^{٢٧}
وِإِبَاءٌ يَغْشَى الْوَعَى بِصِفَاحِ^{٢٨}
وَسَرَى زِكْرُهُ بِكُلِّ مَرَاحِ^{٢٩}
وَمَنَارًا لِلْبَرِّ وَالْإِصْلَاحِ^{٣٠}
لُ حَيَاةُ النُّفُوسِ وَالْأَزْوَاحِ^{٣١}

إِنَّ ذَكَرَى الزُّفَافِ أَسْعَدُ ذَكَرَى
سَعِدْتُ مَصْرُ بِالْمَلِيكَةِ فِيهِ
شَرَفٌ بَاذِخٌ يَتِيهِ عَلَى الدُّنْيَا
نَبَتَتْ فِي مَنَابِتِ أَرْضِهَا
وَبَدَتْ دُرَّةً مِنَ النُّبُلِ وَالْمَجْدِ
فَهَنَاءُ فَارُوقُ يَا مَوْئِلَ النَّيْلِ
أَنْتَ أَنْهَضْتَ مَصْرَ تَسْتَبِقُ الْخَطْوُ
وَبَعَثْتَ الْأَمَالَ فِي كُلِّ قَلْبِ
ذَاكَ سِرُّ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ وَفِيضُ
آلِ بَيْتِ الْمُلْكِ الْمَوْئِلِ أَنْتُمْ
عَجَزَ الشُّعْرُ أَنْ يَنَالَ مَدَاكُمْ
كَتَبَ اللَّهُ فِي الْخُلُودِ عَلَاكُمْ
جَدُّكُمْ أَنْقَذَ الْبِلَادَ وَأَعْلَى
حِكْمَةً تَأْسَرُ الْقُلُوبَ بِصَفْحِ
كَمْ تَغْنَى بِفَضْلِهِ كُلُّ مَغْدَى
عَاشَ فَارُوقُ وَالْمَلِيكَةُ نُخْرًا
وَلْتَعِشْ قُرَّةُ الْبَصَائِرِ فَرِيَا

هوامش

(١) قبس النور: أخذه. القبس: الشعلة. الراح: الخمر. اللثم: التقبيل والمراد بالنور: شعاع الخمر.

(٢) اللحن: الغناء. ذوات الجناح: الطيور.

(٣) السلاف: الخمر.

(٤) ثمل: انتشى. الرشفة: المرة من الشرب. الأشباح: الأشخاص.

(٥) الرمز: الإيماء، والمراد به هنا المعنى الخفي. الطوق: الطاقة.

(٦) البدائع: الطرائف، الجفوة: الغلظ.

(٧) لغى: جمع لغة. الأدواح: ومفرده دوحه وهي الشجرة العظيمة.

(٨) الأقاحي: جمع أقحوان وهو زهر أصفر الوسط أبيض الأوراق مسننها.

(٩) ترف: ترفرف. النأى: البعاد. الجماح: الشرود.

(١٠) الشتات: التفرق. الشياح: الإعراض.

(١١) العطو: رفع الرأس. المتزر: الملحفة. الوشاح: حلية مرصعة بالجواهر.

(١٢) عي: عجز. نبا: كل. الناي: آلة النفخ. المزهري: العود.

(١٣) يغمر: يغطي. يطفو: يعلو.

(١٤) ترانيم: جمع ترنيم وهو تطريب الصوت. المدى: الغاية. إسحاق: هو ابن

إبراهيم الموصلي كان هو وأبوه من أشهر مغني الدولة العباسية. ابن رباح: هو بلال مؤذن رسول الله ﷺ.

(١٥) ماس: مال تيهها. الباسقات: جمع باسقة وهي النخيل.

(١٦) رنا: نظر. هفا: مال. الثغر: الفم. الفواح الذي يتضوع أريجاً.

(١٧) النشوان: الغائب عن الوعي بتأثير الخمر. الإصغاء: الإمالة ويستعمل كثيراً في

التسمع.

(١٨) التيه: الدلال. الجناح: الإثم.

(١٩) بازخ: عال. الصراح: الخالص.

(٢٠) غض منه: وضع من قيمته. الداراي: النجوم اللامعة.

(٢١) موئل: ملجأ. اليمن: البركة. لماع: لماع.

(٢٢) الاستباق: التسابق. والمراد يسابق بعضها بعضاً. الطماح: التطلع، والمراد

التطلع إلى المعالي.

- (٢٣) الراح: بطون الأيدي مفرده راحة.
- (٢٤) السر هنا: الأصل وكرم النسب.
- (٢٥) المؤئل: الأصل. الأسارير: محاسن الوجه. الضاحي: البادي الظاهر.
- (٢٦) كبا: عثر.
- (٢٧) الظبا: جمع ظبة وهي شفر السيف وحده، والجد المشار إليه هو: محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية.
- (٢٨) الصفح: الغفران، وهو أيضًا عرض السيف وجمعه صفاح. غشيان الوغى: اقتحام الحرب.
- (٢٩) مغدى ومراح: اسما مكاني الغدو والرواح بمعنى الذهاب والمجيء أو اسما زمانيهما، والمعنى مستقيم على كلا الاعتبارين.
- (٣٠) الذخر: ما يدخر للمستقبل، والمنار: ما ينصب لهداية السفن.
- (٣١) القرّة: البرد، البصائر: جمع بصيرة والمراد بها القلب.

رثاء عاطف

أنشدت في حفل تأبين عاطف بركات باشا وكيل وزارة المعارف سنة ١٩٢٤م.

ماتَ الْحِجَا، وَقَضَى جَلالُ النَّادِي¹
ماذا أَصَابَكَ يَا رَجَاءَ الْوَادِي²؟
أودى بأيّ رويّة وسداد!
فَدَوْتُ ولم تَمَهّلْ لَوْقَتِ حَصَادِ
وهَاجَةً، فَغَدَت فَتَيْتَ رَمَادِ³
قَدْ كَانَ يُسْتَعَصَى عَلَى الْأَعْمَادِ
لِسُطُورِهَا، تُطَوِي إِلَى مِيعَادِ
وَيَعُودُ حِينًا وَهُوَ شَوْكُ قَتَادِ⁴
وَلَقَدْ يَكُونُ الْمَاءُ غُصَّةً صَادِي⁵
فِيهَا لَغَيْرِ تَشْتِيٍّ وَنَفَادِ!
فِي نَوْحِ بَاكِ أَوْ تَرَنَّمِ شَادِي⁶
وَلِذِيذِهَا يُجْنَى مِنَ الْإِجْهَادِ
فِي إِثْرِهِ عِيدٌ مِنَ الْأَعْيَادِ
عِيدُ الْيَزِيدِ وَعِيدُ آلِ زِيَادِ⁷

الْعَيْنُ عَبْرَى، وَالنُّفُوسُ صَوَادِي
أَرْجَاءَ ذَا الْوَادِي الْخَصِيبِ جَنَابُهُ
سَهْمٌ رَمَاكَ بِهِ الْحَمَامُ مُسَدَّدٌ
وَقَضَى عَلَى الْأَمَالِ فِي أَفْنَانِهَا
وَأَصَابَ مِنْ قَبَسِ الزُّكَاةِ شُعْلَةً
وَطَوَى حُسَامًا مِنْكَ فِي جَفْنِ الثَّرَى
صُحُفُ الْحَيَاةِ، وَأَنْتَ أَصْدَقُ قَارِيٍّ
وَالْوَرْدُ يَزْهُو نَاضِرًا فَوْقَ الرُّبَا
وَالْمَاءُ يَجْتَذِبُ النُّفُوسَ نَمِيرُهُ
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا؟ أَمَا مِنْ نِعْمَةٍ
قَدْ حَيَّرْتَ شَيْخَ الْمَعْرَِّةِ حَقْبَةً
تَعَبُ الْحَيَاةِ يَجِيءُ مِنْ لَذَاتِهَا
يَطْوِي بِسَاطَ الْعُرْسِ فِيهَا مَأْتَمٌ
قَدْ كَانَ فِي رُزْءِ الْحَسَيْنِ بَكْرَبَلًا

* * *

وَتَبَاتِهِ، وَالْيَوْمُ يَوْمٌ جَلَادٍ؟

أَيْمُوتُ عاطفٌ، وَالْكِنَانَةُ تَرْتَجِي

أَيَمُوتُ فِي الْمَيِّدَانِ، لَمْ يُغَمَدْ لَهُ
أَيَمُوتُ، وَالنَّصْرُ الْمُبِينُ مُلَوَّحٌ
وَيَغِيضُ مَاءً كَانَ أَيْسَرُ قَطْرَةً
عُمُرُ إِذَا قَلَّتْ سِنُوهُ، فَإِنَّمَا
كَالْعَطْرِ تَجْمَعُ قَطْرَةً مِنْ مَائِهِ
كَمْ مِنْ فَتًى فِي التُّرَابِ، وَخَلَفَهُ
وَمُعَمَّرٍ عَبَرَ الْوُجُودَ، فَمَا رَنَا
عُمُرُ الرِّجَالِ يُقَاسُ بِالْمَجْدِ الَّذِي

سَيْفٌ، وَلَمْ يُخْلَعْ نِيَاطُ نِجَادٍ؟^٨
بِلَوَائِهِ لَطَلَّاعُ الْأَجْنَادِ؟
مِنْهُ حَيَاةٌ خَلَائِقُ وَبِلَادِ؟
آثَارُهُنَّ كَثِيرَةُ التَّعْدَادِ
زَهْرًا، يَنْوَأُ بَغْضَنِهِ الْمَيَّادِ
ذِكْرُ يَزَاجِهِ مَنْكَبَ الْأَبَادِ!^٩
طَرَفٌ إِلَيْهِ وَلَا بَكَى لِبَعَادِ
شَادُوهُ، لَا بِتَقَادُمِ الْمِيلَادِ

* * *

عَزَّ (المَعَارِفِ) مُطَرِّقًا فِي عَاطِفِ
لِلْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ كَانَ مُعَاضِدًا
مَا زَالَ يَكْدُحُ، وَالْخُطُوبُ بِمَرْصِدِ
لَمْ تُثْنِهِ الْأَلَامُ عَنْ غَايَاتِهِ
فَاللَّيْلُ مُوْضُوعٌ بِيَوْمٍ حَافِلِ
وَكأنَّمَا نُصْحُ الطَّبِيبِ بِسَمْعِهِ
وَهَبَ الْحَيَاةَ كَرِيمَةً لِبِلَادِهِ
وَإِذَا بَذَلْتَ لِمِصْرَ كُلِّ عَزِيزَةٍ

زَيْنِ الْفَنَاءِ وَسَيِّدِ الْأَنْدَادِ
فَطَوَى الْحَيَاةَ وَفَتَّ فِي الْأَعْضَادِ!^{١١}
وَالدَّاءُ يَطْغَى، وَالزَّمَانُ يُعَادِي
أَوْ تَلَوِّهُ الْأَسْقَامُ دُونَ مُرَادِ
وَالْيَوْمُ مَعْقُودٌ بِلَيْلِ سُهَادِ
هَذَرُ الْوُشَاةِ، وَزُفْرَةُ الْحُسَادِ
وَمَضَى إِلَى الْأُخْرَى صَرِيحَ جِهَادِ
إِلَّا الْحَيَاةَ، فَأَنْتَ غَيْرُ جَوَادِ

* * *

حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ خَيْرَ وَدِيعَةٍ
فِي رُكْبِهِ زُمَرُ السَّمَوَاتِ الْعُلَا
وَالصَّبْرُ نَاءٌ، وَالرُّءُوسُ خَوَاشِعُ
حَمَلُوا عَلَى النَّعْشِ الْكَرِيمِ، سَلَالَةَ الـ
وَتَحْمَلُوهُ لِيُدْفِنُوا تَحْتَ الثَّرَى
حَفَّ الشَّبَابُ بِهِ، وَفِي عَبْرَاتِهِمْ

(أَعْلَمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ؟)^{١٢}
تَحْدُو مَطِيئَتَهُ لِحَيْرِ مَعَادِ!^{١٣}
وَالدَّمَعُ جَارٍ، وَالْقُلُوبُ صَوَادِي^{١٤}
حَسَبِ الْكَرِيمِ، وَصَفْوَةِ الْأَمْجَادِ
شَمَمَ الْأَبَاةِ، وَصَوْلَةَ الْأَسَادِ^{١٥}
كَمَدَ الْجَنُودِ لِمُضَرَعِ الْقَوَادِ

* * *

يا رَامِي الأملِ البَعِيدِ بِهَمَّةٍ
وعَقِيدَةٍ لو صَوَّرْتَ بِمُمَائِلِ
لم يَزُهَا ضاْفِي المَدِيحِ، ولم تكن
وعزِيمةٌ لا الزَجْرُ نَهْنَهَ هَمَّهَا
كَادَتْ تَدُورُ مع الكَوَاكِبِ دَوْرَهَا
كَانَتْ أَحَزَّ مِنَ المُدَى، وأَحَدَ مَنْ
وَثِقَتْ بِخَالِقِهَا القَدِيرِ فَشَمَّرَتْ
«سَيْشِيلُ» مِنْه رَأَتْ هَـصُورًا يَزْدَرِي
لَهْفِي عَلَيْهِ، وَالذِّيارُ بَعِيدَةٌ
مُتَوَثِّبًا نَحْوَ المُحِيطِ كَأَنَّهُ
ما دَكَّه عَصْفُ الخُطُوبِ ولا وَنَى
لا تَعْجَبُوا، مَنْ كَانَ سَعْدُ خَالِهِ
سَعْدُ الَّذِي غَرَسَ المُهَيْمِنُ حُبَّهُ

شَمَاءَ تُدْرِكُ غَايَةَ الأَبْعَادِ
كَانَتْ تَكُونُ رَصَانَةَ الأَطْوَادِ^{١٦}
فِي الحَقِّ تَرْهَبُ صَوْلَةَ النُّقَادِ^{١٧}
يَوْمًا وَلَا فُلَّتْ، مِنْ الإِيعَادِ^{١٨}
بِالنَّحْسِ آوَنَةً وَبِالإِسْعَادِ
غَرْبِ الطُّبْيِ يُسَلِّلُنَّ يَوْمَ طِرَادِ^{١٩}
مَحْمُودَةَ الإِصْدَارِ والإِيرَادِ^{٢٠}
أَلَمِ الإِسَارِ، وَقَسْوَةِ الأَصْفَادِ^{٢١}
وَحَيَالِ مُصَرِّ مَرَاوِجٍ وَمُغَايِدِ
صَقْرِ الفَلَاحَةِ بِكِفَّةِ الصَّيَادِ^{٢٢}
لَزَعَاذِ الإِبْرَاقِ والإِزْعَادِ
أَلْقَتْ لَهُ الأَخْلَاقُ كُلَّ قِيَادِ
فِي كُلِّ جَارِحَةٍ وَكُلِّ فُؤَادِ

مُحِبِّي القَضَاءِ رَمَاهُ فِي رِيْعَانِهِ
وَتَبَّتْ عَلَيْهِ مِنَ المَنُونِ غَوَائِلُ
شَيَّدَتْ دَارًا لِلْقَضَاءِ فَأَصْبَحَتْ
لو لم تَجِئْ يَوْمَ الحِسَابِ بِغَيْرِهَا
وَبَثَّتْ رُوحَكَ فِي الشَّيْوخِ، فَكُلُّهُمْ
وَبَنَيْتَ بِالأَخْلَاقِ مِنْهُمْ دَوْلَةً
الدينِ سَمُحٌ، إِنْ سَلَكَتْ سَبِيلَهُ
فَلَكُمُ رَأْيُنَا فِي المَعَابِدِ أَشْعَبًا

سَهْمُ القَضَاءِ، فَمَا لَهُ مِنْ فَاذِي^{٢٣}
وَعَدَتْ عَلَيْهِ مِنَ الزَّمانِ عَوَاذِي
لِلدِّينِ والأَخْلَاقِ خَيْرَ عِمَادِ
لَسَمَوَتْ فَوْقَ مَنَازِلِ العُبادِ^{٢٤}
دَاعٍ إِلَى نُورِ النُّبُوَّةِ هَادِي
بَلَّغْتَ بِحَوْلِكَ أَبْعَدَ الأَمَادِ^{٢٥}
لِلخَيْرِ، لا لِلشَّرِّ والإِفْسَادِ
لِلخُتْلِ يَلْبَسُ بُرْدَةَ الزُّهَادِ^{٢٦}

فَزَعَتْ لَكَ الأَقْلَامُ فَوْقَ طُرُوسِهَا
وَتَكَادُ تَلْتَهَبُ المَنَابِرُ حَسْرَةً
وَالشَّعْرُ أَضْحَتْ هَاطِلَاتُ دُمُوعِهِ

وَمِنَ المِدَادِ لَيْسَنُ ثَوْبَ حِدَادِ^{٢٧}
لَمَّا رَحَلَتْ، عَلَى خَطِيبِ إِيَادِ^{٢٨}
بَحْرًا، فَنَاحَ عَلَيْكَ فِي الإِنْشَادِ

مَنْ لِي، وَظِلُّ الموتِ دَاجٌ بَيْنُنَا
مَنْ لِي بِذَاكَ الوجهِ، بَيْنَ غُضُونِهِ
يا طَالِبًا نُورَ اليَقِينِ حَيَاتَهُ
وَأَمْلًا جُفُونَكَ بِالْكَرَى فِي غِبْطَةٍ
وَاخْلَعُ ثِيَابَ الداءِ عَزَّ دَوَاؤُهُ
وَأَذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ مُشِيًّا
سَحَتْ عَلَيْكَ مَعَ الْجَنُوبِ رَوَائِحُ
بِضِيَاءِ ذَاكَ الْكَوْكَبِ الْوَقَادِ! ٢٩
أَسْطَارُ أَسْرَارِ الْحَيَاةِ بَوَادِي!
جَاءَ اليَقِينُ، فَسَرُّ بِأَوْفَرِ زَادٍ
قَدْ كُنْتَ أَحْوَجَ سَاهِدٍ لِرُقَادِ
وَالْبَسَ بِعَدْنٍ أَنْفَسَ الْأَبْرَادِ ٣٠
بِدَمِ الْجُفُونِ وَحُرْقَةِ الْأَكْبَادِ
وَهَمَّتْ عَلَيْكَ مَعَ الشَّمَالِ غَوَادِي ٣١

هوامش

- (١) عبري: يجري دمعها حزناً. صوادي: ظمأى من حرقة الحزن ولهيبه.
- (٢) الجنب: الناحية.
- (٣) القبس: الشعلة تقتبس من معظم النار. الزكانة: الفراسة والبصر بالأمور.
- (٤) الربا: ما ارتفع من الأرض. القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر.
- (٥) نميره: الصفي العذب منه. الغصة: ما يعترض في الحلق فيتأذى به الإنسان.
- الصادي: العطشان.
- (٦) شيخ المعرفة: أبو العلاء المعري الشاعر المعروف بزهد. الحقبة: المدة. ويشير بالشرط الثاني من هذا البيت إلى قصيدة أبي العلاء التي مطلعها:

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد

- (٧) الرزء: المصيبة. كربلاء: حيث قتل الحسين، عليه السلام. اليزيد: هو ابن معاوية. زياد: هو ابن أبي سفيان. ويريد بآله الشيعة الأموية التي خرجت على يد علي بن أبي طالب.
- (٨) النجاد: حمالة السيف. نياط الشيء: ما يعلق به ويشد. الواحد نوط.
- (٩) ينوء: يعيا ويكل. المياد: المتثني ليناً.
- (١٠) الأباد: جمع أبد (بالتحريك) وهو الدهر.
- (١١) معاضداً: ناصراً ومؤازراً. فت في الأعضاء: أوهن وأضعف مشيراً إلى مرض السرطان الذي مات به الفقيد.

- (١٢) الأعواد: النعش. والشطر الثاني مطلع قصيدة للشريف الرضي.
- (١٣) الزمر: الجماعات. ويريد «بزم السموات» الملائكة. تحدو: تسوق وتدفع. ويريد «بالمطية» نعشه.
- (١٤) صوادي: جافة من حرقة الحزن ولهيبه.
- (١٥) تحملوه: حملوه. والشمم: العزة والامتناع. والأبأة: جمع أبي وهو الذي يأبى الضيم والذلة. وصوله الآساد: بطشها وقوتها.
- (١٦) الرصانة: الرسوخ. الأطواد: جمع طود، وهو الجبل العظيم.
- (١٧) لم يزهها: لم يبطرها. الصولة: السطوة.
- (١٨) نهنه: خفف ولطف. فلت: تكسرت. الإيعاد: التهديد.
- (١٩) أحز من المدى: أهد وأقوى قطعاً. غرب الظبي: حد السيف. يسللن: ينتزعن من أغمادهن. يوم الطراد: الحرب.
- (٢٠) شممت: جرت متجهة إلى ما تريد. الإصدار والإيراد: الفعل والترك.
- (٢١) سيشل: إحدى الجزر التابعة لإنجلترا حينئذ وتقع إلى الشرق من إفريقيا. وإليها نفي الفقيد مع المغفور له سعد زغلول باشا وغيرهما. الهصور: الأسد. يزدري: لا يعبأ. الإسار: الأسر. الأصفاد: القيود.
- (٢٢) كفة الصياد: حبالته.
- (٢٣) محيي القضاء يشيد بأياده على مدرسة القضاء الشرعي التي أنجبت قضاة أخذوا بيد القضاء ونهضوا به.
- (٢٤) سموت: علوت وارتفعت.
- (٢٥) الآماد: الغايات، الواحد: أمد.
- (٢٦) أشعب: طماع يضرب به المثل في شدة الطمع والنهم. الختل: الخداع والأخذ على غرة.
- (٢٧) الطروس: الصحف.
- (٢٨) خطيب إباد: هو قس بن ساعدة الإيادي، خطيب العرب في جاهليتها.
- (٢٩) داج: مظلم يحجب ما بيني وبينك.
- (٣٠) عدن: الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين. أنفس الأبراد: لباس التقوى.
- (٣١) سحت: أمطرت في غزارة. الجنوب: الريح تهب من الجنوب. الروائح: السحب الرائحة. همت: أمطرت. الغوادي: السحب الغادية.

عيد دار الإذاعة

أذيعت هذه القصيدة في ٣١ من مايو سنة ١٩٣٨م، حينما احتفلت دار الإذاعة بانتهاء العام الرابع من إنشائها.

مَدَدْتُ يَدَيَّ، فَلَا تَبْخَلِي
فَإِنْ كُنْتَ رَاحِمَةً فَأَنْزِلِي^١
إِلَى ضَحَكَاتِ الصَّبَا الْمُخْضِلِ^٢
وَنَامَ عَنِ الْعَذْلِ وَالْعَذْلِ
وَلَوْ لَا عُيُونُكَ لَمْ يُشْغَلِ^٣
وَفِي شَعْرِهِ الْفَاجِمِ الْمُسْبِلِ^٤
عَلَى شَطِّ مَدْمَعِهِ الْمُرْسِلِ
بِغَيْرِ الْمَلَاخَةِ لَمْ يُصْقَلِ
وَيُضْغِي إِلَى هَمْسَةِ الْجَدُولِ
تُصَفِّقُ بِالْأَمَلِ الْمُقْبِلِ
كَمَا حَامَ طَيْرٌ عَلَى مَنْهَلِ
وَمَا دِيفَ فِيهَا مِنَ الْحَنْظَلِ^٥
بِكُفِّ النَّوَاسِيِّ وَالْأَخْطَلِ^٦
فَكَيْفَ إِذَا هِيَ لَمْ تُقْتَلِ^٧
وُعُودٌ حَصَلْنَ وَلَمْ تُحْصَلِ^٨
وَأَيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَمْطُلِي

فَتَاةَ الْقَرِيضِ، أَهْطِي مِنْ عَلِ
كَبَا بِفَتَى الشَّعْرِ طُولُ الصُّعُودِ
يَحِنُّ إِلَيْكَ حَزِينُ الْمَشِيبِ
سَلَا بِكَ لَيْلَى وَأَتْرَابَهَا
شَغَلَتْ فَتَاكَ بِسِحْرِ الْبَيَانِ
يَرَاكَ مِنَ اللَّيْلِ فِي بَدْرِهِ
وَفِي كُلِّ آهٍ رَمَاهَا الْهَوَى
وَيَلْقَاكَ فِي كُلِّ وَجْهِ صَبِيحِ
وَمِنْ فِيكَ يَسْمَعُ نَجْوَى الْغُصُونِ
تَعِيشِينَ فِي زَاخِرٍ مِنْ ضِيَاءِ
تَحُومُ الْمَلَائِكُ مِنْ فَوْقِهِ
رَوَيْنَا بِهِ فَتَسِينَا الْحَيَاةُ
وَذَقْنَا سَلَاً أَبَتْ أَنْ تَرَفَّ
إِذَا قَتَلْتَ أَحْيَيْتِ الشَّارِبِينَ
كَأَنَّ الْحَبَابَ عَلَى وَجْهِهَا
عِدِينِي عِدِينِي فَتَاةَ الْقَرِيضِ

تَعَالَى نَقِيبُ وَجْهِ الرَّبِّيعِ
وَنَجْمُ مَنْ زَهْرِهِ مَا نَشَاءُ
تَعَالَى نَظِيرُ بَرِيشِ الْأَثِيرِ
نَمْرُ كَمَا مَرَّ طَيْفُ الْخَيَالِ
فَبَيْنَا نَحْدُثُ أَهْلَ الْحِجَازِ
نُحْيِي بَنِي الْعَرَبِ الْأَوْفِيَاءِ
أُولَئِكَ قَوْمِي بُنَاةَ الْفَخَارِ
وَلَوْلَا الْإِذَاعَةُ عَاشَ الْكِرَامُ
بَشِيرُ الْمُنَى وَمُنَى الْمُجْتَلِيِ^٩
وَنَزْفُلُ فِي ثَوْبِهِ الْمُخْمَلِ
وَنَعْلُو بِهِ حَيْثُمَا يَغْتَلِي
أَلَمْ لَمَامًا وَلَمْ يَحْلُلِ
إِذَا صَوْتُكَ الْعَذْبُ فِي الْمُوَصِّلِ^{١٠}
وَنُصْمِعُهُمْ غَرَدَ الْبُلْبُلِ
وَزَيْنُ الْمَحَافِلِ وَالْجَحْفَلِ^{١١}
حُمَاةَ الْعُرُوبَةِ فِي مَعَزِلِ

* * *

أَدَارَ الْإِذَاعَةَ مِنْ مُخْلِصِ
هَنَاءٍ بِأَعْوَامِكِ الْمُشْرِقَاتِ
وُلِدَتْ وَلِلْعِلْمِ أَسْرَارُهُ
بَذَلْتَ الثَّقَافَةَ لِلظَّامِئِينَ
وَنَبَّهْتَ وَسَنَانَ جَفْنِ الصَّبَاحِ
وَعَنَيْتِ حَتَّى تَعَزَّى الْحَزِينُ
تَرَانِيمُ مَا سَمِعَتْهَا الْفُنُونُ
وَكَمْ قَدْ هَزَلَتْ لَتَشْفِي النُّفُوسَ
عَنِ الْوُدِّ وَالْعَهْدِ لَمْ يَنْكُلِ
وَأَيَّامِ نَهَضَتِكَ الْحَقْلِ
وَقَدْ كُنْتَ مِنْ سِرِّهِ الْمُغْضِلِ
وَلَوْلَا يَمِينُكَ لَمْ تُبْدَلِ
بِأَيِّ مِنَ الْكَلِمِ الْمُنْزَلِ^{١٢}
وَقَرَّ الشَّجِيُّ وَهَامَ الْخَلِي
بِأَوْتَارِ إِسْحَاقٍ أَوْ زُلْزَلِ^{١٣}
فَكَانَ مِنَ الْجِدِّ أَنْ تَهْزِلِي

* * *

مَضَتْ مِصْرُ تَصْعَدُ نَحْوَ السَّمَاءِ
وَأَضَحَتْ مِنَ الْعِلْمِ فِي رَوْضَةِ
تَتِيهِهِ بِتَارِيخِ أَمْجَادِهَا
وَتَسْمُو عَلَى مَسْبَحِ الْأَجْدَلِ^{١٤}
وَمِنْ عِزَّةِ الْمُلْكِ فِي مَعْقِلِ
وَتُزْهِى بِفَارُوقِهَا الْأَوَّلِ

هوامش

- (١) كبا: انكب على وجهه وسقط.
- (٢) المخضل: الندى الناعم. أخضل: ندي.
- (٣) المراد بالعيون هنا: خيار الشعر وما كان منه معجباً ساحراً، ففي هذه الكلمة تورية.
- (٤) الفاحم: الأسود. أسبل الأضرار والستر ونحوهما: أرخاه.
- (٥) الحنظل: نبت مر.
- (٦) السلاف: الخمر. ترف: تبرق وتتلأأ. النواصي: هو أبو نواس الحسن بن هانيء شاعر فارسي الأصل، ولد بقرية من قرى خورستان شرقي البصرة سنة ١٤٥هـ، ومات ببغداد سنة ١٩٩هـ ومدح الرشيد وابنه محمد الأمين من خلفاء الدولة العباسية. وهو أشهر الشعراء المحدثين بعد بشار، وأكثرهم تفنناً، وقد امتاز بقصائده الخمرية ومقطعاته المجونيات. الأخطل: هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي من الشعراء المتقدمين في الدولة الأموية، وقد اشتهر بالتعمق في وصف الخمر وانفرد بذلك دون شعراء عصره. مات سنة ٩٥هـ.
- (٧) قتلت: مزجت بالماء.
- (٨) الحباب: بفتح الحاء: النفاخات التي تعلو الماء ونحوه.
- (٩) المجتلي: اسم فاعل من اجتليت الشيء بمعنى نظرت إليه.
- (١٠) الموصل: من بلاد العراق في شمالها على نهر دجلة.
- (١١) الجحفل: الجيش الكثير.
- (١٢) الوسنان: صفة من الوسن وهو النعاس.
- (١٣) إسحاق بن إبراهيم الموصلي كان مغنياً ذائع الصيت في عهد هارون الرشيد وابنه عبد الله المأمون، وهو فارسي الأصل، وقد ورث الولوع بالغناء عن أبيه وأمه إذ كانا مغنيين مشهورين، وتعلم الضرب بالعود من «زلزل»، وكان إلى جانب شهرته بالغناء فقيهاً عالماً صادقاً عفيفاً. زلزل: مغن بغدادي مشهور، كان يضرب المثل بضربه العود (وهو أول من أحدث العيدان)، واسمه منصور وأصله من سواد أهل الكوفة، وقد تعلم الغناء من إبراهيم الموصلي.
- (١٤) الأجدل: الصقر وهو أقوى جوارح الطير وأرفعها طيراناً.

تكریم

ألقىت هذه القصيدة في حفل لتكريم الدكتور علي توفيق شوشه، وكيل وزارة الصحة بمناسبة الإنعام عليه برتبة الباشوية عام ١٩٤٥ م.

نَغْمُ الشُّعْرِ فِي رُبَا جَنَاتِهِ	أَسَكَتَ ابْنَ الْغُصُونِ فِي دَوْحَاتِهِ ^١
مَا لَ سَمْعُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ وَأَصْغَتْ	هَاتِفَاتُ الْمُنَى إِلَى هَاتِفَاتِهِ ^٢
وَتَرُّ صَاغِهِ إِلَالُهُ وَالْقَى	نَعَمَاتِ الْفِرْدَوْسِ فِي نَعَمَاتِهِ ^٣
وَرَنِينَ مِنَ السَّمَاءِ تَمَنَّى	كُلُّ طَيْرٍ لَوْ أَنَّهُ مِنْ لَهَاتِهِ ^٤
صُنَّتُهُ أَنْ يَهُونَ، وَالْفَنُّ يَسْمُو	حِينَ تَسْمُو بِهِ نَفُوسُ حُمَاتِهِ ^٥
وَتَقْلَدَتْهُ حَسَامًا لِمَصْرِ	تَتَوَقَّى الْخُطُوبُ وَقَعَ شَبَاتِهِ ^٦
وَهَزَزَتْ الشَّبَابَ لِلْسَبْقِ فَاثَتْ	أَلَوْا سِرَاعًا عَلَى هُدَى مَشْكَاتِهِ ^٧
مَا مَدَحْتُ الْكَرِيمَ إِلَّا لِأَدْعُو	بِمَدِيحِي إِلَى كَرِيمِ صِفَاتِهِ
أَنَا بِالْمَجْدِ مُوَلِّعٌ وَبِأَهْلِيهِ	هـ، وَبِالْبَاقِيَاتِ مِنْ ذِكْرِيَاتِهِ
أَعَشَقْتُ النُّبْلَ فِي جَلَالِهِ مَعْنَا	هـ، وَأَهْوَى الْإِقْدَامَ فِي عَزَمَاتِهِ
قَدْ رَأَيْتُ الْعَلَاءَ فِي اسْمِ «عَلِيٍّ»	وَرَأَيْتُ «التَّوْفِيقَ» خَيْرَ سِمَاتِهِ ^٨
فَشَدَا بِاسْمِهِ قَرِيضِي كَمَا يَشْ	دَو طَلِيقُ الْجَنَاحِ فِي رَوْضَاتِهِ ^٩
وَإِذَا كَرَّمَ الرِّجَالَ ابْنَ تَوْفِيهِ	قِي فَقَدْ كَرَّمُوا النَّبُوغَ لَذَاتِهِ

* * *

بَسَمَاتُ الرَّبِيعِ فِي بَسَمَاتِهِ وَسَنَا الصَّبْحَ مِنْ سَنَا قَسَمَاتِهِ^{١٠}

كوكبي الذكاء لو صدع الليـ
باحث لا يصيدُ في مهمه العـ
رأيه مجهرُ فما غاب أمرُ
لمحات كأنها خاطفُ البر
إن رمى الشك رأيه فرَّ حيرا
ما رأى عبقر ولا جن واديـ
ل لجلّى بنوره ظلّماته^{١١}
م سوى الشاردات من آبداته^{١٢}
كيفما دقّ عن مدى نظراته^{١٣}
ق، وأين البروق من لمحاته^{١٤}؟
ن، يجرّ الذیول من شُبّهاته^{١٥}
ه كهذا الذكاء في مُعجزاته^{١٦}

* * *

وشبابٌ كأنه ناضِرُ الريحـ
صائه النبلُ أن يمسّ له ذیـ
غرس الله نبتّه فنما نضـ
يمتطي العبقری ناجية العز
لا يرى الطرفُ منه إلّا غبارا
يتمنى الشيوخ لو بذلوا العمـ
عمرُ المرء بالجليل من الأعـ
بؤرة الضوء كم بها من شعاع
ورحيق الأزهار كم ضمّ من رو
ان في حسنه وفي نفحاته
ل، وأدى الإيمان فرض ذكاته^{١٧}
را، وأتى الشهي من ثمراته^{١٨}
م حثيث الخطا إلى غاياته^{١٩}
عجز الطرف أن يرى قصباته^{٢٠}
ر لقاء القليل من ساعاته
مال لا بالكثير من سنواته
ملا الأفق في جميع جهاته!
ض شذيّ الشميم في قطراته^{٢١}

* * *

جمع الفضل حين فرقه النا
دائرات المعارف اجتمعت فيـ
كم لغات جرى بها لفظه العد
هو في الطب من كبار نحاته
وهو في حلبة البيان أديب
وهو إن شئت حافظ لغوي
نسخة «اللسان» في صدره الوا
يعرف الأيهقان والثول والذع
أنا أخشى جداله كلما صا
س، وأواه بعد طول شتاته
ه ففتش عنهن في صفحاته^{٢٢}
ب سليما كأنها من لغاته
وهو في النحو من كبار أساته^{٢٣}
تسمع السحر في رقى نفقاته^{٢٤}
كلمات «القاموس» من كلماته^{٢٥}
عي، سما طبعها على طبعااته^{٢٦}
لوق والسيسبي ونوع نباته^{٢٧}
ل عنيف الجدال في صولاته

مجمعُ الضادِ يرفعُ الرأسَ في زهوٍ بآرائه وصدق أناته^{٢٨}
 حسْبُ دهرٍ جنَى على الناسِ أنْ كا ن «عليّ» يُعَدُّ من حَسَنَاتِهِ^{٢٩}
 «معملُ المَصْل» وهو فتْحُ مَبِينٌ بعضُ ما نال مصرَ من مآثراته^{٣٠}
 فَتَكَاتُ المكروبِ أَلَقَتْ سَلاَحًا للسريعِ السديدِ من فَتَكَاته
 يصرَعُ الموتَ ثابتَ العزمِ مقدًا مَّا جريئًا في عزمِهِ وثباته
 كم حبا الناسَ من حياةٍ، أمدَّ الله للمجدِّ والعُلا في حياته^{٣١}
 نال أسمى الألقابِ والفضلُ فضلٌ كيفما قد رفعت من درجاته!

هوامش

- (١) ربا: جمع ربوة. ابن الغصون: الطائر المغرد. دوحاته: أشجاره الكبيرة.
 - (٢) هاتفات المنى: صائحات بالأمانى.
 - (٣) صاغه: صنعه. الفردوس: حديقة في الجنة.
 - (٤) لهاته: اللهاة زائدة لحمية في مؤخرة سقف الحلق والمقصود حنجرته.
 - (٥) حماته: المدافعون عنه.
 - (٦) تقلدته: حملته. حسامًا: سيفًا. وقع شبابه: ضرب طرفه الحاد.
 - (٧) هززت: أثرت وحركت. انتالوا: جاءوا من كل وجه. مشكاته: مصباحه.
 - (٨) العلاء: الشرف والمجد. سماته: صفاته.
 - (٩) طليق الجناح: الطيور الحرة المغردة.
 - (١٠) سنا: نور. قسماته: ملامحه.
 - (١١) كوكبي: نوره كالنجم. صدع: شق. جلى: كشف.
 - (١٢) مهمه: الفلاة يقصد اتساع العلم. الشاردات: يقصد أموره الشاردة الغريبة.
- آبداته: عويصات.
- (١٣) مجهر: المنظار المكبر. مدى: غاية ونهاية.
 - (١٤) لمحات: نظرات. خاطف البرق: البرق السريع.
 - (١٥) شبهاته: الشكوك والظنون، الالتباس.
 - (١٦) جن واديه: الجن من المخلوقات التي لا ترى، وقد زعم العرب أن لها واديًا هو وادي عبقر.

- (١٧) ذكاته: طهارته.
- (١٨) نبتة: غرسه. آتى: أثمر. الشهى: ما يشتهى لحلاوته.
- (١٩) يمتطي: يركب. ناجية: سريعة. حثيث: سريع. غاياته: مراده وهدفه.
- (٢٠) الطرف: العين. قصباته: القصب الذي يوضع في حلبة السباق.
- (٢١) شذّي الشميم: ذكي الرائحة.
- (٢٢) دائرات المعارف: جمع دائرة المعارف وهي الموسوعة العلمية.
- (٢٣) نحاته: علماء اللغة. أساته: أطباؤه.
- (٢٤) حلبة: مكان السباق. رقى: تعاويز.
- (٢٥) القاموس: يقصد القاموس المحيط.
- (٢٦) نسخة للسان: المراد باللسان كتاب لسان العرب وهو معجم لغوي ضخمة.
- سما: علا.
- (٢٧) الأيهقان: عشب يطول ساقه وله وردة حمراء وورقه عريض ويؤكل وهو الجرجير البري. الثول: شجر الحمض. الذعلوق: بقل كالكرات. والسيبى: السيسبان.
- (٢٨) مجمع الضاد: هو مجمع اللغة العربية والمدوح كان عضواً به.
- (٢٩) حسب دهر: يكفي الزمن.
- (٣٠) معمل المصل: معمل المصل واللقاح وكان المدوح يشرف عليه. مآثرته: مآثره وحسناته.
- (٣١) حبا: أعطى، اختص.

من أخبر الجمل؟!

كتب الشاعر هذه الأبيات في مناسبة فرار جمل من جزّاره والتجائه إلى قصر عابدين سنة ١٩٤٤م.

عابدينُ كعبةٌ مصرٍ رُكْنُها حَرَمٌ	للخائفينَ إذا خطُبُ بهم نَزَلًا ^١
تَهْوِي إليها وفودُ الأرضِ ضارعةً	ترجو بها الأمنَ، أو تُحْيِي بها الأملًا ^٢
أَمْرٌ وعاه بنو الإنسانِ وَحْدَهُمْ	فَمَنْ بربِّكَ قلْ لي أخبر الجملا؟! ^٣

هوامش

- (١) حرم: أمان والمقصود من دخله كان آمناً كالبيت الحرام.
- (٢) تهوي: تذهب، تَفِد. ضارعة: داعية إلى الله.
- (٣) وعاه: عرفه.

هجاء ...

عام ١٩٠٦ م

مُذْ نَبَا هَجْوِي الْمُبْرِحِ عَنْكَ ^١	إِنْ نَبَا خَذُكَ الْمُصَعَّرُ عَنِّي
وبحلم قابلتُ ما كان منكَا	فبجهلٍ قابلتُ ما كان مِنِّي
من هِجَاءٍ، تَصُكُّ وَجْهَكَ صَكًّا ^٢	ولو استطعتُ لابتدعتُ كُفُوفًا
رَ يَقُولُ من وَخْزَةِ المَوْتِ أَنْكِي ^٣	ولفَكَّكْتُ من أسَارِيرِكَ الْكِبَـ
دٌ لغيرِ اللهِ المهيمنِ شَرْكَاءُ ^٤	إِنَّا مَعَشَرٌ نَرَى الذَّلَّ في الوـ
ورأينا في العِزِّ والفقرِ مُلْكَا	قد رأينا في المالِ والذلِّ فَقْرًا

هوامش

- (١) نبا: تجافى وبعد. المصعر: مائل كبيرًا. هجوي: هجاء، ضد المدح. المبرح: الشديد.
- (٢) تصك: تضرب.
- (٣) وخزة الموت: طعنة مميته. أنكي: أصعب.
- (٤) المهيمن: المتصرف في الأمور. شركًا: أي نجعل منه شريكًا وهو كفر.

رثاء أنطون الجميل باشا

ألقيت هذه القصيدة في الحفل الذي أقامه مجمع اللغة العربية لتأبين الأستاذ أنطون الجميل عضو المجمع عام ١٩٤٨م.

أَيْنَ أَلْقَاكَ لَيْتَ شِعْرِي؟ وَأَنْتِ؟^١
حَجَبَتْهُ الْعُقُولُ عَنْهَا وَعَنَّا
وَتَغَوَّصَ الظُّنُونُ فِيهِ فَتَضَنَّى^٢
وَعُصُونًا رِيًّا الْمَعَاطِفِ لُدْنَا^٣
تِ، ورأيَا عَضَبَ الشَّبَابَةِ وَذَهْنَاءَ
وَأَنَاشِيدَ لَمْ تَعِشْ لَتُغْنَى!
رِ، خِمَاصَ الْحَشَى، فُرَادَى وَمَثْنَى^٤
خَانَهُ الدَّهْرُ فِي صِبَاهُ وَأَخْنَى^٥
وَلَوْثَهُ زَعَاذُ الْمَوْتِ غُصْنَا^٦
رُ، وفي الرَوْضِ حِينَمَا يَتَتَنَّى
لَا، وَلَا الصَّبْرُ وَالتَّجَلُّدُ أَغْنَى
وَأَعْرَتْ الثَّكْلَى الْحَزِينَةَ جَفْنَا^٧
ضَرَبَ الْقَلْبُ بِالْجَنَاحِ وَحْنَا^٨
أَدْرَكَ الْوَالَةَ الشَّجِيَّ الْمُعْنَى!^٩
دُنْيَا، فَلَا أَرْتَجِي وَلَا أَتَمْنَى^{١٠}
فَرَأَيْتُ الْمِيلَادَ مَوْتًا وَدَفْنَا^{١١}

حَنَّ شِعْرِي إِلَى اللَّقَاءِ وَأَنَا
ضَرَبْتُ بَيْنَنَا الْمَنُونُ بِسُورِ
تَتَلَاقَى بِهِ الدَّمُوعُ حَيَارَى
كَمْ حَوَى مِنْ وَرَائِهِ زَهْرَاتِ
كَمْ حَوَى مِنْ وَرَائِهِ عَبْقَرِيَا
كَمْ حَوَى مِنْ صَحَائِفٍ لَمْ تُتَمِّمْ
وَأَمَانَ زُغَبٍ تَطِيرُ إِلَى الْقَبْرِ
حَجَبَ السُّورُ خَلْفَهُ لِي رَجَاءُ
أَسَكَّتَتْهُ قَوَارِعُ الْمَوْتِ لَحْنًا
هُوَ فِي الْبَدْرِ حِينَمَا يَطْلُعُ الْبَدِ
مَا بُكَاءُ الْأَطْفَالِ أَجْدَى عَلَيْهِ
فِيهِ أَسْعَدْتُ كُلَّ بَاكِ بِدَمْعِي
كَلَّمَا مَرَّتِ النُّوَادِبُ صُبْحًا
يَا شَبَابًا فَقَدْتُ فِيهِ شَبَابِي
قَدْ وَأَدْتُ الرَّجَاءَ فِي هَذِهِ الدُّ
وَخَنَقْتُ السَّنِينَ أَوْ مَا علاها

مَنْ يُعَمِّرُ يَجِدْ أَخْلَاءَهُ فِي الْأَرْضِ
يَذْهَبُ الْأَمْسُ بِالرِّجَالِ فَيُنْسَوُ
رِيْشَةً فِي مَهَامِهِ الْبَيْدِ طَارَتْ
وَحِصْمُ الْمَاضِي يَعْجُ بِمَنْ فِيهِ
وَضَعُونُ الْمَنُونِ مِنْذُ سَلِيلِ الطَّيْرِ
سُفْنٌ تَلْتَقِي عَلَى شَاطِئِ الْغَيْبِ
مَا لَنَا غَيْرَ أَنْ نَقُولَ حَيَارَى
لَا تَقُلْ: إِنَّ صَالِحَ الذِّكْرِ يَبْقَى
مَا غَنَائِي بِالذِّكْرِ يَبْقَى جَمِيلًا
مَا رَجَائِي وَالسَّيْفُ أَضْحَى حُطَامًا

ضِ أَوْفَى مِمَّنْ عَلَيْهَا وَأَحْنَى!^{١٢}
نَ، وَتَمْضِي الْقُرُونُ قَرْنًا فَقَرْنَا
أَيَّنْ طَارَتْ؟ اللَّهُ أَعْلَمُ مِنَّا!^{١٣}
هَ، وَيَغْشَى قَوْمًا، وَيَغْمُرُ مَدَنًا!^{١٤}
نَ تَطْوِي الصَّحْرَاءَ ظِعْنًا فَظِعْنًا!^{١٥}
بِ، لَتَلْقَى هُنَاكَ سُفْنًا وَسُفْنًا
بِلِسَانِ الدَّمُوعِ: كَانُوا وَكُنَّا
كُلُّ شَيْءٍ فِي الدَّهْرِ يَبْقَى لِيَفْنَى
حِينَ أَمْسَى تَحْتَ الصَّفَائِحِ رَهْنًا?^{١٦}
أَنْ أَرَى بَعْدَهُ نِجَادًا وَجَفْنًا?^{١٧}

قَدْ فَقَدْنَا «أَنْطُون» بِالْأَمْسِ وَالْحَزِ
أَخَذَتْهُ فُجَاءَةُ الْمَوْتِ أَخَذًا
مَا حَنَى الرَّأْسَ مَرَّةً لِعَظِيمِ
أَنْجَمٍ أَشْرَقَتْ فَأَطْفَأَهَا الْمَوْتُ
مَا عَلَى الدَّهْرِ لَوْ تَرِيتَ حِينًا
كُلَّ يَوْمٍ نَرْتِي وَنَنْدُبُ حَتَّى
وَرَحَا الْمَوْتِ لَا تَنِي تَمْلَأُ الْأَرْضَ
نَسِيَّ الشَّعْرُ فِي صِرَاعِ الرِّزَايَا
شَغَلَتْهُ مَاتَمٌ وَنَعُوشُ
كَمْ سَلَوْنَا عَنْ صَاحِبِ بَحْبِيبِ
نَتَدَاوَى مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ بِالشَّـ

نُ عَلَى فَقْدِهِ يُجَدِّدُ حُزْنَا
رِيْعٍ مِنْ هَوْلِهِ الصَّبَاحُ وَجُنًّا!^{١٨}
فَأَبَى أَنْ يَرَاهُ لِلْسَّنِّ يُحْنَى
تُ، كَمَا تُطْفَأُ الْمَصَابِيحُ وَهْنًا!^{١٩}
أَوْ عَلَى الدَّهْرِ مَرَّةً لَوْ تَأَنَّى!
صَارَ نَدْبُ الرِّجَالِ فِي مِصْرٍ فَنَّا
ضَ ضَجِيجًا وَتَنْثَرُ النَّاسُ طَحْنًا!^{٢٠}
رَنَّةَ الْكَأْسِ وَالْغَزَالِ الْأَغْنَا!^{٢١}
عَنْ هَوَى زَيْنَبٍ، وَعَنْ وَعْدِ لُبْنَى
فَإِذَا بِالْحَبِيبِ يُخْلِفُ ظَنًّا!^{٢٢}
وَقِ وَنَطْوِي أَسَى لِنَنْشُرَ شَجْنًا!^{٢٣}

مَاتَ «أَنْطُونُ» وَانْقَضَتْ دَوْلَةُ الْمَجْدِ
وَعَدَا عَبَقْرُ وَوَادِيهِ أَضْغَا
وَرَأَيْنَا الْأَقْلَامَ يَشْقُقْنَ صَدْرًا

بِ، وَكَانَتْ بِهِ تَعِزُّ وَتَغْنَى
ثَا، وَعَادَتْ رَجَاحَةُ الْعَقْلِ أَفْنًا!^{٢٤}
بَعْدَهُ حَسْرَةٌ وَيَقْرَعُنْ سِنًّا!^{٢٥}

نندبُ الكاتبَ الذي يُرسلُ القو
لا ترى لفتةً به تجبه الذو
موجزٌ زاده الوُضوحُ جمالاً
أين ذاك الخُلُقَ السميح؟ كأن لم
والبشاشاتُ أين مِنِّي سناها؟
والسياساتُ؟ والدهاءُ الذي كا
أين ذاك الصدرَ الذي يحملُ العب
كم غزته الخطوبُ دُهمَ النواصي

لَ قوَيَّ الأداءِ مَعْنَى وَمَبْنَى
قَ، ولا لَفْظَةً تُخَدِّشُ أُذُنَا
والتخَلِّيَ عن الفَضالاتِ وَزُنَا^{٢٦}
يُكُ بِالْأُمسِ يَمْلَأُ الأَرْضَ حُسْنًا
وَالْأَفْأَكِيَّةُ مِنْ هُنَاكَ وَهُنَا^{٢٧}
نَ سِلَاحًا حِينًا وَحِينًا مَجَنًّا؟^{٢٨}
ءَ، عَظِيمًا، وَلَيْسَ يَحْمِلُ ضِغْنًا؟^{٢٩}
وهو أَصْفَى من الصَباحِ وَأَسْنَى^{٣٠}

* * *

يا أخي، هَلْ يَلِيقُ أَنْ تَدْخَلَ البِبا
قِفْ! تَأَخَّرْ، قَدْ كُنْتَ تُعَلِّي مَكَانِي
كُنْتَ بِالْأُمسِ، كُنْتَ بِالْأُمسِ رُوحًا
كُنْتَ مَعْنَى مِنَ الشَّبَابِ وَإِنْ
تَمْلَأُ الأَرْضَ وَالزَمَانَ حَيَاةً
تَبْذُلُ الخَيْرَ لَمْ يُكْدَّرْ بِمَنْ

بَ أَمَامِي، وَأَنْتِ أَصْغَرُ سِنًا!
مَا جَرَى؟! مَا الَّذِي نَبَا بِكَ عَنَّا؟^{٣١}
مَرَحًا ضَاحِكًا، وَصَوْتًا مُرِنًا^{٣٢}
شَاخَ، وَعِزْمًا لَمْ يَعْرِفِ الدَّهْرَ وَهَنَا^{٣٣}
هَادِيَّ النَفْسِ وَادِعًا مَطْمَئِنًا
وَكَثِيرَ مِنَّا إِذَا مَنَّ مِنَّا

* * *

مَجْمَعُ الضَّادِ كُنْتَ لِلضَّادِ فِيهِ
كُنْتَ مِصْبَاحَنَا الْمُنِيرَ إِذَا غَمَ
كُنْتَ يَوْمَ الْجِدَالِ بِالْحُجَّةِ الْبَيضَا
عِفَّةً فِي اللِّسَانِ صَيَّرْتَ الْإِيَّ
تَبْلُغُ الْغَايَةَ الْقَصِيَّةَ مَا أَذْ
كُلُّ قَرْنٍ لَدَى النِّضَالِ يَرَى فِيهِ

عَلَمًا يُحَسِّرُ الْعَيُونَ وَرُكْنًا^{٣٤}
مَتَّ سَبِيلُ، وَطَالَ لَيْلٌ وَجَنًا^{٣٥}
ءَ تَمْحُو سَحَابَتِ الشَّكِّ وَكُنَّا^{٣٦}
يَا مَ تَشْدُو بِمَدْحِكَ الْيَوْمَ لُسْنًا
مَيَّتَ جُرْحًا، وَلَا تَعْمَدَتْ طَعْنًا^{٣٧}
لَكَ لِمَعْنَى الْوَفَاءِ لِلْحَقِّ قَرْنًا^{٣٨}

* * *

حَسَرْتَا لِلْفَتَى إِذَا قَارَبَ الشَّوْ
كَلَّمَا مَدَّ لِلْكَمَالِ يَدِيهِ

طَ طَوْتُهُ الْمَنُونُ غَدْرًا وَعَبْنًا^{٣٩}
صَدَّ عَنْهُ الْكَمَالُ كِبَرًا وَضَنًا^{٤٠}

إِنْ قَوِينَا عَقْلًا ضَعُفْنَا جُسُومًا ورأينا في الموت بُرءًا وأمنًا^{٤١}
 وشئُونُ الحياةِ شَتَّى ولكنْ حُبُّنا للحياةِ أعْظَمُ شَأْنًا
 لو يعيشُ الإنسانُ عُمُرَ السُّلْحفا لَأَغْنَى هذا الوجودَ وأقْنَى^{٤٢}
 ما الذي نرتجيه والعُمُرُ طَيْفٌ إِنْ فَتَحْنَا العَيْنينِ بَانَ وَبِنَّا؟^{٤٣}
 نحنُ في هذه الحياةِ ثَمَارٌ كُلُّ شَيْءٍ إِنْ أَدْرَكَ النُّضْجَ يُجْنَى^{٤٤}

* * *

يا أخي، هل تُجِيبُ إِنْ هَتَفَ الشو قُ حَبِيبًا صِدْقَ الوفاءِ وَخَدْنَا؟^{٤٥}
 إِنْ أَكُنْ فِيكَ دَانِي الْقَلْبِ بِالْأَمِّ سِ، فروحِي لروحِكَ اليومِ أَذْنَى^{٤٦}
 أَتُرَانِي إِنْ حَانَ حَيْنِي قَمِينًا أَنْ أَرَى فِي ذَرَاكِ ظِلًّا وَسَكْنًا^{٤٧}
 نَمَّ قَرِيرًا، فَإِنَّ فِي ضَجْعَةِ الْقَبِ سِرًّا سَلَامًا لِلْعَامِلِينَ وَيُؤْمِنًا^{٤٨}
 وَجَدَ السَّاهِرُ الْمَجْدَ وَسَادًا ورأى الطائرُ المَحْلُوقَ وَكُنَّا^{٤٩}
 إِنْ يَكُنْ فِي الْحَيَاةِ مَعْنَى مِنَ الصَّفِ وَفَمَا لِلْحَيَاةِ بَعْدَكَ مَعْنَى

هوامش

- (١) أنا: أصدر أنيئًا. أنى: أين.
- (٢) تضنى: تتعب.
- (٣) ريا: مرتوية. المعاطف: الجوانب. لدنا: لينة.
- (٤) غضب: كالسيف. الشبابة: حاد الطرف.
- (٥) زغب: صغار. والزغب هو أول ما يغطي جلد صغار الطيور بعد فقسها.
- (٦) أحنى: أتى عليه وأهلكه.
- (٧) قوارع: نوازع ودواهي. زعازع: زعزعة الشيء.
- (٨) أعرت: أقرضت. الثكلي: التي فقدت ابنها، جفنا: جفن العين. يقصد عينًا دامعة.
- (٩) النوادب: الباكيات على الميت الذكرات لمحاسنه.
- (١٠) الواله: المحب الحيران. الشجى: الحزين. المعنى: الذي يقاسي.
- (١١) وأدت: دفنت. أرتجي: أرجو وآمل.
- (١٢) أخلاءه: إخوانه. أوفى: أخلص. أحنى: عطوفًا.

- (١٣) مهامه البيد: الصحراء الممتدة الواسعة.
(١٤) خضم: البحر ذو الأمواج المرتفعة. يغشى: يغطي.
(١٥) ظعون: أسفار. سليل الطين: المخلوق من الطين والمقصود سيدنا آدم عليه السلام.
(١٦) الصفائح: الألواح. رهناً: مرهوناً يقصد موجوداً باقياً.
(١٧) حطاماً: متكسراً ومتحطماً. نجاداً: حمائل السيف. جفنًا: غمد السيف.
(١٨) ريع: خاف وفزع.
(١٩) وهناً: ضعفاً.
(٢٠) رحا: المطحنة.
(٢١) الرزايا: المصائب. الأغنا: الذي يعيش في الأرض المعشبة المليئة بالشجر.
(٢٢) سلونا: نسينا.
(٢٣) لاعج: شدة. شجنا: حزنًا.
(٢٤) عبقر: صاحب وادي الجن الذي ادعى العرب وجوده. أضغاثًا: أحلام لا يصلح تأويلها لاختلاطها. أفنا: ضعف في العقل والرأي.
(٢٥) يقرعن سنا: يضربن ضرساً كناية عن الحسرة.
(٢٦) الفضالات: النواقص.
(٢٧) البشاشات: طلاقة الوجه وسروره. سناها: ضوؤها. هنا: للتقريب.
(٢٨) مجنا: الدرع الواقى.
(٢٩) العبء: الحمل الثقيل. ضغنًا: حقداً.
(٣٠) دهم النواصي: سود الرؤوس. أسنى: أكثر ضياء.
(٣١) نبا: بعد وجافى.
(٣٢) مرناً: له رنين مسموع.
(٣٣) شاخ: كبر وهرم. وهناً: ضعفاً.
(٣٤) مجمع الضاد: مجمع اللغة العربية والفقيد كان عضواً به. يحسر: تكل العيون من كثرة التطلع إليه.
(٣٥) غمت: اسودت. أظلمت. جنا: أظلم.
(٣٦) وكنا: متمكنا.
(٣٧) القصية: البعيدة. ما أدميت: ما أسلت دماً.

- (٣٨) قرن: ند.
(٣٩) غبنا: ظلما.
(٤٠) ضنا: شُحًا وبخلًا.
(٤١) براء: شفاء. أمانًا: أمانًا.
(٤٢) أقنى: أعطى.
(٤٣) نرتجيه: نأمله ونريده. طيف: خيال. بان: ظهر.
(٤٤) يجنى: يحصد ويجمع.
(٤٥) خدنا: صديقًا.
(٤٦) داني: قريب.
(٤٧) قمينًا: جديرًا. ذراك: كنفك. سكنا: إقامة.
(٤٨) قريرًا: هادئًا ساكنًا. في ضجعة: في وضع جنبه على الأرض. يمنًا: بركة.
(٤٩) وكنا: عُشا.

لبنان

ألقيت هذه القصيدة في حفل إفتتاح المؤتمر الطبي ببيروت في صيف عام ١٩٤٤م.

ورَجَعْتُ أَغْسَلُ بِالدَّمِوعِ جِرَاجِي
ذَبُلْتُ نَضَارَتُهُ عَلَى الْأَقْدَاحِ!^١
فَالْيَوْمَ يَرْفَعُ سَاعِدَيْهِ طِمَاحِي^٢
بِضِيَاءِ ذَاكَ الْفَاجِمِ اللَّمَّاحِ؟^٣
فَغَدَاً عَلَى الشُّبُهَاتِ أَوَّلَ لَاحِي^٤
لِمَنَى الصُّبَا وَأَرِيحَةَ النَّفَّاحِ!^٥
وَتَكَادُ تَسْكُرُ فِي الزُّجَاجَةِ رَاحِي^٦
تَسْتَلُّ كُلَّ تَدَلُّلٍ وَجِمَاحِ^٧
وَأَبَانَ أَسْرَارَ الْهَوَى مِصْبَاحِي^٨
مَنْ لِحْظٍ سَاجِيَةِ الْعَيُونِ رَدَاحِ^٩
فَيَحَارُّ بَيْنَ تَمَنُّعٍ وَسَمَاحِ
مَنْ كُلُّ وَاضِحَةِ الْمَرَامِ وَقَاحِ^{١٠}
وَدَعُوا شُكُوكَ الْحُبِّ لِلْأُرُوحِ

أَلْقَيْتُ لِلْغَيْدِ الْمَلَا حِ سِلَاحِي
وَلِمَحْتِ رَيِّحَانَ الصُّبَا فَرَأَيْتُهُ
كَانَ الشَّبَابُ طِمَاحَ لَاعِجَةِ الْهَوَى
مَنْ لِي وَقَدْ عَبَثَ الْمَشِيبُ بِلِمَّتِي
قَدْ كَانَ لِلذَّاتِ أَسْرَعُ نَاصِحِ
لَوْ أَسْتَطِيعُ لَبَعْتُ عَمْرِي كُلَّهُ
أَيَّامَ أَوْتَارِي تَغَرُّدُ وَحْدَهَا
أَيَّامَ شِعْرِي لِلْفَوَاتِنِ رُقْيَةً
«دُوجِينَ» لَمْ يَجِدِ الْفَتَى مِصْبَاحَهُ
الْفَلَسَفَاتُ وَمَا حَوَتْ فِي نَظَرِهِ
تُغْرِي الْهَوَى وَتَصُدُّهُ لَمَحَاتُهَا
وَالنَّظَرَةُ الْبَهْمَاءُ أَفْتُكَ بِالْفَتَى
فَخَذُوا الْيَقِينَ وَنَوْرَهُ لِعَقُولِكُمْ

* * *

يُزْجِيكَ بَيْنَ مَتَالَعٍ وَبِطَاحِ^{١١}
يَكْفِيهِ لِلْقُطْبَيْنِ خَفُّ جَنَاحِ

سِرُّ يَا قَطَارُ فَفِي فَوَادِي مَرْجَلُ
لَوْ كُنْتُ شِعْرِي كُنْتُ أَسْبَقُ طَائِرِ

قالوا: هنا لُبْنَانُ، قلتُ: وهل سوى
يبدو أَشْمٌ على البِطَاحِ كأنَّه
نَسَجَتْ له سَحْبُ السَّمَاءِ مطارِفًا
طُرُقُ كما التوت الظنونُ، وقِمةُ
النبعِ خمرٌ، والحدائقُ نَشْوَةٌ
لُبْنَانٌ ملعبٌ صبوتي ومِراحي^{١٢}
عَلِمُ بكفِّ الفارسِ الجَحْجَاحِ^{١٣}
وَحَبَّتْهُ زَهْرُ نَجُومِهَا بوشاحِ^{١٤}
قامت كحَقُّ للشعوبِ صُراحِ
والجوُّ من مِسْكٍ ومن تُفَاحِ^{١٥}

لُبْنَانُ دَوْحُ الشَّعْرِ أَنْتِ، تعلَّمتِ
شِعْرٌ له فِعْلُ السَّلَافِ فلو أَتَى
ونضيرُ أَلْفَاظِ كأزهارِ الرُّبَا
وخمائلٌ من أَحْرَفِ قُدْسِيَّةِ
الفنِّ من سرِّ السَّمَاءِ وَنَفْحَةِ
والعبقريَّةِ أَنْ تُحَلِّقِ وادِّعَا
منكَ الهديلِ سواجِعُ الأدواحِ^{١٦}
قبلَ الشرائعِ كان غيرَ مُباحِ
يبسمن غِبُّ الغارِضِ السَّحَّاحِ^{١٧}
أَخْمَلْنَ صَوْتَ الطَّائِرِ الصَّدَّاحِ^{١٨}
من فَيَاضِ نورِ الواهبِ الفَتَّاحِ!^{١٩}
فتفوتُ جُهْدَ الناصِبِ الكَدَّاحِ^{٢٠}

لُبْنَانُ، أَنْتِ من العزائمِ والنُّهى
أبطالُكَ الصيدُ الكُماةُ مَنَاصِلُ
شَحُّوا على مُتَمِّعِ الحَيَاةِ بلحظةِ
قهرُوا الزمانَ، ولن تَضِيْعَ كرامةُ
المجدِّ بابٌ إن تعاصَى فتَحُهُ
دَقُّوا فما أودَى بعزمِ أَكْفَهْمِ
ومن الحِفاظِ المُرِّ ما يُعْغِي الفتى
كم صابروا عَنَتِ الحَيَاةِ وعُسَرُهَا
نزحوا عن الأوطانِ في طَلَبِ العُلا
وسرُّوا مع الرِّيحِ الهَبُوبِ فلا تَرَى
لم يستكينوا للزمانِ ووَعْدِهِ
في أرضِ «كُولُمْبٍ» بَنَوْا فيما بَنَوْا
وبكلِّ جَوٍّ رايَةً هَفَافَةً
ما أَنْتِ من صَخَرٍ ولا صُقَّاحِ^{٢١}
طُبِعَتْ ليومِ كَرِيهَةٍ وتَلَاحِي^{٢٢}
ومشوا لَوْرِدِ الموتِ غيرَ شِحاخِ
للحَقِّ بينَ أَسِنَّةِ ورمَاحِ
فاسأَلْ كَتائِبَهُم عن المِفْتَاحِ^{٢٣}
بأسِ الحَديدِ وقسوةِ الأَلواحِ^{٢٤}
ليست تكاليفُ العُلا بمزاحِ!^{٢٥}
بخلائقِ غُرِّ الوجوهِ صِباحِ^{٢٦}
والعزمِ مِلءُ حَقَائِبِ النُّزَاحِ^{٢٧}
إِلَّا رِياحًا زُوِجِمَتْ بِرِياحِ^{٢٨}
فالدَّهْرُ أَكْذَبُ من نَبِيِّ سَجاخِ^{٢٩}
شَمَمَ الأَبْيِ وعِزْمَةُ المِلَحاخِ^{٣٠}
تهتَزُّ كالمتخايلِ المِياحِ^{٣١}

لو أبصروا في الشمس موضع مَهْجَرٍ
والنفس إن عظمت يضيّق بسعيها
للناس ناحية تلمّ شتاتهم
يمشي الجريء على العباب مخاطراً

لتسلّقوا لسعيها اللّواح^{٣٢}
صدرُ الفضاء برحبهِ الفيّاح^{٣٣}
والعبقريُّ له الوجودُ نواحي^{٣٤}!
وأرى الجبانَ يموتُ في الضحضاح^{٣٥}

* * *

لُبنانُ، صُنْتَ الضادَ في لأوائها
في البدو لَوَحها الهجيرُ فلم تجدْ
جمعتُ رجالك زهرها في طاقةٍ
نظموا لها عقداً يرفُ شعاعه
وحَمَوْا كتابَ الله — جلّ جلاله —
فانظرُ إلى «البُستان» هل تلقى به

من شرٍّ ماحٍ أو هوى مجتاح^{٣٦}
إلا ظلالك نجعة المُلّتاح^{٣٧}
عَبِقَ الوجودُ بنشرها الفوّاح
بلألئِ ملء العيونِ صِباح^{٣٨}
من لَغَوِ قَدَمٍ أو هُراءٍ إباحي^{٣٩}
إلا وروداً أو تُغورَ أقاحي؟^{٤٠}

* * *

لُبنانُ، والفِرْدَوْسُ أنتَ لَقِيْتَهُ
وتركتُ للهو العنانَ وأطلقتُ
وشهدتُ فيك الحورَ تسبح في السّنا
طاوعتُ في نجلاتهنّ صبابتي
ما الفتنة الشّعواءُ إلا أعينُ
دافعتُ بالغزلِ الحنونِ لحاظها
وبعثتُ أنّاتي وقلتُ: لعلّها
فتجاهلتُ لغة الغرامِ وتابعتُ
عادتُ إليّ حَبائلُ فلمممتُها
لم يُبقِ مني الوجدُ غيرَ حُشاشةٍ
أشكو، وما الطبُّ الحديثُ براحِمٍ
هل بين مؤتمِرِ الأساةِ مُجرَّبٌ
والطبُّ لا يصلُ المَدَى إن لم تصلُ

فطرحتُ عند لِقائِهِ أثرَاحي^{٤١}
أيدي الزمانِ العاتياتُ سراحِي
نفسي فداءً ضيائها السّباح!
وعصيتُ ما تهذي به نَصّاحي^{٤٢}
سُودُ، تَلالُأُ في وجوه مِلاح^{٤٣}
شَتانَ بينَ سلاحِها وسلاحِي^{٤٤}
تُغني إشارتها عن الإفصاح!
خُطواتُها في عِزّةٍ وشياح^{٤٥}
ورضيتُ من ضحكِ الهوى بنواحي^{٤٦}
لولا التعلُّلُ آذنتُ برواح^{٤٧}
شجوي، ولا مَنَسَمَعٍ لِصياحي^{٤٨}
شافٍ لأدواء الصبابةِ ماحي^{٤٩}؟
جَدّواهُ لِلأرواحِ وَالأشباحِ^{٥٠}

* * *

مَرَحَى بِمُؤْتَمِرٍ تَبَلَّجَ نَوْرُهُ
زُمَرُ مِنَ الْبَشَرِ الْمَلَأَتْكُمْ لَهُمْ
بَذَلُوا النَفُوسَ، فَكَمْ شَهِيدٍ جِرَاحَةٍ
وَتَفَهَّمُوا سِرَّ الْحَيَاةِ وَلَمْ يَكُنْ
دَهَتْ الْبِلَادَ بِعَوِضَةٍ أَجْمِيَّةٍ
دَقَّتْ لَغِيرٍ تَرَحُّلٍ أَطْنَابُهَا
وَعَدَّتْ عَلَى الْمَاءِ الْقِرَاحَ جُيُوشُهَا
السُّمُّ أَقْوَى فِي شَبَا خَرْطُومِهَا
كَالْجَنِّ تَهَوَّى اللَّيْلُ فِي وَثْبَاتِهَا

فِي الشَّرْقِ، مِثْلَ تَبَلُّجِ الْإِصْبَاحِ^{٥١}
فِي الطَّبِّ مِنْ غُرٍّ وَمِنْ أَوْضَاحِ^{٥٢}
مَنْهُمْ، وَكَمْ مِنْهُمْ شَهِيدٌ كِفَاحِ
سِرُّ الْحَيَاةِ لَغِيرِهِمْ بِمُبَاحِ
جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ لِمَصْرَ مُتَاحِ^{٥٣}
وَرَمَتْ مَرَاسِيهَا لَغِيرِ بَرَاكِ^{٥٤}
فَغَدَا النَّمِيرُ الْعَذْبُ غَيْرَ قِرَاحِ^{٥٥}
مِنْ حَدٍّ كُلِّ مُهَنْدٍ سَفَاحِ^{٥٦}
وَتَفَرَّ دُعْرًا مِنْ بُزُوغِ صَبَاحِ^{٥٧}

يَا خَيْرَةَ الشَّرْقِ الْمُدِلِّ بِقَوْمِهِ
الْمَجْدُ فَوْقَكُمْ دَنْتُ أَفْنَانُهُ
وَتَرَسَّمُوا سَنَنَ الرَّئِيسِ وَهَذِيهِ
وَأَنْفُوا عَنِ الطَّبِّ الرِّطَانَةَ إِنَّهَا
كَمْ فِي حِمَى الْفُصْحَى وَبَيْنَ كُنُوزِهَا
مَا أَنْكَرْتُ أُمَّ لِسَانَ جُدُودِهَا

هَذَا أَوَانُ الْبُعْثِ وَالْإِصْلَاحِ^{٥٨}
فَتَلَقَّفُوا ثَمَرَاتِهِ بِالرَّاحِ^{٥٩}
شَيْخِ الْأَسَاةِ «عَلِيٍّ» الْجِرَاحِ^{٦٠}
نَمَشُ يَعِیْتُ بِوَجْهِهِ الْوَضَاحِ^{٦١}
مِنْ مُشْرِقَاتٍ بِالْبَيَانِ فَصَاحِ^{٦٢}
يَوْمًا وَسَارَتْ فِي طَرِيقِ فَلَاحِ

لُبْنَانُ، مُذْ حَلَّتْ ذَرَاكَ رِكَابُنَا
الْأَزْرُ فَيْكَ وَنَخَلُ مَصْرَ كِلَاهُمَا
وَالنَّيْلُ مِنْكَ، فَلَوْ بِكَيْتٍ لِفَادِحِ
لُبْنَانُ، أَنْ لَكَ الْفَخَارُ بِسَادَةِ
مَجْدٍ إِذَا مَا أَشْرَقَتْ صَفْحَاتُهُ

حَلَّتْ مِنَ الدُّنْيَا بِأَكْرَمِ سَاحِ^{٦٣}
أَخَوَانِ فِي الْأَتْرَاحِ وَالْأَفْرَاحِ^{٦٤}
غَمَرِ الشُّطُوطِ بِدَمْعِهِ النَّضَّاحِ^{٦٥}
عُرْبٍ كِرَامِ الْمُنْبَتَيْنِ سَمَاحِ^{٦٦}
أَزْرَتْ بِمُؤْتَلِقِ النَّهَارِ الضَّاحِي^{٦٧}

هوامش

- (١) ريحان الصبا: رائحة الشباب الذكية. نضارته: حسنه ورونقه.
- (٢) طماح: مرتفع. لاعجة الهوى: الحب. يرفع ساعديه: كناية عن الاستسلام.
- (٣) لمتي: الشعر الذي يلي شحمة الأذن.
- (٤) لاحي: لائم.
- (٥) أريجه: رائحته النفاذه.
- (٦) راحي: خمري.
- (٧) الفواتن: جمع فاتنة. رقية: تعويذة. تستل: تخرج. جماح: شرود.
- (٨) دوجين: فيلسوف يوناني قديم يحمل مصباحًا باحثًا عن الحقيقة.
- (٩) ساجية: ساكنة. رداح: مرأة رابية الجسم.
- (١٠) البهماء: التي لا يعرف مقصدها. المرام: المقصد. وقاح: البين الواضح.
- (١١) قطار: القطار الذي سافر به من القاهرة إلى بيروت عبر فلسطين وكان الوسيلة المعتادة للسفر حينئذ. رجل: غلاية. يزجيك: يسوقك ويدفعك. متالع: الروابي.
- بطاح: جمع بطحاء وهو المسيل المنبسط.
- (١٢) صبوتي: صباي.
- (١٣) أشم: عالي. البطاح: المسيل الواسع. الججاج: المسارع إلى الكلام.
- (١٤) مطارفًا: أردية من حرير. حبته: منحته. بوشاح: شيء يصنع من نسيج عريض ويرصع بالجواهر، وقد تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها.
- (١٥) النبع: ما ينبع منه الماء. مسك: طيب.
- (١٦) دوح: حديقة. الهديل: صوت الحمام.
- (١٧) غب: غب كل شيء عاقبته. العارض: السحاب المعترض في الأفق. السحاح: المطر.
- (١٨) أخملن: جعلته خاملاً ضعيف الذكر.
- (١٩) فيض: جود وكرم.
- (٢٠) تفوت: تترك. الناصب: المتعب. الكداح: الذي يسعى ويكد في عمله.
- (٢١) صفاح: حجارة عريض رقاق.
- (٢٢) الصيد: رافعي الرأس. الكماة: الشجعان. مناصل: سيوف. طبعت: صنعت، جبلت. يوم كريهة: يوم الحرب. تلاحي: نزاع.

- (٢٣) تعاصى: استعصى.
(٢٤) أودى: أوهن. بأس: شدة وقوة.
(٢٥) الحفاظ: الإباء والأنفة. يعيي: يتعب.
(٢٦) عنت: الأمر الشاق. عسرها: شدتها. غر الوجوه: بيض الوجوه. صباح: عليهم نور كنور الصبح.
(٢٧) نزحوا: تركوا وهاجروا.
(٢٨) سروا: مشوا. الهبوب: المثيرة للأتربة. والمقصود الشديدة.
(٢٩) سجاح: امرأة ادعت النبوة وادعى النبوة أيضًا مسيلمة الكذاب الذي تزوجته.
(٣٠) كولب: هو كريستوفر كولبس مكتشف القارة الأمريكية والمقصود بأرض كولب الولايات المتحدة الأمريكية. شمم: علو وأنفة. الأبي: الشريف. عزمة: عزيمة. الملحاح: الملح في طلب الشيء.
(٣١) هفافة: مرفرفة. المتخايل: المعجب بنفسه. المياح: المعجب المتمايل.
(٣٢) مهجر: مكان يهاجر إليه. لسعيرها: لنارها. اللواح: الذي يغير لون وجهه.
(٣٣) برجه: بسعته. الفياح: المنتشر.
(٣٤) ناحية: جهة، مكان. شتاتهم: تفرقهم.
(٣٥) العباب: الموج المرتفع. الضحضاح: القليل الماء.
(٣٦) الضاد: اللغة العربية. لأوائها: شدتها. ماح: مبيد. مجتاح: يريد اجتياحها وإبادتها.
(٣٧) البدو: البادية. لوحها: غير لون وجهها. الهجير: شدة حرارة الشمس. ظلالك: ظلك. نجعة: طلب الكلاء. الملتاح: المتغير من نصب أو سفر.
(٣٨) يرف: يتحرك. صحاح: صحيحة، سليمة.
(٣٩) لغو: باطل. فدم: أحرق. هراء: عبث، استهزاء. إباحي: متصف بالرديلة.
(٤٠) أقاحي: زهر له ورق أبيض ووسطه أصفر.
(٤١) طرحت: تركت. أتراحي: أحزاني.
(٤٢) نجلأئن: عيونهن الواسعة. صبابتي: رقة الشوق وحرارته.
(٤٣) الشعواء: المتفرقة. تلاًأ: تضيء.
(٤٤) لحاظها: عيونها. شتان: هيهات، بُعد ما بينهما.
(٤٥) شياح: حذر.

- (٤٦) حبائلي: حيلي. نواحي: بكائي.
(٤٧) الوجد: الشوق. برواح: بذهاب.
(٤٨) شجوي: حزني.
(٤٩) مؤتمر الأساة: المؤتمر الطبي. أدواء: أمراض. ماحي: مزيل.
(٥٠) المدى: الهدف. جدواه: فائدته، عطاياه. للأرواح: للأنفس. الأشباح: الأشخاص.
(٥١) تبلج: أشرق وأضاء.
(٥٢) زمر: جماعات. غرر: سيادة وشرف.
(٥٣) أجمية: نسبة إلى الأجمة وهي الغابة والمقصود بها بعوضة «الجامبيا» التي غزت مصر، وفتكت بالكثير من أبناء الصعيد ولم تنج مصر من شرها إلا بعد نحو أربع سنوات. متاح: مهياً.
(٥٤) أطناها: حبالها الطويلة. مراسيها: ما تثبت به.
(٥٥) عدت: اعتدت. القراح: الصافي الذي لا يشوبه شيء.
(٥٦) شبا: طرفه الحاد. خرطومها: أنفها. مهند: السيف.
(٥٧) بزوغ: طلوع. إشارة إلى أن البعوض يكثر ليلاً، وكذلك إلى أن حماها لا تزور المريض إلا ليلاً في الغالب.
(٥٨) المدل: المفتخر، المباهي.
(٥٩) أفنانه: أغصانه. الراح: الكف.
(٦٠) ترسموا: تتبععوا. سنن: طريق، أسلوب، منهاج. الرئيس: رئيس المؤتمر الدكتور علي إبراهيم باشا. هديه: إرشاده. الأساة: الأطباء.
(٦١) انفوا: اطرءوا، ابعءوا. الرطانة: الكلام بالأعجمية. نمش: نقط بيض وسود. يعيث: يفسد.
(٦٢) حمى: كنف. الفصحى: اللغة العربية. فصاح: بليغة.
(٦٣) حلت: نزلت. ذراك: كفف. ساح: المكان الذي يسبح منه الماء والمقصود أرض لبنان.

- (٦٤) الأرز: شجر الأرز وهو الشجر المشهور لبنان بزراعته واتخذوه علماً لهم.
(٦٥) النضاح: الكثير.
(٦٦) سماح: كرام.
(٦٧) أزر: تمسكت بقوة. مؤتلق: إشراق.

برنادوت

رجل عمل من أجل السلام، فكان من أوائل ضحاياه مما حرك أحاسيس الشاعر فكانت هذه الأبيات عام ١٩٤٨م.

حَسَرَتَا لِلْكُونَتِ بَرْنَا	دُوت لَوْ تَنْفَعُ حَسْرَةُ ^١
رَامَ أَنْ يَسْتَنْقِدَ الْكُو	نَ وَيَسْتَأْصِلَ شَرَّهُ ^٢
قَتَلُهُ جُبْنٌ وَخُذْلًا	نُ وَلُؤْمٌ وَمَعَرَّة
طَلَبَ الْكَفَّ عَنْ الْحُرِّ	بِ، فَمَنْ نَفَذَ أَمْرَهُ؟
خَرَقَ الْهَدَنَةَ أَبْنَا	ءٌ يَهُودًا أَلْفَ مَرَّةً ^٣
وَهُوَ لَا يُؤْمِنُ حَتَّى	سَلَبُوهُ الرُّوحَ جَهْرَةً ^٤
أُتْرَى أَمِنْ لَمَّا	خَرَقَ الْأَنْذَالَ صَدْرَهُ؟
رُبَّمَا يَحْفِرُ ذُو الْآ	مَالٍ بِالْأَمَالِ قَبْرَهُ

هوامش

(١) برنادوت: هو الكونت قولاك برنادوت مسئول هيئة الأمم المتحدة. عمل من أجل السلام بين العرب والإسرائيليين، ولكنه قتل في حادث سقوط طائرته وأشارت أصابع الاتهام حينئذ إلى اليهود عندما ظهر تفهمه للحق العربي.

(٢) رام: أراد.

(٣) أبناء يهوذا: اليهود.

(٤) جهرة: علنا.

الملك

نشرت هذه القصيدة في مناسبة عيد جلوس الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٣٦ م.

اقتَبالُ الربيعِ في بَسَمَاتِهِ
يَنْثُرُ الزَّهْرَ كالدنانيرِ غُضًّا
قَدْ سَئِمْنَا دُجَى الشتاءِ فجئنا
وخلعنا الدُّثَارَ مثلَ أُسيرٍ
قد ظننناه في الشتاءِ وقَاءً
تَبْخُلُ الكَفُّ أَنْ تُشِيرَ مِنَ البَرِّ
جَمَدَتْ صَوْلَةُ اللِّسَانِ وكادتْ
واختَفَى الطيرُ واختَفَى كُلُّ صوتٍ
ورأينا الأشجارَ يَسْلُبُها الحسـ
مال فيها برأسه كلَّ فَرْعٍ
يَهْرُمُ الدهرُ في الشتاءِ وَيَلْقَى
هو تَخَتُّ الوجودِ غَنًى به الطيبِ
سَايَرَتْهُ الأزهارُ تهفو يمينًا
وإذا صَفَّقَ الغديرُ انثنى الغصـ

نَبَّهَ الكونَ بعدَ طولِ سُبَاتِهِ^١
أَيْنَ حُرِّ النُّضَارِ مِنْ زَهْرَاتِهِ؟^٢
نرْشُفُ النُّورَ مِنْ سَنًا لِمَحَاتِهِ^٣
حُلَّ مِنْ قَيْدِهِ وَمِنْ وَخْزَاتِهِ^٤
فَجَعَمْنَا الشِّتَاءَ فِي طَيَّاتِهِ^٥
دِ، وَيَخْشَى المَقْرورُ مِنْ لَفَّاتِهِ^٦
تَجْمَدُ الهَاتِفَاتُ مِنْ كَلِمَاتِهِ^٧
مُؤْصِلِيَّ الأَدَاءِ فِي لَهَوَاتِهِ^٨
نُنْ سَنًا حَلِيهِ وَسِحْرَ شِيَاتِهِ^٩
بَاحِثًا فِي التُّرَابِ عَنْ وَرَقَاتِهِ
مَا مَضَى فِي الرِّبْعِ مِنْ صَبَوَاتِهِ^{١٠}
رُ فَهَزَّ الغُصُونَ فِي دَوْحَاتِهِ^{١١}
وَشِمَالًا عَلَى هَوًى نَغَمَاتِهِ
نُنْ نَضِيرَ الشَّبَابِ فِي رَقَصَاتِهِ

* * *

هَاتِ عَهْدَ الشَّبَابِ إِنَّ غَاصَ فِي المَا ءَ وَإِنْ غَابَ فِي السَّمَاءِ فَهَاتِهِ!

هَمَسَاتُ الشَّبَابِ فِي النَّفْسِ أَحْلَى
نَارُهُ تَطْرُدُ الهمومَ فتمضي
نَارُهُ تصهرُ العزيمةَ سيفًا
ما أَحْيَلَى وثوبَهُ وهو ماضٍ
نَفَحَاتُ الشَّبَابِ أَيْنَ تَوَلَّتْ؟
قَدَحٌ قَدْ حَلَّتْ أَوَائِلُهُ رَشًا
ما أَرَانِي من غيرِهِ غيرِ ثوبِ
رُبِّ شَيْخٍ فِي عَالَمِ الطَّبِّ حَيٌّ
الشَّبَابُ الشَّبَابُ نُورٌ مِنَ اللَّهِ

من حديثِ الهوى ومن هَمَسَاتِهِ
خَافَقَاتِ الْجَنَانِ مِنْ جَمَرَاتِهِ^{١٢}
تَتَوَقَّى السِّیُوفَ وَقَعَ شَبَاتِهِ^{١٣}
يَتَحَدَّى الزَّمَانَ فِي فَتَكَاتِهِ^{١٤}
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى شَذَى نَفَحَاتِهِ!^{١٥}
فَقَا، وَذُقْنَا الْمَرِّينَ فِي أُخْرِيَاتِهِ^{١٦}
ضَمَّ أَرْدَانَهُ عَلَى عِلَاتِهِ^{١٧}
وِيرَاهِ الزَّمَانَ مِنْ أَمَوَاتِهِ
وَرِيحُ تَهَبُّ مِنْ جَنَاتِهِ

يَا شَبَابَ الْحِمَى وَيَا جُنْدَهُ الْأَحَدِ
زَاحِمُوا فِي وَلِيْمَةِ الدَّهْرِ أَرْسَا
الطُّمُوحُ الْحَيَاةَ، وَالْمَجْدُ فِي الدَّنَنِ
لَا يَنَالُ الْفَتَى مَدَى الْمَجْدِ إِلَّا
الذَّرَاعُ الْأَزَلُّ وَالسَّاعِدُ الْمَفْدُ
تَسْخَرُ الرِّيحُ بِالضَّعِيفِ مِنَ النَّبِّ
اُمْلِكُوا الدَّهْرَ إِنَّهُ لَا يُوَاتِي
عَلِمْتُنَا الْأَيَّامُ أَنَّ الَّذِي يُحَدِّثُ
زَهَبَ النَّوْمِ، فَالَّذِي يُغْمِضُ الْعَيْنَ
أَسْرِعُوا فَالزَّمَانُ مَاضٍ وَكَمْ مِنْ
وَاطَرَقُوا الْبَابَ، كُلُّ بَابٍ كَفِيلٌ
قَدْ يَطُولُ السَّرَى عَلَى الْمَدْلَجِ السَّارِ
لَا تُنَالُ الْعُلَا «بَلِيَّتُ» «وَلَكِنْ»
أَلَّةُ الْفَوْزِ هِمَّةٌ تَطْحَنُ الصَّخْرَ
ابْتَنُوا لِلْعُلَا وَلِلنَّيْلِ مَجْدًا

رَارَ إِنْ فَتَّشَ الْحِمَى عَنْ كُمَاتِهِ^{١٨}
لَا، وَلَا تَكْتَفُوا بِجَمْعِ فُتَاتِهِ^{١٩}
يَا مُبَاخٍ لِطَالِبِي قَصَبَاتِهِ^{٢٠}
بِمَضَاءٍ يُرْبِي عَلَى وَثْبَاتِهِ^{٢١}
تُؤَلُّ دُخْرُ الشَّبَابِ فِي أَرْمَاتِهِ^{٢٢}
تِ وَتَخْشَى الْقَوَى مِنْ بَاسِقَاتِهِ^{٢٣}
غَيْرَ عَزَمٍ يَقْلُ مِنْ عَزَمَاتِهِ^{٢٤}
سَنُ يَلْقَى الْجَزَاءَ عَنْ حَسَنَاتِهِ
حَنِينٍ، يَا تَعَسَّهَ وَيَا وَيَلَاتِهِ
مُبْطِئٍ قَدْ طَوَاهُ فِي عَجَلَاتِهِ
بُولُوجٍ لِمَنْ دَرَى دَقَاتِهِ^{٢٥}
رِي فَيُذْنِيهِ مِنْ مَدَى غَايَاتِهِ^{٢٦}
وَعُكُوفِ الْفَتَى عَلَى مِرَاتِهِ^{٢٧}
رَ وَتَسْمُو لِلنَّجْمِ فِي سَبَحَاتِهِ^{٢٨}
وَاسْكُبُوا مِنْ حَيَاتِكُمْ فِي حَيَاتِهِ

لَكُمْ فِي مَلِكِكُمْ خَيْرُ دَاعٍ
قُدُوةٌ لِلشَّبَابِ، قَدْ عَرَفَ الْجَبِ
مَرَّةً سَامِقًا عَلَى صَهْوَةِ الْخَيْ
لَمْ نَرَ الْبَدْرَ قَبْلَهُ يَعْتَلِي الْعَرْ
أَوْ شَهِدْنَا نُورًا عَلَى الْأَرْضِ يَمْشِي
أَوْ عَهِدْنَا تَاجًا عَلَى مَفْرِقِ الشَّمِ
كُنْ كَمَا شِئْتَ أَيُّهَا الشَّعْرُ فَنَّا
هُوَ خَلَقَ مِنَ الْكَمَالِ الْمَصْفَى
النَّدَى وَالْحَنَانُ فِي بَسْمَاتِهِ
يَا مَلِكًا أَعْلَى الْحَدِيثِ مِنَ الْمَجِ
إِنْ عِيدَ الْجُلُوسِ أَشْرَقَ فِي الْكُو
الْمَنَى الْيَانِعَاتُ مِنْ ثَمَرَاتِهِ
يَزْدَهِي النِّيلُ بِالْمَلِكِ الْمَرْجَى
إِنْ تَكُنْ مَصْرُ قَبْلَهُ هِبَةُ النَّيِّ

تَسْتَجِيبُ الْمَنَى إِلَى دَعَوَاتِهِ
لُ طَرِيقَ الْحَيَاةِ مِنْ خُطَوَاتِهِ
يَلِ، وَأَخْرَى مُطَامِنًا فِي صَلَاتِهِ^{٢٩}
شَ وَيُمْسِي الْجَلَالَ مِنْ هَالَاتِهِ^{٣٠}
الْهَدَى وَالْيَقِينُ مِنْ مِشْكَاتِهِ^{٣١}
سِ يَشْعُ الْإِيمَانُ مِنْ خَرَزَاتِهِ^{٣٢}
نَا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لِمَحَ صِفَاتِهِ^{٣٣}
مَنْ رَأَاهُ رَأَى الْكَمَالَ بِذَاتِهِ
وَالْعُلَا وَالْجَلَالَ فِي قَسَمَاتِهِ^{٣٤}
بِ، وَأَحْيَا قَدِيمَهُ مِنْ رُفَاتِهِ
نِ شُرُوقَ الرَّبِيعِ فِي رَوْضَاتِهِ
وَجَمَالَ الزَّمَانِ فِي لِحَظَاتِهِ
خَيْرِ أَبْطَالِهِ وَحَامِي حُمَاتِهِ^{٣٥}
لِ، فَقَدْ صَارَ نِيلُهَا مِنْ هِبَاتِهِ

هوامش

- (١) سباته: نومه.
- (٢) حر النضار: الذهب الخالص.
- (٣) دجى: ظلمة. سنا: ضوء. لمحاته: اختلاس النظر إليه.
- (٤) الدثار: غطاء ثقيل يقي برد الشتاء. وخزاته: طعناته.
- (٥) طياته: ثناياه.
- (٦) المقرور: المصاب بشدة البرد.
- (٧) صولة: تحرك ونشاط.
- (٨) موصلي: نسبة إلى إسحاق الموصلي المغني المشهور. لهواته: جمع لهاة وهي اللحمية المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.
- (٩) سناء: ضوء. حليه: زينته. شياته: جمع شية وهو اللون في الشيء يخالف بقية لونه.

- (١٠) يهرم: يشيخ. صبواته: أيام الصبى والشباب.
- (١١) دوحاته: الشجر العظيم.
- (١٢) خافقات الجنان: مضطربات القلوب. جمراته: ناره وحرارته.
- (١٣) شباته: طرفه الحاد.
- (١٤) ما أحيلى: ما أحلى.
- (١٥) نفحات: رائحة.
- (١٦) حلت: طعمها حلو. المرين: مثنى مر.
- (١٧) أردانه: أكمامه. علاته: أمراضه.
- (١٨) كماته: شجاعانه.
- (١٩) أرسالاً: مناضلين. فتاته: ما تكسر منه وبقي.
- (٢٠) قصباته: التي يتسابقون لنيلها.
- (٢١) مدى: غاية. بمضاء: نفاذ وعزيمة. يربي: يزيد. وثباته: همته وخطاه.
- (٢٢) الأزل: السريع القوي. المفتول: الملفوف القوي. نخر: معين، مدخر.
- (٢٣) باسقاته: العالية القوية.
- (٢٤) يفل: يكسر.
- (٢٥) كفيل: ضامن. ولوج: دخول.
- (٢٦) السرى: السير. المدلج: السائر في أول الليل. الساري: الماشي ليلاً. مدى: غاية. غاياته: مأربه.
- (٢٧) عكوف: وقوف مستمر.
- (٢٨) تسمو: تعلو على. سبحاته: يقصد الكون حيث تسبح النجوم والكواكب.
- (٢٩) سامقاً: طويلاً. صهوة الخيل: ظهورها. مطامناً: ساكناً.
- (٣٠) يعتلي العرش: يجلس على العرش. يمسي: يببت. هالاته: الدوائر المنيرة حول القمر.
- (٣١) مشكاة: مصباح.
- (٣٢) مفرق الشمس: وسط الشمس. خرزاته: الذي ينظم عقوداً.
- (٣٣) لمح صفاته: التلميح بصفاته.
- (٣٤) قسماته: شكله وملامحه.
- (٣٥) حماته: المدافعون عنه.

فارس الصحافة

تلقى الشاعر نبأ وفاة الأستاذ جبرائيل تقلا صاحب جريدة «الأهرام»، وهو في طريقه إلى الإسكندرية، فكتب هذه الأبيات في القطار وأرسلها إلى الجريدة عام ١٩٤٨ م.

سَدَّ الْقَضَاءُ مَنَافِذَ الْأَسْمَاعِ	ماذا يقولُ إذا نَعَاكَ النَاعِي؟
بُهِتَ الْقَرِيضُ فَمَا يَبِينُ، وَأَذْهَلَتْ	نُوبُ الْخُطُوبِ نَوَادِبَ الْأَسْجَاعِ ^١
وَتَنَكَّرَتْ صُورُ الْبَيَانِ وَعَقَّنِي	عن أنْ أبُوخَ كما أشاءَ يراعي ^٢
تَمَحَو سَوَاجِمُهُ الْمِدَادَ، فَخَطُّهُ	أَسْطَارُ مَلْتَهَبِ الْحَشَا مُلْتَاعِ ^٣
وَالشَّعْرُ إِنْ عَقَدَ الْمُصَابُ لِسَانَهُ	فَسَكَوْتُهُ ضَرْبُ مِنَ الْإِبْدَاعِ
نَعْيُ الْكَرِيمِ الْعَبْقَرِيِّ لَأُمِّهِ	نَعْيُ الْغَمَامِ إِلَى رِيَاضِ الْقَاعِ ^٤
وَيْلَ الْمَنُونِ تَطَاوَلَتْ أَحْدَاثُهَا	فَلَوْتُ قَنَاةَ الْأَرْوَعِ الشَّعْشَاعِ ^٥
وَطَغَتْ عَوَاصِفُهَا فَعَالَ هُبُوبُهَا	أَضْوَاءَ ذَاكَ الْكُوكِبِ اللَّمَّاعِ ^٦
بَكَتِ الصَّحَافَةُ فِيهِ أَشْجَعُ فَارِسِ	وَأَعَزَّ مَدْعُوٌّ وَأَكْرَمَ دَاعِي ^٧
قَدْ كَانَ «جَبْرَائِيلُ» مُلْهِمٌ وَحِيهَا	يَرَعَى جَلَالََةَ قُدْسِهَا وَيُرَاعِي
فَإِذَا جَفَانِي الشَّعْرُ يَوْمَ رِثَائِهِ	فَلَقَدْ رَثْتُهُ مَآثِرٌ وَمَسَاعِي ^٨
وَإِذَا فَرَرْتُ مِنَ الْوَدَاعِ وَهَوْلِهِ	فَلَقَدْ بَعَثْتُ مَعَ الدُّمُوعِ وَدَاعِي

هوامش

- (١) نوادب الأسجاع: من يعددون مناقب الميت.
- (٢) تنكرت: جحدت. عقني: جافاني. يراعي: قلمي.
- (٣) سواجهه: دموعه الهائلة. ملتهب الحشا: متقد البطن بالحرارة. ملتاغ: محترق الفؤاد.
- (٤) عقد: ربط. ضرب: صنف.
- (٥) الغمام: السحاب. رياض القاع: الحقائق المستوية.
- (٦) المنون: الموت. لوت: ثنت. قناة: رمح. الأروع: الشجاع. الشعشاع: الطويل.
- (٧) غال: أخذ.
- (٨) مدعو: من يدعي.
- (٩) جفاني: بعد ونأى عني.

إلى علي إبراهيم باشا

وقد أبلَّ الطبيب الجراح من مرضٍ أَلَمَّ به عام ١٩٤٤ م.

زَهَتْ دولُهُ الطِبَّ لَمَّا شُفِيَتْ وعَاوَدَهَا الأَمَلُ النَّاهِضُ
فَلِلطَّبِّ أَنْتَ وَتَيْنُ الحَيَاةِ وَأَنْتَ لَهُ قَلْبُهُ النَّابِضُ¹

هوامش

(١) وتين: الشريان الأعظم الذي يخرج من القلب، ويتفرغ إلى أعضاء الجسم المختلفة وهو الأورطى.

الوباء

انتشر وباء الهيضة المعوية (الكوليرا) برشيد سنة ١٨٩٥م وحصد الأرواح، فراع الشاعر الصغير ما رأى، وأثار عاطفته الشعرية، فقال هذه القصيدة:

قَدْ تَجَاوَزْتَ فِي سُرَاكِ السَّبِيلَا!
دِ، إِنْ أَحْسَنُوا لَكَ التَّمَثِيلَا^١
هَكَذَا يَغْلِبُ الْكَثِيرُ الْقَلِيلَا
فَلِمَاذَا رَضِيتَ هَذَا الْمُحُولَا^٢؟
لَمْ تُزَايِلْ جَنْبِيهِ حَتَّى يَزُولَا^٣
وَنَقَضْتَ الْمَجْرَبَ الْمَعْقُولَا^٤
لِ، وَمَا كَانَ عَقْدُهُ مَحْلُولَا
رِيرِ فَوَلَّى بِجَيْشِهِ مَخْذُولَا
ضُ، وَجَرَّعْتَنَا الْعَذَابَ الْوَبِيلَا^٥
دِ، وَهَلْ تَحْصُرُ الْجُنُودُ السُّيُولَا^٦؟
لِ وَبِالنَّفْسِ فَالرَّحِيلِ الرَّحِيلَا
كَانَ مِنْ قَبْلِ زَادِهِ مَا كُودِلَا^٧
يَضْرِبُ الْأَرْضَ ضَجَّةً وَعَوِيلَا!
سِ وَقَبْلَ الْحَلِيلِ كُنْتَ الْحَلِيلَا^٨
كُلَّ جَفْنٍ أَسَى وَسُوءًا طَوِيلَا
فَمَحَاهُ الْمُطَهَّرُونَ أَصِيلَا^٩

أَيُّ هَذَا (الْمَكْرُوبِ) مَهْلًا قَلِيلًا
لَسْتَ كَالْوَاوِ، أَنْتَ كَالْمِنْجَلِ الْحَصَا
مَا غَلَبْتَ النُّفُوسَ بِالْعَزْمِ لَكِنْ
أَنْتَ فِي الْهِنْدِ فِي مَكَانٍ خَصِيبِ
أَنْتَ كَالشَّيْبِ إِنْ دَهَمْتَ ابْنَ أَنْتَى
حَارَ «بَنَشَنج» فِيكَ يَا ابْنَ شُعُوبِ
عَقَدَ الْأَمْرَ فَابْتَكُرْتَ لَهُ الْحَلِ
قَامَ يَغْزُوكَ بَيْنَ جَيْشِ الْقَوَا
وَتَرَكْتَ الْحُمُوضَ تَجْرَعُهَا الْأَرْ
«وَبِمُوشَى» أَرَادَ حَصْرَكَ بِالْجُنْدِ
يَا ثَقِيلَ الظَّلَالِ آذَيْتَ بِالْمَا
مَنْ يَبْتَ عِنْدَهُ الْهَزْبُ نَزِيلًا
رُبَّ طِفْلِ تَرَكْتَ مِنْ غَيْرِ ثَدْيِ
وَفَتَاةٍ طَرَقَتْهَا لَيْلَةُ الْعُرْ
كَحَلُّوا جَفْنَهَا فَكَحَلَّتْ فِيهَا
خَضَبَتُهَا يَدُ الْمَوَاشِطِ صُبْحًا

ما رَحِمْتَ الْعُيُونَ تِلْكَ اللَّوَاتِي تَرَكْتُ كُلَّ عَاشِقٍ مَذْهُولًا
لَوْ رَأَاهَا جِبْرِيلُ — أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — لَأَلْهَتْ عَنْ وَحْيِهِ جِبْرِيلًا^{١٠}
يَا قَتِيلَ (الْفِينِيكَ) يَكْفِيكَ قَتْلًا كَ فَأَغْمِدْ حُسَامَكَ الْمَسْلُولا^{١١}!
إِنَّ فِي مِصْرَ عَيْرَ مَوْتِكَ مَوْتًا تَرَكَ الْأَرْوَاعَ الْأَعَزَّ ذَلِيلًا^{١٢}
فَارْتَحِلْ بَارِدَ الْفُؤَادِ قَرِيرًا مَرْوِيًّا مِنْ دَمِ الْعِبَادِ الْغَلِيلَا^{١٣}

هوامش

- (١) يشير إلى شبه المكروب: بحرف «الواو».
- (٢) خصيب: صفة من الخصب وهو النماء والبركة، والخصب أيضًا ضد الجذب. المحول: الجذب.
- (٣) دهمت: غشيت وفاجأت. تزايل: تفارق. يزول: يذهب ويهلك.
- (٤) حار: تحير في أمرك. بنشنج: اسم لمدير الصحة بمصر في ذلك الزمن، شعوب: اسم للمنية وهو الموت، وكنى هذا المكروب بابن شعوب لشدة فتكه بالناس، نقضت: هدمت وأبطلت.
- (٥) الحموض: جمع حمض، والمراد به هنا العقاقير التي كانت قد أعدت للقضاء على هذه الجراثيم. تجرعها: تبتلعها، وذلك أنهم إذا أرادوا تطهير بيت مثلاً صبوا العقاقير على أرضه وجدرانها. جرعتنا: سقيتنا. الوبيل: الوخيم الثقيل.
- (٦) «موشى»: بلدة من أعمال أسيوط ظهر فيها هذا الوباء أول ما ظهر.
- (٧) الهزبر: الأسد القوي. النزيل: الضيف. الزاد: طعام يتخذ للسفر.
- (٨) طرقتها: نزلت بدارها، الحليل: الزوج.
- (٩) خضبت اليد خضبًا من باب ضرب بالخضاب وهو الحناء ونحوه. والمواشط جمع ماشطة وهي التي تحسن تطرية العروس وتجميلها ومشط شعرها أي تسريحه.
- (١٠) جبريل: ملك الوحي. ألهاه: شغله.
- (١١) «الفيينيك» كلمة أعجمية تطلق على بعض السوائل المطهرة القاتلة لجراثيم الأرض، وأغمدت السيف إغمادًا جعلته في غمده. الحسام: السيف القاطع. المسلول: المنتزع من غمده.
- (١٢) الأروع: من يعجبك بشجاعته. الأعز: اسم تفضيل من العز وهو ضد الذل. وفي هذا البيت إشارة إلى المستعمر الإنجليزي الذي كان يحتل مصر في ذلك الوقت.

الوباء

(١٣) بارد الفؤاد: ريان القلب. قرير: مسرو. الغليل: حرارة العطش.

رضا اليأس

عام ١٨٩٧ م

كان الشاعر يسير على جسر قصر النيل فرأى سُراة القاهرة، وهم في عجلات فخمة تجرها
سوابق الجياد، فقال:

أيركبُها هذا فَتَنَتْهَبُ الثَّرَى وتنهبُ رِجْلِي الحَصَى والجنادلُ؟!
رَضِيْتُ رِضاءَ اليأسِ، واليأسُ راحةٌ وأتعبُ خَلْقَ اللهِ في الناسِ أملُ!

هوامش

(١) تنتهب: تطوي الأرض بسرعة. الجنادل: الحجارة.

عيد الأعياد

نشرت هذه القصيدة يوم احتفال البلاد بمولد الملك فاروق آخر ملوك مصر سنة ١٩٣٩ م.

خَفَقْتُ بِسَاحَتِكَ الْبِشَائِرُ
يا يومَ مَوْلِدِهِ وما
جاهرَ بِنُبُلِكَ في الزما
لكَ أَوَّلُ في المَكْرُمَا
أَشْرَقَتْ في أَفْقِ القَلو
وَجُمِعَتْ من ضَوْءِ المَنى
لَكَ بَيْنَ أعيادِ الزما
شَفَقَاكَ خَدًا غَاةٍ
ما أَنْتَ في الدنيا سِوَى
هذا الجَمالِ كَأَنَّهُ
سَحَرِ العُيُونِ بِحُسْنِهِ
الصَبْحُ بِسَّامِ السَنا
يا يومَ فاروقٍ وكمْ
شَهِدَتْ بمَطلَعِكَ الحِيا
ورَأَتْ جَبِينًا كالصِبا
ورَأَتْ مُنَى قَدَسِيَّةٍ
ورَأَتْ مَخايِلَ دَوْلَةٍ
وَسَرَتْ بِرِيَّاءِ الْأَراهِرِ
لَكَ في جَمالِكَ من مُفاخِرِ
نِ فَحَقُّ مِثْلِكَ أَنْ يُجَاهِرَ
ت، وما لَفِيضِ يَدِيكَ آخِرُ
بِ، وَدُرَتْ في فَلَكِ الضَمائِرِ
وَحُلِقَتْ من نورِ البِصائِرِ
نِ سَنًا على الأعيادِ باهِرِ
وَدُجَاكَ أَحداقُ النِواظِرِ
أَمَلٍ وَضِيءِ الحُسْنِ سافِرِ
قَد صَيَغَ من خَطراتِ شاعِرِ
والحُسْنُ لِلأَبصارِ ساحِرِ
والليلُ مِصقولُ الغَدائِرِ
لَكَ عِندَ مِصرٍ من مَأثِرِ
ة تَفِيضِ بِالنَّعَمِ الذِواخِرِ
حِ أَضاءَ مُعْتَكِرَ الدِياجِرِ
دَقَّ الزَمانُ لَها البِشائِرُ
فَوقَ النِجومِ لَها مِعايِرُ

ورأت رجاء النيل في
ورأت بَوَادِرَ هَمَّةٍ
ورأت سَرِيرَةَ خَاشِعٍ
وَتَطَلَّعَ المِحْرَابُ فِي
وَاسْتَبَشَرَ الدِّينَ الحَنِيفِ
نَادَى البَشِيرُ بِهِ، فِيا
وَمَشَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ
فَالأَفُقُ مِسْكٌ عَاطِرٌ
هَتَفَتْ لِمَوْلِدِ كَابِرٍ
هَتَفَتْ بِفَارُوقِ أَجَلِ
خَطَّ المِثَالِ وَفَضْلُهُ
وَالنَّاسُ بَيْنَ مُكَبَّرٍ
مَلَأُوا القُلُوبَ بِحُبِّهِ
فَارُوقٌ فَرَدُّ فِي الجَلَا
هَذَا بَوَاكِيرُهُ فَكِيـ
يَنْهَى وَيَأْمُرُ هَادِيَا
فَرَعُ مِنَ الدَّوْحِ الكَرِ
وَقَدِيمُ مَاضٍ فِي العَلَا
وَسُلَالَةُ الأَمْجَادِ أَبْنَا
مِنْ كُلِّ مِسْعَرٍ غَارَةٍ
يُجْرِي الحِصَانَ مُخَاطِرَا
أَمْضَى لِدَعْوَةٍ صَارِخٍ
يَأْبَى عَلَيْهِ نِجَارُهُ
لِلنَّقْعِ فَوْقَ جَبِينِهِ
الْمَجْدُ لَا يُلْقِي العِنَا
السَّابِقِ الوَثَائِبِ طَلَا
مَنْ لَا يُحَازِرُ إِنْ دَعَا

ثَوْبٌ مِنَ الإِيْمَانِ طَاهِرٌ
أَعْظَمُ بِهَاتِيكَ البَوَادِرُ!٦
سَجَدْتُ لَخَشْيَتِهِ السَّرَائِرُ٧
جَذَلٍ وَأَشْرَقَتِ المَنَابِرُ٨
يَفُ بَخِيرٌ مِنْ يُحْيِي الشَّعَائِرُ
بُشْرَى المَدَائِنِ وَالحَوَاضِرُ!
تَهَزُّ فِي الجَوِّ المَبَاحِرُ٩
وَالْمَهْدُ مِثْلُ المِسْكِ عَاطِرُ
لِمُطَهَّرِ الأَنْسَابِ كَابِرُ١٠
لِ مَمْلَكٍ وَأَعَزُّ نَاصِرُ
مِثْلُ يُبَارِي الرِّيحَ سَائِرُ١١
دَاعٍ. وَمَوْلِي الحَمْدِ شَاكِرُ
وَبِذِكْرِهِ مَلَأُوا الحَنَاجِرُ
لِ فَلَا شَبِيهَ وَلَا مُنَازِرُ
فَ يَكُونُ مَا بَعْدَ البَوَاكِيرُ١٢
أَفْدِيهِ مِنْ نَاهٍ وَأَمْرُ!
يَمُ مُبَارَكَ النِّفْحَاتِ زَاهِرُ
يَزِينُهُ فِي النَّبْلِ حَاضِرُ
وَالْمَوَاضِي وَالبَوَاتِرُ١٣
وَالْمَوْتُ مُحْمَرُّ الأَظَافِرُ١٤
فَوْقَ الجَمَاجِمِ وَالمَغَافِرُ١٥
مِنْ لَمَحِ كَرَّاتِ الخَوَاطِرُ١٦
وِإِبَاؤُهُ أَلَّا يُبَادِرُ١٧
مِسْكٌ يُضْمَخُ كُلُّ ظَافِرُ١٨
نَ لَغِيرِ ذِي العَزَمِ المُثَابِرُ
عِ الثَّنِيَّاتِ المَصَابِرُ
هُ حِفَافُهُ أَلَّا يُحَازِرُ١٩

عَشِقَ المَخَاطِرَ مُرَّةً فَجَنَى الشُّهَادَ من المَخَاطِرِ^{٢٠}
 من كالأَسَاوِرَةِ البِوَا سل والقَسَاوِرَةِ الخَوَاوِرِ^{٢١}
 أَجْدَادِ فاروقِ كِرَا م المُنْتَمَى طُهْرَ الأَوَاصِرِ
 بَعَثُوا تُرَاثَ الأَوَّلِيــ نَ، ووطَّدُوا مَجْدَ الأَوَاخِرِ^{٢٢}
 تُزْهِى بِهِم مَصْرٌ كَمَا زُهِيتَ بِفِتْيَتِهَا تُمَاضِرُ^{٢٣}
 دَعَا تُكَاثِرَ بالذِي أَسَدُوا، نَعَمَ دَعَا تُكَاثِرُ^{٢٤}
 فاروقُ أَشْرُقَ بالْمَنَى يسمو لِضَوْئِكَ كُلِّ حَائِرُ
 مَصْرٌ وَأَنْتَ يَمِينُهَا عَقَدْتَ عَلَى الحَبِّ الخَنَاصِرُ^{٢٥}

هوامش

- (١) سرت: مشت ليلاً. برياك: فيضك. الأزاهر: النبات المزدهر.
- (٢) شفقك: الشفق هو لون السماء قبل غروب الشمس. خدًا: مثني خد. دجك:
- سواد ليك. أحداق: جمع حدقة العين.
- (٣) الذواخر: الكثيرة.
- (٤) معتكر: مختلطة بالظلمة. الدياجر: الليالي المظلمة.
- (٥) منى: أمانى.
- (٦) بواذر: أوائل.
- (٧) سريرة: ما يسره في نفسه.
- (٨) جذل: فرج.
- (٩) المباخر: الذي توضع فيه البخور ذو الرائحة الحسنة.
- (١٠) لمطهر الأنساب: ذو النسب الطاهر.
- (١١) خط المثال: وضع وضرب المثل. يباري: ينازل.
- (١٢) بواكره: أوائل أعماله.
- (١٣) البواتر: القواطع.
- (١٤) مسعر: مشعل. غارة: من الإغارة على العدو. محمر الأظافر: من إراقة الدماء.
- (١٥) المغافر: جمع مغفر وهو زرد يلبس على الرأس في الحروب.
- (١٦) لمح: المقصود سرعة. الخواطر: ما يطراً على خاطر.

(١٧) نجاره: أصله.

(١٨) النقع: الغبار. يضمخ بالمسك: يمسح جلده بالمسك.

(١٩) حفاظه: أنفته.

(٢٠) مرة: صعبة وعسرة. جنى: حصد وحصل. الشهاد: الشهد الحلو.

(٢١) الأساورة: جمع أسوار. القائد: القساورة: جمع قسورة وهو الأسد. الخوادر:

المسترة.

(٢٢) وطدوا: ثبتوا.

(٢٣) تماضر: هي الشاعرة العظيمة الملقبة بالخنساء وكانت تزهو وتفتخر بأولادها،

وقد أسلمت وحضرت الرسول — عليه الصلاة والسلام — وكان يعجب بشعرها. ولما

بلغها نبأ استشهاد أولادها الأربعة في معركة أحد لم تجزع، وقالت قولتها المشهورة:

الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأرجو الله أن يجمعني وإياهم في الجنة.

(٢٤) أسدوا: أعطوا.

(٢٥) يمينها: يدها اليمنى التي تعتمد عليها أي وأنت عمادها. عقدت: عاهدت.

الخناصر: جمع الإصبع الخنصر.

صديقُ عدو وعدو صديق

عام ١٩٢٠ م

أصديقي يودُّ أني أُساء؟! وعدويّ يُظن فيه الوفاء؟!
عُكس الحال لا محالة لكن ربّما أنجد الغريقَ الماء!

الوَطَنُ

نَشِيدُ الْكَشَّافَةِ ١٩٣٧ م

مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمِي وَسُودِي يَا أَلِفَ الْكَوْنِ وَالْوُجُودِ^١
نَهَضْتَ وَالْأَرْضُ فِي دُجَاهَا وَالشَّمْسُ وَالْبَدْرُ فِي الْمُهُودِ^٢

* * *

قَدْ كُنْتَ وَالدهْرُ فِي صِبَاهُ نَجْمَ هُدَى ساطِعًا سَنَاهُ^٣
تَعْنُو لِسُلْطَانِكَ الْجِبَاهُ مَرْفُوعَةَ الرَّأْسِ وَالْبُنُودِ^٤

* * *

يَا بِسْمَةَ فِي فَمِ الزَّمانِ وَمَوْطِنَ الْعِزِّ وَالْأَمَانِ
نِيلُكَ أَحْلَى مِنَ الْأَمَانِي جَنَى وَأَذْكَى مِنَ الْوُرُودِ^٥

* * *

الْأَرْضُ أَتَى خَطَوْتُ تَبْرُ وَزَهْرُهَا جَوْهَرُ وَدُرُ
عَقْدُ، وَهَذَا الْوُجُودُ نَحْرُ قَدْ يَجْمَلُ النَحْرُ بِالْعُقُودِ!^٦

* * *

كَمْ نَلَيْتَ بِالْعِلْمِ مِنْ مَقَامٍ وَنَلَيْتَ بِالْجِدِّ مِنْ مَرَامٍ^٧
إِلَى الْأَمَامِ إِلَى الْأَمَامِ إِلَى الْمَعَالِي إِلَى الْخُلُودِ

* * *

يَا مِصْرُ نَحْنُ الْفِدَاءُ نَحْنُ مَا مَسَّنَا فِي الْخُطُوبِ وَهْنُ
أَرْوَاحُنَا فِي يَدَيْكَ رَهْنُ وَعَهْدُنَا أَصْدَقُ الْعُهُودِ

* * *

أَبَاؤُنَا قَادَةُ الدُّهُورِ قَدْ أَنْطَقُوا صَامِتَ الصُّحُورِ
مِنْ كُلِّ وَثَابَةٍ جَسُورِ كَأَنَّهُ صَائِلُ الْأَسْوَدِ^٨

* * *

يَا مِصْرُ فَارُوقُكَ الْمُرَجَّى إِلَيْهِ تَرْنُو الْمُنَى وَتُزْجَى^٩
بِئْمَنِهِ قَدْ بَلَغْتَ أَوْجَا وَعِشْتَ فِي قِمَّةِ السُّعُودِ^{١٠}

* * *

بِفَضْلِهِ صِرْتَ فِي الشُّعُوبِ مَهِيْبَةً الْقَدْرِ فِي الْقُلُوبِ
فَمِنْ وَثُوبٍ إِلَى وَثُوبٍ وَمِنْ صُعُودٍ إِلَى صُعُودِ

* * *

نُكْرِرُ الشُّكْرَ مُخْلِصِينَ لِمَنْ أَعَادَ الْحَيَاةَ فِينَا
لِمَصْدَرِ النُّورِ لِلْبَنِينَا وَالْمَنْهَلِ الْعَذْبِ لِلْوُرُودِ^{١١}

* * *

مِصْرُ اسْعِدِي وَارْذَهِي وَتَبِيْهِ دَعَاكَ لِلنَّصْرِ فَاتَّبَعِيْهِ
مَا لَكَ فِي الْمَجْدِ مِنْ شَبِيْهِ وَمَا لِحُدُودِهِ مِنْ حُدُودِ^{١٢}

* * *

عَاشَ مَلِيْكَ الْبِلَادِ زَنْدًا وَسَاعِدًا مُسْعِدًا أَشَدًّا^{١٣}

فَارُوقَ الْمُؤْتَجَى الْمُفَدَّى مُوَفَّقَ الرَّأْيِ وَالْجُهُودِ
مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمِي وَسُودِي يَا أَلْفَ الْكَوْنِ وَالْوُجُودِ

هوامش

- (١) سودي: أمر من السيادة وهي العز والمجد والشرف، ويراد بالأمر هنا الدعاء أو التمني، والألف أول الحروف الهجائية والمراد بألف الكون والوجود أنها أول البلاد التي عرفها التاريخ بالحضارة والعمران.
- (٢) الدجى: الظلمة. المهود: جمع مهد.
- (٣) ساطعًا: عاليًا. السنا: الضوء.
- (٤) تعنو: تخضع وتذل. البنود: جمع بند وهو العلم.
- (٥) الجنى: ما يجنى من الثمر. أذكى: أطيب رائحة. الورود: جمع ورد.
- (٦) العقد: القلادة. النحر: موضعها من الصدر.
- (٧) الجد: الاجتهاد. المرام: المطلب.
- (٨) صائل: اسم فاعل من صال أي: سطا وهجم.
- (٩) تزجى: تدفع وتساق.
- (١٠) الأوج: الرفعة.
- (١١) المنهل: المورد وهو عين الماء التي يُستقى منها.
- (١٢) الجدوى: العطية.
- (١٣) الزند: موصل طرف الذراع في الكف، وهو من مكامن القوة والمراد ينبوع قوة للبلاد، والساعد من الإنسان ما بين المرفق والكف.

نجيب مـتري

يرثي الشاعر صديقه المرحوم نجيب مـتري صاحب مكتبة المعارف، وقد توفي سنة ١٩٢٨م.

قُمْ وَأَنْثُرِ الزَّهْرَ عَلَى لَحْدِهِ
هَذَا «نَجِيبٌ» قَدْ ثَوَى مُفْرَدًا
مَقْصَدُهُ ضَاقَ بِهِ جِسْمُهُ
كَانَ عِصَامِيًّا بَعِيدَ الْمَدَى
يَعْمَلُ كَالنَّحْلَةِ لَا يَنْتَنِي
مَلَّ نَهَارُ الْقَيْظِ مِنْ كَدِّهِ
رَأَيْ يُرِيكَ اللَّيْلَ شَمْسَ الضُّحَى
وَطَهَّرَ نَفْسٍ إِنْ تُرِدَ وَصَفَهُ
كَانَ أَبًا بَرًّا يَعَافُ الْكَرَى
عَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُحِبُّونَهُ
لَا بَرَحَتْ ذِكْرَاهُ مِلءَ النَّهَى
وَأَبُكِ مَضَاءَ الْعَزْمِ مِنْ بَعْدِهِ^١
كَأَنَّهُ الصَّمْصَامُ فِي غَمْدِهِ^٢
وَنَفْسُهُ أَكْبَرُ مِنْ قَصْدِهِ^٣
لَا يَبْلُغُ الطَّرْفُ مَدَى حَدِّهِ^٤
وَكَمْ جَنِينًا الْحُلُوَ مِنْ شَهْدِهِ^٥
وَضَجَّ نَجْمُ الصُّبْحِ مِنْ شَهْدِهِ
وَهَمَّةُ كَالنَّجْمِ فِي بُعْدِهِ
فَانْظُرْ إِلَى الطَّلِّ عَلَى وَرْدِهِ^٦
لَوْ مَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى وَلْدِهِ^٧
وَكَيْفَ يَبْكُونَ عَلَى فَقْدِهِ
وَلَا خَلَا مَغْنَاهُ مِنْ مَجْدِهِ^٨

هوامش

- (١) اللحد: الشق في جانب القبر، والمراد القبر نفسه. المضاء: النفاذ والحدة. العزم: الإرادة القوية.
- (٢) ثوى: أقام. الصمصام: السيف الصارم القاطع الذي لا ينثني.
- (٣) المقصد والقصد مصدر قصدت الشيء وله وإليه أي: طلبته بعينه.
- (٤) عصامياً: معتمداً على نفسه عظيمًا بأعماله. المدى: الغاية. الطرف: العين. حد الشيء: منتهاه.
- (٥) لا ينثني: لا ينصرف عن غايته.
- (٦) الطل: الندى يكون في الصباح فوق أوراق الزهر والشجر.
- (٧) الكرى: النعاس.
- (٨) النهى: جمع نهية وهي العقل. المغنى: المنزل.

تغريد

غنت السيدة «أم كلثوم» هذه الأبيات احتفالاً بزواج الإمبراطورة فوزية من عاهل إيران الذي أقيم بدار الأوبرا سنة ١٩٣٩م.

وشدا الصفوُ صادقًا بالأغاني
فكأنَّ الوجودَ من ألحانٍ^١
بالأمير النبيل من إيرانٍ^٢
س، فحيًا سناءه الفرقدان^٣
قَبَسَ النورِ في شبابِ الزمانِ^٤
د تليدًا وطارفًا أخوان^٥
وشدا البُحْتُريُّ بالإيوان^٦
ك، وفي ظلِّ دُوجهِ الفَيْنانِ^٧
ن، وبالأودِّ والصفاءِ أُمْتان^٨
فوق تاج الملوك من ساسان^٩
بين ظِلِّين من ندى وحنان
باسمُ الثغرِ ناضرُ الأفنان^{١٠}
حوِّله هالةٌ من الإيمان
وجرى حمده بكلِّ لسان

لَمَحَ البِشْرُ باسمًا بالأمني
طَرَبُ هَزَّ كُلَّ عِطْفٍ وجيدٍ
ازْدَهِي مصرُ، وأملئي الكونَ تيهًا
أمةٌ مجدها أطلَّ على الشمـ
قَهَرَتْ صَوْلَةَ الزمانِ وكانتْ
إِنَّ مصرًا وإنَّ إيرانَ في المجـ
أكبرَ ابنُ الحسينِ أهرامَ مصر
سَعِدَا بالقرانِ في عِزَّةِ الملـ
فالتقى بالرضا وبالفوز تاجا
دُرَّةٌ من كنوزِ مصرَ أضاءتْ
ونباتٌ زكا بروضِ فؤادٍ
إِنَّ عهدَ الفاروقِ عهدُ سُعودٍ
ملكٌ زانه الجلالِ وطافتْ
قد سَرَى حُبُّه إلى كلِّ قلبٍ

هوامش

- (١) عطف: جانب. جيد: العنق.
- (٢) تيهًا: افتخارًا. الأمير النبيل: محمد رضا بهلوي شاه إيران.
- (٣) سناء: ضوء. الفرقدان: نجمان قريبان من القطب.
- (٤) قبس: شعلة النور.
- (٥) تليدًا: قديمًا. طارفًا: حديثًا.
- (٦) ابن الحسين: الشاعر أبو الطيب المتنبي. البحري: الشاعر العباسي الشهير. الإيوان: إيوان كسرى ملك الفرس.
- (٧) دوحه: شجره العظيم. الفينان: الطويل الحسن ذو الأغصان الوارقة.
- (٨) بالرضا: القبول ويجوز أن يكون المقصود رضا بهلوي والفوز إشارة إلى فوزية.
- (٩) ساسان: بلدة بإيران وإليها نسبت الدولة الساسانية.
- (١٠) سعود: يمن وبركة وسعادة.

ذكرى وتاريخ

أنشدت هذه القصيدة بدار المعارف سنة ١٩٤٥م، بمناسبة احتفالها بمرور عامين على إصدار سلسلة «اقرأ»:

كَبَحَ الشَّيْبُ والنُّهْيُ من عَنَانِهِ^١
سَاقَهُ يَأْسُهُ إِلَى سُلُوَانِهِ^٢
مَ، لِعَجْزِ النُّفُوسِ عن إِتْيَانِهِ^٣
بِ، فَمَنْ لِي بِالحَبِّ أَوْ رِيحَانِهِ؟^٤
هُوَ فِي بَوَاجِهِهِ وفي كَتَمَانِهِ!^٥
نَ، وَمَدَّ الخَبِيثُ طَرْفَ لِسَانِهِ^٦
شُرُفَاتُ يَهُوِينَ من بَنِيَانِهِ
ضَنَّ بِالْمَلْتَقَى عَلَى وَسْنَانِهِ^٧
هَ، وَفُوتَ الشَّبَابَ قَبْلَ أَوَانِهِ^٨
طَاحَ، عَشْنَا فِي ذِكْرِيَاتِ زَمَانِهِ^٩
ضَ، شَجَا الحَالِيَاتِ من أَغْصَانِهِ^{١٠}
لَوْ خَضَبْنِ البَنَانَ من أَلْوَانِهِ^{١١}
لَمَحَّةَ الحَسَنِ من سَنَا لَمَعَانِهِ^{١٢}
هَ؟ وَأَيْنَ الرَّخِيمُ من أَلْحَانِهِ؟^{١٣}
هَلْ يَعُودُ الشَّادِي إِلَى جَوْلَانِهِ؟^{١٤}
رُكُّ لِقَلْبِي مِنْهُ سَوَى خَفْقَانِهِ^{١٥}

لَسْتُ مِنْ شَأْنِهِ وَلَا بَعْضُ شَأْنِهِ
فَازْهَبِي، مَا سَلَ الْفَوَاضِلُ وَلَكِنْ
وَبَدَارِ الْفَرْدُوسِ مِنْ جَانِبِ الْإِثْ
قَدْ تَوَلَّى الشَّبَابُ رِيحَانَةَ الْحَبِّ
أَهْ مِنْ حَايِرَةِ الْمَشْيِبِ: سَوَاءٌ
إِنْ كَتَمْنَاهُ قَهْقَرَةَ الدَّهْرِ جَذَلًا
أَوْ أَبْحَنَاهُ رَاعِنًا كُلَّ يَوْمٍ
وَرَأَيْنَا الْغَيْدَ الْأَمَالِيدَ حُلْمًا
كُلُّ شَيْءٍ لَهُ أَوَانٌ يَوْفِيهِ
كَمْ نَعِمْنَا بِهِ زَمَانًا فَلَمَّا
طَائِرٌ كَانَ إِنْ تَغَنَّى إِلَى الرُّو
عَسَجْدِي الْجَنَاحَ وَدَّ الْعِزَارَى
وَتَمَنَّى الْأَصِيلُ لَوْ نَالَ يَوْمًا
أَيْنَ تَصْفِيْقُهُ؟ وَأَيْنَ مَجَالِيهِ
جَالٍ فِي الْأَفْقِ جَوْلَةً ثُمَّ وَلَّى
وَمَضَى خَافِقَ الْجَنَاحِ وَلَمْ يَتَـ

وحواه الماضي الخِضْمُ وأبْقَى
مرّةً تستريح شوقًا لذكرها
أنا عزمي من آل صخرٍ، ورأسي
ولنفسِي مُنى الشبابِ، وإن أدّ

نكرياتٍ تطفو على شطآنه
ه، وحينًا نجدُ في نسيانه
لَقِي الويلَ من بني شَيْبانه^{١٥}
رَجَ وجهي الشبابِ في أغضانه

ما أُحِيلَى الصِّبَا، فهل لمحّةٌ منـ
بان بالأمس ركُوبه فتطلّعـ
وبدا في طليعةِ الركبِ طيفُ
هاج ذِكْرِي «دارِ المعارفِ» والغُصـ
جَمَعْتَنَا رَوْضًا جَنَى وظلالًا
فشدّونا عنادًا هَزَّت الدهـ
وصحا الشرقُ ناشطًا يَجِبُه الدنـ
وكتَبْنَا في رُوعَةٍ وبيانِ
من إمامٍ وشاعرٍ وأديبٍ
جمعتنا «دارُ المعارفِ» أحرًا
إِنْ عُنوانُها جهابذُ مصرِ
مصنوعٌ من ثقافةٍ وضياءٍ
يُنْضِجُ الخُبْزَ للعقولِ نَقِيًّا
كُلَّمَا دارَ دورةٌ نهضَ العقـ
طَبَعَاتُ فيها من الحسنِ طبعُ
وإذا راعك الجمالُ لفنٍّ
نجمع الدرّ توءمًا وفريدًا
قُلْ كما شئتُ في مديحِ «شفيقٍ»
باعثُ الفكرِ مثلهُ ناشِرُ الفكـ
أَيُّ نفعٍ للمِسْكِ في حُقّةِ المسـ
ينشطُ الفكرُ بالذِئوعِ ويزكو

ه، ومن زَهْوِه ومن ريعانه؟^{١٦}
تُ، أَعْدُ الطيوفَ من أظعانه^{١٧}
لَجَّ منه الفؤادُ في تحنانه^{١٨}
نُ رطيبٌ، والعُمُرُ في عنفوانه
تتدانى القُطوفُ من أفنانه^{١٩}
رَ، وكادت تُلهيه عن حدّثانه^{٢٠}
يا، وينفي النعاسَ عن أجفانه^{٢١}
يُقَسِّمُ السحرُ: إنه من بيانه
معجزاتُ الفنونِ طَوْعُ بِنانه^{٢٢}
رًا، فكنّا للعلمِ من عبْدانه^{٢٣}
وجلالُ الكتابِ في عنوانه^{٢٤}
كلُّ قُطرٍ يعشو إلى نيرانه^{٢٥}
لم يُرَوِّعَ بالبخسِ في ميزانه^{٢٦}
لُ، وألقى العتيقَ من أكفانه
قيمةُ المرءِ في مدى إحسانه!
عبقريّ فاسأله عن فنّانه
ثم نأتي به إلى دهْقانه^{٢٧}
والكرامِ الثقاتِ من أعوانه^{٢٨}
رَ، له فضلُه ورفعُه شأنه
ك، وللمالِ في يدَي خزانِه؟^{٢٩}
وزكاءُ الينبوعِ في جريانه!^{٣٠}

يا ابن «متري» بلغت مدحي، وهذا
صُنْتُ شِعْري عن أن يهونَ وبعضُ الشـ
يَصْغُرُ الفَنُّ حينما تصْغُرُ النفسُ
إن شِعْري أجْرُ النبوغِ فما بضـ
منزلُ النجمِ، أو قريبُ مكانه
شِعْرُ يَسْعَى لذلِّه بهوانه
سُ، وينحطُّ من رفيعِ قِنانه^{٣١}
ضَ لغيرِ المُجيدِ في مَيدانه^{٣٢}

أشفيقُ، سرَّ بالشبابِ حثيثاً
قد قرأنا في «اقرأ» صحائفَ أبَدَتْ
نَهَضَتْ بالشريفِ من لغة الضا
فهناءً «دارَ المعارف» لا زلـ
لِقِي الشَّرْقِ في ذِراكِ مَلَاذَا
أملُ الشرقِ في يَدَي شُبَّانه!
صفحاتِ الربيعِ في إِبَّانه^{٣٣}
د، وجاءت بالسحرِ من تَبْيانه^{٣٤}
ت منارَ الحِجا ومجلى افتنانه^{٣٥}
مُذْ بَعَثَتِ الحَيَاةَ في أوطانه^{٣٦}

هوامش

- (١) النهى: العقل. عنانه: مقود الفرس.
- (٢) سلا: نسي.
- (٣) دار الفردوس: الجنة.
- (٤) ريحانة: رائحته الطيبة والرياحان نبات ذو رائحة جميلة.
- (٥) جذلان: فرحان.
- (٦) الأماليد: ناعمة الخد. وسنانه: نائمة.
- (٧) أوان: وقت. يوفيه: يعطيه حقه.
- (٨) طاح: سقط وولى وراح.
- (٩) شجا: طرب. الحاليات: المظاهرات حلوة وعجبا.
- (١٠) عسجدي: ذهبي. خضبن: دهن أيديهن بالحناء.
- (١١) الأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب.
- (١٢) الرخيم: الرقيق.

- (١٣) جال: طاف.
(١٤) خافق الجناح: مضطرب مرفرف.
(١٥) آل صخر وبني شيبان: أسماء لقبائل عربية.
(١٦) ريعانه: قوته وفتوته.
(١٧) الطيوف: الأخيلة. أظعانه: أسفاره ومشيه.
(١٨) لج: تردد.
(١٩) جنى: ثمار. القطوف: العناقيد.
(٢٠) عنادلاً: طيور يقال له: الهزار صوتها حسن. حدثانه: أحداثه.
(٢١) يجبه: يستقبل.
(٢٢) طوع بنانه: منقادة له.
(٢٣) عبدانه: خاضعين له.
(٢٤) جهابذ: عظماء.
(٢٥) قطر: الناحية والجانب. يعشو: هنا بمعنى يقصد.
(٢٦) يروع: يفزع. البخس: النقص.
(٢٧) التوعم: اثنان في بطن واحدة. فريداً: واحداً. دهقانه: تاجر الجواهر.
(٢٨) شفيق: هو شفيق نجيب م ترى صاحب دار المعارف في ذلك الحين. الثقات: أهل الثقة.

- (٢٩) المسك: الطيب. حقة: المكان الذي يوضع فيه.
(٣٠) الذيوخ: الانتشار. ذكاء: نماء. الينبوع: عين الماء.
(٣١) قنانه: مكانته العالية، أعلى الجبل.
(٣٢) بض: رق ولان، استجاب.
(٣٣) اقرأ: هو اسم سلسلة كتيبات تصدرها دار المعارف. إبانته: أوانه.
(٣٤) لغة الضاد: اللغة العربية.
(٣٥) منار الحجا: منار العقل. مجلى: موضح.
(٣٦) ذراك: ظلك. ملاذاً: ملجأ ومأوى.

مصطفى النحاس باشا

واحد من زعماء مصر البارزين خلف الزعيم العظيم سعد زغلول باشا في رئاسة حزب الوفد، وعاش حياته يناضل الاستعمار الإنجليزي لمصر حتى حقق الله على يديه استقلال البلاد، وقد أنشد الشاعر هذه القصيدة في الاحتفال الذي أقيم تكريمًا للزعيم بعد عودته هو وصحبه عقب توقيع اتفاقية «منثرو» عام ١٩٣٧م.

مَلَكْتَ بما أوتيت ناصيةَ النجم
وَحُزْتُ عِنانَ المجدِ والشرفِ الجَمِّ^١
وَعُدْتُ زعيمَ الفاتحين تقوُّدُهُ
يَدُ اللهِ مِنْ غَنِمٍ لمصرَ إلى غُنْمِ^٢
تَطالُعَكَ الأعلامُ نَشَوَى كأنَّها
بِكلِّ الذي أوليتِ مِصرَ على عِلْمِ^٣
خَوافِقُ تنأى في السماء وتلتقي
كما مالَ رِثْمٌ في الفلاة إلى رِثْمٍ^٤
ويُطربُّها عالي الهتافِ فتنتني
كما رقصتْ هيفُ العذارى على نغمٍ^٥
فُتِنَ بألوانِ الرياضِ وحُسْنِها
فَقاسَمَناها في الحُسْنِ أو جُرْنِ في القَسَمِ^٦
وكادَ سُروراً ما بها من أهْلَةٍ
يتيه على ابن الليل في ليلة التَّمِ^٧

لها نشوةٌ لو أنَّ للكَرمِ مثْلَها
لما كانَ إنَّمَا أنْ تُسَاعَ ابْنَةُ الكَرمِ^٨
زَهاها على الرايات أن انتصارَها
على الدهرِ لم يُقسَمَ لُغُربٍ ولا عُجَمِ^٩
وأن فَتَاها لم يقفَ في ثيابه
أخو نجدَةٍ في يومِ حربٍ ولا سِلمِ^{١٠}
حمَاهَا وأَعْلَاهَا على النَجْمِ سَعِيهِ
فلله من يَغلي اللواءَ ومن يَحمي

أبى المجدُ أن يدنو بفضلِ عِناهِ
لغير بعيدِ الغُورِ والرأيِ والسهمِ^{١١}
وما خضعَ النصرُ الأشمُ لِفَاتِحِ
إذا لم يَكُنْ من خيرةِ السادةِ الشُّمِّ^{١٢}
حملنا له الأزهارَ تَنَدَى نضارَةً
وتهتَزُّ عن طيبٍ وتَفْتَرُّ عن بَسَمِ^{١٣}
وأنفَسُ شيءٍ في الحياةِ أَزَاهِرُ
يُبْعَثُهَا شَعْبٌ على قَدَمَي شَهْمِ^{١٤}
وجئنا بَغُصْنِ الغارِ تاجًا لَجِبَةٍ
عليها سطورٌ من إِبَاءٍ ومن عِزَمِ^{١٥}
أقامَ طويلاً بالرياضِ كأنَّمَا
أُصِيبَتْ بناتُ المجدِ في مصرَ بالعُقَمِ^{١٦}

سعى الشعبُ أفواجًا إليك يسوقُه
نوازعُ حُبٍّ قد طَغَيْنَ على الكُتَمِ^{١٧}
رأينا به الآذَى يهدُرُ ماؤُه
وجرجرةُ الأمواجِ في لُجَّةِ اليمِ^{١٨}

صُفوفُ بناها الله في حُبِّ «مصطفى»
 تنزَّهنَ عن صدعٍ وعوفينَ من ثأمٍ^{١٩}
 بها اجتمعت كلُّ المدائنِ والقُرى
 فما شئتَ من كيفٍ وما شئتَ من كمٍ
 إذا حاولَ الوهمُ المصورَّ رسمها
 على صفحةِ القُرطاسِ عزَّتْ على الوهمِ^{٢٠}
 وأصواتُ صدقٍ بالدعاء تتابعَت
 لها كدويُّ النحلِ في أذنِ النجمِ^{٢١}
 أصاخَ إليها الصُّمُّ، يستمعونها
 فإن جحدوها فالعفاء على الصُّمِّ^{٢٢}
 تجسُّ أزيزَ النارِ في نبراتها
 وتلمحُ فيها قوَّةَ العزمِ والجزمِ^{٢٣}
 تكادُ تמידُ الأرضُ بالحشدِ فوقها
 وتنسُدُّ أرجاءُ الفضاءِ من الزَّحمِ^{٢٤}
 زعمتُ بأن أطوي لك الجمعَ سابقاً
 فللهِ كمٍ لاقيتُ من ذلك الزَّعمِ
 أحاطتْ بي الأمواجُ من كُلِّ جانبٍ
 أغوصُ إلى لحمٍ وأطفو على لحمٍ
 إذا نالَ مني الوكْزُ ما كانَ يشتهي
 خلصتُ إلى ما لا أحب من اللُحمِ^{٢٥}
 سدَدْتُ عليَّ الطُّرُقَ لم ألقَ مسلِكاً
 وأوسعتُ طُرُقَ المجدِ والحسبِ والضخمِ^{٢٦}
 تمنيتُ لو لامستُ كفاً هي المُنَى
 خواتمها قد صاغها الشعبُ من لثمِ^{٢٧}
 وشاهدتُ شهماً كلما رُمْتُ رسمه
 تصوَّرتُ أخلاقَ الملائكِ في الرسمِ^{٢٨}
 وفُزتُ بوجهٍ من سنا اللهِ ضوءه
 كريمُ المحيَّا لا قطوبٍ ولا جَهْمِ^{٢٩}

إِذَا قَدَّرَ الشَّعْبُ الرِّجَالَ، فَإِنَّهُ
قَمِينٌ بِالْاِسْتِقْلَالِ فِي الرَّأْيِ وَالْحُكْمِ ٣٠

* * *

دَعُونََاكَ لِلْجُلَى فَكُنْتَ غِيَاثَهَا
وَقَدْ عَبَّثْتُ خَيْلُ الْحَوَادِثِ بِاللَّجْمِ ٣١
عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ مَفَاضَةٌ
مِنَ الْحَقِّ لَمْ تَأْبَهُ لِرَمْحٍ وَلَا سَهْمِ ٣٢
تَصُولُ عَلَى الْعُدْوَانِ تَسْتَلُّ نَابَهُ
وَتَصْدَعُ بِالْإِيمَانِ غَاشِيَةَ الظُّلَمِ ٣٣
وَتَرْفَعُ صَدْرًا كَانَ حِصْنًا وَمَوْئِلًا
لِمَصْرَ فَأَغْنَاهَا عَنِ الْحِصْنِ وَالْأُطَمِ ٣٤
رَمَيْتَ فَسَدَدْتَ الرَّمَاءَ وَإِنَّمَا
هُوَ اللَّهُ يَرْمِي عَنْ يَمِينِكَ إِذْ تَرْمِي ٣٥
وَمَا كُلُّ ذِي سَهْمٍ أَصَابَتْ يَمِينُهُ
وَلَا كُلُّ سَهْمٍ فِي إِصَابَتِهِ يُضْمِي ٣٦
وَجَنَّدْتَ مِنْ آرَائِكَ الْغُرَّ جَحْفَلًا
طَلَائِعُهُ أَغْنَتْ عَنِ الْبَيْضِ وَالْدُّهْمِ ٣٧
وَأَرْسَلْتَ صَوْتًا فِي الْبِلَادِ مَجْلَجَلًا
سَمِعْنَا بِهِ زَأَرَ الضَّرَاغِمِ فِي الْأَجْمِ ٣٨
فَفَتَّحْتَ آذَانًا وَأَيَقِظْتَ أَعْيُنًا
وَصَنَنْتَ رِبَاطَ الْعَنْصَرِينَ مِنَ الْفُصْمِ ٣٩
فَلَمْ يَرْضَ جَنْبٌ أَنْ يَنَامَ عَلَى أَدَى
وَلَمْ يَرْضَ حَقٌّ أَنْ يَنَامَ عَلَى هُضْمِ ٤٠
وَطَارَ بَنُو مِصْرٍ لِنَجْدَةٍ أَمْهَمَ
سِرَاعًا فَأَكْثَرِمَ بِالْبَنِينَ وَبِالْأَمِ
وَنَالَتْ بِكَ اِسْتِقْلَالَهَا مِصْرٌ كَامِلًا
عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَيْدِ الزَّمَانِ عَلَى الرَّغْمِ

وَحَطَّمْتَ أَغْلَالَ الْإِسَارِ، وَقَدْ لَوْتُ
يَدُ الدَّهْرِ وَاسْتَعَصْتُ طَوِيلًا عَلَى الْحَطْمِ^{٤١}
إِذَا عَظُمَتْ نَفْسُ امْرِئٍ جَلَّ سَعْيُهُ
وَجَلَّ فَلَمْ يُوصَمَ بِزَهْوٍ وَلَا عَظْمِ^{٤٢}

* * *

تَحَدَّثْتُ الدُّنْيَا «بِسَعْدٍ» وَ«مُصْطَفَى»
وَهَلْ قُرِئْتُ أُمُّ الْكِتَابِ بَلَا «بِسْمِ»^{٤٣}
أَبَانَ لَكَ الطَّرْقَ اللَّوَّاحِبَ لِلْعُلَا
فَجَلَّيْتَ فَعَلَ الْفَارِسِ الْبَطْلِ الْقَرَمِ^{٤٤}
بَنَيْتَ وَهَدَمْتَ الضَّلَالَ مُجَاهِدًا
فَكُنْتَ كَرِيمًا فِي الْبِنَاءِ وَفِي الْهَدْمِ
بِكَ اهْتَزَّتْ الْأَمَالُ وَاخْضَرَّ عُودُهَا
كَمَا اهْتَزَّ رَوْضُ جَادِهِ وَاكْفُ السَّجْمِ^{٤٥}
وَرُبَّ رَجَالٍ كَالسَّحَابِ خُلْبًا
تَسُدُّ مَصَابِيحَ السَّمَاءِ وَلَا تَهْمِي^{٤٦}
يَرُونَ مِنَ الْحِلْمِ الْقِرَارَ عَلَى الْأَذَى
وَأَيْنَ قَرَارُ الْهَوْنِ مِنْ خُلُقِ الْحِلْمِ^{٤٧}
إِذَا شَهْوَةُ الدُّنْيَا دَهَتْ عَقْلَ عَاقِلٍ
غَدَا، وَهُوَ أَذْكَى النَّاسِ شَرًّا مِنَ الْقَدَمِ^{٤٨}
وَإِنْ عَشَقْتَ رُوحَ الْفَتَى رَاحَةَ الْفَتَى
فَلَا خَيْرَ فِي رُوحٍ وَلَا خَيْرَ فِي جِسْمٍ
وَقَفْتَ لِنَصْرِ الْحَقِّ فِي قَصْرِ «مَنْتَرُو»
وَقُوفَ وَضِيءِ الرَّأْيِ مُجْتَمِعِ الْحَزْمِ^{٤٩}
وَحَوْلَكَ مِنْ أَصْحَابِكَ الصَّيْدِ فَتِيَّةٌ
خِفَافٌ إِلَى الْمَوْلَى شِدَادٌ عَلَى الْخَصْمِ^{٥٠}
يَرُونَ مِنَ الْحَتَمِ الْوَفَاءَ لِقَوْمِهِمْ
وَلَيْسَتْ بِشَاشَاتُ الْحَيَاةِ مِنَ الْحَتَمِ^{٥١}

كَأَنَّ غُبَارَ النِّصْرِ فِي لَهَوَاتِهِمْ
جَنَى النِّحْلِ أَوْ أَشْهَى وَأَطْيَبُ فِي الطَّعْمِ^{٥٢}
لَكَ الْحِجَجُ الْبَيْضُ الصَّلَابُ كَأَنَّهَا
نِصَالُ سِهَامٍ قَدْ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظْمِ^{٥٣}
أَمَنْ جَعَلَ الضَّيْفَ النَّزِيلَ كَوَاحِدٍ
مَنْ الْأَهْلِ يُرْمَى بِالْجَفَاءِ وَبِالذَّمِّ؟!^{٥٤}
فَهِمُّنَا وَلَكِنْ لِلسِّيَاسَةِ مَنْطِقٌ
عَزِيزٌ عَلَى الْأَذْهَانِ صَعْبٌ عَلَى الْفَهْمِ
وَمِثْلُكَ مَنْ رَدَّ الْعُقُولَ لِمَنْهَجٍ
سَدِيدٍ وَأُرْدَى الشُّكَّ بِالْمَنْطِقِ الْحَسَمِ^{٥٥}
فَمَا زِلْتُ حَتَّى أُدْرِكْتَ مِصْرُ سُؤْلَهَا
رَفِيعَةً شَأُوِ الْمَجْدِ مَوْفُورَةُ السُّهُمِ^{٥٦}
وَأَصْبَحَ حُبًّا كُلُّ مَا كَانَ مِنْ قَلَا
لِمِصْرَ وَغُنْمًا كُلُّ مَا كَانَ مِنْ غُرْمِ^{٥٧}
هَنِيئًا لَكَ الْفَتْحُ الْمَبِينُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَى التَّارِيخِ مُتَّضِحَ الْوَسْمِ^{٥٨}
نَثَرْتُ لَهُ زَهْرًا وَأَنْظَمْتُ لَوْلَا
فَأَحْسَنْتُ فِي نَثْرِي وَأَبْدَعْتُ فِي نَظْمِي^{٥٩}

هوامش

- (١) ناصية: أعالي النجم. عنان المجد: قيادة الشرف والعزة.
- (٢) غنم: غنيمة.
- (٣) تطالعك: تظهر لك. نشوى: فرحة. أوليت: أعطيت.
- (٤) خوافق: مرفرة. تنأى: تبعد. رثم: غزال. الفلاة: الصحراء.
- (٥) هيف: الحسنة ضامرة البطن. نغم: صوت حسن.
- (٦) فتن: عجن. جرن في القسم: جاوزن الحد في النصيب والخط.

(٧) أهلة: جمع هلال. ابن الليل: المقصود القمر. ليلة التم: ليلة اكتمال القمر وهي النصف من الشهر العربي.

(٨) الكرم: العنب الذي تصنع منه الخمر. تساغ: بمعنى تشرب. ابنة الكرم: من أسماء الخمر.

(٩) زهاها: افتخر بها. لم يقسم: لم يكن من نصيب.

(١٠) لم يقف في ثيابه: لم يلتزم بوتيرة واحدة. أخو نجدة: صاحب عون واستغاثة.

(١١) عنانه: قيادته. بعيد الغور: عميق الفكر. الهم: الهمة.

(١٢) الأشم: العالي. الشم: الشرفاء.

(١٣) تندى: من الندى أي: مبتلة بالماء. نضارة: حسنًا وبهاءً ورونقًا. طيب: رائحة

العطر. تفتّر: تفصح وتظهر. بسم: ابتسام وبشاشة.

(١٤) أنفس: أئمن. أزاهر: النبات المزهر. يبعثرها: ينثرها.

(١٥) الغار: الوسام. إباء: عزة.

(١٦) العقم: عدم الإنجاب.

(١٧) نوازع: مشاعر. طغين: جاوزن الحد. الكتم: الكتمان.

(١٨) الآذنى: الموج. جرجرة: صوت. لجة اليم: ماء البحر العظيم.

(١٩) صدع: كسر، شق. عوفين من ثأم: سلمن من الخل.

(٢٠) القرطاس: الورق.

(٢١) في إذن النجم: الصوت يصعد إلى مكان النجم في السماء.

(٢٢) أصاخ: استمع. الصم: الذين لا يسمعون. جحدوها: أنكروها.

(٢٣) أزيز النار: صوت النار المشتعلة. نبراتها: صوتها. الجزم: القطع.

(٢٤) تمهيد: تتحرك إلى أسفل. أرجاء الفضاء: نواحي الفضاء. الزحم: التزاحم.

(٢٥) الوكز: الدفع.

(٢٦) ألق: أجد. مسلگا: طريقًا.

(٢٧) المنى: الأمانى. صاغها: صنعها. لثم: تقبيل.

(٢٨) رمت: أردت.

(٢٩) سنا الله: نور الله. قطوب: عبوس. جهم: كالح الوجه.

(٣٠) قمين: جدير.

(٣١) الجلى: كشف عظام الأمور. غياثها: منقذها. اللجم: مقود الخيل.

- (٣٢) مفاضة: الدرع الواقى. تأبه: تعباً، تهتم.
- (٣٣) تصول: تهاجم. تستل نابه: تخلع أسنانه أي: تبطل شره كما تنزع أنياب الثعبان فيبطل سمه. تصدع: تشق وتقطع. غاشية الظلم: غطاء الجور.
- (٣٤) ترفع صدرًا: الصدر هو أول الشيء. حصنًا: مانعًا. موثلاً: ملاذًا. الأطم: الخطر.
- (٣٥) الرماء: الرماية. وفي البيت اقتباس من القرآن الكريم من الآية: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ صدق الله العظيم.
- (٣٦) يصمي: يصيب.
- (٣٧) الغر: الغراء. جحفلاً: جيوش. طلائعه: أوائله. البيض: السيوف. الدهم: الخيل.
- (٣٨) زأر: صوت الأسود. الضراغم: الأسود. الأجم: الغابة كثيفة الشجر.
- (٣٩) العنصرين: المسلمين والأقباط. الفصم: الفصل.
- (٤٠) جنب: ناحية والمقصود أي شخص. ينام على أذى: يغفل عينيه وبه ضرر. ينام على الهضم: يغفل عينيه وهو مظلوم مهضوم الحقوق.
- (٤١) الأسار: الأسر. استعصت: امتنعت. الحطم: التحطيم.
- (٤٢) جل: عظم، كثر. يوصم: يدمغ. زهو: افتخار. عظم: كبر.
- (٤٣) سعد: سعد زغلول باشا زعيم حزب الوفد. أم الكتاب: الفاتحة. بسم: يقصد بسم الله الرحمن الرحيم.
- (٤٤) اللواحِب: الواضحة. جليت: أظهرت وأبنت. القرم: السيد المهاب.
- (٤٥) جاده: أعطاه ورواه. واكف: القطر والماء. السجم: السائل.
- (٤٦) خلبًا: السحاب الذي لا مطر فيه. مصابيح السماء: المقصود النجوم. لا تهمي: لا تمطر.
- (٤٧) الحلم: الأناة. القرار على الأذى: الصبر على الضرر. قرار الهون: الصبر على الذل والهوان. خلق الحلم: سجية الصبر.
- (٤٨) شهوة الدنيا: ما يحب ويشتهى في الدنيا. دعت: أصابت. غدا: أصبح. القدم: الغبي العبي.
- (٤٩) مونترو: بلدة بسويسرا وقَّعت بها معاهدة ١٩٣٦م لمنح مصر استقلالها. وضيء الرأي: واضح الرأي. الحزم: الرأي.

- (٥٠) الصيد: العظماء. المولى: الله سبحانه وتعالى. شداد: أقوياء. الخصم: العدو.
- (٥١) بشاشات الحياة: مباهج الحياة.
- (٥٢) لهواتهم: جمع لهاة وهي زائدة لحمية في سقف الحلق والمقصود حلوقهم.
- جنى النحل: حصاد النحل وهو العسل.
- (٥٣) نصال سهام: حد السهام. حزن: قطع.
- (٥٤) يرمي: يوصف. الجفاء: التنكر والابتعاد. بالذم: ضد المدح.
- (٥٥) منهج: طريق. سديد: صواب وموفق. أردى: قتل. بالمنطق الحسم: بالقول القاطع.
- (٥٦) سؤلها: مطلبها. شأو المجد: غاية الشرف والمجد. موفورة السهم: تامة وكاملة النصيب.
- (٥٧) قلا: أبغض وترك. غنمًا: الكسب. غرم: خسارة.
- (٥٨) متضح الوسم: واضح الصفة التي يعرف بها.
- (٥٩) أنظمت لؤلؤًا: جمع اللؤلؤ وصنع منه عقدًا، يقصد أنه جمع كلمات كاللآلئ ونظم منها شعرًا. نظمى: شعري.

دُرَّةُ التاج

أنشد الشاعر هذه القصيدة في ميلاد الأميرة السابقة فادية ابنة الملك فاروق آخر ملوك مصر في ديسمبر سنة ١٩٤٣م.

ومضتْ تَخْطُرُ بينَ المشرقينِ^١
ينثرُ الأزهارَ فوقَ الشاطئينِ
يعجزُ الشكرُ عليها باليدينِ!
ضمَّها العرشُ لأعلى دُرَّتَيْنِ^٢
كَرَمُ التَّبَرِّ ولا صَفْوُ اللَّجِينِ^٣
أنَّه من لَمَحَاتِ النِّيرَيْنِ^٤
جَمَلَتْ في مصرَ أزهى زَهْرَتَيْنِ^٥
فنما الفرعُ شريفَ المنبتَيْنِ
مصرُ للدنيا بها قُرَّةَ عَيْنِ
وصفا الدهرِ فكانتْ بُشْرَيْنِ^٦
ثم عادت فاجتلتها مرَّتَيْنِ
يُرْتَجَى بدرُ الدُّجَى في ليلِ عَيْنِ^٧
أصبحتْ ثالثةً للقبْلَتَيْنِ^٨
ومن التصويرِ تزييفُ ومَيِّنِ^٩
زاحمَ الدهرُ به بالمنكبينِ^{١٠}
وعَلَتْ فوقَ مَنَاطِ الْفَرْقَدَيْنِ^{١١}

هَزَّتِ الْبُشْرَى جَنَاحَ الْخَافِقَيْنِ
وتهاذى النِيلُ نشوانَ الهوى
كَمْ وكَمِ لِلَّهِ فِي النَّاسِ يَدُ
دُرَّةٍ مِنْ سُوْدٍ لَامِعَةٍ
دُرَّةٍ لِلْمُلْكِ مَا مَائِلُهَا
وَشُعَاعُ زَادَ فِي لَأْلَائِهِ
وَشَذَى مِنْ زَهْرَةٍ نَاضِرَةٍ
شَرَفُ الدُّوْحَةِ لَاقَى شَرَفًا
قَرَّتِ الْأَعْيُنُ لَمَّا أَنْجَبَتْ
ونجا فاروقُها فاستبشرت
فاجتلت مصرُ مُنَاها مَرَّةً
كَمْ وَقَفْنَا نَرْتَجِي الْبُشْرَى كَمَا
واتجهنا نحو عابدين التي
صورةً لِلْحُبِّ مَا أَصْدَقُهَا
ومشى أجدادُها في مَوْكِبِ
مَوْكِبٍ قَدْ خَفَقَتْ أَعْلَامُهُ

لَمْ تَرَ الْعَيْنُ لَهُ مِثْلًا وَلَا
 يَخْطُرُ التَّارِيخُ فِيهِ مِثْلَمَا
 فِيهِ مُحْيِي مِصْرَ فِي أَبْنَائِهِ
 مَنْ كَأِسْمَاعِيلَ فِي آلِيهِ
 جَذْوَةُ الْحَرْبِ إِذَا مَا اشْتَعَلَتْ
 جَمَعَ الضَّادَ إِلَى رَايَتِهِ
 بَدَّدَتْ دُھْمُ اللَّيَالِي شَمْلَهَا
 فَحَبَاها وَخَذَّةً مَا عَرَفَتْ
 وَصَلَتْ رِضْوَى بَلْبُنَانٍ كَمَا
 عَجَبًا مِنْ آيَةٍ كَانَتْ لَهُ
 لَيْسَ لِلْعُرْبِ سِوَاهُ عَاهِلٍ
 زَيْنَتُهُ نَشْأَةُ طَاهِرَةٍ
 قَانَتْ لَهُ فِي مُحْرَابِهِ
 مَلِكٌ يَجْتَابُ ثَوْبِي مَلِكٍ
 سَرَقَ النِّيلُ النَّدَى مِنْ كَفِّهِ
 حُبُّهُ دَيْنٌ وَدَيْنٌ لِلوَرَى
 وَبَنَى الْمَلِكُ أَبُوهُ جَاهِدًا
 عَلَوِيَّ الْعِزْمَ إِنْ رَامَ الْعُلَا
 رَفَعَ الشَّعْرَ إِلَى مَنْزِلَةٍ
 دَوْلَةٌ قَامَتْ تَنَاغِي دَوْلَةً
 رُبَّمَا فِي الشَّعْرِ قَامَتْ صَفْحَةٌ
 إِنَّمَا الشَّعْرُ عَلَى كَثْرَتِهِ
 نَفْحَةٌ قُدْسِيَّةٌ أَوْ هَذَرٌ

خَطَرَتْ أَوْصَافُهُ فِي أُنْزِينُ
 يَخْطُرُ الْفَارَسُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ^{١٢}
 زِينَةُ الدُّنْيَا وَفَخْرِ الْمَلُوكَيْنِ^{١٣}
 أَوْ كَأِبْرَاهِيمَ حَامِي الْحَرَمَيْنِ
 وَبَدَا الشَّرُّ وَأَبْدَى النَّاجِذِينَ^{١٤}
 مُذْ رَأَاهَا أَثَرًا مِنْ بَعْدِ عَيْنِ^{١٥}
 وَاللَّيَالِي كُلُّهَا مِنْ أَبْوَيْنِ!^{١٦}
 فِي الْهَوَى حَذًّا لِأَقْصَى بَلَدَيْنِ
 مَزَجَتْ بِالنِّيلِ مَاءَ الرَّافِدَيْنِ^{١٧}
 أَصْبَحَتْ بَابِنِ فَوَادٍ آيَتَيْنِ!
 يَبْهَرُ الدُّنْيَا بَعْدِلَ الْعُمَرَيْنِ^{١٨}
 وَهُوَ لِلطُّهْرِ وَلِلنَّشْأَةِ زَيْنُ
 لَمْ يَشُبْ أَمَالُهُ فِي اللَّهِ رَيْنُ^{١٩}
 أَيْنَ مَنْ يُشَبِّهُهُ فِي النَّاسِ أَيْنَ؟^{٢٠}
 فَاسْأَلَ التَّبَرَّ فَوْقَ الْوَادِيَيْنِ
 يَا لَهُ فِي الْحَبِّ مِنْ دَيْنٍ وَدَيْنِ^{٢١}
 فَسَمَا فَوْقَ بِنَاءِ الْهَرَمَيْنِ
 لَمْ يَضُقْ ذَرْعًا وَلَمْ يَمْسَسْهُ أَيْنُ^{٢٢}
 لَمْ يَنْلُهَا فِي زَمَانِ ابْنِ الْحُسَيْنِ^{٢٣}
 فَنَعِمْنَا فِي ظِلَالِ الدَّوْلَتَيْنِ
 بِالَّذِي يَعْيَا بِهِ ذُو الصَّفْحَتَيْنِ^{٢٤}
 لَا تَرَى فِيهِ سِوَى إِحْدَى اثْنَتَيْنِ
 لَيْسَ فِي الشَّعْرِ كَلَامٌ بَيْنَ بَيْنِ

سَلِمَتْ لِلتَّاجِ أَصْفَى دُرَّةٍ
 جَمَعَ اللَّهُ لَهَا الْخَيْرَ كَمَا
 وَأَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَ الْوَالِدَيْنِ^{٢٥}
 جَمَعَ الدُّنْيَا لَنَا فِي مَلِكَيْنِ

هوامش

- (١) الخافقين: أفقا المشرق والمغرب. المشرقين: مشرقا الشمس في الصيف والشتاء.
- (٢) سؤدد: مجد وشرف. درتين: يقصد ابنة فاروق الأولى فريال وابنته الثانية فوزية.
- (٣) التبر: الذهب. اللجين: الفضة.
- (٤) لألائه: لمعانه. النيرين: الشمس والقمر.
- (٥) شذى: رائحة زكية.
- (٦) ونجا فاروقها: من حادثة السيارة المشهورة ببلدة القصاصين بمحافظة الشرقية.
- (٧) غين: الغيم.
- (٨) القبلتين: المسجد الحرام بمكة والمسجد الأقصى بالقدس.
- (٩) مين: كذب.
- (١٠) المنكبين: مثني منكب وهو العضد والكتف.
- (١١) مناط: بعد. الفرقدين: نجمان قريبان من القطب.
- (١٢) يخطر: يمشي مهتزا مزهواً. الجحفلين: الجيشين.
- (١٣) محيي مصر: المقصود محمد علي باشا رأس الأسرة العلوية التي حكمت مصر حتى قيام ثورة ١٩٥٢ م. الملوين: الليل والنهار.
- (١٤) جذوة: جمرة النار المشتعلة. أبدى: أظهر. الناجذين: الأضراس الخلفية. والمقصود هو أظهر استعداداته للقتال.
- (١٥) إشارة إلى سعي إبراهيم باشا في توحيد الدول العربية.
- (١٦) دهم: ظلمة.
- (١٧) رضوى: هو جبل رضوى الشهير بالحجاز. الرافدين: دجلة والفرات نهرا بالعراق.
- (١٨) العمرين: هما عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز — رضي الله عنهما — ويضرب بهما المثل في العدل.
- (١٩) قانت: طائع لله. رين: الرين هنا تغلب الهوى والميول.
- (٢٠) يجتاب: يلبس.
- (٢١) الورى: الخلق. دين: حق له.

- (٢٢) علوي: نسبة إلى جده محمد علي باشا. رام: أراد. لم يضق ذرعًا: لم يتملأ أو يشكو. أين: تعب.
- (٢٣) ابن الحسين: هو أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبي الشاعر العربي المشهور.
- (٢٤) ذو الصفحتين: السيف وله وجهان أو صفحتان.
- (٢٥) أقر: أعطاه حتى هدأت نفسه.

تهنئة صديق

أنشد الشاعر هذه القصيدة في حفل زواج صديقه محمد بدر الدين، في مايو سنة ١٩١٣م.

هَٰذِي الدِّيارَ وَأَنْتَ شاعِرٌ	فَأَنْتُمْ كَرِيماتِ الْجَواهِرُ
وَأَفْعَلُ كَمَا يُمْلِي الهَوَى	فَأَكُنْتُمْ حَدِيثُكَ أَوْ فَجَاهِرُ
هِيَ مَنْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا	فَارَبَّأَ بِنَفْسِكَ أَنْ تُخَاطِرُ
حَاذِرُ «عَلِيٍّ» وَلَيْتَ شِعْري	هَلْ يَرُدُّكَ قَوْلُ: حَاذِرُ؟
حَوْرَاءَ تَسْرُحُ فِي الْقُلُوبِ	بِ كَأَنَّهَا مَرَحُ الْجَاذِرُ ^١

يَا لَيْلَةً حُمِدَتْ بِهَا	عُقْبَى الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرُ ^٢
مَرَّتْ كَحَسْوَةٍ طَائِرِ	قَصْرًا وَكَرَّاتِ الْخَوَاطِرِ ^٣
وَدَّ الْكَوَاعِبُ لَوْ تُمَدُّ	بِمَا لَهُنَّ مِنَ الْغَدَائِرِ ^٤
أَوْ لَوْ وَصَلْنَ سَوَادَهَا	بِسَوَادِ حَبَّاتِ النُّوَاطِرِ ^٥
نَشَرَ الْجَلالُ لِوَاءَهُ	فِيهَا وَصَفَّقَتِ الْبَشَائِرُ ^٦
وَطَفَا السُّرُورُ عَلَى الْوُجُو	هِ وَدَبَّ مَا بَيْنَ السَّرَائِرِ ^٧
وَأَنْتَ كَمَا يَأْتِي الشَّبَا	بُ مُبَارَكَ النِّفَحَاتِ نَاضِرُ ^٨
إِنْ غَابَ فِيهَا بَدْرُ ذِي الدَّن	يَا «فَبَدْرُ الدِّينِ» حَاضِرُ

«أُمَحَمَّدُ» يَا زَيْنَةَ الـ
صَاهَرْتَ أَكْرَمَ أُسْرَةٍ
وَضَفَرْتَ مِنْ نِعَمِ الْحَيَا
يَا ابْنَ الْأَلَى بَرَزْتَ فَعَا
يَا ابْنَ الْأَلَى كَانَتْ لَهُمْ
كَانَتْ رَشِيدُ بَجْدِكَ الـ
قَدْ كَانَ رَدًّا لِلْعِيبَا
كَمْ رَدَّ غَائِلَةَ الْمُحَا
عَصْرُ بَجْدِي ثُمَّ جَد
سَهْرًا فَنَامَ الْيَائِسُو
وَتَقَاسَمَا فَضْلَ الْفَخَا
جَدِّي بِعِلْمٍ نَاصِعٍ
وَبِمَقُولٍ يَفْرِي الْحَدِيدِ
فِي حِينِ جَدِّكَ بِالسَّمَا
دَانَ الزَّمَانُ لِطَوْلِهِ
سَلْ مَنْ رَأَوْهُ فَكُلُّهُمْ
أَمَّا أَبُوكَ فَقَدْ سَعَى
خُلُقُ كُنُورِ الرُّؤُوسِ بَا
وَعَزِيمَةُ أَمْضَى مِنَ الـ
بَطْشُ كِبَاطِشِ اللَّيْثِ أَغْ
نَزَلْتَ مَحَبَّتُهُ الْقُلُوبُ
هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَزِّ الْيَرَا
فَإِذَا انْبَرَى لِلْقَوْلِ كَا
فَتَكَادُ تَأْكُلُهُ النُّفُوسُ
«أَعْلِي» إِنَّكَ أَنْتَ أَكْ
إِنْ عُدَّ أَبْطَالُ الرِّجَا

فَتَيَّانِ يَا نَسْلَ الْأَكَايِرِ^٩
نِعَمَ الْمُصَاهِرِ وَالْمُصَاهِرِ
ةً بِنِعْمَةٍ يَا خَيْرَ ظَافِرِ^{١٠}
لَهُمُ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرِ^{١١}
فِي كُلِّ حَادِثَةٍ مَآثِرِ^{١٢}
أَعْلَى تَتِيهِ عَلَى الْحَوَاضِرِ^{١٣}
د وَكَانَ مَوْئِلَ كُلِّ عَاشِرِ^{١٤}
فِظْ وَالْمُحَصِّلِ وَالْمُبَاشِرِ^{١٥}
بِكَ كَانَ بِالْعُلَيَّاءِ زَاهِرِ^{١٦}
نَ مُحَصِّنِينَ مِنَ الْمَخَاطِرِ
ر وَنَادِيَا هَلْ مِنْ مَفَاخِرِ؟
يَهْدِي وَلَيْلُ الشَّكِّ عَاكِرِ^{١٧}
د وَيَصْرَعُ الْخَصَمَ الْمُكَابِرِ^{١٨}
حَةَ يُخْجَلُ السُّحْبُ الْمَوَاطِرِ^{١٩}
فَأَتَى إِلَيْهِ وَهُوَ صَاغِرِ^{٢٠}
لِنَوَالِ «بَدْرِ الدِّينِ» ذَاكِرِ
فِي إِثْرِهِ سَعَى الْمُثَابِرِ
كَرَهُ الْحَيَا وَالرُّؤُوسَ عَاطِرِ^{٢١}
أَقْدَارِ فِي حَلَكِ الدِّيَاجِرِ^{٢٢}
خَصْبُهُ الطَّوَى وَاللَّيْثُ خَادِرِ^{٢٣}
بَ وَأَقْسَمَتْ أَلَّا تُغَادِرِ
عَ وَهَزَّ أَغْوَادَ الْمَنَابِرِ^{٢٤}
نَ لَهُ مِنَ التَّوْفِيقِ نَاصِرِ^{٢٥}
سُ هَوَى وَتَشَرَّبَهُ الضَّمَائِرُ
رَمُ نَابِهِ فِينَا وَكَابِرِ
لِ فَأَنْتَ أَوْلُهُمْ وَأَخِرِ

هوامش

- (١) حوراء: صفة من الحور وهو شدة بياض العين في شدة سوادها، وهذا من أعظم مظاهر الحسن. وتسرح: تمشي وتنتقل وأصله من سرحت الماشية: تنقلت في المرعى. ومرح: صفة من المرح وهو الاختيال والنشاط والتبختر. الجآذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه به الحسناء من النساء في جمال العيون واتساعها.
- (٢) العقبى: جزاء الأمر. الموارد في الأصل: جمع مورد اسم مكان من ورد البعير وغيره الماء أي بلغه ووافاه، المصادر: جمع مصدر اسم مكان من صدر عن الماء أي رجع، والمراد بالموارد والمصادر الأوائل والنهايات.
- (٣) حسا الطائر الماء: جرحه أي شربه. والكرات: جمع كرة وهي الرجعة. الخواطر: جمع خاطر وهو الهاجس أو حديث النفس.
- (٤) ود: تمنى. والكواعب: جمع كاعب وهي الفتاة نهذ ثديها أي نتأ. الغدائر: جمع غديرة وهي الذؤابة أي الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر.
- (٥) النواظر: جمع ناظر وهو السواد الأصغر من العين، ويريد بحبة الناظر إنسان العين.
- (٦) الجلال: العظمة. اللواء: العلم. البشائر: جمع بشارة وهي اسم من بشره تبشيراً أي سره وأفرحه.
- (٧) طفا: علا. دب: سار سيراً ليناً. السرائر: جمع سريرة وهي السر، والمراد مواضع السرائر وهي القلوب.
- (٨) النفحات: جمع نفحة وهي الرائحة الذكية. ناضر: جميل.
- (٩) النسل: الولد. الأكابر: جمع الأكبر.
- (١٠) الظفر: الفوز وتنكير نعمة للتفخيم، وفيها تورية لأن اسم العروس «نعمة».
- (١١) بزت: غلبت وفاقت.
- (١٢) المآثر: جمع مأثرة وهي المكرمة.
- (١٣) تتيه: تتكبر وتفتخر. الحواضر: جمع حاضرة وهي المدينة، والحاضرة في الأصل: ضد البادية.
- (١٤) الردء: العون. الموثل: الملاذ والملجأ. العاثر: اسم فاعل من عثر بمعنى زل وسقط.
- (١٥) الغائلة: اسم فاعل من غاله من باب قال إذا أخذه من حيث لم يدر، أي: أهلكه وقتله على غرة كاغتاله، والمراد بالغائلة الشر والعسف، ويريد بالمحافظ والي المدينة

وحاكمها، وبالمحصل جابي الضرائب، والمباشر لقب بعض الرؤساء الجبارين في ذلك العهد.

(١٦) زاهر: مشرق مضيء.

(١٧) الناصع: الخالص من كل شيء، ونصع لونه: اشتد بياضه وخلص. عاكر: اسم فاعل من عكر الشراب ونحوه، والمراد أنه كثيف الظلام مختلطه.

(١٨) المقول: اللسان. يفري: مضارع فرى الشيء إذ قطعه لإصلاحه. يصرع: يكبت ويفحم أي يسكت خصمه. المكابر: المغالب والمعاند.

(١٩) السماحة: الكرم والجود والعطاء.

(٢٠) دان: ذل وخضع. الطول: الفضل والقدرة والغنى والسعة. صاغر: ذليل

خاضع.

(٢١) النور: الزهر. الروض: جمع روضة. باكره: أتاها بكرة، والبكرة أول النهار.

الحيا: المطر. عاطر: اسم فاعل من عطر أي تطيب.

(٢٢) العزيمة: الإرادة القاطعة القوية، أمضى: أنقذ وأقطع. الأقدار: جمع قدر وهو

ما يقدر على الإنسان في حياته. الحلك: شدة السواد. الدياجر: جمع ديجور وهو الظلام.

(٢٣) البطش: الأخذ بالعنف. الليث: الأسد. الطوى: الجوع الشديد. خادر: مقيم في

خدره وهو عرينه.

(٢٤) اليراع: جمع يراعة وهي القصب، والمراد باليراع الأقلام التي تتخذ من القصب

عادة. الأعواد: جمع عود وهو الخشب.

(٢٥) انبرى: اعترض وتصدى.

بهجة الأفراح

أقامت مصر موكباً للزهور احتفالاً بزواج الإمبراطورة السابقة فوزية من إمبراطور إيران السابق محمد رضا بهلوي عام ١٩٣٩م، وأعدت جريدة البلاغ لهذه المناسبة عربة زينت بالورود، كتبت عليها بالأزهار هذه الأبيات.

هَنِّ إِيْرَانَ بِالْقِرَانِ وَمِضْرًا	وَامِلًا الْكَوْنَ بِالْبِشَائِرِ عِطْرًا
وَانْتُرِ الشُّعْرَ لِلْعُرُوسِينَ زَهْرًا	وَانظُمِ الزَّهْرَ لِلْعُرُوسِينَ شِعْرًا
بَزَغَتْ فِي مِشَارِقِ الْمَجْدِ شَمْسًا	وَبَدَا فِي مَطَالِعِ السَّعْدِ بَدْرًا ^١
شَرَفُ يَبْهَرُ السَّمَاءَ وَعِزُّ	يَمْتَطِي هَامَةً الْكَوَاكِبِ زُهْرًا ^٢
سَطَعَ «الْفَوْزُ» وَ«الرِّضَا» بَيْنَ تَاجِيْءٍ	بَيْنَ أَعَادَا لِلْمَشْرِقِ عِزًّا وَذِكْرًا ^٣
وَتَلَقَّى مَجْدٌ بَنَاهُ بَنُو النِّبِ	لِ بِمَجْدٍ بَنَاهُ دَارَا وَكُسْرَى ^٤
تَهْنِئَاتٍ «الْبَلَاغُ» وَهِيَ وَلَاءُ	صَوَّرَتْهَا يَدُ الطَّبِيعَةِ زَهْرًا ^٥

هوامش

- (١) بزغت: طلعت. مطالع السعد: موضع طلوع السعادة والهناء.
- (٢) يبهر: يضيء. يمتطي: يركب. وفيه استعارة بالكناية. هامة الكواكب: قمة الكواكب. زهراً: نجومًا مضيئة لامعة.
- (٣) الفوز: الظفر بالخير. الرضا: الرضوان والارتضاء. وهنا إشارة إلى اسمي العروسين. الأميرة فوزية والأمير رضا بهلوي شاه إيران.
- (٤) دارا: من ملوك الفرس. كسرى: لقب ملوك الفرس.

ديوان علي الجارم

(٥) البلاغ: هي جريدة البلاغ. ولاء: طاعة وإخلاص.

دُعَابَةٌ

عام ١٩٣٨ م

صَفْوَةٌ مِنْ نُجَبَاءِ الْأَصْدِقَاءِ^١
نَطَقَ الْجِدُّ بِهِ الْقَوْلَ الْهَرَاءَ!^٢
فِيهِ لِلرُّوحِ وَلِلْعَقْلِ غِذَاءٌ
طُرْفًا مِمَّا رَوَاهِ الْأَدْبَاءُ
لِنُفْخِ النَّفْسِ مِنْ كَدِّ الْعَنَاءِ^٣
أَنْتِ، فَالْكُلُّ لِمَا تُلْقِي ظِمَاءً^٤
تَرَكْتِ «حَتَّى» لِنَفْسِي مِنْ ذِمَاءٍ؟^٥
شَاءَتْ الْفِطْنَةُ مِنْ لُغْزٍ وَشَاءَ^٦
غَيْرَ نَوْعٍ هُوَ «حَسَنُ الْإِبْتِدَاءِ»
عَاقَنِي الْإِعْلَالُ فِي «رِيحٍ» وَ«شَاءَ»^٧
أَكْثَرَ الْقَوْلِ أَمَلٌ أَلْجَسَاءُ

ضَمَمْتِي مَجْلِسُ أَنْسِ زَانِهِ
مَنْطَقُ الْهَزْلِ بِهِ جِدُّ، وَكَمْ
فَتَطَارَحْنَا حَدِيثًا عَجَبًا
وَتَجَازَبْنَا فَنُونًا جَمَعَتْ
ثُمَّ رُمْنَا أَنْ نَحَاجِيَ سَاعَةً
قُلْتَ: مَنْ يَبْدَأُ قَالُوا: فَابْتَدِئِ
قُلْتَ لِلنَّحْوِيِّ: قُلْ، قَالَ: وَهَلْ
قُلْتَ: فَلَيَأْتِ الْبَدِيعِيُّ بِمَا
قَالَ: أَتَقْنَتُ بَدِيعِي كُلَّهُ
قُلْتَ لِلصَّرْفِيِّ: فَابْدَأْ، قَالَ: قَدْ
ثُمَّ قَالُوا: قُلْ وَلَا تُكْثِرْ فَمَنْ

* * *

وَذَكَاءٌ وَسَمَاحًا فِي رِدَاءِ
كُوكَبًا يَسْطَعُ فَيَنَاضُ الضِّيَاءَ^٨
لَيْسَ لِلشَّمْسِ نَوَالٌ وَذَكَاءُ^٩

قُلْتَ: مَنْ يُعْرِفُ عِلْمًا وَجِبًّا
يَمْلَأُ الدُّنْيَا حَيَاةً إِنْ بَدَأَ
فَأَجَابُوا: الشَّمْسُ؟ قُلْتَ: انْتَبَهُوا

ثم قالوا: زد، فنأديت وما
مورّد يمشي إلى قُصَّايه
مورّد قد راح في الناس وجاء؟^{١٠}
فيه ريّ وحيّةً وشفاء^{١١}
كيف يمشي مثلما تزعم ماء؟^{١٢}

قلت: هل أبصرتُم جسمًا يرى
للعلّا للفضل للدين وللأ
فأجابوا: قد عَجَزنا، قل لنا
قلت: في الأرض، وللأرض به
هو في الطبّ «أبقراط» وفي
وإذا أعطى أبيتُم أنفًا
فأجابوا: اكشف لنا، حيّرنا
قلت: كلّا فانظروا وانتبهوا
للإخاء المحض أو صدّق الوفاء؟^{١٣}
دبّ الجَمّ جميعًا والإباء؟^{١٤}
ذاك في الأرض يرى أم في السماء؟
ويحكم، أيّ ازدهار وازدهاء!
حَلَبَة الشعر إمام الشعراء^{١٥}
أن تعدّوا «حاتمًا» في الكرماء^{١٦}
عن أحاجيك إن شئت الغطاء^{١٧}
ليس في الأمر التباس أو خفاء

هل رأيتم دَوْحَةً مُثمرةً
هي في الصيف ظلالٌ وندى
يجدُ البائس في ساحتها
سألوني: محسنٌ؟ قلت: نعم
ثم قالوا: شاعرٌ؟ قلت: أجل
ثم قالوا: زاهدٌ؟ قلت: نعم
فأشاروا: قفّ عرفناه، وهل
عَجَبًا جرنا ولم نفطّن له
لا نُسمّيه فيكفي وصفه
قُم وسجّل فضله واهتِف به
كلّ أن في صباح أو مساء؟
وهي دفءٌ وحنان في الشتاء
موئلاً خلّو الجنى رَحْبَ الفناء^{١٨}
ملجأ القُصَّار كهفُ الفقراء
شِعْرُه الدرُّ بهاءٌ وصفاء
عنده الدنيا وما فيها هَبَاءٌ^{١٩}
يُجهلُ البدر؟ فما هذا الغباء؟
واسمُه كالصبح نورًا وجلاء!
فيه عن كلّ تعريف غناء^{٢٠}
وابتكّر ما شئت فيه من ثناء

هوامش

- (١) نجباء: كرماء شرفاء عظام.
- (٢) القول الهراء: القول الهزل.
- (٣) نحاجي: نتبارى في الأحاجي وهي الألغاز.
- (٤) ظماء: متعطشون.
- (٥) حتى: اضطربت أقوال النحاة في معاني حتى وفي إعرابها حتى لقد أثر عن «الفراء» أنه قال: أموت وفي نفسي شيء من حتى. من ذماء: من بقية روح.
- (٦) البديعي: وهو العالم في علم البديع والبلاغة. الفطنة: الذكاء. شاء: أراد.
- (٧) الصرفي: عالم الصرف وهو من علوم اللغة العربية. الإعلال: باب في علم الصرف وهو من أهم أبوابه. في ريح وشاء: في ريح إعلال بقلب الواو ياء. أما شاء وهو جمع شاة فأصل الهمزة فيه هاء.
- (٨) فياض: كثير.
- (٩) نوال: عطاء. نكاء: حدة القلب وقيل: الاشتعال.
- (١٠) مورد: منهل.
- (١١) ري: ارتواء، ماء.
- (١٢) فنأوا: بعدوا.
- (١٣) المحض: الخالص.
- (١٤) الجم: الكثير.
- (١٥) أبقرط: فيلسوف وطبيب يوناني قديم وله قسم يعرف بقسم أبو قراط يقسمه الأطباء عند بدء اشتغالهم بمهنة الطب.
- (١٦) أبيتم: رفضتم. أنفاً: عظمة وكبرياء. حاتمًا: هو حاتم الطائي الذي ضرب به المثل في الجود والكرم.
- (١٧) أحاجيك: ألغازك.
- (١٨) موثلاً: ملأذاً. حلو الجنى: حلو الثمر. رحب الفناء: متسع الجوانب.
- (١٩) هباء: تراب دقيق لا يرى.
- (٢٠) غناء: استغناء.

إلى أنطون الجميل

بعث الشاعر بهذين البيتين إلى صديقه الأستاذ أنطون الجميل، رئيس تحرير جريدة الأهرام وعضو مجمع اللغة العربية بمناسبة حصوله على رتبة الباشوية عام ١٩٣٦م.

حينما نلتَ آبداتِ المعالي وشَقَيْنَا المُنَى وكانتَ عِطَاشًا
قال لي الشعرُ: قُمْ وسجِّلْ وأرِّخْ أَيُّ بُشْرَى! غدا الجميلُ باشا
١١ ٥١٢ ١٠٠٥ ١١٤ ٣٠٤
١٩٤٦

هوامش

(١) آبدات: خالداً. شَقِينَا: سَقِينَا.

الفيوم

كانت زيارة من الشاعر لمدينة الفيوم حينما كان والده — رحمه الله — قاضياً للمحكمة الشرعية بها، فراعته ما أفاض الله — سبحانه وتعالى — عليها من جمال وأسعده ما اتصف به أهلها من وفاء، فجاءت هذه الأبيات معبرة عما يجيش في نفسه من مشاعر عام ١٨٩٨م.

ساكني الفيوم إنني ذاكرٌ	عهدكم، والذكر في البعدِ وفاءً ^١
كم شدا شعري على دوحتيكم	أي شعرٍ غريدٍ؟ أي غناء؟ ^٢
بلدٌ كالزهرِ حُسناً وشداً	بينَ أطلالٍ وأنسامٍ وماءٍ ^٣
مثل خدِّ البكرِ في تلوينه	ترتدي في كلِّ حينٍ برداءً ^٤
فهَي بالأمسِ سِواها في غدٍ	وهي في الصبحِ سِواها في المساءِ

هوامش

- (١) عهدكم: وصيتكم، ميثاقكم.
- (٢) شدا: غنى بصوت حسن. دوحتم: حديقتم ذات الشجر الكبير.
- (٣) شدا: رائحة العطر النفاذة.
- (٤) رداء: ثوب.

جورجي زيدان

أحد مؤسسي «دار الهلال» كان أديباً بارعاً روائياً لامعاً قرأ له الشاعر منذ نعومة أظفاره، فنظم من أجله هذه الأبيات، تقديراً وعرفاناً عام ١٩٤٦م.

وَمِنْ رَوَائِحِ مَا أَمْلَأَهُ زِيدَانِي	رُذَا شَبَابِي، وَرُذَا عَهْدَ زِيدَان
فَكَانَ مِنْهُ وَمِنْ سَنِي شَبَابِي ^١	قَرَأْتُهُ وَرِيَاضُ الْعُمُرِ وَارْفَةَ
كَالسِرِّ مَا بَيْنَ إِعْلَانٍ وَكِتْمَانٍ ^٢	فِي ضَوْءِ خَافِقَةٍ فِي الرِّيفِ شَعْلَتَهَا
تَطْوِي الْقُرُونُ لِأَلْقَاهَا وَتَلْقَانِي ^٣	بَدَتْ بِهَا زُمُرُ الْأَبْطَالِ مِثْلَهُ
أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ رِضْوَى وَثْلَانٍ ^٤	مِنْ كُلِّ مَا شَادَ لِلْإِسْلَامِ مَمْلَكَةً
كَانُوا لَعْدَنَانٍ أَوْ كَانُوا لَغْسَانٍ ^٥	لِلْعُرْبِ «بِالضَّادِ» إِيْمَانٌ يُوحِّدُهُمْ
لَكِنْ جَلَا صُورًا مِنْ صُنْعِ فَنَّانٍ ^٦	مَا خَطَّ «زِيدَانُ» أَسْطَارًا عَلَى صُحُفٍ
وَالْخُلْدُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَهُ ثَانِي ^٧	قَدْ كَانَ أَوَّلَ مُرْتَادٍ لِأُمَّتِهِ

هوامش

- (١) وارقة: ممتدة الظل.
- (٢) خافقة: مضطربة متحركة والمقصود هو مصباح الجاز الذي كان يستعمل في الأرياف للإنارة.
- (٣) زمر: جماعات.
- (٤) رضوى: جبل رضوى الشهير بالحجاز. ثهلان: جبل مشهور أيضاً.
- (٥) الضاد: اللغة العربية. عدنان: أبو العرب المسلمة. غسان: أبو العرب المسيحيين.

ديوان علي الجارم

(٦) جلا: أوضح.

(٧) مرتاد: نافع، رائد.

باريس

يتألم الشاعر لذكرى سقوط باريس في الحرب العالمية الثانية، ويتحسر لسرعة استسلامها. ثم يذكر إنقاذ الحلفاء والفرنسيين الأحرار لها من أيدي الألمان عام ١٩٤٤م، فضمن هذه القصيدة مشاعره وخواالج نفسه.

أُرْدُدُ الأَلْحَانَ أَمْ أَبْكِيكَ؟
يشدو، وحيناً وإلها يَرْتِيكَ^١
لِلْفَوْزِ غَيْرَ حُشَاشَةِ الْمَنْهوكِ^٢
«فَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ النُّوكِ»^٣
لَاقِيَتِ مِنْ جَبَرِيَّةٍ وَفُتُوكِ؟^٤
عَاتٍ، وَظَلَمَ كَاسِمَهُ مَهْتُوكِ^٥
وَمَضَى الْقَضَاءُ فَعَزَّ مَنْ يُنْجِيكَ
وَتَجِفُّ دَامِيَةُ الْقَنَا الْمَشْكُوكِ^٦
مُصْغٍ، وَلَا «لَا فَالُ» بَيْنَ ذَوِيكَ^٧
دُونَ الَّذِي لَاقِيَتِ مِنْ أَهْلِيكَ!^٨
لَمَّا دَعَاهُمْ لِلرَّدَى دَاعِيكَ^٩
يَا لَيْتَهُمَ لِلْمَوْتِ مَا تَرَكَوكِ!^{١٠}
كَفَّيْكَ ضَارِعَةً، وَلَا سَمِعُوكِ^{١١}
غُلًّا، فَكَادَ حَدِيدُهُ يُزْدِيكَ^{١٢}
أَصْلَى الْقُلُوبَ بِحَرْهَا نَاعِيكَ^{١٣}

عُرْسُ أَقِيمَ عَلَى الدِّمِ الْمَسْفُوكِ
بَارِيسُ حَيَّرَتْ الْقَرِيضَ، فَمَرَّةً
نَهَكْتُكَ دَاهِيَةَ الْخُطُوبِ فَلَمْ تَدْعُ
إِنْ كَانَ مَا تَعْنِي الْحَيَاةُ تَنْفُسًا
لَهْفِي عَلَيْكَ! وَلَهْفُ شَعْرِي! مَا الَّذِي
مَا بَيْنَ ظُلْمٍ كَالْمَنُونِ مُحَجَّبِ
أَلْقِيَتِ نَفْسَكَ لِلطُّغَاةِ غَنِيمَةً
جُرْحُ الْهَزِيمَةِ لَا تَجِفُّ دِمَاؤُهُ
نَادَيْتِ لَا «بَيْتَانُ» فِي تِسْعِينِهِ
وَلَقِيَتِ مِنْ عَسْفِ الْعَدُوِّ وَكَيْدِهِ
وَلَّى الْحُمَاةُ فَمَا أَجَابُوا دَعْوَةً
تَرَكَوكِ لِلْمَوْتِ الرُّؤَامِ وَأَدْبَرُوا
وَمَضَوْا حَيَارَى ذَاهِلِينَ، فَمَا رَأَوْا
قَذَفُوا السِّلَاحَ فَصَبَّهُ أَعْدَاؤُهُمْ
وَنُعِيَتِ لِلدُّنْيَا فَشَبَّتْ لَوْعَةً

* * *

وَيْلَ الشَّبَابِ مِنَ النُّعُومَةِ إِنَّهَا
مَا أَتَعَسَ الزَّمَنَ الْجَدِيدَ بِفِتْنِيَةٍ
قَلْبٌ كَقَرْطِ الْغَانِيَاتِ مُفَزَّعٌ
عَاشُوا صَعَالِيكَ الْحَيَاةِ وَلِيَتَّهِمُ
أَبْقَتْ لِيَالِي الْأَنْسِ مِنْ أَخْلَاقِهِمُ
أَعْرَاضُ سُمٍّ لِلشُّعُوبِ وَشِيكَ^{١٤}
قَتْلُوهُ فِي التَّصْفِيفِ وَالتَّدْلِيكِ!^{١٥}
وإِرَادَةُ مِنْ حَايِرَةٍ وَشُكُوكِ^{١٦}
فَازُوا بِصِدْقِ عَزِيمَةِ الصُّغْلُوكِ!
فَزَعَ النِّعَامَةِ وَازْدِهَاءَ الدِّيكِ^{١٧}

* * *

بَارِيسُ هَالَتْكَ الدَّمَاءُ غَزِيرَةً
خَفَّتِ الْقَذَائِفُ أَنْ تَهْدَّ مَعَالِمًا
مَا كَانَ أَحْرَى لَوْ دُكِّتِ إِلَى الثَّرَى
مَا بُرِّجَ «إَيْفَل» حِينَ يَسْلُمُ مَانِعٌ
لَوْ طَالَ صَبْرُكَ فِي الْمَكَارِهِ سَاعَةً
إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْكَرَامَةَ صَانِهَا
بَيْنَ الْمَهَانَةِ وَالْمَعَزَّةِ خُطُوةٌ
شَتَانٌ بَيْنَ فَتَى يَمُوتُ مَجَالِدًا
شَتَى أَسَالِيْبُ الْحَيَاةِ، وَلَا أَرَى
سِرُّ الْبَطُولَةِ فِي الشَّدَائِدِ جُرْأَةً
قَدْ كُنْتَ فِي «السَّبْعِينَ» أَكْرَمَ مَوْقِفًا
فَسَقَطْتَ بَيْنَ نِصَالِ جَزَارِيكِ!^{١٨}
فَتَهَدَّمُ التَّارِيخُ فِي أَيْدِيكِ!
وَتَرَكْتِ ذِكْرًا لَيْسَ بِالْمَدْكُوكِ!^{١٩}
هَمَسًا يَطْنُ غَدًا بِأُذُنِ بَنِيكَ^{٢٠}
لَرَأَيْتِ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ يُنْجِيكَ
بِالسَّيْفِ يَمَحُو رَأْيِي كُلُّ أَفِيكِ^{٢١}
فَإِذَا ضَلَلْتَ فَقَلَّ مَنْ يَهْدِيكَ^{٢٢}
وَفَتَى يَمُوتُ بِجُرْعَةِ «الْفِينِيكِ»!^{٢٣}
لِلْمَجْدِ غَيْرَ طَرِيقِهِ الْمَسْلُوكِ^{٢٤}
سَيَّانٍ: تَفْرِي الْخُطْبَ أَمْ يَفْرِيكَ^{٢٥}
وَالْغَانِيَاتُ بِشَعْرِهَا تَفْدِيكَ^{٢٦}

* * *

بَارِيسُ قَدْ ضُرِبَ الثَّبَاتُ بِلَنْدُنٍ
عَبَسَتْ لَهُمْ «دَنْكِرْ» فَاقْتَحَمُوا الرَّدَى
وَاسْتَقْبَلُوا نُوبَ الزَّمَانِ ضِرَاعِمَا
جَعَلُوا الْهَزَائِمَ سُلْمًا، فَتَسَلَّقُوا
أَضَلَّتْهُمْ الْهَيْجَاءُ نَارَ جَحِيمِهَا
لَوْ أَنَّهُمْ وَهَنُوا لَزَالَتْ رِيحُهُمْ
مَثَلًا إِلَى أَمْثَالِهِ يَدْعُوكِ
وَمَشَوْا بِوَجْهِ لِّلْمُنُونِ ضُحُوكِ^{٢٧}
لَمَا تَخَلَّفَ عَاهِلُ «الْبُلْجِيكِ»^{٢٨}
لِلنَّصْرِ فَوْقَ جِمَاجِمِ وَتْرِيكِ^{٢٩}
فَتَخَلَّصُوا كَالْعَسْجِدِ الْمَسْبُوكِ^{٣٠}
وَقَضَوْا عَبِيدَ الذُّلِّ وَالتَّفَكِّيكِ^{٣١}

ولمّا رمى «شَرُّ بُرْجٍ» منهم جَحْفَلُ
ولمّا رأت «روما» طلائعَ نجدةٍ
ولمّا مضى «روميلُ» يلعقُ جُرْحَه
ولمّا جرت في البحرِ تخطرُ سَفْنُهُم
في مأزِقِ كَفَمِ الليوْثِ ضَنِيكَ^{٣٢}
تشرى المحامدَ بالدمِ المسفوكِ^{٣٣}
ويجرُّ ذيلَ العائِرِ المفلوكِ^{٣٤}
من آخرِ «الهادي» إلى «البلطيك»^{٣٥}

* * *

باريسُ — والذكرى جحيماً — فانظري
وتذكري ماضيكِ فهو مَجَادَةٌ
يا أم «هوجو» كلُّ شِعْرِ يَرْتَجِي
أشعلتِ مصباحَ الفنون فأشرقت
فيكِ الثقافةُ بالمجانةِ تلتقي
يا كعبةَ الدنيا، ويا نادي الهوى
أترى البلايلُ لا تزالُ صَوادِحًا
والغانياتُ؟ أفزعتُ أسرابُها
طلعتُ عليكِ مع الصباحِ فوارسُ
طاحوا بقيدكِ في الهواء، وكم لها
وجنودكِ الأحرارُ تستبِقُ الخطأ
فتفرّقُ الأعداءُ عَنْكَ بَدَائِدًا
سُبْحانَ من لا حُكْمَ إِلَّا حُكْمُهُ
عودي إلى ظلِّ السلامِ وأشرقِي
واستقبلي الدنيا جديدًا واعلمي
قَدْرُ الإلهِ إذا كَرِهَتْ لِقَاءَهُ
نحو السماء لعلّها تُنسيكِ!^{٣٦}
قد كان أستاذَ الورى ماضيكِ^{٣٧}
لو كان يُلقَى وَحْيَه من فيكِ^{٣٨}
بضياته الأيامُ بعد خُلوكِ^{٣٩}
ماذا أقولُ وكُلُّ شيءٍ فيكِ؟^{٤٠}
الآنَ كيفَ الحالُ في ناديكِ؟^{٤١}
أم راعها الغريانُ في واديكِ؟^{٤٢}
وتَفَرَّقَ السُّمارُ عن شاديكِ؟^{٤٣}
ومشَى الغريمُ لحقه المتركِ^{٤٤}
مِنَّنْ على المأسورِ والمملوكِ؟^{٤٥}
لِتَرَدَّ صَفْعَتُها إلى غازيكِ^{٤٦}
والطعنُ فوقَ قفاهُم المصكوكِ^{٤٧}
يُمضِي إِرادَتَه بغيرِ شريكِ
كالشمسِ تعلو الأفقَ بعد دُلوكِ^{٤٨}
أنَّ الأسى والحزنَ لا يُجديكِ
فلعلَّ في عُقباه ما يُرضيكِ^{٤٩}

هوامش

- (١) القريض: الشعر. والهّا: مستجيرًا حزينًا جزعًا.
- (٢) نهكتك: أتعبتك. داهية الخطوب: الأمور الشديدة. حشاشة: حشوة البطن، بقية الروح. المنهوك: المكدود، التعب.
- (٣) النوك: الحمقى.

- (٤) جبرية: التجبر والكبرياء. وفتوك: القتل غيلة.
- (٥) كالمنون: كالموت. محجب: مستور. عات: متكبر مجاوز للحد. مهتوك: مقطوع، مفضوح.
- (٦) دامية: الشجة تدمى ولا تسيل. القنا: الرماح. المشكوك: الداخل في الجسم.
- (٧) بيتان ولا فال: قائدان فرنسيان لجيوش الحلفاء (إنجلترا وفرنسا وأمريكا) في الحرب العالمية الثانية ضد دولتي المحور (ألمانيا وإيطاليا).
- (٨) عسف: ظلم. دون: أقل.
- (٩) الحماية: الذين يدافعون عن حماك. للردى: للموت.
- (١٠) الزؤام: الكريه. أدبروا: فروا.
- (١١) ضارعة: متوسلة. مبتهلة داعية.
- (١٢) غلاً: حقدًا وكراهية. يرديك: يغتالك ويهلك.
- (١٣) نعت: جاء خبر موتك (هزيمتك). شبت: توقدت. أصلي: أحرقت. بحرهما: بحرارتها. ناعيك: الذي جاء بخبر سقوطك وهزيمتك.
- (١٤) وشيك: سريع الحدوث.
- (١٥) قتلوه: قضوا عليه والمقصود أضاعوا وقتهم. التصفيف: تنظيم الشعر. التدليك: ذلك الجسم بالطيب.
- (١٦) قرط: ما تتحلّى به النساء ويوضع في شحمة الأذن. مفزع: خائف.
- (١٧) ازدهاء: افتخار.
- (١٨) هالتك: أفزعتك. نصال: جمع نصل وهو حد السكين.
- (١٩) أخرى: أجدى. دككت: سويت بالأرض.
- (٢٠) برج إيفل: هو برج عظيم وأحد معالم باريس. يطن: يسمع (والطنين صوت الذباب).
- (٢١) أفيك: كاذب فاسد الرأي.
- (٢٢) ضللت: بعدت عن الرشاد.
- (٢٣) مجالدًا: مجاهدًا ومقاومًا. جرعة: كمية صغيرة. الفينيك: سائل مطهر مبيد. ويموت بجرعة الفينيك يقصد يموت منتحرًا.
- (٢٤) شتى: كثيرة. أساليب: طرق. السلوك: السائر فيه.
- (٢٥) سيان: يستوي. تفري: تقطع وتمحو. الخطب: الشدة.

- (٢٦) السبعين: حرب السبعين الشهيرة.
- (٢٧) دانرك: مدينة ساحلية بفرنسا تجاه إنجلترا اشتهرت بمعركة انسحاب جيوش الحلفاء (إنجلترا وفرنسا) من فرنسا إلى إنجلترا في الحرب العالمية الثانية.
- (٢٨) نوب: مصائب. ضراغماً: أسوداً. عاهل البلجيك: ملك بلجيكا.
- (٢٩) تريك: جمع تريكة وهي خوذة لوقاية الرأس في الحرب.
- (٣٠) أصلتهم: أصابتهم. الهيجاء: الحرب. العسجد: الذهب. المسبوك: المذاب.
- (٣١) وهنوا: ضعفوا. زالت ريحهم: هزموا. قضاوا: حكم عليهم. التفكيك: التفرق.
- (٣٢) شربرج: قائد في الحرب العالمية الثانية. الليوث: الأسود. ضنيك: ضيق.
- (٣٣) تشري: تشترى. المحامد: الخصال الحميدة.
- (٣٤) روميل: قائد ألماني شهير هزم في معركة العلمين الحاسمة في الحرب العالمية الثانية. يلحق: يلحق. العاثر: الساقط المهزوم. المفلوك: البائس المسكين.
- (٣٥) تخطر: تسير متبخترة. الهادي: المحيط الهادي. البلطيك: بحر البلطيك.
- (٣٦) جحيم: نار عظيمة.
- (٣٧) مجادة: مجد وشرف. الوري: الخلق.
- (٣٨) هوجو: فيكتور هوجو شاعر فرنسي عظيم وصاحب قصة البؤساء الشهيرة.
- يرتجي: يأمل فيه. يلقي وحيه: يستقبل ويأخذ إلهامه. من فيك: من فمك.
- (٣٩) أشعلت: أنرت. حلوك: ظلام.
- (٤٠) المجانة: اللهو.
- (٤١) يا كعبة الدنيا: يا مقصد كل العالم.
- (٤٢) صوادخا: مغردات بصوت جميل. الغربان: طيور سوداء صوتها مزعج وشكلها مقبض.
- (٤٣) أسرابها: جماعات. السمار: المتحدثون ليلاً للتسلية.
- (٤٤) الغريم: المقصود جيوش الحلفاء التي هاجمت أوروبا بعد هزيمتها في دنرك وحاربت الألمان وهزمتهم، وخلصت فرنسا ودول أوروبا الغربية من الاحتلال.
- (٤٥) منن: أيادي بيضاء.
- (٤٦) جنودك الأحرار: يقصد جيشها الحر الذي كونه الجنرال ديجول لمحاربة الألمان. غازيك: محتلك وهم الألمان.
- (٤٧) المصكوك: المضروب.

ديوان علي الجارم

(٤٨) دلوك: زوال وغروب.

(٤٩) عقباه: آخرته.

مُعاهدة ١٩٣٦^١

نُشرت بالعدد الثالث من السنة الثالثة لمجلة دار العلوم عام ١٩٣٧م

تقديم

يصدر هذا الجزء من صحيفة دار العلوم، وقد حقق الله لمصر ما كانت ترجوه، وتجاهد في سبيله جهاد الكمأة في حومة الوغى — ألا وهو الاستقلال الذي كانت تصبو إليه النفوس وتتجه الآمال — وانتهى ذلك الكفاح، الذي طال أمده بين دولة قوية تملأ جنودها البر وسفنها البحر وطيرانها الفضاء، وبين مصر الفتية الناهضة، التي لم يكن لأبنائها من عدة، سوى ما يعمر قلوبهم من إيمان ثابت وعقيدة راسخة بأن من حقهم الطبيعي أن يعيشوا أحرارًا، كما خلقهم الله أحرارًا، أو يموتوا كرامًا بين طعن القنا وخفق البنود. ففي سبيل مصر تلك الدماء الزكية التي خضبت الأرض، وفي ذمة الله تلك الأرواح الطاهرة، التي قدمها شباب الوادي فداء للوطن العزيز.

لقد استقلت مصر فشملها الفرح وعمها السرور، ولم ينس أبنائها الأمجاد — وهم في نشوة النصر — ما للزعماء عليهم من حق، فقاموا يتناقشون في صنوف التكريم، ويتخذون مظاهر شتى لتقديرهم، والاعتراف لهم بكل ما قدموا من خير لبلادهم.

^١ وهي اتفاقية «مونتر» التي أبرمها مصطفى النحاس باشا، عندما كان رئيسًا لوزراء مصر عام ١٩٣٦م. بين مصر وإنجلترا ثم قام بإلغائها عندما كان رئيسًا لوزراء مصر عام ١٩٥١م.

وكان من أروع حفلات التكريم، تلك الحفلة التي أقامها الموظفون لحضرة صاحب المقام الرفيع الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا وصحبه المخلصين، الذين أبلوا في سبيل الاستقلال بلاءً حسنًا، فقد جمعت الحفلة جمهرة من خيرة المثقفين في مصر، وكان لأبناء دار العلوم حظ في اشتراك جمهورهم فيها، وكان لشاعرهم الفذ، الأستاذ علي الجارم بك، المفتش الأول للغة العربية في وزارة المعارف قصيدة من أمهات القصائد، عبر فيها عما يكنون بين جوانحهم من وطنية صادقة، وتقدير للعاملين لخير الوطن من رجالات مصر، وإن مصر لتبدأ هذا العهد الجديد بقلب فتي وهمة وثابة، وهي ترقب من جميع أبنائها أن يشدوا العزائم، ويؤدوا للوطن ما يرفع شأنه ويعلي مكانته.

وإننا — معشر المعلمين — لنعاهد الوطن على أن نسير في إعداد الجيل الحاضر إعدادًا أساسه التفاني في حب الوطن والإخلاص لأمله والعمل لخيرهم جميعًا.

وهذه قصيدة صاحب العزة الأستاذ الكبير علي الجارم بك ننشرها في صدر الصحيفة:

وَعَزَّتْ هِمَّةٌ لَكَ أَنْ تُرَامَا ^١	أَبَتْ أَعْلَامُ مَجْدِكَ أَنْ تُسَامَى
وَتَبَغِي فَوْقَ دَارَتِهَا مَقَامَا ^٢	تُحَلِّقُ لِلنَّجُومِ فَتَعْتَلِيهَا
وَيَمْسَحُ عَنْ مَحَاجِرِهِ الْمَنَامَا ^٣	بَعَثَتْ الشَّرْقُ يَبْسُطُ سَاعِدِيهِ
وَتَخْشَى الْحَادِثَاتُ بِهِ اصْطِدَامَا	تَمَرُّ بِصَخْرِهِ الْأَهْوَالُ حَسْرَى
وَقَامَ الْمِصْطَفَى فِيهَا إِمَامَا	وَصَارَتْ مِصْرُ قِبْلَةً كُلِّ شَعْبٍ
وَرَأَى سَاطِعَ يَمْحُو الظَّلَامَا	عَلَى دِينَ مِنَ الْأَخْلَاقِ سَمَحٍ
لَدُكَ الطَّوْدُ وَانْهَدَمَ انْهَدَامَا ^٤	وَعَزَمَ لَوْ رَمَى جَنَبَاتِ رِضْوَى
فَتَغْضِي أَعْيُنًا وَتَحْزُرُ هَامَا ^٥	تَطُوفُ بِهِ الْحَوَادِثُ صَاغِرَاتٍ
يَرُدُّ مَضَاوِهُ الْجَيْشِ اللَّهُامَا ^٦	نِضَاهُ اللَّهُ يَوْمَ نِضَاهِ عَضْبَا
وَنَصْرُ اللَّهِ يَتْبَعُهُ لِإِذَا	يُصَاحِبُهُ مِنَ الْإِيْمَانِ قَلْبُ
ظَنَنَّا أَنَّهُ يَهْوَى الصَّدَامَا	وَيَصْقُلُهُ الصَّدَامُ الْمُرُّ حَتَّى
تَرَاهُ — إِذَا دَعَا الدَّاعِي — كَهَامَا ^٧	وَكَمْ فِي النَّاسِ مَنْ سَيْفٍ صَقِيلٍ

نَهَضَتْ بِمَطْلَبٍ وَعَرٍ جَسِيمٍ فَنِلْتَ بَنِيْلِهِ الشَّرَفَ الْجُسَامَا

تَخُوضُ لَهُ الصِّعَابَ الصُّمَّ خَوْضًا وَتَقْتَجِمُ الْخُطُوبَ لَهُ اقْتِحَامًا
وَتَزَارُ دُونَهُ زَارُ ابْنِ غَابٍ أَبِي أَنْ يُسَاوِمَ أَوْ يُسَامَا^{١٨}
وَمَنْ كَالْمَصْطَفَى لِلْحَقِّ رَدًّا إِذَا الرَّعْدُ دُونَ الْحَقِّ نَامَا؟^{١٩}
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا فِي اللَّهِ أَلْقَى إِلَيْهِ شَامِسُ الدَّهْرِ الزُّمَامَا^{٢٠}

* * *

جَفَا الدُّنْيَا، وَهَامَ بِحُبِّ مِصْرٍ هُيَامًا أَلْهَمَ الصَّبَّ الْهِيَامَا^{٢١}
تَلَوُّدُ بِهِ، فَيَكْلُوهَا كَرِيمًا وَتَرْجُوهُ، فَيَنْصُرُهَا هُمَامَا^{٢٢}
وَيَنْفَحُ دُونَهَا فِي الْحَقِّ سَيْفًا وَيَهْمِي فِي مَرَابِعِهَا غَمَامَا^{٢٣}
مَحَامِدُ، لَوْ حَوَاهَا الشَّعْرُ رَقَّتْ حَوَاشِي الشَّعْرِ، وَانْسَجَمَ انْسِجَامَا
وَأَمَالُ، يُتَوَجُّ مُبْتَغَاهَا تَمَامُ، عَلَّمَ الْبَدْرَ التَّمَامَا
لَقَدْ ضَاقَ الْحَسُودُ بِمَا يُلَاقِي وَمَنْ ذَا يَكْشِفُ الدَّاءَ الْعُقَامَا؟^{٢٤}
وَمَا عَيْبُ الضِّيَاءِ وَقَدْ تَجَلَّى إِذَا عَمِيَ الْمُكَابِرُ، أَوْ تَعَامَى؟
إِذَا اعْتَصَمَتْ بِحَبْلِ اللَّهِ نَفْسُ دَنَا الْغَرَضُ الْبَعِيدُ وَقَدْ تَرَامَى^{٢٥}
وَذَلَّتِ السَّبِيلُ، وَدَانَ طَوْعًا مِنْ الْأَمَالِ أَضْعَبُهَا مَرَامَا^{٢٦}
وَمِنْ كَرَمِ النُّفُوسِ تَرَى نُضَارًا وَمِنْ هَوْنِ النُّفُوسِ تَرَى رُغَامَا^{٢٧}
وَرُبَّ فَتَى كَصَدْرِ الرُّمَحِ صُلْبٍ وَآخِرَ خَائِرٍ يَحْكِي الثُّمَامَا^{٢٨}
وَمَنْ خَلَقَ الضَّرَاعِمَ وَاثْبَاتِ إِلَى عَزَمَاتِهَا خَلَقَ النَّعَامَا!^{٢٩}
زَعِيمَ الشَّعْبِ، أَنْتَ لَهُ رَجَاءُ إِذَا مَا أَشْجَعُ الْأَبْطَالِ خَامَا^{٣٠}
دَعَتْ مِصْرُ، فَكُنْتَ لَهَا جَوَابًا وَكُنْتَ لِمِصْرٍ وَخَدَّتْهَا عِصَامَا^{٣١}
رَعَيْتَ حَقُوقَهَا وَدَفَعْتَ عَنْهَا وَمَنْ كَالْمَصْطَفَى يَزْعَى الدُّمَامَا؟^{٣٢}
وَحَامَتْ حَوْلَكَ الْأَمَالُ نَشْوَى كَطِيرٍ دَفَّ فِي رَوْضٍ وَحَامَا^{٣٣}
وَأَصْبَحَ عَهْدُكَ الزَّاهِي سَلَامًا يَرِفُ فَلَإِنْ نَفَارَ وَلَا خِصَامَا^{٣٤}
تَوَطَّدْتَ الْعَقِيدَةُ وَاطْمَأْنَنْتَ فَلَا صَدْعًا نَخَافُ وَلَا انْقِسَامَا^{٣٥}
وَعَادَ لِمِصْرٍ مَاضِيهَا مُجِيدًا وَقَامَ الْعَدْلُ فِي مِصْرٍ قِيَامَا
بَنَيْتَ فَكَانَ حِينَ بَنَيْتَ أَسَا وَأَرْسَيْتَ الْقَوَاعِدَ وَالِدُّعَامَا^{٣٦}
رَأَيْتَ لِكُلِّ مَمْلَكَةٍ نِظَامًا وَلَا كَالْعَدْلِ فِي الدُّنْيَا نِظَامَا

* * *

وَكُنْتُ لِفَوْزِ دَعْوَتِهِ قَوَامًا ^{٢٧}	رَعَاكَ اللَّهُ، قَدْ أَرْضَيْتَ سَعْدًا
وَيَنْفُثُ فِيكَ رَأْيَا وَاعْتِزَامًا ^{٢٨}	يُمِدُّكَ مِنْهُ رُوحٌ عَبْقَرِيٌّ
إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدُ السَّنَامَا ^{٢٩}	خَلِيفَتُهُ، وَقَائِدُ تَابِعِيهِ
عَلَيْكَ وَتَمْلَأُ الدُّنْيَا ابْتِسَامَا	تُرْفَرُفُ رُوحٌ سَعْدٍ مِنْ غُلَاهَا
تُقَاسِي وَغَرَهَا عَامًا فَعَامًا ^{٣٠}	سَلَكَتْ سَبِيلَهُ شَبْرًا فَشَبْرًا
أَمَاءَ خُضَّتْ فِيهِ، أَمْ ضِرَامَا ^{٣١}	تُلَاقِيكَ الصُّعَابُ فَلَا تُبَالِي
وَلَا حَطَمَتْ لَكَ الدُّنْيَا سِهَامَا ^{٣٢}	فَمَا تَلَمَّتْ لَكَ الْأَحْدَاثُ سَيْفًا
فَلَسْتَ تَرَى لِعُقْدَتِهِ انْفِصَامَا ^{٣٣}	وَمَنْ عَقَدَ الْإِلَهَ لَهُ لَوَاءَ

* * *

عُيُوفٍ أَنْ يُضَيِّمَ وَأَنْ يُضَامَا ^{٣٤}	وَحَوْلِكَ مِنْ صَحَابِكَ كُلُّ نَدَبٍ
وَعَاصِفَةً، إِذَا مَا الْجَوُّ غَامَا ^{٣٥}	نَسِيمٌ خَمِيلَةٍ، وَالْجَوُّ صَحْوٌ
إِذَا لَمْ يُلَفَّ سَبَاقُ أَمَامَا ^{٣٦}	يَسِيرُ لِقُصْدِهِ النَّائِي إِمَامًا
عَبِيرَ الْمَسْكِ أَوْ رِيحَ الْخَزَامِي ^{٣٧}	شَمَائِلُ لَوْ وَعَاها الْحِسُّ كَانَتْ
مَقَامٌ لَا يُنَالُ وَلَا يُسَامَى ^{٣٨} !	صِحَابُ الْمِصْطَفَى وَرِجَالُ سَعْدٍ

* * *

أَبِيًّا، قَادَ أَبْطَالًا كِرَامًا ^{٣٩}	نَزَلَتْ بِلُنْدُنْ، فَرَأَوْا كَرِيمًا
وَسَحْبَانًا، إِذَا ارْتَجَلَ الْكَلَامَا ^{٤٠}	بَلِيغًا صَمْتُهُ، وَالصَّمْتُ حَزْمٌ
وَكَمْ عَنْ حُجَّةٍ كَشَفَ اللَّثَامَا ^{٤١}	فَكَمْ فِي غُمَةٍ أَلْقَى ضِيَاءَ
يَلُودُ بِهِ اعْتِزَارًا وَاعْتِصَامَا ^{٤٢}	لَهُ مِنْ قُوَّةِ الرَّحْمَنِ رُكْنٌ
وَكَانُوا خَيْرَ مَنْ قَدَرَ الْأَنَامَا ^{٤٣}	رَأَوْا كَرَمَ النُّضَالِ فَأَكْبَرُوهُ
وَطَوَّحَتْ الْمَقَاوِدَ وَالْخَطَامَا ^{٤٤}	وَنَالَتْ مِصْرَ الْاِسْتِقْلَالِ طَلْقًا
وَكَانَ الْهَمْسُ فِي سِرٍّ حَرَامَا	وَصَارَ الْقَوْلُ فِي جَهْرِ حَلَالًا
وَلَا بَلَّتْ مِنَ الْأَمَلِ الْأَوَامَا ^{٤٥}	وَلَوْلَا الْمِصْطَفَى لَمْ تَحْظَ مِصْرُ

مُعَاهِدَةُ الصَّدَاقَةِ وَالتَّأَخِي	غَدَتْ لَجُهُودِكَ الْعُظْمَى وَسَامَا
رَفَعْتَ بِهَا عَنِ الْأَعْنَاقِ نِيرًا	وَمَزَّقْتَ الْغَمَائِمَ وَالْكَمَامَا ^{٤٦}
وَسَابَقْتَ الْمَمَالِكَ مِصْرُ وَثَبًا	إِلَّامَ تَظَلُّ وَاْنِيَّةً إِلَّا مَا؟ ^{٤٧}
تَعَالَى اللَّهُ هَذَا فَضْلُ رَبِّي	كَشَفَتْ بِهِ عَنِ الْفَتْحِ الْقَتَامَا ^{٤٨}
وَكُلُّ عِظَائِمِ التَّارِيخِ رَهْنٌ	إِلَى أَنْ يَسْتَخِيرَ لَهَا الْعِظَامَا ^{٤٩}
وَلَا يَخْطِي بَنِيْلَ الْمَجْدِ إِلَّا	فَتَى هَجَرَ الْمَلَالَةَ وَالسَّامَا ^{٥٠}
سِجْلُ الْفَضْلِ كُنْتَ لَهُ ابْتِدَاءً	وَصُحْفُ النَّبْلِ كُنْتَ لَهَا خِتَامَا
صِفَاتُكَ أَعْجَزَتْ شِعْرِي، وَفَخِرُ	لِمِثْلِي أَنْ يَلِمَ بِهَا لِمَامَا ^{٥١}
بَقِيَتْ لَصَرْحِ الْإِسْتِقْلَالِ رُكْنًا	وَدُمْتَ لِرَفْعِ رَايَتِهِ، وَدَامَا ^{٥٢}

هوامش

- (١) تسامى: تصل إلى مستواها في الرفة والسمو. ترامى: يريدها وينالها أحد.
- (٢) تعلق: تصل إلى علو النجوم.
- (٣) يبسط: يمد. محاجره: كناية عن عيونه.
- (٤) رضوى: جبل شهير بالحجاز. الطود: الجبل العظيم.
- (٥) تغضي: يخفض من نظره فلا يتمكن من الرؤيا. تحر: تسقط وتتكسر. هاما:

قمم.

- (٦) نضاه: جرده من قرابه. عضبا: كناية عن القوة. مضأؤه: سلاحه الحاد.
- (٧) صقيل: مصقول، قوي حاد. كهاما: كناية عن التفتت والاندثار.
- (٨) زأر: الزئير صياح الأسد. ابن غاب: الأسد.
- (٩) رداء: مدافعا وحاميا. الرعيد: الجبان.
- (١٠) شامس: الصعب. الزماما: المقود.
- (١١) جفا: خاصمها. الصب: المحب.
- (١٢) تلوذ به: تلجأ إليه. فيكلؤها: يرهاها.
- (١٣) ينفخ عنها: يدفع عنها الأذى. يهمي: يمطر: مرابعها: ربوعها. غماما: مطرا.

- (١٤) الداء العقاما: المرض شديد الخطر العسير على الشفاء.
- (١٥) ترامى: بعد.
- (١٦) السبيل: الطريق. دان: قرب. طوعًا: طائعا. مراما: هدفًا وغاية.
- (١٧) نضارا: ذهبًا. رغاما: ترابا.
- (١٨) صدر الرمح: أول شيء في الرمح. خائر ضعيف. يحكي: يشابه. الثمام: نبت ضعيف له حوض أو شبيهه بالحوض.
- (١٩) الضراغم: الأسود.
- (٢٠) خاما: مثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا أي: صيرته ضعيفًا.
- (٢١) عصاما: ما يعتصم به وملجأ وملاذ لهم.
- (٢٢) الذمام: الحرمة.
- (٢٣) دف في روض وحاما: هبط وقرب من الأرض وطار وعلا في السماء.
- (٢٤) يرف: يتفق. نفار: نفار وكره.
- (٢٥) توطدت: زادت تماسكًا. صدعًا: انشقاقًا.
- (٢٦) أسسًا: أساسًا. الدعاما: ما يدعم ويثبت به.
- (٢٧) قواما: عمادًا.
- (٢٨) ينفث: يبتث.
- (٢٩) السنما: أعلا الشيء.
- (٣٠) وعرها: طريقها الصعب غير الممهد.
- (٣١) ضراما: نارًا.
- (٣٢) ثلمت: انكسر من حده شيء.
- (٣٣) اللواء: العلم. انفصام: تحل عقدته.
- (٣٤) ندب: خفيف وسريع في تلبية الحاجة. عيوف: مسارع في عمل الخير. يضميم: يظلم.
- (٣٥) غاما: كثير الغيوم.
- (٣٦) يلف: يجد.
- (٣٧) شمائل: صفات حميدة. عبير: رائحة المسك: نبات طيب الرائحة. ريح الخزامى: ريح باردة مشهورة عند العرب.

- (٣٨) مقام: مكانة عالية. لا يسامى: لا يرتفع ولا يصل إليه.
- (٣٩) أبيعاً: يأبى فعل الصغائر.
- (٤٠) سحبان: من أشهر خطباء العرب البلغاء.
- (٤١) غمة: كريمة. حجة: برهان.
- (٤٢) يلوذ به: يلجأ إليه.
- (٤٣) الأناما: الناس.
- (٤٤) طلقاً: بدون قيود. طوحت: رمت بعيداً. الخطاما: الزمام.
- (٤٥) الأوام: شدة العطش.
- (٤٦) نيراً: ظلماً.
- (٤٧) وانية: متكاسلة ومتباطئة.
- (٤٨) القتام: الغبار.
- (٤٩) رهن: مرهونة. يستخير. يختار. العظاما: عظماء الرجال.
- (٥٠) السآما: النفور من الملل.
- (٥١) يلم بها لاما: يحيط بها إحاطة سريعة.
- (٥٢) صرح: بناء عظيم قوي. رايته: علمه.

